المنار

أنشئ ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى « ومناراً » كمنار الطريق

(٢٩ المحرم سنة ١٣٤٩ هـ ٦ برج السرطان سنة ١٣٠٩ هـ ش ٢٦ مايو سنة ١٩٣٠)

فتحة المجلد الحادي والثلاثين

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣٩: ٤٦)

وَقُلِ الحَمْدُ لِلّٰهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٧: ٩٥) وَهُوَ اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨ : ٧٠)

لبيك اللهم ولك الحمد كما تحب وترضى ، وصلواتك الطيبات ، وتحياتك المباركات الزاكيات ، وصلاة ملائكتك المقربين ، وعبادك المؤمنين ، على رسولك محمد خاتم النبيين ، الذي أرسلته رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ، أولي قرابته وقربه ، وعلى التابعين لهم في طاعته وحبه ، واتباع سنته في بيان كتاب ربه ، على مانقلوه لنا عنه من قول وعمل ، وفضيلة وأدب ، وتشريع وحكم

أما بعد فانني أذكر قراء المنار في فاتحة مجلده الحادي والثلاثين ، بنحو مما كنت أذكرهم به فيما سلف من السنين ، من حظ المسلمين من الاسلام وأثر الاسلام في المسلمين ، ولا سيما حال ملاحدتهم ومبتدعتهم ، وفساقهم وظلمتهم ، وجامديهم ومقلدتهم . وقد كان من قدر الله تعالى أن ألممت في فاتحة المجلد الثلاثين بشيء من دعاية التجديد الالحادية . ومفاسد فوضى النساء الشهوانية ، ثم كان أن اصطدمت بالفريقين في أثناء تلك السنة بالمناظرة والمحاضرة ، فكانت الحجة والغلب لهداية الاسلام ، وظهر ذلك للخاص والعام ، وعلمنا به أن ما كانوا يذيعونه عن شباب مصر ، وسائر نابتة العصر ، من انسلاخهم من وجدان الدين ، واتباعهم غير سبيل المؤمنين ، وانتظامهم جندا خاضعا لدعاية الالحاد ، وقيادة الاباحة والفساد ، انما هو زور وبهتان ، وإرجاف وايهام ، فقد نصر جمهور طلبة الجامعة المصرية داعية الاسلام نصراً عزيزا ، واقترحوا عليه ان يكتب مقالات في بعض الجرائد اليومية يفصل بها ما أجمل في مناظرة الجامعة تفصيلا ، فكتبنا في جريدة كوكب الشرق مقالات تجاوزت جمع القلة الى جمع الكثرة ، فكان لها ما كان من حسن التأثير في الأمة ، ولم يرتفع للملحدين والاباحيين في الرد عليها صوت ، على ما حذقه أكثرهم من خلابة المراء وسخف القول ، وان لها لبقية ، ستكون ان شاء الله تعالى راضية مرضية

بيد أن ريح الطيش طارت بلب داعية قبطي منهم كان أول من عاب الاسلام ، وقال بتفضيل الذكور على الاناث في الميراث ، ودعا المسلمين الى نبذ الفرائض المقررة في نصوص القرآن ، فلم يجد حيلة في مقاومتنا إلا إثارة العصبية الجنسية الفرعونية . ودعوة المصريين كافة الى ترك قراءة كل مايكتبه من لا يجري في عروقه الدم المصري الفرعوني ، ولا سيما من كان من أصل سوري ، كأنه لغروره بقبطيته يتوهم ان مسلمي مصر كلهم يفضلون نسب فرعون الذي لعنه الله ولعن آله وقومه في كتبه ، وعلى ألسنة رسله ، على نسب سيد ولد آدم ، وأكمل مصلح ظهر في العالم ، وهو محمد رسول الله وخاتم النبيين ، الذي تعبدهم الله تعالى بالصلاة عليه وعلى آله الطاهرين ، كما تعبدهم بلعن فرعون وقومه الوثنيين ، بقوله تعالى بعد ذكر غرقهم وعاقبة ظلمهم (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون *

وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين)

ولو شئنا لأثرنا عصبية إسلامية على هذه العصبية الفرعونية فاجتاحتها وكان أهلها هم الخاسرين ، ولكننا نكرم أنفسنا عن مثل هذا السلاح ، ومن العجيب أن أعداء الدين الذين يزعمون أن التعصب له هو الذي يفرق بين أهل الوطن، يستبيحون التفريق والتعادي والتخاصم بالتعصب للجنس والنسب ، لانهم لا يكرهون شرور العصبيات وضررها، وانما يكرهون مثارها من النفس وسببها ، كأنهم يكرهون الغرائز او العقائد الدينية الاسلامية وهي وجدانية اضطرارية، دون المفاسد التي تتولد من الغلو والافراط فيها وهي اختيارية ،وأما نحن فنكره سوء استعمال الغرائز والأديان، الذي هو كسوء استعمال العقل والجوارح والحواس، ويرى جماهير المسلمين في مصر ان القبط قد أسرفوا في تعصبهم الملي، واستغلال نفوذهم في الوفد المصري، فصبروا الا كثرون عليهم صبر الكرام، حرصا على الوحدة السياسية أن يصدعها الانقسام، وانما تصدى خصوم الوفد منهم لاثارة النعرة الاسلامية عليهم وعلى الوفد بغضاً في الوفد لا تمسكا بالاسلام، ونحن نربأ بنفسنا أن تعبث بها هذه الاهواء، وانما هذه كلمة قد جبذها الاستطراد

بيد ان الذي اتأياه في هذه الفاتحة، واذكر بخطره الاذهان الغافلة ، هو أن أنصار الجمود والبدع المؤفة ، وحماة التقاليد المألوفة ، ممن سماهم الاستاذ الامام « حملة العمائم، وسكنة الاثواب العباعب» قد أثار بعضهم في هذا العهد عصبية مذهبية، هي أضر على المسلمين من أثرة القبط عليهم في مصالح الحكومة ، ومن فريقي المبشرين والملاحدة . فان انتصارنا على هذين الخصمين بالحجة والبرهان ،يفهمه ويغتبط به جميع طبقات المسلمين من الخواص والعوام ،

وأما انتصارنا على أولئك بآيات كتاب الله وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف الصالح فلا يعقله إلا من أوتي من سلامة الفطرة واستقلال الفكر ما كان به ممن قال الله تعالى فيهم (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) ولا يزال أكثر طلاب العلوم الشرعية على الطريقة التقليدية يطلبون معرفة الحق بشهرة قائله ، أو سعة جبته وشكل عمامته ، أو بلقبه الوهمي ، أو بمنصبه الرسمي ، وهم ينفرون من الدليل ومن صاحبه ، ويسيئون الظن به ،

وقد كان طلاب الاصلاح الاسلامي يسمعون من هؤلاء الجامدين ومن المبتدعين أذى كثيراً ويصبرون عليهم، إذ يرون ان مبلغ أذاهم لا يعدو بطء انتشار الاصلاح فيمن حولهم، ويسر الذين يعرفون تاريخ الأمم والملل ان مقاومة الاصلاح في تاريخ الاسلام أضعف من مثلها في تاريخ النصرانية، ويحمدون الله تعالى ان الجامدين من كبار علماء الدين الرسميين لم يبلغ منهم الجمود أن يتصدى احد له قيمة منهم للكتابة والنشر في الرد على دعاة الاصلاح المستقلين، ذلك بانهم يعلمون أنهم يدعون إلى حق وخير وهو الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الدين على منهج السلف الصالح الذين هم خيار هذه الامة، والاخذ في مصالح الدنيا بما ثبت للبشر نفعه بالتجارب الفنية والعملية، مع مراعاة القواعد الشرعية، وانما يتعضون من هذه الدعوة لأمرين (أحدهما) خشية افضاء الاستقلال في فهم الدين إلى الخروج عن المذاهب المتبعة الى دعوى الاجتهاد المطلق، ولا يتسع هذا التذكير لبيان مثار هذه الخشية من النفس وما لها من الهوى فيها (وثانيهما) ان هذا تجديد في الاسلام تخرج به الزعامة الدينية من عهدتهم لعدم استعدادهم للنهوض به، وعجزهم عن تولي القيادة في ميدان جهاده، وأذكرهم بما بينته مراراً من التفرقة بين الاجتهاد المطلق بوضع مذهب جديد، والاستقلال في العلم واتباع السلف في هداية الدين.

ولكن نجم في هذه السنين الاخيرة رجل من أعداء السنن، كما ينجم قرن المعز، لم يلبث أن تصدى لنطاح صخرة هداية السنة النبوية، والسيرة السلفية، دون غيرها من المقاصد الاصلاحية، وهو شيخ تركي لا ندري أكان من أولئك الجامدين الذين فتنوا رجال الدولة العثمانية عن الدين بتعصبهم لتقاليد كتب الحنفية، فصدوا أولئك السياسيين عن أصل الملة الحنيفية، أم هو دسيسة كمالية، يبغي بها الكماليون مقاومة حركة الاصلاح الاسلامية، التي تقاوم دعاية التفرنج الكمالية؟

بدأ هذا التركي نطاحه للسنة وحفاظها، بدسائس بثها في حواشي المطبوعات من كتبها، التي يتجر تلميذه من الاغرار بطبعها، ثم بث دعايته في الازهر فاستمال لمشايعته عليها عالم من أشياخه المشهورين، كان في موقف التجاذب والتدافع بين الجامدين والمجددين، حتى كان بعض تلاميذه وأصدقائه يرجون أن يخلف الاستاذ الامام،

في ناحية من نواحي خدمته للاسلام ، فخابت فيه الآمال ، او يعود إلى الاعتدال .

كان الشيخ التركي أحذق من الشيخ المصري في الصد عن السنة وحفاظها، وعن مذهب السلف وأنصاره . فانه سلك فيه مسلك الدسائس السياسية ، وقدر السير فيها مراحل كالمراحل الكمالية في هدم الشريعة الاسلامية ، فبدأ هو بالطعن على بعض حفاظ السنة المشهورين، وتفضيل أهل الرأي على اهل الحديث، وسخر الشيخ المصري للجهر بما لم يتجرأ هو على الجهر به من مناجزة المعاصرين ، واستدرجه إلى كتابة شيء جهر فيه بالنيل من شيخ الاسلام ، وهجر بغميزة الاستاذ لامام، ونشره له مطبوعا باسمه ، ولعله فعل ذلك بدون اذنه ، ليجعله دريئة له في ميدان الجدال ، ومجنا يتقي به في معارك النزال

لاخوف اليوم على مذهب السلف من سيف هذا التركي ولا من مجنه .

وقد أعلى الله مناره ، وأعز مهاجرته وأنصاره ، وأنشأ له دولة ؛ وجعل له صولة، فتعددت جمعياته وصحفه ، وكثرت رسائله وكتبه ، فتضاءلت أمامه التأويلات الكلامية ، والتقاليد الخرافية ، ولا خوف على طريقة الاستاذ الامام في الاصلاح، بعد أن اتفقت الكلمة على إمامته ، وانكشفت بموته الحجب التي كانت مضروبة أمام جلالته ، من استبداد أمير ، وحسد شيخ كبير ، وتقليد غر جاهل ، وحقد غمر متجاهل، وان ظهر ان لحسد بعض الاشياخ بقية في الزاوية ، أخرجها منها ذلك التركي الداهية، وسنفرغ في هذا المجلد لرد هذا الهجوم ببيان بطلانه وضرره في الاسلام والمسلمين في هذا العصر ، الذي يهاجم الاسلام جيشان قويان من جحافل الكفر أقواهما جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة، وان كانت واحدة، وأضعفهما جيش المبشرين وإن كان لهم دول متعددة، فيجب على أهل العلم وحملة الاقلام من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد في هذه السبيل سبيل الله، بدلا من اضعاف الاسلام بالتعصبات المذهبية التي كانت أضر عليه في عهد قوته من كل أعدائه من الكفار . فكيف يكون ضررها الآن ؟

وقد كان من حكمة الله في تقديره ، ولطفه في تدبيره ، أن بلغنا عند كتابة هذه الفاتحة الكلام على تأسيس جمعية العروة الوثقى من تاريخ الاستاذ الامام . الذي ألجأتنا احداث السياسة إلى تأخير نشره إلى هذا العام . فرأينا ان ننشر لقراء المنار بعض تعاليمها السرية ، لانها قد صارت من الحوادث التاريخية : فهي

أفضل أطوار الاصلاح الذي نتخولهم به في هذه الفواتح، وخير صدمة لتقحم الجامح، وتهجم الطامح، وهذا نصها :

﴿بعض الأصول العملية، لاعضاء جمعية العروة الوثقى السياسية﴾

العقد الرابع للعروة الوثقى

(١) ينعقد بثلاثة يقسمون اليمين المعهود

(٢) مذاكرة المجتمعين عند الالتئام المعتاد تكون في أمور : التذكير بآيات الله ـ النظر في حالة الاسلام عند بدئه وما كان عليه النبي وخلفاؤه فقط ـ البحث في السبب الذي امتدت به سطوة الاسلام حتى صال على جميع الاديان وكاد يبتلعها في زمن قصير ـ كيف انقلب الحال وآل إلى مانراه ؟

(٣) يلاحظ كل باحث أن ذاته في موضوع البحث فيطلب العلة من نفسه قبل أن يطلبها في غيره، ويقارن بين حاله وحال السلف بوجه الدقة والانصاف

(٤) مدارسة أحكام الجهاد وحقوق المسلم وما هو مكلف به في معاملة غيره وما يفرض عليه اذا زحف الاعداء لخضد شوكة الاسلام

(٥) النظر في حال المسلمين لهذا الوقت أخذاً من أقوالهم وأعمالهم للوقوف على احساسهم الديني ومقدار الداعية الاعتقادية ليعلم الداء ويعالج بالدواء اللائق به .

(٦) كتب كل فكر وتدوينه مفصلا ثم مجملا مع ماتستقر عليه الآراء

(٧) العمل في الدواء بالقول (ومنه الكتابة والتأليف) وبذل المال في مساعدة من يقوم بنصر الدين وحمل السلاح للمقاتلة بين يديه عند المكنة

(٨) كل واحد من أهل العقد مكلف بالعمل واعداد أسبابه وما لا يتم إلا به، وبدعوة الناس إلى عقده والارتباط به مع الاحتراس التام من كل مايفيد أن هناك عقداً. والثقة بمريد الانضمام انما تتحقق عند اتفاق آراء أهل العقد عليها

(٩) يكون معظم الاهتمام بضم الصالحين للأمر من ذوي المكانة على اختلاف طبقاتهم من علماء وأمراء ورؤساء عشائر وغيرهم . وفريضة

كل منهم أن يعمل للاسلام فيما خوله الله

(١٠) في كل حالة يراعى تمكين الفكر وتأسيس الارتباط حتى يكون عند كل واحد ان مصلحة الكل بمنزلة مصلحة الشخص أو أعلى ، ولا يقبل قول من قائل حتى يكون عمله أزيد من قوله أو مساويا . العمل بذل المال والروح ، والاول أقرب الدليلين .

(١١) على أهل العقد أن يرسلوا رسلا إلى نواحي الوطن الحالين به وإلى المواطن المستعدة من غيره متى أمكنهم ذلك

(١٢) لا يكون الشخص رسولا حتى يكون سير العقد ملكة راسخة فيه ، ويكون على قدرة كاملة في تصريف القول ، وتوفيق النصح مع طباع المنصوحين وحالة السلطة العارضة عليهم ، فيكون حكيما في عمله لا يحتاج لوصية من غيره ، ولا لقيم يلاحظ عمله

(١٣) يسمح للعقد أن يبعث رسلا من الخارجين عنه على انهم وعاظ يعلمون المعروف من الدين ويؤيدون مناطيق القرآن ، وعلى العقد أن يرسم لهم طريق النصيحة بدون أن يعرفوا أن هناك عقداً .

(١٤) على لرسول إن كان من أهل العقد أن يكاشف عقده بما يحس به من انفعالات الناس ، وما يأخذ قوله من قلوب السامعين لدعوته ، وما أثر تعليم الوعاظ المبعوثين من طرف العقد .

(١٥) من استحق باستعداده الدخول في العقد فعليه أن يقدم رسما مالياً أقله مائة فرنك وأوسطه مائتان وأكثره ثلاثمائة ، ولا يستثنى من ذلك إلا عالم أو معتقَد عند الناس لا يستطيع اداء ، على شريطة أن يبذل العالم وسعه في تبيين الحق وبثه ، والمعتقد جهده في حمل معتقديه على العمل في مقاصد العقد ، فان استطاع هذان الصنفان تأدية النقد فهم أولى الناس بها

(١٦) يجتمع أهل العقد في كل أسبوع مرتين للمذاكرة فيما سبق بيانه في الفصل الاول وما بعده .

(١٧) يجب على كل واحد أن يؤدى في آخر كل جلسة مقداراً من النقد على حسب استطاعته قليلا أو كثيراً يدور على الحاضرين من أصغرهم سناً بصندوق صغير له فوهة ضيقة يضع فيها كل واحد ماتيسر خفية حتى لايعلم من أدى أقل ومن أدى أكثر . لا يستثنى من ذلك أحد ويسمى هذا الصندوق صندوق التبرع

(١٨) يحفظ النقد المجتمع من الرسوم الابتدائية والتبرع عند من ينتخبه العقد أميناً

(١٩) يودع في ظرف تكتب عليه هذه العبارة : هـذا مال حق التصرف فيه لعقد الاخلاص تحت رئاسة فلان (يذكر اسم الرئيس)

(٢٠) يستعمل هذا المال في النفقة على محل الاجتماع ولوازمه ، وفي سبيل نشر المشرب وارسال الرسل الداعين إلى الحق ، وفي إغاثة المقصرين مما ترجى منهم فائدة لمقصد الجمعية ، وما يفضل عن ذلك فالنظر فيه للجمعية العليا (جمعية العروة الوثقى) اما مباشرة أو على يد أحد نوابها

(٢١) يكون للعقد أربعة دفاتر (أحدها) لحصر أسماء رجاله (ثانيها) لاسماء رسله (ثالثها) لحصر النقد المجتمع (رابعها) لاحصاء النفقات

(٢٢) إذا توفر في الصندوق مبلغ من النقد وافر وأمكن تنميته على وجه شرعي مأمون الخسارة فعلى أهل العقد أن يديروا أمر نموه

(٢٣) على القائم بضبط الحساب في الايراد والصرف أن ينهج الطريقة المعهودة في مركز العقد أن يضعوا لها نظاما حسب المعروف في بلادهم

(٢٤) لايصرف شيء إلا بقرار من أهل العقد يتفق عليه جميعهم أو أكثرهم

(٢٥) اذا قضت الحوادث بعمل عاجل يقرب من مقصد الجمعية وخيف فوات الفرصة بفوات الوقت واحتيج إلى نفقة تقتضي زيادة عن الموجود وجب على أهل العقد أن يبذلوا مافي وسعهم لاتمام العمل .

(٢٦) لايباح لاحد من رجال العقد أن يذكر شيئاً من أحوالهم ومقاصدهم ومذاكراتهم عند من ليس من مقصده في شيء ، بل لايباح التصريح باسم العقد وأهله إلا لمن حصلت الثقة بحاله عند رجال العقد

(٢٧) على رجال العقد أن يحمي بعضهم بعضاً ويعين كل منهم باقيهم بقدر الاستطاعة

(٢٨) الاستطاعة لا تفسر بالاهواء حتى يعد كل وهم عجزاً وانما هي المعروفة عند المخلصين التي لا يعدمها الانسان مادام حياً قادراً على الحركة

(٢٩) اذا رأى أهل العقد أن يزيدوا شيئاً فيما وصلهم من قانون الجمعية حسب حالة بلادهم فعليهم مخابرة من يتولى مواصلتهم فيما يريدون

(٣٠) القانون الداخلي للاجتماع يضعه أهل العقد

اليمين الذي يحلفه المرتبطون بالعقد

أقسم بالله العالم بالكلي والجزئي ، والجلي والخفي ، القائم على كل نفس بما كسبت ، الآخذ لكل جارحة بما اجترحت، لأحكمن كتاب الله تعالى في أعمالي وأخلاقي بلا تأويل ولا تضليل

ولأجيبن داعيه فيما دعا اليه ولا أتقاعد عن تلبيته في أمر ولا في نهي، ولأدعون لنصرته ، ولأقومن بها مادمت حيا ، لا أفضل على الفوز بها مالا ولا ولدا

أقسم بالله مالك روحي ، ومالي ، القابض على ناصيتي ، المصرف لاحساسي ووجداني ، الناصر لمن نصره ، الخاذل لمن خذله ، لأبذلن ما في وسعي لاحياء الأخوة الاسلامية ، ولأنزلنها منزلة الأبوة والبنوة الصحيحتين، ، ولأعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة العروة الوثقى وانتظم في عقد من عقودها ، ولأراعينها في غيرهم من المسلمين ،إلا أن يصدر عن أحد مايضر بشوكة الاسلام ، فاني أبذل جهدي في إبطال عمله المضر بالدين ، وآخذ على نفسي في أثره مثل ما آخذ عليها في المدافعة عن شخصي

أقسم بهيبة الله وجبروته الأعلى أن لا أقدم إلا ماقدمه الدين ، ولا أؤخر إلا ما أخره الدين ، ولا أسعى قدماً واحدة أتوهم فيها ضرراً يعود على الدين جزئياً كان أو كليا ، وأن لا أخالف أهل العقد الذين ارتبطت معهم بهذا اليمين في شيء يتفق رأي أكثرهم عليه ، وعليّ عهد الله وميثاقه أن أطلب الوسائل لتقوية الاسلام والمسلمين عقلا وقدرة بكل وجه أعرفه ، وما جهلته أطلب علمه

من العارفين ، لا أدع وسيلة حتى أحيط بها بقدر ما يسعه امكاني الوجودي . وأسأل الله نجاح العمل ، وتقريب الامل ، وتأييد القائم بأمره ، والناشر لواء دينه ، آمين.

الذائب محمد عبده

[المؤلف] من تأمل هذه الاصول وهذه اليمين حق التأمل تجلى له ان كاتبها الداعي اليها ، المجاهد في سبيل غايتها ، من أقوى المؤمنين بالله وبما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين ايمانا ، وأشدهم في ايمانهم ايقانا ، وأرسخهم في يقينه وجدانا ، وأعلمهم بمقاصد هذا الدين وتاريخه وإصلاحه لامور البشر ، وأعظمهم غيرة عليه وجهاداً في سبيل الله لاعادة مجده ، وتجديد ملكه ، وإحياء شرعه ، وانقاذ أهله من الذل . . .

ومن قرأ مكتوباته قدس الله روحه لبعض العلماء والكبراء من المنتظمين في سلك العقد في الفصل الاول من الباب الخامس من منشآته ، المصدر أكثرها بكلمة شعاره « لا إله إلا وحده لا شريك له وبه الحول والقوة » رأى فيها شرحا جليا لهذه الاصول الجليلة — وعلم من هذا وذاك أن خدمة الجم الغفير من كبار علماء الازهر وغيرهم من المصنفين في العلوم الاسلامية المختلفة منذ عدة قرون للاسلام لتصغر وتتضاءل في جانب خدمة هذا الرجل وأستاذه فان علومهم ومصنفاتهم كانت في العهد الذي تهدم فيه ملك الاسلام وضعفت هدايته ولم يكن لها أقل تأثير في العلم والعمل ، لأنها كلها مباحث لفظية ، ومناقشات في عبارات بعض كتب المقلدين ، وليس لأحد منهم فيها كلمة تدل على الشعور بذلك ، فضلا عن الدعوة إلى تداركه ، والجهاد في سبيله .

ولو شئنا شرح هذه الاصول وما أدمج فيها من الحكم والعبر لزدنا القاريء إعجابا بأمر هذين الحكيمين وجهادهما ، ولا تظن أن بين ما في الاصل الثاني من التذكير بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه فقط ، وما في الاصل الثالث من الاعتبار بسيرة السلف ، وما في الاصل الرابع من الاشارة إلى أحكام الفقه — لا تظن أن بين ما ذكر شيئاً من التعارض فان لكل نوع منها غرضاً خاصاً ، فالاول الاعتبار بنشأة الاسلام وتأسيسه ، وما بعده ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، اه من الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام

فليعتبر قراء المنار بهذا الجهاد ، ونسأله تعالى أن يهدينا سبيل الرشاد

منشيء المنار ومحرره — محمد رشيد رضا

تفسير القرآن الحكيم

(٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٥) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ: هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ

هاتان الآيتان متصلتان بسياق الكلام في أهل الكتاب متممتان له ومقررتان لموعظة عامة تقتضيها المناسبة. ذلك بانه تقدم في هذا السياق ان اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وانهم ما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً فعبدوا غيره من دونه، وانهم يريدون أن يطفئوا نور الله الذي أفاضه على عباده برسالة محمد ﷺ وان الله لا يريد إطفاءه بل يريد إتمامه وقد فعل – فناسب أن يبين مع هذا شيئاً من سيرة جمهور هؤلاء الرؤساء الدينيين العملية، ليعرف المسلمون حقيقة حالهم والاسباب التي تحملهم على محاولة إطفاء نور الله تعالى، وان أكثرهم يعبدون أهواءهم وشهواتهم، وذلك قوله عز وجل:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ استعمل أكل الاموال بمعنى أخذها والتصرف فيها بوجوه الانتفاع، التي يعد ما يبتاع بها للاكل أعم أنواع الاستعمال والتصرفات، وقد تقدم مثل هذا التعبير في قوله تعالى (٢ : ١٨٨ ولا تأكلوا أموالكم بينكم

بالباطل) (١) وقوله تعالى (٤: ٢٨ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) (٢) وإسناد هذه الجريمة المزرية الى الكثيرين منهم دون جميعهم من دقائق تحري الحق في عبارات الكتاب العزيز ، فهو لا يحكم على الامة الكبيرة بفساد جميع أفرادها أو فسقهم او ظلمهم، بل يسند ذلك إلى الكثير او الا كثر أو يطلق اللفظ العام ثم يستثنى منه . فمن الاول قوله تعالى في اليهود (٥ : ٦٥ وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ٦٦ لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) ومن الثاني قوله تعالى قبل هاتين الآيتين فيهم (٥ : ٦٢ قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون) ومن الثالث قوله في المحرفين للكلم الطاعنين في الاسلام منهم (٤ : ٤٦ ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) وقد نبهنا في تفسير هذه الآيات وأمثالها على هذا العدل الدقيق في أحكام القرآن على البشر ، وانما نكرره لعظيم شأنه، وذكرنا منه هنا بعض ما نزل في أهل الكتاب، من قبيل تفسير القرآن بالقرآن

والمعنى العام لأكل أموال الناس بالباطل هو أخذها بغير وجه شرعي من الوجوه التي يبذل الناس فيها هذه الاموال بحق يرضاه الله عز وجل وهو انواع

(منها) مايبذله كثير من الناس لمن يعتقدون انه عابد قانت لله زاهد في الدنيا ليدعو لهم ويشفع لهم عند الله في قضاء حاجاتهم وشفاء مرضاهم لاعتقادهم أن الله يستجيب دعاءه ولا يرد شفاعته - أو لظنهم ان الله تعالى أعطاه سلطانا وتصرفا في الكون فهو يقضي الحاجات من دفع الضر عمن شاء وجلب الخير لمن شاء متى شاء ، كما هو المعهود من الوثنيين في الاصل ، وممن طرأت عليهم العقائد الوثنية من أتباع الانبياء عليهم السلام، وتأولها لهم الرؤساء الدينيون المضلون بأنها لا تنافي التوحيد الذي جاء به الرسل لان قضاء الحاجات من غير طريق الاسباب من الكرامات التي يخص الله بها أمثالهم ، وقد بينا فساد هذه النزعات الشركية في مواضع كثيرة من هذا التفسير ومنه أن غير اتباع الرسل من المشركين يقولون بمثل هذه الاقوال

(١) راجع ص ١٨٩ ج ٢ تفسير (٢) ص ٣٩ ج ٥ منه ففيها فوائد مهمة

(ومنها) ما يأخذه سدنة قبور الانبياء والصالحين والمعابد التي بنيت باسمائهم من الهدايا والنذور التي يحملها إلى تلك المواضع أمثال من ذكرنا ممن لا يعقلون معنى التوحيد المجرد ، والنصارى يبنون الكنائس والاديار باسماء القديسين والقديسات ؛ فتحبس عليها الاراضي والعقارات، وتقدم لها النذور والهدايا تقربا إلى تلك الاسماء أو المسميات ، وهذا وما قبله مما اتبع المسلمون فيه سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، مصداقا للحديث النبوي الصحيح . والوقف على الدير او الكنيسة عندهم كالوقف على المسجد عندنا قربة حقيقية ، فأخذ المال واعطاؤه في بناء المعابد حق في أصل كل دين سماوي، وإنما البدع الوثنية في المعابد هي المتعلقة بعبادة من ينسب اليه المعبد ويوضع له فيه قبر أو صورة او تمثال فيدعى فيه مع الله تارة ومن دونه تارة، وينذر له وحده آونة ومع الله آونة ، فهذه بدع تتبرأ منها أديان الانبياء الموحاة اليهم من الله عز وجل ، والنفقة فيها كلها من الباطل، وآكلوها من رؤساء الدين وسدنة المعابد من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

(ومنها) ما هو خاص بالنصارى بل ببعض فرقهم كالارثوذكس والكاثوليك وهو ما يأخذونه جعلا على مغفرة الذنوب او ثمنا لها . ويتوسلون اليها بما يسمونه سر الاعتراف . وهو أن يأتي الرجل او المرأة القسيس او الراهب المأذون له من الرئيس الاكبر بسماع أسرار الاعتراف ومغفرة الذنوب فيخلو به او بها ، فيقص عليه الخاطيء ما عمل من الفواحش والمنكرات بانواعها لاجل أن يغفرها له، لان من عقائد الكنيسة أن ما يغفره هؤلاء يغفره الله تعالى . وقد كان لبيع البابوات للغفران نظام متبع في القرون الوسطى للنصرانية (أعني الوسطى في الزمن لا في الاعتدال) وكان الثمن يتفاوت بقدر ثروة المشترين من الملوك والامراء والنبلاء وكبار الاغنياء فمن دونهم ، وكانوا يعطون بالمغفرة صكوكا يحملونها ليلقوا الله تعالى بها . وكان هذا الخطب الكبير من غلو الكاثوليك في استغلال سلطتهم الدينية أعظم أسباب الخروج عليهم والانقلاب الكبير الذي يسمونه الاصلاح (البروتستانت) إذ ترتب عليه فساد كبير في استباحة الفواحش وكبائر المعاصي. والاعتراف في الاصل لم يوضع له ثمن ولكن سوء استعمال بعض رجال الدين له

اغرائهم بجعله وسيلة لسلب المال وهو شر منه وفي القوانين السرية لبعض الرهبنات الكاثوليكية مواد صريحة في ذلك

(ومنها) مايؤخذ على فتاوى تحليل الحرام وتحريم الحلال فأولو المطامع والاهواء يفتون الملوك والامراء وكبار الاغنياء بما يساعدهم على ارضاء شهواتهم، والانتقام من أعدائهم،اوظلم رعاياهم ومعامليهم، بضروب من الحيل والتأويل يصورون به النوازل بغير صورها ، ويلبسون به المسائل أثوابا من الزور تلتبس بحقيقتها ، وفي المادة الثانية من الفصل الثاني من التعاليم السرية للرهبنة المشار اليها آنفاً وجوب التساهل مع الملوك وعشائرهم في الزواج غير الشرعي وغفران أمثال هذه الخطيئة وغيرها لهم واستخراج براءة من البابا لهم بالمغفرة. بل في تلك المادة نص في وجوب التساهل في الاعتراف والمغفرة حتى لخدم الملوك والامراء

ومن هذا النوع ماخاطب الله تعالى بها أحبار اليهود خطاب الاحتجاج والتوبيخ بقوله تعالى (٦ : ٩١ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم)

(ومنها) مايتيسر لهم سلبه من أموال المخالفين لهم في جنسهم أو دينهم من خيانة وسرقة وغيرها كما قال تعالى (٣ : ٧٥ ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك إلا مادمت عليه قائماً، ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنون أن الله حرم عليهم أكل أموال اخوانهم الاسرائيليين بالباطل بانواعه دون الاميين وهم العرب وكذا سائر الطوائف وقد سبق تفسيره من سورة آل عمران (١) وفي هؤلاء يقول البوصيري في سردما خالف اليهود فيه الحق وادعوا أنه مشروع لهم:

وبان أموال الطوائف حلت لهم ربا وخيانة وغلولا

(ومنها) الرشوة وهو مايأخذه صاحب السلطة الدينية او المدنية رسمية أو غير رسمية من المال وغيره لاجل الحكم أو المساعدة على ابطال حق أو إحقاق باطل وهو في معنى الأخذ على الفتوى وهما مما اتبع فيه بعض فقهاء المسلمين وحكامهم سنن أهل الكتاب أيضاً

(١) راجع ص ٣٣٨ ج ٣ تفسير ـ ففيه فوائد في استحلال اليهود أموال الناس

(ومنها) الربا حتى الفاحش منه وهو فاش عند اليهود والنصارى ولكن منه ما يحله لهم رجال الدين ومنه ما يحرمونه في الفتوى وكتب الشرع ، واليهود اساتذة المرابين في العالم كله وأحبارهم يفتونهم بأكل الربا من غير اخوتهم الاسرائيليين ويأكلونه معهم مستحلين له بنص في توراتهم المحرفة بدلا من نهيهم عنه . وقد تكرر في التوراة النهي عن أخذ الربا والمرابحة وإقراض النقد والطعام بالربا مطلقا ، وذكر الاخ في نصوص النهي سببه انه نص في المعاملة مع الخاضعين لشريعتهم وهم لا يكونون إلا منهم لانها خاصة بهم . وفي سفر تثنية الاشتراع (٢٣ : ١٩ لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا ٢٠ للاجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد اليه يدك في الارض التي أنت داخل اليها لتمتلكها) فالمراد بالاجنبي هنا العدو الحربي الذي كانوا مأذونين في شريعتهم في قتاله لامتلاك بلاده ، وهذا قد مضى ولا يصدق على كل من كان غير اسرائيلي في أي بلد من بلاد الله تعالى خلافا لما يجرون عليه إلى اليوم ، والظاهر أنهم يعدون عرب فلسطين المالكين لمعظم أرضها أعداء حربيين كالذين كانوا فيها عند مقاتلة يوشع لهم، ويستحلون سلب أموالهم وسفك دمائهم ان استطاعوا ، لأنهم يزعمون أن أنبياءهم وعدوهم بان هذه البلاد كلها وما فيها من موضع هيكل سليمان ستعود اليهم كما وعد الرب أجدادهم من قبل بجعلها لهم ، ولكن وعد أنبيائهم مقيد باتيان المسيح وقد أتى وكذبه أكثرهم، فان كانوا ينتظرون غيره فليصبروا إلى أن يأتي ويصدق بشارات الانبياء ، وأما التعدي على اهل البلاد ومحاولة سلب ارضهم وعقارهم منهم بتسخير بعض الدول التي تعبد المال بمالهم لمساعدتهم على هذا الظلم فليس له شبهة في تلك البشارات . ولكن عند المسلمين بشارة أصح وأصرح من بشاراتهم وهو اخباره ﷺ لهم بان اليهود يقاتلونهم فيظهرهم الله تعالى عليهم ، (فانتظروا إنا منتظرون)

على أن اليهود لم يقفوا في الربا عند حد فقد صاروا يأكلون الربا من اخوتهم الفقراء وهم منهيون في التوراة عنه بلفظ «شعبي الفقير» كما يرى في سفر الخروج (٢٢:٢٥) وقد وبخهم على ذلك نحميا الذي كان صاحب السعي الاول لاطلاقهم

من السبي ، والمعيد لبناء أورشليم بعد خرابها ، والحاكم فيها والمقيم للسبت وسائر الشرائع التي كتبها لهم رفيقه العزير (عزرا) كما تقدم في تفسير (وقالت اليهود عزير ابن الله) من أول هذا السياق فراجع الفصل الخامس من سفر نحميا . وفي نبوة حزقيال نهي لهم عن الربا تارة بالاطلاق وتارة بتخصيص الفقير كما ترى في الاصحاح ١٨ منه . وكذلك داود عليه السلام أطلق القول في ذم الربا والرشوة في آخر المزمور الخامس عشر

وأما النصارى فقد وضع لهم الاساقفة أحكاما للربا والقروض فيما يسمونه اللاهوت الادبي يبيحون فيها بعض الربا دون بعض ، وهم كاليهود في المعاملات الربوية الرسمية ، وليس من موضوعنا بيان هذا بالتفصيل وانما موضوعنا ان الربا المحرم عند الله تعالى على ألسنة أنبيائه لضرره مما يأكله رهبانهم أفراداً وجماعات وأن لبعض رهبناتهم جمعيات غنية معظم ثروتها من الربا منها جمعية كانت قد أسست بأرض فرنسة مصرفا ماليا (بنكا) جمعوا فيه من الامانات ألوف الالوف ثم ادعوا افلاسه فضاعت تلك الامانات الكثيرة على مودعيها في مصرفهم ، فهاج عليهم الناس هيجة شؤمى فكانوا يهجمون عليهم في اديارهم ويقتلونهم تقتيلا ، ثم طردتهم فرنسة من بلادها . وانما تساعدهم في مستعمراتها وغيرها من بلاد الشرق لترويجهم لسياستها

وقد اطلعت على نظام في الطرق الخفية التي يجمعون بها الاموال من أهل دينهم ومذهبهم ومن أهمها حمل الاغنياء ولا سيما المثريات من النساء على الوصية لجمعيتهم أو بعض أديارهم وكنائسهم أو الوقف عليها مما لا حاجة في هذا التفسير الى تفصيله ،

وحسبنا ما ذكرناه في بيان صدق كتاب الله تعالى وهو ما حضر في الذهن وخطر في البال عند الكتابة مما علمناه من التاريخ وكله حق وان فات أكثره جميع من عرفنا كتبهم من المفسرين لانهم لا يستمدون مثل هذا إلا من الروايات والاسرائيليات ، فعلى القارىء أن يعتبر به ويعجب من وقاحة أمثال هؤلاء الرؤساء كيف لا يخجلون من بث الدعاة في البلاد الاسلامية لدعوة المسلمين إلى دينهم ، ومن أراد التفصيل في الرد عليهم فليرجع إلى كتب أحرار أوربة والكتب التي يرد بها بعضهم على بعض ، وكل هذا الفساد الذي طرأ على دين

المسيح الحق فهو من غلو اهل أوربة في الدين ، ثم في الكفر والتعطيل ، فهم غلاة مسرفون في كل شيء ، وصاحب هذا الخلق يتقن كل ما يأخذ به من خير وشر ، لانه لا يرضى منه بما دون غايته ، ومن ثم أتقنت رهبناتهم جمع المال ثم اتقنت الانتفاع به في دينها التقليدي ودنياها ، واخذت رهبنات الشرق النظام عنها ، وماذا فعل المسلمون في اوقافهم وخدمة دينهم ؟ ؟

وأما صدهم عن سبيل الله فهو منعهم الناس عن الاسلام فان سبيل الله في الدين هي طريق معرفته الصحيحة وعبادته القويمة التي ترضيه ، ورأس معرفته التوحيد والتنزيه ، وهم مشركون غير موحدين ، ومشبهون غير منزهين ، كما علم من الآيات السابقة من هذا السياق وغيره مما مر في السور الطول الاولى : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، وأما عبادته القويمة فهي أن يعبد وحده بما شرعه هو دون البشر ، وليسوا كذلك فاليهود قد تركوا جل ماشرعه لهم حتى القرابين والتقدمات ، إذ يزعمون ان شرطها أن تفعل في هيكل سليمان ، مع ان الله شرع الشرائع على لسان موسى قبل سليمان عليهما السلام ، ثم كفروا بالمسيح المصلح الاكبر في شريعتهم ، والنصارى يعبدون المسيح وأمه والقديسين ، وجل عباداتهم من صلاة وصيام مبتدعة لم تكن في عهد المسيح . فمعرفة الله تعالى وعبادته على الوجه الحق المرضي له تعالى محصورة في الاسلام الذي حفظ الله كتابه المنزل ، وما بينه من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكل ما ابتدعه جهلة المسلمين والكائدون له من غيرهم فالقرآن الحكيم والسنة الصحيحة حجة على بطلانه وعلى أهله يقيمها أنصار السنة عليهم في كل زمان — فسبيل الله إذاً هذا الاسلام اسلام القرآن والسنة الصحيحة

وأما طرق صدهم عن الاسلام فهي تختلف باختلاف الزمان والمكان والامكان ، وقد انفرد النصارى بالعناية بهذا الصد من طريقي السياسة والدعوة معاً كما بيناه في تفسير (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) من هذا السياق بالاجمال ، وفصلنا القول فيه في مواضع أخرى من التفسير والمنار ، وكل ذلك داخل في معنى الآية لان الخبر فيها بصيغة المضارع الذي يدل على الحال والاستقبال ، وهي من كلام علام الغيوب وهم لا يقنعون بصد أهل مللهم عن الاسلام بل يصدون أهله عنه ويدعونهم إلى

دينهم الملفق من الاديان الوثنية القديمة كما تقدم ، وقسمت أممهم ودولهم البلاد الاسلامية إلى مناطق نفوذ دينية تبشيرية ، تابعة لمناطق النفوذ السياسية الدولية ، وقد اشتدت ضراوتهم بعد الحرب العامة بسلب البلاد الاسلامية مابقي من استقلالها ، وتعميم النصرانية في جميع أهلها ، حتى جزيرة العرب مهد الاسلام ومعقله ومأرزه ، وعقدوا للتنصير عدة مؤتمرات دولية ، وألفوا للتمهيد له كتبا كثيرة ، وقد سخروا بعض أمراء المسلمين المستعبدين وشيوخ الطريق والفقه المنافقين اشد أزرهم ، فماذا تنكر بعد هذا من تسخير زنادقتهم وملاحدتهم . وماذا يفيد المسلم من قراءة مثل هذه الآية ومن تفسير علماء الالفاظ والروايات لها إذا لم يعرف مضمونها التفصيلي العملي في عصره ، ويسعى لتدارك خطبه ؟ وانما فصلنا القول فيها لتفنيد تلك الدعاية ونقض تلك المصنفات بالاجمال وارشاد المسلمين الى ما يستمدون منه التفصيل .

هذا وان أشد طرقهم في الصد عن الاسلام فظاعة وقبحاً واهانة لهو الطعن في النبي الأعظم والقرآن ، وأشر منه وأضر تعليم المدارس التي يفسدون عقائد النشء الذي يتربى ويتعلم فيها ، ولكن أكثر مسلمي الأمصار لا يعقلون كنه مفاسدها ، وسوء عاقبتها في الدين والادب وسياسة الامة واستقلالها .

ثم قال عز وجل ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ مقتضى السياق أن تكون هذه الجملة في الكثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وهو مروي عن معاوية وسيأتي نصه ، وعن الضحاك ، وعنه انها عامة وخاصة ، ووجهه أن الكلام فيهم فهم الذين جمعوا بين أكل أموال الناس بالباطل وبين كنزها وجمعها والامتناع من انفاقها في سبيل الله ، بل ينفقون كثيرا منها في صدهم الناس عن سبيل الله . ويجوز أن تكون كما قال السدي في المؤمنين المخاطبين بالآية المبينة لحال أولئك الاحبار والرهبان الذين صار جمع الاموال والافتتان بكثرتها وخزنها في الصناديق واستغلالها في المصارف (البنوك) وأعظم همهم في الحياة – لانهم فقدوا لذة الحياة الروحية بمعرفة الله تعالى وخشيته ومحبته وعبادته – تحذيراً للمؤمنين من الاخلاد إلى هذه السفالة . وسيأتي عن ابي ذر (رض) أنها فينا وفي أهل الكتاب جميعا وهو المختار عندنا

فان اللفظ مطلق فيجب جريانه على اطلاقه وعمومه وأولئك الاحبار والرهبان يدخلون فيه أولا وبالذات بدلالة السياق، لأنهم هبطوا في المطامع المادية إلى أسفل الدركات

والكنز في اللغة جمع الشيء ورصه بعضه على بعض ومنه كنيز اللحم ومكتنزه أي صلبه وشديده وكنزت الحب في الجراب فاكتنز فيه، وكنزت الجراب إذا ملأته جداً قاله في الاساس، وقال الراغب: الكنز جعل المال بعضه على بعض وحفظه واصله من كنزت التمر في الوعاء الخ

والمراد بالكنز هنا خزن الدنانير والدراهم في الصناديق اودفنها في التراب وامساكها بالامتناع عن انفاقها فيما شرعه لله من البر والخير، وسيأتي بيان مصارفها الشرعية في آية (٩ : ٦٠ انما الصدقات) من هذه السورة. وانث الضمير في ينفقونها وما قبله مثنى لان المراد بالذهب الدنانير وبالفضة لدراهم المضروبة من كل منهما الاجناس الذهب والفضة ومعدنهما الذي يصدق بالحلي المباح وغيره، فان الدراهم والدنانير هي العمدة للانفاق، والوسيلة المنفعة والارتفاق، ولا فائدة فيها إلا في انفاقها . فكنزها ابطال لمنافعها، فهو من سخف العقل، وعصيان الشرع، وكل مثنى له أفراد لكل من نوعيه يجوز ارجاع الضمير بعده إلى جملة الافراد من نوعيه كقوله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وقيل ان المراد بضمير ينفقونها الاموال التي ذكر انهم يأكلونها بالباطل ويترجح هذا على قول من يخص الكلام بهم والمختار خلافه

وظاهر قوله (ولا ينفقونها) أن الواجب انفاقها كلها، وأن الوعيد موجه إلى من يبقي عنده شيئاً يزيد على حاجته منها، وهذا لا يصح في قواعد الشرع الاسلامي فان الله وصف المؤمنين في كتابه بقوله (ومما رزقناهم ينفقون * والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم) وقال (أنفقوا من طيبات ما كسبتم * وأنفقوا مما رزقناكم) وانما قال بعض العلماء انه يجب التصدق بجميع ما أحرزه الانسان من المال الحرام إذا تعذر رده الى أصحابه، دون انفاق جميع ما يملك من الحل، ولو كانت الآية فيمن ذكر من اهل الكتاب كما قال معاوية لكان الامر ظاهراً، وأما على القولين الآخرين فلا بد من الجمع بينها وبين الآيات المعارضة لها، وفي الروايات المأثورة ما يدل على أن الصحابة (رض) عنهم فهموا من الآية وجوب انفاق جميع ما يملك

الانسان من نقد الذهب والفضة وان جمهورهم رجعوا عن هذا وبقي عليه ابو ذر (رض)

اخرج ابن أبي شيبة في مسنده وابو داود وابو يعلى وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس (رض) قل لما نزلت هذه الآية (والذين يكنزون الذهب والفضة) كبر ذلك على المسلمين وقالوا مايستطيع أحد منا لولده مالا يبقى بعده ، فقال عمر: أنا افرج عنكم ، فانطلق واتبعه ثوبان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال « ان الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها مابقى من أموالكم ، وانما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم » فكبر عمر (رض) ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم « ألا أخبرك بخير مايكنز ؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر اليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته » وحديث المرأة الصالحة مروي عنه من طرق أخرى

وأخرج احمد في الزهد والبخارى وابن ماجه وابن مردويه عن ابن عمر (رض) قال انما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهراً للاموال ثم قال ماأبالي لو كان عندي مثل أحد ذهباً أعلم عدده أزكيه وأعمل فيه بطاعة الله . والمراد أن هذا الحكم وهو وجوب انفاق كل مايملك المؤمن من النقدين كان في أول الاسلام وقبل فرض الزكاة ، وليس معناه ان آية براءة هذه نزلت قبل إيجاب الزكاة لما عليه الجمهور من أن الزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة ، وبراءة نزلت سنة تسع كما تقدم وهي السنة التي عين فيها العمال لجمع الزكاة .

وأخرج مالك والشافعي وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عمر أيضاً قال : ما أدي زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ، ومالم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً . وأخرج ابن مردويه عنه مرفوعا مثله . قال البيهقي والمحفوظ الموقوف . واخرج ابن عدي والخطيب عن جابر (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي مال أديت زكاته فليس بكنز » وأخرجه ابن أبي شيبة عنه موقوفا وهو المحفوظ كما قال البيهقي . وأخرج غير واحد عن ابن عباس مثل قول ابن عمر وعن عمر أيضاً . فجملة هذه الاخبار والآثار تدل على ان الكنز المتوعد عليه في هذه الآية هو مالم تؤد زكاته كما نقله الحافظ عن ابن عبد البر عن الجمهور قال ويشهد

له حديث أبي هريرة مرفوعا « اذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك » اقول وكذا النفقات الواجبة التي لا تجب الزكاة الا فيما زاد من المال عليها

وقال الحافظ في شرح حديث ابن عمر المتقدم من الفتح عند قوله قبل أن تنزل الزكاة : هذا مشعر بان الوعيد على الاكتناز وهو حبس مافضل عن الحاجة عن المواساة به فعلى هذا المراد بنزول الزكاة بيان نصابها ومقاديرها لا إنزال أصلها والله أعلم . وقول ابن عمر : لاأبالي لو كان لي مثل أحد ذهبا - كأنه يشير إلى قول أبي ذر الآتي آخر الباب ، والجمع بين كلام ابن عمر وحديث أبي ذر أن يحمل حديث أبي ذر على مال تحت يد الشخص لغيره فلا يجب أن يحبسه عنه أو يكون له لكنه ممن يرجى فضله وتطلب عائدته كالامام الاعظم فلا يجب أن يدخر عن المحتاجين من رعيته شيئا - ويحمل حديث ابن عمر على مال يملكه قد أدى زكاته فهو يحب أن يكون عنده ليصل به قرابته ويستغني عن مسألة الناس وكان ابو ذر يحمل الحديث على اطلاقه فلا يرى بادخار شيء أصلا

(قال) قال ابن عبد البر وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله ، وان آية الوعيد نزلت في ذلك . وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة . وأصح ماتمسكوا به حديث طلحة وغيره في قصة الاعرابي حيث قال : هل علي غيرها (يعني الزكاة) قال ﷺ « إلا أن تطوع » اه والظاهر ان هذا كان في أول الامر كما تقدم عن ابن عمر . وقد استدل ابن بطال له بقوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) اي مافضل عن الكفاية فكان ذلك واجبا في أول الامر ثم نسخ والله أعلم اه

أقول وأما ابو ذر فأخبار مذهبه مشهورة منها مارواه البخاري وغيره من حديث زيد بن وهب قال مررت بالربذة (وهي بالفتح مكان بين مكة والمدينة) فاذا أنا بابي ذر رضي الله عنه فقلت ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب ، فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك

وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني فكتب إلي عثمان أن اقدم المدينة ، فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان فقال إن شئت تنحيت فكنت قريباً ، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت. اه

ذكر الحافظ في شرح هذا الحديث من الفتح أن زيد بن وهب انما سأل أبا ذر عن نزوله في ذلك المكان لان مبغضي عثمان كانوا يشنعون عليه بأنه نفى أبا ذر وقد بين ابو ذر أن نزوله فيه كان باختياره (قال) نعم أمره عثمان بالتنحي عن المدينة لدفع المفسدة التي خافها على غيره من مذهبه المذكور فاختار الربذة وقد كان يغدو اليها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه أصحاب السنن من وجه آخر (قال) وفي طبقات ابن سعد من وجه آخر أن ناسا من أهل الكوفة قالوا لأبي ذر وهو بالربذة ان هذا الرجل فعل بك وفعل فهل أنت ناصب لنا راية — يعني فنقاتله — فقال لا ، لو ان عثمان سيرني من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت .

وذكر عن أبي يعلى باسناد فيه ضعف عن ابن عباس قال : استأذن ابو ذر على عثمان فقال انه يؤذينا — فلما دخل قال له عثمان : أنت الذي تزعم أنك خير من أبي بكر وعمر ؟ قال لا ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أحبكم إلي وأقربكم مني من بقي على العهد الذي عاهدته عليه » وأنا باق على عهده . قال فأمره أن يلحق بالشام ، وكان يحدثهم ويقول لايبيتن عند أحدكم دينار ولا درهم إلا ماينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم ، فكتب معاوية الى عثمان إن كان لك بالشام حاجة فابعث إلى أبي ذر ، فكتب اليه عثمان ان اقدم علي ، فقدم اه

وأقول ان في قصة أبي ذر (رض) عبرة بما كان من دسائس الشيعة في الخروج على عثمان (رض) وفيه حجة على ان حرية العلم والرأي واحترام العلماء كانتا على عهد الصحابة (رض) في أعلى درجات الكمال ، وقال الحافظ في فوائد حديث أبي ذر من الفتح وفيه ملاطفة الائمة للعلماء فان معاوية لم يجسر على الانكار عليه حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره ، وعثمان لم يحنق على أبي ذر مع كونه كان مخالفا له في

تأويله (وفيه) التحذير من الشقاق والخروج على الائمة والترغيب في الطاعة لأولي الامر - وأمر الافضل بطاعة المفضول خشية المفسدة - وجواز الاختلاف في الاجتهاد — والاخذ بالشدة في الامر بالمعروف وإن أدى ذلك الى فراق الوطن — وتقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة لان في بقاء أبى ذر بالمدينة مصلحة كبيرة من بث علمه في طالب العلم، ومع ذلك رجح عند عثمان دفع مايتوهم من المفسدة من الاخذ بمذهبه الشديد في هذه المسألة، ولم يأمره بالرجوع عنه، لان كلا منهما كان مجتهداً اه

ومن اخباره ماروله البخاري ومسلم عن الاحنف بن قيس قال جلست الى ملأ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال بشر الكانزين برضف يحمى عليهم في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل. ثم ولى فتبعته وجلست اليه وأنا لاأدري من هو، فقلت لأرى القوم الا قد كرهوا الذي قلت، قل انهم لايعقلون شيئا قال لي خليلي — قال قلت ومن خليلك؟ قال النبي ﷺ «يأبا ذر أتبصر احداً؟ قال فنظرت إلى الشمس مابقي من النهار وأنا أرى ان رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت نعم، قال « ماأحب ان لي مثل أحد ذهبا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير »(١) وان هؤلاء لايعقلون انما يجمعون الدنيا، ولا والله ماأسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله عز وجل اه

اقول ان هذا الحديث لايدل على وجوب انفاق كل مازاد على الحاجة وانما هو في الزهد في المال وانما الزهد من صفات النفس وتفضيل انفاقه في وجوه البر على امساك

---

(١) هكذا أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الزكاة وفيه إختصار واستثناء ثلاثة دنانير وقد أورده تاما في كتاب الرقاق بلفظ «مايسرني أن عندي مثل احد هذا ذهبا تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار الا شيئا أرصده لدين - الا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا - عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم مشي ثم قال ان الاكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا ... وقليل ماهم» وله تتمة في معنى آخر، ومعنى قال به هكذا وهكذا الخ انفقه في كل ناحية من نواحي البر

مافضل عن الحاجة وهو عزيمة الخواص ، لا المشروع لكل الناس، فان نصوص الكتاب والسنة تنافي انفاق كل ما يملك المرء كما تقدم، وتأمر بالقصد والاعتدال ، فمن الآيات قوله تعالى (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا و كان بين ذلك قواما * ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً) ومن الاحاديث الصحيحة المشهورة حديث نهيه ﷺ لسعد بن ابي وقاص (رض) عن التصدق بجميع ماله واجازته بالثلث مع قوله « والثلث كثير »

وقد أخرج احمد والطبراني عن شداد بن اوس قال كان ابو ذر (رض) يسمع من رسول الله ﷺ الامر فيه الشدة ثم يخرج إلى باديته ثم يرخص فيه رسول الله ﷺ بعد ذلك فيحفظ من رسول الله ﷺ في ذلك الامر الرخصة فلا يسمعها ابو ذر ، فيأخذ ابو ذر بالامر الاول الذي سمع قبل ذلك اهـ والسبب الحقيقي لتشدده استعداده الفطري للأخذ بالعزائم واحتمال الشدائد ، واحتقار التنعم والسعة في الدنيا، وقد عرف هذا التشدد عن جماعة من الصحابة (رض) وقد اختبره معاوية فأرسل اليه مالا كثيراً فلم يلبث ان تصدق به ، وأرسل اليه صهيب ابن سلمة وهو أمير بالشام ثلاثمائة دينار وقال استعن بها على حاجتك فردها وقال لرسوله ارجع بها اليه ، أما وجد أحداً أغر بالله منا ؟ مالنا إلا الظل نتوارى به ، وثلاثة من غنم تروح علينا ، ومولاة لنا تصدق علينا بخدمتها ، ثم اني لأ نا أتخوف الفضل . قوله تصدق علينا اصله تتصدق فحذفت احدى التائين للتخفيف وقد أطلت في هذه المسألة لما فيها من العبرة في هذا المقام ، والفصل بين اعتدال الشريعة وغلو بعض الزهاد . والتذكير بانه قد قل في المسلمين الزهاد والمقتصدون، وكثر فيهم البخلاء والمسرفون ، الذين يفسدون في الارض بمالهم ولا يصلحون

﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ الظرف هنا يتعلق بقوله تعالى قبله « بعذاب أليم » وقد بينا من قبل ان الاصل في البشارة الخبر المؤثر يظهر تأثيره في بشرة الوجه بالسرور أو الكآبة ولكن غلب في الاول ولذلك يحمل في مثل هذا المقام على التهكم والمراد به الانذار، اي أخبرهم بعذاب أليم يصيبهم في ذلك اليوم الذي يحمى فيه على تلك الاموال المكنوزة في نار جهنم اي دار العذاب بان توضع وتضرم عليها

النار الحامية حتى تصير مثلها – فهو كقوله تعالى (ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع) وهو أبلغ من « يوم يحمى » – فتكون من الاحماء عليها كالميسم. وظاهر العبارة انه يحمى عليها بأعيانها والله قادر على اعادتها وان كان المعنى المراد من الانذار يحصل بالاحماء عليها وعلى مثلها ، وليس في أعيانها من المعنى ولا الحكمة ما في إعادة الاجساد، وأمور الآخرة من عالم الغيب فلا ندرك كنهها وصفاتها من الالفاظ المعبرة عنها، فمذهب السلف الحق الايمان بالنصوص مع تفويض أمر الكنه والصفة إلى عالم الغيب سبحانه ، والواجب علينا مع الايمان بالنص العبرة المرادة منه في اصلاح النفس،

ويرد عليه ان هذه الاموال تفنى بخراب الدنيا وصيرورة الارض بقيام الساعة هباء منبثا ، ويجاب عنه بما أجيب عن القول بإعادة الاجساد بأعيانها من قدرة الله تعالى على ذلك . وأهون منه إيراد كون الدراهم او الدينار الواحد قد يكنزه كثير من الناس بالتداول الذي يقابله ان جسد الانسان الواحد قد يكون جسداً لكثير من الناس والحيتان والوحوش والانعام، وتقدم تفصيل ذلك في الكلام على بعث الاجساد من سورة الاعراف(١)

وفي بعض الآثار ان الدنانير والدراهم المكنوزة تحمى كلها وان كثرت ويتسع جسده لها كلها حتى لا يوضع دينار مكان دينار ولم يصح هذا مرفوعا وانما صح عند مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا « ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره » الحديث والصفائح غير الدراهم والدنانير وهي بالرفع نائب الفاعل لجعل فيجوز ان تكون مما يخلقه الله يوم القيامة. ورواية الرفع هي المشهورة في الشراح وفي رواية بالنصب. وفي البخاري والنسائي عنه مرفوعا أيضاً « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يقول أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا صلى الله عليه وسلم آية (سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) وفي رواية للنسائي « إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان فيلزمه او يطوقه يقول أنا كنزك انا كنزك » فهذا نص صحيح من النبي صلى الله عليه وسلم في أن ذلك التعذيب بتحول

١) راجع ص ٤٧٠ – ٤٨١ ج ٨ تفسير

المال صفائح يكوى بها مانع الزكاة او شجاعاً (وهو ذكر الحيات) يطوقه إنما هو ضرب من التمثيل او التخييل، لانفس ذلك المال الذي كان يكنزه في الدنيا، وبه يبطل الاعتراض ويزول الاشكال، والتعذيب حقيقي على كل حال .

﴿ فتكوى بها جباههم ﴾ التي كانوا يستقبلون بها الناس منبسطة أساريرها من الاغتباط بعظمة الثروة - ويستقبلون بها الفقراء منقبضة متغضنة من العبوس والتقطيب في وجوههم لينفروا ويحجموا عن السؤال ﴿ وجنوبهم وظهورهم ﴾ التي كانوا يتقلبون بها على سرر النعمة اضطجاعا واستلقاء ، ويعرضون بها عن لقاء المساكين وطلاب الحاجات ازوراراً وادباراً ، فلا يكون لهم في جهنم ارتفاق ولا استراحة فيما سوى الوقوف إلا بالانكباب على وجوههم، كما قال (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) وكذلك قل هنا

﴿ هذا ما كنزتم لأنفسكم ﴾ اي تقول لهم ملائكة العذاب الذين يتولون كيهم: هذا العذاب الاليم الواقع بكم هو جزاء ما كنتم تكنزون في الدنيا، اوهذا الميسم الذى تكوون به هو المال الذي كنزتموه لأنفسكم لتنفرد بالتمتع به

﴿ فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ أي ذوقوا وبال دونكاله ، او وبال كنزكم له ، وامساككم إياه عن النفقة في سبيل الله . وحاصل المعنى ان ما كنتم تظنون من منفعة كنزه لأنفسكم خاصة بها لا يشاركم فيها أحد قد كان لكم خلفاء، وعليكم ضداً ، فانه صار في الدنيا لغيركم، وكان عذابه في الآخرة هو الخاص بكم، كدأب جميع اهل الباطل، فيما زين لهم من الرذائل، يرى البخلاء أن البخل حزم، كما يرى الجبناء ان الجبن حزم، وتلك خديعة الطبع اللئيم ، واجتهاد الرأي الافين ، فالاولون من خوف الفقر في فقر ، والآخرون يعرضون أنفسهم للأذى او الموت بهربهم من الموت ، فان جبنهم هو الذي يغري المعتدين بايذائهم ، ويمكن المقاتلين من الفتك بهم .

وان أكبر أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر وتمكين أعدائهم من سلب ملكهم ، ومحاولة تحويلهم عن دينهم، هو بخل أغنيائهم، وجبن ملوكهم وأمرائهم، وقوادهم وزعمائهم ، الذي جعلهم أعوانا لسالبي ملكهم على انفسهم . وقد تقدم

بيان هذا المعنى في تفسير قوله تعالى (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فلو أسس الاغنياء مدارس للجمع بين تعليم العلوم الدينية والدنيوية ، لاستغنوا بها عن مدارس دعاة النصرانية ، ولأمكن للمصلحين منهم إذا تولوا إدارتها أن يخرجوا لهم بها رجالا يحفظون للامة دينها وملكها ، ويعيدون اليها مجدها ، ويجذبون أقوام اولئك المعتدين عليها الى الاسلام فيدخلون فيه أفواجا ، ويعود الامر كما بدا .

---

(٣٦) إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ، مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ، فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ، وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٧) إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ

هاتان الآيتان عود إلى الكلام في احوال المشركين وما يشرع من معاملتهم بعد الفتح ، وسقوط عصبية الشرك ، وكان الكلام في قتال أهل الكتاب وما يجب أن ينتهي به من إعطاء الجزية من قبيل الاستطراد ، اقتضاه ما ذكر قبله من أحكام قتال المشركين ومعاملتهم . وقد ختم الكلام في أهل الكتاب ببيان حال كثير من رجال الدين الذين أفسدت عليهم دينهم المطامع المالية ، التي هي وسيلة العظمة الدنيوية ، والشهوات الحيوانية ، وإنذار من كانت هذه حالهم بالعذاب الشديد يوم القيامة ، وجعل هذا الانذار موجها الينا واليهم جميعاً . ومن ثم كان التناسب بين الكلام فيما يشترك فيه المسلمون مع أهل الكتاب من الوعيد على أكل اموال الناس بالباطل وكنز النقدين ، إلى ما يجب أن يخالفوا فيه المشركين من إبطال النسيء ومن أحكام القتال تناسباً ظاهراً قويا ، وهذلك مناسبة

دقيقة بين حساب الشهور القمرية عند العرب وحساب الشهور الشمسية عند أهل الكتاب وان لم يصرح فيه بمخالفتهم في حسابهم ، قل تعالى ﴿ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض ﴾

المراد الشهور التي تتألف منها السنة القمرية وواحدها شهر وهو اسم للهلال أو القمر من مادة الشهرة ثم سميت به الايام من أول ظهور الهلال الى سراره ، ومبلغ عدتها اثنا عشر شهراً فيما كتبه الله وأثبته من نظام سير القمر وتقديره منازل منذ خلق السموات والارض على هذا الوضع المعروف لنا من ليل ونهار إلى الآن ، والمراد بيوم خلق السموات والارض الوقت الذي خلقهما فيه باعتبار تمامه ونهايته في جملته ، وهو ستة أيام من أيام التكوين باعتبار تفصيله وخلق كل منهما وما فيهما

فالكتاب يطلق على نظام الخلق والتقدير والسنن الالهية فيه لانه ثابت كالشيء المكتوب المحفوظ الذي لا ينسى ، أو لانه تعالى كتب كل نظام في خلقه في كتاب عنده في عالم الغيب يسمى اللوح المحفوظ وقد فسر به الكتاب هنا . قل تعالى حكاية عن موسى في جوابه لفرعون على سؤاله عن القرون الخالية (قل علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) وقل (لكل أجل كتاب) وقل (كتب في قلوبهم الايمان) وقل (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) وهذا كله بمعنى النظام الالهي القدري . وتقدم بحث كتابة المقادير في تفسير سورة الانعام (١) وقيل ان المراد بكتاب الله هنا حكمه التشريعي لا نظامه التقديري ، ومنه حرمة الأشهر الحرم وكون الحج أشهراً معلومات ، ومن أحكام كتاب الله التشريعية ان كل ما يتعلق بحساب الشهور والسنين كالصيام والحج وعدة المطلقات والرضاع فالمعتبر فيه الاشهر القمرية . وحكمته العامة انها يمكن العلم بها بالرؤية البصرية للاميين والمتعلمين في البدو والحضر على سواء فلا تتوقف على وجود الرياسات الدينية ولا الدنيوية ولا تحكم الرؤساء . ومن حكمة شهر الصيام وأشهر الحج أنها تدور في جميع الفصول فتؤدى العبادة بهذا الدوران في كل أجزاء السنة فمن صام رمضان في ثلاثين سنة يكون قد صام لله في كل أجزاء

(١) راجع ص ٣٩٤ و ٤٦٩ ـ ٤٧٨ ج ٧ تفسير

السنة، ومنها ما يشق الصيام فيه وما يسهل . وكذلك تكرار الحج ، وفيه حكمة أخرى في شأن الذين يسافرون له في جميع أقطار الارض التي تختلف فصولها وأيام الحر والبرد فيها . وإطلاق الكتاب بهذا المعنى معروف ومنه قوله تعالى بعد سرد محرمات النكاح (كتاب الله عليكم) ولكن ذكر خلق السموات والارض أشد مناسبة للاول ، ويناسب الثاني قوله

﴿ منها أربعة حرم ﴾ واحدها حرام (كسحب جمع سحاب) وهو من الحرمة فان الله تعالى كتب وفرض احترام هذه الاشهر وتعظيمها وحرم القتال فيها على لسان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ونقلت العرب ذلك عنهما بالتواتر القولي والعملي ، ولكنها أخلت بالعمل اتباعاً لأهوائها كما يأتي بيانه في الكلام على النسيء في الآية التالية وهو الغاية لما في هذه الآية . وهذه الأشهر ثلاثة منها سرد وهي ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب . وحكمة تحريم القتال فيها وتعظيمها سيأتي

﴿ ذلك الدين القيم ﴾ الاشارة في قوله (ذلك) لعدة الشهور وتقسيمها إلى حرم وغيرها وعدد الحرم منها ، وقيل لما تضمنه من تحريمها . والدين القيم هو الصحيح المستقيم الذي لا عوج فيه . والمعنى ان ذلك هو الحق الذي يدان الله تعالى به دون النسيء . وفسر البغوي الدين القيم هنا بالحساب المستقيم . وقال الجمهور معناه ذلك الشرع الصحيح المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسماعيل في الحج وغيره مما يتعلق بالاشهر من الاحكام

﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ الضمير في « فيهن » للأربعة الحرم عند الجمهور ، وقيل لجميع الشهور ، وظلم النفس يشمل كل محظور ويدخل فيه هتك حرمة الشهر الحرام دخولا اولياً ، فان الله تعالى اختص بعض الازمنة وبعض الامكنة بأحكام من العبادات تستلزم ترك المحرمات فيها والمكروهات بالاولى ، لاجل تنشيط الأنفس على زيادة العناية بما يزكيها ويرفع شأنها ، فان من طبع البشر الملل والسآمة من الاستمرار على حالة واحدة تشق عليها ، فجعل الله العبادات الدائمة خفيفة لا مشقة في ادائها كالصلوات الخمس ، فان أدنى ماتصح به صلاة الفريضة لا يتجاوز

خمس دقائق للرباعية منها وهي أطولها وما زاد فهو كمل ، وخص يوم الجمعة في الاسبوع بوجوب الاجتماع العام لصلاة ركعتين وسماع خطبتين في التذكير والموعظة الحسنة التي تقوي فيهم حب الحق والخير ، وكره الباطل والشر ، والتعاون على البر والتقوى ، واقامة مصالح الملة والدولة ، وخص شهر رمضان بوجوب الصيام في كل سنة ، وأياما معدودات من شهر ذي الحجة لاداء مناسك الحج ، وجعل ما قبلها من اول ذي القعدة وما بعدها الى آخر المحرم من الايام التي يحرم فيها القتال لان السفر إلى مشاعر الحج في الحجاز والعودة منها تكون في هذه الاشهر الثلاثة ، كما حرم مكة وما حولها في جميع السنة لتأمين الحج والعمرة التي تؤدي في كل وقت ، واحترام البيت الذي أضافه إلى نفسه ، وجعل فيه من العبادة ما لا يصح في غيره . فكان الرجل يلقى قاتل أبيه فى أرض الحرم وفي غيرها من الاشهر الحرم فلا يعرض له بسوء على شدتهم في الثأر، وضراوتهم بسفك الدم ، وحرم شهر رجب في وسط السنة لتقليل شرور القتال وتخفيف اوزاره ، ولتسهيل السفر لاداء العمرة فيه . ولولا اختصاصه تعالى لما شاء من زمان ومكان بالعبادة فيه لما كان للازمنة والامكنة في نفسها مزية في ذلك ، وأهواء الناس لا تتفق على زمان ولا مكان فيوكل ذلك اليهم ، فلم يبق إلا أن يجعل الله الاختصاص أمراً تعبديا خالصاً يفعل لمجرد الامتثال والقربة كما ورد في تقبيل الحجر الاسود من قول عمر رضي الله عنه اني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لما قبلتك

﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ اي قاتلوهم جميعا كما يقاتلونكم جميعا ، بأن تكونوا في قتالهم إلبا واحدا لا يختلف فيه ولا يتخلف عنه أحد، كما هو شأنهم في قتالكم ، وذلك انهم يقاتلونكم لدينكم لا انتقاما ولا عصبية ولا للكسب كدأبهم في قتال قويهم لضعيفهم ، فانتم أولى بان تقاتلوهم لشركهم (وهم بدؤكم أول مرة) وهذا لا يقتضي فرضية القتال على كل فرد من الافراد الا في حال اعلان الامام للنفير العام. وسيأتي في هذه السورة (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وتقدم الكلام في حكم القتال في الاشهر الحرم في تفسير سورة البقرة (١)

(١ راجع ص ٣١٨ ـ ٣٢٤ ج ٢ تفسير

﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ للظلم والعدوان والفساد في الارض بالشرك والمعاصي ، ولاسباب الخذلان والفشل في القتال كالتنازع وتفرق الكلمة ومخالفة سنن الله تعالى في الاجتماع البشري ، وتقدم تفصيل القول في التقوى العامة والخاصة بالقتال في مواضعها من الآيات المناسبة لها (١) والمعية هنا معية النصر والمعونة والتوفيق لما فيه المصلحة ، والتقوى من اسباب ذلك

ومن مباحث اللفظ في الآية كلمة « كافة » لم ترد في التنزيل إلا منكرة منونة في أربعة مواضع هذه الآية وقوله تعالى في سورة البقرة (ادخلوا في السلم كافة) وفي أواخر هذه السورة (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وفي سورة سبأ (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقد ظن بعض العلماء أنها لاتستعمل في العربية إلا هكذا وحكم بخطأ من استعملها معرفة باللام او الاضافة ، ورد عليهم آخرون بما نفصله في الحاشية ليقرأه وحده من اراده (٢)

---

(١) راجع كلمة التقوى في فهارس التفسير ولا سيما التاسع منها

(٢) قال الفيروزبادي في القاموس : وجاء الناس كافة اي كلهم ، ولا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها أل ووهم الجوهري ولا تضاف اه وقد أورد شارحه المرتضى من وافقه في هذا الحكم كالحريري والنووي والزجاج ثم قال نقلا عن شيخه : على أن قول الجمهور كالمصنف لا يقال جاءت الكافة رده الشهاب في شرح الدرة وصحح انه يقال ، وأطال البحث فيه في شرح الشفاء ونقله عن عمر وعلي رضى الله عنهما وأقرهما الصحابة وناهيك بهم فصاحة . وهو مسبوق بذلك ، فقد قال شارح اللباب انه استعمل مجروراً واستدل بقول عمر بن الخطاب (رض) : على كافة بيت مال المسلمين . وهو من البلغاء ، ونقله الشمني في حواشي المغني ، وقال الشيخ إبراهيم الكوراني في شرح عقيدة أستاذه : من قال من النحاة إن « كافة » لاتخرج عن النصب فحكمه ناشيء عن استقراء ناقص . قال شيخنا وأقول ان ثبت شيء مما ذكروه ثبوتا لامطعن فيه فالظاهر أنه قليل جدا والاكثر استعماله على ماقاله ابن هشام والحريري والمصنف اه ما أورده شارح القاموس

وأقول ان الاستعمال القليل يكفي في الدلالة على الجواز ولا سيما في كلمة كل مانقل فيها قليل، وقال السيد الآلوسي في تفسير الآية : (كافة) أي جميعا واشتهر انه لا بد من تنكيره ونصبه على الحال وكون ذي الحال من العقلاء وخطؤا الزمخشري في قوله في خطبة المفصل « محيطا بكافة الابواب » وخطؤه هو المخطىء لانا إذا علمنا وضع لفظ لمعنى عام بنقل من السلف وتتبع لموارد استعماله في كلام من يعتد به =

﴿ انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم فيحلوا ماحرم الله ﴾ النسيء وصف اومصدر من نسأ

= ورأيناهم استعملوه على حالة مخصوصة من الاعراب والتعريف والتنكير ونحو ذلك جاز لنا على ماهو الظاهر أن نخرجه عن تلك الحالة لانا لو اقتصرنا في الالفاظ على مااستعملته العرب العاربة والمستعربة نكون قد حجرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم، ولما لم يخرج بذلك عما وضع له فهو حقيقة فكافة وان استعملته العرب منكراً منصوبا في الناس خاصة يجوز أن يستعمل معرفا ومنكرا بوجوه الاعراب في الناس وغيرهم، وهو في كل ذلك حقيقة حيث لم يخرج عن معناه الذي وضعوه له وهو معنى الجميع . ومقتضى الوضع انه لايلزمه ماذكر ولا ينكر ذلك الا جاهل أو مكابر ، على انه ورد في كلام البلغاء على غير مادعوه ففي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لآل بني كاكلة قد جعلت لآل بني كاكلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام مائتي مثقال عينا ذهبا ابرزاً. وهذا كما في شرح المقاصد مما صح والخط كان موجوداً في آل بني كاكلة الي قريب هذا الزمان بديار العراق ، ولما آلت الخلافة الى أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه عرض عليه فنفذ مافيه لهم وكتب عليه بخطه : (لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون) أنا أول من تبع أمر من اعز الاسلام ، ونصر الدين والاحكام ، عمر بن الخطاب، ورسمت بمثل مارسم لآل بنى كاكلة في كل عام مائتي دينار ذهباً ابرزاً واتبعت أثره ، وجعلت لهم مثل مارسم عمر اذ وجب علي وعلى جميع المسلمين اتباع ذلك. كتبه علي بن أبي طالب اه فانظر كيف استعمله عمر بن الخطاب معرفة غير منصوبة لغير العقلاء وهو من هو في الفصاحة ؟ وقد سمعه مثل علي كرم الله تعالى وجهه ولم ينكره وهو واحد الاحدين ، فأي انكار واستهجان يقبل بعد ، فقوله في المغني: كافة مختص بمن يعقل ووهم الزمخشري في تفسير قوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس) إذ قدر كافة نعتا لمصدر محذوف أي رسالة كافة لانه أضاف إلى استعماله فيما لايعقل إخراجه عما التزم فيه من الحال كوهمه في خطبة المفصل مما لايلتفت اليه. واذا جاز تعريفه بالاضافة جاز بالالف واللام أيضاً ولا عبرة بمن خطأ فيه كصاحب القاموس وابن الخشاب. وهو عند الازهري مصدر على فاعلة كالعافية والعاقبة ولا يثنى ولا يجمع ، وقيل هو اسم فاعل والتاء فيه للمبالغة كتاء راوية وعلامة واليه ذهب الراغب ونقل ان المعنى هنا قاتلوهم كافين لهم كما يقاتلونكم

الشيء ينسؤه نسأ ومنسأة اذا أخره ويقال أنسأه بمعنى نسأه أيضاً . ففعيل بمعنى مفعول كقتيل ومقتول ، اي الشهر الذي أنسيء تحريمه ، والمصدر كالحريق والسعير بمعنى النسء والانساء نفسه ، وكانت العرب ورثت من ملة ابراهيم واسماعيل تحريم القتال في الاشهر الحرم لتأمين الحج وطرقه كما تقدم كما ورثوا مناسك الحج ، ولما طال عليهم الامد غيروا وبدلوا في المناسك وفي تحريم الاشهر الحرم ولا سيما شهر المحرم منها فانه كان يشق عليهم ترك القتال وشن الغارات ثلاثة أشهر متوالية فاول مابدلوا في ذلك احلال الشهر المحرم بالتأويل وهو ان ينسؤا تحريمه إلى صفر لتبقى الاشهر الحرم أربعة كما كانت وفي ذلك مخالفة للنص وللحكمة التحريم معاً . وكان لهم في ذلك نظام متبع بان يقوم رجل من كنانة يسمى القلمس في أيام منى حيث يجتمع الحجيج العام فيقول : انا الذي لا أحاب ، ولا أعاب ، ولا يرد قولي . وفي رواية انه يقول انا الذي لا يرد لي قضاء . فيقولون صدقت فأخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر فيحل لهم المحرم ، وبذلك يجعل الشهر الحرام حلالا ، ثم صاروا ينسئون غير المحرم ويسمون النسيء باسم الاصل فتتغير أسماء الشهور كلها . وأما قتالهم نفسه فقد كان كله حراما وبغياً وعدوانا او ثأرا

وفي كتاب الانساب للبلاذري ان ممن كان ينسأ الشهور لهم ابو ثمامة القلمس ابن أمية بن عوف الخ نسأ الشهور أربعين سنة وهو الذي أدرك الاسلام ، وذكر

= كافين لكم . وقيل معناه جماعة وقيل للجماعة الكافة كما يقال لهم الوازعة لقوتهم باجتماعهم وتاؤه كتاء جماعة . والحاصل انهم رواية ودراية لم يصيبوا فيما التزموه من تنكيره ونصبه واختصاصه بالعقلاء وانهم اختلفوا في اصله هل هو مصدر أو اسم فاعل من الكف وأن تاءه هل هي للمبالغة أو للتانيث ثم انهم تصرفوا فيه واستعملوه للتعميم بمعنى جميعاً وعلى ذلك حمل الاكثرون ما في الآية قالوا وهو مصدر كف عن الشيء واطلاقه على الجميع باعتبار أنه مكفوف عن الزيادة أو باعتبار انه يكف عن التعرض له أو التخلف عنه وهو حال اما من الفاعل او من المفعول فمعنى (قاتلوا المشركين كافة) لا يتخلف أحد منكم عن قتالهم أو لا تتركوا قتال واحد منهم وكذا في جانب المشبه به واستدل بالآية على الاحتمال الاول على أن القتال فرض عين قيل وهو كذلك في صدر الاسلام ثم نسخ وأنكره ابن عطية اه

من نسأ قبله من قومه ، ثم قل وكانت خثعم وطيء لايحرمون الاشهر الحرم فيغيرون فيها ويقاتلون فكان من نسأ الشهور من الناسئين يقوم فيقول : إني لاأحاب ولا أعاب ولا يرد ماقضيت به،واني قد أحللت دماء المحللين من طيء وخثعم فاقتلوهم حيث وجدتموهم اذا عرضوا لكم (قال) وأنشدني عبد الله بن صالح لبعض القلامس

لقد علمت عليا كنانة اننا   اذا الغصن أمسى مورق العود أخضر
أعزهم سربا وامنعهم حمى   وأكرمهم في اول الدهر عنصر
وانا أريناهم مناسك دينهم   وحزنا لهم حظا من الخير أوفر
وإن بنا يستقبل الامر مقبلا   وإن نحن أدبرنا عن الامر أدبر

وقال عمير بن قيس بن جندل الطعان

لقد علمت معد ان قومي   كرام الناس ان لهم كراما
ألسنا الناسئين على معد   شهور الحل نجعلها حراما
فاي الناس لم ندرك بوتر؟   واي الناس لم نعلك لجاما؟

فعلم من هذا ان النسيء تشريع ديني ماتزم غيروا به ملة ابراهيم بسوء التأويل واتباع الهوى،فلهذا سماه الله زيادة في الكفر اي انه كفر بشرع دين لم يأذن به الله زائد على أصل كفرهم بالشرك بالله تعالى وشرع الحلال والحرام والعبادة حق له وحده ، فمنازعته شرك في ربوبيته كما تقدم في مواضع أقربها تفسير قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) - وانهم يضلون به سائر الكفار الذين يتبعونهم فيه فيتوهمون انهم لم يخرجوا به عن ملة ابراهيم إذ واطئوا فيه عدة ماحرمه الله من الشهور في ملته وإن أحلوا ما حرمه الله وهو المقصود بالذات من شرعه في هذه المسألة لا لمجرد العدد ، فهل يعتبر بهذا من يتجرءون على التحليل والتحريم بارائهم وتقاليدهم من غير نص قطعي عن الله ورسوله ؟

﴿ زين لهم سوء أعمالهم ﴾ قال ابن عباس يريد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم بهذه الشبهة الباطلة وهي انهم يحرمون العدد الذي حرمه الله تعالى لم ينقصوا منه شيئا . وقد أسند التزيين في بعض الآيات إلى الله تعالى لظهور

خيريته وحكمته ، وفي بعضها إلى الشيطان لوضوح مفسدته، وفي بعضها إلى المفعول لابهامه، وبينا مناسبة كل منها للموضوع الذي ورد فيه [١]

﴿ والله لايهدي القوم الكافرين ﴾ إلى حكمه في أحكام شرعه وبنائها على مصالح الناس واصلاح أفرادهم ومجتمعهم فيتبعون فيها أهواءهم وشهواتهم

روى الشيخان وغيرهما من حديث أبي بكرة عن النبي ﷺ قال « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض : السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات (٢) ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » قال هذا في منى عام حجة الوداع . وله ألفاظ أخرى بزيادة عما هنا . والمراد من استدارة الزمان عودة حساب الشهور إلى ماكان عليه من أول نظام الخلق بعد أن كان قد تغير عند العرب بسبب النسيء في الاشهر

قال الحافظ في شرحه من الفتح : وكانوا في الجاهلية على أنحاء منهم من يسمي المحرم صفراً فيحل فيه القتال ويحرم القتال في صفر ويسميه المحرم . ومنهم من كان يجعل سنة هكذا وسنة هكذا . ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا ، ومنهم من يؤخر صفر إلى ربيع الاول وربيعاً إلى ما يليه وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة ثم يعود فيعيد العدد على الاصل اه وذكر عن الطبري انهم كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً وفي رواية ١٢ شهراً و ٢٥ يوما فالمراد من استدارة الزمان إذاً أن الحج قد وقع في تلك السنة في ذي الحجة الذي هو شهره الاصلي بما كان من تنقل الاشهر بالنسيء . ونقل عن الخطابي انهم كانوا يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم والتقديم والتأخير لأسباب تعرض لهم منها استعجال الحرب فيستحلون الشهر الحرام ثم يحرمون بدله شهراً غيره فتتحول في ذلك شهور السنة وتتبدل فاذا أتي على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الامر إلى أصله فاتفق وقوع حجة النبي ﷺ عند ذلك اه

---

(١) راجع ص ٢٣٨ ج ٣ تفسير (٢) هكذا وردت الرواية والظاهر ان يقال ثلاثة متوالية والعدد الذي لايذكر مميزه يجوز تذكيره وتأنيثه لكنه قلما يقوله الفصحاء بدون نكتة ولهذا التمس الشراح له علة فقيل انث باعتبار العدة اوالمدة

وقال الحافظ في شرحه لألفاظ الحديث ان المراد بالزمان السنة وقوله «كهيئته» أي استدار استدارة مثل حالته ، ولفظ الزمان يطلق على قليل الوقت وكثيره . والمراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار

وقد كان الامر كذلك . ولعل حكمته الاشارة الى تجديد الله تعالى لدينه واكمال هدايته كما تجدد عمر الزمان بفصل الربيع الذي تحيا فيه الارض بالنبات ، فاستدارة الزمان حسابية وطبيعية ودينية واني منذ سمعت هذا الحديث أشعر بان له معنى غير الحساب الزمني .

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية قول بعض المفسرين والمتكلمين في استدارة الزمان بمعنى ماسبق من وقوع حجة الوداع في ذي الحجة بعد أن كان يقع في أشهر أخرى ثم قال وزعموا أن حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة . وأغرب منه مارواه الطبراني عن بعض السلف في جملة حديث انه اتفق في حجة الوداع حج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد وهو يوم النحر عام حجة الوداع والله أعلم اه قلت فان صح هذا كان إشارة او بشارة بتحقق ماشرع له الاسلام بارسال خاتم النبيين إلى الناس كافة وجمعه الكلمة واهتداء الامم به •

ولهذه الرواية مايؤيدها من كتب التاريخ لخص بعضها محمد لبيب بك البتانوني في رحلته الحجازية قال ان الكعبة كانت قبل الاسلام بنحو من ٢٧ قرنا ذات منزلة سامية عند العرب وثنييهم ويهودهم ونصاراهم وقد تجاوزت مكانتها جزيرة العرب إلى بلاد الفرس الذين كانوا يعتقدون ان روح (هرمز) نقلت في الكعبة ثم إلى بلاد الهنود وكانوا يعتقدون ان روح (شبوه) أحد آلهتهم قد تقمصت في الحجر الاسود ، وقدماء المصريين كانوا يسمون الحجاز بالبلاد المقدسة. واليهود كانوا يحترمونها ويتعبدون فيها على دين ابراهيم ، والنصارى من العرب لم يكن احترامهم لها بأقل من احترام اليهود إياها وكان لهم فيها صور وتماثيل منها تمثال ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الازلام وسورة العذراء والمسيح إلى أن قال

هكذا كان شأن الكعبة في الجاهلية قد أجمع جميع الناس على اختلاف دياناتهم على احترامها واتخذها كل منهم معبدا يعبد الله فيه على حسب دينه أو مذهبه الخ

فتاوى المنار

نتيجة ما تقدم

(في حقيقة ربا القرآن او الربا المحرم القطعي المراد بالوعيد الشديد)

ان هؤلاء العلماء الاعلام من محققي المفسرين والمحدثين والاصوليين والفقهاء قد صرحوا بأن الربا الذي حرمه الله تعالى بنص كتابه العزيز ، وتوعد آكليه أشد الوعيد ، هو الربا الذي كان فاشياً في الجاهلية ومعروفاً عند المخاطبين في زمن التنزيل ، وهو أخذ مال في مقابلة تأجيل دين مستحق في الذمة من قبل ، وهو المسمى [ربا النسيئة] لان اخذ الزيادة على رأس المال إنما سببه إنساء أجل الدين المستحق أي تأخيره لا في مقابلة منفعة ما لمعطيها . وهو قول الحبر ابن عباس في تفسير آيات البقرة وتدل عليه نصوص الآيات باباحة ما سلف منه وايجاب الاكتفاء برأس المال على من تاب كما تقدم عنه (رض) . ويؤيد هذا أمران (أحدهما) الاستعمال اللغوي ووجهه ان هذا اللفظ كان مستعملا عند عرب الجاهلية من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم وذكر في بعض السور المكية فهو ليس من الالفاظ التي وضعت وضعاً جديداً في الشريعة فكانت مجملة ثم فسرت بعد ذلك بالاحاديث عند الحاجة اليها في التشريع العملي ، بل اللام في الربا للعهد كما صرح به بعضهم ،

(ثانيهما) ان الله توعد على أكل الربا بضروب من الوعيد لم تعهد في التنزيل ولا في السنة ولا ما يماثلها إلا في الترهيب والزجر عما عظم إثمه وفحش ضرره من الكبائر ، ويؤكده الوعيد الوارد في الاحاديث النبوية ، وهاك الاشارة اليها بالايجاز

(١) قوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون) أي من قبورهم يوم البعث والنشور (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) وهو الجنون ، وقد ورد أن المرء يبعث على ما مات عليه ، فاذا كان هذا حال آكل الربا عند البعث وقبل الحساب ، فكيف يكون حاله بعد ذلك في النار ؟ وهو :

(٢) قوله تعالى فيمن عاد الى اكل الربا بعد تحريمه (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقد حملوه على المستحل له لان استحلاله كفر

(٣) قوله تعالى (يمحق الله الربا) أي يمحق بركته

(٤) قوله تعالى بعد ذلك (ويربي الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم) وحرمانه من محبة الله تعالى يستلزم بغضه ومقته عز وجل

(٥) تسميته كفاراً اي مبالغاً في كفر النعمة بقسوته على العاجز عن القضاء واستغلاله لما يعرض له من الضرورة بدلا من إنظاره وتأخير دينه إلى الميسرة، او إسعافه بالصدقة

(٦) تسميته اثيما، وهي صيغة مبالغة من الأثم وهو كل مافيه ضرر في النفس او المال او غيرهما وأشدها المضار والمفاسد الاجتماعية

(٧) إعلامه بحرب من الله ورسوله لانه عدو لهما في قوله تعالى بعد الأمر بترك ما بقي للمرابين من الربا بعد التحريم (فان لم تفعلوا فاءذنوا بحرب من الله ورسوله)

(٨) وصفه بالظلم في قوله (وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون)

(٩) عد النبي صلى الله عليه وسلم اياه من أهل الموبقات وهي اكبر الكبائر ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعا « اجتنبوا السبع الموبقات » أي المهلكات قالوا وماهن يارسول الله؟ قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »

(١٠) ورود عدة أحاديث صحيحة في لعنه صلى الله عليه وسلم لآكل الربا وموكله، وفي بعضها زيادة كاتبه وشاهديه،

(١١) في غير الصحاح احاديث كثيرة في الوعيد الشديد عليه منها ان درهم ربا أشد من ثلاث وثلاثين زنية في الاسلام وفي بعضها ٣٦ زنية، وفي بعضها بضع وثلاثين زنية وفي بعضها « الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه وان أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه » رواه الطبراني في الاوسط من طريق عمرو بن راشد وقد وثقه ابن حبان على نكارة حديثه هذا

وجملة القول ان هذا الوعيد الشديد كله لا يمكن أن يكون على ربا الفضل

الوارد في حديث عبادة وأبي سعيد وغيرهما لانه لا ضرر فيه ولذلك اضطر بعض الفقهاء إلى القول بأن تحريمه تعبدي لا يعقل معناه . ومن المعلوم من الدين بالضرورة لصراحة أدلته في الكتاب والسنة ان الاسلام يسر لا عسر فيه ولا حرج ، وانه الحنيفية السمحة ، وقال العلماء : ان من علامة الحديث الموضوع أن يكون فيه وعد بثواب عظيم على عمل تافه او سهل قليل التأثير - أو وعيد شديد على عمل ليس فيه ضرر في الدين ولا في الدنيا او فيه ضرر قليل

هذا وان بيع الاجناس الستة بعضها ببعض مع التفاضل المعتاد بالتراضي أو بيع جنس بآخر مع تأخير القبض ليس فيه من الضرر والفساد ما يستحق فاعله شيئا من أنواع ذلك الوعيد فلا يفهم له علة إلا سد ذريعة ربا النسيئة الذي نهى الله عنه وتوعد فاعله بما لخصناه آنفاً ، فهو كنهيه ﷺ عن خلوة الرجل بالمرأة الاجنبية ، وعن سفرها إلا مع ذي رحم محرم ، وعن الانتباذ في الاواني التي يسرع فيها اختمار النقيع المنبوذ فيها من تمر أو زبيب ، وعن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر ، لان هذا وذاك مما يسهل وجود الخمر ويجرىء على شربها بتأثير الالفة والقدوة ، ومثله أو أشد شرب القليل من الشراب الذي لا يسكر الا الكثير منه - وأبلغ من هذا في النهي لسد الذريعة نهي الله عز وجل للمؤمنين عن سب آلهة المشركين وأصنامهم مع تعليله الدال على ذلك وهو قوله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)

وأما تسمية ذلك ربا في بعض الروايات فمن باب المجاز المرسل كقوله تعالى حكاية عن احد صاحبي يوسف في السجن (اني أراني أعصر خمراً) وقد صرح النبي ﷺ بما يدل على هذا في بعض روايات هذه الاحاديث كحديث ابن عمر عند الامام احمد والطبراني « لا تبيعوا الدينار بالدينارين ولا الدرهم بالدرهمين ولا الصاع بالصاعين فاني أخاف عليكم الربا » وقد ورد في روايات متعددة إطلاق لفظ الربا أو أشد الربا على استطالة الرجل في عرض اخيه يعني بالغيبة ، واطلاق لفظ الزنا على مقدماته في حديث مرفوع معروف

وروى مالك وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي عن ابن عمر قال قال عمر ابن الخطاب لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ولا تبيعوا الورق بالذهب

أحدهما غائب، والآخر ناجز ، وان استنظرك حتى يلج بيته فلا تنتظره إلا يداً بيد: هات وهاء، أني أخشى عليكم الرماء . والرماء هو الربا

وروى مالك والبيهقي عن نافع قال كان ابن عمر يحدث عن عمر في الصرف ولم يسمع فيه من النبي ﷺ شيئاً . قال قال عمر لاتبايعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق إلا مثلا بمثل سواء بسواء ولا تشفوا بعضه على بعض اني أخاف عليكم الرماء ،

ولكن الوعيد الشديد فى الربا وما يقتضيه من الورع واتقاء الشبهات اوقع الناس في مشكلات من هذه المسألة منذ ذلك العصر إلى اليوم ، فترى ان عمر (رض) على نهيه عن ربا الفضل خوفا من إفضائه الى الربا وعلى تصريحه بأن آية البقرة آخر مانزل يعني من آيات الاحكام وانه ﷺ توفي ولم يقل لهم فيها شيئاً غير ما كانوا يعلمونه من ربا الجاهلية ، ومن وضعه وإبطاله ﷺ يوم فتح مكة، وقوله فدعوا الربا والريبة - تراه على هذا قد قال فيما رواه عنه ابن أبي شيبة لقد خفت أن نكون قد زدنا في الربا عشرة أضعافه بمخافته ،ولقد صدق (رض) فكل من جاوز حد شيء وقع في ضده .

(فصل مهم في إلحاق الفقهاء ذرائع الربا وشبهاته بالربا القطعي بالنص)

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآيات : وانما حرمت المخابرة وهي المزارعة ببعض مايخرج من الارض والمزابنة وهي اشتراء الرطب في رءوس النخل بالتمر على وجه الارض، والمحاقلة وهي اشتراء الحب في سنبله في الحقل بالحب على وجه الارض — انما حرمت هذه الاشياء وما شاكلها حسما لمادة الربا لانه لا يعلم التساوي بين الشيئين قبل الجفاف ، ومن هذا حرموا أشياء بما فهموا من تضييق المسالك المفضية الى الربا والوسائل الموصلة اليه، وتفاوت نظرهم بحسب ما وهب الله لكل منهم من العلم ، وقد قال الله تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) وباب الربا من أشكل الابواب على كثير من أهل العلم . وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ عهد الينا فيهن عهداً تنتهي اليه : الجد ، والكلالة ، وأبواب من الربا . يعني بذلك بعض المسائل التي فيها شائبة الربا . والشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة اليه مثله لأن ما أفضى الى الحرام حرام،

كما ان مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب اه كلام ابن كثير وأورد بعده حديث النعمان في الحلال والحرام والشبهات وهو معروف وسيأتي البحث فيه

أقول ان العماد ابن كثير رحمه الله تعالى قد فطن لما غفل عنه جمهور العلماء أو قصروا في بيانه في هذه المسألة الخطيرة ولكنه لم يسلم من مجاراتهم في بعض ما أخطأوا فيه بل اقرهم عليه واحتج لهم بما لاحجة فيه ، ويؤخذ منه ومما قدمناه عليه أمور يجب تدبرها لتحرير هذه المسألة المشكلة فنقول :

(١) اذا كان عمر أمير المؤمنين (الذي قال فيه عبد الله بن مسعود من أكبر علماء الصحابة انه قد مات بموته تسعة أعشار العلم) قد خشي أن يكون مسلمو عصره قد زادوا في الربا عشرة أضعافه من شدة خوفهم من الوقوع في شيء منه، فان من بعدهم قد زادوا عليهم أضعاف ماوقعوا فيه من باب الاحتياط واتقاء الشبهات، فانهم عدوا منه مانهي عنه من البيوع مهما تكن صفة النهي ومهما يكن سببه ، وعدوا منه البيوع الفاسدة عندهم ، وإن يكن سبب ماقالوه في فسادها رأي لبعضهم ماأنزل الله به قرآنا ، ولا ذكر الرسول ﷺ فيه بيانا ، وصارت هذه الانواع التي لاتكاد تحصى مقرونة في أذهان الجميع بذلك الوعيد الشديد في كتاب الله تعالى وفي الاحاديث الصحيحة وكذا الضعيفة والمنكرة والشاذة والموضوعة التي رووها في ذلك ، ويقل في المسلمين في هذه الاعصار من يميز بين مايصح منها ومالا يصح فأوقعوا المسلمين في أشد الحرج المنفي بنص كتاب الله تعالى الحكم عن دينه

(٢) إن قولهم الذي جعلوه أصلا تتدلى منه فروع لا تحصى في الربا وهو « ان الجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة » غير مسلم فالجهل ليس كالعلم ولا يصح أن يجعل دليلا على التحريم الذي تقدم ان السلف الصالحين لم يكونوا يقولون به إلا بنص قطعي الرواية والدلالة بل نقل الامام ابو يوسف عنهم اشتراط وروده في كتاب الله تعالى بنص جلي لا يحتاج إلى تفسير . وقد علمنا ان الله تعالى لم يحرم في كتابه إلا ربا النسيئة الذي هو أخذ الزيادة في المال لأجل تأخير مافي الذمة منه الذي من شأنه أن يتضاعف ويكون مخربا للبيوت ومفسداً للعمران ، ومبطلا لفضائل التراحم والتعاون بين الناس . ومن الغريب أن ينوه العماد رحمه الله تعالى بعلم

هؤلاء الذين قال فيهم انهم « حرموا أشياء بما فهموا من تضييق المسالك المفضية الى الربا» وغفل عن كونهم انما ضيقوا ماوسعه الله تعالى وعسروا مايسره مخالفين في ذلك لنص كتابه ولسنة رسوله الذي أمر أصحابه وعماله وأمته بالتيسير ونهاهم عن التعسير كما هو ثابت في أحاديث الصحاح والسنن المشهورة

(٣) قوله في توجيه مسلكهم إن الشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة اليه مثله لأن ماأفضى الى الحرام حرام — فيه نظر من ثلاثة وجوه (أحدها) ان الوسائل ليست كالمقاصد في نفسها بل هي دونها في الخير والشر والنفع والضر والحلال والحرام كما يظهر من الامثلة التي ذكرنا آنفا (في ص ٣٩) ان النصوص وردت في النهي عنها لانها ذريعة الى الحرام القطعي

(ثانيها) ان تحديد الوسائل في المسائل ودرجة إفضائها الى المقاصد من أشق الامور فاذا لم تكن منصوصة اختلفت باختلاف الافهام والآراء

(ثالثها) جهة الدلالة فيها فان من أحكام المقاصد ما لايثبت الا بالنص القطعي كأصل العبادة والتحريم الديني فالوسيلة له أولى بذلك ، ومنها ما يثبت بالدليل الظني . واعتبر ذلك بقوله تعالى في الزواج (فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لاتعولوا) فقد أوجب تعالى على من خاف على نفسه عدم العدل بين الزوجتين او الازواج أن يتزوج واحدة لان التعدد وسيلة للعول وهو الظلم المحرم لذاته . وكون تعدد الزوجات وسيلة اليه عندأ كثر المعددين في هذه الازمنة مشاهد، ويدل عليه من النص قوله تعالى (وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) الآية ومع هذا لم يقل أحد من هؤلاء الفقهاء بتحريم التعدد وعدم ثبوت الزوجية ومايترتب عليها من الاحكام به

(٤) استدل العماد على القاعدة الكلية التي ذكرها بحديث النعمان بن بشير مرفوعا « ان الحلال بين وان الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله محارمه » الحديث وهو في الصحيحين وهذا اللفظ هو

الذي إختاره النووي في الأربعين. وقد روي عن غير النعمان بألفاظ تختلف بعض الاختلاف. وهو لا يدل على تلك القاعدة الكلية لاجماع المسلمين على أن من رعى سائمته او دابته حول حمى وأمكنه اجتناب الوقوع فيه لا يكون رعيه حراما كالرعي في الحمى، وان اتقاء الرعي حول الحمى إنما يطلب تورعا واحتياطا. وللعلماء في تفسير «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» تفصيل لانه إما أن يكون من الكثيرين الذين لا يعلمونهن وإما أن يكون ممن يعلمون الحكم ولا يشتبهون فيه، فان كان ممن يعلمون ان هذا المشتبه فيه لخفاء في وجه حله أو حرمته حلال فانه لا يأثم به وان كان ممن يعلمون انه حرام فانه يأثم. وأما من يقع في المشتبه مع اشتباهه عليه فانه لا يأمن ان يكون الحرام فكأنه تجرأ على الحرام، وكذا من علم أنه ذريعة الى الحرام كالذي يتزوج على امرأته وهو لا يثق من نفسه بالعدل لكراهته للاولى وحبه للثانية فانه لا يلبث أن يظلم، فهذان محملان للحكم بوقوعه في الحرام وليس المعنى ان نفس المشتبه فيه حرام لانه يخرج بهذا عن كونه مشتبها فيه

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث من فتح الباري: واختلف في حكم الشبهات فقيل التحريم وهو مردود، وقيل الكراهة، وقيل الوقف، كالخلاف فيما قبل الشرع. وحاصل مافسر به العلماء الشبهات أربعة أشياء (أحدها) تعارض الادلة كما تقدم (ثانيها) اختلاف العلماء وهي منتزعة من الاولى (ثالثها) ان المراد بها مسمى المكروه لانه يجتذبه جانبا الفعل والترك (رابعها) ان المراد بها المباح. ولا يمكن قائل هذا أن يحمله على متساوي الطرفين من كل وجه بل يمكن حمله على مايكون من قسم خلاف الاولى بأن يكون متساوي الطرفين باعتبار ذاته راجح الفعل أو الترك باعتبار أمر خارج الخ

ومن ألفاظ الحديث ماهو صريح في ان الوقوع في الشبهات مدرجة للوقوع في الحرام لا وقوع فيه كحديث ابن عمر «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فمن اتقاها كان أنزه لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات أو شك أن يقع في الحرام»

وقال الحافظ ابن رجب في شرح الحديث: وقد فسر الامام أحمد الشبهة بأنها منزلة بين الحلال والحرام - يعني الحلال المحض والحرام المحض -

وفسرها تارة باختلاط الحلال والحرام . وذكر ان أصحابهم الحنابلة اختلفوا فيه هل هو مكروه أو محرم؟ على وجهين وان منهم من حمل ذلك على الورع

وذكر هو وابن مفلح في الآداب الشرعية آثاراً عن كبار علماء السلف في ذلك = (منها) ماروا الحارث عن علي (رض) انه قال في جوائز السلطان لا بأس بها مايعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام (ومنها) كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعاملون المشركين وأهل الكتاب مع علمهم بأنهم لايجتنبون الحرام كله .

قال الحافظ ابن رجب: وان اشتبه الامر فهو شبهة والورع تركه. قال سفيان لايعجبني ذلك وتركه أعجب إليَّ . وقال الزهري ومكحول لابأس أن يؤكل منه مالم يعرف انه حرام بعينه ، فان لم يعرف في ماله حرام بعينه ولكن علم ان فيه شبهة فلا بأس بالاكل منه . نص عليه أحمد في رواية حنبل . وذهب إسحق ابن راهويه الى ماروي عن ابن مسعود وسلمان (رض) وغيرهما من الرخصة ــ والى ماروي عن الحسن وابن سيرين في إباحة الاخذ بما يقضي(؟) من الربا والقمار ، ونقله عنه ابن منصور. وقال الامام أحمد في المال المشتبه حلاله بحرامه إن كان المال كثيراً أخرج منه قدر الحرام وتصرف في الباقي، وان كان المال قليلا اجتنبه كله. وهذا لان القليل إذا تناول منه شيئاً فانه يتعذر معه السلامة من الحرام بخلاف الكثير

ثم قل : ومن أصحابنا من حمل ذلك على الورع دون التحريم ، وأباح التصرف في القليل والكثير بعد إخراج قدر الحرام منه وهو قول الحنفية وغيرهم وأخذ به قوم من أهل الورع منهم بشر الحافي . ورخص قوم من السلف في الاكل ممن يعلم في ماله حرام مالم يعلم انه من الحرام بعينه كما تقدم عن مكحول والزهري وروي مثله عن الفضيل بن عياض ، وروي في ذلك آثار عن السلف فصح عن ابن مسعود أنه سئل عمن له جار يأكل الربا علانية لا يتحرج من مال خبيث يأخذه يدعوه إلى طعام ؟ قال أجيبوه فانما الهناء (او المهنأة) لكم والوزر عليه اه المراد منه

فعلم بهذا كله أن من الجهل المبين أن يعد مايشتبه في أمره ولا يتبين وجه الحل والحرمة فيه من الحرام المحض ولو من الصغائر ، فكيف يجوز أن يعد

من أكبر الكبائر التي أنذر الله مرتكبها باشد الوعد ولعنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، وانما يكثر مثله في كلام المقلدين الذين يأخذون بالتسليم كل مايرونه في كتب من قبلهم ولا سيما علماء مذاهبهم ، ولا يعنون بالنظر في أدلتهم، بل يأخذونها بالتسليم على علاتها . وعلى من ينظر في الادلة أن يستقصي ماقاله أهلها المستقلون ويتحرى في البحث عن غيرها وينصب الميزان المستقيم لترجيح بعضها على بعض ، لا كما فعل أخونا المفتي الهندي في مسألة الربا

إذا تمهد هذا ظهر به ان الحق في الربا الذي نهى الله تعالى عنه في كتابه وتوعد فاعله بما لم يتوعد بمثله على ذنب آخر أنه ربا النسيئة الذي كان معروفا في الجاهلية كما قال من ذكرنا عباراتهم من أعلام العلماء المستقلين والتابعين لبعض الأئمة في النظر والاستدلال ، لا لمجرد التعبد بالآراء والاقوال

وإمام هؤلاء القائلين بذلك حبر الامة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما . ونعيد القول ونكرره بانه هو مايؤخذ من المال لاجل تأخير الدين المستحق في الذمة إلى أجل آخر مهما يكن أصل ذلك الدين من بيع او قرض أو غيرهما ، وهذا النوع هو الذي كان يتضاعف بعجز المدين عن القضاء مرة بعد أخرى حتى يصير اضعافا مضاعفة ويستهلك جميع مايملكه المدين في كثير من الاحيان

وبهذا تظهر حكمة العليم الحكيم في ذلك الوعيد الشديد عليه وفي تسميته ظلما، ولا يظهر هذا في كل قرض جر نفعا، ولا في بيع أحد الاجناس الستة بمثله متفاضلا نقداً او نسيئة ، فضلا عن تثمير الاموال بالشركات التجارية التي لا تلتزم شروط الفقهاء فيها كما يأتي بعد. وانما يظهر من سبب النهي عن هذه البيوع انه سد لذريعة الربا المحرم القطعي، وهذه الذريعة مظنونة لاقطعية ، وقد ذكرنا آنفا بعض مالها في الشريعة من الأمثلة ، ومن المنهيات في الاحاديث ماهو محرم وما هو مكروه او خلاف الاولى ، وما هو لمحض الارشاد لا للتشريع الديني ، وإنما يكون التمييز بين هذه الانواع بالادلة الخاصة أو القواعد العامة او التعارض بين النصوص وترجيح الاقوى كالنهي عن أكل لحوم سباع الوحش والطير مع حصر نصوص القرآن لمحرمات الطعام في الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به . وقد حققنا أن

النهي فيه للكراهة وفاقا لمذهب مالك جمعاً بينه وبين نصوص القرآن القطعية الرواية والدلالة بصيغتي الحصر. وبينا فيه ان التعبير في بعض الروايات بالتحريم قد يكون رواية بالمعنى لفهم الراوي ان المراد من النهي التحريم.

وكذلك يقال في النهي عن بيع النقدين وأصول الاغذية المذكورة في حديث عبادة الايدابيد مثلا بمثل إذا اتحد الجنس، والاكتفاء بالتقابض إذا اختلف

ومما يدل على أن هذا النهي غير مقصود بالذات ماصح في إباحة بيع العرايا والحيلة في بيع الكثير من التمر الرديء بالقليل من التمر الجيد بان يجعل العقد على بيع كل منها بالثمن. وهذا أصل من أصول أدلة من جوزوا الحيلة في الشرع ولكن لايصح هذا الاستدلال إلا في المسائل التي لاتضيع فيها علة الحكم وتذهب حكمة الشارع فيه كمسألة بيع التمر بالتمر التي أفتى فيها النبي ﷺ وسنعقد لهذا البحث فصلا خاصا إتماما لتحقيق مسألة الربا العامة من كل وجه

فتاوى المجلد الحادي والثلاثين

حكم قراءة الجرائد والمجلات

(س ١) من صاحب الامضاء في دبي - خليج فارس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد الاجل مفتي الامة، وبحر العلوم، وعلامة الزمان، وترجمان القرآن، قامع المبتدعين، البحر الزاخر، والصارم الباتر، السيد محمد رشيد رضا رضي الله عنه وأرضاه

السلام ورحمة الله وبركاته. أما بعد فالمرجو من فضيلتكم الجواب عن هذا السؤال وهو أنه قد حصل في بلدتنا خلاف بين طلبة العلم فان فريقا منهم يعترض على فريق آخر بسبب انكبابهم على قراءة الجرائد والمجلات الاسبوعية واليومية ويشمل ذلك الجرائد المصورة فالواجب أن تصرفوا أوقاتكم في مطالعة كتب السنة والتفاسير والفقه لان بها سعادة الدارين، وهذه الجرائد من لهو الحديث

المشار اليه في لا آية، والدليل في عدم الفائدة منها أن هذه مصر الجرائد والمجلات بها مذ عهد بعيد ولم تنتفع ولم تتخلص من الرق ، وهذه الامة العربية جند الامام ابن السعود أيده الله بنهوضهم في هذه المدة القريبة حصل خير كثير والمستقبل يبشر بالخير مع أنهم لم يطالعو جرائد ولا مجلات

ويقول الفريق الآخر هل الخير إلا في الجرائد وهي تذكي الذهن وتحرك الافكار وتفيد عن تطور العالم وهي من أنعم الله الكبار

فالرجاء من فضيلتكم الايضاح والتخطئة والتصويب لانه حصلت مشاحنة تكدر الخاطر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته احمد بن حسن

(ج) إن الجرائد والمجلات التي توصف بالدورية مثل الرسائل والكتب في القصص والادب والتاريخ والعلوم منها الضار والنافع، وفيها الحق والباطل ، فلكل من مادحيها وذاميها وجه ، ويختلف حكم قراءتها باختلاف موضوعاتها واستعداد قارئيها في العلم ورسوخ العقيدة الصحيحة ، والآداب الشرعية القويمة ، فان في بعضها ماهو كفر صريح وصد عن الدين، بضروب من الشبهة والتأويل ، وفي بعضها تزيين للشهوات المحرمة وغير ذلك من المعاصي ، كما أن في هذه وغيرها كثيراً من المسائل العلمية والتاريخية وأخبار السياسة التي تفيد صاحبها عبرة وخبرة وتثقيفاً ، وانني أعلم أن كثيراً من قرائها قد فسدت عقائدهم او آدابهم، ولا بد أن تكونوا رأيتم في المنار ردوداً على بعضها بالتعيين تارة وبالابهام تارة ، وان كثيراً من قرائها لايحملهم عليها إلا التلذذ والتسلي بما فيها من الغرائب،دون ما يزعمون من الفوائد ، وناهيك بالمصورة التي تعنى بصور النساء العاريات والمتبرجات،واخبار العاشقين والمعشوقات . والمدار في نفع ذلك وضره منوط بحسن الاختيار وسوء الاختيار

فمن الجرائد المصرية التي يحسن اختيارها في قطر إسلامي كبلادكم جريدة كوكب الشرق اليومية والفتح والشورى والمصلح الاسبوعيات ، ومن المجلات المصرية مجلة مكارم الاخلاق والزهراء والهداية ومجلة الشبان المسلمين ، ومن الجرائد السورية العهد الجديد والنداء اليوميتان والنذير الاسبوعية من جرائد

بيروت وجريدتا الحياة والجامعة العربية من جرائد فلسطين والهداية البغدادية والحلبية، وام القرى الحجازية

ومن المجلات مجلة الكشاف البيروتية والاصلاح الحجازية ومجلة الكويت

فمن كان يريد قراءة الصحف من أهل بلادكم الاسلامية العربية لما فيها من الفوائد العلمية والادبية والسياسية مع الامن من المفاسد الدينية ونزعات الالحاد، وإباحة الفسق والفساد، فليختر لنفسه بعض هذه الجرائد والمجلات، ومن رغب عنها إلى الصحف التي ينشرها بعض الملاحدة أو الكفرة لافساد عقائد المسلمين وأخلاقهم وتفريق كلمتهم ويجذبون الشبان إلى قراءتها بصور النساء العاريات وغير ذلك من مثارات الشهوات فهم يجنون على انفسهم وعلى أمتهم وبلادهم من حيث لايشعرون

﴿ تفسير آية ماننسخ ﴾

(س ٢) من صاحب الامضاء في (الطلفون — الدار البيضاء بالمغرب)

صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل السيد رشيد رضا دامت معاليه، تحية وسلاما لائقين بمقامكم الشريف، هذا فالمنهى لسماحتكم سؤال أرجو الجواب عنه وهو قوله تعالى (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ؟) ملخص السؤال المعروض لفضيلتكم هو قوله تعالى (ماننسخ من آية او ننسها) هنا قد ظهر لي ان ماننسخ من توراة وإنجيل أو ننسي اليهود في التوراة وننسي النصارى في الانجيل. لا كما قال بعض المفسرين ان عشرين آية نسخت ويستدلون بالآية، وأستدل على رأيي بان الآية السابقة قوله تعالى (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) وأي خير أفضل من القرآن؟

هذا واني ملتمس من فضيلتكم ان تمنحوني عفواً والكريم من عذر من اعتذر، وأقال عثرة من عثر، إن وقع غلط في فهمي للآية، مع اتم الرجاء ان تلهمني الى الصواب، وتبدي نظركم السديد، وأسأله سبحانه ان يسدد اعمالنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، ودمتم محروسين بعنايته، والسلام ختام السيد محمد اليعقوبي

(ج) جمهور المفسرين والفقهاء على ان النسخ المراد من هذه الآية هو نسخ آيات الاحكام الشرعية فعلى هذا القول يظهر لفهمكم في الآية وجه وجيه بقرينة الآية التي قبلها. وللآخذين برأيهم ان يقولوا ان هذه القرينة لاتقتضي الحصر فالآية تدل على مايتسخه الله تعالى من التوراة والانجيل ومايتسخه من القرآن او ينسيه منهما سواء في كونه يأتي بخير منه او مثله، ولكن هذا لايدل على ان في القرآن عشرين آية منسوخة وهو العدد الذي اعتمده السيوطي في الاتقان ولا على ماقال بعضهم من أن المنسوخ بضع آيات فقط، فالعدد لايدخل في مفهوم الآية من باب ولا من طاق

وفي الآية وجه آخر وهو ان لفظ (آية) فيها معناه الآية الكونية اي المعجزة التي يؤيد الله بها الرسل عليهم السلام اذ كان الكفار يطالبونه عليه السلام بآية من تلك الآيات ولا سيما آيات موسى (ع م) اذ (قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى) ويؤيده قوله تعالى بعدها (أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وهو الذي اختاره شيخنا وتجدونه مفصلا في تفسيرها من الجزء الاول من تفسيرنا

﴿ حبوط أعمال المشركين بالشرك ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في البترون (لبنان)

حضرة الاستاذ الجليل، إمام المسلمين، ومحيي شريعة سيد المرسلين، الشيخ رشيد افندي رضا المحترم

السلام عليكم وبعد فقد قرأت في العدد الرابع من المجلد الثلاثين في مجلتكم الغراء مايأتي: بعد ماذكر الله في كتابه ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم أعظم درجة وأسمى مقاما من الذين يسقون الحاج ويخدمون البيت. قلتم في تفسير هذه الآية التي تؤدي هذا المعنى: لا مراء في كون هذين العملين من أعمال البر التي يكون لصاحبها درجة عند الله إذا فعلا ما يرضي الله ولذلك أقرهما الاسلام دون غيرهما من وظائف الجاهلية ولكن الشرك يحبطها ويحبط غيرها من أعمال البر التي كانوا يفعلونها كما تقدم اه

فالعجب كيف يحبط الشرك الاعمال التي هي بحد ذاتها حسنة خيرية والله لايضيع للانسان مثقال ذرة من خير أو شر كما جاء في قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وعدل الله أجل من أن يجعل المشرك الذي يفسد في الارض كالمشرك الذي يعمل الاعمال الخيرية . ومعلومكم أن كلمة (من) عامة كما هو معلوم من علم الاصول تعم المؤمن والمشرك . فلرجا نشر الجواب على صفحات مجلتكم الغراء ودمتم

مدير مدرسة البترون الاسلامية
محمد فؤاد اشراقية ، من طرابلس الشام

(ج) أما الدليل على الحبوط فآيات صريحة في القرآن منها قوله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك* ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون* ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين* فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وأما وجه المعقول فهو ان الشرك بالله والكفر بأصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر يفسد الأنفس البشرية ويدنسها دنساً لاتؤثر معه الاعمال البدنية في إزالته وتزكية الأنفس منه بل تكون كقليل من الماء أو نقط من العطر تلقى في مجتمع القذر من الكنيف لايكون لها أدنى تأثير في تطهيره، فضلا عن تطييبه

وأما قوله (فمن يعمل مثقال ذرة) الخ فيجيب عنه العلماء بأنه عام مخصوص بغير المشركين والكافرين وقالوا انهم يجزون في الدنيا على اعمالهم الحسنة ولكن موضوع النص ان كل احد يعرض عليه يوم الجزاء ما عمل من خير فيراه في الحساب الذي يترتب عليه الجزاء فاذا وزنت اعمال المشرك الحسنة مع شركه وما له من سوء التأثير في تدنيس نفسه بالخرافات والسيئات تطيش كفة تلك الحسنات فيكون معنى حبوط عمله انه لايرى له تأثيراً في النجاة من العذاب ودخول الجنة ، فكأنه لاوجود له الا أن يكون في كون عذابه يكون دون عذاب من لم يعمل تلك الاعمال وبهذا تنتفي المساواة بين المشركين المنافية للعدل، وقد بينا في الكلام على الجزاء أن عذاب الكفار في النار يتفاوت بحسب أعمالهم وما كان لها من التأثير في أنفسهم كغيرهم إلا أنها لا تبلغ درجة اقل المؤمنين عملا صالحا، وقد ورد في أصحاب المعاصي من المسلمين ان أصحاب الحقوق عليهم من العباد يأخذون من حسناتهم بقدر حقوقهم عليهم فاذا لم تف بها

حملوا من أوزارهم بقدرما بقي منها ، وورد في الحديث تسمية هؤلاء بالمفلسين .
ولكن من مات على الايمان الصحيح لابد أن تكون عقبته الخروج من النار إذا عذب فيها بمعاصيه ثم يدخل الجنة

(أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت)

(س ٤ - ٦)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد افندي رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أرفع لفضيلتكم ما يأتي ، راجياً التفضل بالاجابة عليه :

١ — هل يجوز لجمعية اسلامية أسست لخدمة الدين وأبناء الامة الاسلامية كجمعية المقاصد الاسلامية في بيروت وغيرها أن تدخل في مدارسها معلمين غير مسلمين لتعليم اولاد الامة الذين هم مطمح انظارها في نشر الدين وتقويته مع وجود معلمين مسلمين فيهم الكفاءة التامة لما عساه ان ينشأ عن غير المسلمين امور تنافي ديننا الاسلامي سواء بالمقال كبث بذور الفساد في النفوس ، أو بالحال ككونهم بصفات لاتلائم مبادىء الدين مما تتشربه النفوس الساذجة لان التلاميذ مرآة معلميهم ، وفيهم قابلية انطباع ما يصدر عنهم من صلاح او فساد ، هل ذلك يجوز أم لا ؟

٢ — ماقول السادة علماء الدين الاسلامي الحنيف فيمن لا يصوم ولا يصلي خوفا من تجعيد ثيابه كالبنطلون وغيره فهل هو مسلم أم لا ؟ وما هي الضرورة التي يباح فيها عدم الصوم والصلاة ؟

ارجو من فضيلتكم أن تبينوا لنا جميع اسماء مؤلفاتكم لاننا نريد اقتناءها وأن تتكرموا بالجواب الكافي عن ذلك كله ولكم من الله تعالى عظيم الاجر والثواب

مصطفى أحمد شهاب — بيروت

﴿ أجوبة المنار ﴾

(٤) حكم جعل غير المسلم معلما لاولاد المسلمين

يجوز للافراد وللجمعيات استئجار غير المسلم لتعليم أولاد المسلمين ما يحتاجون اليه من العلوم الدنيوية النافعة كالحساب والاقتصاد مثلا اذا كان متقنا لذلك ولا يخشى على الاولاد ضرر منه في دينهم ولا في تربيتهم القومية والملية ولا يجوز مع خشية الضرر مطلقا مهما يكن نوعه واذا وجد معلمان سيان في ذلك العلم وفي فن التعليم أحدهما مسلم والآخر غير مسلم فاسلام المسلم كاف في ترجيحه كما ان المسلم التقي الحسن الآداب يرجح على من دونه في التقوى والادب لا على الفاسق فقط ورب كافر أقل ضرراً في التربية من فاسق فالعبرة بدرء المفسدة أولا ثم بتحقق المصلحة

(٥) ترك الصيام والصلاة لغير عذر شرعي

لا يترك الصلاة مسلم صحيح الايمان خوفا من تجعيد ثيابه ، ولا لما هو فوق ذلك تشعيثا لهيئته وهندامه ، ففاعل ذلك ليس له من الاسلام نصيب إلا لقبه الموروث عن آبائه ، وانما الاسلام الاذعان العملي الذي يقتضيه الايمان الصحيح بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد أن ترك الصلاة في مثل هذا مسبب عن عدم الاسلام لا سبب له في الغالب كما فصلناه في تفسير قوله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) فراجعه . ولا عذر يبيح ترك الصلاة إلا سقوط التكليف مطلقا كالجنون او موقتا بنوم أو إغماء أو نسيان مثلا . وأما الصيام فيباح تركه في المرض والسفر على أن يقضي ما فاته بعد الشفاء والاقامة ويجوز كذلك للحامل والمرضع ان تفطر في رمضان إذا خافت على نفسها او ولدها ومن عجز عن الصيام لهرم أو مرض لا يرجى برؤه أفطر وأطعم مسكينا عن كل يوم من رمضان كما هو مفصل في كتب الفقه فمن كان غير عالم بذلك فعليه أن يسأل عنه أهل العلم ولا تتسع هذه الفتاوى لتفصيله كما سئلنا عنه.

(٦) مؤلفاتنا المطبوعة

(١) تفسير القرآن الحكيم وقد تم منه تسعة اجزاء (٢) تفسير الفاتحة وقد طبع معه مقالات في التفسير وغيره للاستاذ الامام (٣) خلاصة السيرة المحمدية وكليات الاسلام (٤) الوحدة الاسلامية وفيه مقالات المصلح والمقلد (٥) يسر الاسلام والتشريع العام (٦) شبهات النصارى وحجج الاسلام (٧) نظرة في عقيدة الصلب والفداء عند النصارى (٨) الخلافة او الامامة الكبرى، وتجدون أسماء هذه الكتب وغيرها مع بيان أثمانها في غلاف المنار أحيانا

أسئلة من صاحب الامضاء في زنجبار

(س ٧ — ١٢) لصاحب الامضاء

حضرة العلامة صاحب المنار الاغر السيد محمد رشيد رضا

١ — نقدم إلى فضيلتكم السؤال الآتي اتجاوبوا عنه في مجلتكم الشريفة

سيدي من هم المحققون من علماء الاسلام فهل يطلق هذا اللقب على علماء معينين أو لكل فن من فنون علوم الدين ووسائلها محققون فان كان يطلق على معينين فاسردوا لنا أسماء بعضهم وان كان لكل فن محققون فاسردوا لنا أيضاً أسماء بعض من محققي التفسير ولكم من الله الاجر الجزيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢ — ماقولكم في الترضي على الخلفاء الراشدين وبقية العشرة والدعاء لسلطان البلد في الخطب كخطبة الجمعة او العيدين أو الخسوفين أو الاستسقاء وحقيقة أنه جار من عهد سيدنا عمر رضي الله عنه ام لا .

٣ — هل الاذان الثاني يوم الجمعة بين يدي الخطيب تحت المنبر كان في عهد رسول الله ﷺ أم لا

٤ — هل مايفعله المؤذنون على مأذنة المساجد قبل أذان صلاة الصبح ويوم الجمعة من الاذكار والادعية والصلاة على رسول الله بصوت نكر واجب

٥ — هل من وقف أو أوصى بان يصنع يوم موته أو بعده طعام أو إعطاء دراهم معدودة لمن يتلو القرآن العظيم أو يسبح أو يهلل أو يصلي على النبي ﷺ

أو يصلي نوافل ويهدي ذلك الى روح الموصي او من يريده هل تكون وصيته ووقفه صحيحين أم لا ؟

٦ — هل كان في عهد رسول الله ﷺ او الخلفاء الراشدين التهليل أو أي ذكر مع تشييع الجنائز؟ فان قلتم لا ، هل يجوز ، أم بدعة ، أيحسن عملها أم لا

سيدي الرجاء من فضيلتكم فيما تثبتون ابتداءه أسماء المبدعين وإماتتهم به الدين ولكم الاجر الجزيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبدالله فرح

أجوبة المنار

(٧) العلماء المحققون

في علماء كل علم وفن محققون كالأئمة الواضعين لها والمجتهدين فيها ، ونقلة مقلدون لهم ، والمؤلفون يطلقون لقب المحقق على من يعجبهم بحثه واستدلاله ، وقد اشتهر بلقب المحقق أفراد من العلماء عند أكثر المؤلفين كالسعد التفتازاني في العلوم النظرية وابن القيم في العلوم الشرعية من الكتاب والسنة والكمال بن الهمام في فقه الحنفية والنووي في فقه الشافعية .. وابن هشام في النحو . وأما التفسير فللعلماء فيه مسالك لا نعرف أحداً محققا فيها كلها ولكن الامام الطبري اجمعهم للروايات والمعاني الفقهية والتاريخية ، والحافظ ابن كثير أمثلهم في تحقيق التفسير المأثور والزمخشري أدقهم في تحرير المعاني اللغوية للالفاظ متناً ونحواً وبيانا الا ما يؤيد به مذهب جماعته المعتزلة ومثله البيضاوي من مفسري الاشعرية في المسائل الكلامية والفقهية والعربية والخفاجي محشيه في العلوم العربية وأبو السعود في نكت البلاغة

(٨) الترضي عن الصحابة والدعاء للسلاطين

الترضي عن الخلفاء الراشدين وسائر العشرة من الصحابة المبشرين بالجنة (رض) حسن وقد شرع الله لنا أن ندعو لانفسنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وهؤلاء العشرة خيارهم ، ولا ينبغي أن يلتزم دائما لئلا يظن العوام أنه واجب ،

وإذا كان ملتزما في بلد وخشي من سوء تأثير تركه في العامة فينبغي للخطيب أن يتقي سوء هذا التأثير بأن يذكر على المنبر ان هذا دعاء مستحب على إطلاقه ولم يطلبه الشرع في الخطبة فهو ليس من أركانها ولا من سننها . وإلا بقي مواظباً عليه وكذلك الدعاء لولي أمر المسلمين أو لاولياء أمورهم ويراعى فيه أن لايكون متضمنا لمنكر كاقرار الظلم أو الفسق ومدح أهلهما ، ولا لالفاظ من الاطراء في المدح والتعظيم الذي لايليق أن يوجه إلى الله تعالى . وأما الدعاء للسلطان المعين باسمه فهو بدعة استحسنها بعض المؤلفين بشرطها

قال الامام النووي في المجموع أي شرح المهذب: وأما الدعاء للسلطان فاتفق أصحابنا على أنه لايجب ولا يستحب وظاهر كلام المصنف وغيره أنه بدعة إما مكروه وإما خلاف الاولى . هذا إذا دعا له بعينه فاما الدعاء لأئمة المسلمين وولاة أمورهم بالصلاح والاعانة على الحق والقيام بالعدل ونحو ذلك ولجيوش الاسلام فمستحب بالاتفاق . والمختار أنه لابأس بالدعاء للسلطان بعينه إذا لم يكن مجازفة في وصفه والله أعلم اه

وقد صرح بعض الفقهاء بان مايجب من الانصات عند إلقاء خطبة الجمعة يستثنى منه الانصات وقت الدعاء للسلاطين وخاصة الظلمة والفساق منهم . وقد بينا هذا في مواضع لا أذكر منها الآن إلا مافي المجلد التاسع من المنار (سنة ١٣٢٤) (الموافق ١٩٠٦ م) ، ونقلنا هنا لك عبارة من شرح الاحياء للزبيدي نعيدها هنا مع ماقبلها مما قاله في الدعاء للخلفاء والصحابة وهو :

وينبغي أن تكون (الخطبة) الثانية هكذا : الحمد لله نحمده ونستعينه الخ لان هذا هو الثانية التي كان يخطب بها رسول الله ﷺ وذكر الخلفاء الراشدين عموما والعمين والسبطين وأمهما وجدتهما مستحسن ، وان احتاج إلى ذكر الاربعة الخلفاء على الخصوص بان كان في بلد فيه الرافضة فلا بأس أن يطيل بذكرهم كل واحد باسمه مع الاوصاف اللائقة بهم ثم يعطف عليهم بالباقين من العشرة . ومما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما أصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهذب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لابأس به إذا لم يكن

فيه مجازفة في وصفه ولا نحو ذلك فانه يستحب الدعاء بصلاح ولاة الامر والآن صار واجبا لانه مأمور به من السلطان

هذا ما ذكره عن فقهاء الشافعية وهو معنى ما تقدم عن المجموع الا قوله الاخير بوجوبه فلم أره في كتبهم ثم أورد جملة مما قاله علماء مذهبه الحنفية فقال :

وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالغازي وهو لم يوجف على العدو بخيل ولا ركاب ، ولكن مطلق الدعاء لهم بالصلاح لا بأس به وكذا لا باس بان يصفه ببعض الالقاب اللائقة بحاله فان تعظيم الملوك شعار أهل الاسلام (١) وفيه ارهاب على الاعداء (٢) وقد اتفق ان الملك الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها إلى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال مع كونه تركيا ما لهذا الخطيب يقول في خطبته السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا ، وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشفع له الحاضرون. هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خلص إلا بعد الجهد الشديد . واتفق مثل هذا لبعض أمراء مصر في زماننا لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكان مغروراً بدولته مستبداً برأيه وربما نازعته نفسه في خلافه على مولانا السلطان نصره الله تعالى فأطنب الخطيب في مدحه بعد أن ذكر اسمه بعد اسم السلطان فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب واهانته ونفيه عن مصر إلى بعض القرى. فهذا وأمثال ذلك ينفي للخطباء أن يلتمسوا سخط الله تعالى برضا الناس فان ذلك موجب لسخط الله تعالى والمقت الابدي نسأل الله العفو منه آمين اهـ

(٩) أذان الجمعة

انه لم يكن في عهد النبي ﷺ إلا اذان واحد لصلاة الجمعة وهو الاذان بين يدي الخطيب لان كل المؤمنين الموجودين في المدينة كانوا يجتمعون في المسجد ويتسابقون

---

(١) هذه دعوى باطلة لان زمن التشريع والاحكام الدينية ولا سيما الشعائر لم يكن فيه شيء من ذلك بل لم يكن فيه ملوك مفتونون بالتعظيم

(٢) وهذا باطل ايضا فان اعداءنا يحتقروننا بشدة اطرائنا وتذللنا للسلاطين

إلى التبكير اليه . وحدث الاذان الآخر في عهد عثمان رضي الله عنه للحاجة اليه بكثرة الناس وذلك معروف في كتب الصحاح والسنن المشهورة، وقد بيناه من قبل

(١٠) الزيادة في الاذان

مايفعله المؤذنون في كثير من البلاد من الاذكار وغيرها قبل أذان الصبح وأذان الجمعة على المنارة كله بدع وكذلك الصلاة على النبي ﷺ بعد الاذان متصلا به مع رفع الصوت ، ولا يدخل ذلك في عموم الذكر والصلاة عليه ﷺ الواردة في الاحاديث المطلقة لانه يجب علينا التزام ما كان عليه المسلمون في الصدر الاول من إطلاق وتقييد ولا سيما شعائر الاسلام كالاذان والاقامة فلا نزيد فيهما ولا ننقص منهما ، وقد شرحنا هذه المسألة مراراً، ولو قلت لمن يفعلون ذلك ولمن يقرونهم عليه هل لنا أن نزيد في إقامة الصلاة ذكراً أو صلاة على النبي ﷺ لقالوا لايجوز ذلك لانه من الشعائر التي يجب فيه التزام المأثور الذي كان عليه المسلمون في عهده ﷺ فقل أوليس الاذان كذلك ؟ وكذلك المدائح الشعرية التي يتغنى بها المؤذنون يوم الجمعة قبل الاذان بدعة ومنهم من كان يفعلها قبل الخطبة أيضا وقد كثر في عصرنا من أنكرها من أنصار السنة في ديار مصر والشام فتركت في كثير من المساجد وستترك في باقيها إن شاء الله تعالى

(١١) الوصية والوقف في اهداء العبادة للميت

الذي أعتقده ان العبادات البدنية لا تنفع إلا من عبد الله تعالى بها مخلصاً له فيها ، وان فاعلها لا يملك إهداءها الى غيره ولا ينتفع بها من تهدى اليه وعلى هذا لا يصح أن يوصى لفاعلها بمال لاجل إهدائها للموصي ولا الوقف لاجل ذلك .

ولكن بعض الفقهاء يرون أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى الميت الذي يقرأ لاجله ويهدى ثوابه اليه كالصدقة لا الصلاة ويجيزون الوصية به والوقف عليه . فالمسألة مما تنازع فيه العلماء فوجب ردها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن كان أهلا لمعرفة أدلتها منهما وجب عليه اتباع ماظهر له من دلائلهما

بنفسه وإلا فبارشاد بعض العلماء بهما وقد بينت أدلة ذلك بالتفصيل في تفسير آخر سورة الانعام (ص ٢٥٦ ج ٨ تفسير)

(١٢) الذكر برفع الصوت في الجنائز

ان ما اعتاده بعض أهل الطرق وغيرهم من الذكر في حال تشييع الجنازة برفع الصوت وزيادة بعضهم قراءة أبيات من البردة كله من البدع، وقد ورد النهي عن رفع الصوت في الجنازة مرفوعا وفي عمل الصحابة. قال ابن مفلح في الفروع ويسن الذكر والقراءة سراً وإلا الصمت، ويكره رفع الصوت ولو بالقراءة اتفاقا قاله شيخنا وحرمه جماعة من الحنفية وغيرهم. وقال الشيخ الموفق في المغني:

ويكره رفع الصوت عند الجنازة لنهي النبي ﷺ أن تتبع الجنازة بصوت، قال ابن المنذر روينا عن قيس بن عباس أنه قال، كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند ثلاث: عند الجنائز، وعند الذكر، وعند القتال، وذكر الحسن عن أصحاب رسول الله ﷺ، أنهم كانو يستحبون خفض الصوت عند ثلاث فذكر نحوه. وكره سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والنخعي وإمامنا (اي احمد) وإسحاق قول القائل خلف الجنازة: استغفروا له، وقال الاوزاعي بدعة وقال عطاء محدثة وقال سعيد بن المسيب في مرضه إياي وحاديهم هذا الذي يحدو لهم يقول استغفروا له غفر الله لكم، فقال ابن عمر لاغفر الله لك، رواهما سعيد، قال احمد: ولا يقول خلف الجنازة سلم رحمك الله فانه بدعة ولكن يقول بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، ويذكر الله إذا تناول السرير اه

(تصحيح وتنقيح في تفسير هذا الجزء)

سقط من السطر ١٨ ص١٢ بعد كلمة شفاعته ما يأتي: والدعاء مشروع دون أخذ المال به أو عليه، والرجاء باستجابته حسن، واعتقاده بالجزم جهل.

ورمج (شطب) منه قولنا في السطر ٢٢ منها: لان قضاء الحاجات - إلى: أمثالهم.

وزيد في السطر الاول من ص٢٤ بعد كلمة الخواص: الذين ليس لهم عيال - ووضع في س ١٢ منها: كلمة أفراد بدل جماعات ونهاهم عنه (ص) وقد طبع هذا في التفسير المستقل

مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات

— ١٢ —

الشبهات على حق المساواة في الميراث

كتب الدكتور فخري ميخائيل الكاثوليكي في محاضرته كل ما قاله الدكتور عزمي اللاديني في مناظرته ، وما أيدته به الآنسة هانم محمد — والظاهر أنها على عقيدته — من الشبهات على وجوب مساواة المرأة للرجل في الميراث ، وزاد شبهاتهما ايضاحا وشرحا ، إذ كان أوسع منهما وقتاً ، وانفرد عزمي دونه بزعم واحد ، وهو ان نظام الارث وضع في الاسلام للاستدراك على ما في أحكام الارث من جمود تقتضي أطوار الزمان الخروج عنه ، فالمسلمون يتركون بعض أحكام الميراث بوقف أموالهم على من يريدون إعطاءهم من مال مورثهم فوق ما تعطيهم تلك الآيات .
هذا ما فهمته من كلامه في هذا الزعم فأبدأ بالتصريح ببطلانه ، ثم أنقل كلام الدكتور فخري بنصه وأفنده بالدليل العقلي فيتم الرد على الجميع

ألا فليعلم مفتحر هذا الزعم ان الوقف على الذرية بما يخالف الفريضة الشرعية ليس فيه نص من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ يرتقي في قطعيته الى ان يكون مخصصاً لكتاب الله تعالى ، بل هو من توسع بعض الفقهاء المختلف فيه بينهم وحجة من يقول ببطلان هذا الوقف وحظره ، أقوى من حجة من يقول بجوازه وصحته ، ومن القائلين ببطلانه المحققون من الحنابلة وقد صرحوا ببطلان قاعدة الحنفية : ان شرط الواقف كنص الشارع ، وانما الوقف الصحيح هو ما يحبس على أعمال البر قربة لله تعالى ، وكل شرط خالف كتاب الله تعالى فهو باطل بنص الحديث الصحيح الذي لا خلاف في صحته ، وقد بينا هذا في المنار من قبل ، ولا محل له في هذا البحث ،

ثم ان الذين ينتقصون من بعض أحكام الشريعة في الميراث انما يخالفونها في توريث البنات غالباً فيحبسون أملاكهم على الذكور وحدهم ، فالتطور الذي يحتج به طلاب المساواة بين المرأة والرجل في الارث يقتضي حرمانها منه البتة لا

مساواتها للرجل فيه ، فان الذين يقفون أطيانهم ودورهم على أبنائهم يرون أن بناتهم لسن أهلا لارث شيء منها لانهن صرن أو سيصرن أرومات لأسر (عائلات) أخرى غير أسرة أبيهن ، ومن ثم كانوا فاسقين عن شرع الله العدل المبني على أساس الحكمة والرحمة

وأما ما كتبه الدكتور فخري في بحث الواجب المالي للامومة على المرأة المقتضي للمساواة عنده فهذا نصه السقيم بحروفه

« على المرأة واجبات مالية للامومة لانها - رغم قيام الرجل بمصروفاتها وأطفالها - مكلفة بحالة عجز زوجها عن القيام بواجباته المادية نحو العائلة بالعناية بأطفالها وبنفسها على الاقل ، هذا إذا لم تفكر - بعطفها المعروف عنها كامرأة تحب - في العناية بزوجها في حالة عجزه . فاذا كان لها موارد ثروة خاصة فانها ستصرف على العائلة ، ولذلك طالبنا بتعليم الفتاة حتى العلوم العالية أو الفنية التي تليق بها لترجع الى هذه المعارف إذا اضطرتها الظروف المعيشية الى الجهاد للحياة ، فتكون أسلحة الجهاد الشريف بين يديها . ومن هذا ترون أن المرأة عليها واجبات مالية للامومة رغم عناية الزوج بهذه الواجبات . وفي حالة قيام الزوج بكل واجبات العائلة المالية ثروة الزوجة تختزن للظروف ولتحسين حالة أبنائها وبناتها من بعدها سواء بسواء كما لو كانت الزوجة غنية وزوجها فقير فانهما سيصرفان على قدر ثروة الزوج إذا كان أبياً وسيخزنان ثروة الزوجة للاولاد ، وأما إذا قبل الزوج الصرف من مال زوجته فستكون مورد رزق العائلة

« هذا من جهة المرأة وواجبها نحو الامومة المتزوجة فما بالك في أمومة مترملة أو أمومة مطلقة أو أمومة غير شرعية ... ؟ هي هي كل شيء في القيام بحمل الصرف المالي على هذه الامومة ، ومن هذا ترون حضراتكم أن المرأة معرضة في حياتها لحمل عبء الامومة حملا تاما كالرجل ، فلست أدري لماذا يريد الرجل أن يعطيها نصف حقه في الميراث وهي انسانة مثله لها الحق في التمتع بميراثها كأخيها الرجل وعليها واجبات نحو أمومتها لا تقل عن واجباته نحو زوجته أهمية

« وان كان حق الميراث ناتج عن البنوة فهي أكثر منه عطفا على والديها وهي

أكثر منه براً بهما في شيخوختهما وفي مرضهما وفي ساعات بؤسهما وشقائهما »

هذا نص ما كتبه الدكتور فخري بعد قدح زناد الفكر، وطول التروي في الامر، ثم ألقاه في قاعة الخطابة من المدرسة الجامعة الاميركانية التبشيرية، كتبه بعد هذيان كثير في شأن المرأة وظلم الرجل لها وقفى عليه بما تقدم تفنيده في المقالة الماضية من التحكك بالشريعة الاسلامية. وهو يفرض بل يزعم أن أحكام الشريعة من تحكم الرجال وظلمهم للنساء

وانني أفند هذه الشبهات الواهية بصريح من القول لا أدعمه بشيء من المسلمات الخطابية، ولا أزينه بشيء من التخيلات الشعرية، ولا أشينه بشيء من الافك والبهتان، ولا من مكابرة الحس والوجدان، كما فعل فخري، وسبقه إلى مثله سلامه موسى وعزمي، وأبني التفنيد على رد كلامه وأقصد به الرد على جميع هؤلاء الدعاة الى فوضى الالحاد فأقول

يعترف هؤلاء الذين يوجبون بأهوائهم مساواة المرأة للرجل في الميراث بأن الرجل هو الذي ينفق على المرأة وعلى أولادها منه، ويعلمون ان هذا واجب لها عليه في الشريعة الاسلامية لها حق المطالبة به، وان القاضي الشرعي يحكم لها به ويكره الرجل عليه في حال الامتناع، وان لها أن تقترض عليه، ولا تكلف أن تشترى لنفسها رغيفاً ولا ثوبا، وان كانت أغنى من (هدى شعراوي) ولعلهم لا يجهلون أيضاً انه اذا امتنع أو عجز عن النفقة كان لها حق فسخ عقد الزوجية، وكان على القاضي أن يحكم بذلك اذا طلبته منه وثبت عنده الامتناع ثم هم يعترفون بانها اذا انفقت شيئاً في دارها على نفسها أو اولادها فانما تكون في حكم الشريعة متبرعة متفضلة، وان قال الدكتور فخري انها «واجبات مالية للامومة» فانه لا يفهم المعاني الصحيحة للالفاظ التي يكتبها وان كانت اقرب الى لغته العامية منها الى العربية الفصيحة، الا ترى انه لا يميز بين ما للامومة وما عليها ؟

ثم انه يصرح بأنه في حال قيام الزوج بكل ما يجب للعائلة من الحقوق المالية «تختزن ثروة الزوجة للظروف ولتحسين حالة أبنائها وبناتها من بعدها» يعني انها تكون مالا احتياطيا للعائلة يخزن في الصندوق الى وقت الحاجة اليه ولو بعد الموت

فليخبرنا هؤلاء الجناة على الشريعة الحق العادلة، وعلى أفضل النظم لقوام العائلة، أي عقل وأي قانون مالي في العالم يجعل المال الاحتياطي الذي يدخر

للحاجة العارضة في المستقبل مساويا للمال المعد في الميزانية لجميع النفقات الواجبة التي لا يمكن تأخير شيء منها ؟

نقول هذا وهو برهان لا يمكن رده على بطلان قولهم — على تقدير صحة زعمهم ان مال الزوجة المكنوز احتياطي مدخر للعائلة ، وهو لا يصح على اطلاقه بالاطراد كما هو مشاهد في هذا الزمان ، وسيصير شاذا اذا تفاقم خطب هذه الفوضى في حرية النسوان ، التي يسرف فيها دعاة الخروج على الشريعة والفسوق من هداية الاديان والحجة عليهم أظهر فيما ظنوا ان الحجة لهم فيه وهو ماعبر عنه الدكتور فخري بقوله « فما بالك في أمومة أرملة أو أمومة مطلقة ، أو أمومة غير شرعية » وهو يعلم من فساد هذه الأمومات الآن مالا يعلمه أكثر الناس ونقول قبل البحث فيها ان المطلقة الرجعية زوجة تجب لها النفقة ، فاذا لم يراجعها الزوج قبل انقضاء عدتها بانت منه وصارت كالارملة ، وكثيراً ماتتزوج المرأة منهن وتنفق جل ما كانت تدخره في سبيل الزوج الجديد إن لم تنفقه كله ، ومنهن من تقف أملاكها عليه وعلى أولاده منها دون أولادها من مطلقها ، وقد وقع في هذه الايام ان امرأة وقفت عقارها على زوجها وعلى أولاده من غيرها !

هذا مايقع كثيراً ممن عندهن بقية من الدين ، وأما اللائي قضت حرية الاباحة على عصمتهن الدينية فهن ينفقن ماادخرن من الثروة في سبل اتخاذ الاخدان ، والتمتع بالفسوق والعصيان ، ومن أغرب ماسمعته من أخبارهن في هذا العهد ان الوطنيات منهن يفضلن الاجانب من الاخدان على الوطنيين وينفقن عليهم الألوف الكثيرة من الجنيهات ، وان بعض الوطنيين سأل بعضهن عن سبب هذا الاختيار والتفضيل قائلا : ألسنا نحن أولى بكن من « الخواجات » فكان الجواب إنكم أنتم كثيرو الكلام دون الخواجات . وأخبرنا بعض المحامين ان أرملة من هؤلاء الارامل الغنيات ورثت من زوجها مالا كثيرا ولم يعجبها قصر أبيها الغني بعد أن أقامت فيه مدة قليلة فاستأجرت لنفسها داراً واسعة زينتها بأحسن الاثاث والرياش والماعون واتخذت فيها الخدم الكثيرين ، وكان مما عابته من دار أبيها ان الثلج يأتي إليها متأخرا ! ! للمقالات بقية

باب الانتقاد على المنار

﴿ انشقاق القمر . هم يوسف بامرأة العزيز . التأويل لدفع الشبهات ﴾

جاءت الرسالة التالية من البصرة بعد طبع جزء ذي الحجة فنشرناها في هذا الجزء وإن كانت على خلاف شرطنا والشرط العرفي عند أرباب الصحف وهو أن لا ينشروا شيئاً لمن يكتم اسمه عنهم وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الكريم المصلح الكبير والعالم الشهير السيد محمد رشيد رضا حفظه الله وبارك له في سعيه وسدده في كل ما يأتي وما يذر آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد استفدت من الجزء الاخير في المنار الاغر ميلكم إلى عدم انشقاق القمر معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم معللين ذلك بما يأبي ولرجائي أن أكون معكم من المتعاونين على البر والتقوى سأبدي رأيي راجيا العفو عما أتقدم به : ان أحاديث الانشقاق أتت في عامة الامهات لاسيما الصحيحين على ما فيها من حسن وصحيح ومرسل ومسند واثبته التاريخ العربي والعجمي ، واظهر من ذلك أن الآية في الانشقاق قد كانت تتلى بحضر المسلم والكافر فلم نسمع بمنكر مع أن الضد بالمرصاد ومضى على ذلك القرون الكثيرة ما بين ناقل لذلك ومقر عليه .

واختلاف الاحاديث فيه مع ورودها على معنى واحد وهو الاثبات لا يوجب الرد ، واتفاق آية (سبحان) مع آية الانشقاق سهل يسير وهو ان آية سبحان دلت على منع الاقتراح المعين وآية الانشقاق أتت بغير اقتراح أو باقتراح لم يعين ، هذا ما دلت عليه الاحاديث المعتمدة ، وأما مجيء آية الانشقاق باقتراح معين فلا يصح كما بينتموه وفرق بين حصول الآية باقتراح معين وحصولها بغير اقتراح أو باقتراح لم يعين ، القسم الاول يعقبه الهلاك لانه جاءهم عين ما طلبوا فلم تبق لهم شبهة ، وأما القسمان الاخيران فلهم شبهة تدرأ نزول العذاب بكون الآية لم تقنعهم ،

وأما تفسيركم الآية بان الانشقاق كناية عن ظهور الامر واتضاحه واستشهادكم عليه من اللغة فلا ريب أن العرب تقول انشق الصبح بمعنى ظهر وبان ، وأما انشق القمر بمعنى ظهر الحق وبان فلا نسلم ان العرب تستعمل مثل ذلك ويكاد أن يكون لغزاً لا يتفق مع بيان القرآن

وقد ذكرني ذلك تفسيركم لهم يوسف بامرأة العزيز بالضرب وكلا التفسيرين بالنفس منهما شيء فقوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) دليل على أن المتقدم أمر لا يليق بمنصبه الشريف والهم عارض لا مستقر ولا هو بوسع الانسان وإذا دفعه بعد رؤية البرهان فهو من الكمال ولا يمس منصب النبوة بسوء

ومما يناسب ذكره قولكم جوابا لرسالة عالم القصيم عبد الرحمن السعدي «قد يكون التأويل هو المنقذ الوحيد في الرد على» الخ وهذا لا يتفق مع جهادكم الجهمية وأمثالهم وليس في القرآن ولا السنة ما ظاهره يحتاج للتأويل على شرط أن يؤخذ الحكم من مجموع السياق لا من مفرداته

وأما قولكم لا علاقة بين الانشقاق ودعوى النبوة حتى يكون علامة عليها فله علاقة لاصقة وهي انه لما أخبر الله باقتراب الساعة التي هي خراب العالم أجمع وكانت قريش تنكر ذلك أراهم الله آية محسوسة وهي شق القمر فرقتين فالقادر على تخريب هذا الجرم الكبير واعادته كما كان قادر على إيجاد الساعة التي أخبر بها الرسول ﷺ والآية بعدها تثبته ، وأما تصدير الجملة بالشرط فهو يفيد انهم سيكذبون بكل آية يأتي بها الرسول ﷺ ليس التكذيب مختصاً بهذه المعجزة وإن رغبتم الوقوف على كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الانشقاق فهو في نمرة ٥٥ من الجزء الاول من الجواب الصحيح وبالختام أرجو الله أن يكون معكم وفي عونكم كما اننا نسأله أن يجعلكم مؤثرين للحق ، وقد علمت من بعض الاخوان محبتهم لمبادلتكم الافكار في شيء من البحوث بيد انهم يخشون عدم رغبتكم فهذا رأيي الضعيف ، والمرجو أن عفوكم يسع ما تقدمت به حضرتكم

صديق نجدي

﴿ تعليق المنار ﴾

رغبتنا في انتقاد النجديين

لقد كان أخونا الكاتب في غنى عن الاعتذار وطلب العفو في أول رسالته وآخرها ، فإنما يكون الاعتذار وطلب العفو عما كان ذنباً وإن في العرف ، ونحن نسر بالانتقاد ونعده إحسانا الينا وإلى قراء مجلتنا لانه من أسباب تمحيص الحقائق ، ولاسيما انتقاد طالب الحق المخلص فيه ، بخلاف مريد النيل من المنتقد عليه ، أو مريد إظهار علمه إعجابا به . وقد سبق لنا أن نشرنا لبعض المنتقدين مافيه تصريح بتجهيلنا بل مايتضمن تكفيرنا لئلا يتوهموا اننا تركنا نشره كراهة لاظهار علمهم أولاجل إخفاء جهلنا ، ومنه مالامنا كثير من فضلاء القراء على إضاعة وقتنا وقتهم به

وكأن سبب ما ذكر من حب بعض الاخوان لمبادلتنا الافكار وخشيتهم عدم رغبتنا في ذلك أنهم لم يروا في فواتح مجلدات المنار أو خواتيمها دعوة القراء إلى أن يكتبوا لنا مايرونه فيه مخالفا للحق أو لمصلحة الامة

وأزيدهم انني كنت منذ سنين كثيرة أتمنى لو يطلع علماء نجد على المنار ويكتبون الينا بما يرونه فيه منتقداً لما نرجو أن نستفيد منهم ويستفيدوا منا ، أما الاول فلأنهم لشدة اعتصامهم بالسنة ومقتهم للبدع والمعاصي وقلة وجودها في بلادهم وقلة قراءتهم للكتب التي يكثر فيها تأويل بعض البدع وعدها مشروعة يكون لهم دقة نظر في نزغات الشرك الخفية والمشتبهات بين الحلال والحرام والتأويلات المنكرة وسائر ما يخالف طريق السلف مما قد يخفى علينا بعضه أو يفوتنا إنكاره لكثرته وألفته بكثرة أهله وكثرة كتبهم — وأما الثاني فلأنه يخشى أن يكون من لوازم التشدد في الدين وقوع بعضهم في الغلو المنهي عنه بعدّ بعض المباحات المستحدثة من البدع المنكرة ، أو ماليس من الشرك الجلي منه ، أو تحريم مالم يحرمه الله ورسوله ، ويدخل في هذا بعض العلوم والفنون والصناعات الحادثة التي تقوم الدلائل على ندبها أو وجوبها لمافيها من المصالح العامة في قوة الامة والدولة الحربية والمالية

وقد كنت كتبت إلى إمام نجد منذ بضع عشرة سنة كتابا ذكرت له فيه انني أرغب في إطلاع علماء نجد على المنار ومطالبتهم بأن يكتبوا إلي بما يرونه فيه منتقداً بالادلة الشرعية لاجل نشره وفتح باب المناظرة بيني وبينهم فيه وانني سأرسل اليه عشر نسخ من كل جزء لاجل توزيعها على كبارهم هدية مني، وقد ظللت أرسل هذه النسخ من طريق البحرين عدة سنين ولكن لم يصل إلي ما يدل على وصولها فلا أدري مافعل الله بها، ولكن علمت أن عمال البريد البريطاني الذي ينقل الرسائل والمطبوعات إلى بلاد العرب من طريق الهند كانوا يمنعون بعض مالا يحبون وصوله الى أهله من المطبوعات حتى إذا كانت الحرب العامة اشتدت المراقبة عندهم وفي جميع مكاتب البريد الدولية، وكثر اختزال كل ما يرونه ضاراً بسياستهم ولو بالشبهة البعيدة

ولما صار يسهل على النجديين الاطلاع على المنار في الحجاز لم يبلغني عن أحد منهم انتقاد على شيء مما ينشر فيه ولو في أحاديثهم مع بعض الناس إلا ونشرته وبينت ما عندي فيه الا أن يكون شيئا سخيفا يعد نشره إهانة لقائله ولا يفيد أحداً

بعد هذا التمهيد المقصود لذاته في باب الانتقاد على المنار أقول :

مسالة انشقاق القمر

(١) ان شراح دواوين السنة ولاسيما فتح الباري شرح صحيح البخاري وبعض المفسرين قد ذكروا أن بعض الناس أنكروا هذه القصة وان بعضهم استشكلوها من عدة وجوه منها أنها مما تتوفر الدواعي على نقل الامم لها بالتواتر ولم تنقل كذلك فمن المستغرب أن يدعي المنتقد إثبات تواريخ الامم لها وأن جميع الناس تلقوها بالقبول

(٢) ذكرنا ان الاشكال الاكبر عليها عندنا هو التعارض بين الحديث والآيات الكثيرة في مسألة التحدي بالقرآن ولا حاجة إلى شرحه هنا، ولم أر أحداً من العلماء ذكره وأجاب عنه كما ذكروا غيره من الاشكالات وأجابوا عنها ، وليس التعارض بين آية الانشقاق وآية الاسراء وحدها بل هناك آيات متعددة ذكرنا بعضها في بحثنا ، فمن كان يرى أن لاتعارض في المسألة كالمنتقد فلا إشكال عنده فيها وها نحن أولاء قد ذكرنا دليله على عدم التعارض ونود أن يقبله جميع الناس، ولهذا لانرد على

ماترى فيه من ضعف ، فانه لا غرض لنا من البحث كله إلا أن يكون القرآن في الافق الأعلى من توجيه أي اعتراض عليه فيتضاءل دون وصوله اليه ، إلا اننا نقول ان صح فرضه ان الآية وقعت بدون اقتراح زول هذا الاشكال من أصله

والفرق بيننا وبين من يكتبون لتأييد مذهب كلامي أو فقهي ان هؤلاء على اختلاف صفاتهم لا يقبلون مايخالف مذاهبهم . وأما نحن فلا نلتزم مذهب امام معين فنجعله أصلا ترد اليه نصوص الكتاب والسنة بل كلام الله ثم كلام رسوله عندنا فوق كل مذهب وكل امام فكل ماوافقهما فهو مقبول عندنا وكل ماخالفهما فهو مردود ، فان تعارضا ولم نهتد إلى الجمع بين المتعارضين ببحثنا ولا بارشاد غيرنا لم يكن لنا مندوحة عن ترجيح كلام الله تعالى وهو القاعدة المتفق عليها عند سلفنا الصالح وأئمة السنة. وأهون من ذلك أن يكون التعارض بين نص كلام الله أو كلام رسوله وبين أقوال مروية عن بعض الصحابة في بيانهم لشيء منهما كحديث انشقاق القمر فانه لم يروه أحد مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم

(٣) قوله : وأما تفسيركم لانشقاق القمر الخ يدل على انه تفسير انفردنا به لم يسبقنا اليه أحد ، وليس الامر كذلك وانما نقلناه عن غيرنا واخترناه على تقدير ماظهر لنا في الرواية . وعدم تسليمه إياه ليس حجة على الذين قالوا به وهم أعلم منه ومنا بهذه اللغة وناهيك بالراغب صاحب كتاب مفردات القرآن الذي لا نعرف أحداً من علماء اللغة يحدد معاني الكلمات العربية مثله . ولا تتوقف صحته على سبق نطق العرب به فالقرآن حجة على العرب وغيرهم وكم له من تعبير مبتكر لم يعلم نطق العرب به بل يعجزون عنه. وقد نقله شارح القاموس عن الراغب وأقره ولم يقل ان اللغة العربية تتبرأ منه ولا انه لايفهم ويصح أن يعد من الالغاز . ولعله لولم ينقل عن العرب قولهم انشق الفجر والبرق لعده المنتقد مما لايفهم أيضاً

(٤) ماذكره من العلاقة بين دعوى النبوة وانشقاق القمر بصرف النظر عن الحديث فيه وهو إثبات قدرة الله على البعث غريب جداً ولاحاجة بنا إلى المناقشة فيه ولا سيما دلالته وانما نذكره بأنه يخرج بالحديث عن موضوعه وعن كونه تفسيراً للآية ، وبان العرب لم تكن تنكر قدرة الله تعالى وما كل مايقدر تعالى عليه يفعله

(٥) ما كتبه شيخ الاسلام في المسألة قد اطلعنا عليه من قبل وهو مبني على المشهور المسلم من ان القمر قد انشق جرمه بالفعل وأن المنكرين لذلك من المخالفين فيه انما ينكرونه لأنه معارض عندهم بعقولهم وبقول علماء الهيئة المتقدمين ان الفلك لا يقبل الخرق والالتئام ويرد عليهم كغيره بقدرة الله على ذلك .

وقد بينا أن مسألة الافلاك واستحالة عروض الخرق والالتئام لها نظرية يونانية سخيفة أجمع علماء الفلك في هذا العصر على بطلانها ، ولو فكر شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في مسألة معارضة الآيات لحديث اقتراح كفار قريش على النبي صلى الله عليه وسلم آية على صدقه وكون القمر قد انشق إجابة لهم إلى هذا الاقتراح كما جرى عليه هو وغيره أخذاً بحديث أنس المرسل وكون المعارضة من وجهين أحدهما الاكتفاء بالقرآن في إقامة الحجة على رسالته صلى الله عليه وسلم ، وثانيهما كون إعطاء الآية باقتراح الكفار يقتضي وقوع العذاب كالذي وقع على الاولين ، وثم وجه ثالث مصرح به في بعض الآيات وهو عدم الفائدة في إجابتهم اليها — نعم لو فكر وأجال قلمه السيال في هذا لرأينا من تحقيقه فيها مالا يدع مجالا لقائل ، كدأبه في أكثر ما يحققه من المسائل ، ولكن شغله عن التفكر في هذا توجيه همته كلها إلى الرد على أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين يردون كل ما يخالف نظرياتهم وآراءهم . وهذا الفقير على اعترافه بل افتخاره بأنه استفاد من كتب شيخ الاسلام قدس الله روحه ما كان أعظم مثبت لقلبه ومقو لحجته في مذهب السلف الصالح يصرح بأنه على إعجابه بتحقيقه لا يقلده في شيء من أقواله تقليداً ، بل يعده ممن يدخل في عموم قاعدة الامام مالك (رض) كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر — يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن المعلوم ان له كأمثاله من المجتهدين عدة مسائل انفرد بها أو اختارها على ماهو أقوى منها في مذهب الامام احمد لا يوافقه جمهور الحنابلة عليها كلها ومنهم علماء نجد المتأخرون

مسألة هم يوسف وامرأة العزيز

استدل الاخ المنتقد على رد ما اخترناه في تفسير قوله تعالى (ولقد همت به وهمّ بها) بأن قوله بعده (لولا أن رأى برهان ربه) يدل على أن موضوع الهم لا يليق بمنصب يوسف الشريف (ع . م) وهو غفلة منه عن كون همه بمثل ماهمت به من الانتقام

بالضرب لايليق بمنصبه الشريف أيضاً ، واذا كان الضرب الخفيف من المعاصي الصغائر في نفسه فهو في مثل هذه الحال قد يفضي إلى القتل أو الى مايقرب منه كما وقع لموسى عليه السلام إذ وكز القبطي دفاعا عن الاسرائيلي فقتله

وليعلم الاخ المنتقد أنني ما اخترت هذا القول لأجل موافقة الآية لقول من قال من المتكلمين بعصمة الانبياء عليهم السلام قبل النبوة وبعدها من كل ذنب ، فالقرآن عندي فوق المتكلمين وغيرهم ، بل فوق كل علم وكل شيء خلقه الله . واني اقول ان آدم قد عصى ربه حقيقة كما قال الله تعالى بغير تأويل ، وانما اخترت ذلك القول في الهم لانه المتبادر من استعمال اللغة والموافق للمعهود من طباع البشر والمؤيد بما بعده مما بينته في محله ، وقد قال به بعض العلماء قبلي

مسألة التأويل

ماقاله المنتقد في مسألة التأويل مجمل وهو يدل على انه لم ير في المنار ولا في تفسيره شيئا مما كتبته في هذا الموضوع مرارا وملخصه أن ما أدين الله تعالى به في صفات الله تعالى واخبار عالم الغيب وغيرهما من كل ما كان عليه السلف من أمر الدين هو اتباع جمهورهم في اثبات ما أثبته الله تعالى ورسوله ونفي مانفياه من غير تعطيل ولا تأويل . وانني ان ذكرت لبعض الآيات في ذلك تأويلا فانما أذكره لما أعلم بالاختبار من ان من الناس من لا يقتنع بحقية النص بدونه مع العلم بان علماء السنة قد صرحوا في القديم والحديث بان من خالف ظواهر النصوص متأولا لا يكفر . وان انقاذ كثير من الناس من الكفر بضرب من التأويل الذي ينافيه أمر عظيم و « لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم »

وأما قوله انه ليس في الكتاب ولا في السنة مايحتاج الى التأويل الخ ان أراد به تأويل غلاة المبتدعة كالباطنية وقدماء الجهمية المعطلين المخرج للكلام عن مدلولات اللغة فهو حق وهذا لايجوز بحال من الاحوال ولا هو بالذي يعد عذراً للمتأول — وان أراد به مايشمل صرف الكلام عن ظاهر مدلوله اللغوي الذي يسمى حقيقة لغوية إلى مجاز أو كناية أو تمثيل فقد قضى على بلاغة القرآن وسعة علومه قضاء لايقوم عليه دليل بل يقوم الدليل على خلافه وقد صح في الاحاديث المرفوعة تأويل بعض الآيات كما يرى في

تفسير (يوم يحمى عليها في نار جهنم) من هذا الجزء . ومجال القول في تاويل الاحاديث أوسع لان أكثرها منقول بالمعنى ولم يتواتر باللفظ إلا قليل منها كما صرحوا به . وماذا يقول المنتقد في حديث خروج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فوق السماء السابعة ؟ ومنابع هذين النهرين وغيرهما في الارض معروفة بمساحتها ومجاريها يستطيع أن يراها كل أحد ولاسيما النيل ، أفلا يحتاج هذا الحديث إلى تأويل ؟ ولا يتسع هذا التعليق لأكثر من هذه الكلمة الموجزة فيه وفي أصل التأويل ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

أنباء العالم الإسلامي

أحوال مسلمي روسية

جاءنا الخطاب الآتي مطبوعا فنشرناه مع تصحيح قليل وحذف بعض المكرر منه

إلى العالم الاسلامي

عالم الاسلام ! هل تعرف كيف يعيش إخوانك المسلمون في روسيا ؟ هل تتصور كيف يتألمون من الظلم هناك ؟ هل تشعر كيف ينال الثلاثين مليون مسلم حرب دينية لم يسبق لها مثيل في التاريخ ؟ لا ، لاتعرف ذلك ولا ترى ولا تشعر بذلك . أنت لاتسمع العويل من هذا الرق . فلو تصورت دماء المسلمين المراقة هناك منذ ١٢ سنة والدموع السائلة ، والزفرات الصاعدة ، ما كنت ترضى بها دون أن تقوم ضدها . ولو نظرت إلى الآلام التي يصاب بها المسلمون لانهم مسلمون ما كنت تحافظ على قلة اهتمامك حتى الآن .

عالم الاسلام ! انظر إلى الاحوال هناك !

يعيش في روسيا في الاصقاع المختلفة مثل قريم والقوقاس والتوركستان والولغا واورال ٣٠ مليون مسلم لم يهاجروا إلى تلك البلاد من بلاد أخرى بل هم أهلها الاصليون . وقد وقعت بلادهم الغنية الجميلة في أيدي الروس المتعصبين الذين لايعرفون احترام الاديان الاخرى وصاروا رعيتهم . وبذلك اضطروا

إلى مقاومة الظلم الروسي منذ عصور، الذي (كان) يرمي إلى تنصيرهم وجعلهم روسا بالقوة . وليس من النادر ان ماتوا في الحرب من أجل دينهم المحترم المحبوب موتة فظاعة وشهادة . وهم أبوا إجابة طلب ظالمهم أن يخونوا مدنيتهم التي جاوروها واتصلوا بها عصوراً طويلة ويتخذوا مدنية غريبة . وقد تحملوا لثباتهم ضحيات كبيرة جداً وبالرغم من الظلم قد دافعوا عن عقيدتهم حتى الآن ، وإذ لم يستطع الروس تنصيرهم فقد استطاعوا محو أكثر معالم مدنيتهم .

والآن (صارت) الامة الروسية متهافتة على شيوعية متعصبة كما كانت متهافتة على نصرانية متعصبة . وهي تفكر في جعل روسيا الواسعة شيوعية وفي إدخال الثلاثين مليون مسلم في الدين الجديد اللينيني ، وتريد قطعهم عن دينهم ذي الالف سنة وعن عاداتهم الاسلامية وهكذا تخرب الجماعات الاسلامية التي تعيش هناك وتهدم المدنية الاسلامية .

عالم الاسلام ! ان الاصقاع الاسلامية سواء كانت حرة سياسية أو تحت حكم حكومات أوربية لم تر ظلما مثل مافي روسيا . اسمعوا ماذا يحدث هناك : في مدن وقرى هؤلاء الثلاثين مليون مسلم أغلقوا المدارس التي يدرس فيها الدين . واليوم لايوجد ولا مدرسة تعلم الامة القديمة الاسلامية الاسلام ، والتي تخرج لهذه الامة الامام ، والمؤذن ، والخطيب والواعظ . هذه المدارس صارت معسكرات (كومونيستية) وليس هناك حرية لاعادة المدارس ثانية . كانت تطبع من قديم لسد حاجة الثلاثين مليون مسلم في مطابع اسلامية ملايين من نسخ القرآن والكتب الاسلامية . وكان هناك ٤٠ — ٥٠ مطبعة وآلاف من المكاتب التي لم تنشر هذه الكتب بين المسلمين في روسيا فقط بل كانت ترسلها إلى عالم الاسلام أجمع . الآن لايوجد شيء من هذا ، فحكومة موسكو امتلكت المطابع كافة . فبدلا من القرآن والكتب الاخرى تطبع الآن المقالات الشيوعية . والمكاتب الاسلامية ومحتوياتها أخذت من طرف الحكومة البولشفية ونهبت ، ومنذ تحكم البولشفية في بلادنا لم يطبع القرآن ولا كتاب ديني ، لان طبع وتوزيع أي كتاب ديني ممنوع ، واستجلاب الكتب الدينية من الخارج مستحيل وفاعله يعاقب

عالم المحمديين ! انت حر في احترام دينك اينما تعيش في وطنك أو في أوربا أو في افريقيا لايمنعك عن ذلك أحد ، ويمكنك أن تقوم في كل وقت بصلواتك وصيامك . ويمكنك أن تعيد أعيادك في بلدان أوربا الكبرى كبرلين ولندرة وباريس ورومية كما تحب ، وان الاوربي والاميريكي يحترم دينك وصلاتك ، ولكن الحال في روسيا الكومونيستية الحالية غير ذلك . هناك تعد الصلاة والدعاء والصيام والذهاب إلى الجامع جريمة . والموظف يضيع وظيفته إذا صلى وصام . وإذا ماعقد زوجان شابان زواجهما على يد إمام يطردان من وظيفتهما ، وإذا رؤي عامل في الجامع وجب عليه ترك شغله . وفي أيام العيد الاسلامية تقام مظاهرات بالموسيقى والابواق أثناء صلاة العيد لجرح عواطف المسلمين ، وهؤلاء المظاهرون يدورون صارخين حول الجامع ليشاغبوا على المصلين في صلاتهم وسكوتهم ، ويرمون المصلين بالاقذار ، ويقذفون الاسلام ونبينا محمداً ﷺ بأقبح الكلام ، ويغنون أغاني قذرة على قديسي الاسلام ، وفي عيد الاضحى يأتي هؤلاء المظاهرون ببعض الخنازير ويدعوها تصيح أثناء الصلاة ، ويذبحوها قرب الجامع وهم يسمونها ضحية ، وأولاد المسلمين الذين هم تلاميذ يضطرونهم لأكل طعام الضحية من الخنزير ، وكل هذه المسائل تحسب من ذنوب الحكومة الشيوعية ، وبمساعدة الحكومة يقوم عسكر وموظفون ودرك في مثل هذه الاعياد الاسلامية بهذه الفظائع التي تثقل الضمير الاسلامي .

عالم الاسلام ! ان المؤمنين الشجعان يذهبون لنجاة أرواحهم كل سنة آلافا مؤلفة إلى البلاد المقدسة ويحجون إلى الكعبة المقدسة ، ويمسون بوجوههم القبر المقدس للنبي عليه السلام ، ويطلبون رحمة القديسين (١) وهم يرجعون فرحين مؤمنين إلى أوطانهم . وقد كان مسلمو الروسيا يزورون في السابق

(١) المنار : القبر الشريف لايمسه أحد من الزائرين بل قلما يراه أحد لانه في الحجرة النبوية الشريفة وانما يقف الزائرون امام الحجرة ويسلمون على النبي (ص) وعلى صاحبيه رضي الله عنهما . ويدعون الله تعالى وحده ويطلبون رحمته لا رحمة القديسين ، ويعني بهم الكاتب الصالحين ، والتعبير بالقديسين اصطلاح نصراني

أيضا البلاد المقدسة ، وهناك يقابلون المسلمين من أقطار أخرى ، ويتزودون بحديثهم تجارب دينية ، فكان يذهب لا أقل من عشرة آلاف حاج إلى البلاد المقدسة ، أما اليوم فلا يراهم ولا يسمعهم هناك أحد ولم ير منذ اثني عشر عاما حاج واحد من روسيا لأن السيادة الشيوعية تمنع الحج (١)

عالم الاسلام ! في كل مكان حيث أنت موجود يمكنك أن تسير على القوانين الاسلامية وتتبعها . و أئمتك ومؤذنوك ومدرسوك وجميع وكلاء الدين الآخرين محترمون وقد كان الامر في بلادنا أيضا كذلك .

أما الآن فمنذ وقعت بلادنا تحت الحكم البولشفي فان أئمتنا وخطباءنا ووعاظنا ومؤذنينا ليسوا محترمين . وانهم خارجون عن كافة الحقوق الانسانية حسب القوانين الكومونيستية ، ولا يمكنهم أن يتقلدوا وظائف دنيوية أو معنوية ولا يمكنهم ان ينتخبوا او يُنتخبوا ولا ان يشتركوا بالرأي والمشورة عقلياً . بل هم تماما بلا حقوق . وقد وضع عليهم بصفتهم من طبقة دينية خاصة ضريبة . وهي ان يدفعوا ٤٠ ـ ٥٠ في المئة بل ١٠٠ في المئة أكثر مما يدفع سائر الناس من الضرائب واذا لم يستطيعوا الدفع لفقرهم فان الحكومة البولشيفية تصادر دورهم وأملاكهم وترسلهم إلى سيبيريا .

أيها المسلمون ! كان عندنا قريب ٢٥٠٠٠ جامع وهذه كانت تبنى منذ ألف سنة من الجماعات الاسلامية وقد اشتريت لها من دراهم المسلمين سجاجيد وماشابهها . وأسست خزائن مخصوصة للمحافظة على هذه الجوامع ، وهذا كله مالنا وارثنا من آبائنا ، ولكن بعد أن وقعت بلادنا في أيدي الكومونيست أعلنوا ان هذه الجوامع وخزائنها هي أميرية اي ملك الروس المسكاو . وقد نهبت السجاجيد والاشياء الثمينة التي في الجوامع وصودرت السجادة التي وهبها الخليفة السلطان محمد رشاد سنة ١٩١٧ لجامع بطرسبورغ (اليوم لينينغراد) ويطلبون للصلاة في الجامع ضريبة خاصة ، وهذه الضريبة عالية فوق الطاقة . وان الجوامع التي لا تدفع جماعاتها ضرائب

(١) منذ خمس سنين حج بعض مسلمي روسية وحضروا المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة وما سمعنا ان احدا منهم حج بعد ذلك

تغلق أو تجعل أندية عامة اوصالات رقص ولعب اومدارس غير دينية ، او إلى حانات حمراء . وكثير من الجوامع التاريخية القيمة تخرب وتهدم ، وأما في وطننا (إيدل أورال) (ولغا أورال) — وهي مركز الادارة العليا للمسلمين في روسيا — فان حرب الاديان في منتهى الشدة . وفي سنة ١٩٢٩ تأسست في (ايدل اورال ، قازان استراخان ، اوفا ، أورينبورغ) بمساعدة الحكومة جمعيات لادينية من العسكر والموظفين لهدم كافة الجوامع ، وهؤلاء يغلقون الجوامع بالقوة ، وينهبون من المقابر الاسلامية الاحجار التاريخية والشبابيك من قبور القديسين ويخربونها .

وقد أغلق في السنين الاخيرة في باشكيرستان قسم من (ايدل اورال) عدد كبير من الجوامع ، وقيل كثير من الروحيين من وظائفهم ، نأخذ هذا كله من الجريدة الكومونيستية الرسمية (ينا اول) وان عدد الذين استقالوا مضطرين : ٥٠٢ من الائمة و ٣٦٣ مؤذنا وأغلق ١٠٣ من الجوامع

نحن ننظر الى هذه المظالم في المسلمين في الروسيا ونعطي هذه التفاصيل كمحاربين لاستقلال منطقة (ايدل اورال) ونرجو المساعدة منكم ومن باقي اخواننا في العقيدة ، أفق ياعالم الاسلام ولا تدع عقيدتك تدنس بايد وسخة ، ولا تسمح بان يداس اخوانك بارجل الظلم ، فاستيقظ ! اه (ختم الجمعية)

[المنار] جاءتنا هذه الرسالة في البريد مطبوعة مختومة بختم المركز العام لجمعية استقلال (ايدل اورال) فنشرناها انتصاراً لاخواننا المسلمين المظلومين في البلاد الروسية الذين انتقلوا من ظلم القياصرة الى ظلم الشيوعيين الذي يفوقه في القسوة والاستعباد أضعافا مضاعفة ، والعجب من غفلة هؤلاء الاشقياء كيف يطمعون في نشر نفوذهم في الاقطار الاسلامية حتى العربية منها مع هذا الاضطهاد الذي يسومون به مسلمي بلادهم سوء العذاب . ان الشعوب الاسلامية قد ضاقت صدورها من عدوان الدول الرأسمالية المستعمرة واستبدادهم ولكنهم لا يرجحون عليها دولة كافرة معطلة تعادي الاديان ، وتكفر بالرحمن ، وتحتقر وجدان الانسان ، ولولم تقهر الدولة البولشفية الناس وتكرههم على ترك دينهم لكثر أنصارها في كل مكان .

ان احتجاج الصحف وحده لا يرد هؤلاء البغاة عن بغيهم ، وإننا نذكر اخواننا

المسلمين الذين يرون بعض دعاة البولشفية في بلادهم بأنه يجب عليهم أن يبينوا لهم سوء تأثير اضطهادهم لأبناء دينهم في بلادهم، ونقترح على كل حكومة إسلامية عندها سفير أو مادون السفير من المعتمدين السياسيين ان تخاطبه في ذلك وتفعل مافعلت دول أوربة في الاحتجاج على اضطهاد النصارى ، وأولى الحكومات الاسلامية بهذا حكومتا اليمن والحجاز ونجد ، لانهما دينيتان يلقب رئيس كل منهما بامام المسلمين

هذا وان في قطر آخر من الاقطار الاسلامية اضطهاداً لشعب إسلامي كبير ومحاولة منظمة لرد أولادهم عن دينهم بتعميم التربية والتعليم الاجباريين وهذا لا يقل خطره عن اضطهاد دولة الروس البلشفية لمسلمي بلادها، بل ربما كان هذا الخطر الهادىء المنظم أشد وعاقبته أسوأ ، والواقع عليهم يرون انهم لا يستطيعون التظلم والشكوى ،لان كل من اعترض منهم يسام سوء العذاب ،والحق انهم يجب عليهم ذلك وان مايقع عليهم من العقاب لا يكون أشد مما هم صائرون اليه في الدنيا ثم في الآخرة ، ولكن لابد لذلك من نظام ، ليكون له قوة الرأي العام

رسالة مهمة من الصين في حال من فيها من المسلمين

إلى منشيء المنار وناظر دار الدعوة والارشاد بمصر مولانا رئيس أهل السنة والجماعة محمد رشيد رضا

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فيا مولانا إني رجل من معلمي العلوم الاسلامية في بلد (القواندن) ياسيدي ان دين الاسلام في الصين داخل في الضعف والخمود يوما فيوما كأنه على شفا جرف هار لاحول ولا قوة إلا بالله تعالى سببه ان مسلمي الصين أكثرهم قليلو الديانة وجاهلون العلوم الاسلامية والقرآن والحديث وتاركو الصلاة والفرائض ، بل أكثرهم لايعلمون حقيقة الايمان وهم مقلدون . وأكثرهم ما كان لهم علم واسع ولا ديانة . يشتغلون بقراءة القرآن عن الغير عن تعليم العلوم الاسلامية ونظر الكتب الدينية وتبليغ الشرع

وان الفقير (أنا) تحسر على غربة الدين في الصين ووضع هو واخوانه مجلة الاسلامية الدينية العلمية المترجمة بالصينية . ويرتجي الآن أن يستعين على

هذا الخطب الخطير من جنابكم، وانه استمع (أن) مجلة المنار كأنها شمس ولم يروجها الجميل، وترجى أن يشتري نصيبا منها كل شهر وترجمه وشاعه (كذا والمراد ترجمة هذا النصيب واشاعته في الصين) ولكن لم يدر محلة مجلتكم الشريفة. فالمرجو من كرمكم أن تخبروني محلة مجلتكم وكيفية الشراء وثمن الجرائد المنارية كم هو لارسل الى جنابكم الثمن والسلام؟ في أوائل شهر المحرم الحرام

الداعي أحقر خادم الطلبة ومبلغ الدين الاسلامي ومدير المجلة الاسلامية

في القواندن عثمان بن الحاج نور الحق الصيني الحنفي

الجواب

(المنار) لبيك لبيك، والسلام عليك وعلى من لديك ورحمة الله وبركاته، ومجلة المنار ترسل اليك هدية مع هدايا أخرى، واعلم أن صاحب المنار ليس رئيسا لأهل السنة والجماعة بل خادما ضعيفا مخلصا، بل ليس لاهل السنة والجماعة رئيس عام، يعني بشؤون الاسلام، والذنب في ذلك عليهم فنهم فوضى، ولكن يرجى ان يتجدد لهم في هذا العصر شيء من النظام

الدين قبل كل شيء

إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الاسلامي الغيور على دينه فؤاد الاول نصره الله. ثم إلى دولة رئيس الوزراء وأصحاب المعالي الوزراء ثم إلى مجلسي شيوخنا الاجلاء ونوابنا المحترمين

نبث آلاما أحاطت بنا حتى كدنا نموت أسفا وحزنا على ماحل بديننا الحنيف في هذا القطر. ذلك القطر العربي الاسلامي العظيم وبه الازهر الذي هو أكبر جامعة إسلامية ومن مواد الدستور المصري أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ومع هذا فقد راعنا أن معالم الدين الآن آخذة في الاضمحلال والفناء، والاخلاق انهارت وتدهورت، والرذيلة سادت الفضيلة، وحشرات الالحاد برزت إلى حيز الوجود ترفع رأسها غير آبهة، وصحفنا اليومية تمحضت للسياسة

إلا قليلا جداً وتركت معاول التضليل تهدم في صرح دين الدولة المصرية الرسمي حتى أفسدت أخلاق الشبيبة . وبالجملة فالامر جد خطير وأملنا وطيد في رجال حكومتنا الذين لانشك في إخلاصهم للوطن وحبهم لرفعته أن يأخذوا بناصر الدين ويضربوا على أيدي الملحدين والمفسدين، وأن يعطوا لتلك المادة القائلة بان دين الدولة الرسمي هو الاسلام حقيقتها ومدلولها وإلا كانت اسمية فقط ، وتتلخص فيما يلي

(١) أن يدخل التعليم الديني في المدارس الحكومية وغيرها دخولا يكون معها مادة أصلية أساسية لا اضافية حتى يخرج النشء عارفا بدينه نافعا لامته

(٢) أن يقرر بجميع المدارس الالزامية قسم لحفظ القرآن الكريم جميعه

(٣) منع البغاء الرسمي في الدولة المصرية المسلمة

(٤) تحريم الخمر الرسمي في الدولة المصرية المسلمة

(٥) عقاب تارك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وبتعميمها في أفراد الامة المصرية يستتب الامن ويقل الاشرار وتتلاشى الجرائم وتستريح الحكومة

(٦) عقاب من يتجاهر بالفطر في نهار رمضان

(٧) مما لامراء فيه أن الدين الاسلامي ليس كغيره من الاديان بل هو صالح لكل زمان ومكان ولذا ختم الله به الدين وجعله عاما للخلق اجمعين ، ولا يعجز حكومتنا الاسلامية رسميا أن تكون اسلامية فعلا بالعمل بقواطع الدين وتخصيص لجنة لذلك من هيئة كبار العلماء المفكرين، لازلتم للدين الحنيف ناصرين، وللواء الفضيلة رافعين، آمين　　　أهالي برنبال مركز فوه مديرية الغربية

عنهم ابراهيم عريقات

رسالة من مؤلف كتاب (حياة محمد) في باريس

الحمد لله وحده

الى سيدي مدير مجلة (المنار) الغراء

تحية وسلاما وبعد فاني قرأت في مجلتكم مقالا للسيد اليزيدي على كتابي (حياة محمد) أنا لا اريد هنا مناقشة مطولة مع صاحب المقال فيكفي القاريء ان يراجع كتابي نفسه

فيجد فيه الاجوبة لاعتراضاته التي لم تأت بشيء جديد ، ولكن يجب علي ان اعلمكم ان فكري قد حرف تحريفا كاملا فان صاحب المقال لم يفهم شيئا مما قلته

الله شاهد علي أن ليس لي المقاصد التي أعارنيها ، وحقيقة قصدي في نشر (حياة محمد) هو انبحث الحق الذي هو من أسماء الله تعالى وعاملت القرآن مثل معاملتي التوراة والانجيل وأظهرت في كل حين ميلي للرسول ﷺ وعطفي الى الاسلام دين الغزالي وابن العربي وابن الفارض وابن رشد وابن سينا وابن خلدون رضي الله عنهم ورجال أكابر الدين ، انما فهموا مقصدي وفكري لو انهم قرأوا كتابي (؟) ان الشيخ الأكبر قال ولله دره

إذا علم الله الكريم سريرتي فلست أبالي من سواه إذا سخط

وليت علماء مسلمين قرأوا كتابي ودرسوه بمثل الانصاف والميل اللذين كتبته بهما ، وقد عاق عليه بعضهم منهم السيد بلا فريح في (المقتبس) ومكاتب (فتى العرب) اللذان ان لم يكونا في الكل من فكري علما صدق ضميري ، واني اطلب من لطافتكم ايها المدير ان تنشروا في مجلتكم هذه الكلمات لتقويم ما علق على كتابي في مجلتكم ، وفي الختام اقبلوا تحياتي واحترامي والسلام اميل درمنغام

(نفثة حزن ، لعالم دفن)

للاستاذ عبد الله بك الانصاري استاذ العلوم العربية في المدرسة التوفيقية (كان) :

يادار أحمد تيمور أتيناك فأين ربك غوث اللاجيء الشاكي
يادار أحمد دار العلم آهلة بالفاضلين وأهل المذهب الذاكي
يامسدي الفضل والاحسان في ترف الملوك عزاً وفي أخلاق أملاك
دين بدون رياء في شعائره وفي العلوم خبير جدُّ درّاك
ما كنت أحسب أن الموت يفجعنا فيه سريعاً فيخلو منه مثواك
ياروضة العلم تلك الكتب ناطقة بما تجمع في حجرات مغناك
لم يأل جهدا ولم يبخل بدرهمه في وفرة العلم أو في رحمة الباكي

له فضائل ليس العد يحصرها ... ودون أيسرها قد يعجز الحاكي
فحسبه من ثناء الناس ما اجتمعت ... عليه ألسنهم في صدق إدراك
واحسرتاه على ذاك العظيم ومن ... سمت به نفسه في غير تحراك
نادى الفضائل فانحازت لدعوته ... وحاد عن كل كفار وأفاك
كانت مجالسه بالعلم زاهية ... نقية لم يشبها أي إشراك
ونفسه نفس حر لا يمازجها ... كبر الغني ولا إعجاب ملاك
عليه رحمة ربي في معارجه ... إلى منازل أبرار ونساك
وأفرغ الخير والصبر الجميل على ... نجليه في طول عمر طيب زاكي

﴿ معاملة البنوك استدراك على ترجمة تيمور ﴾

أقامت جمعية الهداية الاسلامية حفلة تأبين للفقيد رحمه الله ومما ذكره بعض المؤبنين انه كان يعامل بنك الكريدي ليونيه خلافا لما كنا نسمعه من انه كان لا يودع نقوده في المصارف المالية حتى لا يعينها على استغلاله بالربا ، ولكن ياليت شعري هل كان يأخذ هو ربحا على نقوده أم لا ؟ المشهور ان كثيراً من المسلمين يودعون الاموال الكثيرة في المصارف الاوربية ولا يقبلون أخذ شيء من الربح عليها فينفعون بها الاجانب ولا ينتفعون منهم من حيث يأخذ آخرون الربح منهم ولا يعدونه من الربا المحرم، وبعضهم لا يبالي أن يكون منه، واستحسن بعض الباحثين أخذه وانفاقه في المصالح الخيرية التي ترقي الامة – فماذا كان يفعل فقيدنا وهو المتفقه في دينه ، المعتصم به في عمله ؟ لعل نجلي الفقيد أو بعض بطانته يخبرنا بالحقيقة

﴿ تنقيح آخر في تفسير هذا الجزء ﴾

في السطرين ١٠ و ١١ ص ٢٥ عبارة تنقح هكذا : وأهون منا ايراد كون الدرهم أو الدينار الواحد قد يكنزه كثير من الناس بالتداول، وقد يقال انهم يكوون بها بالتناوب ، وفي معناه ايرادهم على اعادة الاعيان أن جسد الانسان الواحد الخ وفي السطر ٣ ص ٢٦ جملة تنقح هكذا : وبه يبطل كل ايراد ويزول كل اشكال وفي س ٣ ص ٣٠ تقوى في المؤمنين — بدل فيهم — وفي س ٤ منها صيامه بدل الصيام – وفي س ٩ منها وشرع بدل وجعل – وفي س ١٤ ص ٣١ ذكر بدل أورد — وفي س ٢٦ ص ٣٢ أخطأ بدل خطأ وسبب هذا وذاك اننا كتبنا التفسير في وقت ضيق وحال اضطراب فكر ولم نتمكن من تصحيحه

﴿ تهنئة للمنار بالعام الجديد ﴾

سيدي الكريم وأستاذي العظيم حجة الاسلام السيد الامام حفظه الله تعالى أهدي اليكم سلام المخلص لذاتكم ، المعجب بفضلكم ، الداعي لكم بالثبات في طريقكم ، والاستزادة من صالح أعمالكم .

أما بعد فيسرني في هذا العام الهجري الجديد وقد هل هلاله ان أهنئكم وأهنىء نفسي والمسلمين بما متعكم الله من صحة وعافية ، ووفقكم اليه من جهاد في سبيله ، تنيرون السبيل للناس بمناركم ، وتدفعون الاباطيل بسديد آرائكم وقوي حججكم . ولقد أصبحت حياتكم مرتبطة بحياة الحق والمسلمين ، ومناركم مصدراً للنور الذي به يهتدون ، فان يكن الناس لايزالون في غيهم يعمهون ، وعن الحق عمين ، فلأن عملكم لايزال بعيداً عن الغاية ، وانه لابد لكم من متابعة السير سنوات وسنوات حتى يتم لكم النصر إن شاء الله في النهاية ، والله نصير العاملين ، وولي المؤمنين .

ان نفسي لتكاد تذوب حسرة من هذه الحال ، فلقد انحطت الاخلاق ، وقل العمل بالدين في نفوس المسلمين بقدر ماتقدموا في العلوم العصرية ، ونبغوا في مظاهر المدنية الغربية ، فكثرت الاعتداءات ، واغتيلت الحقوق ، وضاعت الامانات ، وضعفت شوكة الحكومات ، ولا غرو فلا يمكن حكم القلوب بغير سلطان الدين (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

في مجاهل هذه الحال ترفعون صوتكم ولا يلقى من يردد صداه ، وبين هذه الظلمات المتكاثفة تنشرون مناركم ولا نور في تجديد الدعوة على وجهها سواه ، فاثبتوا وفقكم الله فسيظهر الله دينه ولو تأخر النصر ، وسيهزم عدوه مهما عظمت شوكته واستفحل الشر ، واعلموا أن هناك نفوساً تحن اليكم ، وقلوبا تحف بكم ، ستجتمع حولكم ، لشد ازركم ، متى جد العمل ، وقوي الامل (وما كان الله ليضيع إيمانكم * وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته نجيب

(المنار) نشكر لأخينا المهنىء حسن ظنه وإخلاصه فيما لا نستحق من إطرائه ، وكان في كل سنة يهنئنا فنشكره بكتاب خاص ، وقد آن لنا إعلان شكره على صفحات المنار

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

أنشئت ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

(ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ آخر برج الأسد سنة ١٣٠٩ هـ ش ٢٤ اغسطس سنة ١٩٣٠)

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٣٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؟ فَمَا
مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٩) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ
اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

هـذا السياق من هنا الى آخر السورة في غزوة تبوك ، وما كانت وسيلة له من هتك استار النفاق ، وتطهير المؤمنين من عوامل الشقاق . إلا الآيتين في آخرها ، وما يتخللها من بعض الحكم والاحكام ، على السنة المعروفة في أسلوب القرآن .

ومناسبته لما قبله ان المراد قتالهم في تبوك هم الروم واتباعهم المستعبدون من عرب الشام وكلهم من النصارى الذين نزلت الآيات الاخيرة في حكم قتال اليهود وقتالهم ، وبيان حقيقة أحوالهم ، وأهمها خروجهم عن هداية دين المسيح عليه السلام ، في كل من العقائد والفضائل والاعمال ، وكان ذكر النسيء في آخره لما ذكرنا . واننا نقدم على تفسير الآيات ببيان سبب غزوة تبوك وفاء بما وعدنا به فنقول

غزوة تبوك وسببها

تبوك مكان معروف في منتصف الطريق بين المدينة المنورة ودمشق تقريبا وقالوا ان بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة ، وبينهـا وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة (١) واللفظ ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث على الاشهر

قال الحافظ في فتح الباري : وكان السبب فيها (أي الغزوة) ماذكره ابن سعد وشيخه وغيره قالوا : بلغ المسلمين من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم جمعت جموعا وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب ، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء . فندب النبي ﷺ الناس إلى الخروج وأعلمهم بجهة غزوهم كما سيأتي في الـكلام على حديث كعب بن مالك . وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين قال كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل : ان هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم ، فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباد وجهز معه أربعين ألفاً ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ولم يكن للناس قوة ، وكان عثمان قد جهز عيراً إلى الشام فقال يارسول الله : هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية (أي من الفضة) قال فسمعته يقول

---

(١) هذا قريب مما ثبت بالمقاس العصري فالمسافة من الشام الى تبوك ٦٩٢ كيلوا مترا والى المدينة المنورة ١٣٠٢ فتكون المسافة من المدينة الى تبوك ٦١٠ ك

« لا يضر عثمان ما عمل بعدها » وأخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبد الرحمن ابن حباب نحوه . وذكر أبو سعيد في (شرف المصطفى) والبيهقي في الدلائل من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود قالوا يا أبا القاسم إن كنت صادقا فالحق بالشام فانها أرض المحشر وأرض الانبياء . فغزا تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى من سورة بني إسرائيل (وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) الآية انتهى وإسناده حسن مع كونه مرسلا . اهـ ما ذكره الحافظ والصحيح المعتمد في السبب هو الاول ، وما ندري من هؤلاء اليهود الذي قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا؟ وكان هذا بعد الفراغ من يهود المدينة واجلائهم . والعجيب من الحافظ كيف قال ان هذا الحديث حسن مع قوله في شهر بن حوشب في التقريب إنه كثير الارسال والاوهام ، وعلمه ونقله لما لهم فيه من المطاعن في تهذيب التهذيب ؟ وقد صرح السيوطي بضعف الحديث في أسباب النزول . وفي كتب السير أن ما بذله عثمان (رض) في تجهيز جيش العسرة اكثر مما ذكر في حديث عمران

وقد كانت غزوة تبوك في شهر رجب من سنة تسع باتفاق الرواة وهو موافق لما رواه ابن عائذ من حديث ابن عباس أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر بجعل الستة الاشهر بعد عودته صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى المدينة ، فهو صلى الله عليه وسلم قد دخل المدينة في شهر ذي الحجة من تلك السنة ، قاله الحافظ

والغرض من هذا التمهيد لتفسير الآيات أن سبب هذه الغزوة استعداد الروم لقتال النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين واعداد جيش كثيف للزحف به على المدينة فهي كسائر غزواته صلى الله عليه وسلم دفاع لا اعتداء ، ولما لم يجد من يقاتله عاد ولم يهاجم شيئا من بلاد الشام ، وكان الامر بها لما سيذكر من الحكم والاحكام ،

قال عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الارض؟ ﴾ الاستفهام في الآية للانكار والتوبيخ . والخطاب للمؤمنين في جملتهم ، تربية لهم بما لعله وقع من مجموعهم لا من جميعهم ومنهم الضعفاء والمنافقون . والنفر والنفور عبارة عن فرار من الشيء أو إقدام عليه بخفة ونشاط وانزعاج

فهو كما قال الراغب بمعنى الفزع اليه أو منه ، يقال نفرت الدابة والغزال نفوراً ، ونفر الحجيج من عرفات نفراً ، واستنفر الامام العسكر إلى القتال أو أعلن النفير العام فنفروا خفافا وثقالا ، والتثاقل التباطؤ فهو ضد النفر لانه من الثقل المقتضي للبطء وهو يصدق على من لم يستجب لدعوة النفير ، وعلى من حاول أو استجاب متباطئا . وأصل اثاقلتم تثاقلتم أدغمت المثناة في المثلثة فجيء بهمزة الوصل لاجل النطق بالساكن ، والعرب لاتبدأ بالساكن ولا تقف على المتحرك . وقد عدي بالى لتضمنه معنى التسفل والاخلاد إلى الارض والميل إلى راحتها ونعيمها

ولما دعا الله المؤمنين لغزوة تبوك كان الزمن زمن الحر ، وكانوا قريبي عهد بالرجوع من غزوتي الطائف وحنين ، وكانت العسرة شديدة ، وكان موسم الرطب في المدينة قد تم صلاحه ، وآن وقت تلطف الحر والراحة ، لان شهر رجب وافق في تلك السنة برج الميزان (١) وإن عبر عنه بعضهم بالصيف

روى ابن جرير عن مجاهد في تفسير الآية قال : هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف بأمرهم النفير في الصيف حين اخترفت النخل (٢) وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج (قال) فقالوا منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والمنتشر به أمره في ذلك كله

وكان من عادة النبي ﷺ إذا خرج إلى غزوة أن يوري بغيرها لما تقتضيه مصلحة الحرب من الكتمان ، إلا أنه في هذه الغزوة قد صرح بها ليكون الناس على بصيرة لبعد الشقة وقلة الزاد والظهر . فلهذه الاسباب كلها شق على المسلمين الخروج في ذلك الوقت إلى بلاد الشام ، وكانت حكمة الله تعالى في إخراجهم — وهو يعلم أنهم لا يلقون فيها قتالا — ماسنبينه في تفسير آياتها من تمحيص المؤمنين وخزي المنافقين ، وفضيحتهم فيما كانوا يسرون من كفرهم وتربصهم الدوائر بالمؤمنين

والمعنى يا أيها الذين دخلوا في الايمان ماذا عرض لكم مما ينافي صحة الايمان أو كماله المقتضي للاذعان والطاعة حين قال لكم الرسول انفروا في سبيل الله لقتال الروم الذين تجهزوا لقتالكم والقضاء على دينكم الحق الذي هو السبيل الموصل الى معرفة الله وعبادته

(١) كان أوله ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) (٢) الاختراف اجتناء الثمر

واقامة شرعه وسننه فتثاقلتم عن النهوض بالنشاط وعلو الهمة ، مخلدين إلى أرض الراحة واللذة ، وآية الايمان بذل الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)

﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ أي أرضيتم براحة الحياة الدنيا ولذتها الناقصة الفانية ، بدلا من سعادة الآخرة الكاملة الباقية ؟ إن كان الامر كذلك فقد استبدلتم الذي هو أدنأ وأدنى ، بالذي هو خير وأبقى ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ أي فما هذا الذي يتمتع به في الحياة الدنيا منغصاً بالشوائب والمتاعب في جنب ما في الآخرة من النعيم المقيم ، والرضوان الالهي العظيم ، إلا شيء قليل لا يرضاه عاقل بدلا منه ، وانما يؤثره عليه من لا يؤمن به ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم نعيم الدنيا بالاضافة إلى نعيم الآخرة في قلته في نفسه وزمنه بمن وضع أصبعه في اليم ثم أخرجها منه قال « فانظر بم ترجع ؟ » رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي ، والآيات والاحاديث في هذا الباب كثيرة

﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليماً ويستبدل قوما غيركم ﴾ « إلا » مركبة من « ان » الشرطية و « لا » النافية للحال والاستقبال كإن لم للماضي . أي إلا تنفروا كما أمركم الرسول صلى الله عليه وسلم يعذبكم الله عذابا أليماً في الدنيا يهلككم به بعصيانكم بعد قيام الحجة عليكم . ويستبدل بكم قوما غيركم قيل كأهل اليمن وأبناء فارس، وليس في محله فان الكلام للتهديد والله يعلم انه لا يقع الشرط ولا جزاؤه، وانما المراد قوم يطيعونه ويطيعون رسوله لانه قد وعد بنصره ، وإظهار دينه على الدين كله ، فان لم يكن ذلك بأيديكم ، فلا بد أن يكون بأيدي غيركم (ولن يخلف الله وعده) قال تعالى (٥ : ٥٤ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله) الآية . وقد مضت سنته تعالى بانه لا بقاء للامم التي تتثاقل عن الدفاع عن نفسها وحفظ حقيقتها وسيادتها ، ولا تتم فائدة القوة الدفاعية والهجومية إلا بطاعة الامام والقائد العام

فكيف اذا كان الامام والقائد هو النبي الموعود من ربه العزيز القدير بنصر من نصره ، وهلاك من عصاه وخذله ؟

﴿ ولا تضروه شيئا ﴾ أي ولا تضروه تعالى شيئاما من الضرر في تثاقلكم عن طاعته ونصرة رسوله لانه غني عنكم ولن يبلغ أحد ضره ولا نفعه، بل هو القاهر فوق عباده ، وكل من في السموات والارض مسخر بأمره ، وان كان قد جعل للبشر شيئا من الاختيار ، هو حجة عليهم فيما يلقون من الجزاء على الاعمال ، وقيل ان المراد ولا تضروا رسوله بتثاقلكم فانه عصمه من الناس وكفل له النصر بقرينة الآية الآتية ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ ومنه إهلاككم إن أصررتم على العصيان ، وتوليتم عن إقامة دينه وإتمام نوره، ونصر رسوله بقوم آخرين (يجاهدون في سبيل الله) بأموالهم وأنفسهم (ولا يخافون لومة لائم) كما قال في سورة آخر سورة القتال (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم * ثم لا يكونوا أمثالكم) وهذا حجة على من زعم من الروافض انه لولا ثبات علي كرم الله وجهه والنفر الذي كانوا حول بغلة النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب دينه فلم تقم له قائمة، والله أكبر من جهلهم ، ورسوله أعظم عنده ممن ثبت وممن لم يثبت حول بغلته ، ووعده أصدق من غلوهم في رفضهم ، وهاك من حجج كتابه ما يزيد شبهة بدعتهم افتضاحا ، وحجة السنة وأهلها اتضاحا :

قال عز وجل ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ﴾ أي إلا تنصروا الرسول الذي استنفركم في سبيل الله على من أرادوا اقتاله من أولياء الشيطان، فسينصره الله بقدرته وتأييده ، كما نصره إذ أجمع المشركون على الفتك به ، وأخرجوه من داره وبلده ، أي اضطروه الى الخروج والهجرة ولولا ذلك لم يخرج - وقد تكرر في التنزيل ذكر إخراج المشركين للرسول والمؤمنين المهاجرين من ديارهم بغير حق ، وليس المراد منه انهم تولوا طردهم وإخراجهم مجتمعين ولا متفرقين فان أكثرهم خرج مستخفياً كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه (رض) - أو تقدير الكلام : إلا تنصروه فقد أوجب الله له النصر في كل حال وكل وقت حتى نصره في ذلك الوقت الذي لم يكن معه جيش ولا أنصار منكم بل حال كونه

﴿ ثاني اثنين ﴾ أي أحدهما فان مثل هذا التعبير لا يعتبر فيه الاولية ولا الأولوية لان كل واحد منهما ثان للآخر ومثله فلان ثالث ثلاثة أو رابع أربعة لا معنى له الا انه واحد من ثلاثة أو أربعة به تم هذا العدد. على أن الترتيب فيه انما يكون بالزمان أو المكان وهو لا يدل على تفضيل الاول على الثاني ولا الثالث أو الرابع على من قبله وسيأتي في حديث الشيخين « ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ »

﴿ إذ هما في الغـار ﴾ أي في ذلك الوقت الذي كان فيه الاثنان في الغار المعروف عندكم وهو غار جبل ثور ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ﴾ أي إذ كان يقول لصاحبه الذي هو ثانيه وهو أبو بكر الصديق (رض) حين رأى منه امارة الحزن والجزع ، أو كلما سمع منه كلمة تدل على الخوف والفزع « لا تحزن » الحزن انفعال نفسي اضطراري يراد بالنهي عنه مجاهدته وعدم توطين النفس عليه ، والنهي عن الحزن مما وقع يستلزم النهي عن الخوف مما يتوقع ، وقد عبر عن الماضي بصيغة الاستقبال « يقول » للدلالة على التكرار المستفاد من بعض الروايات ، ولاستحضار صورة ما كان في ذلك الزمان والمكان ليتمثل المخاطبون ما كان لها من عظمة الشأن ، وعلل هذا النهي بقوله (ان الله معنا) أي لا تحزن لان الله معنا بالنصر والمعونة ، والحفظ والعصمة ، والتأييد والرحمة ، ومن كان الله تعالى معه بعزته التي لا تغلب ، وقدرته التي لا تقهر ، ورحمته التي قام ويقوم بها كل شيء ، فهو حقيق بأن لا يحزنه ولا يخيفه شيء ، وهذا النوع من المعية الربانية أعلى من معيته سبحانه للمتقين والمحسنين في قوله (١٦ : ١٢٧ واصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ١٢٨ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) والفرق بينهما أن المعية فى آية سورة النحل لجماعة المتقين المجتنبين لما يجب تركه والمحسنين لما يجب فعله ، فهي مقتضى سنة الله في عالم الاسباب لكل من كان كذلك وان كان الخطاب في النهي عن الحزن قبلها للرسول ﷺ وأما المعية هنا فهي لذات الرسول وذات صاحبه غير مقيدة بوصف هو عمل لهما بل هي خاصة برسوله وصاحبه من حيث هو صاحبه ، مكفولة بالتأييد بالآيات ، وخوارق العادات ، وكبر العنايات ، إذ ليس المقام بمقام سنن الله في الاسباب والمسببات ، التي يوفق لها المتقين

والمحسنين المتقنين للاعمال. يعلم هذا التفاوت بين النوعين من الحق الواقع إن لم يعلم من اللفظ وحده، بل هي من قبيل قوله تعالى لموسى وهارون إذ أرسلها الى فرعون فأظهرا الخوف من بطشه بهما (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى * قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى) وقد كان خاتم النبيين أكمل منهما اذ لم يخف من قومه الخارجين في طلبه للفتك به كما سنذكره ، وكان للصديق الأكبر أسوة حسنة بهما اذ خاف على خليله وصفيه الذي شرفه الله في ذلك اليوم الفذ بصحبته ، وانما نهاه ﷺ عن الحزن لا عن الخوف ، ونهى الله موسى وهارون عن الخوف لا عن الحزن، لان الحزن تألم النفس من امر واقع وقد كان نهيه ﷺ إياه عنه في الوقت الذي أدرك المشركون فيه الغار بالفعل . روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث انس قال حدثني ابوبكر قال كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين فقلت يا رسول الله لو أن احدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه فقال عليه الصلاة والسلام « يا أبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما؟» وأما الخوف فهو انفعال النفس من أمر متوقع وقد نهى الله رسوليه عنه قبل وقوع سببه وهو لقاء فرعون ودعوته إلى ماأمرا به . والنهي عن الحزن يستلزم النهي عن الخوف كما تقدم وقد كان الصديق خائفا وحزنا كما تدل عليه الروايات ، وهو مقتضى طبع الانسان .

وحاصل المعنى إلا تنصروه بالنفر لما استنفركم له فان الله تعالى قد ضمن له النصر فهو ينصره كما نصره في ذلك الوقت الذي اضطره المشركون فيه بتألبهم عليه واجتماع كلمتهم على الفتك به ـ في ذلك الوقت الذي كان فيه ثاني اثنين في الغار ، اعزلين غير مستعدين للدفاع، وكان صاحبه فيه قد ساوره الحزن والجزع ـ في ذلك الوقت الذي كان يقول له فيه وهو آمن مطمئن بوعد الله وتأييده ومعيته الخاصة (لاتحزن ان الله معنا) فنحن غير مكلفين بشيء من الاسباب أكثر مما فعلناه من استخفائنا هنا . وقد بينا في الكلام على غزوة بدر من تفسير سورة الانفال المقارنة بين حال الرسول الاعظم والصديق الاكبر هنالك اذ كان الرسول ﷺ يستغيث ربه ، ويستنجزه وعده ، وكان الصديق يسليه (رض) ويهون الامر عليه ، على خلاف حالهما في الغار ، وأثبتنا أن حاله ﷺ في الموضعين كان الاكمل الافضل ،

اذ أعطى حال الاخذ بسنن الله في الاسباب والمسببات في بدرحقه، وأعطى حال التوكل المحض في الغار حقه (١)

فتكرار الظرف «إذ» في المواضع الثلاثة مبدلا بعضها من بعض في غاية البلاغة، به يتجلى تأييده تعالى لرسوله اكمل التجلي، فهو يذكرهم بوقت خروجه ﷺ مهاجراً مع صاحبه بما كان من قريش من شدة الضغط والاضطهاد، وقد تقدم تفصيله في تفسير (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك) من سورة الانفال، وسيعاد مختصراً في هذا السياق. ويتلوه تذكيرهم بايوائه مع صاحبه الى الغار لا يملكان من اسباب الدفاع عن انفسهما شيئا. ثم يخص بالذكر وقت قوله لصاحبه (لا تحزن ان الله معنا) اي انه كان هو الذي يسلي صاحبه ويثبته لا انه كان يتثبت به (وهكذا كان شأنه ﷺ مع أصحابه في كل وقت يشتد فيه القتال أيضاً) وكون سبب ذلك وعلته ايمانه الاكمل بمعية الله عز وجل الخاصة لها. فالعبرة لهم في هذه الذكريات الثلاث ان الله تعالى غني عن نفرهم مع رسوله بقدرته وعزته، وان رسوله ﷺ غني عن نصرهم له بنصره عز وجل وتاييده، وبقدرته على تسخير غيرهم له من جنوده وقد بين تعالى اثر ذلك وعاقبته بقوله

﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ أخرج ابن ابي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس (رض) في قوله (فأنزل الله سكينته عليه) قال على أبي بكر لان النبي ﷺ لم تزل السكينة معه. وأخرج الخطيب في تاريخه عن حبيب بن ابي ثابت (فأنزل الله سكينته) قال على ابي بكر فاما النبي فقد كانت عليه السكينة. وقد اخذ بهذه الرواية بعض مفسري اللغة والمعقول ووضحوا ما فيها من التعليل بأنه ﷺ لم يحدث له وقتئذ اضطراب ولا خوف ولا حزن، وقواها بعضهم بان الاصل في الضمير ان يعود إلى أقرب مذكور وهو الصاحب. وليس هذا بشيء. وذهب آخرون الى ان الضمير يعود الى النبي ﷺ وان انزال السكينة عليه لا يقتضي ان يكون خائفا او مضطربا او منزعجاً، وهذا ضعيف لعطف انزال السكينة على ما قبلها بالفاء الدال على ترتبه عليه وان نزولها وقع بعد قوله لصاحبه (لا تحزن)

(١) راجع تفسير ٨: ٩ (إذ تستغيثون ربكم) في ص ٦٠٢ — ٦٠٥ ج ٩ تفسير

وقووه بان ماعطف عليه من قوله ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾ لايصح الا للنبي ﷺ والمراد بهؤلاء الجنود الملائكة والاصل فى المعطوفات التعانق وعدم التفكك . وأجاب عنه الآخذون بقول ابن عباس ومجاهد - أولا - بان التاييد بالجنود معطوف على قوله (فقد نصره الله) لاعلى (أنزل الله سكينته) - وثانياً - بان تفكك الضمائر لا يضر اذا كان المراد من كل منها ظاهراً لا اشتباه فيه - وثالثا - بانه لا مانع من جعل التاييد لابي بكر نقله الالوسي وقال كما يدل عليه ما أخرجه ابن مردويه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لابي بكر « ان الله تعالى أنزل سكينته عليك وأيدك » الخ وقال بعض المفسرين ان المراد بهذه الجنود ما أيده الله تعالى به يوم بدر والاحزاب وحنين، وقال بعضهم بل المراد انه أيده بملائكة في حال الهجرة يسترونه هو وصاحبه عن أعين الكفار ويصرفونها عنهما فقد خرج من داره والشبان المتواطئون على قتله وقوف ولم ينظروه . وإننا نرجع إلى سائر مافي التنزيل من ذكر إنزال السكينة والتايبد بالملائكة لنستمد منها فهم مافي هذه الآية

أما إنزال السكينة فذكر في ثلاث آيات فقط (أولاها) الآية الرابعة من سورة الفتح (ثانيتها) الآية السادسة والعشرون منها وكان نزول السورة بعد صلح الحديبية الذي فتن فيه المؤمنون واضطربت قلوبهم بما ساءهم من شروطه التي عدوها اهانة لهم وفوزاً للمشركين وأمرها مشهور، فكان من عناية الله تعالى بهم أن ثبت قلوبهم ومكنهم من فتح خيبر وأنزل سورة الفتح مبينا فيها حكم ذلك الصلح وفوائده وامتن بذلك على رسوله وعليهم بقوله (٤٨ : ١) إنا فتحنا لك فتحاً مبينا - الى قوله - (٤) هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض و كان الله عليما حكيما) فهذه سكينة خاصة بالمؤمنين ، بين حكمتها العليم الحكيم ، وفيها اشارة الى جنود الملائكة لاتصريح .

ثم قال بعد ماتقدمت الاشارة اليه من حكم ذلك الصلح، وما أعقبه من الفتح ، (٢٦) اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) الاشهر في تفسير هذه الحمية انها ما أباه المشركون في كتاب

الصلح من بدئه بكلمة بسم الله الرحمن الرحيم ومن وصف محمد ﷺ فيه برسول الله وتعصبهم لما كان من عادة الجاهلية وهو باسمك اللهم، وهذا مما ساء رسول الله ﷺ بلاشك كما ساءه كراهة جمهور المسلمين الاعظم لهذا الصلح ولكنه لم يكن ليضيع بذلك صلحاً عظيما كان أول فتح لباب حرية دعوة الاسلام في المشركين، بوضع الحرب عشر سنين، فأنزل الله سكينته عليه وألهمه قبول شروطهم، وأنزلها على المؤمنين بعد ان هموا بمعارضته ﷺ وأمرهم بالتحلل من عمرتهم فتلبثوا حتى خشي عليهم الهلاك واستشار في ذلك زوجه أم سلمة فاشارت عليه بان يخرج اليهم ويأمر حلاقه بحلق شعره ففعل فاقتدوا به بما أنزل الله عليهم من السكينة

والآية الثالثة هي ما تقدم في هذه السورة في سياق غزوة حنين إذ راع المسلمين رشق المشركين اياهم بالنبل فانهزم المنافقون والمؤلفة قلوبهم واضطرب جمهور المسلمين بهزيمتهم فولوا مدبرين وثبت رسول الله ﷺ في وجوه الكفار مع عدد قليل صار يكثر بعلمهم بموقفه، وقد حزن قلبه لتوليهم (٩: ٢٦ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها) وما العهد بتفسيرها ببعيد فهذه سكينة مشتركة بين الرسول ﷺ والمؤمنين سكن بها ما عرض له ﷺ من تأثير هزيمتهم، وسكن ما عرض لهم من الاضطراب لهزيمة المنافقين والمؤلفة قلوبهم كما تقدم

وأما ذكر الجنود التي وصفها تعالى بقوله « لم تروها » فقد جاء في هاتين الآيتين من سورة براءة آية غزوة حنين وآية الغار من سياق الهجرة. وجاء في الكلام على غزوة الاحزاب من السورة التي سميت باسمها وهو (٣٣: ٩ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) وقد كانت هذه الجنود والجنود التي أرسلت في يوم حنين لتخذيل المشركين وتأييد المؤمنين، وفي معناها قوله تعالى في الكلام على غزوة بدر (٨: ٩ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فهذه الملائكة نزلت لالقاء الرعب في قلوب المشركين وتأييد المؤمنين وتثبيت قلوبهم كما بينه تعالى بقوله (١٠ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم - إلى قوله ١٢ اذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في

قلوب الذين كفروا الرعب) وراجع تفسير السياق (في ص٦٠٧ - ٦١٤ ج ٩ تفسير) وفيه ذكر آيات سورة آل عمران التي نزلت في الكلام على غزوة أحد - فاذا كانت الملائكة في هذه المواقع كلها نزلت لتأييد المؤمنين على المشركين وتخذيل هؤلاء - وكان النائب عن جميع المؤمنين والحال محلهم في خدمة رسوله يوم الهجرة هو صاحبه الاول الذي اختاره عليهم كلهم في ذلك اليوم العظيم فأي بعد أن يكون التأييد المرافق لانزال السكينة له لحلوله محلهم كلهم، ومن المعلوم أنه لم يكن له هذا إلا بالتبع لرسول الله ﷺ كما ان جميع ما أيد به تعالى سائر أصحاب رسوله في جميع المواطن كان تأييداً له وتحقيقا لما وعده الله تعالى من النصر على جميع أعدائه ، وإظهار دينه على الدين كله ، ولذلك قال

﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ﴾ في الآية احتمالان أحدهما أن يكون المراد بكلمة الذين كفروا كلمة الشرك والكفر وبكلمة الله كلمة التوحيد وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه أهل التفسير المأثور ووجهه ان عداوة المشركين للنبي ﷺ انما كانت لاجل دعوته إلى التوحيد الخالص من جميع شوائب الشرك وخرافات الوثنية ولذلك قام أبو سفيان عند ظهور المشركين في أحد فقال رافعا صوته ليسمع المسلمون : أعل هبل ، اعل هبل . وهبل صنمهم الاكبر ، فأمر ﷺ أن يجاب « الله أعلى وأجل » وفي الصحيحين من حديث أبي موسى (رض) أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فذلك في سبيل الله » والاحتمال الثاني أن يكون المراد بكلمة الذين كفروا ما أجمعوه بعد التشاور في دار الندوة من الفتك به ﷺ والقضاء على دعوته وهو ما تقدم في سورة الانفال من قوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا) الخ ويكون المراد بكلمة الله ما قضت به ارادته ومضت به سنته من نصر رسله ودينه في مثل قوله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * انهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون) وقوله (كتب الله لأغلبن انا ورسلي) فهذه كلمة الله الارادية القدرية التي كان من مقتضاها وعده لرسوله الاعظم بالنصر . وفسر بعضهم كلمته هنا بما وعده من احباط كيدهم

ورد مكرهم في نحورهم وهو قوله في تتمة الآية (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وما قلناه هو الاصل والقول الفصل ، وهذا مبني عليه .

وقد قرأ الجمهور (وكلمة الله) بالرفع لافادة انها العليا المرفوعة بذاتها لا بجعل وتصيير ، ولا كسب وتدبير ، اما على القول بأن المراد بها ما تعلقت به إرادته تعالى ومضت به سنته من نصر رسوله وإظهار دينه (وهي كلمة التكوين) فالامر ظاهر لان ما تتعلق مشيئته تعالى به كائن لا محالة لا يوجد ما يعارضه فيعلو عليه أو يساويه ، وكذلك أريد بها الخبر الالهي بهذا النصر والوعد به الذي هو بيان لهذه السنة التي هي متعلقات صفة الارادة . بناء على انه مما أوحاه اليهم ومنه قوله تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) الخ ولن يخلف الله وعده . والوعد من متعلقات صفة الكلام . فكلمة التكوين الارادية وكلمة التكليف الخبرية متحدان في هذا الموضوع .

واما على القول بان المراد بها كلمة التوحيد او دينه المبني على أساس توحيده فالنظر فيه من وجهين (أحدهما) مضمون هذه الكلمة في الواقع وهو وحدانيته تعالى وهذه حقيقة قطعية قامت عليها البراهين ، وكذا ان اريد بها هذا الدين عقائده وأحكامه وآدابه اذ يقال انه كلمة التكليف او كلماته - فهذه من حيث كونها من متعلقات صفة الكلام الالهية لها صفة العليا بيانا وبرهانا وحكمة ورحمة وفضلا ، ولا بد من تمامها صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام ، كما قال تعالى في سورة الانعام (٦ : ١١٦ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) و (الوجه الثاني) اقامة المكلفين لها بمعنييها وهي تختلف باختلاف أحوالهم في العلم والايمان والاخلاق وما يترتب عليها من الاعمال فمن هذا الوجه ، ولذلك تخفى علويتها على الناس في بعض الاحيان . اذ ينظرون اليها في صفات المدعين لها وأعمالهم لا في ذاتها ، وقد يكون هؤلاء غير قائمين بها ولا مقيمين لها . ومن عجائب ما روي لنا من ادراك بعض الافرنج لعلوية كتاب الله تعالى بسعة علمه وعقله ان عاهل الالمان الاخير قال لشيخ الاسلام في الحكومة العثمانية لما زار الاستانة في أثناء الحرب الكبرى : يجب عليكم - وأنتم دولة الخلافة الاسلامية - أن تفسروا هذا القرآن تفسيراً تظهر به علويته !!! كما أدرك هذه العلوية الوليد ابن المغيرة من كبراء مشركي قريش بذكائه ودقة فهمه وبلاغته إذ كان مما قاله فيه : وانه ليعلو ولا يعلى ، وانه ليحطم ما تحته . وراجع ما قلناه

في تفسير (٣٣ ليظهره على الدين كله) من هذه السورة وماهو ببعيد.

وأما كلمة الذين كفروا فقد كانت لامقابل ولا معارض لها قبل الاسلام من حيث القيام بها لتوصف بالوصف اللائق بها وهو السفالة أو السفلية فإن أريد بها كلمة الشرك فقد كان لأهلها السيادة في بلاد العرب حتى مكة المكرمة ودنسوا بيت الله بأوثانهم فأذل الله أهلها وأزال سيادتهم بظهور الاسلام بعد كفاح معروف، وإن أريد بها تقريرهم لقتل النبي ﷺ فالامر ظاهر أيضا وكل من الامر حصل بجعل الله وتدبيره ثم بكسب المؤمنين وجهادهم. وأما كلمة الكفر في نفسها وبصرف النظر عن تلبس بعض الشعوب أو القبائل بها فلاحقيقة لها أعني أن الشرك لاحقيقة لمضمونه في الوجود وإنما هو دعاوى لفظية، صادرة عن وساوس شيطانية خيالية كما قال تعالى (ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وقد ضرب الله المثل للكلمتين وأثرهما في الوجود قوله في سورة ابراهيم عليه السلام (١٤: ٢٧ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٨) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار (٢٩) يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ويضل الله الظالمين، ويفعل الله مايشاء) وقد ختم الله هذه الآية بقوله

﴿ والله عزيز حكيم ﴾ العزيز الممتنع الغالب والله هو الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، والحكيم الذي يضع الاشياء في مواضعها، وقد نصر رسوله بعزته، وأظهر دينه على الاديان كلها بحكمته، وأذل كل من ناوأه وناوأ المتقين من أمته.

وإننا نقفي على تفسير هذه الآيات بكلمات تزيدها بيانا، وتزيد الذين آمنوا بالله ورسوله إيمانا، وتزيد المبتدعين المحرفين لكلام الله تعالى خزيا وخذلانا، ثلاث كلمات: كلمة خلاصة ماصح من خبر الهجرة وصفة الغار، وكلمة فيما تضمنته الآية وأخبار الهجرة من مناقب الصديق الاكبر رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وكلمة في شبهات الروافض، بل مفترياتهم في تشويه هذه المناقب، وتحريف كلمات الله وأخبار الرسول عن مواضعها (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)

كلمة في الهجرة المحمدية

كان من حكمة الله تعالى في رسالة محمد خاتم النبيين ، المرسل رحمة للعالمين، ومصلحا للناس أجمعين ، أن أعدلها في المرتبة الاولى الامة العربية الامية باستقلال الفكر وقوة الارادة ، وذكاء القريحة ، وارتقاء اللغة ، والسلامة مما منيت به أمم الحضارة من الاستذلال والاستعباد للملوك والامراء ورؤساء الدين . ثم كان من حكمته تعالى، أن عادى هذه الدعوة والقائم بها كبراء قومه قريش كبراً وبغيا وعلواً واستكباراً عن الاعتراف بضلالهم وضلال آبائهم وأجدادهم في شركهم ، لئلا يكون في ظهورها بالحق ، شبهة يظن بها انها انما قامت بعصبية قريش وكان له ﷺ بضعة أعمام لم يؤمن به منهم في السابقين إلا الحمزة (رض) أخوه في الرضاع وقريبه من جهة الام فان أمه ابنة عم آمنة أم النبي ﷺ وقد آمن في السنة الثانية من بعثته . وكان أبو لهب عمه الكبير الغني أول من صارحه العداوة فقال لقريش : خذوا على يديه ، قبل أن تجمع العرب عليه . وحسبك ما أنزل الله فيه وفي امرأته حمالة الحطب ، وكان عمه أبو طالب هو الذي كفله بعد وفاة جده شيبة الحمد عبد المطلب ، وانما كان يحميه ويدافع عنه لعصبية القرابة والتربية . وكان لزوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مقام كبير في قريش كان له تأثير سابي في تقليل إيذائه ﷺ وقد توفيت هي وأبو طالب في أسبوع واحد فاشتد إيذاء قريش له بعدهما، حتى أجمعوا على قتله قتلة تشترك فيها جميع قبائل قريش بأن يأخذوا من كل قبيلة منها شابا نهداً قويا يعطونه سيفا فيحمل عليه هؤلاء الشبان حملة رجل واحد فيقطعونه بسيوفهم ليضيع دمه بين القبائل ويتعذر على بني هاشم الاخذ بثاره على حسب عادة العرب فيرضون بالدية . عند هذا أمره الله تعالى بالهجرة إلى يثرب التي صار اسمها المدينة المنورة بهجرته اليها وكان قد آمن به وبايعه من أهلها الانصار في الموسم من جعلهم الله تعالى مقدمة لايمان غيرهم من الانصار الكرام لم يكاشف النبي ﷺ بهجرته أحداً غير صاحبه الاول أبي بكر الصديق الذي كان أول من آمن به ممن دعاهم الى الاسلام بعد أهل بيته (وهم زوجه خديجة وعتيقه زيد بن حارثة وربيبه علي وكان دون البلوغ) وهؤلاء قد علموا بنبوته ﷺ وصدقوه

قبل أن يأمره الله بالدعوة) فكان أبو بكر صاحبه الملازم، ومستشاره الدائم، ووزيره الاكبر وموضع سره ، وانما كان رضي الله تعالى عنه أول من أسلم لانه كان أشد هذه الامة استعداداً لنور الاسلام بسلامة فطرته وطهارة نفسه ، وقوة عقله ، وعرفانه بفضائل النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وقد كان صديقه من سن الشباب، وذكر ابن إسحاق انه صلى الله عليه وسلم لم يعرض الاسلام على أحد إلا وكان له فيه كبوة إلا أبا بكر (رض) واننا نذكر أصح ما أورده نقاد المحدثين من خبر الهجرة . وأوضحه وأبسطه ما رواه ابن أبي شيبة والامام احمد والبخاري وغيرهم من حديث عائشة (رض) فنبدأ به ونقفي عليه باحاديث أخرى من الجامع الصحيح

قال البخاري في كتاب الهجرة من صحيحه [حدثنا يحي بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرني عروة ابن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة (١) فقال أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد ان أسيح في الارض وأعبد ربي . قال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لايخرج ولا يخرج ، انك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق (٢) فانا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن

---

١) برك الغماد موضع على خمس ليال من مكة بطريق اليمن وقيل أقصى هجر وقيل أقصى اليمن وكان يضرب به المثل في البعد أو المشقة كما يفهم من كلام بعض الانصار في قصة بدر. وقيل إنه كان بشبه بجهنم . وبرك بفتح فسكون والغماد بالكسر على الاشهر وضم الغين بعضهم، والدغنة بضم الدال المهملة عند أهل اللغة و بفتح أوله وكسر ثانيه عند الرواة وتخفيف النون وشددها بعضهم والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل في قوة الرمي بالسهام (٢) هذه الصفات هي التي وصفت بها خديجة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث البعثة فاما أن تكون قد اشتهرت عنها فصار يوصف بها أفضل الناس ، وإما أن تكون مأثورة من قبل خديجة عن بعض بلغاء العرب، ويحتمل أن تكون من توارد الخواطر. وحسب أبي بكر شرفاً وصفه بها

الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم إن ابا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكلَّ ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا (١) فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه (٢) نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه وينظرون اليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن . وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه ، فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك ، فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان . قالت عائشة فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه ، فاما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلي ذمتي ، فاني لا أحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له ، فقال ابو بكر فاني أرد اليك جوارك ، وأرضى بجوار الله عزوجل .

والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين « اني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » وهما الحرتان (٣) فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « على رسلك (٤) فاني أرجو أن يؤذن لي » فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي أنت ؟ قال « نعم » فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه

(١) أي يحولهم من دينهم إلى دينه بتأثير قراءته القرآن وخشوعه وبكائه فيها (٢) أي يتدافعون ويزدحمون فيقذف بعضهم بعضا من التقذيف وفي رواية فيتقذف بالنون ويروى يتقصف وينقصف عليه (٣) أي الحجارة السوداء (٤) الرسل بالكسر الهينة

وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط(١) أربعة أشهر

[قال ابن شهاب (٢) قال عروة قالت عائشة فبينما نحن يوما جلوسا في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة (٣) قال قائل لابي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال ابو بكر فداء له ابي وأمي والله ماجاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي ﷺ لابي بكر « أخرج من عندك » فقال ابو بكر انما هم أهلك (٤) بابي أنت يارسول الله، قال « فاني قد أذن لي في الخروج » فقال أبو بكر: الصحابة بابي أنت يارسول الله قال رسول الله ﷺ « نعم » قال ابو بكر فخذ بابي أنت يارسول الله إحدى راحلتي هاتين قال رسول الله ﷺ « بالثمن » (٥) قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وابو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكتادان به (٦) إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب

---

(١) السمر واحدته سمرة بضم الميم فيهما شجرة تسمى أم غيلان والخبط بالفتح مايخبط بالعصا من ورق الشجر ليقع وهي تسمية بالمصدر وهذا التفسير للزهري راوي الحديث (٢) أي قال بالاسناد السابق فهو ليس تعليقا (٣) أي أول الزوال (٤) يعني (رض) أن أهله كاهل الرسول ﷺ في الاخلاص له وكتمان سره وانما كان عنده وقتئذ اسماء وعائشة ففي رواية موسى بن عقبة : لاعين عليك انما هما ابنتاي وكذا في سيرة ابن هشام عن عروة (٥) سئل بعضهم عن سبب ذلك مع العلم بأن أبا بكر أنفق ماله كله عليه ﷺ في سبيل الله ومنه زاد السفر في الهجرة فاجاب انه ﷺ احب ان تكون هجرته من مال نفسه لما فيه من الاجر العظيم (٦) الثقف بوزن كتف الحاذق في إدراك الشيء وفعله الذي يأخذه أو يحذقه في أسرع وقت وأقصره . واللقن بوزنه السريع الفهم والادلاج السير في آخر الليل، وقوله يكتادان به أي يكاد المشركون ان يكيدوهما به

ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما (١) حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث . واستأجر رسول الله ﷺ وابو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتاً ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل

[قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم ان أباه أخبره انه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وابي بكر دية كل واحد منهما من قتله او أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة اني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي (٢) حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم ام لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الازلام (٣) تقرب بي

(١) المراد بالمنحة الشاة، والرسل بالكسر اللبن الطري والرضيف اللبن توضع فيه الحجارة المحماة لينعقد ويجمد وتذهب وخامته وقولها ينعق بهما أي يصيح بالغنم لتسرح من جانب الغار قبل طلوع النهار (٢) رفعتها أسرعت بها السير ، والتقريب فوق السير المعتاد ودون العدو ، وقيل في صفته أن تضع الفرس يديها معا وترفعهما معا (٣) الازلام جمع زلم كقلم لفظا ومعنى وتسمى السهام والقداح جمع قدح بالكسر وهي من الخشب يستعملونها للاستخارة التي يسمونها لاستقسام أي معرفة القسمة والحظ كما تقدم في أوائل سورة المائدة. وقوله خرج الذي أكره يريد انه خرج السهم الذي فيه النهي عن إضرارهم فعصاه لشدة حرصه على أخذ الجعل من قريش وهو مائتان من الابل

حتى اذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لايلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لأثر يديها عثان (١) ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ماريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال «أخف عنا» فسألته ان يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله ﷺ

[قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ماأطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم (٢) لامر ينظر اليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب (٣) فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يامعاشر العرب هذا جدكم (٤) الذي تنتظرون. فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول ، فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي ابا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك ، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف (٥) بضع عشرة ليلة وأسس

---

١) العثان بالضم لدخان من غير نار ٢) الاطم بضمتين الحصن العالي المبني بالحجارة ٣) مبيضين لابسين البياض أو مستعجلين ويزول بهم السراب ينقطع اتصاله بظهورهم فيه ٤) جدكم بالفتح حظكم وبختكم ٥) كانت منازلهم في قباء وهي على فرسخ من المسجد النبوي بالمدينة

المسجد الذى أسس على التقوى (١) وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا لا بل نهبه لك يارسول الله، ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن

«هذا الحمال لا حمال خيبر هـذا أبر ربنا واطهر»

ويقول

«اللهم ان الاجر أجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة»

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت

[حدثنا عبد الله بن ابي شيبة حدثنا أبو أسامة حدثنا هشام عن أبيه وفاطمة عن اسماء رضي الله عنها صنعت سفرة للنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر حين أراد المدينـة فقلت لابي ما أجـد شيئا اربطه إلا نطاقي ، قال فشقيه ففعلت ، فسميت ذات النطاقين . حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شـعبة عن ابي اسحاق قال سمعت البراء رضى الله عنه قال لما اقبل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة تبعـه سراقة بن مالك بن جعشم فدعا عليـه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه (٢) قال ادع الله لي ولا اضرك ، فدعا له قال فعطش رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرَّ براع قال ابو بكر فأخذت قدحا فحلبت فيه كثبة (٣) من لبن فأتيته فشرب حتى رضيت اه

(اقول) هذا ما اخترت نقله من صحيح البخاري من خبر الهجرة وفيه أحاديث أخرى تراجع في صحيح البخاري وغيره من الصحاح والسنن والسير وفيها عبر كثيرة وانني أقفي عليه بوصف الغار الذي شرفه الله بايوائه اليه اتماما للفائدة

(١) أي المذكور في القرآن وهو أول مسجد بني في الاسلام وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول جماعة جهراً (٢) في حديث أنس وهو مما تركته اختصارا انه قال في دعائه «اللهم اصرعه» فصرعه الفرس حالا (٣) الكثبة بالضم القليل من اللبن أو الماء

غار ثور وطريقه من مكة

الغار والمغار والمغارة من مادة الغور وغور كل شيء قعره وعمقه فالغار في الجبل تجويف فيه يشبه البيت ، وثور جبل من جبال مكة وعر المرتقى وقد وصفه وحدد مسافة الطريق اليه من مكة المكرمة ابراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري اذ زاره في ١٨ ذي الحجة سنة ١٣١٨ وكان يحرسه ثلة من الجيش المصري خوفا من فتك الاعراب به فذكر أن المسافة بينه وبين معسكر المحمل المصري في المحمل المسمى بالشيخ محمود من ضواحي مكة قريبة من خمسة أميال ونصف وانهم قطعوها على ظهور الخيل في ساعة وثلث ساعة . ثم قال في وصف الطريق والغار ما نذكره بنصه ليعلم القراء أن إيواء الرسول ﷺ وصاحبه (رض) اليه لم يكن بالسهل الذي لا مشقة فيه ، وانه ليس بالكبير الذي يعز العثور على من يستخفي فيه ، قال :

والطريق من مكة إلى الجبل تحفه الجبال من الجانبين وبه عقبة صغيرة يرتفع اليها الانسان وينحدر منها ولم يستغرق قطعها إلا ثلاث دقائق وبالطريق سبعة أعلام مبنية بالحجر ومجصصة فوق نشور من الارض يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار وقاعدته متر مربع وتنتهي بشكل هرمي وهذه الاعلام على يسار القاصد للجبل وبين كل اثنين منها بعد يتراوح بين ٢٠٠ متر وألف متر وكل واحد منها وضع عند تعريجة حتى لا يضل السالك عن الجبل ، وساعة بلغنا الجبل قسم اقونة (يعني عسكرهم) قسمين قسم صعد معنا إلى الجبل والآخر وقف بسفحه يرد عنا عادية العربان إن هموا بالاذى ، وقد تسلقنا الجبل في ساعة ونصفها بما في ذلك استراحة دقيقة أو ثنتين كل خمس دقائق . بل في بعض الاحيان كنا نستريح خمس دقائق لان الطريق وعر حلزوني وقد عددت ٥٤ تعريجة إلى نصف الجبل ، وكنا آونة نصعد وأخرى ننحدر حتى وصلنا الغار بسلام ، ولولا الاصلاح الذي أحدثه المشير عثمان باشا نوري الذي ولي الحجاز سنة ١٢٩٩ هـ والمشير السيد اسماعيل حقي باشا الذي كان واليا على الحجاز وشيخا للحرم سنة ١٣٠٧ هـ لازدادت الصعوبة وضل السائر عن الطريق ولم يهتد إلى الغار لعظم الجبل واتساعه وتشعب مسالكه

وكان من أثر إصلاحها جعل الطريق بهيئة سلالم تارة تتصعد وأخرى تنحدر على أنه مع ذلك لا يزال العروج صعبا فقد رأيت بعض الصاعدين امتقع لونه وخارت قواه فوقع على الارض مغشيا عليه ولولا أننا تداركناه بجرعة من الماء شربها وصبابة منه سكبناها على رأسه حتى أفاق لباغتته المنية ، ولهذا ننصح للزائرين بان يتزودوا من الماء ليقوا أنفسهم شر العطب ،

ولما بلغنا الغار وجدناه صخرة مجوفة في قنة الجبل أشبه بسفينة صغيرة ظهرها الى أعلى ولها فتحتان في مقدمها واحدة وفي مؤخرها أخرى ، وقد دخلت من الغربية زاحفا على بطني ماداً ذراعي الى الامام وخرجت من الشرقية التي تتسع عن الاولى قليلا بعد أن دعوت في الغار وصليت ، والفتحة الصغيرة عرضها ثلاثة أشبار في شبرين تقريبا وهي الفتحة الاصلية التي دخل منها النبي ﷺ وهي في ناحية الغرب . أما الفتحة الاخرى فهي في الشرق ويقال انها محدثة ليسهل على الناس الدخول إلى الغار والخروج منه ، والغار من الجبل في الناحية الموالية لمكة وقد وجدنا بجانبه رجلا عربيا يتناول الصدقات من الزائرين في مواسم الحج ويرشدهم الى الغار اذ توجد هناك صخور تشبه صخرته ولكنها لا تماثلها تماما انتهى ماذكره ابراهيم باشا رفعت في كتابه مرآة الحرمين

وقد وضع في الكتاب صورة الغار وصورة الجبل برسم آلة الانعكاس الشمسي فاستفدنا من ذلك كله أن الغار ضيق ووعر المرتقى وضيق المدخل . فعلمنا قدر المشقة التي أصابت الرسول ﷺ وصاحبه (رض) فيه وسبب اشفاق الصديق وخوفه أن يراهما المشركون بأدنى التفات ولكن الله تعالى صرف أبصارهم

وقد ورد في كتب الحديث والسير اخبار وآثار كثيرة في قصة الهجرة ودخول الغار فيها كرامات وخوارق يتساهلون بقبول مثلها في المناقب وان لم تصح بطرق متصلة يحتج بمثلها في الاحكام العملية ، ولا في المسائل الاعتقادية بالاولى

قال الحافظ في شرح حديث عائشة من الفتح ان الامام احمد روى باسناد حسن من حديث ابن عباس في قوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا) الآية قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق - يريدون

النبي صلى الله عليه وسلم - وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي على فراش رسول الله ﷺ تلك الليلة وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي ﷺ يعني ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه . فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا ؟ قال لا أدري ، فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال اه

وذكر الحافظ روايات بهذا المعنى من مراسيل الزهري والحسن في بعض السير وغيرها ونقل عن دلائل النبوة للبيهقي من مرسل محمد بن سيرين ان أبا بكر ليلة انطلق مع رسول الله ﷺ الى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله (أي عن سبب ذلك) فقال أذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فأمشي أمامك ، فقال « لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني ؟ » قال إي والذي بعثك بالحق . فلما انتهى إلى الغار قال مكانك يارسول الله حتى استبريء لك الغار ، فاستبرأه . وذكر ابو القاسم البغوي من مرسل ابن أبي مليكة نحوه وذكر ابن هشام من زياداته عن الحسن البصري بلاغا نحوه اه

أقول فهذه مراسيل عن كبار علماء التابعين يؤيد بعضها بعضا وفي الموضوع روايات أخرى منها أن حمامتين عششتا على بابه ، وفي بعض الروايات ان أبا بكر سد كل جحر كان في الغار بقطع من ثوبه وهذا مراده من استبرائه

وقال الحافظ قبل ذلك في شرح قول عائشة ثم لحق رسول الله ﷺ وابو بكر بغار في جبل ثور : ذكر الواقدي انهما خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر وقال الحاكم تواترت الاخبار أن خروجه ﷺ كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين . الا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس (قلت) يجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال فهي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج في أثناء ليلة الاثنين اه

مناقب الصديق في قصة الهجرة

قد دلت هذه الآية الكريمة وما يفسرها ويشرحها من الاحاديث الصحيحة على مناقب وفضائل لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه امتاز بها على جميع أصحاب رسول الله ﷺ نذكر منها مايتبادر إلى الفهم بغير تكلف لبداهته، ومن غير مراعاة ترتيب

(الاولى) أن رسول الله ﷺ لم يأمن على سره وعلى نفسه في هذه الحادثة التي كانت أهم حوادث رسالته وأشدها خطراً وخيرها عاقبة غير صاحبه الاول أبي بكر الصديق وان شئت قلت انه لم يختر لصحبته وإيناسه فيها غيره . ويؤيده مارواه ابن عدي وابن عساكر من طريق الزهري عن أنس (رض) أن رسول الله ﷺ قال لحسان « هل قلت في أبي بكر شيئا ؟ قال نعم، قال « قل وأنا أسمع » فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد   طاف العدو به إذ صعّد الجبلا
وكان حِب رسول الله قد علموا   من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال « صدقت يا حسان هو كما قلت »

(الثانية) انه ﷺ رضي أن تكون نفقة هذه الرحلة من مال أبي بكر الذي أنفق جميع ماله في خدمته ﷺ الا انه أحب أن تكون الراحلة التي ركبها بالثمن يدفعه بعد ذلك. وتقدم ماقاله بعض العلماء في تعليل ذلك. وفي صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب غضب من أبي بكر رضي الله عنه في محاورة بينهما فطلب منه أبو بكر أن يغفر له فأبي فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ « يغفر الله لك يا أبا بكر » ثلاثا — قال الراوي وهو ابو الدرداء (رض) — ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فقال: أثم ابو بكر؟ فقالوا لا — فأتى الى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه رسول الله ﷺ يتمعر حتى اشفق ابو بكر (١) فجثا على ركبتيه فقال يارسول الله والله أنا كنت أظلم — مرتين — فقال النبي ﷺ « ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت، وقال ابو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي » ؟ مرتين — فما أوذي ابو بكر

(١) معر الوجه وتمعر بالتشديد للتكثير أو التدرج تغير من الغيظ حتى خاف أبو بكر ان يكلم عمر كلاما شديدا

بعدها وقد صرح أيضاً بأن أمن الناس عليه في ماله ونفسه ابو بكر . رواه الشيخان وغيرهما

(الثالثة) ان الرسول ﷺ لم يختر في ذلك وأمثاله إلا مااختاره الله تعالى له فهذا تفضيل من الله عز وجل للصديق على غيره من أصحاب نبيه ﷺ

(الرابعة) ذكره عز وجل في كتابه العزيز بهذا الثناء العظيم الذي لم يشاركه فيه أحد من المؤمنين في مقام اطلاق الانكار عليهم والتوبيخ لهم على تثاقلهم عن إجابة استنفار رسوله ﷺ إياهم بأمره . أخرج خيثمة بن سليمان الاطرابلسي في فضائل الصحابة وابن عساكر من طريق الزهري عن علي بن أبي طالب (رض) قال ان الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر (رض) فقال (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا) وأخرج ابن عساكر عن سفيان بن عيينة قال عاتب الله المسلمين جميعاً في نبيه ﷺ غير أبي بكر (رض) وحده فانه خرج من المعاتبة ثم قرأ (الا تنصروه فقد نصره الله) الآية . ذكرهما السيوطي في الدر المنثور - فهذا مادل عليه أسلوب الآية والسياق من تفضيله على جميع الصحابة (رض) بغير استثناء . وأخرج ابن المنذر عن الشعبي قال : والذي لارب غيره لقد عوتب أصحاب محمد ﷺ في نصرته إلا أبابكر فقد قال تعالى (الا تنصروه) الآية خرج ابو بكر (رض) من المعتبة

(الخامسة) أمره ﷺ عليا كرم الله وجهه أن يبلغ الناس في موسم الحج هذه الآية في جملة مابلغه من أول سورة براءة كما تقدم في أول تفسير السورة ، وفي ذلك حكم بالغة ، تقطع كل وتين من قلوب الرافضة ، وان لم تقطع ألسنتهم الكاذبة الخاطئة ،

(السادسة) قوله تعالى في رسوله ﷺ وفيه (ثاني اثنين) فهذا القول من رب العالمين في خطاب جميع المؤمنين في هذا المقام والسياق فيه دلالة واضحة على فضل هذين الاثنين وكون الصديق هو الثاني في المرتبة بعد رسول الله ﷺ في كل مايقتضيه المقام للهجرة الشريفة من الفضائل والمزايا

قال الفخر الرازي عند ذكر هذه المنقبة وهي كون أبي بكر ثاني رسول الله ﷺ في الغار مانصه . والعلماء أثبتوا انه (رض) كان ثاني رسول الله ﷺ في

أكثر المناصب الدينية فانه ﷺ لما أرسل إلى الخلق وعرض الاسلام على أبي بكر آمن ابو بكر ثم ذهب وعرض الاسلام على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة (رض) والكل آمنوا على يديه ثم انه جاء بهم إلى رسول الله ﷺ بعد أيام قلائل فكان هو (رض) ثاني اثنين في الدعوة إلى الله وأيضا كلما وقف رسول الله ﷺ في غزوة كان ابو بكر يقف في خدمته ولا يفارقه فكان ثاني اثنين في مجلسه ، ولما مرض رسول الله ﷺ قام مقامه في إمامة الناس في الصلاة فكان ثاني اثنين ، ولما توفي دفن بجنبه فكان ثاني اثنين هناك أيضا اه وأخص من هذا كله أنه كان ثانيه في الشروع في إقامة الشرع في دار الهجرة فلم بر الانصار معه ﷺ أحدا قبله

(السابعة) — وهي تؤيد ماتضمنه معنى الاثنينية من رفعة المقام — قوله ﷺ له « يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما؟» وانها المنقبة تتضاءل دونها المناقب، ومرتبة تنحدر عن عليا سمائها المراتب ، أكبرَ أعلمُ رسل الله بالله أمرها ، وهو أعلم بقدرها ، فان قوله ﷺ «ماظنك يا أبابكر» بكذا يراد به أنه لايمكن أن تحوم الظنون أو تنتهي الآراء والافكار الى شأن أعلى من شأنها، ومنعة أعز من منعتها الخ

(الثامنة) حكاية رب العزة والجلال لقول رسوله الذي ختم به النبيين ، وأرسله رحمة للعالمين، لهذا الصاحب الصديق المكين ، (لاتحزن إن الله معنا) فهي دليل على أنه قال له ذلك باذنه تعالى ووحيه، لا من حسن ظنه ﷺ بربه واجتهاد رأيه ، على انه لو كان اجتهاداً أقره ربه عليه وحكاه عنه ، وجعله مما يتعبد به المؤمنون مادامت السموات والارض، لكانت قيمته في غايته، بمعنى ما كان عن الوحي منذ بدايته ، وهذا يؤيد كون ماذكرناه في تفسير المعية من كونها معية خاصة من نوع المعية التي أيد الله تعالى بها موسى وهارون عليهما السلام ، الا أنها أعلى في ذاتها وشخصها من كل أفراد هذا النوع . فالمعية الالهية معنى إضافي يختلف باختلاف موضوعه ومتعلقه ، فمعية العلم عامة كقوله تعالى (٥٨ : ٧ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات ومافي الارض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة

إن الله بكل شيء عليم) وهي لا تشريف فيها لاهلها بل هي تهديد لهم ، وانذار بان الله مطلع على كل مايصدر عنهم، وانه سيحاسبهم عليه ويجزيهم به. وأعلى منه معيته تعالى للمتقين والمحسنين وهي تتضمن معنى التوفيق واللطف كما تقدم، ففيها شرف عظيم، وأعلى منها معيته عز وجل للانبياء والمرسلين، في مقام التأييد على الاعداء المناوئين. وهي أعلى الانواع كما علمت ولم يثبت لاحد من غيرهم حظ منها الا ماثبت للصديق هنا .

(التاسعة) إنزال الله تعالى سكينته عليه على ماتقدم من التفسير المنقول المعقول، وهي منقبة لم يرد في التنزيل اثباتها لشخص معين قبله ولا بعده إلا الرسول ﷺ وانما ورد اثباتها لجماعة المؤمنين كما تقدم ، وقد كان رضي الله تعالى عنه قائماً مقام جميع المؤمنين في الغار وسائر رحلة الهجرة الشريفة في خدمة الرسول ﷺ وانما نزل التنويه بذلك في أواخر مدة الهجرة اي سنة تسع منها ، وقد روينا لك ماقاله علي المرتضى كرم الله وجهه وغيره من تفضيله على جميع المؤمنين بهذه الآية من قبل الله عز وجل، وانه كان المبلغ لها عن الرسول ﷺ في موسم الحج.

(العاشرة) تأييده بجنود لم يرها المخاطبون من المؤمنين وهي الملائكة بناء على القول بعطف جملة التأييد على جملة إنزال السكينة كما تقدم شرحه ، ويأتي في هذا ماذكرناه فيما قبله من الخصوصية وجعل أبي بكر في مقام المؤمنين كافة مع تفضيله عليهم

(الحادية عشرة) اثبات الله تعالى صحبته لرسوله ﷺ في أعظم مواطن بعثته ، وأطوار نبوته ، فان كان النبي ﷺ قد سمى أتباعه في عهده أصحابا تواضعا منه وتربية لهم على احترام جميع أفراد الامة ومعاملتهم بالعدل والمساواة ، وإزالته لما كان في الجاهلية من احتقار بعض القبائل لبعض واحتقار الاغنياء والرؤساء لمن دونهم — وابطالا لما كان في شعوب أخرى كالهنود من جعل الناس طبقات بعضها فوق بعض بالتحكم والتوارث - وهو ﷺ مبعوث إلى الجميع ولاصلاح الجميع — فان هذا لاينافي ماجرت به سنة الله تعالى في خلقه وأقرته شريعة الحق والعدل لخاتم رسله من تفاضل أفراد الناس بعضهم على بعض بالايمان والعلم والعمل ومعالي الاخلاق (إن أكرمكم عند الله أتقاكم * فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل المجاهدين على القاعدين

أجراً عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة * الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أعظم درجة عند الله) الخ

وقد أجمع المسلمون على أن المهاجرين السابقين الاولين أفضل من سائر المؤمنين ، وورد في فضائل الهجرة آيات وأحاديث كثيرة معروفة وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ان أبا بكر (رض) أول المهاجرين وأنه امتاز بهجرته مع الرسول نفسه باذن ربه ورغبته ﷺ من قبل الاذن الالهي له ، إذ منع أبا بكر من الهجرة وحده انتظاراً منه لاذن الله تعالى له بهجرته معه كما تقدم في الحديث الصحيح — فلا غرو أن يكون له كل ما علمنا من المزايا في الهجرة وان يكون بها أفضل المهاجرين بعد سيد المهاجرين ﷺ وأن تكون صحبته أفضل وأكمل من صحبة غيره . وفي قوله ﷺ في حديث مغاضبة عمر له على مسمع من الصحابة « فهل أنتم تاركو لي صاحبي » اشعار بانه الصاحب الاكمل له ﷺ فهو قد أضافه إلى نفسه كما أضافه الله تعالى اليه في كتابه، إذ الاضافة هنا كالاضافة في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) إضافة تشريف واختصاص ، فان جميع الخلق عبيد الله (إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً) وقد قال الفقهاء ان من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه للرسول ﷺ يحكم بردته عن الاسلام لتكذيبه بنص القرآن . وهاتان منقبتان في الصحبة والهجرة جعلناهما واحدة. وقد يثلثهما انه لم يكن معه ﷺ حين وصل إلى دار الهجرة والنصرة من أصحابه السابقين الاولين غير أبي بكر (رض) فهو أول من رآه معه جماعة الانصار (رض) وأول من صلى معه من المهاجرين أول جماعة وأول جمعة ظهرت بها شعائر الاسلام

(الثانية عشرة) حكاية الله عز وجل عن نبيه ﷺ أنه قال له « لا تحزن » فكونه (ص) يعني بتسليته وطمأنته أمر عظيم ، واخبار الله بذلك فيما يتعبد به المؤمنون الى يوم القيامة أمر أعظم . وناهيك بتعليله بما عله به من معية الله عز وجل لهما . وهذا النهي عن الحزن لم يرد في غير هذا الموضع من القرآن خطابا من قبله تعالى إلا للنبي الاعظم ﷺ وورد خطابا من الملائكة للوط عليه السلام – وقد علل في آخر سورة النحل بمعية الله تعالى للمتقين والمحسنين ، وعلل هنا بالمعية التي هي أخص منها وأعلى كما تقدم شرحه

(الثالثة عشرة) ان القرآن العظيم كلام الله تعالى وهو أكمل كتاب أنزله الله تعالى على خاتم رسله لهداية البشر كافة، فهو يمدح الايمان والاعمال الصالحة والصفات الحميدة وأهلها، ويذم الكفر والشرك والاعمال السيئة والصفات القبيحة وأهلها، ولا ترى فيه مدحا لشخص معين من هذه الامة غير رسولها ﷺ الا لصاحبه الاكبر أبي بكر (رض) ولا ذما لشخص معين من الكفار غير أبي لهب وامرأته . فاختصاص أبي بكر بالمدح من رب العالمين في هذه الآية منقبة لايشاركه فيها أحد من هذه الامة تدل على فضله على كل فرد من أفرادها، وهذا المعنى اي الاختصاص غير موضوع المدح المتقدم تفصيله فهو يجعل قيمته مضاعفة إذ لو كان في التنزيل مدح لغيره كالاحاديث الشريفة الواردة في فضائله وفضائل آخرين من أهل بيته ﷺ وأصحابه لما كانت هذه منقبة خاصة بالصديق ، وإن كان المدح المفروض لغيره دون مدحه في موضوعه ، كما هو شأن أحاديث المناقب، فكيف وقد جاء هذا المدح في سياق توبيخ المؤمنين على التثاقل في إجابة الرسول الى ما استنفرهم له كما تقدم شرحه والآثار فيه ؟

ولا يرد على هذه الخصوصية أن قصة الاعمى تتضمن ثناء عليه بالخشية وهو شخص معين معروف أنه عبدالله بن أم مكتوم المؤذن (رض) فان السياق ليس سياق مدح، وقوله تعالى (وهو يخشى) لايدل على أن هذه الخشية خاصة به ، ولا انه ممتاز فيها على غيره ، على أن فيها من إثبات الفضل له مالا يخفى

﴿ الكلمة الثالثة مراء الروافض ، وتحريفهم وتبديلهم لهذه المناقب ﴾

قال الفخر الرازي بعد تفسير الآية واستنباط مافيها من المناقب بدون ماألهمنا الله تعالى إياه مانصه : واعلم ان الروافض احتجوا بهذه الآية وبهذه الواقعة على الطعن في أبي بكر من وجوه ضعيفة حقيرة جارية مجرى إخفاء الشمس بكف من الطين (فلاول) قالوا انه قال لابي بكر « لاتحزن » فذلك الحزن إن كان حقاً فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه، وان كان خطأ لزم أن يكون أبو بكر مذنبا وعاصياً في ذلك الحزن !! (والثاني) قالوا يحتمل أن يقال انه استخلصه

لنفسه لانه كان يخف منه انه لو تركه في مكة أن يدل الكفار عليه وأن يوقفهم على أسراره ومعانيه فأخذه معه دفعا لهذا الشر (والثالث) انه وان دلت هذه الحالة على فضل أبي بكر إلا أنه أمر علياً بأن يضطجع على فراشه ومعلوم ان الاضطجاع على فراش رسول الله ﷺ في مثل تلك الليلة الظلماء مع كون الكفار قاصدين قتل رسول الله تعريض النفس للفداء فهذا العمل من علي أعلى وأعظم من كون أبي بكر صاحباً للرسول — فهذه جملة ماذكروه في هذا الباب اه

هذا مانقله الرازي بحروفه وقال إنه أخس من شبهات السوفسطائية ورد عليه وذكر في رده رداً آخر لابي علي الجبائي امام المعتزلة في عصره في القرن الثالث (توفي سنة ٣٠٣) فدل هذا على قدم هذا الجهل والسخف في القوم

وقد بسط ذلك الشهاب الالوسي في تفسيره نقلا عنهم وكان كثير الاحتكاك بعلمائهم في بغداد فقال مانصه : وأنكر الرافضة دلالة الآية على شيء من الفضل في حق الصديق (رض) قالوا ان الدال على الفضل ان كان ﴿ ثاني اثنين ﴾ فليس فيه أكثر من كون أبي بكر متمما للعدد — وان كان (اذ هما في الغار) فلا يدل على أكثر من اجتماع شخصين في مكان ، وكثيراً مايجتمع فيه الصالح والطالح ، وان كان (لصاحبه) فالصحبة تكون بين المؤمن والكافر كما في قوله تعالى (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك) وقوله سبحانه (وما صاحبكم بمجنون ، وياصاحبي السجن) بل قد تكون بين من يعقل وغيره كقوله

ان الحمار مع الحمار مطية ، اذا خلوت به فبئس الصاحب

وان كان (لاتحزن) فيقال لايخلو اما أن يكون الحزن طاعة أو معصية ، لاجائز أن يكون طاعة والا لما نهي عنه ﷺ فتعين أن يكون معصية لمكان النهي ، وذلك مثبت خلاف مقصودكم ؛ على أن فيه من الدلالة على الجبن مافيه — وان كان (إن الله معنا) فيحتمل أن يكون المراد إثبات معية الله الخاصة له ﷺ وحده لكن أتى « بنا » سداً لباب الايحاش ، ونظير ذلك الاتيان « بأو » في قوله (وانا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) — وان كان (فأنزل الله سكينته عليه) فالضمير فيه للنبي ﷺ لئلا يلزم تفكيك الضمائر وحينئذ يكون في

تخصيصه ﷺ بالسكينة هنا مع عدم التخصيص في قوله سبحانه (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) إشارة إلى ضد ما ادعيتموه - وان كان مادلت عليه الآية من خروجه مع رسول الله ﷺ في ذلك الوقت فهو عليه الصلاة والسلام لم يخرجه معه إلا حذراً من كيده لو بقي مع المشركين بمكة ، وفي كون المجهز لهم بشراء الابل علياً كرم الله تعالى وجهه إشارة لذلك . وان كان شيئاً وراء ذلك فبينوه لنتكلم عليه انتهى كلامهم

(قال الشهاب الالوسي إثر نقله) ولعمري إنه أشبه شيء بهذيان المحموم أو عربدة السكران ، ولولا أن الله سبحانه حكى في كتابه الجليل عن إخوانهم اليهود والنصارى ماهو مثل ذلك ورده رحمة بضعفاء المؤمنين ما كنا نفتح في رده فما ، أو نجري في ميدان تزييفه قلما . ثم رد كل كلمة قالوها رداً علميا أدبيا مفحماء وما شرحناه في تفسير الآية وما استنبطناه منها بمعونة أحاديث الهجرة من المناقب التي هي نصوص ظاهرة في تفضيل الصديق على جميع الصحابة رضي الله عنه وعنهم ، ولعن مبغضيه ومبغضيهم ، وما سنزيده على ذلك من إفحامهم يغنينا عن نقل عبارته فانه أقوى منه في تفنيد هذا التحريف لكلام الله وكلام رسوله والافتراء المفضوح المعلوم بطلانه بالبداهة ، وانما أختار من كلام السيد الالوسي قوله في آخره :

« وأيضاً إذا انفتح باب هذا الهذيان أمكن للناصبي أن يقول والعياذ بالله تعالى في علي كرم الله وجهه : إن النبي ﷺ لم يأمره بالبيتوتة على فراشه ليلة هاجر إلا ليقتله المشركون ظنا منه أنه النبي ﷺ فيستريح منه . وليس هذا القول بأعجب ولا أبطل من قول الشيعي إن اخراج الصديق إنما كان حذراً من شره . فليتق الله من فتح هذا الباب ، المستهجن عند أولي الالباب اه

أقول ومن هذا الباب في سوء التأويل ، الذي يقوله من لا يعتقد صحته لمحض التضليل ، تأويل معاوية لحديث « ويح عمار تقتله الفئة الباغية » فانه لما علم أن فئته قتلته قال : انما قتله من أخرجه - يعني عليا كرم الله وجهه - بل هذا التأويل الباطل أقرب إلى اللغة من تأويل الروافض لخروج الصديق مع النبي ﷺ المذكور آنفا ان صح أن يسمى تأويلا وانما هو تضليل لا تأويل ، فان هذه الفرية التي

افتجرها هؤلاء الفجرة ليس لها شبهة لغوية لا من ألفاظ الآية ولا من ألفاظ أحاديث الهجرة ، بل هي مصادمة للنصوص كلها ومناقضة لما تواتر وصار معلوما بالضرورة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ونشأة الاسلام من ملازمة الصديق له من أول الاسلام إلى آخر حياته صلى الله عليه وسلم بما لا حاجة الى شرحه ، ولاسيما بعد ما بسطناه هنا من أمره ،

وأما تأويل معاوية فله شبهة لغوية وهو إسناد الشيء الى سببه مجازاً ، ومنه إخراج المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من مكة انما أطلق على سببه وهو الاضطهاد والايذاء الذي نالوهم به ، ولكن لا يحمل اللفظ على المجاز إلا عند وجود المانع من حمله عليا الحقيقة . ولما بلغ أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه قوله رد عليه بانه يقتضي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قتل عمه حمزة وابن عمه جعفرا وغيرهما من شهداء بدر وأحد وسائر الغزوات لانه هو الذي أخرجهم الى القتال

ثم إن من المعلوم بالبداهة أن من يخاف من وشاية آخر عليه لا يخبره بسره ، فكيف أمن النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على سره ، ورضي أن يعلم بذلك جميع أهل بيته ، وان يتعاهدهما ولده وعتيقه في الغار بالغذاء وبالانباء كل ليلة ، وأن يكون هو الذي يتولى استئجار الدليل الذي يرحل بهما ؟؟

ثم أقول زيادة في فضيحة هؤلاء المحرفين (أولا) إنكم تزعمون انه لا فضيلة في صحبة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار ويلزم منه انه لا فضيلة في صحبته ولا في صحبة سائر المؤمنين له في غير الغار من أزمنة رسالته صلى الله عليه وسلم بالاولى إذ تستدلون على ذلك بان الصحبة تكون بين المؤمن والكافر والبر والفاجر وبين الانسان والحيوان أيضاً . فاذا كنتم تلتزمون هذا الاستدلال فانه يلزمكم خزيان لا مفر لكم منها (أحدهما) ان صحبة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم أعلى الله قدره ورفع ذكره ، وصحبة الكافر او الحمار سواء (وأستغفر الله تعالى من حكاية هذا الجهل وإن كان حاكي الكفر ليس بكافر) لان كلا منهما تسمى صحبة في اللغة . والعبرة عندكم بالتسمية دون متعلقها ، اي ان ما أسند اليه الفعل وما وقع عليه وما لابسه لا شأن له عندكم في كونه حقا أو باطلا أو فضيلة أو رذيلة .

وما قلتموه في الصحبة يجري مثله في الهجرة فانه ثبت في الحديث الصحيح كما

هو ثابت في الواقع ان الهجرة قد تكون الى الله ورسوله وقد تكون لأجل منفعة دنيوية او امرأة يريد المهاجر أن يتزوجها . واذا كان كل منهما يسمى هجرة فالمهاجرون عندكم سواء في انه لافضيلة لهم ولا يستحقون الاجر عند الله تعالى

(ثانيهما) ان الايمان بالله تعالى والعبادة الخالصة له لا يعدان عندكم من الفضائل لانهما مشتركان في الاسم مع الايمان بالجبت والطاغوت وعبادة الشيطان والاوثان فقد قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية وقال (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) وقال (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم)

واذا نحن انتقلنا الى طبيعة الصحبة ، وما فيها من العلم والحكمة ، نقول ان ماهذى به الروافض من صحبة المؤمن للكافر ونحوها انما يصح في الصحبة الاتفاقية العارضة ، دون صحبة المودة ولا سيما الدائمة ، كصحبة يوسف لمن كان معه في السجن ، والرجلين الذين ضرب المثل بهما في صورة الكهف ، وذلك أن صحبة المودة الاختيارية لاتكون الا بين المتشاكلين في الصفات والافكار ، كما يدل عليه حديث « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » رواه احمد والبخاري ومسلم وغيرهم. وقد تعارفت روحا النبي ﷺ وأبي بكر من قبل الاسلام فائتلفت، وزادهما الاسلام تعارفا وائتلافا ، حتى انهما لم يفترقا في وقت من الاوقات ولا في طور من الاطوار ، وقد مهد ﷺ السبيل لاجتماع قبريهما اذ أرشد الامة الى دفنه في بيت عائشة الصديقة (رض) وهو يعلم انها لابد أن تدفن والدها بجانبه . وعلماء التربية والاخلاق يعدون الصحبة والمعاشرة ركنا من أركان اقتباس كل من الصاحبين من الآخر ، فيحثون على صحبة الاخيار ، ويحذرون من صحبة الاشرار ، قال الشاعر الحكيم

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال آخر

وقائل كيف تفارقتما   فقلت قولا فيه انصاف

لم يك من شكلي ففارقته   والناس أشكال وآلاف

(ثانيا) انكم تزعمون انه لافضيلة للصديق الاكبر (رض) في كونه مع الرسول الاعظم ﷺ ثاني اثنين بشهادة رب العزة، ولا في كون الله عزوجل ثالثهما، لان العدد لافضيلة فيه بزعمكم مهما تكن قيمة المعدود بذلك العدد، وأنتم تعلمون أن المؤمنين بكتاب الله تعالى وبرسوله لايقولون إن لفظ «اثنين» أو لفظ «ثاني» او «ثالثهما» له فضيلة في حروفه أو تركيبها او النطق به، وإنما يقولون إن الفضيلة للصديق الاكبر (رض) في المعدود المراد بلفظ (ثاني اثنين) في الآية وبلفظ «ماقولك يا أبا بكر في اثنين الله ثالثهما» في الحديث، فثلاثة رب العالمين أحدهم وسيد ولد آدم وخاتم النبيين والمرسلين ثانيهم يكون لأبي بكر الصديق أعظم الشرف في أن يكون ثالثهم ـ او كما قلتم منما للعدد ـ ويزيد هذا الشرف الذاتي قيمة انه ليس مما يحصل مثله بالمصادفة ولا بالكسب والسعي، وانما الذي اختاره له هو رسول الله باذن الله، والمخبر بذلك هو الله ورسوله. ولو ور[illegible]ه الآية وهذا الحديث في علي رضي الله عنه وكرم وجهه لقلتم في الثلا[illegible]د نحواً مما قالت النصارى في ثالوثهم «الآب والابن وروح القدس[illegible]م في كونه كرم الله وجهه أحد الذين ثبتوا معه ﷺ في حنين، ف[illegible]ثبات الذي لم ينفرد به ولم يثبت

مرسل متواتر، حجة عا[illegible]

بنص القرآن، ولا بحديث مص[illegible] الرسول من القتل، وبقاء الاسلام من اعترفتم بثباتهم. وكما فعلتم في حديث مؤاخاة النبي ﷺ له اذ فضلتموه والمسلمين وغيره، على حين قد ثبتت تسمية النبي ﷺ الصديق أخا له بأحاديث صح من ذلك الحديث كقوله ﷺ «لو كنت متخذاً من أمتي خليلا دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي» رواه البخاري من حديث ابن الزبير وابن عباس وغيره وهو يدل على ان أبا بكر عنده أعلى منزلة من جميع امته

وقد قرأنا وسمعنا عنكم أنكم تفخرون بعدد آخر لم تثبت روايته بمثل ماثبتت به رواية هذا العدد ولايبلغ درجته في عظمة المعدود. قال الفخر الرازي واعلم أن الروافض في الدين كانوا اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل، وأرادوا به أن الرسول ﷺ وعليا وفاطمة والحسن والحسين كانوا قد احتجبوا تحت

عباءة يوم المباهلة فجاء جبريل وجعل نفسه سادساً لهم ، فذكروا للشيخ الامام الوالد رحمه الله تعالى ان القوم هكذا يقولون فقال رحمه الله : لكم ماهو خير منه بقوله صلى الله عليه وسلم « ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟» ومن المعلوم بالضرورة أن هذا أفضل وأكمل اهـ

وأقول ان من أكبر جنايات الروافض على الاسلام والمسلمين انهم جعلوا أبا بكر وعليا رضي الله عنهما خصمين وما ورد في مناقبهما معارضا بعضه ببعض وكل هذا باطل ، فما كانا الا أخوين في الله وفي نصر رسوله واقامة الاسلام ، ولكل منهما مقام معلوم ، وما ورد في مناقب علي أعلى الله مقامه أكثر مما ورد في مناقب غيره كما قال الامام احمد رحمه الله تعالى . وقد غلط الرازي في نقله ان مسألة العباء أو الكساء وردت في قصة المباهلة فان المعروف انها وردت في اثبات جعل علي وزوجه و[illegible]هما من أهل البيت النبوي عليهم السلام داخلين في معنى قوله تعالى (انما يريد الله [illegible] عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) والآية واردة في لازواج الطاهرات [illegible]) عنهم إذ روي انه صلى الله عليه وسلم جمعهم معه في الكساء ودعا الله بان يذهب عنهم الرجس وي[illegible] مرا ، والمقام لا يسمح بالبحث في هذه المسألة هنا

(ثالثا) انكم زعمتم أن نهي ر[illegible] صلى الله عليه وسلم للصديق عن الحزن يدل على انه (رض) كان عاصيا بذلك الحزن وم[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] السنة وبطاع ابـ[illegible] وهذا الزعم دليل على الجهالات التعصب الذميم وسوء النية فيه ، وحسبي في اثبات جهلكم أنه قعكم في هذه الجملة من معنى الحزن والنهي عنه وأن جملة « لاتحزن » لم ترد في غير هذه الآية من تفسير إلا في خطاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وفي خطاب الملائكة للوط عليه السلام ، فان كنتم تقولون انها تدل على العصيان والجبن يلزمكم من الطعن في الرسول الاعظم وفي نبي الله لوط ماهو صريح الكفر ، بل أثبت الله تعالى عروض الحزن للنبي صلى الله عليه وسلم بالفعل في قوله (قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون) ومن المتواتر أنه صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس ، وحسب الصديق شرفا أن ينهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عما نهاه ربه عنه ، وأي شرف أعلى من هذا ؟

(رابعا) ان مازعمتموه من احتمال أن يكون المراد من جملة (إن الله معنا) اثبات المعية للنبي صلى الله عليه وسلم وحده لا يصدر مثله الا عنكم بالتبع للملاحدة سلفكم الباطنية

الذين قالوا مثل هذا في الصلاة والصيام، وغيرهما من العقائد وشرائع الاسلام ، فانه مما يأباه اللفظ والاسلوب والسياق والمقام ، وانما يقصد بالكلام الافهام ، وما زعمتموه صريح في انه ﷺ أفهم صاحبه غير الحق وأراد أن يغشه ويوهمه بالباطل أن الله معهما ؟ حاش لله وحاش لرسوله ، ماهذا إلا من نوع تحريف اليهود والباطنية لكلام الله ، بما لا يليق بالله ولا برسوله . وهذه الجملة بعيدة أشد البعد عن جملة (وانا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) المراد بها استمالة الكفار المعاندين لاستماع حجج القرآن وكانوا (ينهون عنه وينأون عنه) والترديد فيها حق فان أحد الفريقين على هدى او في ضلال مبين، لا مفر من ذلك في نظر العقل، وهو لا يمنع أن يكون الواقع بالفعل، أن المخاطب لهم وهو الرسول ﷺ على الهدى وأن يكونوا هم في ضلال مبين

ولما كان ابو جعفر محمد بن علي الطبرسي من علماء العربية ومعتدلي الشيعة أبت عليه كرامة العلم أن يسفه نفسه بنقل جها التهم التى نقلها الرازي والالوسي للرد عليها، فكان كل ماضعف به مناقب الصديق (رض) في الآية ترجيح القول بان الضمير في قوله تعالى (فأنزل الله سكينته عليه) راجع الى النبي ﷺ واحتج عليه بما احتج غيره ممن رجحوا هذا القول من اتساق مرجع الضمائر - وقد علمت ما فيه - وأشار بعده الى ما للشيعة من الكلام في ذلك وقال انه أبى أن ينقله لئلا يتهم بما لا يحب أن يتهم به

(خامسا) زعمكم أن عليا كرم الله وجهه هو المجهز لهم بشراء الابل لم يثبت برواية صحيحة بل الثابت في الصحيح ما تقدم في حديث الهجرة الذي سردناه آنفا من شراء الصديق للراحلتين وأخذه ﷺ لاحداهما بالثمن . ولو ثبت قولكم لم يكن دالا على ما زعمتموه كما هو ظاهر

هذا وانني أعتقد ان قائلي ماذكره المفسرون من تحريف الرافضة للآية الكريمة وللاحاديث الشريفة في مناقب الصديق ليسوا من الجهل باللغة العربية بحيث يعتقدون صحة ماقالوا وما كتبوا ، وانما هم قوم بهت ، يجحدون مايعتقدون، ويفترون الكذب وهم يعلمون ، ويحرفون الكلم عن مواضعه كاليهود الاولين الذين حرفوا البشارات بمحمد ﷺ وكدعاة النصرانية في هذا العصر، والذين وضعوا لهم قواعد الرفض وخططا التأويل والتحريف هم ملاحدة الشيعة الباطنية أعداء

الاسلام الذين كانوا يتوسلون بها الى هدم هذا الدين وازالة ملك العرب تمهيداً لاعادة الديانة المجوسية والسلطة الكسروية ، وقد وضعوا لهم من الاحاديث والآثار عن أئمة آل البيت في تحريف القرآن والغلو فيهم ومن قواعد البدع ماكانوا به شر فرق المبتدعة في هذه الامة ، وقد برعوا في تربية عوامهم على بدعهم بما فيها من الغلو في تعظيم علي وآله بما هو وراء محيط الدين والعقل واللغة ، والغلو في بغض الصديق والفاروق وذي النورين وأكابر المهاجرين وجمهور الصحابة والطعن فيهم بما هو وراء محيط الدين والعقل واللغة أيضا . وانما خصوا الخليفتين الاولين منهم بمزيد البغض والذم لانهما هما اللذان جهزا الجيوش وسيراها إلى بلاد فارس ففتحوها وازالوا دينها وملكها من الوجود . وقد صارت هذه التقاليد راسخة بالتربية والوراثة حتى صار من يسمونهم العلماء المجتهدين يكتبون مثل مانقلناه عن بعض المعاصرين منهم في الكلام على غزوة حنين ، وهو أعرق في الغلو وأرسخ في الجهل مما نقله الرازي والالوسي هنا عن بعض متقدميهم . فاذا كان هذا حال من يسمونهم العلماء المجتهدين فكيف يكون حال من وطنوا أنفسهم على التقليد في طلب العلم؟ ثم كيف حال عوامهم الذين يلقنونهم هذه الاضاليل، ويربونهم على بغض من أقام الله بهم هذا الدين ، وصرح في كتابه العزيز بانه رضي عنهم ورضوا عنه ، وعلى لعن من فضله الله ورسوله عليهم كلهم؟ وناهيك بهذه الآية تفضيلا ، ومن أصدق من الله قيلا ؟

ألا إن هؤلاء الروافض شر مبتدعة هذه الملة وأشدهم بلاء عليها ، وتفريقا لكلمتها ، وقد سكنت رياح التفريق التي أثارها غيرهم من الفرق في الاسلام وبقيت ريحهم عاصفة وحدها ، فهؤلاء الإباضية لا يزال فيهم كثرة وامارة، ولا نراهم يثيرون بها مثل هذه العداوة . ولو كانوا يقفون عند حد تفضيل علي على أبي بكر والقول بانه كان أحق بالخلافة منه لهان الامر ، وأمكن أن يتحدوا مع أهل السنة الذين يعذرونهم باعتقادهم هذا إذا لم يترتب عليه ضرر ، ويعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا هذا التفرق ولا يتعادوا هذا التعادي اللذين أضعفا الاسلام وأهله ومزقا ملكه كل ممزق، حتى استذل الاجانب أكثر أهله ، وهم لا يزالون يشغلون المسلمين بالتعادي على ما مضى من

التنازع في مسألة الخلافة ، ويؤلفون الكتب والرسائل في القدح في الصحابة. ويا ليتهم يطلبون إعادة الخلافة لاهل البيت وتجديدها لاقامة دين الله واعادة مجد الاسلام وسيادته، فان أهل السنة لا يختلفون في ان آل علي أصح بطون قريش انسابا ، وأكرمها احسابا ، وان الخلافة في قريش ، فان وجد فيهم من تجتمع فيه سائر شروطها ويرضاه أهل الحل والعقد من الامة فهو أولى من غيره. كلا انهم ينتظرون تجديد الاسلام واقامته بظهور المهدي ، وعامة المسلمين ينتظرونه معهم، فليكتفوا بهذا ويكفوا عن تأليف الكتب في الطعن في الصحابة الكرام، وبحملة السنة وحفاظها الاعلام، واثارة الاحقاد والاضغان، التي لا فائدة لهم منها في هذا الزمان، الا التقرب الى غلاتهم من العوام ، طمعا في الجاه الباطل والحطام، وانما فائدتها الحقيقية للاجانب من أعداء الاسلام ، ومن العجائب ان شيعة الاعاجم في ايران قد شعروا بضرر الغلو وبالحاجة الى الوحدة دون شيعة العرب في العراق وسورية. فقد بلغنا عنهم ما نرجو أن يكونوا به خير قدوة لهم والله الموفق

(تصحيح وتنقيح في تفسير هذا الجزء)

قد كان تصحيحنا لتفسير هذا الجزء كالذي قبله في الليل وحال استيلاء النعاس. ولما أعدت قراءته ليطبع وحده بعد طبعه في المنار تذكرت الكلام على القراءة الثانية لقوله تعالى (وكلمة الله هي العليا) وكنت نسيته ومحله في اول السطر الرابع من ص ٩٣ وهذا نصه : ولا كسب وتدبير ، وقرأها يعقوب بالنصب، والمراد من القراءتين معا انها هي العليا بالذات، ثم بما يكون من تأييد الله لاهلها القائمين بحقوقها بجعلهم بها أعلى من غيرهم كما قال (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين) وبجعلها بهم ظاهرة بالعلم والعمل تعلو كل ما يخالفها عند غيرهم. فان كان المراد بها ما تعلقت به ... الخ

ومن التنقيح الذي زدناه قولنا في ص ٨٧ س ١١ بعد كلمة الحزن: وهو تألم النفس- وفي س ١٦ منها: فهو حقيق بأن لا يستسلم لحزن ولا خوف الخ وفي س ٢٠ منها: فهي معللة بوصف مشتق هو مقتضى سنن الله الخ فليكتب هذا من شاء

ومن تصحيح الغلط فيه كلمة حال في س ٢٣ ص ٨٨ وصوابها : حالي- وكلمة انزال في س ٤ ص ٩٠ وصوابها انزل - ومنه ان س ٦ ص ٩٢ أوله : بعد في أن يكون الخ و س ١٩ منها أوله : فهو في سبيل الله

فتاوى المنار

وصف كلامه تعالى بالقديم، وبحادث الآحاد قديم النوع، وهل هما مبتدعان

وما حكم القائل بهما؟ ونذر زيارة قبر الوالد والصالح

(س١٣-١٥) من امام الحاج محمد جابر في كمفوغ سوك هاتي (سمبس - برنيو)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدي ومولاي العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر رزقه الله عمراً مديدا ونفع بعلومه المسلمين جميعا .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أرفع إليكم هذه الاسئلة الآتية راجياً التفضل بجوابها في صفحات ناركم الغراء وهي :

(١) قال في كتاب (تنبيه ذوي الالباب السليمة) من الكتب النجدية صفحة ٢٠ ان لفظ القديم اذا وصف به كلامه سبحانه وتعالى فهو من الالفاظ المبتدعة حيث قال : فقوله * كلامه سبحانه قديم * هو من جنس ماقبله من الالفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة وأئمتها اهـ مع ان علماء الكلام نطقوا بلفظ القديم فهذه كتبهم بين ظهرانينا مذكورة فيها أقوالهم بأنهم عرفوا ووصفوا كلامه جل وعلا بالقديم ، ويعتقدون قدمه . وقال الشيخ حسين والي في كتابه كلمة التوحيد صفحة ٥٧ «ويجل مقام أحمد بن حنبل وأضرابه أن يعتقدوا قدم القرآن المقروء» ولا أسيء الظن بهم انهم يعتقدون شيئا ويمنعون أن يقولوا به في مثل هذه القضية. - ومعلوم ان القرآن هو كلام الله . قال صاحب الهداية السنية النجدية صفحة ١٠٦ (ونعتقد أن القرآن هو كلام الله الخ) وما رأيكم في قول صاحب كتاب التنبيه المذكور ؟ هل هو صحيح في عده الواصفين بلفظ القديم من أهل البدع كما يدل عليه مفهوم قوله الآتي ، أم لا ؟ فان كان صحيحا ، فهل يأثم الواصف به أم لا ؟

(٢) وقال أيضاً (والذي عليه أهل السنة والجماعة المخالفون لاهل البدع ان كلام الله سبحانه وتعالى حادث الآحاد قديم النوع . الخ فهل قوله « حادث

الآحاد وقديم النوع » من الالفاظ المبتدعة أم لا ! وهل وردت هاتان الكلمتان في السنة أو في كلام سلف الأمة ؟ فان وردتا فيهما فذاك وإلا فهما من الالفاظ المبتدعة أيضا ـ وإني لم أقف في كتاب من كتب أهل السنة على نص يوصف فيه كلامه تبارك وتعالى بهما أو ينقل فيه قول من أقوال سلف الامة يقولون بهما، ولم أسمع أحداً من المشايخ يصف بهما كلامه تعالى. أليستا من الالفاظ التي توهم التشبيه؟ واني أرجو أن تحرروا مع الجواب معناهما ومرادهما وبينوا لنا ذلك بيانا شافيا فاني لم أزل في وهم واشكال وأرى انكم من أقدر الناس في هذا العصر على حل المشكلات

(٣) اذا نذر المريض وقال (ان شفى الله مرضي فعلي زيارة قبر فلان أو قبر والدي مثلا لاعتقاده ان لصاحب القبر كرامة ومزية ولا يعتقد انه مؤثر في ذلك ومن المعلوم ان زيارة القبور من القربات . فهل يجوز ذلك ويصح نذره ، أم لا؟ واذا قلتم بعدم الجواز فهل الناذر يكون مشركا بسبب ذلك الاعتقاد أو آثما فقط ، أم لا ؟ افتونا ولكم من الله الأجر والثواب .

﴿جواب المنار مرتبا على عدد الفتاوى فيه﴾

(١٣) وصف كلام الله بالقديم ومن قال انه مبتدع

قول من قال ان وصف كلام الله تعالى بالقديم من الالفاظ المبتدعة صحيح ، ومثله قول الآخر ان كلام الله تعالى حادث الآحاد قديم النوع ، كلاهما لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في أقوال رسوله (ص) ولا في أقوال الصحابة (رض) ولكن ليس كل من يستعمل لفظا محدثا يكون من أهل البدع المخالفين لاهل السنة والجماعة ، فجميع أئمة الامصار من مدوني علوم الشرع في الاصول والفروع قد استعملوا ألفاظا اصطلاحية لم تستعمل في القرآن ولا في أقوال النبي (ص) وأصحابه ، والذين تصدوا من أهل السنة للرد على المبتدعة لم يسلموا من استعمال بعض الالفاظ الاصطلاحية المبتدعة ، ومنها قولهم ان كلامه تعالى قديم بقدم ذاته وهذا من أسباب وقوع الخلاف بين المسلمين في مسألة كلام الله تعالى وكذا غيرها من صفاته ، ولم يسلم من ذلك أئمة الحديث والفقه منهم ، وقد اشتهر ما وقع من الخلاف في ذلك بين

البخاري والذهلي من أئمتهم . بل أتباع إمام الائمة أحمد بن حنبل المنسوبين الى مذهبه في العقائد والفروع قد وقع بينهم الخلاف في هذه المسألة . فلا يصح أن يقال في كل من استعمل لفظا محدثا في ذلك ولا كل من خالف أحمد أو جمهور السلف في مسألة من دقائق هذه المسائل انه من المبتدعة المخالفين لاهل السنة والجماعة . وقد ذكر الحافظ ابن حجر في شرح كتاب التوحيد من البخاري بعض أقوال اهل السنة من المحدثين واتباع المذاهب الاربعة واقوال المبتدعة في مسألة القرآن في مواضع وقال بعدها كلمة كررها بعد ذكر الخلاف بينهم وهي : والمحفوظ عن جمهور السلف ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله وانه غير مخلوق ، ثم السكوت عما وراء ذلك اه وهذا الذي ينبغي لكل مسلم إلا ان من كان في قلبه اضطراب من هذا الخلاف ولم يطمئن بهذا التسليم فله ان يراجع كلام المحققين الجامعين بين المعقول والمنقول وينظر فيه باستقلال فكر واخلاص قلب ، فانه حينئذ يصل الى ما يطمئن به قلبه ان شاء الله تعالى

وكنت أخرت الجواب عن هذه الاسئلة راجيا أن أجد وقتا واسعا أكتب فيه خلاصة هذا البحث المضطرب الامواج ، ولما أجد الوقت التي يتسع له ، ولكنني سأشرع ان شاء الله تعالى قريبا فى طبع عدة فتاوى في ذلك لشيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية ، وأشهد بالله إنني لم أجد في كتب أحد من علماء هذه الملة من أحاط بما أحاط به من حفظ النصوص وأقوال الناس من المحدثين والمتكلمين والفلاسفة والمبتدعة في هذه المسألة وأمثالها ، والوقوف على أدلتهم وتمحيصها وتحرير الحق الذي كان عليه سلف الأمة واقامة الحجة عليه ، فلينتظر ذلك السائل وغيره ممن يهمهم تحقيق هذه المباحث وهي ستطبع في كتاب مستقل وربما ننشر بعضها في المنار

وأما وصف كلام الله تعالى بالقديم فهو صحيح في نفسه وأثبته علماء السنة وفي المراد منه عند السلفيين وعند غيرهم بحث مفصل في مباحث شيخ الاسلام

(١٤) من قال ان كلامه تعالى حادث الآحاد قديم النوع

ان قول من قال ان كلامه تعالى حادث الآحاد قول مبتدع مبهم موهم ، وله وجه يظهر انه هو مراده منه ، وهو ما قاله بعضهم في تفسير قوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم

محدث) وقد جعل البخاري هذه الآية ترجمة لاحد أبواب كتاب التوحيد من صحيحه مع آية (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وقال عقبها : وان حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) يعني ان كونه محدثا لا يقتضي كونه مخلوقا . فهو كقول السلف من أهل الحديث وغيرهم : له يد لا كأيدينا واستواء لا كاستوائنا ، وان كلامه الموحى الى رسله بصوت لا كصوتنا . ومن القائلين بهذا الامام احمد رحمه الله تعالى . وهو يقول كغيره من أئمة السلف ان القرآن المقروء بالالسنة المكتوب في المصاحف كلام الله غير مخلوق ، وهم يصرحون بأن القاريء مخلوق وقراءته وكتابته مخلوقتان ، وانما يتقون في هذا المقام ما يتضمن الايهام . فما قاله الشيخ حسين والي وغيره من إجلال الامام أن يقول كذا مبني على الاقتناع بنظرية المتكلمين في المسألة وبكون الامام احمد كان من أئمة الهدى والسنه ومقتضاه عنده انه لا يخالفها . وليس مبنيا على النقل عنه . وكان شيخنا الاستاذ الامام ذكر مثل هذا في رسالة التوحيد وعند قراءته لهذا البحث منها في الازهر صرح بانه رجع عنه وبأنه سيحذف هذه الجملة في الطبعة الثانية للرسالة وكتب ذلك في حاشية نسخة الدرس ، ولذلك حذفناها من كل طبعاتنا لها

وقد استدلت المعتزلة بالآية على خلق القرآن والتحقيق ان المراد منها محدث اتيانه ونزوله . قال اسحاق بن راهويه من شيوخ البخاري واقران احمد وقد سأله عن الآية حرب الكرماني مانصه : قديم من رب العزة محدث الى الارض . إه وراجع سائر الاقوال في الآية وفي المسألة من فتح الباري

(١٥) نذر زيارة قبر الوالد الصالح

لاريب في ان زيارة القبور مستحبة بالنية التي أرشد اليها الحديث الوارد في الاذن بها بعد النهي وهي تذكر الآخرة ، وانما هي مستحبة بهذه النية وإلا فان الاصل في الاذن بالشيء بعد النهي عنه الاباحة ، وما كان من نية صالحة أخرى في الزيارة تزيد هذا الاستحباب تأكيداً كزيارة قبر أحد الوالدين أو كليهما ، فانها تعد من بقايا برهما وتذكرهما ، الذي يترتب عليه ما أمرنا الله به من الدعاء لهما ، وكذلك زيارة

قبر الرجل الصالح اذا كان لذكرى صلاحه ورجاء في قوة الاقتداء به، لا لطلب نفع أو كشف ضر منه، ولم يكن فيها شيء من البدع ولا من اقرارها — ويصح نذر مثل هذه الزيارة المشروعة. ولا وجه للقول بعدم جوازها فضلا عن القول بإثم فاعله أو رميه بالشرك والعياذ بالله تعالى. فان الشرك لا يثبت إلا بدليل قطعي لا مجال فيه للتأويل، ولكن بعض الغلاة في مذاهبهم يرتكبون من مخالفة الشرع في الطعن على مخالفيهم ما هو أكبر اثما مما ينكرونه عليهم ان كان منكراً أعاذنا الله من ذلك.

(الجمع بين الصلاتين في الحضر واشتراط الطهارة في الصلاة)

وصلاة مكشوف الرأس

(س ١٦—١٨) من صاحب الامضاء في (ببا — من الوجه القبلي)

حضرة صاحب الفضيلة العالم الكبير والاستاذ المحقق السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد سمعت منذ سنوات عديدة ممن أثق به (توفي رحمه الله) في أحاديثه الخاصة معي ان النبي ﷺ جمع في صلاته بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء جمع تأخير بلا عذر، وانه لا حرج على المصلي اذا كان بثوبه أو بدنه شيء من النجاسات وأنه لا كراهة في الصلاة ورأس الانسان عار بل ربما كان ذلك أفضل لان هذا المظهر أقرب الى التذلل والخضوع والعبودية ولأمر خاص بي أريد التثبت من ذلك ولثقتي بفضيلتكم بعثت بهذا اليكم فأرجو إفتائي على ماتقدم والله تعالى يتولى مثوبتكم بفضله. المخلص

وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام سيد أحمد عابدين

[جواب المنار]

(١٦) أما جمع النبي ﷺ بين الصلاتين في المدينة المنورة فقد ثبت من حديث ابن عباس (رض) في سنن الشافعي وصحيح مسلم وغيرهما من كتب السنن، وقد تأول ذلك فقهاء المذاهب المعروفة بتكلف وظاهر قول ابن عباس فيه: لئلا يحرج أمته — يدل على انه رخصة، وبهذا أخذ بعض فقهاء الحديث وهو ما أعتقده،

ولا يخفى ان الرخصة تؤتى عند الحاجة لا دائما ، ولولا أن سبق لنا بيان هذه المسألة ونص الحديث فيها من قبل لبسطت الكلام فيها وذكرت لفظ الحديث وتأويلات من تأوله

(١٧) وأما قول ذلك الثقة عندكم بأنه لا حرج على المصلي اذا كان في ثوبه وبدنه شيء من النجاسات فهو مخالف لقول أكثر علماء الأمة بان طهارة الثوب والبدن شرط في صحة الصلاة ، وعن مالك انها واجبة وليست بشرط لصحة الصلاة . فالمسألة اجتهادية والاحتياط تحري الطهارة في الصلاة لانها اذا كانت واجبة في غيرها فهي فيها أوجب ، نعم ان الوجوب لايقتضي الشرطية وقد أطال الشوكاني في الرد على من قال بها ، ولأن تكون صلاتك صحيحة بالاجماع خير من أن تكون مختلفا فيها ، ولك الأخذ بالقول الآخر عند تعسر الطهارة وفي ترك القضاء اذا علمت بعد الصلاة انه كان في ثوبك أو بدنك نجاسة

(١٨) وأما قول ذلك الثقة انه لا كراهة في الصلاة مع كشف الرأس فهذا قد يظهر فيمن يصلي في بيته منفردا اذا لم يلتزمه متعمدا . وأما التزامه أو فعله مع الجماعة المستوري الرءوس أو في المسجد بحضرة من يستنكرونه ويكون مدعاة للخوض في ذم فاعله فالقول فيه بالكراهة واضح . أما الاول فلانه التزام لا دليل في الشرع عليه بل هو مخالف لما جرى عليه العمل الغالب من صدر الاسلام وأما الثاني فلمخالفته للجماعة وهو منهي عنه ، واما الثالث فلما ذكرناه في صفته من كونه سبباً لوقوع الناس في الاثم ولانه من الشهرة المذمومة

واما قوله ان ذلك ربما كان افضل وتعليله بما علله به فهو قول بالرأي المحض في مسألة تعبدية ، ومعارض بانه تشبه بالنصارى وغيرهم ممن يلتزمون كشف رءوسهم [illegible]الصلاة وقد نهينا عن التشبه بهم حتى في العادات . ومعارض ايضا بان العرف عندنا في [illegible] الكمال التي نقابل بها الملوك والامراء وكبار العلماء والصلحاء والرؤساء أن يكون على [illegible]نا ماجرت به عادتنا من عمامة او كمة او طربوش او غيرها وانما يتساهل في ترك ذلك [illegible]ين الاقران والاصدقاء — والعرف عندهم خلاف ذلك

(النسخ والاحاديث المشكلة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوسل)

(س ١٩ — ٢٣) لصاحب الامضاء في صنبو (من الوجه القبلي)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد الفاضل، والاستاذ الكامل، من جعله الله للشريعة موئلا وللدين ملجأ، المهدي الرشيد، السيد محمد رشيد

سلاما وتحية واحتراما، وبعد فاني أرجوك للاجابة عن هذه الاسئلة التي طالما ترددت في خاطري، فتفضل بذلك ولك مني الشكر ومن الله جل وعلا الأجر

(١) في القرآن الكريم ناسخ ومنسوخ ولكن العلماء فيهما مختلفون فما القول الفصل الذي يرتاح اليه المسلمون في ذلك ؟

(٢) في كتب الحديث مئات الاحاديث الحاضة على فضائل الاعمال ولكنها رتبت على فعلها ثوابا لا يتناسب معها، فهل يصح العمل بها ؟

(٣) ماهو الحد الذي اذا بلغه المؤمن سقطت عنه تبعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا سيما في هذا الزمن الذي عمت شروره، وطمت من الفساد بحوره ؟

(٤) كيف يستطاع جمع الزكاة على الطريقة الشرعية لتصرف في مصارفها في هذا العصر العصيب ؟

(٥) ما الحق في مسألة التوسل التي لا تزال تشغل قلوب جمهور المسلمين ؟

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي مصطفى أحمد الرفاعي

الاستاذ بمدرسة ميخائيل فلتس بصنبو

[أجوبة المنار]

(١٩) الناسخ والمنسوخ

قد فصلنا القول في هذه المسألة في تفسير قوله تعالى (ما ننسخ [illegible] آية) من سورة البقرة وهي الآية ١٠٦ من سورة البقرة فراجعه [illegible] ص ٤١٤ من جزء التفسير الاول، وذهب السيوطي في الاتقان الى [illegible] الآيات المنسوخة

عشرون آية . وقال الشوكاني بعده بل هي بضع آيات . وأنكر النسخ أبو مسلم الاصفهاني في تفسيره ووضح رأيه الطبيب البحاثة محمد توفيق صدقي ونشرنا بحثه في المجلد الثامن من المنار وطبع في ضمن كتاب له . ولا يتسع وقتنا لاعادة الكلام في هـذا الموضوع وليس باب الفتاوى بمحل له . وكثيراً مايسألنا السائلون عن تحقيق مسائل لايمكن تحقيقها إلا في سفر كبير ، وجملة القول ان النسخ بالمعنى المعروف عند السلف ثابت ونحن نحقق ماقيل إنه منه في كل آية عند تفسيرنا لها

(٢٠) العمل بأحاديث فضائل الاعمال وشرطه

الاعمال الدينية مبنية على قاعدتين (احدهما) انه لايعبد إلا الله (والثانية) أن يعبد بما شرعه . والمشروع قسمان : قسم مطلق وقسم مقيد بأقوال مخصوصة وأفعال مخصوصة وصفات مخصوصة وأوقات مخصوصة واعداد معينة ، فما ورد في الشرع مقيداً بشيء من هذه القيود وجب التزام قيوده بلا زيادة ولا نقصان ومنه شعائر الاسلام كلها كالأذان والاقامة والصلاة والجماعة والجمعة ومناسك الحج الخ

والمطلق يجري على اطلاقه في دائرة النصوص العامة كصلاة النفل غير الراتبة وذات السبب فان هيأتها كسائر الصلوات ولكن لايجوز لأحد أن يقيدها بزمان ولا مكان ولا عدد ولا صفة بحيث تلتزم هذه القيود فيها كقيود الشرع ولذلك قال الفقهاء ان صلاة الرغائب وصلاة ليلة نصف شعبان اللتين قيدهما بعض العباد بالعدد والزمان وغيرهما انهما بدعتان قبيحتان مذمومتان . وذلك انه لايصح ماورد فيهما مع كونهما بصفة مقيدة بقيود لاتثبت إلا بنص الشارع وقد ذكر من ثوابهما نحو مما تستشكلونه في السؤال

وان من علامات وضع الحديث أن يذكر فيه ثواب كبير جدا على عمل صغير جدا في نفسه وفي أدائه وفي فائدته ـ أو عقاب عظيم جدا على عمل لا ضرر فيه في الدين ولا في النفس ولا في العقل ولا في العرض ولا في المال

هذا وانه لايجوز لاحد أن يعتمد على كل مايراه من الاحاديث في الكتب ولا على كل مايسمعه من الخطباء من غير تخريج له عن حفاظ السنة بما يبين مرتبته

من الصحة وعدمها. واذا تحرى الانسان الاحاديث الصحيحة يرى أنه قلما يوجد فيها ماذكره السائل من الاشكال .

وأما الاحاديث الضعيفة فقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي انه لايجوز العمل بها مطلقا ، وقال الجمهور يجوز العمل بها في فضائل الاعمال كالذكر وصلاة النفل المعتادة وصيام التطوع واشترطوا لذلك شروطا بيناها من قبل ملخصها ألا يكون الحديث شديد الضعف وألا يعتقد العامل بالحديث منها صحته لئلا ينسب الى النبي ﷺ مالم يقله وأن يكون معناه مندرجا تحت أصل عام في الشريعة

(٢١) الحد الذي تسقط به فرضية الامر والنهي

قد اختلف العلماء في هـذه المسألة مابين مشدد ومخفف وينبغي لكل أحد أن يحاسب نفسه في هـذا وأمثاله ، واذا كانت المنكرات في زماننا أكثر منها في أزمنة أولئك العلماء كالغزالي والشاطبي وابن تيمية فان في زماننا من حرية القول في مثل هذه البلاد مالم يكن في أزمنتهم . واننا نرى سفهاء الجرائد يطعنون أشد الطعن وأقذعه في الامراء والوزراء والعلماء ولا يصيبهم أذى فأجدر بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالنزاهة والادب وحسن النية ألا يصيبه أذى.

ولا خلاف بين العلماء في سقوط الفريضـة عمن يخاف على نفسه أذى كبيرا ورخص بعضهم في الترك لمن يعتقد ان أمره ونهيه لايفيد ،ولكن استفت قلبك وما أنا ممن يستطيع أن يضع لك حدا ، ولا ينبغي أن تنسى ان هذه الفريضة هي سياج الدين فلولا ترك القيام بها لما فشت المنكرات الى هذا الحد

(٢٢) جمع أموال الزكاة وصرفها في مصارفها

ان هـذا العمل غير مستطاع في زماننا في بلادنا وانما الشأن فيـه للحكومة الاسلامية التي تقيم الشرع ، والمسلمون في جزيرة العرب يؤدون زكاة المواشي والزروع الى أئمتهم وحكامهم ، وزكاة النقدين الى الفقراء والمساكين ، وينبغي في مثل بلادنا أن تؤلف جمعية اسلامية من رجال يوثق بهم تقنع أهل الدين باداء الزكاة الى رجالها بعد أن تبين في نظامها كيف تنفق ماتجمعه في مصارفه الشرعية

(٢٣) التوسل الشاغل للمسلمين

التوسل المشروع ليس فيه مايشغل قلب أحد فهو التقرب الى الله تعالى بما شرعه من علم وعمل على القاعدتين اللتين في الفتوى آنفا (ص ١٢٧) وأما التقرب اليه تعالى باشخاص الصالحين من الانبياء فمن دونهم الذي تعنونه بالتوسل — فهو غير مشروع في الاسلام بل هو أصل الوثنية فان الوثنيين هم الذين يعتمدون في نجاتهم من عذاب الآخرة ومن مصائب الدنيا وفي نيل الخير والسعادة في الدارين على أشخاص رجال الدين فيهم، وأما أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام فامر الثواب والعقاب عندهم منوط بالعقائد والاعمال التي تتزكى بها أنفسهم وتصلح، أو تتدسى وتفسد، وآيات القرآن صريحة في ذلك، وأمر منافع الدنيا ومضارها منوط بالاسباب المشروعة التي يعرفها الناس بالعلم والتجربة كطرق الكسب والتداوي من المرض مثلا. وقد سمى الناس منذ القرون الوسطى مافشا فيهم باتباع سنن من قبلهم في الاعتماد من أشخاص الانبياء والصالحين في جلب النفع ودفع الضر توسلا، وبنوا عليه بدعا كثيرة تنافي التوحيد المجرد والاخلاص في العبادة، كدعاء الموتى والنذر لهم والاستغاثة بهم مع العلم بأن الدعاء هو العبادة أو مخ العبادة كما ورد في الحديث وفي مثل قوله تعالى (فلا تدعو مع الله أحدا) وليس لما يعملون شبهة من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا من عمل السلف الصالح، والخرافيون من سدنة قبور الصالحين وغيرهم يأتون على ذلك بشبهات ضعيفة الرواية او الدلالة او باطلة أمثلها حديث الاعمى الذي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بأن يرد له بصره فامره بان يدعو بدعاء فيه لفظ التوسل والاستشفاع به فدعا ودعا له صلى الله عليه وسلم فالتوسل هنا انما كان بالدعاء منه ومن النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء مشروع وطلبه مشروع فهو غير خارج عن قاعدتي عبادة الله وحده بما شرعه. فلا يدل على التوسل بالشخص والذات من غير عمل، ولا على طلب الدعاء من الاموات، فضلا عن طلب قضاء الحاجات فيما لا يطلب الا من الله عز وجل وهو ماوراء الاسباب.

وقد شرحنا هذا في مواضع كثيرة من المنار والتفسير فلهذا نختصره هنا، ولشيخ الاسلام ابن تيمية كتاب مستقل في هذه المسالة طبع المرة بعد المرة باسم (التوسل والوسيلة) فان شئتم الاحاطة بها من كل وجه فعليكم بمطالعته وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

نقض أساس مذهب داروين

هذا المذهب قائم على أساس من النظريات القابلة في نفسها للثبوت وللنقض، ولم تصل في يوم من الايام الى درجة الحقائق القطعية عند الآخذين بها . تفضيلا لها على كل ما كتب في موضوعها، إلا بعض المقلدين من ملاحدتنا الذين يجعلون أضعف مافيها من الاحتمالات ، في درجة الحسيات أو الضروريات ، ويدافعون عنها في جملتها وتفصيلها. والحق فيها أنه إذا كان فيها بعض التعليلات المعقولة المقبولة بادي الرأي ، فان فيها تعليلات أخرى لم تتجاوز حيز الوهم ، و إذا صح أن نظام الكون قائم بسنن حكيمة مطردة سواء عرفت كلها أو لم تعرف كما أثبته الكتاب الكريم ، فلن يصح أن تكون هذه السنن الحكيمة من بنات الضرورة ولا من نبات المصادفة، بل المعقول أن تكون من تقدير العزيز العليم ، كما قال الكتاب الحكيم، و إذا صح أن تكون هذه السنن لا تبديل لها في الطبيعة ولا تحويل كما قال تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فلن يصح ان يكون الخالق المقدر لها والمدبر لامرها مقيداً بها، بحيث لا يستطيع إبداع شيء غيرها . فان هذا النفي لا يقدم على القول به عاقل ، وقد حدث في الوجود من الآيات البينات، والمعجزات الخارقة لسنن العادات، ما تواتر خبره وصار من القطعيات، فالتكذيب به أو التأويل البعيد عن قياس المنطق له ليوافق تلك النظريات المادية ، ليس بأولى في نظر العقل السليم من عده منتظما في سلك سنن أخرى مما وراء المادة . ولا يزال العقلاء والحكماء يرون من آيات الله في أنفسهم ما هو إبداع محض لا يتفق مع سنن المادة في شيء ، وآخرهم العلامة الشهير اينيشتين الالماني قد ناط بهذا الابداع كل ما امتاز به من تحقيق علمي وفلسفي

الكلام في فساد مذهب داروين يوجه الى أساسه لا إلى فروعه وجزئياته كطبقات الارض وتشابه الانواع وتعليل الاعضاء الاثرية، وأساسه الفاسد هو ان ما علم من السنن في نظام الكون هو دليل على ان مالم يعلم منها مثله في كونه لا بد أن يكون حصوله بالتطور التدريجي . ومقتضاه انه ما وجد ولن يوجد كائن مبدع مبتدأ ، ولا آية خارقة للعادة، وغايته انه ليس للكون رب قادر مريد يفعل ما يشاء . والدلائل الوجودية والاخبار المتواترة القطعية تنقض هذه القاعدة وتبطل اطرادها .

كان هذا المذهب هدفا لسهام النقد في كل عصر، وقد فوق له في هذا العهد سهم جديد أقصده وكاد أن يقضي عليه، وهو ما نترجم لك خبره في المقال التالي

احتضار مذهب علمي

نشر العلامة ليون دوديه Léon Daudet صاحب صحيفة الاكسيون فرنسيز L'action Française بعدد صحيفته المؤرخ ١١ يونيه سنة ١٩٣٠ ما يأتي تحت هذا العنوان:

من المفيد جداً أن يعمل على اسقاط أحد تلك المذاهب « المادية » التي انتشرت في القرن الماضي، تلك العقائد التي حملتني على تسميتها « بالسخافة »

لما أذعت سنة ١٩٢٢ مؤلفي المعنون بهذا الاسم (السخافة) قامت ضجة شعواء عند الجامدين على الاعتقاد بالتطور والتحول الذاتي، وتكوين اللغات، والنوبات العصبية (الهستريا) والجمهورية (الدمقراطية) وعلى كثير من ضروب العبث بالقول في علوم الحياة والسياسة. ولا غرو فليس من الهين أن تنتزع من مخيلاتك تلك الخزعبلات التي صحبتك ثلاثين او أربعين سنة. أما احتجاجات تلك الضجة التي كنت عوات على عدم اعارتها أي اهتمام فلم تؤثر في نفسي لأني أعلم أن الزمن سينقضي ويظهر ان الحق بجانبي كظهور استعداد الالمان للحرب الاوربية العظمى.

وقد كنت بناء على ذلك كتبت منذ ثماني سنوات في الكتاب الذي أسميته « سخائف القرن التاسع عشر » مايلي:

ان المبدأ الاساسي لمذهب التطور والتحول الذاتي هو أن الطبيعة لا طفرة فيها ولا خلل، فلا محل فيها اذاً للمعجزات. فان المعجزة هي الظاهرة الفجائية غير المنتظرة الخارجة عن القوانين المعروفة

هذا هو الشرط الاساسي في تخيلات « بالتبيوس هيكل » القصصي في روايته التي تبتديء من تكوين الهلام البحري (*) وتنتهي بتكوين الانسان بتنويع تدريجي بطيء يحدث داخل الخلايا والانسجة تحت تأثير مضاعف لنوع من القوة الرافعة الداخلة (لم يبرهنوا عليها) وتأثير عوامل خارجة عدوها حسبما هوا أنهم

(*) الهلام البحرى هو الخلايا النباتية الاولى التى دبت فيها الحياة في أول الخليقة على شواطىء البحار فتدرجت منها الحياة بتكاثر تلك الخلايا وتكيفها تدريجا

ويلاحظ دائماً ان في الحياة خواص قابلة للتغير وهي نواة التحول الذاتي وأخرى لاتقبل التغير وهي الثابتة وهذا مايدعو الى الاعتقاد باننا تحت تأثير أنواع كثيرة من القوى الكامنة التي تارة تعمل فينا في ظروف خاصة، وطوراً لاتعمل في ظروف أخرى،ونحن نجهل السبب في كلتا الحالين

وأما هذه الذبذبة بين الاصل المولد (الخلية) والانواع المتولدة وكذا الانتقال من بساطة التكوين الى اوج النهى، فسر يرجع الى نظام أرقى

ثم ان سلسلة الاجناس تتجدد حلقاتها بانعدام بعضها كلما زاد الجنس نمواء واذا سلمنا بصحة هذه النظرية تعين علينا القول بأن عالم الاحياء سائر في طريق التقدم المستمر، وان بقاء الاجناس الدنيا انما هو للدلالة على حصول هذه التقلبات المتعاقبة المستمرة مع انعدام بعض الاجناس الوسيطة المؤقتة التي هي في الغالب أعظمها أهمية

ولما كانت هذه السلسلة ينقصها الحلقة التي تصل القرد بالانسان بحثوا مدة ستين عاما للعثور على الجنس الوسيط فأكدوا حينا ما انهم وجدوه ثم كذبوا هذا الخبر . على انهم تنبهوا اليوم الى أن معضلة أصل الانواع وخصوصاً ما يتعلق منها بالجنس البشري مازالت معقدة ومضطربة كما كانت قبل داروين Darwin ولمارك Lamarek وان مذهب القائلين بالتشابه الخارجي والتشريحي الخ ليس بجواب عن هذا السؤال يحسن السكوت عليه، فان مذهب المشابهات التشريحية والفسيولوجية لايلقي إلا نوراً ضئيلا على مسألة تخصص الحياة وتشخصها

ان الحياة مازالت حافظة لقابليتها للانفجار والالتهاب ولما فيها من الخواص الوراثية لتغير الاعضاء تغيراً فجائيا اننا نجد منها خواص تنتقل وتقبل التغير والتبدل ، وخواص أخرى لاتنتقل ولا تقبل تعديلا ، فيستنتج مما تقدم اننا في آن واحد خاضعون لتأثير قوى غيبية خفية تفعل فينا فعلها ولا نعرف كنهها كما اننا من هذه القوى في بعض أحوال خاصة لاندريها أيضا ، وان هذا التغير من الشخصي الى النوعي ومن التخصيص الى التعميم خاضع هو أيضاً الى نظام أسمى . وهلم جرا

ان مذهب التحول الذاتي الذي سيطر على علم الكائنات الحية مدة ستين عاما انما هو مظهر موضعي بل أحقر المظاهر لحل قضية الحياة ، بل هو رد على السؤال بسؤال آخر اه .

اني قد أشرت بخط تحت الفقرة الخاصة بالقوات الخفية ثم قلت في الكتاب المذكور في محل آخر ما يأتي :

« ان المذهب المضاد لمذهب التحول الذاتي لم يأت بعد بالعالم الذي يستحقه على اننا في انتظاره بايمان وثيق » وها هو ذا قد اتى هذا العالم فعلا فان المسيو فيالتون Vialleton نشر في سنة ١٩٢٩ كتابا بحث فيه عن اصل الانواع الحية تحت عنوان « اوهام التحوليين » أورد فيه من الدلائل المقنعة ما يقضي على مذهبي داروين ولامارك القضاء المبرم .

ولا بد أن يكون عالقا باذهان القراء ما كتبنا هنا من التعليق على كتاب المسيو فيالتون العظيم الشأن غير ان الصحف العلمية والفلسفية لم تعلق اهمية كبيرة على نقض هذا الاستاذ العالم . الا ان جريدة الطان tenps نشرت في عددها الصادر في ٨ يونيه سنة ١٩٣٠ مقالا في الموضوع بقلم المسيو لويس لافل Lauis Lavelle جاء فيه ما يأتي :

« . . . وردت في كتاب المسيو فيالتون فكرة ثانية يظهر لنا انها أشد خصوبة ، وهي ان في داخل الاشكال الاساسية غير المنفصلة عن المظاهر الاولية للحياة يمكن تصور وجود « جراثيم او براعيم الانتظار » (١) وهي غير مرئية وتبقى

---

(١) المنار : مثال هذا عندهم ثندوة الرجل هي مستعدة لافراز اللبن كثدي المرأة اذا وجدت الداعية الطبيعية لذلك ويقال ان هذا وقع بالفعل لرجل ماتت امرأته وتركت له طفلا رضيعا ولم يوجد هنالك مرضع له ولا لبن بقرة او غيرها يمكن تغذيته به فكان من تأثير حنانه الوالدي أن صارت ثندوته كثدي الام في افراز اللبن له وهكذا يوجد في سائر الاحياء جراثيم او براعم مستعدة لظهور وظيفة فجائية تنافي مذهب التطور التدريجي البطيء الذي هو اساس مذهب داروين ولامارك

منتظرة لتفرخ في اللحظة الملائمة ، اعني اللحظة التي تكون فيها شروط البيئة قاضية بخروجها من القوة والاستعداد الى الفعل ، واذا ضربنا صفحا عن التوسع في بحث طبيعة هذه الجراثيم يمكننا اعتبار انها قوات مستترة لاتفعل فعلها إلا تحت تاثير الظروف المناسبة ولا يظهر فيها مظهر الحياة إلا اذا اخذت اشكالا قياسية خاصة . فنفهم من ذلك الاسباب التي حدت بالمسيو فيالتون لان يكون من خصماء معتنقي مذهب التحول الذاتي الذي هو شرح للتطور باسباب آلية

فالتطور في نظره هو تطور يدبره مدبر ، وهو يتعارض مع مذهب لمارك القائل بأن الكائن يتكيف بالوسط الذي يعيش فيه وان هذا التكيف يتأصل فيه بالتدريج حتى يورثه نسله . ويتعارض ايضاً مع مذهب داروين القائل بأن في الكائن المولود تغيرات عرضية بعضها نافع له وكافل له الفوز في معترك الحياة وبعضها مؤذ وقاض عليه القضاء المبرم » اه

وهكذا كان إدراك (فهم) القوات الخفيـة التي أشار اليها المسيو فيالتون يتصل بادراك (فهم) القوات الخفيـة المنوه عنها في (سخافات القرن التاسع عشر)

غير ان المسيو فيالتون يرى ان الضغط الخارجي هو الذي يساعد على تجلي هذه القوات في عالم الظهور مع أني في كتابي قد نسبت ذلك الى عوامل باطنية عرضية . ومهما يكن الأمر فان التبدل الذي نحن بصدده انما هو انقلاب أو تحول فجائي وليس تطوراً أو تكيفا ،

على ان القوات الخفيـة موجودة في مظاهر العالم بأجمعها ، فان الراديوم قبل اكتشافه كان قوة مستترة ، والموجات الفضائية كانت كذلك قبل اكتشافها ، وكذلك مايحصل في الدم من الاستعدادات البطيئة لمرض السل والسرطان التي أشار اليها في هذه السنوات الاخيرة الطبيبان فانييه وروا Vanniet ARoy هي أيضا قوات مستترة لاشكال مرضية

والآن قد فتح أمامنا عالم جديد للمعرفة واسع المجال إلا أن النور الساطع فيه مازال ضئيلا كنور الفجر الذي لايكفي إلا لتمييز الاشياء بعضها من بعض اه

مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات

-١٣-

﴿الشبهات على حق المساواة في الميراث﴾

وجملة القول أن الشرع الاسلامي قد عظم أمر الزوجية والامومة الشرعية ففرض على الرجال القيام بجميع ماتحتاجه الزوجة والام لتتفرغ المرأة للقيام بما تقتضيه هاتان الوظيفتان التي قضت الفطرة بان تكون الاولى منهن وسيلة والثانية مقصداً ، فان عجز الرجل عن النفقة أو مات كان على غيره من الاقارب القيام بها وإلا فبيت المال ، ولان تقوى المرأة على القيام بما تقتضيه الفطرة ودين الفطرة من الاستعداد للحمل والوضع والرضاعة والحضانة والتربية للاطفال وجعل الدار لهن خير مدرسة ومأوى ومطعم ومصح إلا اذا كان الرجل يكفيها مؤنة الكسب وتثمير الاموال بنفسها في الزراعة والصناعة والتجارة واستخراج الكنوز والمعادن وغير ذلك مما هو أقدر عليه منها ، وكذا مؤنة أمور الدولة العامة والدفاع عن الوطن بالخدمة العسكرية بأنواعها

وكان مقتضى هذا بادي الرأي أن لاترث المرأة شيئاً من المال والعقار، لان الشرع كفل لها رزقها على كل حال، وهذا ماكان يحتج به العرب في الجاهلية على عدم توريث النساء مع انهم لم يكفلوا لهن رزقهن كما كفله الاسلام،إذ جعله حقاً على الرجال بوازع الوجدان والايمان ،وكفالة الشريعة والسلطان

ولكن دين العدل والرحمة راعى في أمر النساء سائر الاحوال التي وراء حال الزوجية والامومة ففرض لهن من الارث نصف مافرض للرجال ، ومن أحسن مايوجه به هذا الفرض أن يقال انه من قبيل الاحتياط ومراعاة شواذ الحياة الاجتماعية ، ولولا أنه فرض إلهي لكان لقائل أن يقول ان النصف كثير لأن الامر يؤول فيه إلى أن يكون مال المرأة أكثر من مال الرجل لانه لايفرض عليها من النفقة حتى على نفسها في عهد الزواج مايفرض على الرجل ، أو يفضي

إلى اضعاف الثروة العامة إذ ليس المرأة من القدرة على ادارة المال وتثميره ولا من التفرغ لاستغلاله من جميع الطرق الاقتصادية مثل ما للرجل

وأما الامهات الفواجر غير الشرعيات فلا يفرض لهن الشرع الالهي وجوداً يقتضي حقوقا مالية وغير مالية ، بل يفرض عليهن عقابا شديداً يقتضي ارهابا يمنع وجودهن إلا على سبيل الندور الذي لا يراعى في القواعد التشريعية المنزلة ولا الموضوعة ، ومن ثم كان دعاة الفوضى النسائية والاباحة الذين رزئت هذه البلاد بهم يقترحون أصلا للتشريع ينسخ شرع الله تعالى ويبطله مبنياً على اقرار أمومة السفاح ، فترى الدكتور فخري يقول بغير خجل ولا حياء من الجهل ومكابرة الحس والعقل : إن المرأة « هي هي كل شيء في القيام بحمل الصرف المالي على هذه الامومة » وإنه لا يدري « لماذا يريد الرجل أن يعطيها نصف حقها في الميراث »

نعم انه لا يدري لأنه لا يريد أن يدري ، أو لا يعترف بما يدري ، فانه يخاطب المسلمين بقوله « هي هي كل شيء ... » وهي عندهم ليست بشيء من ذلك ، أما الامومة السفاحية فلا وجود لها في شريعتهم كما قلنا آنفاً . ولا وجود لها في الخارج أيضاً، فان اللائي يلدن من حمل السفاح يلقين بالطفل المولود في أحد الشوارع ليلا على حين غفلة من المارين ليحمله رجال الشرطة أو غيرهم إلى معاهد اللقطاء ان لم يخنقنه عند الوضع ويدفنه حيث لا يعلم به إلا الله

وأما الام التي يطلقها زوجها فلها من النفقة مدة العدة ومدة الحضانة ماهو معروف للعامة والخاصة من الناس . ومن المطلقات المعتدات بالقروء من تنكر حيضها وتدعي امتداد أجل عدتها بحيث تعد بالسنين ، ويجبر القضاء بمذهب الحنفية الرجل على النفقة عليها حتى تعترف بمرور الثلاثة القروء عليها وقلما تعترف بذلك في ظل القضاء الحنفي إلا اذا أرادت الزواج

فأما الام التي يموت زوجها فترث هي وولدها كل ماترك إن لم يكن له زوج أخرى أو أولاد من غيرها أو أبوان وهو الغالب ، وكثيراً مايترك الابوان نصيبهما لولد ولدهما اذا كانا موسرين ، واذا هو لم يترك مالا يكفي أولاده وجبت

نفقتهم على من قدر عليها من أولي القربى أيهم أقرب كما تجب نفقتهم هي أيضاً على أولي قرباها بالتفصيل المفصل في كتب الفقه

وما أظن أن جميع دعاة الاباحة الالحادية يوافقون الدكتور فخري على جعل أمومة العهر موجبة لمساواة المرأة بالرجل في الميراث لماتقتضيه من انفرادها بالنفقة على نفسها وعلى أولادها غير الشرعيين اذا لم تكن ذات فراش تفتري هذا البهتان على صاحبه ، وتلصق هؤلاء الاولاد بنسبه ، ولعل أكثرهم يتعجبون مع أهل الدين والصيانة من اقتراح مثله لهذا الرجس من التشريع وهو من أعلم الناس بقبح الفاحشة وأمراضها الخبيثة المعدية لانه من أطبائها الاخصائيين العاملين المطلعين على ذلك ، فكان الواجب عليه أن يقترح مايقلل هذا الفساد اذا لم يمكن إزالته، لاما يمكن المسافحات (البغايا) ومتخذات الاخدان (المرافقات) من تكوين بيوت جهرية لأولاد الزنا يعرف كل واحد منهم أمه ولا يعرف له أبا ، إلا أن تتبع الحكومة فيهم ماحكي عن التشريع البلشفي من الاخذ بقول المرأة في إلحاق كل ولد بالرجل الذي تدعي أنها علقت به منه ، فتلزمه الحكومة النفقة عليه (١) وحينئذ يمكن أن يكون لكل أم من هؤلاء الامهات غير الشرعيات بضعة أولاد لبضعة رجال تتقاضى من كل واحد منهم نفقة رضاعته وحضانته وتربيته !؟! إلى أن تتولى الحكومة أمر رزقه اذا صارت بلشفية خالصة !! لان التشريع من بعض جوانب الشيء يفضي به إلى سائر الجوانب، ولولا استباحة الزنا وكثرته لما اقترح الدكتور فخري مااقترحه . بيد أن الفواجر لايعترفن بمن يضعن من أولاد السفاح في هذه البلاد بل يلقينه ليلا في بعض الشوارع ليوضع في ملاجيء اللقطاء، ومنهن من تقتل الطفل عند وضعه وتدفنه سراً اذا لم تكن ذات فراش تفتريه على بعلها فيه كما قلنا آنفاً ، ولا يصدها عن إلقائه أو خنقه أن تكون ذات مال تكفله به، فانها انما تفعل ذلك فراراً من عار الفاحشة ، لالأجل العجز عن

(١) بعد نشر هذه المقالة في جريدة كوكب الشرق كتب الينا الامير شكيب ان البلشفيك ليس فيه هذا . ونحن نقلناه عن بعض الصحف معزواً الى كاتب من اميركا

النفقة ، فمساواتها لأخيها في الارث لايهون عليها احتمال العار والاحتقار اللذين يلصقان بها من الامومة غير الشرعية ، فهي لن ترضاها لنفسها إلا أن يهبط تجديد الالحاد والاباحة بالامة كلها إلى حضيض المساواة بين حصانة الزوجية وإباحة الفاحشة في عد كل منهما حسناً شريفاً لاعار فيه، فان هبطت دعاية هذا التجديد بالامة إلى هذه الدركة السفلى من المساواة بين الفضيلة والرذيلة لاسمح الله فانه لايبقى بين دعاته وبين المساواة في الارث وغيره اسلام يتبع ، ولا قرآن يتعبد به ، ولا توراة ولا انجيل أيضاً، وحينئذ يكونون هم أصحاب الرأى النافذ في الحكومة البلشفية التجديدية فانه ليس في الارض اجدمنها، وان لم يتجرؤا (على ذمهم لكل قديم ومدحهم لكل جديد) على التصريح بها ، كما ظنوا اننا لانتجرأ على التصريح بطلب تنفيذ الشريعة الاسلامية كلها، وهانحن أولاء نصرح به لانه حق ومصلحة ، فنحن الشجعان لاننا نجهر باعتقادنا كله. وهم الجبناء لانهم لايجرأون على التصريح بكل مايستحسونه

أقول هذا لانه من لوازم هذه الدعاية الحمقاء ولا أجزم بان افكارهم القصيرة الخطى الكثيرة الخطا قدوصلت اليه ، اوقصدت اركاس الامة فيه ، وانما أرجح انهم يطلبون المال والجاه والزعامة الادبية لهم ولمن يرتبط بهم بتحويل أفكار النابتة الجديدة من المسلمين وقلوب النساء عن هداية الاسلام وتشريعه ،إذ لايمكن لزعنفة قليلة ان تتبوأ مقام الزعامة والقيادة في امة كبيرة هم اعداء الاكثرية الساحقة الماحقة منها في كل ماتعتقد حقيته، وقداسته من ادب وتشريع ، ومنافع هذه الزعنفة من ساسة الاجانب ومبشري دينهم رهينة بتأثير كلامهم في هذين الصنفين من المسلمين — أعني الشبان والنسوان، وجل الظلم والخسران في هذا كله واقع على اكتاد هؤلاء النسوان كما سنبينه في خاتمة هذه المقالات ان شاء الله تعالى

هذا وان الدكتور فخري ختم احتجاجه على وجوب مساواة المرأة للرجل بانها انسانة مثله وأخت له — وأعاد ذكر واجبات الامومة — ثم قال : وان كان حق الميراث ناتج (كذا) عن البنوة فهي أكثر منه عطفاً على والديها وهي أكثر منه براً بهما في شيخوختهما وفي مرضهما وفي ساعات بؤسهما وشقائهما اه

ونقول في تفنيده ان الانسانية ليست مناطا للارث ولا سبباً لتحديد درجات الوارثين فذكرها في هذا البحث لغو . واما كون الوارثة أختاً للوارث معها وبنتاً لمورثهما فهي إنما تقتضي المساواة بينهما في نفقة الوالدين عليهما وفي عطفهما واكرامهما لهما وهذا حق قررته الشريعة الاسلامية فلايجوز للوالدين تفضيل بعض أولادهما على بعض فيما تتساوى حاجاتهم فيه عرفا لانه ظلم وسبب للتحاسد والتعادي بينهم ، والواقع بالفعل انهما ينفقان على البنت أكثر مما ينفقان على الابن في الغالب لانها تحتاج من الحلي والحلل الحريرية وغيرها مايفوق ثمنه ماينفق على ملابس أخيها ، والذي أعرفه في بيوتنا وتربيتنا الاسلامية أننا نكرم البنات ونخصهن بعطف زائد على عطفنا على البنين ، فلا أذكر ان أحداً من رجالنا ضرب بنتاً ضرب التأديب الذي لايسلم منه أحد من البنين وقد كنت في بيت أبي أضرب اخوتي الصغار واوبخهم وأنهرهم بغليظ القول ، ولم اضرب اختاً من اخواتي قط ، ولااذكر انني اغلظت على احداهن في القول . ولو شئت لذكرت ماهو أبلغ من ذلك في تربيتنا الاسلامية ولله الحمد

ثم ان الوالد يجهز البنت عند تزويجها بأضعاف ماقد يدفعه مهراً لزوج الابن إذا لم يدفعه هذا من كسبه وقد اعتاد المسلمون المغالاة في هذا التجهيز حتى صاروا يبذلون فوق ماتسمح لهم به ثروتهم ، فيقترضون بالربا ولو فاحشاً أو يبيعون الارض والعقار باقل من ثمن المثل لاجله ، ولا يستحي هؤلاء المفتاتون على المسلمين في شريعتهم وبيوتهم من عيبهم بالتقصير مع الاناث وهضم حقوقهن وهم يعلمون كل هذا

واما الارث فلا يناط بدرجة القرابة وعاطفتها بل هو ركن من أركان تكوين الاسرة ومصالح الامة الاقتصادية ، وكل منهما يقتضي أن يكون جل الثروة في أيدي « الجنس القوي النشيط » لانه أقدر على جميع أنواع التثمير والاستغلال والقيام بشؤون النفقات المنزلية (العائلية) والقومية والدولية ، والذي يقعد « بالجنس اللطيف الضعيف » عن مجاراته في الامرين (الاستغلال والانفاق) هو وظيفة الامومة الامومة التي عكس الدكتور فخري القضية وخالف مقتضى الفطرة فجعلها سبباً للمساواة

وجملة القول ان الاسلام خالف جميع الشعوب وشرائعها بما شرعه من العناية بالنساء واعطائهن أكمل حقوق الزوجية التي تقتضيها سنن الفطرة السليمة، ومنحهن في الارث نصف ثروة الاسرة من جميع وجوه القرابة النسبية والزوجية ولم يضع عليهن من الواجبات المالية نصف ماوضعه على الرجال، فقد ترث المرأة المتزوجة أباها وأمها وبعض اخوتها وأخواتها وعمومتها وهي في حجر زوجها ينفق عليها وعلى أولادها ولا يكلفها الشرع أن تنفق من ذلك شيئاً على نفسها ولا على أولادها فضلا عن زوجها، إلا أن تتفضل بالتبرع بذلك فتكون لها المنة. وأما أخوها الذي يشاركها في هذا الارث كله فيأخذ منه مثلي ماتأخذه فهو مكلف أن ينفق على زوجة أو أكثر وعلى أولاد قد يكونون كثيرين، فأيهما يكون أكثر مالا، وأحسن حالا، وأضمن مآلا ؟

إذا تيسر للمرأة استغلال ماترثه كما يستغله أخوها او أحسن إما بنفسها عند توفر الوسائل وانتفاء الموانع الزوجية والوالدية، واما باستخدام اولي الكفاية من الرجال فان ثروتها تزيد على ثروة أخيها المثقل بنفقات الزوجية والابوة أضعافاً ولو شئنا لوضعنا لذلك مثلا حسابية تتجلى بها تفاصيل هذه المسألة المدهشة، وذلك مما يتيسر لكل من يعرف علم الحساب على تفاوت الناس فيه

وأراني قد أتيت في هذه المسألة بما قامت به حجة الاسلام تتبختر اتضاحا، ودحضت شبهة الالحاد والاباحة تتضاءل افتضاحا . وأرجو من قراء الكوكب المنير أن يمنحوني إجازة في الخمسة الايام الباقية من رمضان وأسبوع العيد أعادهم الله تعالى عليهم وعلى سائر الامة بالخير والنعمة وكشف كل غمة وسأشرح لهم بعدها سائر الحقوق إن شاء الله تعالى

[المنار]

عرض لنا في أسبوع العيد وعكة تجددت لنا بعدها شواغل فوق الاعمال المعتادة فأخرنا بقية مسائل الموضوع، ثم عرض بعد ذلك الانقلاب المعروف في سياسة الحكومة، وكان من نتائجه تعطيل جريدة كوكب الشرق، وسننشر بقية المقالات في المنار، وبعد اتمامها ستصدر في كتاب مستقل ان شاء الله تعالى

الاتفاق بين دولة الحجاز ونجد السعودية

(ودولتي ايران وبولونية)

(وعدنا في الجزء الأخير من المجلد الثلاثين بنشر اعتراف دولة بولونية بالمملكة) السعودية وسبب ذلك أنه قد زار مصر صاحب الفضيلة مفتي المسلمين في بولونية وزعيمهم الديني (الشيخ يعقوب شنكفتش) في طريقه الى الحجاز فلقي من تكريم فضلاء المسلمين وجمعية شبانهم ومن جمعية الرابطة الشرقية ما يليق بزعامته وشخصه الكريم ، وقد ألقى في نادي الخطابة من دار جمعية الشبان المسلمين محاضرة في بيان حال المسلمين في بولونية وما لهم فيها من حرية الدين المطلقة ومن مساعدة الحكومة البولونية الكاثوليكية لهم ما كان موضع الاعجاب والعجب من كل من سمعه لانه فوق المعهود من الدول الاوربية وسببه الحقيقي عندنا أن تدين بولونية أمتها وحكومتها بالنصرانية تدين عقيدة واخلاص فهو لا ينافي الاتفاق مع المسلمين وأما تدين دول الاستعمار والدعاية فهو تدين سياسة وتجارة وبذلك كان مثار الشرور . ثم سافر المفتي الى الحجاز وحظي مع الوفد البولوني المؤلف برياسة المعتمد السياسي الجديد لدولته لدى ملك المملكة الحجازية النجدية بلقاء ملكها في مدينة جدة واحتفل فيها بتبادل خطبتي الاتفاق بين الدولتين بما هو صريح في اعتراف حكومة بولونية وشعبها بمزايا الشعب العربي الاسلامي والرغبة الصادقة في مودته باسلوب لم يعهد مثله من الدول الاوربية في روحه ومغزاه — وكان جواب الملك السعودي زعيم العرب والاسلام له يمثل هذه الروح الشريفة — لهذا أحببنا نشر ذلك في المنار للتنويه به

وقد اتفق ان جريدة أم القرى الحجازية الغراء نشرت تفصيل الاحتفال بالوفد والمعتمد البولوني عقب تفصيل الاحتفال بالمعتمد الايراني وكنا نوهنا في المنار بالاتفاق بين الدولتين السعودية والبهلوية الايرانية في المنار وأظهرنا السرور به ولكننا رأينا في خطبة المعتمد الايراني وجواب الملك السعودي له ماضاعف

سرورنا بأصل الاتفاق بين هاتين الدولتين الاسلاميتين المستقلتين، وهو التصريح فيهما بالجامع الأقوى والأعلى بينهما وهو الرابطة الاسلامية وتعزيز الاسلام، وقد أكبرنا هذا التصريح الذي يعبق منه شذى الصدق والاخلاص لانه وقع بعد سعاية خبيثة لايقاع الشقاق بينهما احياء وتجديدا لشر المصائب والرزايا القديمة التي أضعفت الاسلام والمسلمين وهي العداوة بين أهل السنة والشيعة. وبعد ماوقع من شيعة العراق من اظهار العداوة والبغضاء لاهل السنة النجديين وتكفيرهم،ومن شيعة سورية من نشر أحد شيوخ علمائهم لكتاب خبيث في الطعن في دين الوهابية يتضمن الطعن في السنة وأئمتها وحفاظها ومن تأليف عالم آخر منهم لكتاب آخر في دعاية الرفض والطعن في أهل السنة - وتصدي مجلتهم العرفان لنشر هذه الدعاية

فهذا الاتفاق بين الدولة المقيمة للسنة على أصولها الصحيحة والدولة الممثلة لفريق الشيعة الامامية وبناؤه على ما صرح به في الخطبتين من جعل الشعور الاسلامي والوحدة الاسلامية أساسا للمودة والاتفاق والتعاون يعد مبدأ إصلاح اسلامي عظيم تعب دعاة الاصلاح في سبيله تعبا عظيما ولم يفوزوا بما كانوا يرجون منه،وناهيك بما قام به حكيما نهضتنا الاسلامية منذ نصف قرن من السعي الحميد لذلك. وهما السيد جمال الدين الحسيني الافغاني والشيخ محمد عبده المصري

واننا نبدأ بنشر خطبتي هذا الاتفاق وننشر عقبه خطبتي الاتفاق الآخر

خطاب الممثل الايرانى

(وهو صاحب السعادة حبيب الله خان هويدا)

ياصاحب الجلالة

ان مولاي المعظم صاحب الجلالة شاهنشاه ايران خلد الله ملكه أولاني أسمى شرف ، وأعظم فخر ، وأغلى ثقة ، بتعييني ممثلا في بلاط جلالتكم ، لأقوم بكل قواي على إحكام روابط المحبة والوداد الموجودة لحسن الحظ بين الدولتين الصديقتين الاسلاميتين

ان اطمئناني ياصاحب الجلالة على وجود الصداقة الخالصة المتينة بين الحكومتين المعظمتين واعتمادي وثقتي على العواطف السامية الملوكانية التي شملتموني بها عند مثولي بين يدي جلالتكم في الدفعات الماضية ، وشعوري على مابين الامتين من روابط الاخاء والولاء يشدد ساعدي في تأدية الواجب، ويقوي عزيمتي على القيام بمهمتي ياصاحب الجلالة

ان بين الشعبين صلة أكيدة قوامها الدين المبين، وأواصر إخاء وثيقة عمادها الاتحاد والغاية في النزعة القومية ، لان الامتين استنارو من نور واحد أشرق من افق البطحاء واستفاضوا من منبع فيض واحد كان ينبوعها هذه الاراضى المقدسة فأي ضمان اثبت على دوام المحبة وأحفظ على تبادل الولاء الصادق من الاتفاق في شعائر الدين والتقاليد القومية. واني ياصاحب الجلالة اراني في هذه الساعة محاطا بروح الشرف والفخار بتشرفي بالمثول بين يدي جلالتكم لتقديم أوراق اعتمادي الكتاب الكريم المرسل من لدن صاحب الجلالة شاهنشاه بهلوي متبوعي المعظم مليك ايران لجلالتكم بتعييني ممثلا للدولة الامبراطورية في بلاط جلالتكم مليك الحجاز ونجد وملحقاتها ، فأغتنم هذه الفرصة الثمينة ياصاحب الجلالة المعظم لأعرب عن المودة الصادقة الاكيدة التي يبديها مليكي المعظم في تمنياته لذاتكم الملوكانية بالفوز والتأييد ، ولأسرتكم الملكية الكريمة بالعظمة والاقبال ، ولأمتكم المجيدة بالسعادة والرفاه كما ان حكومة جلالة مولاي المعظم والامة الفارسية لترجو بأن يكون عهد توليتكم شؤون الدولة وتبوئكم عرش المملكة فاتحة واطرادا للرقي والتقدم ، ويعود على الامة العربية بالعز والرفاهية ، ويزيد الصلات الودية الموجودة بين الشعبين: الفارسي والعربي متانة وإحكاما . مولاي

الجواب الملوكى

(وقد تلاه أمين السر لصاحب الجلالة السعودية الاستاذ الشيخ يوسف ياسين)

يا جناب الممثل

انه لمن دواعي سرورنا العظيم أن نتقبل ممثل صديقنا العزيز جلالة شاهنشاه أيران في بلاطنا ليكون واسطة في تأييد أواصر الصداقة — القائمة ولله الحمد — وتمتين حسن الصلات بين البلادين اللذين يرتبطان بصلات الجوار والحس المشترك في الشعور الاسلامي العام

وانه ليسر شعب هذه البلاد المقدسة ان يروا هذه الصلات الحسنة مستمرة على الدوام مع سائر الشعوب التي تنتسب للاسلام ليكون هذا عونا على ارتباط المسلمين جميعاً للتعاضد على العمل الذي كان منشؤه كما ذكرتم هذه البلاد المقدسة ليسطع نور الاسلام في سائر الآفاق ويكون من آثار سطوعه تعاضد المسلمين على ماينفعهم في دينهم ودنياهم

ولقد كان من دواعي سرورنا أن يقع اختيار جلالة صديقنا العزيز لجنابكم لتمثلوه لدينا لما عرفناه في شخصكم من القديم في السعي والحرص في تأييد أواصر الصداقة بين البلادين . تلك المساعي التي أنتجت ولله الحمد هذا العصر السعيد من الوئام والاتحاد بيننا وبين الجارة الصديقة

لذلك نتقبل بسرور أوراق اعتمادكم التي حملتموها من لدن جلالته

ونحب أن تكونوا على ثقة يا جناب الممثل من انكم ستلقون منا ومن رجال حكومتنا كل مساعدة وتأييد لتتمكنوا من القيام بمهمتكم التي أسندت إليكم خير قيام ، وإنا لنتمنى لكم توفيقا ونجاحا في جميع ما تسعون اليه من أعمالكم المفيدة . والسلام

اعتراف حكومة بولونيا بالحكومة السعودية

منقول من جريدة أم القرى الغراء بحروفه

في الساعة الحادية عشرة من اليوم المذكور تشرف الكونت ادوارد راشينسكي والدكتور يعقوب شنكفتش مفتي مسلمي بولونيا أعضاء الوفد البولوني الذي ذكرنا نبأ وصوله في العدد الماضي بمقابلة صاحب الجلالة الملك المعظم ، وقد استقبل الوفد بالمراسم المعتادة ولقي من جلالة الملك كل عطف ورعاية

ثم ألقى الكونت ادوارد راشينسكي أمام جلالة الملك خطابا نشرنا صورته فيما يلي وعقبه الشيخ يوسف يس فألقى الخطاب الجوابي الملوكي

﴿ خطاب الكونت أدوارد ﴾

ياصاحب الجلالة

أتشرف بأن أقدم الى جلالتكم رسالة حضرة صاحب الفخامة رئيس جمهورية بولونيا الفتية الناهضة وباسم فخامته أعرض على جلالتكم تمنيات صحتكم ودوام ملككم لرفاه الامم المتحدة تحت لوائكم المنصور

ان مملكة بولونيا تعرف جيداً الامة العربية الجسورة وفروسيتها ، وتقدرها حق قدرها، وقد اشتهرت في العالم بحبها للحرية حتى بلغت شهرتها إلى بولونيا ، فتغنى شعراؤها منذ العصور بفروسية هذه الامة الكريمة

ان الامة البولونية تقدر هذه الفروسية وهذا الحب للحرية لانها هي أيضا قاتلت متفانية لنيل استقلالها وتحملت آلاما ومتاعب كثيرة لبلوغ غايتها من الحرية المنشودة ، وقد كانت حياتها في خطر ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى وكرمه استطاعت ان تحافظ على كيانها حتى اصبحت مملكة قوية يتمنى العالم كله هدوءها وسكونها للمحافظة بسببها على السلام العام

أقدم هذا التقدير وهذه الممنونية التي تحفظها الامة البولونية نحو الامة العربية الكريمة ونحو جلالتكم الذي جمعتم هذه الامة العربية وكونتم مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها العظيمة على يدكم المنصورة بسعيكم النادر وحكمتكم النافذة ، وشجاعتكم الشخصية التي هي أكبر ماتقدرها الامة البولونية

ان شهرة جلالتكم كأتقى ملك وأكثرهم دفاعاً عن الدين تزداد انتشاراً يوما فيوما بين اخوانكم المسلمين في بولونيا الذين توطنوا بلاد الشمال البعيدة منذ قرون عديدة ، وقوبلوا من الامة البولونية كأخوة لشهرتهم بالتخلق بالاخلاق الحسنة والفروسية والتفاني في الدفاع عن الوطن مع اخوانهم البولونيين حين هجوم الاعداء على بلادهم ، وقد حضر اليوم معي الى هنا ممثلهم ورئيس ديانتهم المحترم المفتي الاكبر يعقوب شنكفيتش ليرتبط بمنبع ديانتهم ارتباطا وثيقا . ويهنيء جلالتكم بالصعود على عرش البلاد المقدسة والدفاع عنها

انني لا أشك من أن وفدنا الذي أتشرف بأن اكون رئيسه ليستطيع أن يضع الاساس الاول لارتباط الامتين الكريمتين الامة العربية والامة البولونية برباط الصداقة القلبية المتينة لمنفعة هاتين الامتين اللتين يمكنهما أن تنتفعا من بعضها انتفاعاً عظيما فتظهر هذه المنفعة جلياً في ميدان الاقتصاد لان بلادنا محشودة بثروات طبيعية وصناعات تتقدم بسرعة مدهشة فيمكن أن تستفيد هاتان المملكتان البعيدتان من بعضهما فائدة عظيمة بسبب تبادل محصولاتها الطبيعية والصناعية

بعد أن تشرفت بتقديم احساسات وتمنيات حضرة فخامة رئيس الجمهورية البولونية الفتية وحضرة القائد المنصور المارشال جوزيف بيلسودسكي وباسم الحكومة البولونية والامة البولونية كلها ألتمس السماح لي بأن أتشرف بتقديم تمنياتي واحساساتي الشخصية مع احساسات وتمنيات زميلي المحترم وأرجو وألتمس من جلالتكم التنازل بقبولها وتعطفوا علينا بمعونتكم في إنهاء مهمتنا التي تشرفنا بتحملها لانهائها مع معاونة جلالتكم ؟

الجواب الملوكي

يا جناب المندوب

اننا نتقبل بسرور رسالة حضرة صاحب الفخامة رئيس جمهورية بولونيا الفتية الناهضة ونتقبل بامتنان التمنيات الطيبة التي نقلتموها لنا عن فخامته

كما اننا نفاخر بما ذكرتم مما هو معروف في بلادكم عن مزايا أمتنا العربية التي نراها تشابه في كثير من الحالات حالة الامة البولونية في مراميها ومزاياها من الشجاعة والاقدام

وان الامة العربية لتنظر للبراعة التي ظهرت في الامة البولونية وعلى الاخص في الايام الاخيرة بعين التقدير والاحترام ، ولقد سرنا ماذكرتم لنا عن الذين ينتسبون للاسلام ويتفيؤون ظلاله ، وإنا لنتمنى لهم هناء وراحة وتوفيقا في إقامة شعائر دينهم ونجاحا في السير على ماجاء به الاسلام الذي كان منشؤه هذه الديار المقدسة التي تسر باستقبالكم فيها ، وإنا لنرحب بحضرة ممثل المسلمين في ديار بولونيا وسيلاقى منا ومن رجال حكومتنا كل مساعدة في سبيل تأييد الصلات مع أولئك المسلمين الذين نهتم بأمرهم كل الاهتمام

وإنا لواثقون من انه سيكون لوفدكم الكريم أحسن الاثر في العلاقات الاقتصادية بين بلادنا وبلاد الامة البولونية النجيبة

ونرجوكم أن تقدموا بالنيابة عنا لحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية البولونية ولحضرة القائد المنصور المارشال جوزيف بيلسودسكي تمنياتنا بدوام صحتهما ورفاهيتهما ، كما نرجو إبلاغ الامة البولونية النجيبة تمنياتنا لسعادتها وسؤددها كما نتمنى لجنابكم ولرفيقكم الموقر كل هناء وصحة وعافية ، ونأمل أن يبدأ في القريب العاجل عهد علاقات ودية واقتصادية بين البلادين تكون مفتاح هذه العلاقات والسلام .

وبعد الانتهاء من الخطب أبلغ الدكتور اداورد راشنسكي جلالة الملك إعتراف حكومة بولونيا بارتقاء جلالته على عرش مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها فشكر جلالته الحكومة البولونية على صنيعها هذا . اهـ

الفتح الاوربي والفتح الاسلامي

(والاستعمار البريطاني والفرنسي)

ياحسرة على المسلمين جهلوا تاريخهم وجهلوا دينهم فجهلوا أنفسهم، فهم يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي أعدائهم الظالمين المستذلين لهم ، شغلهم الفاتحون لبلادهم عن أنفسهم وعن مقومات أمتهم من دين قيم، وتشريع عادل، وتاريخ مجيد، وأدب رائع ، بزخرف من زينة حضارتهم، ودعاوى كاذبة عن عدالتهم، وتهاويل مرعبة من مظاهر قوتهم ، فرضى كثير منهم بأن يكونوا أعوانا لهم على استعبادهم واستذلالهم ، ثم لم يرض الفاتح منهم بسلب المال، وتنكيس رءوس الرجال، حتى عمد الى سلبهم مالهم من الرجاء في سعادة الآخرة بتحويلهم عن الاسلام بعد أن سلبهم سعادة الدنيا .

كان المسلمون يفتحون المصر من الأمصار والقطر من الأقطار فيرضون من أهله بقليل من المال يسمى الجزية يجعلون لهم بها حق حمايتهم والدفاع عنهم، مع حريتهم المطلقة في عقائدهم وعباداتهم وأنفسهم وأموالهم واعراضهم، ويسمحون لهم بتلقي العلوم معهم في مساجدهم ومدارسهم كأبنائهم، وبجميع الاعمال التي يقدرون عليها لترقية أنفسهم . ومن اختار منهم الدخول في الاسلام كان أخاً للمسلمين في الامور الروحية ، فوق ما كان له من مساواتهم في الحقوق المدنية، وترفع عنه الجزية التي قلما كانت تزيد على دينار في السنة من البالغ الحر القادر على الاداء

وأما هؤلاء المستعمرون من الافرنج فهم يسلبون من أهل البلاد التي يستولون عليها أكثر ثمرات كسبهم، ويجعلونهم أذل من عير الحي والوتد في بلادهم، ومن لم يرض مع الذل والعبودية بخيانة أمته ووطنه والخدمة الصادقة لهم يسومونه سوء العذاب، ولا يساوون أحداً منهم بابناء جنسهم، وإن هو دخل في دينهم . وأشدهم إسرافا في هذه الخطة الدولة الفرنسية، وقد كان رجال سياستها يسخرون من الانكليز إذ يرونهم يسمحون لبعض الناس في البلاد التي يتغلبون عليها بأن يكونوا أصحاب ثروة واسعة، وأن يعلموا أولادهم بعض العلوم العالية ، ويتركون لهم شيئا من الوجاهة وحرية

الدين التي لا تعارض السلطة، ويكتفون في سبيل تحويلهم عن دينهم ونعراتهم القومية والوطنية بالتعليم والتربية المدرسية ودعاية المبشرين بالنصرانية معتذرين عن دعايتهم بأنه مقتضى الحرية الدينية العامة لا خروج عنها .

كان الدكتور غوستاف لوبون فيلسوف فرنسة يفضل في كتبه سيرة انكلترة في مستعمراتها على سيرة دولته (فرنسة) وكان ساستها يسخرون من فلسفته ومن السياسة الانكليزية الاستعمارية ، ولما قامت مصر والهند بعد الحرب تطلبان الاستقلال، وتبذلان في سبيله الاموال، اقتنعت انكلترة بأن فرنسة أحذق منها في استعباد البشر إذ لا تدع لهم سبيلا الى الثروة ولا الى العلم الذي يجمع الكلمة ، ولكنها لا تستطيع ان تكون مثلها ، فان حاولت ذلك كان خسارها أكبر من ربحها

ان جميع الحكومات الأوربية تتعمد افساد أخلاق أهالي البلاد التي تستولي عليها باي اسم من أسماء الاستيلاء حتى الحماية والمساعدة والانتداب ، وتلقي بين المختلفين من أهلها في الدين أو المذهب أو الجنس الشقاق والبغضاء، اما إفساد الاخلاق وكذا صحة الأبدان فبإباحة الفواحش والمنكرات كالخمور والمخدرات بانواعها ونشرها باسم الحرية الشخصية وحرية التجارة، وإما إلقاء العداوة والبغضاء والتفريق بين الاهالي فباسم حماية حقوق الاقليات . والغرض الذي يتوخونه من كل ذلك أن لا توجد في البلاد وحدة تجمع كلمة أهلها على المطالبة باستقلالها . ولا فضائل تؤلف بين الافراد وتنهض بهممهم الى القيام بشؤون الاصلاح فيها، وانما يكون هم كل واحد منهم التمتع بشهواته الحيوانية، وهم كل فريق يجمعه دين أو مذهب أو جنس معاداة من يخالفه فيه من أهل بلاده

وأما المسلمون فكانوا على اطلاقهم الحرية للمخالفين لهم في الدين يمنعونهم من الفواحش والمنكرات التي تفسد أخلاقهم وتجني على صحتهم، كما يمنعون منها المسلمين أنفسهم ، لان الله تعالى لما أذن لهم بالقتال دفاعا عن أنفسهم ودينهم عند تمكنهم منه كان مما أوجبه عليهم اذا صاروا أصحاب السيادة في الارض أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فلا تبيح الحكومة الاسلامية الصحيحة لغير المتدينين بدينها من المنكر عندها إلا ماتبيحه لهم دياناتهم كشرب الخمر مثلا اذا كان فيما بينهم بصفة لا يضر غيرهم

وقد رأينا بعد الحرب الكبرى من ظلم الدول المستعمرة للمسلمين وتعديها على دينهم ودنياهم ما تفاقم شره بعد سقوط الدولة العثمانية ، وقيام حكومة تركية من انقاضها أعلنت الالحاد ونبذت الشريعة الاسلامية وراء ظهرها، وأبطلت محاكمها ومدارسها وأوقافها، وأكرهت رعيتها على ترك لغتها وهي العربية، وعلى كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ، وترجمت لها القرآن المجيد باللغة التركية ترجمة لايثق بها مسلم لتكتبه بالحروف اللاتينية، تمهيداً لمحوه من البلاد التركية . ولم يمكن الشعب التركي الذي يدين سواده الاعظم بالاسلام وتعد الملاحدة فيه كالنقطة السوداء في الثور الابيض أن يصد حكومته العسكرية القاهرة عن هذا الالحاد لضعفه بالفقر والحروب الطويلة التي انهكت قواه ، وقد حاول اغتيال رئيس جمهوريته الالحادية (اللاييك) مراراً فلم يظفر به، فهو ينتظر الفرج من الله تعالى بانقلاب آخر

فهذا الحدث الفاحش أطمع الدول المستعمرة للبلاد الاسلامية في إخراج المسلمين من دينهم بالقوة القاهرة . وقد كانت دولة فرنسة تمهد السبل من قبل لاخراج شعب البربر الاسلامي القوي الشكيمة من الاسلام إلى النصرانية او الالحاد، ثم تجرأت في هذا العهد على تنفيذ ذلك بالقوة العسكرية في المغرب الاقصى، واستعانت على ذلك بحيلة صورية ، أرادت أن تجمل بها هذه الفعلة ذات صبغة رسمية أو شرعية، فطلبت من سلطان المغرب السابق أن يصدر لها ظهيراً (مرسوما سلطانيا) يهبها به ما كان له من الرياسة الدينية والحق الشرعي الديني على شعب البربر ويجرد نفسه منه، فيكون لها به حق التصرف المطلق في أمور هذا الشعب الدينية من قضائية وتعليمية ـ ظنا منها أن السلطان الذي يملك حق الولاية الدينية على هذا الشعب الاسلامي يملك أن يتركه لسلطة غير اسلامية ، ويجعل لها حق التصرف في دين هذا الشعب فتردده عن الاسلام بكل الوسائل التي تقدر عليها ـ فامتنع أن يصدره على شدة التهديد في زمن الحرب الكبرى، وهم يزعمون انه أصدره، ولكنها لم تنشر نصه ولم تكتف به، بل عادت بعد موته الى ولده الشاب الذي نصبته بعده واستصدرت الظهير في هذا العام بنفوذ رئيس حكومة المخزن (الطيب المقري) ، وشرعت في إخراج "بربر بالفعل من دين الاسلام بتعليم أولادهم لديانة النصرانية باللغة الفرنسية ومنعهم من تعلم القرآن

و اللغة العربية وبوضع قانون جاهلي للاحكام الشخصية من زواج وطلاق وإرث وغيره يحل محل الشريعة الاسلامية ، في محاكم بربرية تنشأ بدلا من المحاكم الشرعية

أما الحق الشرعي في هذه الوسيلة فهو أن السلطان لايملك أن يعطيها هذا الحق ، كما انه لايملك أن يغير نصا من أحكام الشرع ، كأحكام الزوجية والطلاق والارث ، وهي منصوصة في القرآن ، بل لم يكن للرسول الاعظم حق في مخالفة القرآن في حكم من أحكامه وقد قال الله تعالى (١٠ : ١٥ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ، إن أتبع إلا مايوحى إلي ، اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فأي مسلم اعتقد ان له الحق في أن يغير حكما من أحكام القرآن أو غيرها من أحكام الاسلام المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة يحكم بارتداده عن الاسلام وقتله وعدم دفنه في مقابر المسلمين الخ وكذا من استحل أن يفعل ذلك او ان يسمح لغيره بفعله فهو كافر مراق الدم ، واذا كان من يجحد مثل هذه الاحكام جحوداً يحكم بكفره ويجب قتله أيضا فكيف بمن ينفذ ابطال هذه الاحكام بالفعل أو يسمح لغيره بتنفيذها واخراج بعض المسلمين من دينهم ؟ قال صاحب عقيدة جوهرة التوحيد

ومن لمعلوم ضرورة جحد من ديننا يقتل كفراً ليس حد

ولما شرعت حكومة المغرب الفرنسية في تحويل البربر عن دينهم بالفعل ، تجرأ مسلمو المغرب الاقصى على مقاومة السلطة الفرنسية بالفعل ، وكان قد استحوذ عليهم الخوف والجبن ، وسنبين في الجزء الآتي ما كان من تأثير هذه الفتنة هنالك ثم ما كان وما سيكون من تأثيرها في العالم الاسلامي كله ، مع البحث في آراء ساسة فرنسة فيما يجب أن تعامل به المسلمين فانهم مختلفون في ذلك ولم يبلغنا عن أحد منهم قبل الحرب الكبرى انه يجب عليها إكراههم على ترك الاسلام بل هذا رأي حديث سنبين انه رأي أفين ، ونرد على ماأقاموا عليه من الدليل ، ونبين الرأي المعقول الجامع بين مصلحة فرنسة ومصلحة المسلمين ، ومصلحة البشر أجمعين

المعاهدة الجديدة

﴿ بين انكلترة والعراق ﴾

ان في العراق حزبا عراقياً انكليزيا، كما أن في مصر حزبا مصريا انكليزيا، وأعني بكونه انكليزيا ان ساسة الانكليز يثقون بزعمائه ويعدونهم أصدقاء أو غير أعداء لهم. وإن من أركان الحزب العراقي الانكليزي: نوري باشا السعيد، وجعفر باشا العسكري. ولما تعذر الاتفاق بين الانكليز في العراق وبين الوزارات كلها عهد جلالة الملك فيصـل برياسة الوزارة إلى نوري باشا السعيد فلم يلبث أن اتفق مع الانكليز على عقد معاهدة سياسية عسكرية يلغي بها ما يسمى الانتداب ويجعل شؤون العراق بين الدولتين بدون وساطة جمعية الامم، بل تساعد الدولة الانكليزية العراق بمقتضاها على أن تكون عضواً في جمعية الامم كسائر الممالك الداخـلة في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنة التي يسعى ساسة لندن لجعل الشرق كله في جوفها

وقد كانت الدعاية التي تقدمت هذه المعاهدة والتي أعلنت فيها بالاجمال قبل التفصيل متقنة كل الاتقان فلم يعلم الناس بما فيها من الخطر على العراق بل على الامة العربية كلها إلا بعد نشرها برمتها. وقد كنت ممن ظنوا ان أكبر غوائلها بقاء حظائر الطيارات البريطانية فيها. ثم ظهر انها معاهدة عسكرية تقرر فيها جعل بلاد العراق وكل ما فيها من القوى وطرق المواصلات تحت تصرف الانكليز العسكري إذا وقع بينهم وبين أحد حرب كما تقرر فيها مساعدة الانكليز للعراق بقواها العسكرية حالة وقوع حرب بينها وبين دولة أخرى، بل تقرر فيها أن تكون قوة العراق العسكرية وأسلحتها في تصرف الانكليز

ومن المعلوم بالبداهة عند جميع المشتغلين بالسياسة أن الدولة البريطانية موجهة براعتها السياسية إلى استعباد الامة العربية وجعل جميع بلادها العامرة تحت سلطانها من مصر الرازحة تحت نير احتلالها العسكري الى العراق فالكويت فعمان أي إلى آخر حدود جزيرة العرب والتمهيد بذلك إلى جعل الحجاز ونجد تحت سيطرتها، وبهذا تقطع الطريق على الشعوب العربية دون الاتفاق والاتحاد والاستقلال

ومن المعلوم بالاختبار الصحيح وتاريخ الفتح أو الاستعمار الانكليزي في الهند ثم في مصر والسودان ان الانكليز يضربون الامم الجاهلة أو المتخاذلة بعضها ببعض فيفتحونها بأيدي أهلها وبأموالهم ، فان ماينفقونه من المال في أول الامر يستوفونه بعد ذلك مع ربح فاحش جداً ، هكذا فعلوا في الهند وهكذا فعلوا في مصر والسودان ، وهكذا يفعلون اليوم في البلاد العربية بداراً أن تجمع كلمتها وتوحد نهضتها وتؤلف الدولة أو الدول المتحدة أو المتحالفة التي يسعى اليها أهل اليقظة والرأي من أبنائها

نصبوا أولاد الشريف حسين ملوكا وأمراء على حدود الحجاز ونجد لعلمهم بما تأرث بينهم وبين ابن السعود من سعير العداوة والبغضاء ، فهم يخوفون به ملك العراق وأمير شرق الاردن ويستعينون بنفوذهما وبرجال البلاد وما لها على إقامة الحصون والمعاقل تجاه نجد والحجاز ، ويخوفون ملك الحجاز ونجد بأنه اذا شذ عن رغبتهم ، فانهم يقاتلونه بأيدي امته العربية وبما وراءها من قوتهم ، لعلمهم أن قوة العراق وشرق الاردن دون قوته الآن ، على انهم يظهرون الصداقة له ولجيرانه معاً كما كانوا يفعلون في الهند سواء . وسنأتي بالشواهد التاريخية على هذا في الجزء التالي ان شاء الله تعالى

عبد العزيز آل سعود رجل مسلم قوي الايمان ، عربي صادق العربية ، لامطمع له في بلاد شرق الاردن ولا العراق ، وهو لم يزحف على الحجاز ويستولي عليه الا مضطراً الى ذلك بما أحرجه الملك حسين حتى جعل مقاتلته ضربة لازب يوجبها الشرع الاسلامي ومصلحة نجد والعرب والمسلمين ، وهو يرى حمل الحجاز ثقيلا عليه لما يحتاج اليه من أنواع الاصلاح الكثيرة من دينية ومدنية ، وناهيك بتقريب مسافة الخلف بين تربية أهله وشؤونهم الدينية والمعاشية وتربية أهل نجد وشؤونهم ، فهو لامطمع له فيما وراء ذلك ولا ينوي أن يعتدي على أحد من جيرانه في الجنوب ولا في الشمال وكلهم من قومه وأهل ملته -

فأي حاجة مع هذا الى إقامة الحصون والمعاقل على حدوده إذا لم تكن استعداداً لما ذكرنا من قطع الطريق على الوحدة العربية قبل أن تتمهد سبيلها ؟ وأي حاجة بالعراق الى مجاراة الانكليز على هذه السياسة بمعاهدة حربية وهم يعلمون أن جيرانها الآخرين من الترك والايرانيين لا يمكن أن يتصدوا لفتحها لان لهم

في انفسهم شغلا عن ذلك ، على علمهم بأن الدولة البريطانية لاتنوي ترك العراق لأهله، وان أعمالها العسكرية ولا سيما المطارات والمعاقل والحصون والسكك الحديدية التي تصل العراق بحيفا قبل انتهاء الخمس السنين التي ضربتها المعاهدة أمداً لخروج الجيوش الانكليزية من العراق - وما في النية إحداثه من السكة الحديدية العسكرية التي تصل العراق بالبحر الاحمر - كل ذلك وسائل لرسوخ قدمها في هذه البلاد، وتأسيس امبراطورية بريطانية جديدة فيها في هذا الوقت الذي تتداعى فيه أركان امبراطورية الهند الكبرى التي لولاها لم تكن انجلترة من الدول العظمى وستستقل الهند بيقظة زعمائها وعلمهم وإخلاصهم ، بل في الوقت الذي يتحدث فيه بعض ساسة أوربة بقرب أجل هذه الدولة ويتوقع فيه سقوطها في الحرب الآتية التي لابد منها

ان أعظم ضباط العراق وطنية عربية ومعرفة بقيمة الاستقلال قد أقسموا أغلظ الايمان لجمعية عربية غايتها استقلال البلاد العربية استقلالا تاما بجميع معانيه الحقوقية والسياسية، وجعل الامة العربية به في مصاف الامم الحية ، فماذا فعلوا بيمينهم هذه؟ ومنهم بعض أعضاء هذه الوزارة التي عقدت هذه المحالفة وهي الآن تبذل نفوذها لتأليف مجلس نيابي يجعل استعباد انكلترة العسكري للعراق شرعيا بالاعتراف لها بأنه من طرق مواصلاتها الامبراطورية، وبان لها الحق في استخدام جميع قواته لمصلحتها العسكرية ، وفي جعل تأليف قواته العسكرية وسلاحه وسائر شؤونه بيد الانكليز يتصرفون فيها كما تصرفوا في قوات مصر، ولم يكن لهم من الامة المصرية مثل هذه المعاهدة ولا هذا الاعتراف،

ان تأليف مجلس نيابي يبرم هذه المعاهدة على علاتها ليس له معنى الا بيع العراق للانكليز بيعا شرعيا لا يمكن الرجوع فيه ، وانما يبقى أمام العراق طريق واحد للحرية والاستقلال وهو الثورة العامة لاخراجهم بالقوة ، ولكنها ستقطع هذا الطريق عليهم بأيديهم . وقد شرعت في ذلك ببث الاحقاد المذهبية بين أهل السنة والشيعة من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، والعصبيات الجنسية بين العرب والكرد والاشوريين، وبالقاء جراثيم الالحاد والاباحة وحرية الفسق التي لا يمكن أن تقوم لأمة معها قائمة ، وستنزع السلاح من جميع القبائل بقوة الجيش العراقي الذي ستنظمه لخدمتها . وللعراقيين أكبر عبرة بسيرتهم في مصر والسودان، ومن لم تؤدبه الحوادث، أدبته الكوارث

باب تقريظ المطبوعات الجديدة

(نور الاسلام) « مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكمية . تصدرها مشيخة الازهر الشريف أول كل شهر عربي[1] مدير إدارة المجلة عبد العزيز (بك) محمد من أعضاء مجلس الازهر الاعلى . رئيس التحرير السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر . قيمة الاشتراك السنوي داخل القطر المصري ٤٠ لطلبة المعاهد والمدارس ٢٠ ـ خارج القطر المصري ٥٠ »

هذا تعريف ادارة المجلة بها ، ولقد كان وجود مجلة لمعهد الجامع الازهر أمنية قديمة لنا ولكثير من مفكري المسلمين ومحبي الاصلاح ونشر الاسلام والدفاع عنه . وقد بين رئيس التحرير هذا في فاتحة العدد الاول وذكر سبب حصول هذه الامنية وأصحاب الفضل فيه وبيان الخطة التي رسمتها المجلة لنفسها ، واننا ننشر ذلك لما لنا من العناية الخاصة والاهتمام بأمر هذه المجلة بعد أن سلخنا ثلث قرن في الاشتغال بنشر مجلة المنار والقيام فيها بأهم فروض الكفاية التي اشتدت الحاجة اليها في هذا العصر الذي فشا فيه الالحاد ، ونشر شبهاته والدعوة اليه في جميع البلاد ، ونشط دعاة النصرانية في محاولة تنصير المسلمين في جميع الاقطار بمساعدة دولهم وأغنيائهم ، وقد دخلنا في سن الشيخوخة ولم نوفق لتربية أحد نرجو أن يقوم بعدنا باصدار المنار كما اننا لم نجد مجلة اسلامية تقوم بما يقوم به ، وهكذا كل عمل يقوم به الافراد يزول بزوالهم في الغالب . لهذا نسر ونهتم بانشاء المعهد الاسلامي الاكبر لمجلة إسلامية يرجى دوامها بدوامه إن شاء الله تعالى ، ولهذا نطيل في تقريظها مالم نطله في تقريظ مجلة أخرى ومالم تطله الصحف الاخرى بتقريظها ، وهذا نص ما جاء في فاتحتها :

« أحس الناس شدة الحاجة إلى هذه الصحيفة ووثقوا بأن سيكون لها في إنارة السبيل والذب عن حوزة الدين موقف خطير ، وهذا الاحساس الشريف هو الذي بعث حضرة صاحب العزة عبد العزيز محمد بك مدير هذه المجلة أن اقترح على المجلس الأعلى للمعاهد الدينية في جلسته المنعقدة في ٣ جمادى الثانية (؟)

---

(١) قد سبق الى انشاء مجلة دينية بهذا الاسم المرحوم الشيخ أمين أبو يوسف المحامي

سنة ١٣٤٥ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٦ أن يدرج في ميزانية المعاهد مبلغاً يقوم بانشاء مجلة إسلامية ، فعهد اليه المجلس بوضع تقرير في مشروع هذه المجلة على أن يعرضه عليه في جلسته المقبلة . وفي يوم ٨ محرم (؟) سنة ١٣٤٦ — الموافق ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٧ عرض حضرته هذا التقرير على المجلس فكان من المجلس أن قرر تأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة : المدير العام للمعاهد الدينية المرحوم الشيخ أحمد هارون . وشيخ معهد الاسكندرية لذلك العهد الشيخ محمد عبداللطيف الفحام وكيل الجامع الازهر . وشيخ معهد طنطا المرحوم الشيخ عبدالغني محمود ، وعهد اليها ببحث ما احتواه التقرير من الاقتراحات فنظرت اللجنة في التقرير وقدمت نتيجة بحثها إلى المجلس . وحينما أخذ ينظر في ميزانية سنة ١٩٢٩ أدرج فيها مبلغاً للانفاق على المجلة . إذ وثق بأنها عمل صالح وفاتحة نهضة مباركة

« ولما أسندت مشيخة الازهر إلى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الاحمدي الظواهري كان من أول ما توجهت اليه عنايته مشروع هذه المجلة ، فأخذ يدبره بجد وحكمة حتى لانت صعابه ، وتهيأت بتأييد الله أسبابه

« وفضل هذا المشروع الاسلامي الجليل عائد في الحقيقة إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا ملك مصر المعظم أحمد فؤاد الاول حرسه الله ، فان جلالته سار على سنن أسلافه الاماجد ، فأقبل يرفع صروح العلم ويحوط العلماء بالرعاية حتى نال الازهر الشريف وعلماؤه من هذه الرعاية أوفر نصيب

« فاقبال جلالته على هذا المعهد الاسلامي بعناية ضافية قد وطد في نفوس رجال العلم الامل في أن تكون دعوتهم إلى سبيل الخير ناجحة ، وجعل الازهر بمكان القادر على أن يصرع كل ضلالة وينهض بكل صالحة

«خرجت هذه المجلة وهي تحمل سريرة طيبة ، لا تنوي أن تهاجم دينا بالطعن ، ولا أن تتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول ، إذ لا يعزب عنها ما يحدث عن مثل هذا القصد من الفتن وبواعث التفرقة بين سكان الوطن الواحد وهم في حاجة إلى السكينة والتعاون على المصالح فردية كانت أو اجتماعية

«خرجت هذه المجلة بعد أن رسمت لنفسها خطة لا تمس السياسة في شأن »

وقصارى مجهودها أن تعمل على نشر آداب الاسلام وإظهار حقائقه نقية من كل لبس ، وتكشف عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات ، وتنبه على مادس في السنة من أحاديث موضوعة ، وتدفع الشبه التي يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة ، وتعنى بعد هذا بسير العظماء من رجال الاسلام ، وان في سيرهم لتذكرة لقوم يفقهون ، ويضاف الى هذا ما تدعو فائدته إلى نشره من المباحث القيمة علمية كانت أو أدبية . وسترى هذه المقاصد إن شاء الله مودعة في الابواب المفصلة على ما يأتي : التفسير . السنة . السيرة النبوية . أصول الدين . دفع الشبه . أصول الفقه . الفتاوى والاحكام . العلوم والآداب . آراء الباحثين . التاريخ . السير والتراجم ، أنباء العالم الاسلامي . الطرف والملح

« تتناول المجلة من مباحث هذه العلوم والفنون مايدعو الحال إلى نشره ، ولا تحكي رأيا خارجا عن نهج الصواب إلا أن تقرنه بما يكشف عن كنهه ، وستتحرى بتوفيق الله تعالى الطريقة التي تتجلى بها سماحة الدين في بهاء طلعتها وصفاء ديباجتها ، وتراعي في تحريرها الاساليب التي تألفها أذواق القراء ، ويجتلون فيها صور المعاني ماثلة أمامهم لا لبس فيها ولا التواء

« تناقش المجلة الاشخاص أو الجماعات الذين يقولون في الدين غير الحق ، مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وإذا كان هذا أدبها مع قوم هم عن الحق غافلون ، فأحرى بها أن تأخذ به في مناقشة آراء العلماء إذا رأت في بعضها انحرافا عما تقتضيه نصوص الشريعة او أصولها الثابتة الواضحة . نذكر هذا ليلحظه الذين يرغبون في مراسلة المجلة ببعض منشآتهم الموافقة لمنهجها

« ومن أجل أن يكون جهاد هذه المجلة متصلا بالحركة الفكرية في البلاد الاوربية أنشيء في إدارة المجلة قسم لترجمة مايجيء في الصحف الاجنبية من مباحث علمية أو مقالات يتحدث فيها عن الاسلام ، غير اننا لانضع أمام القراء مقالة في الاسلام صدرت من غير منصف إلا أن نصلها بما يستبين بها خطأ كاتبها ناقلا كان او مدعياً

« هذا غرض المجلة وهو بلاريب غرض نبيل ، وهذه خطتها وهي كما عرفت خطة

من يمشي على سواء السبيل ، وما توفيقنا الا بالله وهو حسبنا و نعم الوكيل » اه

[المنار] علمنا من هذا البيان المنقول من المجلة أنها مجلة رسمية تابعة لمشيخة الازهر ، فهي المسؤلة عنها ، ويعد كل ماينشر فيها من أقلام محرريها ومديرها صادراً عن المشيخة نفسها ، وتعد هي مقرة له ومعترفة به ، وكذا ماينشر فيها من الرسائل المنشأة لغيرهم او المترجمة اذا سكتت المجلة عليه ولم تتعقبه بنقد ولا تصحيح وهذه مزية لها تجعل تبعتها على المشيخة عظيمة ، وتكون ثقة الناس بصحة مافيها بقدر ثقتهم بالمشيخة في جملتها ، كأنه فتاوى صادرة عنها

وقد كان من موانع إنشاء المشيخة لمجلة اسلامية علمية في السنين الخالية ما كان من البعد الشاسع بين تعليم الازهر الديني واللغوي الانشائي وما تجدد من حاج العصر فقلما كان يوجد في الازهر من يستطيع أن يكتب في بيان عقائد الدين وآدابه وحكمة تشريعه والدفاع عنه ما تقبله عقول غير طلاب الازهر و ترجى استفادتهم منه ، وكان أول من أرشدهم وأرشد غيرهم في هذا القطر الى الانشاء العصري في أساليبه وموضوعاته السيد جمال الدين الافغاني ، ولكنهم ناوؤه وناوؤا تلاميذه ومريديه ، و كانوا يعدون الاعتراف بحاجتهم الى أي علم من العلوم غير مايتداولونه بينهم أو الى أي اصلاح لمنهاج التعليم اقراراً بنقص الازهر و نقص أهله ، ووضعا من عظمة قدره وشهرته

لهذا أعد أول مأثرة للمشيخة الحاضرة ولفضيلة رئيسها الشيخ محمد الاحمدي في هذا الطور الجديد أنه ناط الاعمال الرئيسية في المجلة الازهرية برجال من غير خريجي الازهر وهي ادارة المجلة ورياسة تحريرها وكتابة أهم مباحثها وأعلاها وأشدها توقفا على فنون اللغة وعلوم الشرع وهي مباحث التفسير والحديث ـ فالمدير العام للمجلة والمقترح لها هو صاحب العزة عبد العزيز بك محمد من خريجي مدرسة الحقوق وقضاة المحاكم الاهلية وقد جعل عضواً في مجلس الازهر الاعلى هو وآخرون من أمثاله من قبل الحكومة بناء على نظرية حاجة الازهر الى رجال من غير أهله لاصلاح شأنه وتنفيذ قانونه ، وهو كفؤ لهذا وذاك ـ ورئيس التحرير صاحب الفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين من علماء تونس وأدبائها وقد أعطي لقب عالم في الازهر بامتحان خاص وصفة استثنائية وجعله الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر السابق مدرسا في قسم التخصص من الازهر بعناية خاصة

استثنائية أيضاء وهو كفؤ لهذا وذاك ، ولكنني عجبت له كيف لم يذكر اسم الشيخ محمد مصطفى المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبها لهذه المجلة في فاتحة العدد الاول مع علمه بأنه هو الذي وضع مشروع المجلة في قانون الازهر الجديد وفي ميزانية هذه السنة وخصص لها هذا المبلغ العظيم (ستة آلاف جنيه) وانه هو الذي بذل جهده لاقرار الحكومة هذه الميزانية، فله الفضل الاول في تنفيذ هذا المشروع كما ان له الفضل عليه نفسه ، وإن لم يكن من أعضاء جمعيته أو حزبه ، ويجب أن يكون الدين والتاريخ فوق الاحزاب والجمعيات (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)

وأما كاتب التفسير والحديث في المجلة الاستاذ الشيخ حسن منصور فهو من خريجي مدرسة دار العلوم الاميرية ولكنه كان يحضر دروس التفسير معنا على الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهذا مرجح له على غيره ممن لم يحضر تلك الدروس العالية من علماء الازهر وفيهم من كان يحضرها . ثم ان من المحررين الموظفين للمجلة صاحبي الفضيلة الشيخ يوسف الدجوي والشيخ ابراهيم الجبالي وكلاهما من هيئة كبار علماء الازهر

انني أستقبل هذه المجلة بالترحيب والترجيب والتحبيب ولا أرى أن أذكر الآن رأيي في تحريرها ومسلكها في موضوعاتها ، وقد كنت كتبته قبل صدورها في تقرير قدمته الى الاستاذ المراغي بطلبه، وانما اقترح على المشيخة الجليلة اقتراحين ، وأذكرها برأيي في أمرين ، أراهما من الواجب علي الآن

(الاقتراح الاول) ان لا يذكر في المجلة حديث نبوي إلا مقرونا بتخريجه وبيان درجته من الصحة ومايقابلها ، وأن يتولى ذلك من يعنون بعلم الحديث في الازهر . وقد رأيت المدير الفاضل يعنى بهذا ولكنه لا يستقصيه ، وقد أورد في ترجمته للفصل العاشر من السيرة النبوية التي كتبها بالفرنسية المرحوم (اتيين دنييه) الفرنسي المهتدي وسليمان بن ابراهيم الجزائري هذه العبارة : «وقد حصل في فرنسة وفي بلاد أخرى من أوربة وافريقية وآسية دخول أشخاص في الاسلام فرادى وربما كان ذلك مصداقا لهذا الحديث النبوي الذي معناه « قد يؤيد الله هذا الدين بالغرباء منه » وقد وضع المدير لهذا الحديث حاشية هذا نصها : لا يعرف حديث بهذا المعنى بل الاسلام صلة ولحمة بين جميع المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وتباعدت أوطانهم (انما المؤمنون اخوة) اهو لكن

الحديث مروي في الصحيحين كليهما وفي غيرهما . ولفظه فيهما « ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر » وفي الطبراني « ان الله ليؤيد الاسلام برجال ماهم من أهله » .

(الاقتراح الثاني) أن ترغب أصحاب العلم والرأي والقلم من أهل الازهر في التحرير في المجلة بتعيين مكافأة مالية لمن يجيد كتابة موضوع تتجوده المشيخة ، فان هذا أمر معهود في المجلات الغنية التي يصدرها الافراد ، فأحر بمجلة غنية لمصلحة كبيرة خصص لها ألوف الجنيهات من الاوقاف أن تفعل ذلك .

وأما الرأي الذي أذكرها به فهو أن تنصلها من السياسة أن تمسها في أي شأن من شؤونها هو تضييق على نفسها وحرمان لمحرريها من حرية خدمة الاسلام والدفاع عنه بالسكوت عن أمور كثيرة يجب بيانها غير سياسة الحكومة الداخلية والخارجية وأحزاب الامة كالسياسة العامة والدفاع عما يصيب مسلمي مصر وغيرهم من رزاياها ومصائبها فالاسلام دين سياسة وسيادة وتشريع يشمل جميع شؤون البشر فلماذا يحظر رجال الدين على أنفسهم بعض مايجب عليهم بيانه منها مما لا يوجد في الكتب المدونة لانه مما تجدد في هذا العصر . واذا لم يوجد في المجلة إلا ما هو في الكتب استغني بالكتب عنها ؟

ومثل هذا قولها انها « لاتنوي أن تهاجم دينا بالطعن ، ولا أن تتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول » أنا لا أرضى لمجلة علمائنا أن تطعن في الأديان بالبذاء والسفاهة كطعن المبشرين في بعض مجلاتهم وكتبهم على الاسلام ولكنها لن تستطيع أن تقوم بالواجب من الرد على دعاة النصرانية المهاجمين للاسلام في مصر وغيرها مع تجنب كل مايكرهونه من قول . والله تعالى يقول (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر) الآية . فاذا كان العلماء لايستطيعون القتال بالسلاح فهم يستطيعون الجهاد بالقلم واللسان ، ومجادلتهم بالتي هي أحسن وإن كرهوها ، وأما تعليلها لذلك فهو غير مسلم من وجهين (أحدهما) ان هذا الذي تخشاه من الفتن والتفرقة في الوطن غير مخشي في مصر التي اعتادت الحرية وسماع المناقشات الخارجة عن قانون الأدب فكيف يخشى ذلك من مجلة تلتزم فيها أكمل الأدب ؟ (ثانيهما) ان هذه المجلة تجب أن تكون للاسلام ولجميع الاوطان الاسلامية لا لمصر وحدها .

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

(ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ هـ ٢٩ السنبلة سنة ١٣٠٩ هـ ش ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٠)

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

(٤١) انفِروا خِفافاً وثِقالاً وجاهِدوا بأموالِكم وأنفسِكم في سبيل الله، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون

روي عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ان هذه الآية أول ما نزل من هذه السورة ثم نزل ماقبلها وما بعدها بعد ذلك ، ولا يصح بهذا نقل ، ولا يقبله فهم ولا عقل ، والمتبادر من هذا السياق أن أوله خطاب الله للمؤمنين في قتال أهل الكتاب وما يسوغه وما ينتهي به من قبول الجزية منهم ، ويتلوه انكاره عليهم التثاقل عن النفر إذ استنفرهم الرسول لغزوة تبوك ، وما قبله من أول السورة سياق مستقل تكلمنا عليه في أول تفسير السورة ، وقد تقدم ان السورة نزلت كلها بعد غزوة تبوك - وما قيل من استثناء الآيتين اللتين في آخرها، فان صح أن شيئا نزل منها قبل السفر فهذا السياق من أوله الى آخره لاهذه الآية وحدها، وأما مابعد هذه الآية فظاهر ان أكثره نزل في أثناء السفر ومنه مانزل بعده كما سنوضحه

وأما وجه اتصال الآية بما قبلها فهو انه تعالى لما وبخ الله المؤمنين على التثاقل عن النفر لما استنفرهم الرسول ﷺ قفى عليه ببيان حكم النفير العام ، الذي يوجب القتال على كل فرد من الافراد بما استطاع ، ولا يعذر فيه أحد بالتخلف عن الاقدام ، وترك طاعة الامام ، فقال

﴿ انفروا خفافاً وثقالا ﴾ الخفاف بالكسر جمع خفيف والثقال جمع ثقيل . والخفة والثقل يكونان بالاجسام وصفاتها من صحة ومرض ، ونحافة وسمن ، وشباب وكبر ، ونشاط وكسل ، ويكونان بالاسباب والاحوال ، كالقلة والكثرة في المال والعيال ، ووجود الظهر (الراحلة) وعدمه ، وثبوت الشواغل وانتفائها . فاذا أعلن النفير العام ، وجب الامتثال الا في حال العجز التام ، وهو ما بينه تعالى في الآية ٩١ من هذا السياق (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله) الآية ، وعذر القسم الثالث مشروط بما اذا لم يجد الامام أو نائبه ما ينفق عليه كما ذكر في الآية وستأتي . وما ورد عن مفسري السلف من تفسير الخفاف والثقال ببعض ما ذكرنا من الكليات فهو للتمثيل لا للحصر ، قال ابن عباس في تفسيرهما : نشاطا وغير نشاط . وفي رواية عنه موسرين ومعسرين ، وفي رواية ثالثة خفافا من السلاح أي مقلين منه ، وثقالا به أي مستكثرين منه . والحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة : شبانا وشيوخا . وعطية العوفي : ركبانا ومشاة . وأبو صالح : فقراء وأغنياء . وقال ابن زيد في معناه : الثقيل الذي له الضيعة يكره أن يدع ضيعته . وقال الحكم بن عيينة : مشاغيل وغير مشاغيل

ومما هو نص في إرادة عموم الاحوال قول أبي أيوب الانصاري - وقد شهد المشاهد كلها الا غزاة واحدة : قال الله تعالى (انفروا خفافا وثقيلا) فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا . رواه ابن جرير . وروي عن أبي راشد الحراني قال : وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله ﷺ جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص - وقد فضل عنها من عظمه - يريد الغزو فقلت له : قد أعذر الله اليك ، فقال أتت علينا سورة البعوث - يعني براءة - (انفروا خفافا وثقالا) وروي عن حيان ابن زيد الشرعبي قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو - وكان والياً على حمص - قبل

الافسوس الى الجراجمة فرأيت شيخاً كبيراً هِمًّا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار، فقلت ياعم قد أعذر الله اليك، قال فرفع حاجبيه عن عينيه فقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ، ألا انه من يحبه الله يبتليه ، ثم يعيده فيبقيه، وانما يبتلي الله من عباده من صبر وشكر وذكر، ولم يعبد الا الله عز وجل،

أقول بمثل هذا الفهم للقرآن والاهتداء به فتح سلفنا البلاد، وسادوا العباد، وكانوا خيراً لهم من ابناء جلدتهم ، والمشاركين لهم في ملتهم. ولم يبق لأحد من أمتنا حظ من القرآن الا تغني بعضهم بتلاوته من غير فهم ولا تدبر ، واشتغال آخرين باعراب جمله ، ونكت البلاغة في مفرداته وأساليبه، من غير علم ولا فقه فيها. ولا فكر ولا تدبر لما أودع من العظات والعبر فيها ، فهم يتشدقون بأن (خفافاً وثقالا) منصوبان على الحال، ولا يرشدون أنفسهم ولا غيرهم الى ما أوجباه على ذي الحال. وقد يذكر من يسمى الفقيه فيهم ما قيل من أن الآية منسوخة بقوله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وهو زعم مخالف لما عليه الأئمة كافة، من انه لا تعارض بين الآيتين كما سيأتي في تفسير الثانية. وبمثل هذا وذاك أضاع المسلمون ملكهم، وصار أكثرهم عبيداً لاعدائهم. ثم بين تعالى ما يجب من هذا النفر بقوله:

﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ أي وجاهدوا اعداءكم الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت من العلو والفساد في الارض ، ببذل أموالكم وأنفسكم في سبيل الله الموصلة الى الحق وإقامة ميزان العدل . فمن قدر على الجهاد بماله وبنفسه معاً وجب عليه الجهاد بهما، ومن قدر على احدهما دون الآخر وجب عليه ما كان في قدرته منهما . كان المسلمون في الصدر الاول ينفق كل على نفسه في القتال، ومن كان عنده فضل من المال بذل منه في تجهيز غيره كما فعل عثمان (رض) في تجهيز جيش العسرة في هذه الغزوة ، وكما فعل غيره من اغنياء الصحابة (رض) وهكذا يفعل أهل نجد الآن

ولما صار بيت المال غنياً بكثرة الغنائم صار الائمة والسلاطين يجهزون الجيش من بيت المال . وأئمة اليمن يدخرون المال لاجل القتال وينفقون على طائفة من الناس طول السنة لتكون مستعدة للقتال كلما استنفرت له . والدول المنظمة تقرر

في كل عام مبلغا معينا من المال في ميزانية الدولة للنفقات الحربية من برية وبحرية وهوائية . وإذا وقعت الحرب يزيدون في هذه المبالغ ، ويجددون لها كثيراً من الضرائب ، بل يجعلون جميع أموال الدولة والامة ومصالحها ومرافقها تحت نفوذ قواد الحرب يتصرفون فيها بالنظام لا بالاستبداد ، والمسلمون أولى منهم بكل ما ذكر

﴿ ذلكم خير لكم ﴾ أي ذلكم الذي أمرتم به من النفر والجهاد الذي هو أبعد مرامي الامم في حفظ حقيقتها ، وعلو كلمتها ، وتقرير سياستها — خير لكم في دنياكم وآخرتكم ، أي خير في نفسه بصرف النظر عن مقابله ، أو خير من القعود والبخل عنه ، أما الدنيا فلا حياة للامم فيها ولا عز ولا سيادة الا بالقوة الحربية والقعود عن القتال عند الحاجة اليه يغري الاعداء بالقاعدين العاجزين ، وحب الراحة يجلب التعب ، وأما الآخرة فلا سعادة فيها الا لمن ينصر الحق ، ويقيم العدل ، ويتحلى بالفضائل ، ويتخلى عن الرذائل ، باتباع الدين القويم ، والعمل بالشرع العادل الحكيم . ولا يمكن هذا الا باستقلال الامة بنفسها ، وقدرتها على حفظ سيادتها وسلطانها بقوتها ، كما تقدم تفصيله في تفسير الآيات الكثيرة من سورة الانفال ولا سيما (٨: ٦٠ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)(*) وفي أوائل هذه السورة

﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أي ان كنتم تعلمون حقية هذه الخيرية علما إذعانياً يبعث على العمل . وجواب إن محذوف دل عليه ما قبله أي يكن خيراً لكم ، ويقدره بعضهم أمراً بالامتثال أي فانفروا وجاهدوا . وقد علم تلك الخيرية وامتثل هذا الامر المؤمنون الصادقون ، واستاذن بعض المنافقين النبي ﷺ في التخلف فأذن لهم على ضعف أعذارهم ، وتخلف منهم ومن المؤمنين أناس آخرون فانزل الله في الجميع الآيات الآتية في اثناء السفر

(٤٢) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ

(*) راجعها في ص ٦٠ ج ١٠ تفسير

يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٣) عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ

كان دأب المؤمنين وعادتهم إذا استنفرهم الرسول ﷺ للقتال أن ينفروا بهمة ونشاط، ولما استنفرهم لغزوة تبوك تثاقلوا لما تقدم من الاسباب، وللتثاقل درجات تختلف باختلاف قوة الايمان وضعفه، ويسر الاسباب وعسرها، وكثرة الاعذار وقلتها، ولكن نفر الاكثرون طائعين، وتخلف الاقلون عاجزين. وأما المنافقون فقد كبر عليهم الامر، وعظم فيهم الخطب، وطفقوا ينتحلون الاعذار الواهية، ويستأذنونه ﷺ في القعود والتخلف فيأذن لهم، فكان نزول هذه الآيات ومابعدها لبيان تلك الحال وأحكام تلك الوقائع. وهي لا تفهم إلا بمعرفة أسبابها، كما كان يعرفها من وقعت منهم ومعهم وفيما بينهم. ومن حكمة الله تعالى في هذا الاسلوب أن يضطر المؤمنون بعد ذلك العصر إلى البحث عن تاريخه ليستعينوا به على فهم ماتعبدهم الله تعالى به من الآيات فيعرفوا نشأة دينهم، وسياسة ملتهم، وصفة تكوين أمتهم، ولا شيء أعون للامم على حفظ حقيقتها كمعرفة تاريخها.

﴿ لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصداً لاتبعوك ﴾ أي لو كان ما استنفرتهم له ودعوتهم اليه أيها الرسول عرضا - وهو مايعرض للمرء من منفعة ومتاع، مما لاثبات له ولا بقاء - قريب المكان او المنال، ليس في الوصول اليه كبير عناء، وسفراً قاصداً، أي وسطا لامشقة فيه ولا كلال (١) لاتبعوك فيه، وأسرعوا بالنفر اليه، لان حب المنافع المادية والرغبة فيها لاصقة بطبع الانسان، وناهيك بها إذا كانت سهلة المأخذ قريبة المنال، وكان الراغب فيها من غير الموقنين بالآخرة ومافيها من الاجر العظيم للمجاهدين، كاولئك المنافقين ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ التي دعوا اليها وهي تبوك — والشقة الناحية او المسافة والطريق التي لاتقطع إلا بتكبد المشقة

(١) يقال سير قاصد وسفر قاصد، وليلة قاصدة وليال قواصد، أي هينة السير، من القصد وهو الاعتدال، يوصف به الفعل وزمانه، وهو في الاصل وصف للفاعل، ففي وصايا لقمان لابنه من التنزيل (واقصد في مشيك)

والتعب — وكبر عليهم التعرض لقتال الروم في ديار ملكهم ، وهم أكبر دول الارض الحربية فتخلفوا جبنا وحبا بالراحة والسلامة ﴿ وسيحلفون بالله ﴾ أي وسيحلفون لكم بالله بعد رجوعكم اليهم ، كما قال في آية أخرى ستأتي (يعتذرون اليكم إذا رجعتم اليهم) قائلين ﴿ لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ أي لو استطعنا الخروج الى الجهاد بانتفاء الاعذار المانعة لخرجنا معكم (١) فاننا لم نتخلف عنكم الا مضطرين ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ بامتهان اسم الله تعالى بالحلف الكاذب لستر نفاقهم واخفائه، يؤيدون الباطل بالباطل ، ويدعمون الاجرام بالاجرام، أو بالتخلف عن الجهاد المفضي الى الفضيحة ، وماتقتضيه من سوء المعاملة ، فالجملة مبينة لحالهم في حلفهم أو ما كان سببا له ، وانهم يريدون به النجاة فيقعون في الهلاك ﴿ والله يعلم إنهم لكاذبون ﴾ في زعمهم انهم لو استطاعوا الخروج لخرجوا معكم

﴿ عفا الله عنك ﴾ العفو التجاوز عن الذنب او التقصير وترك المؤاخذة عليه ويستعمل بمعنى الدعاء. أي عفا عما تعلق به اجتهادك أيها الرسول حين استأذنوك وكذبوا عليك في الاعتذار ﴿ لم أذنت لهم ﴾ لاي شيء أذنت لهم بالقعود والتخلف كما أرادوا ، وهلا استأنيت وتريثت بالاذن ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ في الاعتذار ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ فيه ، أي حتى تميز بين الفريقين فتعامل كلا بما يليق به ، وذلك أن الكاذبين لا يخرجون سواء أذنت لهم أم لم تأذن لهم ، فكان مقتضى الحزم أن تتلبث في الاذن أو تمسك عنه اختباراً لهم . روى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال هم ناس قالوا استأذنوا رسول الله ﷺ فان أذن لكم فاقعدوا وان لم يأذن لكم فاقعدوا . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله (والله يعلم إنهم لكاذبون) قال لقد كانوا يستطيعون الخروج ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم وزهادة في الجهاد .

(١) قيل ان هذا ساد مسد جوابي القسم والشرط ، وقيل انه جواب القسم وجواب لو محذوف، كما هو الشأن في تقدم القسم على الشرط . ومذهب ابن مالك انه جواب لو وهي مع جوابها جواب القسم

هذا وان بعض المفسرين كالزمخشري قد أساؤا الادب في التعبير عن عفو الله تعالى عن رسوله ﷺ في هذه الآية، وكان يجب أن يتعلموا منها أعلى الادب معه صلوات الله وسلامه عليه، إذ اخبره ربه ومؤدبه بالعفو قبل الذنب، وهو منتهى التكريم واللطف، وبالغ آخرون كالرازي في الطرف الآخر فارادوا أن يثبتوا أن العفو لا يدل على الذنب، وغايته أن الاذن الذي عاتبه الله عليه هو خلاف الاولى، وهو جمود مع الاصطلاحات المحدثة والعرف الخاص في معنى الذنب وهو المعصية، وما كان ينبغي لهم أن يهربوا من اثبات ما أثبته الله تعالى في كتابه تمسكا باصطلاحاتهم وعرفهم المخالف له ولمدلول اللغة أيضا، فالذنب في اللغة كل عمل يستتبع ضررا او فوت منفعة او مصلحة، مأخوذ من ذنب الدابة، وليس مرادفا للمعصية بل أعم منها. والاذن المعفو عنه قد استتبع فوت المصلحة المنصوصة في الآية وهي تبين الذين صدقوا والعلم بالكاذبين. وقد قال تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الآية

فالتفصي من إسناد الذنب إلى الانبياء بالتأويل ليوافق المذاهب والقواعد كالتفصي مما وصف الله به نفسه و ما أسنده اليها من العلو والاستواء على العرش وغيرهما من الصفات وهو يستلزم جعل بيان نظار المتكلمين لحقائق دين الله أفصح وأبين وأولى بالتلقين من كتاب الله عز وجل الذي وصفه بأنه تبيان لكل شيء، ولو قيل: ان لازم المذهب مذهب مطلقا وإن لم يفطن له صاحب المذهب ويلتزمه كما يقوله الذين يكفرون كثيراً من المخالفين لهم لجاز الحكم بكفر هؤلاء المتأولين المحرفين، ولكن أهل الحق من علماء السلف يمنعون من الحكم بالكفر على الشخص المعين، فيما يتأول فيه مما هو كفر في نفسه، ويعدون من العذر بالجهل مالا يعدونه المتكلمون عذرا

وقد كان الاذن المعاتب عليه اجتهاداً منه ﷺ فيما لا نص فيه من الوحي، وهو جائز وواقع من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وليسوا بمعصومين من الخطأ فيه، وانما العصمة المتفق عليها خاصة بتبليغ الوحي ببيانه والعمل به، فيستحيل على الرسول أن يكذب او يخطيء فيما يبلغه عن ربه او يخالفه بالعمل، ويؤيده

حديث طلحة في تأبير النخل إذ رآهم ﷺ يلقحونها فقال « ما أظن يغني ذلك شيئا » فأخبروا بذلك فتركوه ظنا منهم أن قوله هذا من أمر الدين فنفضت النخل وسقط ثمرها ، فأخبر بذلك فقال ﷺ « ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فاني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فاني لن أكذب على الله عز وجل » رواه مسلم

وقد صرح علماء الاصول بجواز الخطأ في الاجتهاد على الانبياء (ع . م) قالوا ولكن لا يقرهم الله على ذلك بل يبين لهم الصواب فيه . ومنه ما تقدم في سورة الانفال من عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ في أخذ الفدية من أسارى بدر (١) والخطأ هنالك أعظم مما هنا ، فغاية ما فيه هنا انه مخالف لما يقتضيه الحزم ، وكان من لطف الرب اللطيف الخبير ، برسوله البشير النذير ، ان أخبره بالعفو عنه ، قبل بيانه له ، وأما ذاك فقد بدأ عتابه له وللمؤمنين الذين عمل برأي جمهورهم في أخذ الفدية بقوله (٨ : ٦٧ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) ثم بين انه كان مقتضيا لعذاب أليم لولا كتاب من الله سبق فكان مانعا ، وسنذكر فائدة أمثال هذا الاجتهاد والخطأ في تفسير الآية ٤٧ وهي قريبة

ومن مباحث البلاغة في الآية نكتة الاختلاف في التعبير عن الصادقين والكاذبين إذ عبر عن الاولين بالاسم الموصول بالفعل الماضي ، وعن الكاذبين باسم الفاعل وقد بين ذلك ابو السعود بقوله . وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام ، للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في أمر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين ، وأن ما صدر من الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بأمر خاص لكنه أمر جار على عادتهم المستمرة ناشيء عن رسوخهم في الكذب ، والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين ، وعما يتعلق بالكذب بالعلم ، لما هو المشهور من أن مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال

(١) راجع تفسير الآيات (٨ : ٦٧ و٦٨ و٦٩ في صفحة ٨٣ ـ ١٠٠ ج ١٠)

نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا ، وأما كذبه فأمر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله ، فما يتعلق به يكون علما مستأنفا ، وإسناده إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لا إلى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع إسناد التبين إلى الاولين لما أن المقصود ههنا علمه عليه الصلاة والسلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه، بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم. ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه . وإسناد التبين إلى الاولين وتعليق العلم بالآخرين ـ مع أن مدار الاسناد والتعلق أولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما أشير اليه ـ لما أن المقصد هو العلم بكلا الفريقين، باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين، ومعاملتهما بحسب استحقاقهما ، لا العلم بوصفيهما بذاتيهما، أو باعتبار قيامهما بموصوفيهما ، اه

(٤٤) لَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٥) إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٦) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ

ذكر البغوي وغيره عن ابن عباس (رض) انه قال لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين حتى نزلت سورة براءة ، والظاهر أن مراده لم يكن يعرفهم كلهم ويعرف شؤونهم بمثل ما في هذه السورة من التفصيل كما قال الله له في الذين مردوا على النفاق (لا تعلمهم نحن نعلمهم) وستأتي في هذا السياق . إذ من المعلوم أن ذكر المنافقين وبعض صفاتهم وأقوالهم وأفعالهم جاءت في عدة سور نزلت قبل سورة براءة منها سور المنافقين والاحزاب والنساء والانفال والقتال والحشر ، وأما سورة براءة فهي الفاضحة لهم والكاشفة لجميع أنواع نفاقهم الظاهرة والباطنة

وهذه الآيات أول السياق في هذا البيان للتفرقة بينهم وبين المؤمنين في أمر القتال ، ولعله ﷺ لم يعلم ذلك الا بعد نزولها . قال عز وجل

﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾

هذا نفي للشأن يراد به بيان الواقع في نفسه فلا يلاحظ في الفعل فيه الزمان الحاضر أو المستقبل الذي وضع له المضارع بل يشملهما كما يشمل الماضي ، كما تقول الصائم لا يغتاب الناس ، والذي يزكي لا يسرق ، أي هذا شأن كل منهما ، فالمعنى انه ليس من شأن المؤمنين بالله الذي كتب عليهم القتال ، واليوم الآخر الذي يكون فيه الاجر الاكمل على الاعمال ، ولا من عادتهم أن يستأذنوك أيها الرسول في أمر الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم إذا عرض المقتضي له ، لان هذا من لوازم الايمان التي لا تتوقف على الاستئذان (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وإذا لم يكن من شأنهم ان يستأذنوا في الجهاد بل يقدمون عليه عند وجوبه من غير استئذان لما تقدم آنفا ، بل هم يستعدون له في وقت السلم باعداد القوة ورباط الخيل من استطاع ذلك منهم ، فهل يكون من شأنهم أن يستأذنوك في التخلف عنه ، بعد إعلان النفير العام له ؟ كلا ان أقصى ماقد يقع من بعضهم التثاقل والبطء في مثل هذا السفر البعيد

ويحتمل ان يكون المعنى لا يستأذنك هؤلاء المؤمنون في القعود والتخلف كراهة ان يجاهدوا في سبيل الله فان الجهاد لا يكرهه المؤمن الصادق الذي يرجو الله والدار الآخرة ، ويعلم ان عاقبة الجهاد الفوز باحدى الحسنيين : الغنيمة والنصر ، او الشهادة والاجر ، وانما قد يستأذن صاحب العذر الصحيح منهم وهم الذين قبل الله عذرهم وأسقط الحرج عنهم في الآيتين (٩١ و ٩٢) روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا « من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة او فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه » الخ يعني رجلا اعد فرسه رباطا في سبيل الله كلما سمع هيعة اي صيحة لقتال او في قتال او فزعة اي دعوة للاغاثة والنصر فيه طار على فرسه يبتغي القتل والموت في مظانه اي المواضع التي يظن انه يلقى القتل والموت فيها

﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ له باجتناب مايسخطه وفعل مايرضيه ونيتهم فيه وانه ليس من شأنهم ان يستأذنوا بالتخلف كراهة للقتال، فهم يجزيهم وصفهم، وقد استنبط من الآية انه لاينبغي الاستئذان في أداء شيء من الواجبات ، ولا في الفضائل والفواضل من العادات، كقرى الضيوف ، وإغاثة الملهوف ، وسائر عمل المعروف ، ويعجبني قول بعض العلماء مامعناه : من قال لك تأكل؟هل آتيك بكذا من الفاكهة أو الحلوى مثلا ؟ فقل له لا، فانه لو أراد أن يكرمك لما استأذنك

﴿ انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ هذا تصريح بمفهوم ماسبق لزيادة تأكيده وتقريره ، وجاء الحصر فيه بانما التي موضعها ماهو معلوم بالجملة، لان المعنى قد علم من مفهوم الحصر بالنفي والاثبات الذي قبله[1] والمعنى انما يستأذنك في التخلف عن الجهاد الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لانهم يرون بذل المال للجهاد مغرما يفوت عليه بعض منافعهم به ولا يرجون عليه ثوابا كما يرجو المؤمنون، ويرون الجهاد بالنفس آلاما ومتاعب وتعرضا للقتل الذي ليس بعده حياة عندهم، فطبيعة كفرهم بالله واليوم الآخر تقتضي كراهتهم للجهاد وفرارهم منه ماوجدوا له سبيلا، بضد مايقتضيه ايمان المؤمنين كما تقدم ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾ اي وقد وقع لهم الريب والشك في الدين من قبل، فلم تطمئن به قلوبهم ، ولم تذعن له نفوسهم ؛ وانما الايمان هو اليقين المقارن للاذعان وخضوع النفس ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾ متحيرين في امرهم ، مذبذبين في عملهم ، يحسبون كل صيحة عليهم ، فهم يوافقون المؤمنين فيما يسهل أداؤه من عبادات الاسلام ، فاذا عرض لهم مايشق عليهم فعله ضاقت به صدورهم ، والتمسوا التفصي منه بما استطاعوا من الحيل والمعاذير الكاذبة ، حتى انه كان يشق عليهم حضور صلاة الفجر والعشاء كما ورد في الصحيح . وسيأتي في بيان فضائحهم (لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون) وقد ورد في بعض الروايات ان عدد هؤلاء المنافقين كان تسعة وثلاثين رجلا ، ولعل المراد المستأذنون أو المتخلفون منهم

(١) راجع هذا الفرق بين الحصرين في ص ١٥٩ ج ٨ تفسير

روي عن ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بآية سورة النور (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه، ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شأنهم فاءذن لمن شئت منهم واستغفر لهم ان الله غفور رحيم) والجمهور على انها محكمة، وما ارى هذا الرأي يصح عن ابن عباس، فان سورة النور نزلت قبل هذه السورة بالاتفاق، وموضوع الاستئذان فيها غير موضوعه هنا وإلا كانتا متناقضتين، فآية براءة في الاستئذان بالتخلف عن الجهاد والقعود عنه بعد النداء بالنفير العام، وآية النور في استئذان من يكون مع النبي ﷺ على امر جامع كالجمعة والعيدين — وليكن منه الجهاد — ويعرض لأحدهم حاجة يريد قضاءها والعودة إلى الجماعة، فكان بعضهم لا يرى بذلك بأسا كالذين كانوا مجتمعين معه ﷺ لصلاة الجمعة فجاءت العير بالتجارة فانفضوا اليها وتركوه قائما يخطب ليس معه إلا اثنا عشر منهم ابو بكر وعمر وجابر الذي اخرج الشيخان والترمذي وغيرهم هذا الحديث عنه، وفي رواية ابن عباس عند ابن مردويه في تفسيره انه بقي معه سبعة عشر رجلا وسبع نسوة. وفي هذه الحادثة نزلت الآيات في آخر سورة الجمعة فصار المؤمنون بعد ذلك لا يخرجون من حضرة النبي ﷺ لحاجة تعرض لهم إلا إذا استأذنوه وأذن لهم، ولهذا قال الله تعالى في آية براءة (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله) الآية. والعجب من المفسرين الذين نقلوا هذه الرواية عن ابن عباس كيف سكتوا عن بيان هذا من سلم منهم القول بالنسخ ومن لم يسلمه؟

وحكى الرازي عن أبي مسلم الخراساني في قوله تعالى (لم أذنت لهم) انه ليس فيه مايدل على أن ذلك الاذن فيماذا، فيحتمل أن بعضهم استأذن في القعود فأذن له، ويحتمل أن بعضهم استأذن في الخروج فأذن له، مع انه ما كان خروجهم منه صوابا لأجل انهم كانوا عيونا للمنافقين على المسلمين. فكانوا يثيرون الفتن ويبغون الغوائل، فلهذا السبب ما كان خروجهم مع الرسول مصلحة. قال القاضي هذا بعيد لان هذه الآية نزلت في غزوة تبوك على وجه الذم للمتخلفين والمدح للمبادرين، وايضا ما بعد هذه الآية يدل على ذم القاعدين وبيان حالهم اه ماتقله

الرازي عنه وعن القاضي عبدالجبار في الرد عليه وكلاهما من المعتزلة

وأقول ان هذا الاحتمال الذي ذكره ابومسلم مردود بان الخروج إلى الجهاد ما كان يحتاج إلى إذن بعد إعلان النفير فيستأذنوا له . واما كون خروجهم مفسدة فهو صحيح وسيأتي النص عليه (في الاية ٤٧) ولكن اولئك المستأذنين لم يكونوا يريدون الخروج كما تقدم فكانت المصلحة في عدم الاذن لهم لينكشف سترهم ، فيعرف النبي والمؤمنون كنه أمرهم ، ويثبت هذا قوله تعالى

﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ﴾ من الزاد والراحلة وغير ذلك مما يعد لمثل هذا السفر البعيد وكانوا مستطيعين لذلك ولم يفعلوا كما دلت عليه الآية ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ﴾ الانبعاث مطاوع البعث وهو إثارة الانسان أو الحيوان وتوجيهه إلى الشيء بقوة ونشاط كبعث الرسل ، أو إزعاج كبعثت البعير فانبعث ، وبعث الله الموتى . والتثبيط التعويق عن الامر والمنع منه بالتكسيل او التخذيل ، ولم ترد في التنزيل إلا في هذه الآية . والمعنى كره الله نفرهم وخروجهم مع المؤمنين لما سيذكر من ضرره فثبطهم بما أحدث في قلوبهم من الخواطر والمخاوف التي هي مقتضى النفاق ، فلم يعدوا للخروج عدته لانهم لم يريدوه ، وانما أرادوا بالاستئذان ستر ما عزموا عليه من العصيان ﴿ وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ في هذا القيل وجوه أحدها انه تمثيل لداعية القعود التي هي أثر التثبيط ، وفي معناه انه أمر قدري تكويني لاخطاب كلامي ، والثاني انه قول الشيطان بالوسوسة - والثالث انه قول بعضهم لبعض - والرابع انه حكاية لإذن الرسول ﷺ لهم ، وانه قاله بعبارة تدل على السخط لاعلى الرضاء اذ معناه اقعدوا مع الاطفال والزمنى والعجزة والنساء ، فأخذوه على ظاهره لموافقته لمرادهم

ويحتج المجبرة ومنهم الاشعرية على المعتزلة بهذه الآية ، ويتأولها هؤلاء بأنها لا تنافي وجوب مراعاة المصالح وتحسين العقل وتقبيحه ، ومذهبنا في أمثالها انها بيان لسنة الله تعالى في ترتيب الاعمال الاختيارية ، على ما يبعث عليها من العقائد والصفات النفسية ، وموافقة ذلك هنا لحكمته وعنايته تعالى بأمر المؤمنين ، وذلك توفيق

أقدار لأقدار ، في ضمن دائرة الاختيار ، فلا جبر ولا اضطرار للعبد ، ولا وجوب على الرب ، فالحكمة والرحمة وما في شرعه من اعتبار المصالح مما يجب له ، ولا يجب عليه شيء

---

(٤٧) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

(٤٨) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ

هاتان الآيتان في بيان حال هؤلاء المنافقين ماتكون عليه لو خرجوا والتذكير بما كان من أحوالهم السابقة الدالة على ذلك . قال عز وجل ﴿ لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ﴾ هذا التفات عن خطاب الرسول ﷺ في أمرهم إلى خطاب جماعة المؤمنين الذين معه ، يقولون لو خرج هؤلاء المنافقون المستأذنون في القعود في جماعتكم ايها المؤمنون مازادوكم شيئا من الاشياء إلا خبالا ، أي اضطرابا في الرأي ، وفساداً في العمل ، وضعفا في القتال ، وخللا ، في النظام فان الخبال كما قال الراغب هو الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا كالجنون ، والمرض المؤثر في العقل والفكر . والمراد مازادوكم قوة ومنعة واقداما كما هو شأن القوة العددية المتحدة في العقيدة والمصلحة ، بل ضعفا وفشلا ومفسدة ، كما حصل في غزوة حنين فان المنافقين ولوا الادبار في أول المعركة ، وتبعهم ضعفاء الايمان من المؤلفة قلوبهم من طلقاء فتح مكة . فاضطرب لذلك الجيش كله وفسد نظامه . فولى أكثر المؤمنين معهم بلا روية ولا تدبر ، كما هو شأن جماعات البشر في مثل هذه الاحوال

﴿ ولأوضعوا خلالكم ﴾ الوضع والايضاع كما في التاج أهون سير الدواب ، وقيل ضرب من سير الابل دون الشد ، وقيل هو فوق الخبب . قال الازهري ويقال : وضع الرجل اذا عدا أي أسرع وهو مجاز ، ويقال أوضع راحلته ، وخلال الاشياء

ما يفصل بينها من فروج ونحوها، والمعنى ولأوضعوا ركائبهم - أو - ولأسرعوا في الدخول في خلالكم وما بينكم سعيا بالنميمة وتفريق الكلمة ﴿ يبغونكم الفتنة ﴾ اي حال كونهم يبغون بذلك ان يفتنوكم بالتشكيك في الدين والتثبيط عن القتال، والتخويف من قوة الاعداء، ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ اي وفيكم اناس من ضعفاء الايمان او ضعفاء العزم والعقل كثيرو السمع لهم، لاستعدادهم لقبول وسوستهم. وقيل اناس نمامون يسمعون لاجلهم ما يعنيهم من اقوالكم فيلقونها اليهم، وهو بعيد وان رجحه الطبري وقدمه الزمخشري، وسماع صيغة مبالغة لا يختص بما قاله الطبري فيها، فان اولئك المنافقين الذين استأذنوا لم يكونوا معروفين متميزين بحيث تكون لهم هيئة مجتمعة تتخذ الجواسيس لتنظيم عملها

﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ من هؤلاء وغيرهم، اي محيط علما بذواتهم وسرائرهم واعمالهم ما تقدم منها وما تأخر، وبما هم مستعدون له في كل حال مما وقع ومما لم يقع إن عرض لهم، ككون هؤلاء المنافقين لا يزيدن المؤمنين لو خرجوا فيهم الاخبالا الخ فهو كقوله في حلفاء اليهود منهم الذين كانوا يغرونهم بعداوة النبي صلى الله عليه وسلم ويعدونهم بنصرهم عليه الذي حكاه عنهم في سورة الحشر وكذبهم فيه بقوله (لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون) فأحكامه تعالى فيهم على علم تام، ليس فيها ظن ولا اجتهاد كاجتهاد الرسول في الاذن لهم، الذى تثبت هذه الآية نفسها انه مبني على أصل صحيح، وهو ان خروجهم شر لا خير، وضعف لا قوة، ولكنه لم يكن صلى الله عليه وسلم يعلم انهم لايخرجون اذا لم يأذن لهم، لان هذا من الغيب الذى لا يعلمه الا الله ومن اعلمه الله، ولم يعلمه تعالى بذلك قبل نزول هذه الآيات

فاجتهاده صلوات الله وسلامه عليه فيهم كاجتهاده في الاعراض عن الاعمى (عبد الله بن ام مكتوم) عند ما جاءه وهو يدعو اكابر رجال قريش الى الاسلام وقد لاح له بارقة رجاء في ايمانهم بتحدثهم معه، فانه صلى الله عليه وسلم علم ان اقباله عليه ينفرهم ويقطع عليه طريق دعوتهم، وكان يرجو بايمانهم انتشار الاسلام في جميع

العرب، فتولى عنه وتلهى بهذه الفكرة ، ولم يكن يعلم قبل اعلام الله تعالى ان سنته في البشر ان يكون اول من يتبع الانبياء والمصلحين فقراء الامم وأوساطها، دون اكابر مجرميها المترفين الذين يرون في اتباع غيرهم ضعة بذهاب رياستهم، ومساواتهم لمن دونهم الخ فيكفرون عنادا ، ويجحدون بآيات الله استكباراً لا اعتقادا

وكان من حكمة الله عز وجل في تربية رسوله وتكميله ان يبين له بعض الحقائق بعد اجتهاده الشخصي البشري فيها لتكون اوقع في نفسه وأنفس أتباعه فيحرصوا على العمل بمقتضاها، ولا يبيحوا لانفسهم تحكيم آرائهم او اهوائهم فيها ، وكذلك كان سلفنا الصالحون الذين اورثهم الله بهداية كتابه وسنة رسوله الارض من بعد اهلها ، فخلف من بعدهم خلف تركوها، فغلب عليهم الجهل والنفاق. فسلبهم ذلك الملك العظيم، فهل يفقه اهل عصرنا ويعتبرون ؟ ومتى يتدبرون ويهتدون ؟

﴿ لقد ابتغوا الفتنة من قبل ﴾ أي تالله لقد ابتغى هؤلاء المنافقون إيقاع الفتنة في المسلمين من قبل هذا العهد - عهد غزوة تبوك ، وأوله ما كان في غزوة أحد (٣: ١٢٢ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) وذلك انهم لما خرجوا الى أحد اعتزلهم عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين بنحو ثلث الجيش في موضع يسمى الشوط بين المدينة وأحد وطفق يقول لهم في النبي ﷺ : أطاعهم وعصاني وفي رواية : أطاع الولدان ومن لا رأي له، فما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا؟ وكان رأي ابن ابيّ لعنه الله عدم الخروج إلى أحد، ورأي الجمهور - ولا سيما الشبان - الخروج فعمل ﷺ برأي الاكثر على انه كان خلاف رأيه أيضا ، فرجع ابن ابي بمن اتبعه من المنافقين وكاد يفشل بنو سلمة من الاوس وبنو حارثة من الخزرج بقوله وفعله، فعصمهما الله تعالى من الفتنة بفضله، وذلك قوله تعالى (والله وليهما) وتقدم تفصيل ذلك في الكلام على غزوة أحد من الجزء الرابع

﴿ وقلبوا لك الامور ﴾ اي دبروا لك الحيل والمكايد ، ودوّروا الآراء في كل وجه من وجوهها لابطال دينك، وفض قومهم من حولك، فان تقليب الشيء تصريفه في كل وجه من وجوهه ، والنظر في كل ناحية من انحائه، ليعلم أيها الاولى

بالاختيار . وما زال لهؤلاء المنافقين ضلع مع اليهود وضلع مع المشركين، في كل مافعلا من عداوتك وقتال المؤمنين ﴿ حتى جاء الحق ﴾ بالنصر الذي وعدك به ربك و كانوا به يمترون ، ﴿ وظهر امر الله وهم له كارهون ﴾ اي ظهر دين الله على الدين كله بالتنكيل باليهود الغادرين، والنصر على المشركين ، وإبطال الشرك بفتح مكة ودخول الناس فى الاسلام أفواجا ، وهم كارهون لذلك ، حتى كانوا بعد الفتح يمنون انفسهم بظهور المشركين على المؤمنين في حنين

وقد روى ابن جرير الطبري في تفسير الآية من طريق ابن اسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم كل قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها وبعض القوم يحدث مالم يحدث بعض وكل قد اجتمع حديثه في هذا الحديث: ان رسول الله ﷺ امر اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان عسرة من الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد ،وحين طاب الثمار، وأحبت الظلال، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ،ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر (١) أنه يريد غير الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي صمد له، ليتأهب الناس لذلك اهبته ،فأمر الناس بالجهاد وأخبرهم انه يريد الروم ،فتجهز الناس على مافي انفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه مع ماعظموا من ذكر الروم وغزوهم، ثم ان رسول الله ﷺ جد في سفره فأمر الناس بالجهاز والانكماش (٢) وحض اهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ،فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبدالله بن أبي بن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنيـة الوداع ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف

(١) هذا خطأ فانه انما كان يكني للتعمية وما كان يخبر بغير الحق (٢) الانكماش هنا الاسراع في الامر والجد فيه

من المنافقين وأهل الريب ، وكان عبدالله بن أبي أخا بني عوف بن الخزرج ، وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بني قينقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للاسلام وأهله ، قال وفيهم ـ كما ثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري ـ أنزل الله (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) الآية اه وأول هذا التلخيص موافق لما لخصناه من قبل وبقية ما ذكره عن ابن أبي فيه مبالغة أشار الطبري إلى عدم ثقته بها بقوله [فيما يزعمون] وتقدمت رواية ممن قال ان المتخلفين ٣٦ رجلا

وزعم بعض المفسرين ان المراد بالفتنة في هذه الآية محاولة المنافقين اغتيال رسول الله ﷺ عند خروجهم هذا والصواب ان هذه الحادثة وقعت في أثناء العودة من تبوك وهي المشار اليها في آية (٧٤ : وهموا بما لم ينالوا) وسيأتي بيانها

---

(٤٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ٱئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَـٰفِرِينَ (٥٠) إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥١) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَـٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ

هذا شروع في بيان حال أناس من أولئك المنافقين بأقوال قالوها فيما بينهم جهراً ، وأمور أكنوها في أنفسهم سراً ، وأقوال سيقولونها ، وأقسام سيقسمونها ، وأعذار سيعتذرونها غير ما سبق منهم ، وشؤون عامة فيهم — أكثرها من أنباء الغيب — مع ما يتعلق بذلك ويناسبه من الحكم والاحكام ، والعقائد والآداب ، قال عز وجل

﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ﴾ هذا بيان لأول استئذان معين وقع من أولئك المنافقين في التخلف واتفقت الروايات على أن جد بن قيس من شيوخهم قال هذا في أول عهد الدعوة للغزوة وأثناء التجهيز للسفر، وروي ان غيره منهم قال لما دعاهم الى تبوك: انه ليفتنكم بالنساء. أخرج ابن المنذر والطبراني وابن مردويه وابو نعيم في المعرفة عن ابن عباس (رض) قال لما أراد النبي ﷺ أن يخرج الى غزوة تبوك قال لجد بن قيس «ماتقول في مجاهدة بني الاصفر؟ قال اني أخشى ان رأيت نساء بني الاصفر ان افتتن، فاءذن لي ولا تفتني. وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبدالله (رض) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لجد بن قيس «ياجد هل لك في جلاد بني الاصفر؟ قال جد: أتأذن لي يارسول الله فاني رجل أحب النساء واني أخشى ان أنا رأيت نساء بني الاصفر ان افتتن. فقال رسول الله ﷺ وهو معرض عنه «قد أذنت لك» فأنزل الله الآية. وقد عبر عن قوله بالفعل المضارع لاستحضار تلك الحال لغرابتها، فان مثله في نفاقه لايخشى على نفسه إثم الافتتان بالنساء اذ لايجد من دينه مانعا من التمتع بهن وهو يحبهن، بل شأن ذلك أن يكون مرغبا له في هذه الغزوة. وقد رد الله شبهته وشبهة من وافقه عليها ورددوا معناها بقوله ﴿ ألا في الفتنة سقطوا ﴾ بدأ الرد على قائلي هذا القول باداة الافتتاح (ألا) المفيدة للتنبيه والتأمل فيما بعدها وتحقيق مضمونه ان كان خبراً لتوجيه السمع والقلب له، وعبر عن افتتانهم بالسقوط في الفتنة للمبالغة، وقدم الظرف «في الفتنة» على عامله «سقطوا» للدلالة على الحصر، يقول ألا فليعلموا انهم قد سقطوا وترددوا بهذا القول في هاوية الفتنة بأوسع معناها، لا في شيء آخر من شبهاتها اومشابهاتها، من حيث يزعمون اتقاء التعرض لشبهة نوع من أنواعها، وهو الاثم بالنظر الى جمال نساء الروم واشتغال القلب بجمالهن، فترددوا في شر مااعتذروا به.

﴿ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ هذا وعيد لهم على الفتنة التي ترددوا فيها وضع فيه المظهر موضع ضميرهم للنص على أن عقابهم باحاطة جهنم بهم عقاب على الكفر الذي حملهم على ذلك الاعتذار الذي هو ذنب في نفسه كان أقصى عقابه

مس النار دون إحاطتها لو لم يكن سببه الكفر وتكذيب الرسول فيما جاء به من حكم الجهاد وثوابه والعقاب على تركه ، او الشك في ذلك ، وقلما يكون الكفر إلا شكا أوظنا ، فان رأيت صاحبه موقنا فيه فاعلم ان يقينه سكون النفس اليه عن جهل لا عن علم ، والمراد أن جهنم ستكون محيطة بهم جامعة لهم يوم القيامة ، وانما عبر عن ذلك باسم الفاعل الدال على الحال لافادة تحقق ذلك حتى كانه واقع مشاهد ، ويحتمل أن يقال انها محيطة بهم الآن لان أسباب الاحاطة معهم فكأنهم في وسطها قاله الزمخشري ، وانما تحيط النار بمن أحاطت به خطاياه حتى لا رجاء في توبته (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

﴿ إن تصبك حسنة تسؤهم ﴾ المتبادر أن هذا إخبار عن شأنهم في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، والحسنة كل ما يحسن وقعه ويسر من غنيمة ونصرة ونعمة ، أي انه يسؤهم كل ما يسرك ، كما ساءهم النصر في بدر وغير بدر من الغزوات ﴿ وإن تصبك مصيبة ﴾ أي نكبة وشدة كالذي وقع في غزوة أحد ﴿ يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ﴾ أي قد اخذنا أمرنا بالحزم والحذر الذي هو دأبنا من قبل وقوعها إذ تخلفنا عن القتال ، ولم نلق بأيدينا إلى الهلاك ﴿ ويتولوا وهم فرحون ﴾ أي وينصرفوا عن الموضع الذي يتولون فيه هذا القول عند بلوغهم خبر المصيبة إلى أهليهم أو يعرضوا عنك بجانبهم وهم فرحون فرح البطر والشماتة لانهم أعدى اعدائك كما يدل عليه الحصر في آية (هم العدو فاحذرهم)

وقد ورد في التفسير المأثور ما يدل على أن الآية خبر عن مستقبل الامر في غزوة تبوك . روى ابن جرير عن ابن عباس (رض) قال إن تصبك في سفرك هذا لغزوة تبوك حسنة تسؤهم ، قال: الجد وأصحابه . وروى ابن أبي حاتم عن جابر بن عبدالله (رض) قال جعل المنافقون الذين تخلفوا في المدينة يخبرون عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار السوء يقولون إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا ، فبلغهم تكذيب خبرهم وعافية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فساءهم ذلك ، فأنزل الله تعالى (إن تصبك حسنة تسؤهم) الآية . وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الا الله

قال إن أظفرك الله وردك سالما ساءهم ذلك وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا في القعود قبل أن تصيبهم . والاول أبلغ وهو يشمل هذا وغيره

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ أي قل أيها الرسول لهؤلاء المنافقين الذين تفرحهم مصيبتك ، وتسوءهم نعمتك وغنيمتك ، ان يصيبنا إلا ما كتبه الله وأوجبه لنا بوعده في كتابه ، وتقديره لنظام سننه في خلقه ، من نصر وغنيمة وتمحيص وشهادة ، وضمان لحسن العاقبة ﴿ هو مولانا ﴾ أي هو وحده مولانا يتولانا بالتوفيق والنصر ، ونتولاه باللجأ اليه ، والتوكل عليه ، فلا نيأس عند شدة ، ولا نبطر عند نعمة ، وقد قال لنا في وعده (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير * وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) وقال في بيان سننه في خلقه (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها * ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم)وقال في سننه في العواقب (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)

﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أمر مبني على ماقبله ، أي وإذ كان الله هو مولاهم فحق عليهم أن يتوكلوا عليه وحده دون غيره ، مع القيام بما أوجبه عليهم في شرعه ، والاهتداء بسننه في خلقه ، ومنها ما أخبرهم به من أسباب النصر المادية والمعنوية التي فصلها في سورة الانفال وغيرها كاعداد ما تستطيع الامة من قوة ، واتقاء التنازع الذي يولد الفشل ويفرق الكلمة ، وذلك بأن يكلوا اليه توفيقهم لما يتوقف عليه النجاح وتسهيل أسبابه التي لم يصل اليها كسبهم ، وما أجهل من يظن أن التوكل وكتابة المقادير ، يقتضيان ترك العمل والتدبير ، وقد بسطنا القول في الامرين في مواضع من هذا التفسير [1] ويقابل التوكل عليه تعالى بالمعنى الذي ذكرناه ، وما أيدناه به من كتاب الله ، اتكال الماديين على حولهم وقوتهم وحدها ، حتى إذا ما أدركهم العجز وخانتهم القوة أمام قوة تفوقها ، خانهم الصبر ، وأدركهم اليأس ،

(١) راجع ص ٢٠٧ — ٢١٤ ج ٤ و ٢٧٨ ج ٦ ، و ٥٩٢ و ٦٠٤ ج ٩ تفسير

اذ ليس لهم ما للمؤمنين من التوكل على ذي القوة التي لاتعلوها قوة — وشر منه اتكال الخرافيين على الأوهام ، وتعلق آمالهم بالاماني والاحلام ، حتى اذا ما انكشفت أوهامهم ، وكذبت احلامهم ، وخابت آمالهم ، نكسوا على رءوسهم ، ونكصوا على أعقابهم ، واستكانوا لأعدائهم ، وكفروا بوعد ربهم بنصر المؤمنين . ووعد الله اصدق من دعواهم الايمان ، وانما وعد بالنصر اولياءه لا أولياء الشيطان

﴿ قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ﴾ التربص التمهل في انتظار مايرجى او يتمنى وقوعه ، ومضمون هذا بدل مما قبله او بيان له ، والحسنيان مثنى الحسنى وهي اسم التفضيل المؤنث ، والاستفهام للتقرير والتحقيق ، والجملة تفيد الحصر ، أي قل لهم أيضا هل تتربصون بنا أيها الجاهلون الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى العواقب وفضلاها ، وهما النصرة والشهادة ، النصرة المضمونة للجماعة ، والشهادة المكتوبة لبعض الافراد ؟ أي لاشيء ينتظر لنا غير هاتين العاقبتين مما كتب لنا ربنا وأنتم تجهلون ماتتربصون بنا ﴿ ونحن نتربص بكم ﴾ في مقابلة ذلك إحدى السوءيين : ﴿ ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا ﴾ الاولى أن يهلككم بقارعة سماوية لاكسب لنا فيها كما أهلك من قبلكم من الكافرين الذين كذبوا الرسل ، والثانية أن يأذن لنا بقتلكم ، ان اغراكم الشيطان باظهار كفركم ، بهذا الاستدراج في الاستمرار على اجرامكم ، كما قال في سياق غزوة الاحزاب (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم) الآيات - وحكم الشرع انهم لايقتلون ماداموا يظهرون الاسلام ، باقامة الشعائر وأداء الاركان ، ولاسيما الصلاة والزكاة . ولم تذكر هاتان العاقبتان لهم بصيغة الحصر كعاقبتي المؤمنين لجواز ان يتوبوا عن نفاقهم ويصح إيمانهم ، وقد تاب بعضهم ، واعترفوا بما كانوا عليه بعد ظهور أمرهم ، كالذين أخبرهم النبي بما ائتمروا به من اغتياله صلى الله عليه وسلم ومن المعقول أن يكون أكثر الباقين قد تابوا بعد أن أنجز الله لرسوله جميع ماوعده به ، ووقع ماكانوا يحذرونه من تنزيل سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، ومنها فضيحته تعالى لزعيمهم الذي مات على كفره . ولو ذكر ذلك في التنزيل

بصيغة الحصر لكان خبراً بخلاف ما سيقع وهو هلاكهم بكفرهم بدون الشرط الذي بيناه ﴿ فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾ أي وإذ كان الامر كذلك فتربصوا بنا ماذكر من عاقبتنا انا معكم متربصون ماهو من عاقبتكم، وما يصير اليه أمرنا وأمركم، ان اصررتم على كفركم وظهر أمركم، مما نحن فيه على بينة من ربنا ولا بينة لكم

(٥٣) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٥) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ

هذه الآيات الثلاث في مسألة النفقة في القتال، وهي الجهاد المفروض في المال، ومثلها سائر النفقات، في حكم مايعتورها من الرياء والاخلاص. روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان النبي ﷺ لما دعا الجد بن قيس الى جهاد الروم قال: اني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى افتتن ولكن أعينك بمالي، ففيه نزل ﴿ قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ﴾ وقد ضعف (الطبري) هذا القول بالتعبير عنه بقيل، والحق ان الآية عامة تشمل هذا وغيره، وأنها نزلت مع غيرها من هذا السياق في أثناء السفر لاعقب قول جد بن قيس ماقال. والمعنى قل أيها الرسول لهؤلاء المنافقين: انفقوا ماشئتم من أموالكم في الجهاد او غيره مما أمر الله به في حال الطوع للتقية، أو الكره خوف العقوبة، فمهما تنفقوا في الحالين لن يتقبل الله منكم شيئاً منه، مادمتم على شك مما جاءكم به الرسول من أمر الدين والجزاء على الاعمال في الآخرة. وقيل معناه ان النبي ﷺ لا يقبل

منهم ماينفقونه ، ولكن هذا لا يصح على اطلاقه في جميعهم ، لان مقتضى اجراء أحكام الشريعة عليهم تقتضي وجوب أخذ زكاتهم ونفقاتهم ، الا أن يوجد مانع خاص في شأن بعضهم ، كما سيأتي في تفسير (ومنهم من عاهد الله) الآيات

قال الامام ابن جرير وتبعه غيره : وخرج قوله (انفقوا طوعا او كرها) مخرج الامر ومعناه الخبر . والعرب تفعل ذلك في الاماكن التي يحسن فيها « ان » التي تأتي بمعنى الجزاء كما قال جل ثناؤه (استغفر لهم أولا تستغفر لهم) فهو في لفظ الامر ومعناه الخبر ومنه قول الشاعر

أسيئي بنا او أحسني لاملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

فكذلك قول (انفقوا طوعا او كرها) انما معناه : ان تنفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم اه ﴿ انكم كنتم قوما فاسقين ﴾ هذا تعليل لعدم قبول نفقاتهم ومعناه ان انفاقكم طائعين او مكرهين سيان في عدم القبول لانكم كنتم قوما فاسقين و (انما يتقبل الله من المتقين) والمراد بالفسوق الخروج من دائرة الايمان ، الذي هو شرط لقبول الاعمال مع الاخلاص ، وهو كثير الاستعمال في القرآن ، — وتخصيصه بالمعاصي من اصطلاح الفقهاء . فليعتبر بهذا منافقو هذا الزمان ، الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ويعلنون أمرها في صحف الاخبار ، ليشتهروا بها في الاقطار ، ثم بين تعالى ما في هذا التعليل من الاجمال فقال

﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا انهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أي وما منعهم قبول نفقاتهم شيء من الاشياء إلا كفرهم بالله وصفاته على الوجه الحق ، ومنها الحكمة والتنزه عن العبث في خلق الخلق وهدايتهم وجزائهم على أعمالهم ، وكفرهم برسالة رسوله وما جاء به من البينات والهدى . قرأ الجمهور (تقبل) بالمثناة الفوقية وقرأها حمزة والكسائي بالتحتية ، وتأنيث النفقات لفظي لا حقيقي فيجوز تذكير فعله ﴿ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ، ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ ففعلهم لهذين الركنين من أركان الاسلام ، اللذين هما أظهر آيات الايمان ، لا يدل على صحة إيمانهم لانهم يأتونهما رياء وتقية لا ايمانا بوجوبهما ، ولا قصداً إلى

تكميل أنفسهم بما شرعهما الله لاجله ، واحتسابا لاجرهما عنده ، أما الصلاة فلا يأتونها إلا وهم كسالى أي في حال الكسل والتثاقل منها ، فلا تنشط لها ابدانهم ، ولا تنشرح لها صدورهم ، زاد في سورة النساء (يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقد أمر الله المؤمنين باقامة الصلاة (١) لا بمجرد الاتيان بصورتها ، ووصفهم بالخشوع فيها وهو ينافي الكسل عند القيام اليها ، فعلى كل مسلم أن يحاسب نفسه ليعلم هل صلاته صلاة المؤمنين ، أم صلاة المنافقين ؟

وأما الانفاق في مصالح الجهاد وغيرها فلا يؤتونه إلا وهم كارهون، له غير طيبة أنفسهم به ، لأنهم يعدون هذه النفقات مغارم مضروبة عليهم ، تقوم بها مرافق المؤمنين وهم يعلمون من أنفسهم انهم ليسوا منهم ، فلا يرون لهم بها نفعا في الدنيا ، ولا يؤمنون بنفعها لهم في الآخرة . وبما قررناه يندفع ايراد بعضهم أن الكفر وحده كاف في عدم قبول نفقاتهم فأي حاجة إلى وصفهم بالكسل عند إتيان الصلاة وكره أداء الزكاة وغيرها من نفقات البر ؟ ومحل الجواب عنه على مذهب المعتزلة أو الاشعرية ، فان وصفهما بما ذكر تقرير لكفرهم ودفع للشبهة التي ترد عليه بالصلاة والزكاة كما بيناه

قال الزمخشري (فان قلت) الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله (طوعا) ثم وصفهم بانهم لا ينفقون (الا وهم كارهون) (قلت) المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله ﷺ أو من رؤسائهم ، وما طوعهم ذلك إلا عن كراهية واضطرار ، لا عن رغبة واختيار اه على انه فسر الكره في الاولى بالاكراه

والراجح عندي ما قدمته من أن المراد بطوعهم ما كان بقصد التقية لاخفاء كفرهم، وهو يقتضي كرهه في قلوبهم وعدم إخلاصهم فيه وهو ما أثبته لهم في الآية الثانية بصيغة الحصر ، وحاصله أن المراد به طواعية المصلحة او الطبع ، لا طاعة الشرع ، وقد يقال ان الترديد بين الطوع والكره في مثل هذا التعبير لا يقتضي

(١) اقامتها اداؤها مقومة كاملة الاركان والآداب البدنية والقلبية . راجع تفسير (الذين يقيمون الصلاة) في أول سورة البقرة ص ١٢٨ ، ٥٧ ج ١ تفسير

إثبات وقوع كل منهما ، وانما المراد منه انه مهما يمكن الواقع فهي غير مقبولة ، لوجود الكفر المانع من القبول ، ومن أطاع الله ورسوله فيما يسهل عليه وعصاهما فيما يشق فلا يعد مذعنا للامر والنهي لانه حكم الله، ومن لم يكن مذعنا لايكون مؤمنا ، (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) وقد بايع المؤمنون الرسول صلى الله عليه وسلم على الطاعة في المنشط والمكره

ولما كان أولئك المنافقون من أولي الطول والسعة في الدنيا كما سيأتي في قوله (٩: ٨٦ استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) وكان ترف الغنى وطغيانه أقوى اسباب إعراضهم عن آيات الله والتأمل في محاسن الاسلام — بين الله تعالى للمؤمنين سوء عاقبتهم فيه فقال

﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ الاعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به فتعجب من حسنه كما قال الزمخشري، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اولكل من سمع القول أو بلغه ، والكلام مرتب على ماقبله، كأنه يقول إذا كان هذا شأنهم في مظنة ما ينتفعون به من أموالهم ،لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا ،فلا تعجبك أيها الرسول او ايها السامع أموالهم ولا اولادهم التي هي في نفسها من أكبر النعم وأجلها ، ولا تظن انهم وقد حرموا من ثوابها في الآخرة قد صفا لهم نعيمها في الدنيا ،وعلل النهي بقوله ﴿ انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ بما يعرض لهم فيهما من المنغصات والحسرات ،أما الاموال فانهم يتعبون في جمعها، ويحرصون على حفظها ،ويشق عليهم ماينفقونه منها ،من زكاة وإعانة على قتال وإنفاق على قريب من المؤمنين ، وأشق منه اعتقادهم انهم يتركونها بعدهم لمصالح المسلمين ، لان ورثتهم منهم في الغالب حتى زعيمهم الاكبر عبد الله بن أبي كما سيأتي في الآيات التي نزلت في خبر موته على كفره وأعيدت هذه الآية فيها . وأما الاولاد فلأنهم يرونهم قد نشؤا في الاسلام واطمأنت به قلوبهم ، وأنهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وكل هذه حسرات في قلوبهم .ولقد كان ثعلبة الذي عاهد

الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليكونن من الصالحين ثم أخلف الذي وعده بعد أن أغناه — اشدهم حسرة بامتناع الرسول ﷺ وخلفائه عن قبول زكاته

﴿ وتزهق انفسهم وهم كافرون ﴾ فيعذبون بها في الآخرة أشد مما عذبوا بها في الدنيا بموتهم على كفرهم المحبط لعملهم، زهوق الانفس خروجها من الاجساد. وقال بعض المفسرين هو الخروج بصعوبة، وفي التنزيل (وقل جاء الحق وزهق الباطل) أي هلك واضمحل، وجعله في الاساس مجازاً، والظاهر انه من زهق السهم إذا سقط دون الهدف، وورد زهقت الناقة بمعنى أسرعت، فالتعبير بالزهوق هنا إما من الاول وهو الهلاك وهو الاظهر، وإما من الاسراع للاشارة إلى انه لم يبق من أعمارهم الا القليل حقيقة او من قبيل قوله تعالى فيهم (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت او القتل وإذاً لا تمتعون الا قليلا)

(٥٦) وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٧) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ

هاتان الآيتان في بيان سبب النفاق ومصانعة المنافقين للمؤمنين وهو الخوف وبيان حالهم فيه، قال عز وجل ﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم ﴾ قال الطبري: ويحلفون بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذباً وباطلا انهم لمنكم في الدين والملة

﴿ وما هم منكم ﴾ أي ليسو من اهل دينكم وملتكم بل هم اهل شك ونفاق

﴿ ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يقول ولكنهم قوم يخافونكم فهم خوفا منكم يقولون بألسنتهم انهم منكم ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا اهـ وأقول إن الفرق بالتحريك الخوف الشديد الذي يفرق بين القلب وإدراكه — أو هو كما قال الراغب تفرق القلب من الخوف، واستعمال الفرق فيه كاستعمال الصدع والشق فيه، وفعله بوزن فرح، فالمعنى انهم يحلفون من شدة خوفهم الذي فرق قلوبهم ومزقها. ثم بين سوء حالهم في هذا الفرق بقوله

﴿ لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ﴾ الملجأ المكان الذي يلجا اليه الخائف ليعتصم به من حصن او قلعة او جزيرة في بحر او قنة في جبل، والمغارات جمع مغارة وهي الغار في الجبل، وتقدم اشتقاقه في تفسير آية الغار، والمدخل بالتشديد (مفتعل من الدخول) السرب في الارض يدخله الانسان بمشقة، والجماح السرعة الشديدة التي تتعسر مقاومتها أو تتعذر. يقول انهم لشدة كرههم للقتال معكم ولمعاشرتكم، ولشدة رعبهم من ظهور نفاقهم لكم، يتمنون الفرار منكم والمعيشة في مضيق من الارض يعتصمون به من انتقامكم، بحيث لو يجدون ملجأ يلجؤن اليه — أو مغارات يغورون فيها — أو مدخلا يندسون وينجحرون فيه — لولوا اليه وهم يسرعون متقمحين كالفرس الجموح لا يردهم شيء. وهذا الوصف من أبلغ مبالغة القرآن في تصوير الحقائق التي لا تتجلى للفهم والعبرة بدونها، فتصور شخوصهم وهم يعدون بغير نظام، يلهثون كما تلهث الكلاب، يتسابقون الى تلك الملاجيء من مغارات ومدخلات، فيتسلقون اليها، أو يندسون فيها. فكذلك كان تصورهم عند ما سمعوا الآية في وصفهم

قال ابن جرير: وانما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة لانهم انما أقاموا بين اظهر صحاب رسول الله ﷺ على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الايمان بالله وبرسوله، لانهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه فصانعوا القوم بالنفاق، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر، (كذا ولعل أصله باخاء الكفر) ودعوى الايمان، وفي انفسهم ما فيها من البغض لرسول الله ﷺ وأهل الايمان به والعداوة لهم اهـ

﴿ اعتذار عن تأخير بحث الربا ﴾

لم ننشر شيئا من تتمة بحث الربا في هذ الجزء ولا فيما قبله لكثرة المسائل العارضة التي لا يمكن تاخير الكلام فيها وسنعود اليه في أقرب فرصة ان شاء الله تعالى

فتاوى المنار

أسئلة من جاوة

(س ٢٤ — ٢٦) من صاحب الامضاء

الحمد لله وحده

إلى مدير مجلة المنار الغراء السيد محمد رشيد رضا ادام الله سلامته

سلاما واحتراما . وبعد فبما سمعنا بفضلكم وغيرتكم على الدين الاسلامي حتى انكم خصصتم فصلا من فصول مجلتكم لاقناع المستفهمين حررت هذه الاسئلة الثلاثة راجيا من حضرتكم أن تجيبوني عليهن ولكم عني وعن الاسلام أحسن جزاء ، ولتمام النفع أختار أن ينشرن على صفحات مجلتكم . وهذه هي

(١) ماحكم عبيد حضرموت ، هل هم عبيد حقيقيون أي تمشي عليهم أحكام العبيد في الاسلام ؟ مع العلم أن العبيد في الشريعة هم أسرى الكفار لاغير . والذين نحن بصددهم خلاف ذلك ، ولا اخالكم تجهلون الطريقة في استعبادهم

(٢) ما حكم الدعاء بعد صلاة التراويح والوتر وهل ورد عنه ﷺ أو عن احد صحابته رضوان الله عليهم فعل ذلك ؟ وما هي سنته ﷺ فيها [التراويح] اجيبوا بايضاح

(٣) ماحكم شرب الدخان [السجارة] في نهار رمضان هل هو من مفطرات الصائم وما الدليل الواضح في ذلك ؟ أجيبونا مأجورين ودمتم في حرز الله والسلام

سعيفكم في الاصلاح

عبد الله بن عبد الله بن نهان — بانفيل (جاوة)

[جواب المنار]

(٢٤) حكم عبيد حضرموت

الحق انني ليس عندي علم خاص بطريقة استعباد الناس في حضرموت ، وقد بينت في المنار من قبل أن المعروف من طرق الاسترقاق للسودانيين في افريقية

وللبيض في بلاد القوقاس وغيرها كله غير شرعي فان الرق الشرعي المعروف لا مجال له في تلك البلاد ولا في حضرموت قطعاً فليس هنالك حرب دينية ولا إمام يسترق السبايا إذا وجد ذلك من المصلحة العامة، وانما قد يتصور على بعد أن يوجد رقيق موروث بالتوالد فان كان يوجد عند المستعبدين لهؤلاء الاحرار فيما نعتقد حجة على استرقاقهم لا نعلمها أو رقيق موروث فليبينوا ذلك لنا لرفع التهم الكثيرة عنهم

(٢٥) صلاة التراويح والوتر، والدعاء بعدهما

المراد بصلاة التراويح صلاة الليل بالجماعة في رمضان خاصة ، وصلاة الليل مشروعة في كل الشهور وهي تتأكد في رمضان كسائر الطاعات فيه لفضله . ولصلاتها بالجماعة أصل في السنة ففي حديث عائشة المتفق عليه ان النبي ﷺ صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية فكثر الناس،ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة او الرابعة فلم يخرج اليهم رسول الله ﷺ فلما اصبح قال « رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت أن تفترض عليكم » وذلك في رمضان اه وفيه رواية اخرى مفصلة عند الامام أحمد، وحديث بمعناه عن جبير ابن مطعم عند أحمد وأصحاب السنن الاربعة

أما عدد الركعات التي كان يصليها النبي ﷺ في ليالي رمضان فقد روى البخاري عن عائشة [رض] انه ما كان يزيد في رمضان ولا غيره عن احدى عشرة ركعة . وفي صحيح ابن حبان من حديث جابر [رض] انه ﷺ صلى بهم ثمان ركعات ثم اوتر . فعلم أن تهجده ثمان ووتره ثلاث فتلك إحدى عشرة

وأما اجتماع الناس لهذه الصلاة جماعة في المساجد فقد كان في عهد عمر [رض] فانه دخل المسجد فرأى الناس أوزاعاً متفرقين هذا يصلي وحده وهذا برهط يؤمهم ، فكره تفرقهم - وهو مكروه بالاجماع - فقال اني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل . ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب . ولما رآهم في ليلة اخرى يصلون جماعة واحدة قال : نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون بها . رواه البخاري . ويعني عمر ان صلاة التهجد في آخر الليل التي ينام عنها هؤلاء أفضل من هذه الصلاة التي يصلونها في اوله

لأنها هي المراد بالتهجد الموافق للسنة بمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم وكان مفروضا عليه صلى الله عليه وسلم ومراده بتسميتها بدعة انها بهذا الشكل والوقت والالتزام لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بها وان كان صلاها جماعة في بعض الليالي. ولعل عمر (رض) كان يعلم انه لو نهاهم عن فعلها بهذه الصفة وأمرهم بأن يجعلوا قيامهم بعد النوم لمن ينام وفي جوف الليل أو آخره لمن لم ينم وان يكون في بيوتهم وهو الموافق للسنة المطردة من كل وجه ـ انهم يتركونها فان لم يتركوها كلهم كسلا تركها بعضهم ونام عنها آخرون فتعارض عنده هذا الذي قال انه خير مما جمعهم عليه مع ترك هذه السنة المؤكدة ولو من البعض أو فعلها في المسجد مع التفرق المذموم في الشرع كما رآهم أول مرة فاختار ما هو وسط بين المكروه وهو التفرق وبين الافضل،

وأما الدعاء بعدها أو بعد غيرها من الصلوات كما يفعل الناس في المساجد بالاجتماع ورفع الايدي ورفع الامام أو المؤذن صوته به وتأمين الآخرين فهو بدعة من هذه الوجوه كلها، ولكل أحد أن يدعو الله بما يشاء بعد الصلاة كسائر الاوقات ولكن تخصيص العبادة بالاجتماع والصفة والوقت يجعلها من الشعائر التي تتوقف على اذن الشارع. وليس لاحد أن يبتدع مثل هذا بالقياس على فعل عمر فان عمر لم يبتدع عبادة جديدة ولا هيئة فيها ولا شعاراً لا أصل له، فان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالناس جماعة في بعض ليالي رمضان ولكن الناس ابتدعوا بعده في هذا القيام فمنعهم عمر وكان ما حملهم عليه اجتهاداً بترجيح أقوى العملين المتعارضين على الآخر، والاجتماع للدعاء ليس مثله إن صح أن يقاس على الاجتهاد، ثم ان عمر من الخلفاء الراشدين الذين جعل النبي صلى الله عليه وسلم سنتهم كسنته في حديث العرباض بن سارية إذ يقول «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح. وهو صريح في ان سنة الخلفاء الراشدين كسنته لاتعد بدعة، وناهيك بما وافق عمر عليه الصحابة (رض) وأقروه وقد روى أحمد والترمذي من حديث حذيفة (رض) قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال «اني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي ـ وأشار الى أبي بكر وعمر ـ وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم به ابن مسعود فصدقوه»

ومع هذا نرى الائمة قد اختلفوا في الافضل في قيام رمضان فقال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية الافضل فعلها فرادى في البيت . وذهب الجمهور الى ان الافضل صلاتها جماعة عملا باجتهاد عمر الذي أقره عليه الصحابة وجرى عليه العمل سلفا وخلفا . ولا يعد عمل المتاخرين بالاجتماع للدعاء بعد صلاة التراويح ولا مايفعله بعض الجماعات من الاناشيد والاذكار ومدح الخلفاء الراشدين وغيرهم من أهل البيت والصحابة (رض) من ذلك، بل هو من بدع المتاخرين المقلدين ، والذي يظهر ان هذه البدع مانعة من كون حضورها والموافقة عليها أفضل من صلاتها فرادى في البيت أو جماعة في أي مكان آخر مع التزام السنة. وان بعض المحافظين على السنة من اخواننا يصلونها جماعة ولا يزيدون على ماثبت عنه ﷺ في حديث عائشة المتقدم ولا يأتون معها ولا بعدها ببدعة قط

وقد ذكر العلامة الشاطبي في الاعتصام مايأتيه الناس من الاذكار والدعاء في أدبار صلاة الجماعات في قسم البدعة التي عبر عنها بالاضافية وهي ما كان الابتداع في صفتها أو الاجتماع لها ونحو ذلك لافي اصلها . وذكر خلاف علماء بلادهم الاندلس فيها، وما حققه من كونها بدعة دينية غير جائزة شرعا هو الحق ، وشبهة الذين استحسنوها ضعيفة وهي ان أصل الذكر والدعاء مشروع فلا يضر جعله بصفة غير مشروعة كالاجتماع والتوقيت ورفع الصوت . وحسبك من بطلانها الاعتراف بأن صفتها غير مشروعة، وان العمل بها واقرارها يجعلها كالشعائر المشروعة وان العامة تعتقد به انها مشروعة حتى انهم ينكرون على تاركها ولاسيما اذا أنكر مشروعيتها - فيكون ذلك اعتقاد شرع لم يأذن به الله ، ويعد من الافتراء على الله .

(٢٦) شرب الدخان في رمضان

ماعلمت ان أحداً من فقهاء المسلمين قال ان شرب هذا الدخان غير مفطر للصائم ولذلك استغربت هذا السؤال ولا شك في ان مادة هذا الدخان تدخل في الجوف وانها تؤثر في شاربه تأثيراً ينافي الصيام وحكمته ولذلك اتفق جميع الناس على تسمية التدخين شربا . فشرب الدخان مبطل للصيام قطعا

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

(تقريظ العالم العامل، والقاضي الفاضل، خادم السنة الاستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر)

القرآن كتاب الله الى خلقه يرسم لهم فيه طريق الهدى والسعادة . او هو كما وصفه به سبحانه وتعالى (بلاغ للناس ولينذروا به) ونعم البلاغ

نزل هذا الكتاب المقدس في أمة كانت تتقاذفها الاهواء والعصبية . وتعمها الجهالة العمياء . فما أسرع ما وضعهم على المحجة الواضحة والطريق السوي، فصاروا أمة على قلب رجل واحد ، كلمتهم واحدة ، وهم يد على من سواهم . وبعد أن كانوا مستضعفين يخافون جيرانهم من الفرس والروم وغيرهم ، ولا يحميهم منهم إلا بيداؤهم المحرقة - : غزوا أعداءهم وفتحوا بلادهم واستنزلوهم عن ملكهم ، فصاروا سادة الارض ، كل هذا في بضع عشرات من السنين ، وكل هذا بهداية الله لهم أن تبعوا أوامره واستمعوا لكلامه .

ثم هذا القرآن أعلى أنواع التشريع في الارض ، وأرقى ضروب الحكمة ، فلما اهتدوا به، ومرنت نفوسهم وعقولهم على حكمته، كانوا سادة بعقولهم وقلوبهم، قبل أن يكونوا سادة بقوتهم وأنفتهم وجمع كلمتهم .

وهو الذي قرر حقوق الانسان في الارض ، من عدل وحرية ومساواة بين الناس ، لا فضل لاحد على أحد إلا باتباعه في خاصة نفسه وفي معاملاته مع غيره وفي كل حالاته .

ثم مرت عصور وأزمان . واذا المسلمون متفرقون ، واذا هم مستعبدون ، واذا لهم قوانين وتشريع أخذوه عن أعدائهم السابقين ، واذا هم لا يخجلون أن يقلدوا من كانوا في الحضيض إذ هم في الذروة ، واذا هم يهجرون القرآن

ولقد صدق الله سبحانه حين أخبرنا تحذيراً لنا من أن نعرض عن كتابه- بأن الرسول الاعظم سيد الخلق عليه السلام سيشكونا إلى ربه (وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) .

تالله لو أن المسلمين رجعوا إلى هداية ربهم وعملوا بكتابه وسنة نبيه ﷺ- إذ أمره ربه بتبيين الكتاب لهم - لما كانوا على مانرى من ضعف واستكانة وذلة، ولما امتلأت قلوبهم رهبة لأعدائهم ، ونفوسهم حاجة اليهم

أخذ الصدر الاول والسلف الصالح رضي الله عنهم يتعلمون القرآن ويعلمونه للناس ، ويرجعون اليه فيما يعرض لهم من شؤون وحوادث ، لايرضون حكما في دينهم ودنياهم الا مادل عليه القرآن او جاء عن السنة المطهرة المفسرة له ، نزولا على حكم الله ، فكان علماؤهم جميعا عن هـذا المصدر الواضح النقي يصدرون ، وكانوا كلهم بهذا مجتهدين .

ثم ضعفت النفوس والهمم ،فظن بعضهم - عفا الله عنهم - أنهم يعجزون عن أخذ الاحكام من مصدرها الاول ومن منبعها الصحيح ، فصار بعض العلماء يقلد من سبقه من أئمة الهدى وأعلام الاسلام ، عن غير أمر منهم أو مشورة ، بل مع نهيهم رضي الله عنهم عن التقليد .

فكان هذا بدء الضعف . ثم توالت العصور فاذا المقلد مقلد ، واذا الامر فوضى ، واذا هم فرق وشيع ، وبلغ بهم الامر الى التناحر بالسيوف نصراً لعصبية المذاهب .

وأمامك تاريخ المسلمين ، فسترى فيه توالي الارزاء والمحن ، فكلما بعدوا عن كتاب ربهم أبعدالله عنهم العز والنصر ، وهكذا كان ميزان رقيهم وانحطاطهم

ولما ضعفت السليقة العربيـة في المتكلمين بهذه اللغـة أنشأ علماء الاسلام يفسرون لهم كتاب الله ، وكل على قدر همته ، فكثرت أنواع التفاسير للسلف والخلف ، متقدمين ومتأخرين ، وتراجم العلماء والائمة بين أيدينا -أو أكثرها وقد يندر جداً أن نجد منهم من لم يؤلف كتابا في التفسير ، فلم تعن أمة بكتابها من الوجهة العلمية بمثل ماعنيت الامة الاسلامية بالقرآن ، ولم تفرط أمة في حفظ

ما كتب شرحا لكتابها بمثل مافرطنا . فأين هذه التفاسير الجليلة للأئمة المتقدمين؟ ذهب أكثرها حتى لم نجد تفسيراً لرجل من الأئمة المجتهدين إلا تفسير ابي جعفر الطبري المتوفى سنة ٣١٠، وما بقي بعده فهو لمؤلفين ممن سموا أنفسهم مقلدين.

ولقد كان المتقدمون يعنون في أكثر أمرهم بتفسير القرآن بما ورد من أحاديث مرفوعة، وآثار موقوفة، وباستنباط أحكام الفقه منه ، تعليما للناس كيف يفهمون وكيف يصلون الى الاجتهاد .

ثم ترك المتأخرون ذلك ولم يكن همهم الا الاطالة في أبحاث لفظية لاجدوى لها ولا فائدة الا في النادر والشذوذ .

حتى ان كتب التفسير التي بقيت مشتهرة فيهم، وكثيرة بين أيديهم لا يطمئن الباحث المحقق الى فهم معنى آية منها ، ولا الى استنباط حكم ، بل ولا الى الثقة بالنقل ، فقد ملأ بعضهم تفسيره بقصص مكذوبة مفتراة ، وبأحاديث موضوعة، من غير تحر في الرواية ، ولا استعمال لموهبة العقل السليم .

وبالله . لقد أدركنا الازهر – وهو المدرسة الاسلامية الفذة في هذا البلد – يجعل التفسير علما لا يؤبه له ، وآية ذلك أنهم كانوا يجيزون الطالب بشهادة (العالمية) وان كان لا يفقه في التفسير شيئا ، ما عرف كيف ينبغ في المماحكات اللفظية

ولقد قيض الله للاسلام إماما من أئمته ، وعلما من أعلام الهدى ، وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، فأرشد الامة الاسلامية الى الاستمساك بهدى كتابها ، ودلها على الطريق القويم في فهمه وتفسيره ، وكان مناراً يهتدى به في هذه السبيل ، وألقى في الازهر دروسا عالية في التفسير ، وكان – فيما أظن – يرمي بذلك الى أن يسترشد علماء الازهر بذلك ، فينهجوا نهجه ، ويسيروا على رسمه ، ولكنهم لم يأبهوا له إلا قليلا ، ولم ينتفع بما سمع منه الا أفراد أفذاذ ، وبقي دهماؤهم على ما كانوا عليه .

ونبغ من تلاميذه والمستفيدين منه ابنه وخريجه أستاذنا العلامة الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » فلخص للناس دروس الاستاذ الامام، وزادها وضوحا وبيانا ، ونشرها في مجلاته الزاهرة المنيرة ، وجمعها في أجزاء على أجزاء

القرآن الكريم ، ومضى لطيته بعد انتقال الامام الى جوار ربه ، فكأنه ألهم من روحه ، لم يكل ولم يضعف ، وهاهو الآن قد أتم منه أجزاء تسعة، وكثيراً من العاشر

فكان تفسير أستاذنا الجليل خير تفسير طبع على الاطلاق ، ولا أستثنى ، فانه هو التفسير الاوحد الذي يبين للناس أوجه الاهتداء بهدى القرآن على النحو الصحيح الواضح - اذ هو كتاب هداية عامة للبشر - لايترك شيئا من الدقائق التى تخفى على كثير من العلماء والمفسرين .

ثم هو يظهر الناس على الاحكام التي تؤخذ من الكتاب والسنة ، غير مقلد ولا متعصب ، بل على سنن العلماء السابقين : كتاب الله وسنة رسوله . ولقد أوتي الاستاذ من الاطلاع على السنة ومعرفة عللها وتمييز الصحيح من الضعيف منها : — ما جعله حجة وثقة في هذا المقام ، وأرشده الى فهم القرآن حق فهمه.

ثم لاتجد مسألة من المسائل العمرانية او الآيات الكونية الا وأبان حكمة الله فيها ، وأرشد الى الموعظة بها . وكبت الملحدين والمعترضين بأسرارها . وأعلن حجة الله على الناس .

فهو يسهب في إزالة كل شبهة تعرض للباحث من أبناء هذا العصر ، ممن اطلعوا على أقوال الماديين وطعونهم في الاديان السماوية ، ويدفع عن الدين مايعرض لاذهانهم الغافلة عنه ، ويظهرهم على حقائقه الناصعة البيضاء ، مع البلاغة العالية ، والقوة النادرة . لله دره !

وأما الرد على النصارى واليهود فانه قد بلغ فيه الغاية ، وكأنه لم يترك بعده قولا لقائل ، وذلك لسعة اطلاعه على أقوالهم وكتبهم ومفترياتهم . وهذا قيام بواجب قصر فيه أكثر المسلمين ، في الوقت الذي تقوم فيه أوربة بحرب المسلمين حربا صليبية — قولا وعملا — وتحاول سلخ المسلمين عن دينهم وإن لم يدخلوا في دينها ، وها نحن أولاء نرى الجرأة العظمى بمحاولة تنصير أمة اسلامية قديمة متعصبة للاسلام ، وهي أمة البربر المجيدة . وان قيام أستاذنا بالرد عليهم بهذه الهمة من أجلّ الاعمال عند الله ثم عند المسلمين

ولقد عرض لكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية التي عرضت في

شؤون المسلمين فأفسدت على كثير من شبابهم هداهم ودينهم ، فحللها تحليلا دقيقا وأظهر الداء ووصف الدواء من القرآن والسنة ، وأقام الحجة القاطعة على أن الاسلام دين الفطرة،وأنه دين كل أمة في كل عصر . ونفى عن الاسلام كثيرا مما ألصقه به الجاهلون،أو دسه المنافقون، من خرافات وأكاذيب كانت تصد فئة من أبنائه عن سبيله . وكان أعداؤه يجعلونها مثالب يلعبون بسببها بعقول الناشئة ليضموهم الى صفوفهم،وينزعوهم من أحضان أمتهم .

وإنه لكتاب العصر الحاضر،يفيد منه العالم والجاهل،والرجعي والمجدد . بل هو الدفاع الحقيقي عن الدين .

وأنا أرى من الواجب على كل من عرف حقائق هذا التفسير أن يحض اخوانه من الشبان على مطالعته ، والاستفادة منه،وبث مافيه من علم نافع،لعل الله أن يجعل منهم نواة صالحة لاعادة مجد الاسلام ، وأن ينير به قلوبا أظلمت من مائها بالجهالات المتكررة

ولو كانت حكومتنا حكومة إسلامية حقيقة لطلبنا منها أن يدرس في مدارسها ومعاهدها حق الدرس ، ولكننا نعلم أنها لاتلقي للدين بالا ، بل لاتدفع عنه من أراد به عدوانا ، والطامة الكبرى أنها تحمى من يعتدي عليه بقوانينها الوضعية،

فلم يبق للمسلمين رجاء إلا أن يعملوا أفراداً وجماعات في سبيل الدفاع عنه، وإظهار محاسنه للناشئة التي تكاد تند عنه ، وهم عماد الأمم .

ولعلي أوفق قريبا الى بيان بعض الابحاث الفذة النفيسة من هذا التفسير مما لم يشف فيها الصدر أحد من الكاتبين قبله،أولم يكن في عصورهم مايثير البحث فيها ، وذلك بحول الله وقوته .

أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي

آفة الشرق أمراؤه المستبدون

وزعماؤه المترفون

ومرشدوه الجاهلون

(خاتمة المقصد الثاني من الباب الخامس من تاريخ الاستاذ الامام)

نختم الكلام في خدمة الامامين الحكيمين للاسلام والشرق فيما فاضت به حكمة الاول على بلاغة الثاني في جريدة العروة الوثقى بهذه الحقيقة التي وضعنا لها هذا العنوان، فلقد كان الناس غافلين عنها فبيناها لهم أبلغ البيان، وشر مفاسد هؤلاء الامراء والزعماء في هذا العصر غرورهم بالاجانب الطامعين في بلادهم، ولو عقلوها لتمكنت حقيقتها من عقولهم، ولو فقهوها لرسخت عبرتها في قلوبهم، ولما تكررت في مشرق العالم الاسلامي ومغربه تلك الرزايا التي انتزعت ممالكهم من أيديهم، ومن العجائب انها لاتزال تتجدد، ولا يزال مدعو الايمان يلدغون من الجحر الواحد مراراً كثيرة. وقد قال رسولهم فيما صح عنه «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» رواه البخاري ومسلم

فلا عجب إذاً فيما يصدر عن ملاحدة المسلمين الذين لاحظ لهم من حكمة الاسلام وهدايته الصادتين عن هذا الفساد، ورضاهم بأن يكونوا أعوانا للاجانب على استعمار البلاد، وهذا ما لانزال نشاهده في كل عام (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)؟

طرقت العروة كل باب من أبواب هذا الموضوع ففتح لها ودخلت منه فلم تدع في زواياه خبيئة إلا واستخرجتها

أنشأت له مقالات خاصة، وجعلته مضرب الامثال في المقالات العامة. وقد ورد فيما أثبتنا من الشواهد بعض هذه المُثل والاشارة الى بعض تلك المقالات، ونأتي في هذه الخاتمة بشواهد ومثل اخرى وهي

المثال الاول

﴿ استيلاء الانكليز على ممالك الهند بمساعدة أمرائها ﴾

(قال من مقالة افتتح بها العدد الثامن من العروة الوثقى موضوعها طرد الانكليز للجيش المصري وتاليف جيش صغير تولوا قيادته)

دمر الانكليز (دخلوا بلا استئذان) على الهنديين في أراضيهم ، وانبثوا بينهم ، فتمكنوا من تفريق كلمة الامراء ، وإغراء كل نواب أوراجا بالاستقلال ، والانفصال عن السلطة التيمورية ، فتمزقت المملكة الى ممالك صغيرة ، ثم أغروا كل امير بآخر يطلب قهره والتغلب على ملكه ، فصارت الاراضي الهندية الواسعة ميادين للقتال ، واضطر كل نواب اوراجا الى النقود والجنود ليدافع بها عن حقه ، او يتغلب بها على عدوه ، فعند ذلك تقدم الانكليز بسعة الصدر وانبساط النفس ومدوا ايديهم لمساعدة كل من المتنازعين ، وبسطوا لهم احدى الراحتين ببدر الذهب ، وقبضوا بالاخرى على سيف الغلب . بدأوا قبل كل عمل بتنفير اولئك الملوك الصغار من عساكرهم الاهلية ، ورموها بالضعف والجبن والخيانة والاختلال ، ثم أخذوا في تعظيم شأن جيوشهم الانكليزية وقوادها ، وماهم عليه من القوة والبسالة والنظام ، حتى اقتنع كل نواب اوراجا بأن لا ناصر له على مغالبه إلا بالجنود الانكليزية . فأقبل الانكليز على اولئك السذج يضمنون لكل صيانة ملكه وفوزه بالتغلب على غيره بجنود منتظمة تحت قيادة قواد من الانكليز ، ويكون بعض الجنود من الهنديين ، وبعضها من البريطانيين ، وما على الحاكم الا ان يؤدي نفقتها

ثم خلبوا عقول اولئك الامراء بدهائهم وبهرجة وعودهم ولين مقالهم حتى ارضوهم بأن يكون على القرب من عاصمة كل حاكم فرقة من العساكر لتدفع شر بعضهم عن بعض . وصار الانكليز بذلك اولياء المتباغضين ، وسموا كل فرقة من تلك الجنود باسم يلائم مشرب الحكومة التي اعدوها للحماية عنها ، ففرقة سموها (عمرية) وأخرى سموها (جعفرية) وغيرها سموها (كشتية) إرضاء لاهل السنة والشيعة والوثنيين

ولما فرغت خزائن الحكام وقصرت بهم الثروة عن أداء النفقات العسكرية

فتح الانكليز خزائنهم وتساهلوا مع أولئك الحكام في القرض ، وأظهروا غاية السماحة ، فبعضهم يقرضون بفائدة قليلة ، وبعضهم بدون فائدة ، وينتظرون به الميسرة ، حتى ظن كل أمير أن الله قد أمده بأعوان من السماء . . وبعد مضي زمان كانوا يومئون الى طلب ديونهم بغاية الرفق ، ويشيرون الى المطالبة بنفقات العساكر مع نهاية اللطف ، فاذا عجز الامير عن الاداء قالوا إنا نعلم أن وفاء الديون والقيام بنفقات الجنود يصعب عليكم ، ونحن ننصحكم أن تفوضوا الينا العمل في قطعة كذا من الارض نستغلها ونستوفي منها ديوننا ، وننفق من غلاتها على الجيوش التي أقمناها لكم ، ثم الارض أرضكم ، نردها اليكم عند الاستيفاء والاستغناء ، وانما نحن خادمون لكم ، فيضعون أيديهم على غضروات الاراضي وفيحائهـا ، وفي أثناء استغلالها يؤسسون بها قلاعا حصينة ، وحصونا منيعة ، كما يفعلون ذلك في ثكن [أماكن إقامة العساكر] عساكرهم على أبواب العواصم الهندية (١)

وفي خلال هذا يفتحون للامراء أبوابا من الاسراف والتبذير ، ويقرضونهم ويقتضون قرضهم بالقيام على أراض أخرى يضمونها الى الاولى ، ثم يحضون نار العداوة بين الحكام لتنشب بينهم حروب فيتدخلون في أمر الصلح ، فيجبرون أحد المتحاربين على التنازل للآخر عن جزء من أملاكه ليتنازل لهم الثاني عن قطعة من أراضيه ، وهم في جميع أعمالهم موسومون بالخادم الصادق والناصح الامين ، لكل من المتغالبين ، وبعد هذا فلهم شؤون لا يهملونها في إيقاع الشقاق بين سائر الاهالي لتضعف قوة الوحدة الداخلية ، ويخرب بعضهم بيوت بعض ، حتى إذا بلغ السير نهايته ، واضمحلت جميع القوى من الحاكم والمحكوم ، وغلت الايدي فلا يستطيع أحد حراكا ، ساقوا الحاكم الى المجزرة بسيوف تلك العساكر التي كانت حامية له واقية لبلاده ، وكانت تشحذ لجز عنقه من سنين طويلة وينفق على صقالها من ماله ، ثم خلفوه على ملكه

وكانوا يميلون بقوتهم الى أحد أعضاء العائلة المالكة ليطلب الملك ، فيخلعون المالك ويولون الطالب ، على شريطة ان يقطعهم أرضا أو يمنحهم امتيازاً ، فيحولون

(١) وكذا يفعلون الآن في البلاد العربية التي يريدون أن تكون هنداً ثانية

الملك من الاب للابن ومن الاخ لاخيه ، ومن العم لابن أخيه ، وفي الكل هم الرابحون .

هذا سيرهم في الهند وهو على بعد من مراقبة اوربا . مافاجؤا أحداً بحرب ، وما اختطفوا ملكا بقوة مغالبة ، بل ما أعلنوا اسياداتهم على مملكة صغيرة ولا كبيرة إلا بعد ماأيقنوا أن لاقوة لحاكمها ولا أهليها ، ولا بما تطرف به أجفانهم

أولئك الانكليز باقعة العالم ، وأحبال الحيل ، يريدون اليوم طرد العساكر المصرية ، وأرض مصر لاتحرسها الملائكة ، فلاتستغني عن حامية ، فان تم لهم ماأرادوا زينوا لبعض ذوي السلطة في مصر أن يطلب منهم جنداً انكليزيا يكون خادما له وحافظا لملكه ، فان لم يقبل داروا بحيلتهم تحت استار التمويه على كل من له حق في الولاية على تلك البلاد يعرضونها عليه ، حتى يعثروا بمن يقبل نصحهم أو غشهم ذهولا عن حقيقة القصد ، فيقيمونه حاكما خلفا لمن لم تسمح ذمته بالقبول ، وتكون رغبة المغرور حجة لهم عند أوربا . هذا سر انقلاب الانكليز على الجند الوطني وقدحهم في سيرته بعد الثناء على حسن استعداده ، وسعيهم الى طرده بالادلة الواهية ، والعلل الواهنة

المثال الثاني

استعباد الاجانب للامم بقوة رؤسائها (*

إن في ذلك لعبرة لأولى الابصار

كيف يمكن لقوة أجنبية تصول على أمة من الامم أن تسود عليها ، وتستعبدها وتذللها للعمل في منافعها ، مع التخالف في الطباع والعوائد والافكار ووجود المقاومة الطبيعية ، فضلا عن الارادية ؟ ان الوحشة المتمكنة في نفس كل واحد من الامة ، وظن كل فرد أنه في خطر على روحه وماله اذا غلبه الغالبون ، يحمله على المدافعة عن أمته ، كما يدافع عن بيته وحريمه ، فلايتسنى للقوة المغيرة أن تذل الامة إلا بافنائها عن آخرها ، أو افناء الاغلب حتى لايبقى إلا العجزة والزمنى ، هذا

*) مقالة نشرت في العدد العاشر من العروة الوثقى بعنوان الآية

أمر طبيعي وحكم بديهي متى كانت الغارة على الامة

نعم يسهل للقوة الاجنبية أن تتغلب على أمة عظيمة بدون تناحر إن كان لهذه الامة حاكم أو رئيس روحاني تجتمع عليه قلوبها، وتدين له رقابها، لمنزلة له في أفئدة أبنائها، ولمكان آبائه من الكرامة في نفوسهم، فلا تحتاج القوة الغالبة إلا الى ايقاع الرعب في قلبه، فيجبن ويقبل ماتحكم به. أو نصب حبالة الحيل له فتخدعه بالاماني والآمال فيذعن لما تقضي به. فاذا خضع للقوة الغريبة خضعت الامة تبعاً له. ولهذا ترى طلاب الفتح وبغاة الغلب ينصبون قبل سوق الجيوش وقود الجنود على قلوب الامراء وأرباب السيادة في الامة التي يريدون التغلب عليها، فيخلعونها بالتهديد والتخويف، أو يملكونها بالخدعة وتزيين الاماني، فينالون بغيتهم ويأخذون أراضي الأمم.

وهذا الطريق هو الذي سلكه الانكليز مع السلطان التيموري في الهند، ولولا ما كان للهنديين من عقدة الارتباط بسلطانهم التيموري وقبض الانكليز أول الامر على تلك العقدة لما تيسر للبريطانيين أن يخضعوا الامم الهندية في أحقاب طويلة.

هذه قبائل الافغان عند ماانحلت ثقتها بأميرها وصار الأمر الى الامة قامت كل عشيرة بل كل فرد للدفاع عن نفسه بعدما تمكنت عساكر الانكليز في قلاعهم وحصونهم، واستولت على قاعدة ملكهم، وفتكوا بالعساكر الانكليزية وهزموا قوتها وأجلوها عن بلادهم، وهي ستون ألفاً من الجيوش المنتظمة مسلحة بالاسلحة الجديدة، واضطر الانكليز أن يتركوا تلك البلاد لاهلها

لاريب انه يسهل على الانسان أن يأخذ شخصاً واحداً أو اشخاصاً محصورين بالترغيب والتهديد، ويتيسر له أن يقف على طباعهم، ويدخل عليهم من مواقع اهوائهم، ويأتيهم من ابواب رغائبهم، لكن يتعسر بل يتعذر عليه ان يأخذ أمة بتمامها وعقولها مختلفة عليه، ونفوسها في وحشة منه اللهم إلا بالابادة والتدمير

من هذا تجد الملوك العظام لايرهبون الاشتباك في حرب مع أقتالهم (١) بل ومن هو أشد منهم قوة، ولكنهم يفرقون (٢) بل تذهب افئدتهم هواء إذا احسوا بميل

١) أي امثالهم (٢) يفرقون يخافون فهو كيرهبون وزنا ومعنى

الامة عنهم، وماهذا الا لان قوة المغالبين داخلة تحت الضبط ، وأما آحاد الامم وقواها فلا تضبط ولا تستطاع مقاومتها، إذا تعاصت وشحت بنفسها عن الذل لسواها

ان الامراء كما يكونون في دور من ادوار الامة قوى فعالة لنموها وعلوها وعظمها واشتداد عضدها ، كذلك يكونون في بعض اطوارها علة فاعلة في سقوطها وهبوطها وانحلالها . وإنا نخاف — ولاحول ولاقوة إلا بالله — أن يكون امراؤنا والاعلون منا آلة في اضمحلالنا وفنائنا ، لماغلب عليهم من الترف والانهماك في اللذائذ والانكباب على الشهوات، مع سقوط الهمة وتغلب الجبن والحرص والطمع على طباعهم ، فانا لله وإنا اليه راجعون اه

المثال الثالث

رأي العروة الوثقى في معاقبة الامم للامراء والرؤساء الذين يكونون أعوانا للاجنبي عليها

(قال في آخر مقالة وجيزة موضوعها الامة وسلطة الحاكم المستبد وصف فيها حال الامة مع الحاكم المستبد المصلح الحكيم ، وحالها مع المستبد الجاهل الاحمق المتبع للهوى — مانصه)

عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها ، وأراد الله بها خيراً ، اجتمع اهل الرأي وأرباب الهمة من افرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها ، قبل ان تنشر الرياح بزورها وأجزاءها السامة القاتلة بين جميع الامة فتميتها ، وينقطع الامل من العلاج . وبادروا الى قطع هذا العضو المجذوم قبل ان يسري فساده الى جميع البدن فيمزقه . وغرسوا لهم شجرة طيبة (اصلها ثابت وفرعها في السماء) وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات ، - استبدلوا الخبيث بالطيب - وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت شؤونها بيد الحاكم الابله الغاشم يصرفها كيف يشاء . فانذرها ببعض العبودية ، وعناء الذلة ، ووصمة العار بين الامم . جزاء على مافرطوا في أمورهم . ((وما ربك بظلام للعبيد) اه

[المؤلف] خلاصة هذا الارشاد ان الامم لاترجى لها سيادة ولا سعادة ولا حرية ولا استقلال إلا اذا عرفت نفسها ، وجمعت كلمتها ، وكان أمرها بيدها ، وكان حكامها خدما لها ، فمن أحسن خدمة أمته بالنصيحة والاخلاص كافأته ، ومن خانها أو أساء اليها عاقبته ، ويجب عليها ألا تولي شيئا من أعمالها لأحد من المفتونين بحب الرياسة على قاعدة الاسلام : طالب الولاية لايولى [1] وقال الخليفة الاول (رض) في أول خطبة خطبها بعد مبايعته : وليت عليكم واست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني ، واذا زغت فقوموني »

كانت هذه الحقائق مجهولة عند قراء العربية قبل بيان العروة الوثقى لها بأفصح العبارات وأقواها تأثيرا ، ثم رأوا مصداقها في مصر وتونس ثم في المغرب الاقصى ، ثم في البلاد العربية الاسيوية ، فآفة الشعوب الجاهلة المتفرقة أمراؤها ورؤساؤها وزعماؤها ، ويليهم من دونهم من المتفرنجين الذين يتخذ منهم الاجنبي السالب لاستقلالها صغار العمال لكل مايحتاج اليه من عمل في إدارة حكومتها مما لايليق بالاجنبي أو لايوجد في أفراده من يكفي للقيام به ، ومن قواعد سياسة الاجانب انهم لايستخدمون في حكومة البلاد التي ترزأ بسيطرتهم عليها إلا من يعلمون بالاختبار الدقيق أنه مخلص لهم ولو في خيانة بلاده ، وقد سبق في العروة الوثقى ان الانكليز لو وجدوا في بلاد الافغان عند ما دخلوها محاربين واحتلوا عاصمتها (كابل) أمثال هؤلاء الرجال الذين يعرفون لغتهم ، وقد فتنوا بهرج مدنيتهم ، لما خرجوا أو يخرجوا من الهند ، ولكنهم وجدواهم وغيرهم في بلاد أخرى من أبناء البلاد ولا يزالون يجدون من لولاهم لم يستقر لهم قدم ، ولم يرفع لهم علم ، وأين من يعقل ويفهم؟ ؟

(١) روى أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أبي بريدة عن أبي موسى (رض) ان رجلين من قومه (الاشعريين) سألا النبي (ص) أن يؤمرهما فقال « إنا لانولي هذا من سأله ولا من حرص عليه » هذا لفظ البخاري في كتاب الاحكام وله في استتابة المرتدين انه قال « لانستعمل على عملنا من أراده »

نداء الى ملوك الاسلام

وشعوبه جميعا (*)

والى علماء الحرمين الشريفين، ورجال المعاهد الاسلامية من اعلام الازهر وملحقاته في المملكة الاسلامية، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في فاس، ومعهد ديوبند في الهند، ومعهد النجف في العراق، والي الجمعيات الاسلامية في انحاء الارض، ولاسيما جمعيات الهند: جمعية الخلافة في بومباي، وجمعية العلماء في دهلى، وجمعية اهل الحديث في دهلى. وجمعيات اندونسيا: اتحاد الاسلام في سومطرا، وشركة اسلام في جاوة، والجمعية المحمدية في جكجاكرتا - والى المجلس الاسلامي الاعلى في القدس، والمجلس الاسلامي الاعلى في بيروت، والى جمعيه ترقي الاسلام في الصين، والى الصحف الشرقيه على اختلاف لغاتها ولهجاتها:

ان أمة البربر التي اهتدت بالاسلام منذ العصر الاول، والتي طالما اعتمد عليها الاسلام في فتوحه وانتشاره، وطالما استند اليها مستنجدا أو مدافعا في خطوبه العظمى

هذه الامة التي سارت مع طارق الى اسبانيا، ثم مع عبد الرحمن الغافقي الى فرنسا، ومع اسد بن الفرات الى صقلية

هذه الامة التي كانت منها دولتا المرابطين والموحدين، فكانت لها في تاريخ الاسلام أيام غراء مجيدة

هذه الامة التي ظهر منها العلماء الاعلام، والقادة العظام، والتي لرجالها في المكتبة الاسلامية المؤلفات الخالدة إلى يوم الدين

---

(١) وضع هذا النداء في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وبعد البحث فيه وتنقيحه أمضاه من نذكر أسماءهم في آخره ووكلوا الى مجلس ادارة الجمعية نشره

هذه الامة التي تبلغ في المغرب الاقصى وحده أكثر من سبعة ملايين نسمة (١) تريد دولة فرنسا الآن اخراجها برمتها من حظيرة الاسلام بنظام غريب تقوم به سلطة عسكرية قاهرة ممتهنة به حرية الوجدان، ومعتدية على قدسية الايمان، بما لم يعهد له نظير في التاريخ

لقد وردت على مصر كتب من الثقات في المغرب الاقصى تذكر أن فرنسا قد استصدرت ظهيراً سلطانياً تاريخه ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ (١٦ مايو سنة ١٩٣٠) ونشرته الجريدة الرسمية في المغرب بعددها رقم ٩١٩ تنازل فيه سلطان المغرب لها عن الاشراف على الامور الدينية لامة البربر، وان فرنسا قد بدأت بالفعل في تنفيذ ذلك الظهير، فقامت السلطة العسكرية في المغرب الاقصى تحول بين ثلاثة أرباع السكان وبين القرآن الذي كانت به حياتهم مدة ثلاثة عشر قرنا، فابطلوا المدارس القرآنية ووضعوا قلوب أطفال هذه الملايين وعقولهم في أيدي أكثر من ألف مبشر كاثوليكي بين رهبان وراهبات، يديرون مدارس تبشيرية للبنين والبنات. واقفلوا جميع المحاكم الشرعية التي كانت في تلك الديار، وأجبروا هذه الملايين من المسلمين على ان يتحاكموا في انكحتهم ومواريثهم وسائر أحوالهم الشخصية الى قانون جديد سنوه لهم، أخذوه من عادات البربر التي كانت لهم في جاهليتهم، وهي عادات لا تتفق مع الحضارة ولا تلائم مستوى الانسانية، وحسبنا مثلا على انحطاطها وقبحها أنها تعتبر الزوجة متاعا يعار ويباع، وتورث ولا ترث، وأنها تجيز للرجل ان يتزوج ماشاء كيف شاء ولو اخته فمن عداها في عقد واحد، وان قانوناً كهذا القانون يسن للمسلمين مخالفاً للاسلام يعد من رضي به مرتداً عن الاسلام باجماع علماء المسلمين

ان فرنسا التي تبث الدعاية في امم الارض بأنها امة الحرية قد اجبرت رجال حكومة المغرب المسلمين على أن يتركوا دينهم بتنازلهم عما للسلطان من الحق في إقامة احكام الشرع الاسلامي بين رعاياه من قبائل البربر وجماهيرهم، والاعتراف لحكومة الحماية الفرنسية بأنها صارت صاحبة التصرف في دينهم وامورهم التشريعية

---

(١) هذا تقدير تقريبي اذ لا احصاء هنالك للقبائل

والتهذيبية ، وهو مالا تملك تلك الحكومة الحق في التنازل عنه . ومنذ استصدر الفرنسيون ظهيراً (مرسوما) من سلطان المغرب بهذا التنازل اعتبروا جميع المدارس القرآنية ملغاة ، وجميع العبادات الاسلامية معطلة ، ووكلوا أمر تعليم أطفال المسلمين الى الرهبان توطئة لتنصير هذه الامة عقيدة وعبادة وعملا ، وحالوا بين جميع مناطق البربر وبين علماء المسلمين ورؤسائهم فلا يتصل بها احدمنهم

ايها المسلمون

قد اجمع علماؤكم من جميع المذاهب على ان من رضي بارتداد مسلم عن دينه يكون مرتداً برضاه عن ذلك ، فيجب على جماعات المسلمين وطوائفهم وجمعياتهم وافرادهم أن يرفعوا أصواتهم بالاحتجاج على هذا العمل المنكر الفظيع ، بكل مافي وسعهم ، كل بحسب مايليق به ، فاذا لم ينفع الاحتجاج فكر المسلمون في الوسائل المجدية .وان في وسعكم أيها المسلمون أن تجبروا دولة فرنسا على احترام اسلام هذا الشعب الكبير وتركه يتمتع بحريته الدينية والوجدانية ، لان حرية الدين والوجدان حق من حقوق الانسان يجب على الانسانية حمايته من عبث العابثين ، واعتداء المعتدين

لقد سلكت دولة فرنسا مع اخواننا مسلمي المغرب سبيلا غير سبيل الرفق والنصح ، فجردتهم من وسائل النهوض ، وحالت بينهم وبين التعليم الصحيح ، وأنفقت أموال أوقافهم الاسلامية في ضد ما وقفت له ، واختصتهم بشر النصيبين من كل ما تتصل به مصالح الوطنيين والاجانب . وان في المسلمين من كان يعرف هذا ويتغاضى عنه الى حين ، رجاء أن يجعل الله لاهل المغرب فرجاً من عنده . ولكن امتداد يد السلطة القاهرة في المغرب إلى دين الاسلام ، واعتداءها على حرية العقيدة والعبادة ، قد أوصل هذا العدوان إلى الحد الذي ليس بعده حد ، فحق على كل مسلم أن يبادر الى انكار هذا المنكر بكل وسيلة يستطيعها

يجب أن تعلم فرنسا أن الاسلام لم يمت ، وان المسلمين قد استيقظوا ، وصار بعضهم يشعر بما يصيب البعض الآخر من اضطهاد في دينه ودنياه ، وان بناء مسجد في باريس يؤخذ باسمه ملايين الفرنكات من أوقاف الحرمين

الشريفين وملايين اخرى من الاعانات الجبرية من جميع مسلمي أفريقية مع اعانات أخرى من سائر العالم الاسلامي ، لايمكن لفرنسة أن تجعله حجة على حرية الاسلام ومودة المسلمين في مملكتها - التي تسميها أحيانا اسلامية - مع هذ الجرم الفظيع الذي شرعت فيه أخيراً وظنت أنها تنتزع به بضعة ملايين من حظيرة الاسلام بنظام تنفذه قوة عسكرية قاهرة

ان فرنسة اذا لم ترجع عن هذه الجريمة فان العالم الاسلامي يعتبر ذلك مجاهرة منها بعداوته ، وسيعلن ذلك على منابر المساجد ، وعلى صفحات المجلات والجرائد ، وفي حلقات الدروس الدينية ، وفي نظم الجمعيات الاسلامية

لقد حان حين امتحان أحرار اوربا فيما يدعونه من الانتصار لحرية العقيدة والوجدان ، حتى لقد رضوا بكثير من المنكرات التي يعترفون أنها منكرات ، وذلك حرصاً منهم على بقاء الحرية طليقة من قيودها ، وان أقدس الحريات حرية الوجدان والاعتقاد ، وأسوأما أصيبت به هذه الحرية في هذا العصر محاولة فرنسا ان تحول المغرب الاقصى عن اسلامه الى النصرانية أو ماشاءت أن تحوله اليه

لقد سمعنا صوت اوربا حكوماتها وشعوبها يرتفع عالياً باستنكار ما فعلته روسيا البولشفية من اقفالها بعض المعابد ، مع ان يد البولشفيك الحديدية انما امتدت الى الحجارة والطوب ، ولم تمتد الى النفوس والقلوب (١) فالعالم الاسلامي ينتظر من اوربا التي احتجت على عمل السوفييت في الكنائس أن تقول لفرنسا كلمتها الصريحة في عدوانها على دين الاسلام في المغرب الاقصى ومنعها سبعة ملايين من البشر منعاً رسميا مؤيداً بالسياسة والجيش من أن يسكنوا الى دينهم وان يتصلوا باخوانهم المسلمين اتصالا روحيا يطمئنون اليه ويرتاحون له

فيا أيها المسلمون ان دينكم مهدد بالزوال من الارض فان فرنسة اذا أمكنها تنفيذ مشروعها هذا في المغرب ، فستحذو حذوها جميع دول أوربة

«١» المراد انها تعدت على المعابد ولم تكره المتدينين على تغيير العقائد ، ولكن بعض الناس يتهمونها بهذا أيضا

في المشرق . وقد وجب عليكم في هذه الحال بذل أنفسكم وأموالكم في سبيل الدفاع عن دينكم، فما الذي يمنعكم عن الدفاع عنه والله يقول (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ويقول (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ويقول (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ويقول (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)

محمد شاكر وكيل مشيخة الازهر
سابقا

عبد الحميد سعيد
الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين

محمد رشيد رضا
منشيء مجلة المنار

خليل الخالدي
رئيس الاستئناف الشرعي بفلسطين

أبو بكر يحي باشا
المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا

علي جلال الحسيني بك
المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا

على سرور الزنكلوني
من علماء الازهر الشريف

محمود ابو العيون
من علماء الازهر الشريف

محمود شلتوت
من علماء الازهر الشريف

ميرزا مهدي رفيع مشكي

محمد عبد اللطيف دراز
من علماء الازهر الشريف

محمود الغمراوي
من علماء الازهر الشريف

عبد المجيد الربيعي
من العلماء

الدكتور يحي احمد الدرديري
المراقب العام لجمعية الشبان المسلمين

محب الدين الخطيب
منشيء مجلتي الزهراء والفتح

صالح جودت بك
المحامي

طنطاوي جوهري

عبد الصمد شرف الدين الهندي

محمد الهياوي

محمود يونس الاندونسي
خريج دار العلوم

الفاروقي

السيد محمد عفيفي
المحامي

[المنار] اجتمع أصحاب هذه التواقيع في نادي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وبحثوا في المكتوبات التي وردت من المغرب الاقصى في شأن شعب البربر فيه وأجمعوا على اصدار هذا النداء ووقعوه بأيديهم كما ترى، وقرروا أن تسعى ادارة

جمعية الشبان المسلمين لعرضه على بعض علماء المذاهب في الجامع الازهر ووجهاء المسلمين لامضائه ، وبالقيام بتبليغه لمن هو موجه اليهم في العالم الاسلامي كله - وبتأليف وفد من رئيس الجمعية والسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي ليذهب الى الاسكندرية ويرفعه قبل كل شيء الى صاحب الجلالة ملك مصر ويرجو صاحب الدولة وكيل ديوانه السامي أن يبلغ جلالته آمال واضعي النداء في غيرته الاسلامية - وبالقيام بتبليغه الى رئيس جمهورية فرنسة وجمعية الأمم وبعض الصحف الاوربية الشهيرة .

وقد شرعت الجمعية في تنفيذ ماعهد اليها لانها تعده أقدس الواجبات عليها ، فذهب الوفد الى الاسكندرية وانضم اليه فيها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد تاج الدين مراقب التعليم في معهد الاسكندرية الديني من قبل جمعية الشبان المسلمين فيها فذهب الثلاثة الى قصر رأس التين ورفعوا النداء الى دولة رئيس الديوان الملكي وبلغوه ما كلفوا أن يبلغوه إياه وكلموا معالي رئيس الامناء ورجاله في الموضوع أيضا . فقابلهم جميع رجال القصر أحسن المقابلة الدالة على العناية بالموضوع . وعرض النداء على صاحب الفضيلة الشيخ محمد الاحمدي الظواهري شيخ الازهر لمضيه فأبى ولم يصدر نداء ولا إنكاراً غيره ، فاستنكر منه هذا كل من عرفه من المسلمين أولي الغيرة وخاضت فيه الجرائد وكان أشد مانشر فيها انكاراً وتثريبا عليه كتاب مفتوح بامضاء عبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين ومقالة بامضاء مسلم نشرت في جريدة (العلم المصري) ، انكار جريدة المؤيد الجديد ولا نستحسن نشر شيء من ذلك في المنار . ولكن أمضى النداء كثير من العلماء وسائر الطبقات الراقية ، وتوالت علينا وعلى جميع الصحف ولا سيما الاسلامية الاحتجاجات بالطعن في الدولة الفرنسية والتحريض على عداوتها ومقاطعتها ، بعضها من الجمعيات المنظمة وبعضها من الجماعات التي اجتمعت لأجل ذلك في مدن القطر المصري وفلسطين ، وقد نشر كثير من ذلك ولا يزال ينشر في الجرائد اليومية إذ هي التي تتسع له

ولم يتصد للدفاع عن فرنسة في هذا العمل المنكر الا جريدة الاهرام فكذبت الخبر وهي تعلم صدقه ، وطعنت في واضعيه بدون ادب ، فردت عليها الصحف

الاسلامية ردوداً شديدة ووصفوها بالتعصب الفرنسي والمسيحي وكراهة الاسلام، وردت عليها جمعية الشبان المسلمين رداً أدبياً نزيهاً لم تر بداً من نشره، ومما ردت به عليها الجمعية وغيرها ان حكومة فرنسة لم تكذب الخبر وكان وزيرها المفوض بمصر أحق بتكذيبه لو لم يكن حقا، وعلى أثر ذلك نشرت الاهرام ثم غيرها البلاغ التالي من قبل المفوضية الفرنسية بمصر :

مسألة قبائل البربر

بيان المفوضية الفرنسية بترجمة الاهرام

ترى المفوضية الفرنساوية أن من المفيد نشر البيان التالي بناء على ماتلقته من طلبات الاستفهام العديدة عن موضوع نظام الاحوال الشخصية لقبائل البربر في بلاد الغرب ففي ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ أصدر سيدي محمد سلطان المغرب ظهيراً يجعل لبلاد البربر نظاما مشروعا في المشاكل القضائية

فهذا القرار الذي يشرك السلطان وفرنسة فى خدمة العدالة نحو قبائل البربر دون مساس بعقيدتهم الدينية الاسلامية هو التتمة المنطقية لظهير سابق صادر من المأسوف عليه السلطان مولاي يوسف بتاريخ ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ وفيه التسليم للبربر بنظامهم الخاص المبني على التقاليد وعلى حقهم بان يحتفظوا بنظامهم ، الامر الذي لم يجادل فيه أى مسلم حتى أشد العلماء تدينا

والست عشرة سنة التي مرت بين صدور الظهيرين بالدرس والتفكير أظهرت اظهاراً كافيا أن عمل فرنسة في المغرب لا يتطرق اليه شك بالتسرع والخفة والنص الجديد لايزيد فوق ماتقدم على أن يجعل الواقع المتبع منذ القديم أمراً مشروعا . فليس هناك اذن قرار تحكمي ولا ابتداع بل تقرير مشروعية حالة موجودة ومرعية منذ أبد الدهور ومعترف بها في الظهير الصادر في سنة ١٩١٤ وذلك بالتوفيق بين هذه الحالة والضرورات الحاضرة للقضاء والادارة

ويتناول الظهير ثلاثة أمور :

الاول — اختصاص القانون المعترف به بين البربر والجهات الاخرى أيضا ضمن حدوده ذاتها

الثاني — الاختصاص القانوني للجماعة المتبع في جميع الاعمال المدنية والتجارية وفي الثوابت والمنقولات ونظام الارث والاحوال الشخصية

الثالث — ادخال قاض فرنساوي بين العدول الوطنيين في المسائل الجنائية فقط

ولاشك بان هذا الظهير يتفق مع أماني البربر المغاربة كما تدل الرسائل العديدة التي وصلت الى رباط بشكر السلطان، والسلطان لايجد في ذلك انتقاصا من سلطته لان القضاء في بلاد البربر يصدر بعد اليوم باسمه والقضاة يعينون بقرارات وزارية

وأقوى سلاطين المغرب وأشدهم تدينا احترموا دائما عادات وتقاليد البربر المختلفة عن قواعد الشرع . فلم يكن بوسع فرنسا أن تفعل غير ذلك ، لاسيما أن المبدأ الاساسي للحماية هو عدم التدخل في المسائل الدينية

ويجب أن يكون جميع المسلمين واثقين من الحياد الفرنساوي التام في المسائل الدينية الصرفة ، والبربر مسلمون وسيظلون مسلمين

وقد قدمت فرنسا في الجزائر من الادلة على احترام الحرية مايكفي حتى لاتتهم بانها تعمل خفية في الغرب مالم تعمله أبداً في الشرق

وفوق ماتقدم أليس تشجيعاه وبفضل تنظيم المالية المغربية على يديها، ترمم الآن المساجد المتهدمة والمدارس التي كانت مقفرة ؟

[تعليق المنار على هذا البلاغ]

في هذا البلاغ مايرى القراء من الابهام والايهام المعهودين في البلاغات السياسية ، وهو مع هذا يدل على صدق الانباء التي جاءت من عدة مدائن من المغرب الاقصى في مسألة البربر فكانت سبب اصدار البيان العام المتقدم، وعلى بطلان تكذيب الاهرام لها ، فهو يعترف بالظهير السلطاني الذي بنت عليه فرنسة وضع نظام مبتدع للقضاء في البربر دون سائر المسلمين ولكنه يدعي ان هذا النظام خدمة للعدالة يشترك فيها السلطان مع فرنسة كأن الشريعة الاسلامية غير عادلة. والسلطان لايعتقد عدم عدالة الشرع ، ولكنه مكره بالطبع ، ودعوى البلاغ ان والد هذا السلطان الشاب كان أصدر ظهيراً قبل هذا في أول مدة الحرب لاتعد حجة على حقية الظهير الثاني لان مابني على الباطل باطل ولو كان كل منهما اختياريا،

فكيف وهو غير اختياري كما لايخفى ؟

وأما قول سعادة الوزير : ان هذه الخدمة لاتمس عقيدة البربر الدينية ، فهو مغالطة لاتروج في مصر بلد العلم الاسلامي ، ونختصر في ردنا عليه بأن الاحكام القضائية اذا كانت من قسم الاعمال الاسلامية لا من قسم العقائد فان من أصول العقائد الايمان بوجوب العمل بكل ما هو منصوص في القرآن وبكل ماأجمع عليه المسلمون منها ، ومن استحل ترك العمل بنصوص القرآن القطعية يعد مرتداً عن الاسلام اذا كان يعلم ذلك ، ويجب على أولي الامر من المسلمين كسلطان المغرب ورجال حكومته أن يعلموا الجاهل لا أن يقروه على جهله بضروريات الدين ويشرعوا له قوانين ينسخون بها قانون الشرع

فان كان سلطان المغرب السابق أو اللاحق (فرضا) قد جعل تقاليد بعض بدو البربر المخالفة لنصوص الشريعة القطعية المعلومة من الدين بالضرورة حقا ثابتا لهم جاحداً لتلك النصوص أو مستحلا لتركها فقد صار بذلك كافراً مرتداً عن الاسلام ، وبطل حكمه وسقط سلطانه شرعا ، اذ الواجب عليه ارجاعهم عن تلك التقاليد بالتعليم والاقناع ، والا فبالقوة ان استطاع ، ولعل السلطان يعذر نفسه أو يعذره المنافقون من الحكام وعلماء السوء بأنه مكره على ذلك بقوة فرنسة المسيطرة على بلاده لامختار ، وقد قال الله (من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) الآية وهو يعلم كما يعلم غيره ان فرنسة قادرة على اخراجه من السلطنة كما أخرجت السلطان عبد الحفيظ — وهذه شبهة ولكنها باطلة ، فان التهديد بالعزل من السلطنة ليس عذراً يبيح لصاحبه نقض أحكام الشريعة القطعية . فمن لا يستطيع أن يكون سلطانا الا بجعل نفسه آلة للكفار مساعداً لهم على اخراج المسلمين من دينهم أو مادون ذلك من المعاصي فلايجوز له قبول السلطنة بهذا الشرط ، وقبولها لايعد عذرا كعذر من هدد بالقتل على قول كلمة الكفر بلسانه دون قلبه حتى ينجو من مهدده كما وقع لعمار بن ياسر (رض) فكان سببا لنزول الآية في الرخصة

وأما قول البلاغ ان أشد العلماء تدينا لم يجادل في ذلك فهو غير مسلم على اطلاقه في إجماله . ولا ثقة لمسلم بمن تعدله فرنسة في اسلامه وعلمه كابن غبريط ولا الكتاني

ان صح ما نقل عنه، و كالذين رضوا من مسلمي تونس الجغرافيين (المنافقين) بمساعدة مؤتمر المبشرين (الافخارستي) وغيرهم من حملة شارات الشرف الفرنسية

نعم قد يعذر بعض جهلة بدو البربر في بعض التقاليد والعادات المخالفة للشرع اذا كان عن جهل بها بشرطه المعروف في الفقه، ولكن السلطان وغيره من أولي الأمر لا يعذرون باقرارهم على هذا الجهل فضلا عن جعله تشريعاً يبطل به شرع الله . ومثل أولئك الجاهلين من بدو البربر كمثل الجاهلين من بدو العرب الذين كانوا يستبيحون قتل الحجاج وسلب أموالهم وغير ذلك من مخالفتهم للشريعة، وكانت الحكومات الحجازية قبل حكومة ابن السعود مقصرة في تأديبهم، ولكن ذلك التقصير لا يعد احتراما من السلاطين وأمراء الحجاز والعلماء لتلك العادات ولا إقراراً لها ، وكذلك يقال في سلاطين المغرب .

وأما كون الاحكام الجديدة تصدر باسم السلطان الذي لم تبق له فرنسة من الحكم إلا الاسم فهو مؤيد لخروج هذه الاحكام عن الشرع الاسلامي لان فرنسة تعده هو الشارع لها وانما شارع الاسلام هو الله تعالى وباسمه تصدر أحكامه ، وأما قول البلاغ ان البربر مسلمون وسيبقون مسلمين، فالجملة الاولى منه من قبيل: السماء فوقنا ، والثانية خبر عن المستقبل وكلاهما لا يقال في البلاغات الرسمية .

وأما الامور الثلاثة التي أشار البلاغ الى اشتمال الظهير عليها فهي مؤيدة للتهمة لا مبرئة منها ، واننا نطالب الدولة الفرنسية بنشر نص الظهيرين الاول والثاني واطلاع الرأي العام الاسلامي عليهما وعلى القانون الذي بني عليهما.

وأما ما جاء من شكر بعض البربر للسلطان على عمله هذا فلا ينقض من التهمة شيئا - إن صح - لجواز أن يكون هؤلاء الشاكرون من الجهلة بأمور الدين أو من المحمولين على الشكر بالاكراه والقهر، كما وردت به الاخبار من هناك، فهو كما قال الشاعر :

ولم أر ظلما مثل هضم ينالنا يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

ونحن نعلم من الروايات الصادقة ان من البربر وغير البربر من أنكر ذلك بقدر ما في امكانه مع فقد الحرية هنالك فعوقبوا

وأما دعوى البلاغ الخاص بمعاملتها لمسلمي الجزائر فهي ضد الواقع ولا محل

هنا لنقضه بالشواهد ، وأما ما فيه من ذكر ترميم المساجد في المغرب فهو إيهام. الحق ان فرنسة جعلت جميع أوقاف المساجد وغيرها تحت سيطرتها واستولت على أموالها وجعلت التعليم الديني في أضيق من جحر الضب مع المراقبة على العلماء كما فعلت في الجزائر من قبل . فهل لها ان تمن على المسلمين مع هذا ان سمحت بترميم قليل من المساجد المتداعية ارضاء لعلماء الآثار من قومها مثلا ؟؟ ألا انها منة عليهم كمنة فرعون على موسى بتربيته مع استعباده لقومه فأجابه كما حكى الله عنه (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل) نكتفي بهذا الرد على البيان لنحكي رد غيرنا عليه فيما يلي:

رأي شيخ الازهر في البلاغ

جاء في المقطم أن أحد مندوبيه في الاسكندرية قد تحدث الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في صدد هذا البلاغ فأفضى اليه فضيلته بما يأتي : —

« لقد ارتحت الى ما تضمنه بيان المفوضية من ان فرنسا واقفة في المسائل الدينية على الحياد ، وان البربر مسلمون وسيبقون مسلمين . وانه بتشجيعها رممت مساجد كثيرة في بلاد المغرب الاقصى

« ولكني لم أر فيه ما يكشف الحقيقة من جميع وجوهها ولا ما يرد على كل تلك التفاصيل التي وردت بها الانباء وكانت سببا في هياج الرأي العام الاسلامي ، فهو لم يتعرض لما قيل من ارسال نحو الف راهب الى تلك النواحي لتشجيع التبشير المسيحي ، ولا الي ما قيل من إلغاء المكاتب القرآنية والمحاكم الشرعية ، ولم يبين ما هو نظام الارث الذي أقر الآن لامة البربر ، ولا ماهي الاحكام الشخصية التي أقروا عليها الآن أيضا مع أنهم ما داموا مسلمين لا يجوز شرعا أن يكون لهم نظام ارث غير نظام الارث الشرعي ولا نظام أحوال شخصية غير النظام الاسلامي ، وتلك هي النتيجة المنطقية لانهم مسلمون وسيبقون مسلمين

« وان المسلمين فيما يوجهونه من الاحتجاجات موقفهم دفاعي محض ولا يقصدون أكثر من ابقاء الامور على ما كانت عليه قبل حماية فرنسا ولا يرضيهم جعل العادات القديمة لبعض القبائل نظاما مشروعا ما دام في ذلك مساس بالمسائل والشعائر الدينية

«وفي أفريقية عادات متبعة منذ القدم وهي استرقاق الاحرار والاتجار بهم ولم يقل أحد ان مثل هـذا الاسترقاق ينبغي أن يكون مشروعا مادام موجودا، وان المعروف عن فرنسة وغيرها من جماعة الامم أنها تعمل على توطيد دعائم السلم وابعاد دواعي الاضطرابات

« فالمـأمول منها بناء على ذلك أن تستأصل الداء من مكامنه الخفيـة فلا تساعد ولا تقر المبشرين على اعمالهم في البلاد الاسلامية فان ذلك مكمن عظيم من مكامن الخطر، وعليها أن تفصل بين نشر الثقافة والتبشير

وإني بصفتي الدينية - التي أعمل بها على توطيد دعائم السلم ومعاملة الاجانب من أي دين أو جنس بالحسنى وبالتسامح آمل من القائمين بالامر ألا يساعدوا مايثير حفائظ النفوس وأن يعملو على اعادة الاطمئنان الى تلك البلاد الاسلامية »

(المنار) أحسن مافي هذا البيان الذي كان الفضل في إظهاره لمندوب المقطم ما قاله الشيخ في مسألة الرق، ولا يوافقه أحد من المسلمين على قوله: انهم لا يقصدون أكثر من إبقاء الامور في المغرب كما كانت قبل الحماية الفرنسية بل يطلبون إصلاح ما كان من خلل وجهل كما أشرنا اليه، ولا يوافقونه أيضا على كلمته في الثقافة والتبشير على مافيها من إجمال، وقد انتقدت الجرائد الاسلامية منه أموراً أخرى

﴿ رد جمعية الشبان المسلمين على بيان المفوضية الفرنسية ﴾

نشرت المفوضية الفرنسوية في مصر بيانا في مسألة مسلمي البربر بالمغرب الاقصى فيه اعتراف صريح بأن ظهيراً سلطانيا قد صدر في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ يشرك فرنسا مع السلطان في الاشراف على الاحوال الشخصية لبربر المسلمين ويجعل القانون في هذه الاحوال الشخصية هو العرف والتقاليـد البربرية القديمة وبان هـذا العرف وهذه التقاليـد تخالف قواعد الشرع الاسـلامي وان تنفيذ ذلك في مناطق البربر منوط بالقواد

يعترف البيان بهـذا ويحاول مع ذلك أن يفهم المسلمين أن الظهير لا يمس «العقيـدة الاسـلاميـة» كما ترجمه المقطم ويطلب الى جميع المسلمين أن يثقوا بحياد فرنسا (في المسائل الدينية الصرفة) حسب ترجمة الاهرام أو (في تلك المسأله المصطبغة بصبغة دينية محضة) حسب ترجمة المقطم ولا يمكن

التوفيق بين ذلك الاعتراف وبين هذا الطلب الا على اساس أن مصدر البيان لايفهم ما الاسلام أوانه يظن أن المسلمين لايفهمون

ان أخص خصائص الاسلام في الحياة الاجتماعية للفرد وللمجموع هو أحكامه في الارث والاحوال الشخصية، ونظامه في ذلك هو النظام الواحد الباقي قائما الي الآن من نظم الاسلام المدنية والاجتماعية، فزواله من أي قطر أو اقليم اسلامي معناه زوال البقية الباقية فيه من الاسلام في المجتمع وفي البيت، من قلب الفرد ومن بين الناس. ولم يتهم أحد فرنسا بتهمة أكبر مما يدل عليه بيان مفوضيتها صراحة من انها تخرج قبائل البربر بقوة القانون من الاسلام عن طريق حملهم في الارث واحوالهم الشخصية على العرف البربري القديم.

أما اعتذار البيان عن هذه الفعلة الشنعاء بأن العرف البربري كان قائما قبل الآن معترفا به من أقوى السلاطين حولا وتدينا فغير صحيح ولا معقول، لان معناه اذا صح على وجه يستقيم به الاعتذار أن البربر لم يكونوا مسلمين قط، والبيان نفسه يقول انهم مسلمون وسيظلون مسلمين. ان الذي كان معترفا به من عرفهم في بعض قبائلهم هو مالم يناقض أصول الشرع وصريح القرآن والا فما حاجة فرنسا الي أن تحمل السلطان يوسف منذ ستة عشر عاما - كما يزعم البيان - علي التسليم بذلك العرف أولا في ظهير لتجيء هذا العام — بعد أن مضت الحرب وأمنت أو ظنت أنها أمنت أثر هذا التغيير في الناس - فتحمل ابنه الذي لم يبلغ بعد عشرين عاما على جعل ذلك العرف قانونا في ظهير آخر مقابل اصدار الاحكام باسمه في مناطق البربر منذ الآن؟ لو كان العرف البربري قائما معمولا به بين مسلمي البربر في الارث والاحوال الشخصية لماتدرجت فرنسا في الامر ولما استصدرت من سلطان المغرب هذا الظهير

على اننا اذا سايرنا البيان الى أقصى حد وسلمنا جدلا بان بعض مسلمي البربر كان يسير في أحواله الشخصية علي العرف المخالف لاحكام الشرع فالبعض الآخر الكثير كان من غير شك يسير في احواله الشخصية على أحكام الشرع. والمحاكم على أي حال لم تكن تحكم إلا بأحكام الشرع، وفرنسا قد

قلبت هذا الآن رأسا على عقب ،فجعلت المحاكم تحكم في الاحوال الشخصية بما يناقض الشرع وقهرت على ذلك مسلمي البربر أجمعين، من كان جدلا يسير على العرف منهم ومن كان يسير على أحكام الدين

ان هناك ملايين من مسلمي البربر قد اخرجتهم فرنسا بهذه الفعلة عن الاسلام، وهذا ما ينكره عليها المسلمون

على أن البيان قد اقتصر على مسألة الاحوال الشخصية وسكت عن الامور الخطيرة الاخرى التى جاءت الاخبار الوثيقة من المغرب بأن فرنسا ترتكبها هناك كمنع تعليم القرآن واللغة العربيـة بين البربر ،واخراج العلماء وحملة القرآن من بينهم ، ووضع اطفالهم بين ايدي الراهبات والرهبـان يعلمونهم النصرانيـة باللغـة الفرنسية . وقد اعترف البيان صراحة بصدق تلك الاخبار في مسألة الاحوال الشخصية . فسكوته عن الامور الخطيرة الاخرى يعتبر اعترافا ضمنيا بهـا حتى تصـدر المفوضية الفرنسيـة بيـانا آخر في الموضوع

أما رسـائل الشكر العـديدة التي يزعم البيان انها جاءت الى السلطان تشكره علي الظهير فهي — ان صحت — لعبة تلعبها السياسة في كل مكان.

واذا كان هناك رسائل شكر عديدة فهناك أيضاً هياج كبير واحتجاجات كثيرة سكت عنها البيان .وهناك ضرب وجلد وحبس في سبيل تنفيذ الظهير

وأما استشهاد المفوضـية بما تسميه احترام الحرية في الجزائر فان الحرية الدينية التي نحن الآن بصددها قد أصيبت في الجزائر بما لا تشرف به فرنسة. ففرنسا مثلا متولية هناك على الاوقاف الاسلامية وأوقاف الحرمين الشريفين والعالم المسلم لا يستطيع أن يقرأ درسا في مسجد الا تحت الرقابة الشديدة ، والمسلم ليس له حق تمثيل بلاده فى الهيئات النيابية الا اذا قبل القانون الفرنسي حتى في الاحوال الشخصية . أي ان فرنسا تحرم المسلم الجزائري من كل حقوقه السياسية إلا إذا خرج عن دينه في الاحوال الشخصية من زواج وارث، فهي تعمل على إخراج المسلم من دينه في الجزائر كما تعمل على إخراج المسلم من دينه في المغرب وان اختلف طريق العمل في القطرين ؟ رئيس الجمعية العام — عبد الحميد سعيد

آراء ساسة فرنسة في سياستها الاسلامية

(وامكان الاتفاق على ما هو خير منها لها وللانسانية)

لقد آن للعالم الاسلامي أن يعلم ما تكيده له دول الاستعمار في دينه ودنياه، وأن يبذل ما يستطيع من حول وقوة للدفاع عن نفسه من حيث هو أمة واحدة كما قال الله، وكل شعب من شعوبه وكل فرد من أفراده كعضو لجسد واحد كما قال رسول الله ﷺ وأقله تنظيم الدعاية والمقاطعة العامة الاقتصادية، وأكبره الثورة العامة المدنية فالدموية، (وقد جمعت بينهما الهند) وآن لهذه الدول أن تعلم ان هذه الشعوب قد تنبهت أو هبت من رقادها وشعرت بآلامها، فلم تعد تطيق ما كانت تسام به من إرهاق واستذلال، فضلا عما تحاوله هذه الدول من الزيادة عليه، وأن تعلم مع هذا أنه يوجد في عقلاء المسلمين من يود الاهتداء بالبحث معها الى الاتفاق على معاملة مشتركة تكون خيراً للانسانية في ترقيها وتوقيها أسباب الحروب الساحقة الماحقة، وحل للاشكال يكون جامعاً بين الممكن من مصلحة المستعمرين ومصلحتها

وبهذا القصد نشرنا ما نشرنا في مسألة المغرب الاسلامي وما تفعله فرنسة فيه لتعلم هي وكل من يقرؤه اننا لا نبغي به التشهير بسيآتها تشفيا منها وتحريضا على عداوتها ومقاطعة المسلمين لها، إلا بعد اليأس من انصافها، وقد سبق لي السعي لمثل هذا الجمع بين المصلحتين في معاملتها للسوريين في حديث طويل ألقيته إلى مسيو روبير دوكيه في بيروت (إذ قابلني بالنيابة عن الجنرال غورو في أوائل مارس سنة ١٩٢٠) فقال بعد المناقشة الطويلة فيه: انه رأي يمكن تنفيذه وليس بخيال، ولكن يجب درسه وتمحيصه والاتفاق على طريقة تنفيذه بين الفريقين، ثم حاولت مثل هذا السعي في (جنيف) مع مندوب فرنسة في عصبة الامم موسيو هانوتو الشهير فلم يتح لي ذلك، وقد فصلت هذا وذاك في المنار كما يعلم القراء

ولكن أحرار فرنسة الذين لا يهمهم الا مصلحتها العامة قلما ينظرون في أمثال هذه الآراء الحرة، فان تقاليد وزارة الخارجية الفرنسية السياسية الدينية (لا كليركية)

والعسكرية ، أرسخ من تقاليد العجائز في تقاليدهن الدينية والمنزلية ، وقد خرجت بها عن حد المعقول والمعتاد عند الحكماء والعقلاء الذين يتحرون الاستفادة مما ينتقد عليهم ، فإن هؤلاء السياسيين إذا رأوا انتقاداً موجهاً إلى دولتهم يدفعونه بغير تأمل ويعذرون أنفسهم أو يعتذرون عنها بأنه كلام عدو ، وقد يكون كلام صديق أو ناصح لمصلحة له في النصيحة ، وقد قال الشاعر العربي الحكيم في ذم الأعداء :

عداتي لهم فضل عليَّ ومنة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ولكن رجال السياسة الاستعمارية في فرنسة لا يحبون اجتناب زلاتهم ، وإن عرفوها من أنفسهم وأصدقائهم ، وإنما ينكرون ويتأولون كما فعلوا في مسألة البربر

قد ابتلي مسلمو الجزائر فتونس فمراكش بالدولة الفرنسية فكانت سيرتها فيهم أشد استبداداً واستعباداً وظلما من استعمار انكلترة وهولندة أضعافا مضاعفة وقد وجد من عقلاء الشعب الفرنسي ومن عقلاء المسلمين من حاولوا اقناع هذه الدولة بانصاف هؤلاء المسلمين ولا يزال يوجد في المسلمين من يحب هذا ويريده إن كانت هذه الدولة تقدره قدره وتريده

ولكن ، متى تريد وبين يدي أولي الأمر في عاصمتها عدة مصنفات جديدة قد عني مصنفوها باقناعها فيها بأنه لا يمكن خضوع مسلمي افريقية بالإخلاص لها إلا إذا ارتدوا عن الإسلام وصاروا نصارى أو ملاحدة ، وبأن ردهم عنه ممكن ؟ فبعضهم يختار فيه إكراههم على النصرانية بالقوة القاهرة كما فعلت اسبانية في الأندلس ، وبعضهم يختار إكراههم على تربية أولادهم وتعليمهم في المدارس التبشيرية والإلحادية ما يحول بينهم وبين الإسلام ولغته ، وسياسة كبارهم بالشدة والقهر ، وإفساد أمرائهم وزعمائهم بالاصطناع والتمكين من الشهوات المفسدة للأخلاق ، والاستعانة بهم على كل ما يريدون من الاستيلاء على ثروة الأمة وتحويلها عن شريعتها وآدابها الخ

إن كتاب (الإسلام في المستعمرات الفرنسية) الذي ألفه الضابط موسيو (جول سيكار) أحد الموظفين الفرنسيين في مراكش يعد معتدلا بين تلك الكتب التي تغري فرنسة بإخراج مسلمي أفريقية من دينهم ، ولما انتقدناه في

مجلد العام الماضي تعجب قراء المنار من كنود هذه الدولة التي سفك مغاربة المسلمين دماء مئات الالوف منهم في الدفاع عنها ثم يجدونها تعدهم أعداء غير مخلصين لها في الباطن، وتحاول إهلاكهم في الآخرة بالكفر والالحاد، كما أهلكتهم في الدنيا بالفقر والاذلال، فكيف لو قرأ هؤلاء تلك الكتب التي تحضها على حرمانهم من كل علم نافع وإكراههم على ترك دينهم بالقوة كما فعلت اسبانية بسلفهم من مسلمي الاندلس ؟

عثرت صحيفة الفتح أخيراً على نسخة من كتاب (السياسة الصريحة) للضابط الفرنسي (الكابتن أدينو) وقد ترجم وطبع بالعربية سنة ١٣٤٧ فلم تلبث حكومة الاستعمار أن جمعت نسخه ومنعت نشره لانه صرح فيه بسياستها السرية لاعتقاده انه أنفع لها من الرياء الذي تحاول اخفاءها به وهو لا بد أن يشف أو يتمزق فتظهر الحقيقة في وقت غير ملائم

وقد نشرت الفتح الغراء منه جملا نختار منها الآن ما نصه:

« أنترك المغرب على ما هو عليه من طول سباته الذي تتوارد عليه جميع الحوادث السياسية أم لا ؟ بلى ، ولكن لا نعطيهم من العلم والمعارف إلا ما يكون لهم كافيا ليرضوا بمقامنا إلى جانبهم الى الابد . هذا والاجدر بفرنسا أن تحترم مبادىء قوانيها بالمغرب ، وذلك اننا كثيراً ما نقول اننا ما جئنا المغرب إلا لتمدن اهله ونسعى في ترقيته بدون فتور ولا انقطاع حسب الدرجة التي يكون قابلا لها وتوافق فكرة المسلمين . وما نسعى فيه من تكثير عدد المسلمين بمعالجة أمراضهم امر يضيق لنا الفضاء الرحب المعد هنا لفرنسا

« لا . لا نسعى في هذا الامر أبداً ، واذا فعلنا وبالغنا في تعليمهم فانما نحن جالبون على انفسنا خطراً عظيما يقف بوجه مهمتنا هنا

« الاسلام تهديد لفرنسة وخطر عظيم على نفسها ، لانه لو انحاز المسلمون عن جانب فرنسا لكان في ذلك الضرر الكبير على قوتنا

« أليس من الواجب علينا إذن أن نقلل من درجة قوتهم وديانتهم الزاهرة التي تود صعوداً وانتشاراً ؟ وإنا ليشتد خوفنا من اجتماع طوائفهم المختلفة يوما ما على كلمة واحدة واتفاقهم عليها

« الى الغافلين الذين لا يحتاطون لهذه الحالة أقدم كلمتي ، وهي ان لا يسعوا في

تحديد شوكة [إرهاف حربة] يصابون بها يوما ما ، ولا خشية لنا في ذلك لانني ماعثرت قط في التواريخ على ان فرنسة حاربت انكلترا لتمنعها من هدم مستعمراتها (١) والا فاني أرغب من اولئك العادلين الذين يودون تقديس عادات الامة وحياتها أن لا يقوموا بمحاربة من لم يرض بسلطتنا عليه ، لان وجودنا بأرض المغرب هو معلوم لقصد فائدتنا الشخصية من ارضه ، واذا كانت الفائدة هي التي تقود زمام أمة فكل شيء لديها مباح والحرب اكبر دليل عليه

« وما هي أيضا حاجتنا بأرض المغرب اذا كنا نسعى لامر ليس هو بالهين، في جلب عاقبة ليست بمحمودة النتيجة ، او عملنا لمنافع امة لا تكون لنا مخلصة الود ، او لمجرد نفع غيرنا من الامم . وبعبارة أخرى اقول: انه لا فائدة لنا فيما نتحمله في هذا القطر باضاعة أموالنا وصرفها

« قال لي أحد الضباط في يوم من الايام : إن تعجب من بقاء بلاد الجزائر تحت سلطتنا فذلك لسبب انقراض جيل من اجيالها (٢) وصدقا قال

« واني لآتي هنا بمثال الاب فوكول تأييداً للفكر قال:

---

(١) ينبه هذا الفرنسي قومه الى اجتناب كل مايقوي شوكة المسلمين من علوم اسلامية او اوربية ، ويقول انا اذا اضطهدنا المغرب لانخشى ان تعارضنا دولة اخرى كالانكليز لانه لم يسبق لنا في التاريخ محاربة لانكليز عندما يهدمون مستعمراتهم اهـ والمنار يذكره بان انكلترة طردت فرنسة من الهند ثم من مصر وحاربتها لاجل الاستعمار واذلتها باعتقال اعظم امبراطور سياسي حربي تولى امرها وهو نابليون الاول، ثم يذكره بتحرش المانية بفرنسة في اغادير ، ويذكره اخيراً بان الحرب العامة لم يكن سببها الا التنازع على الاستعمار وبان فرنسة اذا هوجمت مرة اخرى فلن تجد من اسباب الدفاع عنها بعض ما وجدته فيها من مستعمراتها ومن امم الارض حتى الولايات المتحدة!! (٢) يريد الجيل الذي كان يعرف ذكريات جهاد الامير عبد القادر ، وكان في قلوبه رجاء باستئناف الجهاد اهـ ويستدرك المنار على هذا بان الجيل الآتي في جميع افريقية سيحارب فرنسة بنظام علمي اوربي يكون اقوى من حرب ذلك الجيل بالسلاح اذا هي اصرت على ظلمها وسياستها الحاضرة ، فهل تطمع في سوق مليون جندي منه الى أوربة لقتال ألمانية أو ايطالية ؟ كلا ثم كلا

لا يكون لكم المغرب ملكا ما دام فيه المسلمون

« اقول هذا ويقيني بانني ولو كنت عالما بان المسلمين سيطلعون على مقالي هذا ما غيرت من لهجته (١)

« ماذا يطلب منا المسلمون ؟ انهم لا يطلبون منا الا ان نخبرهم بكل صدق وحقيقة ليتخذوا احتياطاتهم . وأنا كذلك لا احب تلك السياسة المموهة الخادعة الكذابة التي لا تريد أن تغضب احداً من الناس ، بحديثها العذب اللين اللهجة مع جميع الناس ، وعند النتيجة يوم يكشف عن حقيقة سرها لا تحترم احداً

« خلاف هذه الفكرة ابغي ، أود ان نعامل المسلمين بالسياسة الصريحة اللهجة فنصرح لهم : هل بودنا ان ندعهم سائرين على اثرنا عفواً من انفسهم ؟ ام سنرغمهم عليه قوة منا ؟ لا نواري عنهم بان سياستنا غير مرتبطة في شيء مع حالة الاسلام

« لماذا نقاسم المسلمين الجزائريين حقوقنا ؟ ونحمي المغاربة حماية ، على حين نقف مع الامة التركية قرنا تجاه قرن وهم منتمون الى دين واحد (٢)

« اذا تولت امة مقاليد امة ثانية — ولو ضعيفة — فانه لابد من وقوع امتزاج واندماج فيما بين الفريقين . وفرنسا هنا بالمغرب لا يمكن ان تندمج في الاسلام كما ان الاسلام لا يقبل منها شيئا خارجا عن تقاليده ، ولكن غاية الرجاء عندنا ان يكون المسلمون فيما بعد مظللين بجنسيتها كما عليه البروتستانيون والاسرائيليون اليوم

---

(١) المنار نشكر له هذا التصريح ونصارحه بان فرنسة تعجز عن ابادة المسلمين من المغرب ان فرضنا انها تجد من يعمره لها من غيرهم ، وهي عن اخراجهم من الاسلام أعجز ، وان اخراجهم منه ان امكن ولو الى النصرانية يكون اشد خطرا عليها ما دامت مصرة على اثرتها وظلمها لانهم يجدون من مساعدة دول النصرانية حينئذ عليها ما لا يجدون اليوم ولا سيما أمثال الاب فوكول خليفة الاب بطرس الناسك

(٢) يتساءل هذا السياسي الفرنسي : كيف يجوز ان نتبع فرنسة سياسة صليبية مع تركيا في القرون الماضية كلها لانها كانت دولة مسلمة ثم يعترفون للجزائريين بحقوق ولاهل المغرب الاقصى بحماية مع ان الجميع أبناء دين واحد ؟

وبهذا يمكن لهم ان يعيشوا معنا جنبا لجنب (١)

« إنا لا اتصور كيف يمكن لفرنسا مع المغرب ان يعيشا معا وكل منهما على ملازمة احواله وعوائده القديمة الممتازة وأفكاره المتباينة . وقد تدوم هذه الحالة اذا ايدتها القوة ، والقوة امر لا بد من اضمحلاله ، وستحتاج فرنسة يوما ما الى جنود للمدافعة عنها فماذا يكون عملها يومئذ؟ لماذا لا نحتاط لهذه الاسباب منذ اليوم؟

« لكن بقي علينا أن نقول: هل في امكاننا ان نستولي على قلوب المسلمين ونجلبها لجانبنا؟ اهـ

[المنار] نشكر لهذا الكاتب صدقه وصراحته اللتين يقل مثلهما في قومه ؟ وهو لم يجب عن سؤاله الأخير لان الاستفهام فيه انكاري لا حقيقي، يريد انه لا سبيل الى ذلك

ونحن نقول ان هذا في الامكان اذا كانت فرنسة تترك غرور ضباط واغواء الاب فوكول وأمثاله من الآباء في سياستها الصليبية، كما تركته في إدارتها وسياستها الداخلية، وتتبع سياسة الحق والعدل والانسانية ، أو ماجعلته شعارها رياء وخداعا وهو العدل والمساواة والحرية، وذلك بأن تترك لهم حريتهم الدينية والادبية والاجتماعية، وتساعدهم على عمران البلاد بترقية الزراعة والصناعة والتجارة بنظام يكفل لها الربح العظيم والثروة الواسعة ، وتعقد معهم محالفة عسكرية توجب عليهم إمدادها بالجند والمال اذا هي أصطلت نار حرب لم تكن فيها معتدية كما يوجبه عهد عصبة الأمم ، والمسلمون أشد أهل الملل وفاء وصدقا ، واذا كانوا قد استبسلوا في دفاعهم عنها في الحرب الاخيرة على شدة اساءتها اليهم في دينهم ودنياهم ، فكيف يكون شأنهم معها اذا هي أحسنت اليهم احسانا حقيقيا لا يرتابون فيه ؟ وأما الذين يضربون لها المثل بخروج الهنديين والمصريين على انكلترة مع احسانها في معاملتهم فهم خادعون فان انكلترة لم تكن محسنة لهؤلاء بل مسيئة ، وقصارى الأمر أن اساءتها اليهم دون اساءة فرنسة لمسلمي أفريقية ، وأما الاحسان الحقيقي فلا يكفره المسلم وهو يؤمن بقول الله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟)

---

(١) المنار: والمسلمون يصارحونه بأنه لا جنسية لهم في غير دينهم فهم لا يقبلون الجنسية الفرنسية لانها تخرجهم منه فيخسرون الآخرة مع الدنيا لان فرنسة لا تساويهم بابناء جلدتها الاوربيين في كل شيء وإن تجنسوا بجنسيتها كما علم بالتجربة

ثم نذكره بأن أهل أمريكة قد أخرجوا الانكليز من بلادهم بالقوة الحربية وهم متحدون معهم في اللغة والدين والمذهب وكذا في الجنس الغالب .

ان هذا الضابط يهدد مسلمي المغرب بقوة دولته العسكرية القاهرة التي لا يعقل في العالم غيرها ، ولكن الامم اذا عرفت نفسها وشعرت بوحدتها تعذرت سياستها وإدارتها بالقوة العسكرية، وما القوة إلا تهاويل وأراجيف من الوهم تزول بأول ثورة تتجرأ بها الامة على المقاومة كما وقع في بلاد كثيرة وظهرت بوادره في المغرب الاقصى وكذلك اخضاع المستعمرين للشعوب بالتماثيل الآلية التي ينصبونها لها باسم سلطان أو ملك أو أمير أو باي أو رئيس، ومن يستخدمونه باسمائها من وزير ومدير ومفت وغير ذلك، قد آن لزمنه أن يولي مشيعا باللعن ولرجاله ان ينبذوا موسوسين بالخيانة

كيف تريد فرنسا القضاء على الاسلام في المغرب الأقصى؟

(جاءتنا هذه الرسالة الممتعة من جماعة شبان المغرب في باريس وكان قد تم تحرير هذا الجزء من المنار وجمع حروفه فأخرنا طبع آخره وتصديره ونشرناها فيه لجمعها للحقائق في المسالة التي نحن بصددها ولاسيما بيان هؤلاء الشبان لمطالب مسلمي المغرب من حكومة بلادهم التي لا يرضون بدونها. وهذا نصها)

استغربنا ما كتبته جريدة « الاهرام » في أحد أعدادها من تكذيبها ماتسعى اليه فرنسة من هدم الديانة الاسلامية في المغرب الاقصى . وحجة الاهرام في ذلك أن علماء المغرب الاقصى أكبر علماء الاسلام، ولا ندري أتريد بذلك تهكما مقصوداً ؟ أم هي تنطق بلسان الحق ؟ ثم حجتها الاخرى هي كون فرنسة الدولة اللادينية الوحيدة في اوربة : كأنها تجهل كلمة غامبتا « ان اللادينية بضاعة لاتصدر الى خارج فرنسة » وكانه غاب عن الاهرام ان فرنسة سمحت منذ ثلاثة أشهر للمؤتمر الافخارستي الذي ينظر في مسائل التبشير بان يعقد في تونس واشتركت في المؤتمر رسميا يمثلها مندوبها السامي في تونس الذي حضر في جلسات ذلك المؤتمر، ومنحت مليونين من أموال المسلمين لاعضائه، وسمحت لابناء المدارس الفرنسيين في تونس

أن يتجولوا في الشوارع مرتدين لباس الصليبيين الذين أتوا فيما مضى لفتح تونس مع القديس لويس!! فهل تستطيع الاهرام مع هذا أن تصف فرنسة بأنها «لادينية» (١)

اما قضية المغرب الكبرى التي تقيم اليوم العالم الاسلامي وتقعده - نعني القضية البربرية - فهي ليست بنت اليوم، بل خاض فيها من قبل كثير من الساسة والكتاب الفرنسيين ، بل الموظفين الفرنسيين في الحكومة المغربية ، نخص بالذكر منهم لوجلي في كتابه (فرنسا وتعليم البربر) ومارز تجافي كتابه (مغرب البربر) وسيكار في كتابه (الاسلام في الممتلكات الفرنسية) وأزار في مقالاته العديدة، وسوردون في كتبه عن (عوائد البربر) ولويس برينو في ابحاثه عن (مسألة التعليم في المغرب) ونزيد عليهم عضو الأكاديمية الفرنسية الكبرى لويس برطران في كثير من كتبه وعلى رأسها كتابه (أمام الاسلام) الذي نال فيه من كرامة مصر وسب فيه اخواننا المصريين سبا بذيئا

اتفق رأي هؤلاء كلهم ووراءهم جيش عظيم من القسيسين والمبشرين ، على ان اسلام البربر المغاربة انما هو إسلام سطحي، وانه لاسلطة له على أرواحهم ، وانهم أعداء ألداء للعرب والشريعة الاسلامية، وان ذكريات النصرانية لاتزال حية في نفوسهم، وانهم لايزالون يذكرون الحكم الروماني وسيادة القياصرة ، وأن عصيان البربر في العصر الاخير لملوك المغرب ليس له من سبب إلا تخوفهم من سلطة الشريعة الاسلامية

ولا يخفى ما في هذه النظرية السيئة السريرة من كذب وبهتان، وتحامل بعثته أهواء دنيئة تتعصب للمسيحية والاستعمار تعصباً شنيعاً . كأن أصحابها يرون أن تاريخ المغرب ينحصر في ولاية السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ ، التي كانت مضطربة أشد الاضطراب (٢) وينسون أو يتناسون أيام المغرب الزاهرة

(١) المنار : لتعلم جماعة شبان المغاربة وسائر المسلمين ان رئيس تحرير الاهرام يعلم كل ماذكروه من محاربة فرنسا للاسلام ويعلم اكثر منه ولكنه مغرور بجهل جمهور قراء الاهرام المسلمين فهو يحارب دينهم بقلمه مساعدة لفرنسة ولغير فرنسة، ويخدع اغرارهم بنشر مديح بعض منافقيهم له جزاء مدحه لهم ، ولكن سريرته قد ظهرت في هذا العهد

(٢) المنار : كان لفرنسة تأثير عظيم في هذا الاضطراب

تحت دول البربر، كالمرابطين والموحدين، فهاتان الدولتان العظيمتان لم تكتفيا بتعضيد الاسلام ونشر شريعته في المغرب فقط، بل ذهبتا لنشره وتعضيده في اسبانية والسنغال وأفريقية الشمالية كلها، ويتناسون أيضاً ان الدولة المرينية هي التي شيدت أجمل مدارس العلم وأفخمها في فاس ومكناس ومراكش وغيرها، وكذلك القصور البديعة التي يندهش السياح أمامها اليوم، فلماذا لم تقض هذه الدول البربرية - بما كان لها من السلطة والحرية - على الشريعة الاسلامية اذا كان البربر يبغضونها ويخشون سلطتها؟ بل ان أولئك الفرنسيين المتبعين للهوى المتعبدين للغرض تناسوا ولاية المولى اسماعيل إذ كان المغرب موحداً توحيداً تاما، وتناسوا ولاية المولى الحسن على قرب عهد الناس بها، ولكن هي الاغراض تعمي وتصم، ولو أردنا أن نقيم الأدلة التاريخية على إسلام البربر واخلاصهم للشريعة المحمدية لما وسعها المقام في هذا الرد الموجز

وقد اقترح أصحاب هذه النظرية الموظفون في الحكومة المغربية! عدة اقتراحات عملية بناء على نظريتهم الفاسدة من شأنها أن تبعد البربر من العرب والاسلام، وتبعثهم على الاخلاص لفرنسة والاندماج فيها، وترجعهم الى المسيحية «دين اجدادهم قبل الاسلام!!» (١) وهنا نلخص مقترحاتهم فيما يلي:

(١) يجب على فرنسة أن تبعد العربي عن البربري ما أمكن

(٢) يجب أن تفتح مدارس فرنسية بربرية يحظر فيها تعليم الاسلام والعربية

(٣) أن تغلق الكتاتيب القرآنية في القبائل البربرية وتعرقل على رؤساء الطرق الصوفية والوعاظ المسلمين وسائل الوصول الى هذه القبائل

(٤) تشجيع التبشير في القبائل ومنح اعانات مهمة للجمعيات التبشيرية والسعي في تسهيل أعمالها.

وآخر ماوصل اليه تفكير هؤلاء المقترحين اقتراح تأسيس محاكم عرفية لا يحكم فيها قضاة الاسلام ولا تطبق فيها الشريعة الاسلامية وانما تعتمد على عادات تكونت عند البربر في مدة ثورتهم على السلطان وخروجهم عن أحكامه، مع قوانين فرنسية أحدثت في المغرب لمصلحة الاستعمار، ولهذا تتكون ادارة تسمى «ادارة

(١) أي بزعم هؤلاء المضلين والحق انه لم يتنصر منهم في ذلك العهد الا الافلون

العدليـة البربرية » تقابل « وزارة الحقانية الاسلاميـة » وبهذا تستطيع فرنسة أن تبعد الاسلام من قبائل البربر الابعاد الاخير

ماذا كان موقف الحكومة الفرنسية إزاء هـذه المقترحات ؟ الواقع انها في أول الأمر لم يكن لها موقف واضح ، بل ان المارشال ليوطي - المقيم العام سابقا - كان يحبذ في كثير من الاحيان تعريب البربر ، ثم جاء بعده (ستيغ) فاستغوته النظرية البربرية ففتح مدارس فرنسية بربرية يتعلم فيها البربر كل شيء - كما قال (لوجلي) - إلا اللغة العربية والاسلام » وصارت لغة البربر تكتب فيها بالحروف اللاتينية بعد ما كانت تكتب بالحروف العربية ، ومن المعـلوم ان المسيو (ستيغ) بروتستنتي متعصب لمذهبه، فأجاب طلبات المبشرين البروتستانتيين واضطر أن يعين معهم الجمعيات الكاثوليكية ، ودخل بهذا العمل برنامج البربر في طور التنفيذ ، وصار المراقبون الفرنسيون في القبائل البربرية يمنعون تأسيس المساجد، ويعينون على اقامة الكنائس في عقر تلك القبائل التي لا يوجد فيها مسيحي واحد، ومنع فعلا تجول رؤساء الطرق الصوفية في تلك النواحي ، وأبعد منها أصحاب الكتانيب القرآنية ، وجعلت للعرب - سكان المدن وبعض القبائل - جوازات خاصة لا يتمكنون من السفر الى القبائل البربرية إلا بعد الحصول عليها بعد جهد جهيد ومشقة عظيمة ، وظلت حكومة فرنسة جادة في عملها وتنفيذ خطتها ضد الاسلام مجردة من كل عاطفة سامية أو شعور شريف ،

وكان المغاربة يعلمون نيتها ويلاحظون أعمالها متألمين من ذلك أشد الألم، غير ان عقلاءهم مطمئنون لاعتقادهم ان البربر سيظلون معتصمين بدينهم، وان علاقاتهم باخوانهم العرب لا يمكن انفصامها . بل ستجعلهم يستعربون حتما لان البربري لا يرى في العربي عدواً مبينا -- كما يدعي الفرنسيون - بل يرى فيه أخا مخلصاً في الوطنية والدين . يعيش كما يعيش ويفكر كما يفكر . ويُضطهد كما يُضطهد . ويشتركان في عداوة عدو واحد. وهؤلاء العقلاء لا يسلمون ان فرنسة ستعزل البربر بنوع من العزل بل يرون ان البرابرة لا يمكنهم الاخلاص لفرنسة مادامت فرنسة لابد من أن تفقرهم وتجردهم من كل ما يملكونه من ثروة وأرض ومال، وأن تعاملهم بأشد أنواع القساوة والطغيان

عند مارأت الحكومة الفرنسية انها أمكنها تنفيذ الفكرة السابقة بدون أن تلقى معارضة قوية من المغاربة ، ظنت ان الوقت مناسب لتنفيذ آخر اقتراح وصل اليه المشتغلون بالقضية البربرية من الفرنسيين ليكون «مسك الختام» في هذه القضية فأعلنت باسم السلطان المعظم أمراً عاليا (ظهير شريف) يقال انه وقع بطرق غير مشروعة يقضي منطوقا ومفهوما بعزل البربر - أكثرية البلاد الساحقة - عن بقية اخوانهم المسلمين، وتجريدهم رسمياً من شريعة القرآن . وبذلك يهدم في هذه البلاد أعظم شطر من الاسلام وهو الشطر التشريعي الاجتماعي لى حين يكفل سعي المبشرين هدم الشطر الآخر (وهو الروحي الاعتقادي) ولا يخفى ما في هذا «الظهير» من العدوان على الشعب المغربي المسلم، والمس بسيادة السلطان التي تحميها العهود الدولية ، وعهد الحماية الذي عقده المولى عبد الحفيظ بنفسه ، وأصدرت الاقامة العامة «دار المندوب السامي» بهذه المناسبة قراراً للصحف الاستعمارية في المغرب تهنيء فيه نفسها بهذا النجاح العظيم، ووصولها الى انقاذ البربر من قانون الاسلام.

هياج المغاربة على فرنسة لاجل ابربر ومقاومتهم بالقسوة

شاع هذا الخبر السيء في طول البلاد وعرضها وعم الاستياء في جميع نواحي المغرب، لا فرق بين المدن والقبائل ، أما في المدن فأخذ الناس يتجمهرون في المساجد يتلون صيغة مخصوصة يرددونها جماعات باصوات مرتفعة : انهم لا يرضون أبداً « أن يفرق بينهم وبين اخوانهم البربر » واتخذ الناس من أوقات صلاة الجماعة فرصة للقيام باعلان الاحتجاج والسخط العظيم ضد مشروع التمسيح (التنصير) الفرنسي الذي يريد أن يكتسح الاسلام من قلوب المغاربة المسلمين (١) فأمر ولاة الامور الفرنسيون ان تقفل تلك المساجد التي (أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) وفعلا أقفلت في مراكش وألقي القبض على ثلاثين شخصا في مدينة الدار البيضاء وزجوا في السجون، وعزل مؤذن وامام

(١) المنار: هذه الاخبار اجمال للرسائل التي جاءت من عدة بلاد من المغرب وكانت سبب اصدار البيان الاسلامي العام الذي نشرناه في هذا الجزء . وفيها ان الصيغة التي أعلنوا بها الخبر هي ما اعتادوه في أوقات الشدائد كالأوبئة والحروب من قولهم : يا لطيف الطف بنا فيما جرت به المقادير ، وتكرارها برفع الصوت ألوفا من المرار

مسجد من وظيفتهما في مدينة تطوان لسماحهما للمسلمين بالاجتماع في المسجد وقراءة صيغة الاحتجاج ، والحركة في الرباط وفاس وسلا كانت أقوى وأهم ، فقد وقع اجتماع كبير احتشد فيه ماينيف على ٧٠٠٠ شخص وألقيت فيه خطب تبين خطر الموقف الحاضر ، ولم يمض وقت يسير حتى زج من كان يخطب في السجن مع المجرمين

ووقع في فاس أعظم اجتماع من أجل هذه القضية انعقد في كلية القرويين (الجامعة الاسلامية الوحيدة في المغرب) وخطب في ذلك الجمع الحاشد خطيب بين المصيبة الكبرى ونتائجها الوخيمة على مستقبل الاسلام . وبعد ذلك خرجت تلك الجموع متجمهرة تتضرع الى الله تعالى وتوجهت الى المشهد الادريسي ضريح مولاي ادريس ـ حيث ألقيت الخطب الحماسية على الشعب وتليت آي الذكر الحكيم ، ومن هنالك خرج الجمهور متوجها لبيت شيخ الاسلام يطلب رأيه وموقفه في هذه المسألة الكبرى . وكانوا في طريقهم يرفعون أصواتهم هاتفين « لتحي شريعة الاسلام تحت راية الامام » وعند ماوصلوا الى دار الشيخ رجعوا متوجهين الى بيت حاكم المدينة « باشا فاس » وبلغهم وهم في الطريق ان أحد الخطباء ألقي عليه القبض ، ولما انتهوا الى بيت هذا الحاكم ومحكمته أمرهم أن يعينوا من بينهم وفداً خاصا يتقدم اليه ، وأمر المتظاهرين أن يتفرقوا فأبوا ، فأمر عساكره أن يستعملوا العصي في تفريقهم ، وأما الوفد فقد قابله الحاكم بالسب والاهانة ، وأمر بجلد أفراده مئات من الاسواط ، وكل ذلك بمحضر المندوب الفرنسي في المحكمة وبأمره الخاص ، مع أن أعضاء هذا الوفد كلهم من الاشراف والاعيان والتجار والمفكرين . ثم أمر بالقاء القبض على آخرين حتى بلغ عدد المقبوض عليهم مافوق الخمسين ودون المائة ، ألقوا جميعا في غيابات السجون ، وكان هذا التصرف المرهق من أهم الاسباب لاشتداد الحركة وارتفاع مقياس الحرارة وصار الناس يعلنون ان السلطان ـ الذي باسمه صدر هذا الامر ـ قد خالف شروط البيعة التي كان على رأسها « احترام الكتاب والسنة ومناصرة الاسلام » وأصبح مسؤولا عن هذه المخالفة « وقالوا » ان البيعة التي قدمت للسلطان هي باسم الشعب المغربي كله لافرق بين العرب والبربر ، فمن الواجب على السلطان اذن أن يطبق

شريعة الاسلام في القبائل البربرية كما يجب أن يطبقها على الآخرين ولو بالجبر ماداموا يعترفون بالاسلام دينا، على أن البربر يطالبون بان يحكم بينهم بالشريعة الاسلامية دون غيرها، ولم يعلنوا في يوم من الايام نفورهم من أحكام الاسلام

وقد أثارت هذه الحادثة في نفوس المغاربة ذكرى مصيبة الاندلس فان عدو الاسلام عند مادخل غرناطة تعهد أن يحترم الاسلام والمسلمين ، ولما استقر له الامر كان أول ماقام به هو القضاء على الاسلام . وأصبحوا يحدثون أنفسهم بأنه إذا كانت أغلبية سكان المغاربة من البربر الذين يراد اجبارهم على مفارقة اخوانهم المسلمين فسيصبح العرب اقلية ضئيلة في هذه البلاد، ولا يبعد أن تجبرهم فرنسة يوما ما على اتباع هذه القوانين التي وضعتها للبربر، والتي تجبر المغاربة جميعا على قبولها اليوم

مخاطبة الوفود للسلطان في مسألة البربر

وأما جلالة السلطان فقد كان مصطافا في فرنسة عندما كانت هذه الحوادث الكبرى تمثل في المغرب ، وكان للبلاد أمل عظيم في اوبته، وبمجرد قدومه اعدت وفود عظيمة فيها أكابر العلماء والاشراف والاعيان تألفت في فاس والرباط وسلا ، واتفقت جميع الوفود على مطالب واحدة تقدم باسم « الشعب المغربي المسلم» وكل مادة منها هي سعي الى استرجاع حقوق ضيعها على المغاربة ولاة فرنسة في المغرب ، وقد كان على رأس الوفد الفاسي أحد علماء المغرب المشاهير وأحد كبار الهيئة العلمية في كلية القرويين الشريف السيد عبد الرحمن بن القرشي وزير الحقانية سابقا . وعند ماتشرف بمقابلة جلالة السلطان خطب خطبة ضافية بصفته رئيساً للوفد ، بين فيها ما كان للبربر من سوابق عظيمة في إعلاء كلمة الاسلام ، والتضحية في سبيل إعزازه ، وبين أن الحكم بينهم كان بالشريعة الاسلامية في كل ادوار التاريخ ، مستنداً في ذلك الى حجج تاريخية مقنعة . فاجابه جلالة السلطان : « انه سيتامل في الامر وينظر في المسالة » وبمجرد ماشاع هذا الرد ورجع الوفد الى فاس من غير نتيجة معينة هاج الشعب هيجانا عظيما وأقفلت الاسواق ووقعت مظاهرات كبرى ، واصطدم البوليس مع الجمهور وسقط كثير في الطرقات والشوارع

وعلى اثر ذلك ألقي القبض على رئيس الوفد (ابن القرشي) وزير الحقانية فيما

قيل . وعلى رئيس الغرفة التجارية (ابن عبد السلام الحلو) احد أعضاء الوفد الكبار ، وظلت الحكومة تقبض وتسجن الى أن بلغ عدد المسجونين بهذه المناسبة نحو مائة وخمسين شخصاً ، كلهم من خاصة الامة وأعيانها . وبعد أن أودعتهم في سجن فاس رأت أنهم يستحقون أن يكونوا في سجن آخر فيه من انواع العذاب ماليس في سجن فاس ، فنقلتهم الى سجن تازة العسكري وحكمت عليهم بالسجن إلى أجل غير مسمى . وقد أشارت حتى الجرائد الفرنسية في باريس الى هذه الحادثة الاخيرة وذكرت بعض اسماء المسجونين

هياج البربر واعلانهم الاعتصام بالاسلام

اما القبائل البربرية نفسها فلا تسأل عما قامت به من الهيجان العظيم ، بل قد اقامت المناحات في كل جهة اظهاراً لاستيائها القوي مما يراد بها ، وتجمعت قبائل كثيرة حول المحاكم التي اقامتها فرنسة هناك وأعلنت الولاة الفرنسيين انها على الاسلام تحيا وعليه تموت ، ولم تكتف بذلك بل أرسلت وفوداً الى جلالة السلطان تطالبه بارسال القضاة الشرعيين، واقامة محاكم شرعية اسلامية على أساس متين ، وبينما جلالته يعدهم بارسال القضاة الشرعيين إذا بولاة فرنسة يسجنون جميع الافراد التي جاءت موفدة، ولا يكتفون بذلك بل يجبرون المديرين لتلك القبائل من المسلمين (العمال) على توقيع رسائل مضمونها شكر فرنسة والامتنان لها من هذا العمل المجيد ، ونحن نعرف أفراداً من هؤلاء امتنعوا من التوقيع على مثل هذه الرسائل فكان عقابهم أن يسجنوا في بيوت الادب (الكنف) وأن تسلط الايدي الفرنسية على وجوههم بالضرب واللطم حتى دميت تلك الوجوه

وهنا نجد الفرصة سانحة لعرض مطالب الشعب المغربي التي قدمتها وفود البلاد بصيغة واحدة وهي وحدها كافية في اطلاع اخواننا من أبناء الشرق على مظالم فرنسة وعدوانها على الاسلام في المغرب ، ففي كل مطلب احتجاج صارخ على عمل قامت به فرنسة ضد ذلك المطلب ، ولا يعقل أن يتجه شعب كامل إلى مطالب بعينها وهو حاصل عليها وانما يطلب ما كان مفقوداً، ولا تتجه رغبة شعب بأسره إلى هذه الناحية بخصوصها إلا بعد ما رأى أن كيانه ضائع، وان حياته آئلة الى الفناء ، وهي هذه :

مطالب الشعب المغربي المسلم

١ — احترام نفوذ جلالة السلطان بالايالة الشريفة وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية ، وذلك بجعل سائر الولاة المخزنيين (ولاة الدولة) من قضاة وقواد وباشاوات ومحتسبين ونظار وأمناء الاملاك مسئولين أمام الحكومة الشريفية (لا أمام غيرها من الموظفين الاجانب)

٢ — إصدار ظهير شريف بجعل سكان سائر الحواضر والبوادي خاضعين لحكم الشريعة الاسلامية

٣ — تنظيم المحاكم الشريفية وإصلاحها وتولية الاكفاء فيها سواء محاكم القضاة او محاكم الباشاوات والقواد والمحتسبين وتعميمها في سائر القطر المغربي لافرق في ذلك بين حواضره وبواديه

٤ — توحيد برامج التعليم في جميع المدارس التي تؤسس لتعليم الوطنيين في المدن أو في القبائل ، وتعميم اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، وتعميم التعليم الديني الاسلامي في كل هذه المدارس

٥ — احترام اللغة العربية — لغة البلاد الدينية والرسمية في جميع الادارات بالايالة الشريفية وكذلك في سائر المحاكم وعدم إعطاء أي لهجة من اللهجات البربرية أي صبغة رسمية ، ومن ذلك عدم كتابتها بالحروف اللاتينية

٦ — ايقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ، ومنعهم من التجول في القبائل والحضور في أسواقها ومواسمها ، وعدم السماح لهم بنشر أي شيء يمس بكرامة الاسلام وكرامة النبي ﷺ بأي نوع من أنواع النشر

٧ — عدم منح أي اعانة من ميزانية الدولة الشريفية أو اعطاء أي ملك من أملاك المخزن الشريف للجمعيات التبشيرية ، وللساعين في تشييد الكنائس وأندية التبشير في أطراف البلاد المغربية

٨ — عدم السماح للمبشرين باحداث ملاجئ للايتام واللقطاء المسلمين وإحداث مدارس صناعية وعلمية (كما يسمونها) للبنين والبنات ، والانفاق على

ذلك من المال المعد للمصالح العامة وأموال جماعة لمسلمين (كما هو مقرر في الشريعة الاسلامية) أما ماسبق تاسيسه من هذا النوع فإما أن تقوم به الحكومة الشريفية وإما ان يقفل، وعلى كل حال لاينبغي أن يبقى تحت نفوذ المبشرين

٩ — لا يعين الرهبان والمبشرون مدرسين في مدارس الحكومة الشريفية أو قائمين بادارتها

١٠ — عدم التعرض لفقهاء المكاتب والمشارطين لتعليم (اللغة العربية والقرآن الكريم بالقبائل) وإعطاء الحرية للوعاظ والعلماء وشيوخ الطرق الصوفية للتجول في الانحاء المغربية بقصد تعليم الناس أحكام دينهم وحثهم على شعائره

١١ — إسقاط جوازات التنقل بداخل الايالة المغربية (وخصوصا فيما بين المدن والقبائل البربرية) والاكتفاء بورقة التعريف الشخصية حتى لا يظل الحضري بعيداً عن أخيه البدوي، ويتعذر بذلك التفقه في الدين

١٢ — اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية - ماعدا الاجانب - تحت رعاية مولانا السلطان وسلطته، خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التي تؤسس باسمه الشريف، وكذلك اعتبار جميع المغاربة مسلمين — ماعدا يهود المغرب — بمعنى أنه لا توجد ملة ثالثة معترف بها للمغاربة الوطنيين

١٣ — منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في هذه القضية البربرية وعدم التعرض بسوء لكل من خاض فيها

وبعد فهذه هي مطالب الشعب المغربي التي يتعذب من أجلها عدد كبير من عظمائه وشيوخه وشبانه في غيابات السجون. وهذا هو الملخص البسيط الذي نقدمه لاخواننا الشرقيين عن حركة المغرب الكبرى التي تثير شعور العالم الاسلامي أجمع، وعلى رأسه الامة المصرية الكريمة، وجامعة الازهر الشريف معقل الاسلام وحصنه الحصين، والجمعيات الاسلامية المخلصة في مصر

فهل لمفوضية فرنسة في مصر أن تكذب هذه الحوادث التي ذكرناها تكذيباً صريحاً؟ وهل لها أن تقول ان فرنسة لا تأخذ من مالية المسلمين المغاربة ومن أحباسهم (أوقافهم) الاسلامية إعانة مهمة للجمعيات التبشيرية التي تنشرها في كل

أنحاء المغرب ؟ وهل تستطيع أن تنفي أن عدداً من المراقبين الفرنسيين على رأسهم المراقب المدني في قبيلة زمور منع البربر من بناء مسجدهم الاسلامي وأعان المبشرين على إقامة الكنيسة هنالك بدل المسجد ؟ وهل لها أن تكذب أن هذا المراقب نفسه ومراقب قبيلة بني نطير (إحدى القبائل البربرية) خطبا في دائرتي نفوذهما قائلين « ان العرب انما هم غزاة غرباء ، وان فرنسة انما أتت للمغرب رغبة في إنقاذ الشعب البربري من العرب وشريعتهم وسلطانهم » وهل لها ان تقول انه لا يوجد في القبائل البربرية مدارس فرنسية تجبر البرابرة على تسليم أولادهم اليها جبراً وهي خالية من الاسلام ومن العربية بل فيها تبغيض الاسلام للبربر والتنفير من العرب ؟

فما قول جريدة الاهرام المحترمة ؟ ومن ورائها مفوضية فرنسة ؟ هل تقول بعد هذا ان ما ينسب الى فرنسة لا يمكن يعتقده الا البسطاء السذج ! في معرض ردها على جمعية الشبان المسلمين التي تعرف الحقيقة وتساعد على نشرها لا تبغي من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً ، اللهم ان الحقائق واضحة لا يمكن أن ينكرها إلا من في قلبه مرض ، أو في صدره غرض

واخيراً نتقدم باسم الشعب المغربي الى الامة المصرية الكريمة وعلى رأسها رجال الازهر الشريف والمشتغلون بمسائل التدين والاسلام وقادة تفكير في مصر شاكرين مغتبطين على مشاركتنا الفعلية لنا في احزاننا واحتجاجاتنا ضد الحكومة الفرنسية العاتية ، ونود أن يظل الرأي العام المصري واقفاً على الحقيقة الواقعة في المغرب اليوم ، وأن يناصر الامة المغربية المسكينة في موقفها الجدي ضد فرنسة التي اعتدت على دينها ووحدتها ، كما اعتدت على جميع حرياتها ، فليس هنالك أكذب من ظالم ولا اصدق من مظلوم

ونتقدم الى اخواننا من ابناء الشرق الاسلامي وأممه راجين منهم أن يعينونا على نشر هذه الحقائق بين أممهم وأن يساعدونا على رفع احتجاجاتنا الصارخة الى العالم شرقيه وغربيه ، وأن يناصرونا ضد طغيان فرنسة ، ويعرفوا جميع الشرقيين بالموقف الحاضر في المغرب الاقصى . ولنا اقوى الامل في اجابتهم هذا الرجاء الصادر من أعماق قلوب شعب مظلوم ، وقيامهم بالواجب معنا جنبا لجنب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

الطلبة المغاربة بباريس

تهنئة للمنار ونقد واقتراح

من الاستاذ الفاضل وأحد دعاة الاصلاح بتونس صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الامام العلامة المصلح الكبير الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي الزاهر ، دام فضلكم وأبقاكم بدراً منيراً ، وكوكباً ساطعاً ، ونجما للمسلمين ، ورجماً للملحدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عدد مايشكركم شاكر ، ويذكر فضلكم ذاكر ، وبعد يسرني أن أتقدم لحضرتكم بغرر التهاني بمناسبة دخول المنار المحبوب الى عامه الجديد ، جعله الله سعيداً عليه وعليكم وعلى الجامعة الاسلامية بالتوفيق والهداية وبلوغ الآمال ، ونجاح الاعمال

نراكم يا سيدي العزيز تقومون بواجب عظيم في محاربة الملحدين الطائشين ، وتقفون لهم في كل سبيل ، فشكراً لكم وألف شكر على هذه العناية والجهاد في سبيل الله ، وان الملحدين لجديرون بأن تصوب اليهم الاقلام ، وتنزل على رءوسهم الصواعق ، فعندنا جريدة تدعو للالحاد ، وملحدون يقول أحدهم « ان محمداً كان رجلا استعماريا » ويندم آخر على مافرط منه في صغره من أداء الصلوات وحفظ القرآن . ويقول آخر ان الدين يلزم أن لايتعدى المسجد كما فعل م ... لعنه الله

والذي ألفت اليه نظركم السديد هو – وان عددتموه من باب (الانتماد على المنار) – الاهتمام بحركات الجامدين وجماعات الطرق الذين اتخذهم الغاصب آلة بيده يديرهم كيف شاء ومتى شاء لتشتيت شمل المسلمين ، ونشر دعايات المحتلين ، وماخيانتهم للامير محمد بن عبد الكريم إلا أكبر مثال على مالهؤلاء من اليد الطولى في التفريق وتأييد الظالمين

نعم سيدي ، اولئك جماعات الطرق الذين ينشرون الجهل ، ويبثون فساد الاخلاق ، ويعملون مع النصارى ضد المسلمين ، وأكاد أستغرب سكوت المنار على المؤتمر الافخاريستي الذي انعقد بتونس . وكان جديراً بأمثال المنار أن يؤازر تونس المقهورة ويضم صوته اليها في الاستغاثة من الذين يسعون في تصيير تونس الاسلامية كنيسة مسيحية ، ويؤازر أعمالهم الصادرة من أعماق الكنيسة رجال

السياسة عندنا ورجال الدين أيضاً ، إذ هم قبلوا العضوية وكانوا مع الزمان علينا بدل أن يصيحوا معنا ، ولكن ابتلينا بهم ولا راد لقضاء الله. ولولا ضيق وقتكم وكثرة أشغالكم وسعيي في عدم تفويت ثمين أوقاتكم عليكم لحدثتكم كثيراً عما يختلج بضميري من الحوادث التي تقع عندنا . ورغما عن منافاتها للدين الحنيف فان رجالا يقرونها بسكوتهم. وكذلك المصائب السياسية التي أمطرنا بها الاستعمار الظالم فانها لاتحصى ويكفي أن تلقي نظرة على أحوالنا فترى ما آل اليه أمرنا و(كبراؤنا) ينظرون ويطربون . وسيأتي يوم . . .

وأختم كلمتي هذه باقتراح نراه مع بساطته نافعاً ان شاء الله وهو أن تصدروا صحيفة أسبوعية مثل الفتح فاننا في حاجة اليها . وقد تزداد الحاجة يوما فيوما . وعسى أن تعملوا بهذا الاقتراح ومثلكم لا يحتاج الى تأكيد

سيدي قد وصلني السلام والثناء من حضرتكم مع الاستاذ طفيش ، فشكراً لكم على عواطفكم وهديتكم المستمرة وأدام فضلكم وكتب لكم الاعانة والسلام

من ابنكم المخلص — مصطفى بن شعبان

[المنار] نشكر لاخينا في الله تهنئته وحسن ظنه ، ونعجب لحضه إيانا على بيان مفاسد الجامدين ، ومشايخ الطريق الدجالين ، ومن ذا الذي سبقنا في العالم الاسلامي الى هذا أو لحقنا في ميدانه ، ولكن لايمكن أن نحصي في كل جزء ولا في كل مجلد من المنار كل مافي العالم الاسلامي من فساد وإلحاد، وكل مايرهقه به أعداؤه من ظلم واضطهاد ، ولعله لم يطلع إلا على المجلدات الاخيرة التي أكثرنا فيها الكلام في ملاحدة المسلمين ، لكثرتهم وإظهار دعايتهم في هذه السنين ، وهم أضر علينا من الخرافيين والمبشرين. وأما المؤتمر الافخارستي فلم يكتب لنا شيء في موضوعه إلا في هذا الشهر ، وأما اقتراحه علينا انشاء جريدة أسبوعية فقد اقترحه علينا غيره من قبله ولكن أوقاتنا لاتتسع له وليس لنا مساعد على أعمالنا الكثيرة . وأكثر محبي الاصلاح من علماء المسلمين وعقلائهم يقترحون علينا ترك كل عمل يعوقنا عن اتمام تفسير كتاب الله تعالى الذي يتضمن كل مايحتاجون اليه من بيان لحقيقة الدين ودفاع عنه، ولعلنا نفضل هذا الاقتراح على غيره قريبا والله الموفق .

الشيخ سليمان بن سحمان

وفاته وترجمته من جريدة أم القرى الغراء

نعت الينا أنباء نجد وفاة العالم العلامة المفضال الشيخ سليمان بن سحمان وهو من اكابر علماء نجد الاعلام ، توفاه الله في هذا الشهر عن عمر ناهز الثمانين عاما قضاها في الدرس والتأليف . وقد كان لنعيه رنة أسى وحزن في نجد جميعاً ولدى كل من عرف فضل الاستاذ وما آتاه الله من علم وفصل في الخطاب

ولد المرحوم في قرية (السقا) من أعمال ابها في عسير في الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجري ، وإلى ذلك يشير في إحدى قصائده :

وأرض بها علي نيطت تمائمي تسمى (السقا) دار الهداة أولي الامر
بلاد بني تمام حيث توطنوا وآل يزيد من صميم ذوي الفخر

وقد نشأ في قريته حتى راهق البلوغ ثم انتقل مع والده إلى بلد الرياض أيام الامام فيصل بن تركي رحمه الله ، وقد كانت حينذاك آهلة بالعلماء الاكابر فأخذ العلم عنهم لاسيما عن الامامين الجليلين : الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، والشيخ حمد بن عتيق . فبرع في كثير من العلوم وعلى الخصوص في علم التوحيد والفقه واللغة

ثم تولى الكتابة للامام عبد الله بن فيصل برهة من الزمن ، ثم استقال وتفرغ للعلم فدرس على علماء وقته امثال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخيه الشيخ ابراهيم ، وعمهما الشيخ اسحاق بن عبد الرحمن

وكان جميل الخط فاشتغل في نسخ كثير من الكتب الجليلة ، وقد كان هذا وابتعاده عن الناس اكبر مساعد له على الدرس والمطالعة

وكانت عنده كناشة كبيرة يجمع فيها ما يجده أثناء النسخ والمطالعة من المسائل الدقيقة والقضايا العويصة وكان يرجع اليها عند الحاجة . وكان ضليعا في اللغة العربية ، واقفا على اسرارها

وقد كان رحمه الله يميل الى السكون والابتعاد عن الشهرة، فكان زاهداً تقيا صادعا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم. وقد صنف المصنفات العديدة من نثر ونظم، أكثرها في الرد على أهل الزيغ والالحاد، منها:

(١) الاسنة الحداد، في الرد على الحداد (٢) الضياء الشارق، في رد شبهات الماذق المارق. ويريد به داعية التعطيل في هذا العصر: (جميل) صدقي الزهاوي (٣) تنبيه ذوي الالباب السليمة (٤) الهدية السنية (٥) إقامة الحجة والدليل (٦) تبرئة الشيخين (٧) الصواعق المرسلة (٨) إرشاد الطالب (٩) رسالة في الرد على أناس من الاحساء (١٠) رسالة في الرد على العلجي (١١) كشف غياهب الظلام (١٢) فتاوى

وغيرها من الكتب والردود. وقد جمع ورتب رسائل أستاذه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فبلغت نحو عشرين كراسة سماها (عيون الرسائل، والاجوبة على المسائل) وكان المرحوم شاعراً بليغا جمع قسما من قصائده وأشعاره في ديوانه المسمى (بعقود الجواهر المنضدة الحسان) وقد طبعت جميع كتبه على نفقة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم ووزعت على طلاب العلم مجانا

هذا ما اتصل بنا من ترجمة المرحوم الاستاذ رحمه الله تعالى، وفي الجملة فقد كان رحمه الله من سيوف الله المسلولة على أهل الزندقة والالحاد، وصاحب الحجة الدامغة في دفع الشبه والريب التي يذيعها أهل المروق من الدين، والذين كان يغريهم شياطين السياسة من المرتزقة المرذولين. وكان شديد الصراحة فيما يعتقد من الرأي، لم يعرف المحاباة في رأيه مدة حياته وهو في كل مجالسه حفياً بالسؤال عن كل ما يطبع من الكتب النافعة كما يحرص على اقتنائها. وقد كف بصره في آخر حياته ولكن ذلك لم يمنعه عن المطالعة والتأليف وتفقد الذين يطعنون في الاسلام وفي دين التوحيد الخالص لرد كيدهم الى نحورهم. وبهذا كان رحمه الله ركنا من أركان الدعوة الى الله، والسيف القاطع لمن يريد ان يصد الناس عن سبيل الله. فنسأل الله ان ينزل عليه غيث رحمته، وأن يوفق للعمل كي ينشأ كثيرون من طلبة العلم على منوال الشيخ المرحوم فلا تفقد نجد بهجة علمها وعلمائها.

الشيخ أبو بكر خوقير : وفاته وملخص ترجمته

فجأتنا أنباء الحجاز في الشهر الماضي بوفاة صديقنا العالم العامل المصلح الشيخ أبو بكر خوقير تغمده الله تعالى برحمته فننشر للقراء موجزاً من ترجمته كما علمناه من أصدق اخواننا واخوانه ، فنقول

هو أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر بن محمد علي خوقير . من بيت علم بمكة ولد فيها وتفقه أولا على مذهب الحنفية تبعا لآبائه ثم أن استاذه مفتي مكة الشيخ عبدالرحمن سراج الحنفي اشار عليه وعلى آخرين من طلبة العلم بان يتفقهوا في المذهب الحنبلي ليكون في علماء الحجاز من يتولي منصب الفتوى في هذا المذهب بدلا من علماء نجد الذين كانوا يتولونه لعدم وجود أحد من علماء الحنابلة في الحجاز ولم يكن هذا مما ترتاح اليه الحكومة العثمانية ولا أمراء الحجاز . فدرس الفقيه المذهب وتمكن فيه وفي مذهب السلف في العقائد . وقد عين مفتيا للحنابلة في أول إمارة الشريف حسين بن علي ولم يلبث ان غضب عليه فعزله وعين بدله أحد الشافعية فكان لا يفتي للحنابلة الا بعد مراجعته والاخذ بما يرشده اليه ، وجعله الشريف حسين عضوا في مجلس الشيوخ ثم عزله بعد سنة لاعتراضه على خوض محرر جريدة القبلة في تفسير القرآن بغير علم ، وكان الشريف نفسه هو الذي يفسر بعض الآيات برأيه في بعض المقالات التي ينشرها في تلك الجريدة وفي بعض بلاغاته الرسمية ايضا .

وقد امتحن وأوذي إيذاء شديداً جزاء له على انكار البدع والخرافات ولا سيما بدع القبوريين والمتصوفين ، حبس أولا ثمانية عشر شهرا ، ثم حبس ثانيا نحواً من سبعين شهراً في عهد الشريف حسين ، وحبس ولده الشيخ عبد القادر في سجن القبو الذي هو شر من سجن الحجاج بن يوسف وقد سبق وصفه في المنار فمات فيه صبراً ، وكان له ابن صغير فمات كمداً وقهراً ، وخرج الشيخ من سجنه لا مال له وانما كان يصيبه قليل من أوقاف الحرمين التي تأتي من الآستانة ومصر والشام والعراق . وكان قد اعتاد الاتجار بالكتب منذ عزله الشريف عون الرفيق من وظائف الحرم الشريف إذ كان غضب على الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة ورئيس العلماء فيها فعزله وعزل جميع رجاله من المفتين والمدرسين . وكان للفقيد منها افتاء الحنابلة وامامة الصلاة في مقام الحنابلة كما كان مدرساً . وكان يدعو للشريف عون بالرحمة لالجائه إلى تجارة الكتب التي تعينه على العلم ، فكان يذهب إلى الهند يحمل اليها من مطبوعات مصر ومكة ويعود منها ببعض مطبوعاتها إلى مكة ، وقد جلست اليه في مكتبته في باب السلام غير مرة ، وكان مهذبا رقيق الطبع حسن المعاشرة على شدته في دينه وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، حتى ان مجلسه لا يخلو من دعابة ما في المفاكهة ، ونكت ادبية وتاريخية وكان يحب سماع الاصوات الشجية ولا يرى بها بأسا

(للترجمة بقية)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

أنشئ ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوى «ومنارا» كمنار الطريق

(٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ هـ ٢٨ الميزان سنة ١٣١٠ هـ ش ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٣٠)

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٥٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا
وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٩) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ

كان المنافقون يرتقبون الفرص للصد عن الاسلام بالطعن على النبي ﷺ بالشبه التي يظنون انها توقع الريب في قلوب ضعفاء الايمان من الجانب الذي يوافق أهواءهم وقد كان منها قسمة الصدقات والغنائم . روى البخاري والنسائي ومصنفو التفسير المأثور عن أبي سعيد الخدري (رض) قال بينما النبي ﷺ يقسم قسما إذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال اعدل يارسول الله ، فقال « ويلك ومن

يعدل اذا لم أعدل؟ فقال عمر بن الخطاب (رض) ائذن لي فأضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » الحديث بطوله - قال (ابو سعيد) فنزلت فيهم (ومنهم من يلمزك في الصدقات) الآية . وروى ابن مردويه عن ابن مسعود (رض) قال لما قسم النبي ﷺ غنائم حنين سمعت رجلا يقول ان هذه قسمة ماأريد بها وجه الله ! فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فقال «رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر » ونزل (ومنهم من يلمزك في الصدقات) وروى سنيد وابن جرير عن داود بن أبي عاصم قال أتي النبي ﷺ بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت ورآه رجل من الانصار فقال ماهذا بالعدل، فنزلت هذه الآية . وهنالك روايات أخرى يدل مجموعها على أن هذا القول قاله أفراد من المنافقين، وكان سببه حرمانهم من العطية كما هو مصرح به في الآية، وانهم من منافقي الانصار ، وكان جميع المنافقين قبل فتح مكة من أهل المدينة وما حولها ولم يكن أحد منهم من المهاجرين لان جميع هؤلاء السابقين الاولين أسلموا في وقت ضعف الاسلام واحتملوا الايذاء الشديد في سبيل اسلامهم، ولا من الانصار الاولين كالذين بايعوا النبي ﷺ في منى وقد تقدم في الكلام على غزوة حنين من هذا الجزء سبب حرمان النبي ﷺ الانصار من غنائم هوازن ومن استاء منهم ومن تكلم وارضاء النبي ﷺ لهم (١) ولكن الآية نص في قسمة الصدقات فجعل الغنائم سببا لنزولها من جملة تساهلهم فيما يعدونه أسباب النزول. قال تعالى

﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات ﴾ اللمز مصدر لمزه اذا عابه وطعن عليه مطلقا او في وجهه ، وأما همزه همزاً فمعناه عابه في غيبته، وأصله العض والضغط على الشيء . والمعنى ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك ويطعن عليك في قسمة الصدقات وهي أنواع الزكاة المفروضة يزعمون انك تحابي فيها ﴿ فان أعطوا منها رضوا ﴾ وان لم يكن عطاؤهم باستحقاق كأن أظهروا الفقر كذبا واحتيالا أو كان لتأليف

(١) راجع ص ٢٠٧ ج ١٠ تفسير

قلوبهم ﴿ وإن لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ﴾ أي وإن لم يعطوا منها فاجأهم السخط او فاجؤك به وان لم يكونوا مستحقين للعطاء ، لانه لاهمّ لهم ولا حظ من الاسلام ، الا المنفعة الدنيوية كنيل الحطام . وقد عبر عن رضاهم بصيغة الماضي للدلالة على أنه كان يكون لاجل العطاء في وقته وينقضي ، فلا يعدونه نعمة يتمنون دوام الاسلام لدوامها ، وعبر عن سخطهم باذا الفجائية وبفعل المضارع للدلالة على سرعته و استمراره . وهذا دأب المنافقين وخلقهم في كل زمان ومكان ، سواء كان النفاق في الدين اوفي الدولة ،

﴿ ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ﴾ أي ولو انهم رضوا ما أعطاهم الله من فضله بما أنعم عليهم من الغنائم وغيرها ، وأعطاهم رسوله بقسمه للغنائم والصدقات كما أمره الله تعالى

﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ أي هو محسبنا وكافينا في كل حال ﴿ سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾ أي سيعطينا الله من فضله في المستقبل من الغنائم والكسب لان فضله دائم لا ينقطع ، ويعطينا رسوله مما يرد عليه من الغنائم والصدقات زيادة مما أعطانا من قبل

لا يبخس أحدا منا حقا يستحقه في شرع الله تعالى ﴿ انا الى الله راغبون ﴾ لا نرغب الى غيره في شيء ، لان بيده ملكوت كل شيء ، فاليه نتوجه ، ومنه نرجو أن يوسع أرزاقنا بما يوفقنا له من العمل ويهبه لنا من النصر – لكان خيراً لهم

الرغب بالتحريك يتعدى بنفسه يقال رغبه ، ويتعدى بفي يقال رغب فيه ، أي أحب حصوله له وتوجه شوقه الى طلبه ، ويتعدى بعن لضد ذلك فيقال رغب عنه ، ومنه (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) وأما تعديته بالى فهو بمعنى التوجه الى الغاية التي ليس بعدها غاية ، ولا ينبغي هذا الا لله تعالى اذا أريد بالغاية ما بعد الاسباب المعروفة للبشر وهو مقام التوكل ، ولذلك لم يقل انهم يقولون حسبنا الله ورسوله ، كما يقولون سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، فللرسول صلى الله عليه وسلم كسب في الايتاء بعد فضل الله تعالى ولكن المحسب الكافي هو الله وحده ، كما قال (أليس الله بكاف عبده ؟) وقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ولذلك استعمل في التنزيل بالصيغة الدالة على الحصر ، وما ثم الا هذه الجملة في هذه

السورة ومثلها في سورة الانبياء (انا الى ربنا راغبون) وقوله تعالى لرسوله في سورة الانشراح (والى ربك فارغب)

وانما حذف جواب الشرط للعلم به من القرينة، وتفصيل المعنى ولو انهم رضوا من الله بنعمته، ومن الرسول بقسمته، وعلقوا أملهم ورجاءهم بفضل الله وكفايته، وماسينعم به في المستقبل، وبعدل الرسول صلى الله عليه وسلم في القسمة، وانتهت رغبتهم في هذا وغيره الى الله وحده، لكان خيراً لهم من الطمع في غير مطمع، ولمز الرسول المعصوم من كل ملمز ومهمز، صلوات الله وسلامه عليه. والآيتان تهديان المؤمن الى القناعة بكسبه وما يناله بحق من صدقة ونحوها، ثم بان يوجه قلبه الى ربه، ولا يرغب الا اليه في شيء من رغائبه التي وراء كسبه وحقوقه الشرعية، لا الى الرسول ولا الى من دونه فضلا وعدلا وقربا من الله تعالى بالاولى، فتعسا لعباد القبور، والراغبين الى مادفن فيها في مهمات الامور،

(٦٠) إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

لما كان طمع البشر في المال لاحد له، وقد يكون الغني أشد طمعا فيه من الفقير، وكان ضعيف الايمان لا يرضيه قسمة الرسول المعصوم له اذا لم يعطه مايرضي طمعه، وكان غير المعصوم من أولياء الامور ومن الاغنياء عرضة لاتباع الهوى في قسمة الصدقات، بين الله تعالى مصارفها بنص كتابه فقال

﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ هذه الآية ناطقة بوجوب قصر الصدقات الواجبة وهي زكاة النقود عينا أو تجارة والانعام والزرع والزكاة والمعدن على الاصناف السبعة او الثمانية المنصوصة فيها دون غيرهم، وهي حجة على من لمز النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين بعدم اعطائهم منها - وهم ليسوا منهم - وقاطعة لاطماع أمثالهم، واللام في قوله (للفقراء) للملك وللاستحقاق وسياتي حكم سائر المعطوفات

وجمهور الفقهاء على أن الفقراء والمساكين صنفان مستقلان، وقد اختلفوا في تعريف كل منهما، مما ذهب به بعضهم إلى أن الفقير أسوأ حالا وأشد حاجة من المسكين وبعضهم إلى العكس، وجعلوا ذلك من تقاليد المذاهب التي يتعصب لها بعضهم على بعض. ويرى بعض العلماء المستقلين أنهما قسمان لصنف واحد يختلفان بالوصف لا بالجنس، وهو المختار لنا، ولم يجمع الذكر الحكيم بينهما إلا في هذه الآية ويكفي من دلالة العطف فيها على المغايرة ما اخترناه في تغايرهما في الوصف.

فالفقير في اللغة خلاف الغني ومقابله مقابلة التضاد كما يدل عليه قوله تعالى (إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما) وقوله (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) وقوله (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) والغني المطلق هو الله تعالى وكل عباده فقير اليه كما قال (والله الغني وأنتم الفقراء) وأما فقر الناس بعضهم إلى بعض فهو أمر نسبي، فما من غني الا وهو مفتقر إلى غيره ممن فوقه وممن دونه أيضا، ولكن ذكر الفقير في مقابلة الغني أو إطلاق ذكره يدل على المحتاج في معيشته الى مواساة غيره لعدم وجود ما يكفيه بحسب حاله، ويطلق الفقير في اللغة على الكسير الفقار ومن يشتكي فقاره - وهي جمع فقرة وفقارة (بفتحهما) عظام الظهر المنضودة من لدن الكاهل الى عجب الذنب في الصلب - وهذا هو المعنى الاصلي والمعنى الاول مأخوذ منه كما قيل. ومنه الفاقرة وهي الداهية او المصيبة التي تكسر فقار الظهر

وأما المسكين فمأخوذ من مادة السكون المراد به قلة الحركة والاضطراب الحسي أو النفسي من الضعف والعجز، او القناعة والصبر، وانما يطلق على الفقير إذا كان الفقر سبب سكونه. قال في الصحاح: المسكين الفقير وقد يكون بمعنى الذلة والضعف اه وقال بعضهم انه الفقير القانع الذي لا يسأل، وقيل خلاف ذلك، والاول أولى. وقالوا: ان لفظ المسكين يستعمل بمعنى الذليل والضعيف، وبمعنى المتواضع المخبت والخاشع لله تعالى، ومقابله الجعظري الجواظ المتكبر، وقال اللحياني: تمسكن لربه تضرع. وفي الحديث المرفوع «اللهم احيني مسكينا وتوفني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين» رواه ابن ماجه والحاكم من

حديث أبي سعيد الخدري (رض) وصححه وأقره الذهبي ولكن ضعفه النووي ، ورواه الترمذي من حديث انس بسند ضعيف . وفيه زيادة عند الحاكم وأخرى عند الترمذي وقد ثبت عنه ﷺ انه كان يستعيذ بالله من الفقر ، وقد امتن عليه ربه بقوله (ووجدك عائلا فأغنى) فلا يعقل مع هذا أن يسأله أشد الفقر ، وقد عاش ﷺ مكفيا ومات مكفيا

ويقال سكن الرجل وتسكن وتمسكن إذا صار مسكينا . ولكن صيغة تمسكن تدل على تكلف المسكنة ومحاولتها بالتخلق والتعود

وقال الفيروزأبادي: والمسكين من لاشيء له أو الفقير المحتاج . والمسكين من أذله الفقر أو غيره من الاحوال اهقال شارحه قال ابن عرفة : فاذا كانت مسكنته من جهة الفقر حلت له الصدقة وكان فقيراً مسكينا ، وإذا كان مسكينا قد أذله سوى الفقر فالصدقة لاتحل له ،إذ كان شائعا في اللغة أن يقال ضرب فلان المسكين وظلم المسكين - وهو من أهل الثروة واليسار - وإنما لحقه اسم المسكين من جهة الذلة فمن لم تكن مسكنته من جهة الفقر فالصدقة عليه حرام اه

فعلم من هذا كله أن الفقير في اللغة المحتاج وهو ضد الغني أي المكفي ما يحتاج اليه ، من الغناء (بالفتح) وهو الكفاية ، وان المسكين وصف من السكون يوصف به الفقير وغيره كما تقدم . وقد اختلف العلماء فيه هل هو أسوأ حالا وأشد حاجة من الفقير أو أحسن؟ ويقال في الترجيح بين القولين زيادة عما قلناه في الحديث آنفا - إما أن يكون المسكين في الآية صنفا مستقلا مباينا للفقير وإما أن يكون أخص منه لان المسكنة فيه وصف للفقير كما ذكر الوجهين ابن عرفة وغيره ، فان كان صنفا مستقلا وجب أن يكون غير فقير لان وصف المسكنة فيه لم يكن له بسبب فقره بل بتواضعه وأدبه مثلا كما هو المراد بدعاء النبي ﷺ الذي ذكرناه آنفا فكيف يكون أسوأ من الفقير في شدة الحاجة التي يستحق بها الصدقة ؟ وان كان أخص من الفقير بوصف المسكنة التي كان سببها الفقر فلا يظهر أن يكون المراد بها شدة الفقر وسوء الحال فيه لان ذكر الفقراء في هذه الحالة يغني عن ذكر المساكين لانه يشملهم بعمومه لهم ، ويكون استحقاق الشديد الفقر للصدقة أولى

من استحقاق من دونه فيه. فلا يصح في الكلام البليغ ان يقال أعط هذه الصدقة او أطعم هذا الطعام للفقراء ولأشد الناس فقراً ، لان ذكر أشدهم فقراً بعد ذكر الفقراء يكون لغواً إلا أن يراد به الاضراب عما قبله وحينئذ يقال بل لأشدهم فقراً ، ولا يظهر هنا إرادة التأكيد للاهتمام ، فترجح أو تعين أن يراد بالمساكين من جعلتهم مسكنة الفقر أقل اضطرابا فيه وأكثر تجملا وسكونا لخفته عليهم وعدم وصوله بهم إلى الدرجة التي لا تطاق ولا يمكن إخفاؤها بالتجمل ، ولا يرد على هذا قوله تعالى (أو مسكينا ذا متربة) لان شدة الحاجة الملصقة بالتراب لاتنافي التجمل والتعفف. ويدل على هذا قوله ﷺ « ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان ، انما المسكين الذي يتعفف ، اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وفي لفظ « ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » والحديث بلفظيه متفق عليه وهو صريح فيما اخترناه وإنما أطلنا في المسألة لتفنيد ما أطاله فيها كثير من المقلدين

فالفقراء في آية الصدقات هم المستحقون لها بفقرهم كما قال في آية سورة البقرة (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وكما قال في مال الفيء من سورة الحشر (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس إلحافا) ثم خص المساكين من الفقراء بالذكر لانهم ربما لا يفطن لهم لتجملهم

وقال النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن والياً وقاضياً « انك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، واني رسول الله ، فان هم أطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك فأعلمهم ان الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ، فان هم أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » رواه الجماعة كلهم من حديث ابن عباس (رض) وكرائم اموال الناس خيارها ونفائسها التي تضن الانفس بها ، فلا يجوز للحكام والعاملين على الصدقات أخذها في الصدقة لتعطى للفقراء ولا بالرشوة المحرمة بالاولى.

والمساكين يدخلون في عموم الفقراء في هذا الحديث وأمثاله كالآيات لغة، وحيث يذكر المسكين أو المساكين في القرآن يراد به ما يعم الفقراء بالتغليب أو بطريق الأولى إذ ورد ذلك في الامر بالاحسان بهم وفي كفارات الظهار واليمين وصيد الحرم والغنائم وصدقة التطوع ، فهما صنفان لجنس أو نوع واحد من المستحقين.
وجملة القول ان بين الفقير والمسكين عموما وخصوصاً وجهيا في اللغة ، وعموما وخصوصا مطلقا في استعمال الشرع للفظين في آية الصدقات الجامعة بينهما ، وحيث ذكر أحدهما وحده يراد به ما يعم الآخر ، فاللفظان مختلفان في مفهومهما متحدان فيما يصدقان عليه. وما يعطاه الفقير والمسكين من الصدقة يختلف باختلاف الاحوال ، ومقدار المال ، وهو خاص بالمسلمين بخلاف صدقة التطوع

﴿والعاملين عليها﴾ أي الذين يوليهم الامام أو نائبه العمل على جمعها من الاغنياء وهم الجباة ، وعلى حفظها وهم الخزنة ، وكذا الرعاة للانعام منها ، والكتبة لديوانها ، ويجب أن يكونوا من المسلمين ، يقال كان فلان عامل الامام أو السلطان على بلد كذا أو على الزكاة أو الخراج ، وفي الاساس : ويقال من الذي عمل (بالتشديد والبناء للمفعول) عليكم ؟ أي نصب عاملا عليكم اه وقال في أول المادة : تقول اعط العامل عمالته ، ووفه جعالتــه ، وهو بالضم فيهما جزاء العمل وأجرته المعينة . وقال الجوهري : رزق العامل على عمله ، ولا يشترط في العامل على الصدقات أن يكون مستحقا للصدقة بفقره مثلا ، ولكن إن وجد من هو أهل للعمل من المستحقين يكون أولى من غيره ، وإنما عمالته على عمله لا على فقره ، فان لم تكفه كان له أن يأخذ بفقره ما يأخذه أمثاله ، وإن كانت زائدة على حاجته أو كان غير محتاج فله أن يأكل منها ويتصدق ، وقد يجب عليه الزكاة بما يأخذه منها بشروطها من النصاب والحول ، وقد يستغنى عنه فيسقط سهمه

ولا تجوز العمالة لمن تحرم عليهم الصدقة من آل الرسول ﷺ وهم بنو هاشم بالاتفاق وكذا بنو المطلب. ودليله أن الفضل بن عباس والمطلب بن ربيعة بن عبد المطلب سألا النبي ﷺ أن يؤمرهما على الصدقات بالعمالة كما يؤمر الناس فقال لهما « ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ، انما هي أوساخ الناس » وفي لفظ « لا تنبغي » بدل « لا تحل » رواه أحمد ومسلم .

وروى أحمد والشيخان عن بسر بن سعيد أن ابن السعدي المالكي (١) قال: استعملني عمر على الصدقة فلما فرغت منها وأديتها اليه أمر لي بعمالة، فقلت: انما عملت لله فقال خذ ما اعطيت فاني عملت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعملني فقلت مثل قولك فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أعطيت شيئاً من غير أن تسأل فكل وتصدق »

﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ اي الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم بالاستمالة إلى الاسلام، أو التثبيت فيه، أو بكف شرهم عن المسلمين، أورجاء نفعهم في لدفع عنهم أو نصرهم على عدو لهم، لافي تجارة وصناعة ونحوهما. فان من يرى أن مخالفه في الدين مصدر نفع له يوشك أن يواده فان لم يواده لم يحاده كالعدو الذي يخشى ضرره ولا يرجو نفعه،

وذكر الفقهاء ان المؤلفة قلوبهم قسمان: كفار ومسلمون. والكفار ضربان والمسلمون أربعة فمجموع الفريقين ستة، وهذا بيانهم بالتفصيل والاختصار

(الاول) قوم من سادات المسلمين وزعمائهم لهم نظراء من الكفار اذا أعطوا رجي اسلام نظرائهم، واستشهدوا له باعطاء أبي بكر (رض) لعدي بن حاتم والزبرقان ابن بدر مع حسن اسلامهما لمكانتهما في أقوامهما

(الثاني) زعماء ضعفاء الايمان من المسلمين مطاعون في أقوامهم يرجى باعطائهم تثبيتهم وقوة ايمانهم ومناصحتهم في الجهاد وغيره كالذين اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم العطايا الوافرة من غنائم هوازن وهم بعض الطلقاء من أهل مكة الذين أسلموا فكان منهم المنافق ومنهم ضعيف الايمان، وقد ثبت اكثرهم بعد ذلك وحسن اسلامهم

(الثالث) قوم من المسلمين في الثغور وحدود بلاد الاعداء يعطون لما يرجى من دفاعهم عمن وراءهم من المسلمين اذا هاجمهم العدو. وأقول ان هذا العمل هو المرابطة وهؤلاء الفقهاء يدخلونها في سهم سبيل الله كالغزو المقصود منها

(الرابع) قوم من المسلمين يحتاج اليهم لجباية الزكاة ممن لا يعطيها الا بنفوذهم وتأثيرهم الا أن يقاتلوا فيختار بتأليفهم وقيامهم بهذه المساعدة للحكومة أخف الضررين وأرجح المصلحتين. وهذا سبب جزئي قاصر فمثله مايشبهه من المصالح العامة

(١) السعدي نسبة إلى بني سعد لان أباه استرضع فيهم والمالكي نسبة الى أحد أجداده

(الخامس) من الكفار من يرجى إيمانه بتأليفه واستمالته كصفوان بن أمية الذي وهب النبي صلى الله عليه وسلم له الامان يوم فتح مكة وأمهله اربعة اشهر لينظر في امره بطلبه وكان غائبا فحضر وشهد مع المسلمين غزوة حنين قبل ان يسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم استعار سلاحه منه لما خرج إلى حنين . وهو القائل يومئذ : لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من ان يربني رجل من هوازن . وقد أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم إبلا كثيراً محملة كانت في واد فقال : هذا عطاء من لا يخشى الفقر ، وروى مسلم والترمذي من طريق سعيد بن المسيب عنه قال : والله لقد اعطاني النبي صلى الله عليه وسلم وانه لأبغض الناس إلي ، فما زال يعطيني حتى انه لأحب الناس إلي . وأخرج الترمذي من طريق معروف بن خربوذ قال كان صفوان احد العشرة الذين انتهى اليهم شرف الجاهلية ووصله لهم الاسلام من عشرة بطون . وقال ابن سعد كان أحد المطعمين في الجاهلية والفصحاء . وقد حسن اسلامه

(السادس) من الكفار من يخشى شره فيرجى باعطائه كف شره وشر غيره معه قال ابن عباس ان قوما كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فان اعطاهم مدحوا الاسلام وقالوا هذا دين حسن ، وان منعهم ذموا وعابوا . وكان من هؤلاء سفيان بن حرب وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس الذين تقدم في قسمة غنائم هوازن من تفسير هذه السورة أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى كل واحد منهم مائة من الابل

وعن ابي حنيفة ان سهم هؤلاء قد انقطع باعزاز الله للاسلام وهو قول للشافعي . واحتجوا بما روي ان مشركا جاء يلتمس من عمر مالا فلم يعطه وقال (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولا حجة في هذا بل قد يكون في غير الموضوع اذ لم يقل أحد ان كل مشرك يعطى لتأليفه . وقالوا أيضاً ان عيينة بن حصن والاقرع بن حابس جاءا يطلبان من ابي بكر (رض) ارضا فكتب لهما خطا بذلك فمزقه عمر (رض) وقال هذا شيء كان يعطيكموه رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليفا لكم ، فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام وأغنى عنكم ، فان ثبتم على الاسلام والا فبيننا وبينكم السيف فرجعوا الى ابي بكر فقالوا : أنت الخليفة أم عمر ؟ بذلت لنا الخط ومزقه عمر — فقال هو إن شاء . فقد وافقه ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة.

وهذه الرواية لاتقتضي سقوط هذا السهم ، وانما ذلك اجتهاد من عمر بأنه ليس من المصلحة استمرار هذا التأليف لهذين الرجلين الطامعين وأمثالهما، بعد الأمن من ضرر ارتدادهما لو ارتدا، لان الاسلام قد ثبت في أقوامهما حتى انه لايترتب على قتلهما - لو ارتدا - أدنى فتنة

واحتجوا أيضاً بأنه لم ينقل أن عثمان وعلياً أعطيا أحداً من هذا الصنف ، وهذا لا يدل على سقوط السهم وانما هو خبر سلبي لا حجة فيه، وقصارى مايدل عليه ان الخليفتين لم يعرض لهما حاجة الى تأليف أحد من الكفار لذلك . وهو لاينافي ثبوته لمن احتاج اليه من الائمة بعدهما

وأما من ادعى انه منسوخ بالاجماع لما تقدم من عمل الخلفاء والسكوت عليه من سائر الصحابة فدعواه ممنوعة . لا الاجماع بثابت بما ذكر، ولا كونه حجة على نسخ الكتاب والسنة صحيحاً، وان اختلف فيه الاصوليون بما لا محل لذكره هنا

وقال الامام الشوكاني في نيل الاوطار . وقد ذهب الى جواز التأليف العترة والجبائي والباخي وابن بشر ، وقال الشافعي لا نتألف كافراً فاما الفاسق فيعطى من سهم التأليف . وقال ابوحنيفة وأصحابه قد سقط بانتشار الاسلام وغلبته ، واستدلوا على ذلك بامتناع ابي بكر من اعطاء إبي سفيان وعيينة والاقرع وعباس بن مرداس . والظاهر جواز التاليف عند الحاجة اليه ؛ فإن كان في زمن الامام قوم لايطيعونه الا للدنيا، ولا يقدر على ادخالهم تحت طاعته بالقسر والغلب، فله أن يتألفهم ولا يكون لفشو الاسلام تاثير لانه لم ينفع في خصوص هذه الواقعة اه وهذا هو الحق في جملته وانما يجيء الاجهاد في تفصيله من حيث الاستحقاق ومقدار الذي يعطى من الصدقات ومن الغنائم ان وجدت، غيرها من اموال المصالح، والواجب فيه الاخذ برأي أهل الشورى كما كان يفعل الخلفاء في الامور الاجتهادية . وفي اشتراط العجز عن ادخال الامام اياهم تحت طاعته بالغلب نظر، فان هذا لايطرد بل الاصل فيه ترجيح أخف الضررين وخير المصلحتين .

﴿وفي الرقاب﴾ اي وللصرف في اعانة المكاتبين من الارقاء في فك رقابهم من الرق الذي هو من أكبر الاصلاح البشري المقصود من رحمة الاسلام أو لشراء العبيد

من قن ومبعّض وغير ذلك وإعتاقهم. والمختار الجمع بينهما كما قال الزهري

قال في منتقى الاخبار عند ذكر الوارد في هذا الصنف: وهو يشمل المكاتب وغيره. وقول ابن عباس لا بأس أن يعتق من زكاة ماله. ذكره عنه أحمد والبخاري، وعن البراء بن عازب قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يقربني من الجنة ويبعدني من النار، فقال «أعتق النسمة وفك الرقبة» فقال يارسول الله أوليسا واحداً؟ قال «لا، عتق الرقبة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين بثمنها» رواه أحمد والدارقطني. وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة، كلٌّ حق على الله عونه: الغازي في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الاداء، والناكح المتعفف»[1] رواه الخمسة الا ابا داود اهو يعني بالخمسة: الامام احمد وأصحاب السنن الاربعة. قال الشوكاني: حديث البراء، قال في مجمع الزوائد رجاله ثقات، وحديث ابي هريرة، قال الترمذي حسن صحيح. ثم قال:

قد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى (وفي الرقاب) فروي عن علي بن أبي طالب وسعيد بن جبير والليث والثوري والعترة والحنفية والشافعية وأكثر أهل العلم ان المراد به المكاتبون يعانون من الزكاة على الكتابة. وروي عن ابن عباس والحسن البصري ومالك وأحمد بن حنبل وأبي ثور وأبي عبيد واليه مال البخاري وابن المنذر أن المراد بذلك انها تشترى رقاب لتعتق. واحتجوا بأنها لو اختصت بالمكاتب لدخل في حكم الغارمين لانه غارم، وبأن شراء الرقبة لتعتق أولى من اعانة المكاتب لانه قد يعان ولا يعتق، لان المكاتب عبد ما بقي عليه درهم، ولان الشراء يتيسر في كل وقت بخلاف الكتابة. وقال الزهري انه يجمع بين الامرين، واليه أشار المصنف وهو الظاهر لان الآية تحتمل الامرين. وحديث البراء المذكور فيه دليل على أن فك الرقاب غير عتقها، وعلى أن العتق واعانة المكاتبين على مال الكتابة من الاعمال المقربة من الجنة والمبعدة من النار اه وهو الحق

﴿ والغارمين ﴾ الظاهر ان هذا معطوف على قوله للفقراء والمساكين لانه صرف لأشخاص موصوفين، لا على ما قبله، أي وللغارمين، وهم الذين عليهم غرامة من

(١) أي مريد الزواج للتعفف بالاحصان

المال بديون ركبتهم وتعذر عليهم أداؤها ، واشترط الفقهاء ان تكون الديون في غير معصية لله تعالى الا اذا علم ان الغارم تاب الى الله تعالى وفي غير إسراف وسفاهة الا اذا رشد فكانت مساعدته من الصدقة عونا له على رشده . وكذا الغارمون لاصلاح ذات البين ، وقد كانت العرب اذا وقعت بينهم فتنة اقتضت غرامة في دية او غيرها قام احدهم فتبرع بالتزام ذلك والقيام به حتى ترتفع تلك الفتنة الثائرة ، وكانوا اذا علموا ان احدهم التزم غرامة او تحمل حمالة بادروا الى معونته على ادائها وان لم يسأل ، وكانوا يعدون سؤال المساعدة على ذلك فخراً ، لاضعة وذلا

عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان المسئلة لاتحل إلا لثلاثة : لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مفظع ، أولذي دم موجع » رواه أحمد وأبو داود . وعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال : تحملت حمالة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال « أقم حتى تاتينا الصدقة فنامر لك بها - ثم قال - ياقبيصة ان المسئلة لاتحل الا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال - سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسئلة ، حتى يصيب قواما من عيش - أو قال - سداداً من عيش ، فما سواهن من المسئلة ياقبيصة فسحت ياكلها صاحبها سحتا » رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود

﴿ وفي سبيل الله ﴾ هذا معطوف على قوله (وفي الرقاب) لاعلى ماقبله لانه صرف في مصلحة عامة لا لأشخاص مستهم الحاجة . والسبيل الطريق وسبيل الله الطريق الاعتقادي العملي الموصل الى مرضاته ومثوبته كما تقدم مراراً . ولكثرة اقتران الجهاد والقتال الديني في القرآن بكونه في سبيل الله اتفقت المذاهب على أن الغزاة والمرابطين هم المقصودون بهذا الصنف من مستحقي الصدقات إما وحدهم وهو قول الجمهور ، وإما مع غيرهم مما يشمله عموم الاضافة في سبيل الله ، وهو المتبادر من إطلاق اللفظ . وقد جاء في التنزيل ذكر الهجرة في سبيل الله والضرب (أي السفر) في سبيل الله والانفاق في سبيل الله والمخمصة (أي المجاعة) في سبيل الله . وروي عن ابن عمر

(رض) ان المراد بأصحاب هذا السهم هنا : الحجاج والعمار ، وروي عن أحمد واسحاق بن راهويه انهما جعلا الحج من سبيل الله

وفي كتاب المقنع -من أشهر كتب الحنابلة- في عد الاصناف مانصه (السابع) في سبيل الله وهم الغزاة الذين لاديوان لهم . ولا يعطى منها في الحج ، وعنه (أي الامام أحمد) يعطى الفقير قدر مايحج به الفرض أو يستعين به فيه اه وقد ضعف فقهاء الحنابلة هذه الرواية بانها خلاف المتبادر وهو ان الفقير انما يعطى لفقره مايسد به حاجته وحاجة من يمونه ممن تجب عليه نفقتهم، والحج غير واجب عليه

ومذهب الشافعية كمذهب الحنابلة في ان سهم سبيل الله للغزاة غير المرتبين في ديوان السطان سواء أكانوا اغنياء ام فقراء ونص الشافعي في الام : ويعطى في سبيل الله جل وعز من غزا من جيران الصدقة فقيرا كان او غنيا ولا يعطى منه غيرهم الا ان يحتاج الى الدفع عنهم فيعطاه من دفع عنهم المشركين اه وانما اشترط جيران الصدقة لانه لايجوز عنده نقل الزكاة الى أبعد من مسافة القصر

وقال الألوسي في تفسير الكلمة عند الحنفية : أريد بذلك عند أبي يوسف منقطعو الغزاة والحجيج . وقيل المراد طلبة العلم واقتصر عليه في الفتاوى الظهيرية وفسره في البدائع بجميع القرب فيدخل فيه كل سعي في طاعة الله وسبل الخيرات . قال في البحر ولا يخفى ان قيد الفقر لابد منه على الوجوه كلها ، فحينئذ لا تظهر ثمرته في الزكاة ، وانما تظهر في الوصايا والاوقاف اه ونقول انه بهذا القيد أبطل كون سبيل الله صنفا مستقلا إذ أرجعه إلى الصنف الاول وهم الفقراء والمساكين اه

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في أحكام القرآن : قوله (وفي سبيل الله) قال مالك سبل الله كثيرة ولكني لاأعلم خلافا في ان المراد بسبيل الله ههنا الغزو من جملة سبيل الله (هكذا) إلا مايؤثر عن أحمد واسحاق فانهما قالا : انه الحج . والذي يصح عندي من قولهما ان الحج من جملة السبل مع الغزو لانه طريق بر فأعطي منه باسم السبيل ، وهذا يحل عقد الباب ، ويخرم قانون الشريعة ، وينثر سلك النظر ، وما جاء قط باعطاء الزكاة في الحج أثر . وقد قال علماؤنا : ويعطى منها الفقير بغير خلاف لانه قد سمي في أول الآية ، ويعطى الغني عند مالك بوصفه

سبيل الله تعالى كان غنيا(١) في بلده أو في موضعه الذي يأخذ به لا يلتفت الى غير ذلك من قوله الذي يؤثر عنه، قال النبي ﷺ « لا تحل الصدقة الا لخمسة : غاز في سبيل الله » (٢) وقال أبو حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان فقيراً . وهذه زيادة على النص وعنده أن الزيادة على النص نسخ ولا نسخ في القرآن الا بقرآن مثله أو بخبر متواتر . وقد بينا انه فعل مثل هذا في الخمس في قوله (ولذي القربى) فشرط في قرابة رسول الله ﷺ الفقر وحينئذ يعطون من الخمس وهذا كله ضعيف حسبما بيناه . وقال محمد بن عبد الحكم : يعطى من الصدقة في الكراع والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الحرب وكف العدو عن الحوزة لانه كله من سبيل الغزو ومنفعته، وقد اعطى النبي ﷺ من الصدقة مائة ناقة في نازلة سهل بن أبي حثمة إطفاء للثائرة اهـ

وما قاله مالك وابن عبد الحكم من أصحابه من التعبير بالغزو بدل الغزاة ، ومن الصرف في السلاح والكراع الخ هو الحق الظاهر من كون هذا السهم في المصلحة العامة لا لأشخاص الغزاة

وقال السيد حسن صديق في فتح البيان وهو على مذهب أهل الحديث المستقلين - بعد ذكر قول الجمهور انهم الغزاة والمرابطون وإن كانوا أغنياء ، وبعد ذكر الرواية المتقدمة عن ابن عمر وعن أحمد واسحق مانصه : وقيل ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على نوع خاص ويدخل فيه جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك . والاول أولى لاجماع الجمهور عليه اهـ

وقال في الروضة الندية : ومن جملة سبيل الله الصرف في العلماء الذين يقومون بمصالح المسلمين الدينية فان لهم في مال الله نصيباً سواء كانوا اغنياء اوفقراء . بل الصرف في هذه الجهة من اهم الامور لان العلماء ورثة الانبياء وحملة الدين وبهم تحفظ بيضة الاسلام وشريعة سيد الانام، وقد كان علماء الصحابة يأخذون من العطاء مايقوم بما يحتاجون اليه مع زيادات كثيرة يتفوضون بها في قضاء حوائج من يرد عليهم من الفقراء وغيرهم والامر في ذلك مشهور . ومنهم من كان يأخذ

(١) كذا في الاصل المطبوع ولعل اصله سواء كان غنيا الخ

(٢) كذا في الاصل المطبوع ولعله سقط منه لفظ الحديث

زيادة على مائة ألف درهم، ومن جملة الاموال التي كانت تفرق بين المسلمين على هذه الصفة الزكاة وقد قال ﷺ لعمر لما قال له يعطي من هو أحوج منه « ما أتاك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك » كما في الصحيح والامر ظاهر اه

اقول: ما ذكره السيد رحمه الله تعالى هنا غير ظاهر على إطلاقه وحديث عمر (رض) يفسره حديث ابن السعدي الذي تقدم في بحث العاملين على الصدقات وهو انه كان عمالة كما رجحه بعضهم، ورجح آخرون ان المراد به العطاء من بيت المال كالغنائم، وفيه ان عمر لم يكن غنيا كما هو معروف ولفظ الحديث صريح فيه. والحديث متفق عليه من حديث ابن عمر قال سمعت عمر يقول كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فاقول اعطه من هو أفقر اليه مني، فقال « خذه ، اذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك »

قال الحافظ في شرحه من الفتح : قال الطحاوي ليس معنى هذا الحديث في الصدقات وانما هو في الاموال التي يقسمها الامام، وليست هي من جهة الفقر ولكن من الحقوق، فلما قال عمر أعطه من هو أفقر اليه مني لم يرض بذلك لانه انما أعطاه لمعنى غير الفقر. قال ويؤيده قوله في رواية شعيب « خذه فتموله » فدل ذلك على أنه ليس من الصدقات

وقال الطبري اختلفوا في قوله « فخذه » بعد اجماعهم على انه أمر ندب فقيل هو ندب لكل من أعطي عطية أبى قبولها كائنا من كان، وهذا هو الراجح، يعني بالشرطين المتقدمين، وقيل هو مخصوص بالسلطان، ويؤيده حديث سمرة في السنن « الا أن يسأل ذا سلطان » وكان بعضهم يقول: يحرم قبول العطية من السلطان وبعضهم يقول يكره، وهو محمول على ما اذا كانت العطية من السلطان الجائر، والكراهة محمولة على الورع وهو المشهور من تصرف السلف والله أعلم. والتحقيق في المسئلة ان من علم كون ماله حلالا فلا ترد عطيته، ومن علم كون ماله حراما فتحرم عطيته، ومن شك فيه فالاحتياط رده وهو الورع، ومن أباحه أخذ بالاصل . قال ابن المنذر واحتج من رخص فيه بان الله تعالى قال في اليهود

(سماعون للكذب أكالون للسحت) وقد رهن الشارع درعه عند يهودي مع علمه بذلك، وكذلك أخذ الجزية منهم مع العلم بان أكثر أموالهم من ثمن الخمر والخنزير والمعاملات الفاسدة. وفي حديث الباب ان للامام أن يعطي بعض رعيته اذا رأى لذلك وجها وان كان غيره أحوج اليه منه، وان رد عطية الامام ليس من الادب ولا سيما من الرسول ﷺ لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) الآية اه

(أقول) وأما السنة في هذا السهم فقد روى أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الخدري (رض) قال قال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة: لعامل عليها، أو رجل اشتراها بماله، أو غارم، أو غاز في سبيل الله، أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى لغني منها » ورواه مالك في الموطا من مرسل عطاء بن يسار وهي احدى روايتي ابي داود. واسناد من اسنده زيادة يجب الاخذ بها، وقد أسنده معمر وسفيان الثوري

وروى أحمد من حديث ابي لاس الخزاعي قال حملنا رسول الله على ابل من الصدقة الى الحج — وروى عن ام معقل الاسدية ان زوجها جعل بكراً في سبيل الله وانها أرادت العمرة فسألت زوجها البكر فأبى فأتت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فأمره ان يعطيها وقال رسول الله ﷺ « الحج والعمرة في سبيل الله » ورواه بنحوه اصحاب السنن، وهو ضعيف وفي اسناده مجهول، ويعارضه ما رواه ابو داود من طريق محمد بن اسحق عن ام معقل قالت: لما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وكان لنا جمل فجعله أبو معقل في سبيل الله وأصابنا مرض وهلك ابو معقل وخرج النبي ﷺ، فلما فرغ من حجته جئته فقال « يا ام معقل ما منعك ان تخرجي؟ » قالت لقد تهيأنا فهلك ابو معقل، وكان لنا جمل هو الذي يحج عليه فاوصى به ابو معقل في سبيل الله، فقال « فهلا خرجت عليه فان الحج من سبيل الله؟ » وهذا ضعيف أيضا لا للخلاف في ابن اسحق بل لانه مدلس، وقد عنعن هنا، ومن وثقه يردون ما عنعن فيه لتدليسه

واقول من جهة المعنى — اولا — ان جعل ابي معقل جمله في سبيل الله أو وصيته

به صدقة تطوع وهي لايشترط فيها ان تصرف في هذه الاصناف التي قصرتها عليها الآية — وثانياً — ان حج امرأته عليه ليس تمليكا لها يخرج الجمل عن ابقائه على ما اوصى به ابو معقل . ويقال مثل هذا في حديث ابي لاس — ثالثا — ان الحج من سبيل الله بالمعنى العام للفظ، والراجح المختار انه غير مراد في الآيه

ويأتي ههنا تحرير المراد من هذا العموم : اما عموم مدلول هذا اللفظ فهو يشمل كل امر مشروع أريد به مرضاة الله تعالى باعلاء كلمته وإقامة دينه وحسن عبادته ومنفعة عباده ، ولا يدخل فيه الجهاد بالمال والنفس إذا كان لاجل الرياء والسمعة . وهذا العموم لم يقل به أحد من السلف ولا من الخلف ولا يمكن أن يكون مراداً هنا ، لان الاخلاص الذي يكون به العمل في سبيل الله أمر باطني لا يعلمه الا الله تعالى ، فلا يمكن أن تناط به حقوق مالية دولية ، و اذا قيل ان الاصل في كل طاعة من المؤمن أن تكون لوجه الله تعالى فيراعى هذا في الحقوق عملا بالظاهر — اقتضى هذا أن يكون كل مصل وصائم ومتصدق وتال للقرآن وذاكر لله تعالى ومميط للاذى عن الطريق مستحقا بعمله هذا الزكاة الشرعية فيجب أن يعطى منها ويجوز له أن يأخذ وان كان غنياً ، وهذا ممنوع بالاجماع أيضا ، وإرادته تنافي حصر المستحقين للصدقات في الاصناف المنصوصة لان هذا الصنف لا حد لجماعاته فضلا عن أفراده ، واذا وكل أمره الى السلاطين و لامراء تصرفوا فيه بأهوائهم تصرفا تذهب به حكمة فرضية الصدقة من أهلها

(فان قيل) نخصص العموم بما رواه أحمد — وقال ما أجوده من حديث — وأبو داود والنسائي بأسانيد صحيحة كما قال النووي — عن عبد الله بن عدي بن الخيار أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر ورآهما جلدين فقال « ان شئتما أعطيتكما ولاحظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب » وبحديث أبي سعيد المتقدم آنفا (قلنا) ان هذا ليس تخصيصاً لعموم « سبيل الله »

والتحقيق ان سبيل الله هنا مصالح المسلمين العامة التي بها قوام أمر الدين والدولة دون الافراد وان الحج ليس منها لانه واجب على المستطيع دون غيره ، وهو من الفرائض العينية بشرطه كالصلاة والصيام لا من المصالح الدينية الدولية

وسيأتي بيانه بشيء من التفصيل

﴿ وابن السبيل ﴾ اتفقوا على انه المنقطع عن بلده في سفر لا يتيسر له فيه شيء من ماله ان كان له مال، فهو غني في بلده، فقير في سفره، فيعطى لفقره العارض ما يستعين به على العودة الى بلده، وهو من عناية الاسلام بالسياحة بالاعانة عليها ولا يعرف مثله في دين ولا شرع آخر - واشترطوا أن يكون سفره في طاعة أو في غير معصية على الاقل، ولكن اختلفوا في السفر المباح كالتنزه لا الاستشفاء، وانما أخذ هذا الشرط من قواعد الدين العامة كالتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الاثم والعدوان، ومن الطاعة في السفر كونه بقصد توخي ما أرشد اليه الوحي من النظر في آيات الله وسننه في الامم كما فصلناه في الاصلين ١٣ و ١٤ من خلاصة تفسير سورة الانعام (ص ٨٩ ج ٨ تفسير) وقلما يوجد غني يسافر في أمصار الحضارة في هذا العصر لا يقدر على جلب المال من بلده الى بلد آخر

﴿ فريضة من الله ﴾ أي فرض الله لهم ذلك، أو هذه الصدقات فريضة منه تعالى فليس لأحد فيها رأي، أو تقدير الكلام انما الصدقات لمن ذكر من اصناف المحتاجين

وفيما ذكر من مصالح الامة حال كونها مفروضة لهم من الله تعالى ﴿ والله عليم حكيم ﴾ عليم بحال عباده ومصالحهم، حكيم فيما يشرعه لهم، فهو لتطهير أنفسهم وتزكيتها بما يحمل عليها من الاخلاص والشكر له وإرضائه بنفع عباده كما قال فيما سيأتي في هذه السورة (١٠٣ - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وهو حجة على نفاة المصالح في أفعال الله وأحكامه

هذا ما فتح علينا في معنى الآية ونعززه بمباحث في نظمها وأحكامها وحكمها ومدارك الأئمة وما تقتضيه مصالح الامة وحالة هذا العصر فيها فنقول:

(١) مصارف الصدقات قسمان: أشخاص ومصالح

علم مما تقدم ان مصارف الصدقات في الآية قسمان (أحدهما) أصناف من الناس يملكونها تمليكا بالوصف المقتضي للتمليك وعبر عنه بلام الملك (وثانيهما) مصالح عامة اجتماعية ودولية لا يقصد بها أشخاص يملكونها بصفة قائمة فيهم وعبر

عنه بفي الظرفية وهو قوله تعالى (وفي الرقاب) وقوله (وفي سبيل الله) ولاول الفقراء والمساكين يستحقونها بفقرهم ما داموا فقراء — والعاملون عليها يستحقونها بعملهم وان كانوا اغنياء، والمؤلفة قلوبهم يستحقها منهم من ثبت عند أولي الامر الحاجة الى تأليفه — والغارمون بقدر ما يخرجهم من غرمهم، وابن السبيل بقدر ما يساعده على العود الى أهله وماله . وهذا في معنى الفقير ولكن قد يكون فقره عارضا بسبب السياحة — والقسم الثاني فك الرقاب وتحريرها وهي مصلحة عامة في الاسلام، وليس فيها تمليك لأشخاص معينين بوصف فيهم — وفي سبيل الله وهو يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التي هي ملاك امر الدين والدولة وأولها وأولاها بالتقديم الاستعداد للحرب بشراء السلاح وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز الغزاة، وتقدم مثله عن محمد بن عبد الحكم . ولكن الذي يجهز به الغازي يعود بعد الحرب الى بيت المال ان كان مما يبقى كالسلاح والخيل وغير ذلك، لانه لا يملكه دائماً بصفة الغزو التي قامت به بل يستعمله في سبيل الله ويبقى بعد زوال تلك الصفة منه في سبيل الله، بخلاف الفقير والعامل عليها والغارم والمؤلف وابن السبيل فانهم لا يردون ما أخذوا بعد فقد الصفة التي أخذوه بها . ويدخل في عمومه انشاء المستشفيات العسكرية والخيرية، واشراع الطرق وتعبيدها ومد الخطوط الحديدية العسكرية لا التجارية . ومنها بناء البوارج المدرعة والمناطيد والطيارات الحربية والحصون والخنادق

ومن أهم ما ينفق في سبيل الله في زماننا هذا إعداد الدعاة الى الاسلام وإرسالهم الى بلاد الكفار من قبل جمعيات منظمة تمدهم بالمال الكافي كما يفعله الكفار في نشر دينهم . وقد بينا تفصيل هذه المصلحة العظيمة في تفسير قوله تعالى (٣: ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) الآية [١] ويدخل فيه النفقة على المدارس للعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة . وفي هذه الحالة يعطى منها معلمو هذه المدارس ما داموا يؤدون وظائفهم المشروعة التي ينقطعون بها عن كسب آخر . ولا يعطى عالم غني لاجل علمه وان كان يفيد الناس به

(١) راجع ص ٢٥ — ٣٥ ج ٤ تفسير

والترتيب في هذه الاصناف لبيان الاحق فالأحق للصدقات على القاعدة الغالبة عند فصحاء العرب في تقديم الأهم فالأهم على ما دونه في الموضوع، وان كانت الواو لاتفيد الترتيب في معطوفاتها ، فالفقراء والمساكين أحق من غيرهم بهذه الصدقات ، لانهم المقصودون بها أولا وبالذات ، بدليل الحديث المتقدم « تؤخذ من اغنيائهم فترد في فقرائهم » ويليهم العاملون عليها لانهم هم الذين يقومون بجمعها وحفظها ، وقال بعض الفقهاء : انهم أول من يعطى عمالته منها الا اذا كان لهم رواتب من بيت المال او رأى ولي الامر اعطاءهم عمالتهم منه، ويليهم المؤلفة قلوبهم عند الحاجة اليهم وهم يعطون من الغنائم أيضا ، فالحاجة اليهم عارضة لا كالعاملين على الصدقات ، ويليهم مصلحة فك الرقاب والعتق وهي من المصالح الاجتماعية الكمالية لاالضرورية ، فان تأخيرها لايرهق معوزاً كالفقير، ولايضيع مصلحة تشتد الحاجة اليها كتأليف القلوب، ويليها مساعدة الغارم على الخروج من غرمه، فهو دون مساعدة الرقيق على الخروج من رقه، ويليهم المصلحة العامة المعبر عنها بسبيل الله، فهي من قبيل العام الذي يراد به ماوراء ذلك الخاص مما قبلها الذي تكثر الحاجة اليه. وأما ابن السبيل فهو دون جميع ما قبله لندرة وجوده

ولولا إرادة الترتيب لذكر المستحقون من الافراد بأوصافهم التي اشتقت منها ألقابهم نسقا (وهم الفقراء والمساكين والعاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون وابن السبيل) ثم ذكرت بعدهم المصالح الذي أدخل عليها « في » وهي الرقاب وسبيل الله

وليس المراد من هذا الترتيب أن كل صنف يحجب مادونه حجب حرمان أو نقصان كترتيب الوارثين، وانما يظهر اعتباره في حال قلة المال، فالمتجه حينئذ انه يقدم فيه الاهم وهو الفقراء والمساكين ولكن بعد سهم العاملين عليها ان كانوا هم الذين جمعوها ولم ير الامام اعطاءهم عمالتهم من بيت المال ، وسياتي ذكر خلاف العلماء في قسمتها في المسالة الثالثة من هذه المباحث

هذا مانفهمه من الآية عند قراءتها ، ولكننا بعد أن كتبنا مافهمناه راجعنا الكشاف الذي يعنى بهذه النكت الدقيقة فرأينا له رأيا آخر في نكتة اختلاف التعبير من حيث تقسيم الاصناف الى القسمين يخالف رأينا من بعض الوجوه قال :

(فان قلت) لم عدل عن اللام الى «في» في الاربعة الاخيرة ؟ (قلت) ايذاناً بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان «في» للوعاء فنبه على انهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق والاسر . وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال . وتكرير «في» في قوله (وفي سبيل الله وابن السبيل) فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين اه

وقد ذكر احمد بن المنير في (الانتصاف) نكتة اخرى هي أقرب الى ماقلناه قال :

وثم سر آخر هو أظهر وأقرب ، وذلك ان الاصناف الاربعة الاوائل ملاك لما عساه يدفع اليهم وانما يأخذونه ملكا فكان دخول اللام لائقا بهم ، وأما الاربعة الاواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم ، فالمال الذي يصرف في الرقاب انما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون فليس نصيبهم مصروفا إلى ايديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم ، وانما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به . وكذلك الغارمون انما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصا لذممهم لا لهم . وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك . وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجا في سبيل الله وانما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته مع انه مجرد من الحرفين جميعا ، وعطفه على المجرور باللام ممكن ، ولكنه على القريب منه أقرب والله اعلم ، وكان جدي أبو العباس احمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين وجها في الاستدلال لمالك على ان الغرض بيان المصرف واللام لذلك لام الملك ، فيقول متعلق الجار الواقع خبراً عن الصدقات محذوف فيتعين تقديره فإما ان يكون التقدير انما الصدقات مصروفة للفقراء كقول مالك او مملوكة للفقراء كقول الشافعي لكن الاول متعين لانه تقدير يكتفى به في الحرفين جميعا يصح تعلق اللام به وفي معا ، فيصح أن تقول هذا الشيء مصروف في كذا ولكذا بخلاف تقديره مملوكة فانه انما يلتئم مع اللام ، وعند

الانتهاء الى « في » يحتاج الى تقدير مصروفة ليلتئم بها فتقديره من اللام عام التعلق شامل الصحة متعين والله الموفق اه

وماقاله ابن المنير يوافق قولنا في الجملة الا انه جعل سهم الغارمين من المصالح وهو محتمل وما قلناه فيهم أظهر لانه لا يشترط أن يعطى كل ما يأخذونه لارباب ديونهم ولاسيما الغارمين لاصلاح ذات فما يعطونه مساعدة على ما يعطون أو تعويض عما أعطوا وأجاز الوجهين في ابن السبيل وضعفه ظاهر فهو ممن يملكون سهمهم

(٢) أنواع الصدقات وعروض التجارة منها

ذكرنا في أول تفسير الآية ان انواع الصدقات زكاة النقدين وزكاة الانعام وزكاة الزروع وزكاة المعدن والركاز، وهو ما يوجد في الارض من الكنوز المدفونة،ولكل منها نصاب لاتجب الزكاة فيما دونه وهو مبين في كتب السنة والفقه ، ولعلنا نذكره في تفسير (١٠٣: خذ من أموالهم صدقة) وجمهور علماء الملة يقولون بوجوب زكاة عروض التجارة وليس فيها نص قطعي من الكتاب أو السنة،وانما ورد فيها روايات يقوي بعضها بعضا مع الاعتبار المستند إلى النصوص، وهو ان عروض التجارة المتداولة للاستغلال نقود لا فرق بينها وبين الدراهم والدنانير التي هي اثمانها الا في كون النصاب يتقلب ويتردد بين الثمن وهو النقد، والمثمن وهو العروض، فلو لم تجب الزكاة في التجارة لأمكن لجميع الاغنياء أو اكثرهم أن يتجروا بنقودهم ،ويتحروا أن لايحول الحول على نصاب من النقدين أبداً . وبذلك تبطل الزكاة فيهما عندهم

ورأس الاعتبار في المسألة ان الله تعالى فرض في اموال الاغنياء صدقة لمواساة الفقراء، وإقامة المصالح العامة التي تقدم بيانها ،وان الفائدة في ذلك للاغنياء تطهير انفسهم من رذيلة البخل وتزكيتها بفضائل الرحمة بالفقراء وسائر أصناف المستحقين ومساعدة الدولة والامة في إقامة المصالح العامة الاخرى التي تقدم ذكرها ، والفائدة للفقراء وغيرهم إعانتهم على نوائب الدهر — مع ما في ذلك من سد ذريعة المفاسد في تضخم الاموال وحصرها في أناس معدودين وهو المشار

اليه بقوله تعالى في حكمة قسمة الفيء (كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) فهل يعقل أن يخرج من هذه المقاصد الشرعية كلها التجار الذين ربما تكون معظم ثروة الامة في أيديهم ؟ وسنذكر سائر فوائد الزكاة ومنافعها العامة والخاصة في تفسير آية (١٠٣ خذ من اموالهم صدقة) ان شاء الله تعالى

توزيع الصدقات على الاصناف كلهم أو بعضهم

قال القاضي ابو الوليد محمد بن رشد الحفيد في بحث من تجب له الصدقة من كتابه (بداية المجتهد) ما نصه:

فأما عددهم فهم الثمانية الذين نص عليهم في قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية — واختلفوا من العدد في مسألتين (إحداهما) هل يجوز أن تصرف جميع الصدقة إلى صنف واحد من هؤلاء الاصناف ، أم هم شركاء في الصدقة لا يجوز أن يخص بها صنف دون صنف؟ فذهب مالك وأبو حنيفة إلى انه يجوز للامام أن يصرفها في صنف واحد أو أكثر من صنف واحد إذا رأى ذلك بحسب الحاجة . وقال الشافعي : لا يجوز ذلك بل يقسم على الاصناف الثمانية كما سمى الله تعالى

وسبب اختلافهم معارضة اللفظ للمعنى ، فان اللفظ يقتضي القسمة بين جميعهم والمعنى يقتضي أن يؤثر بها أهل الحاجة ، إذ كان المقصود بها سد الخلة ، فكان تعديدهم في الآية عند هؤلاء انما ورد لتمييز الجنس — أعني أهل الصدقات — لا تشريكهم في الصدقة . فالاول أظهر من جهة اللفظ ، وهذا أظهر من جهة المعنى . ومن الحجة للشافعي ما رواه أبو داود عن الصدائي أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله لم يرض أن يحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء ، فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقك » اه ثم ذكر المسألة الثانية وهي الاختلاف في المؤلفة قلوبهم وقد تقدمت

وأقول ان الامام الشافعي رحمه الله تعالى قد أطال في مسألة وجوب تعميم ما يوجد من الاصناف في كتابه الام في فصول كثيرة ، وقد بين النووي المذهب فيها والقائلين بالتعميم والمخالفين فيه من السلف وعلماء الامصار في شرح المهذب . قال:

« قال الشافعي والاصحاب رحمهم الله : ان كان مفرق الزكاة هو المالك أو وكيله سقط نصيب العامل ووجب صرفها الى الاصناف السبعة الباقين إن وجدوا، والا فالموجود منهم ، ولا يجوز ترك صنف منهم مع وجوده ، فان تركه ضمن نصيبه . وهذا لا خلاف فيه الا ما سيأتي ان شاء الله تعالى في المؤلفة قلوبهم ، وبمذهبنا في استيعاب الاصناف قال عكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وداود.

وقال الحسن البصري وعطاء وسعيد بن جبير والضحاك والشعبي والثوري ومالك وأبو حنيفة وأحمد وأبو عبيد : له صرفها الى صنف واحد ، قال ابن المنذر وغيره وروي هذا عن حذيفة وابن عباس ، قال أبو حنيفة : وله صرفها الى شخص واحد من أحد الاصناف ، قال مالك ويصرفها الى أمسهم حاجة ، وقال ابراهيم النخعي ان كانت قليلة جاز صرفها الى صنف والا وجب استيعاب الاصناف ، قالوا ومعناها (أي آية الصدقات) لا يجوز صرفها الى غير هذه الاصناف وهو فيهم مخير اه ثم ذكر ما يجب على الامام أو نائبه من ذلك ولا حاجة الى نقله

أقول : ان خلاف السلف وأئمة الامصار في المسألة يدل على انه لم يسبق فيها سنة عملية مجمع عليها من عهد الرسول ولا من خلفائه الراشدين ، فدل هذا على انهم كانوا يرونها من المصالح التي يترجح فيها العمل بما يراه اولو الامر في درجة الاستحقاق وقلة المال وكثرته من الصدقات وفي بيت المال ، وأقرب اقوال الأئمة في مراعاة المصلحة قول مالك وابراهيم النخعي ، وأبعدها عن المصلحة والنص جميعا قول أبي حنيفة إلا إذا كان المال قليلا جداً بحيث إذا أعطاه واحداً انتفع به وإذا وزعه على من يوجد من الاصناف أو على أفراد صنف واحد كالفقراء لم يصب أحداً منهم ماله موقع من كفايته . وأما جواز اعطاء المال الكثير الى واحد من المستحقين من صنف واحد فلا وجه له ولا شبهة ، والله تعالى قد ذكر أصنافا بصيغة الجمع فلا يمكن ان يقول ابو حنيفة ولا من دونه علماً وفهما ان اعطاء واحد من صنف واحد يعد امتثالا لامر الله وعملا بكتابه

وينبغي لجماعة الشورى من اهل الحل والعقد ان يضعوا في كل عصر وقطر نظاما لتقديم الاهم فالاهم اذا لم تكف الجميع ليمنعوا السلاطين والامراء من

التصرف فيها باهوائهم، وذلك ان بعض الاصناف يوجد في بعض الازمنة والامكنة دون بعض كما ان درجات الحاجة تختلف

(٤) الزكاة المطلقة والمعينة ومكانتها في الدين وحكم دار الاسلام ودار الكفر أو الذبذبة فيها

فرضت الزكاة المطلقة بمكة في أول الاسلام وترك أمر مقدارها ودفعها إلى شعور المؤمنين وأريحيتهم ، ثم فرض مقدارها من كل نوع من أنواع الاموال في السنة الثانية من الهجرة على المشهور، وقيل في الاولى ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام، وكانت تصرف للفقراء كما قال تعالى في سورة البقرة (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وقد نزلت في السنة الثانية وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ « تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » وتقدم . ثم نزلت هذه المصارف السبع أو الثمان في سنة تسع ، فتوهم بعض العلماء ان فرض الزكاة كان في هذه السنة

والحكمة فيما ذكر أن تعيين المقادير وقيام أولي الامر بتحصيلها وتوزيعها على من فرضت لهم وتعدد أصنافهم كل ذلك انما وجد بوجود حكومة إسلامية تناط بها مصالح الامة في دينها ودنياها في دار تسمى دار الاسلام لان أحكامه تنفذ فيها بسلطانه، وكانت أول دار للاسلام دار الهجرة إذ كانت مكة دار كفر وحرب، لا ينفذ فيها للاسلام حكم، بل لم يكن لأحد من أهله فيها حرية الجهر بالصلاة الا بحماية قريب او جار من المشركين

وإمام المسلمين في دار الاسلام هو الذي تؤدى له صدقات الزكاة ، وهو صاحب الحق بجمعها وصرفها لمستحقيها ،ويجب عليه ان يقاتل الذين يمتنعون عن أدائها اليه كما فعل خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه فيمن منعوا الزكاة من العرب وقال « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا[1] كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها» وهو متفق عليه . فالزكاة هي الركن الثالث من أركان الاسلام - بعد الشهادتين والصلاة المفروضة - وأظهر آيات الايمان وتقدم في هذه السورة اشتراط أدائها

(١) العناق بالفتح الانثى من المعز قبل ان تستكمل الحول. وفي رواية عقالا وهو المبالغة

في قبول إسلام الكفار وعدهم إخوانا للمسلمين في الدين، وكان النبي ﷺ يبايع المسلمين على أدائها، وأجمع المسلمون على كفر جاحدها ومستحل تركها، وقد بينا مكانة الزكاة في الاسلام ودلالتها على صدق الايمان وضلال تاركيها في هذا الزمان في مواضع كثيرة من هذا التفسير

ولكن أكثر المسلمين لم يبق لهم في هذا العصر حكومات إسلامية تقيم الاسلام بالدعوة اليه والدفاع عنه والجهاد الذي يوجبه وجوبا عينياً او كفائياً وتقيم حدوده وتأخذ الصدقات المفروضة كما فرضها، وتضعها في مصارفها التي حددها، بل سقط أكثرهم تحت سلطة دول الافرنج وبعضهم تحت سلطة حكومات مرتدة عنه أو ملحدة فيه، ولبعض الخاضعين لدول الافرنج رؤساء من المسلمين الجغرافيين اتخذهم الافرنج آلات لاخضاع الشعوب لهم باسم الاسلام حتى فيما يهدمون به الاسلام، ويتصرفون بنفوذهم في مصالح المسلمين وأموالهم الخاصة بهم فيما له صفة دينية من صدقات الزكاة والاوقاف وغيرها، فأمثال هذه الحكومات لا يجوز دفع شيء من الزكاة لها مهما يكن لقب رئيسها ودينه الرسمي

وأما بقايا الحكومات الاسلامية التي يدين أئمتها ورؤساؤها بالاسلام ولا سلطان عليهم للاجانب في بيت مال المسلمين فهي التي يجب أداء الزكاة الظاهرة لأئمتها، وكذا الباطنة إذا طلبوها، وإن كانوا جائرين في بعض أحكامهم كما قال الفقهاء، وتبرأ ذمة من أداها اليهم وان لم يضعوها في مصارفها المنصوصة في الآية الحكيمة بالعدل. والذي نص عليه المحققون كما في شرح المهذب وغيره ان الامام أو السلطان اذا كان جائراً لا يضع الصدقات في مصارفها الشرعية فالافضل لمن وجبت عليه ان يؤديها لمستحقيها بنفسه اذا لم يطلبها الامام أو العامل من قبله

(٥) لا تعطى الزكاة للمرتدين، ولا للملاحدة والاباحيين

من المعلوم بالاختبار أنه قد كثر الالحاد والزندقة في الامصار التي أفسد التفرنج تربيتها الاسلامية وتعليم مدارسها، ومن المعلوم من الدين بالضرورة ان المرتد عن الاسلام شر من الكافر الاصلي فلا يجوز أن يعطى شيئا من الزكاة

ولا من صدقة التطوع ، وأما الكافر الاصلي غير الحربي فيجوز أن يعطى من صدقة التطوع دون الزكاة المفروضة

والملاحدة في أمثال هذه الامصار أصناف (منهم) من يجاهر بالكفر بالله إما بالتعطيل وانكار وجود الخالق ، واما بالشرك بعبادته ، ومنهم من يجاهر بانكار الوحي وبعثة الرسل أو بالطعن في النبي ﷺ أو في القرآن أو في البعث والجزاء ، ومنهم من يدعي الاسلام بمعنى الجنسية السياسية ولكنه يستحل شرب الخمر والزنا وترك الصلاة وغيرها من أركان الاسلام فلا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ولا يحج البيت الحرام مع الاستطاعة ، وهؤلاء لا اعتداد باسلامهم الجغرافي ، فلا يجوز اعطاء الزكاة لاحد ممن ذكر بل يجب على المزكي أن يتحرى بزكاته من يثق بصحة عقيدتهم الاسلامية واذعانهم للامر والنهي القطعيين في الدين ، ولا يشترط في هؤلاء عدم اقتراف شيء من الذنوب ، فان المسلم قد يذنب ولكنه يتوب . ومن أصول أهل السنة انهم لا يكفرون أحداً من اهل القبلة بذنب ولا ببدعة عملية أو اعتقادية هو فيها متأول لا جاحد للنص . وان الفرق لعظيم بين المسلم المذعن لامر الله ونهيه اذا أذنب ، والمستحل لترك الفرائض واقتراف الفواحش فهو يصر عليهما بدون شعور ما بأنه مكلف من الله بشيء وانه قد عصاه ويجب عليه أن يتوب اليه ويستغفره

ولا ينبغي اعطاء الزكاة لمن يشك المسلم في اسلامه . وما أدري ما يقول فيمن يراهم بعينه في المقاهي والحانات والملاهي يدخنون أو يسكرون في نهار رمضان حتى وقت صلاة الجمعة ، وربما كان الملهى تجاه مسجد من مساجد الجمعة ؟ هل يعد هؤلاء من المسلمين المذنبين ؟ أم من الملاحدة الاباحيين ؟ مهما يكن ظنه فيهم فلا يعطهم من زكاة ماله شيئاً ، بل يتحرى بها من يثق بدينه وصلاحه الا اذا علم أن في اعطاء الفاسق استصلاحا له

(٦) التزام أداء الزكاة كاف لاعادة مجد الاسلام

المال قوام الحياة الاجتماعية والملية او ملاكها وقيام نظامها كما قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) وان الاسلام يمتاز على جميع الاديان والشرائع بفرض الزكاة فيه كما يعترف له بهذا حكماء جميع الامم

وعقلاؤها. ولو أقام المسلمون هذا الركن من دينهم لما وجد فيهم بعد أن كثرهم الله ووسع عليهم في الرزق فقير مدقع، ولا ذو غرم مفجع، ولكن اكثرهم تركوا هذه الفريضة فجنوا على دينهم وملتهم وأمتهم، فصاروا أسوأ من جميع الامم حالا في مصالحهم الملية والسياسية ، حتى فقدوا ملكهم وعزهم وشرفهم، وصاروا عالة على اهل الملل الاخرى حتى في تربية أبنائهم وبناتهم فهم يلقونهم في مدارس دعاة النصرانية او دعاة الالحاد فيفسدون عليهم دينهم ودنياهم، ويقطعون روابطهم الملية والجنسية ،ويعدونهم ليكونوا عبيداً اذلة للاجانب عنهم. واذا قيل لهم لماذا لا تؤسسون لانفسكم مدارس كمدارس هؤلاء الرهبان والمبشرين ؟ أو الملاحدة الاباحيين؟ قالوا اننا لا نجد من المال ما يقوم بذلك. وانما الحق انهم لا يجدون من الدين والعقل وعلو الهمة والغيرة ما يمكنهم من ذلك، فهم يرون ابناء الملل الاخرى يبذلون للمدارس وللجمعيات الخيرية والسياسية ما لا يوجبه عليهم دينهم، وانما اوجبته عليهم عقولهم وغيرتهم الملية والقومية ولا يغارون منهم وانما يرضون ان يكونوا عالة عليهم. تركوا دينهم، فضاعت باضاعتهم له دنياهم (نسوا الله فأنساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون)

فالواجب على دعاة الاصلاح فيهم ان يبدؤا باصلاح من بقي له بقية من الدين والشرف بتاليف جمعية لتنظيم جمع الزكاة منهم وصرفها قبل كل شيء في مصالح المرتبطين بهذه الجمعية دون غيرهم ويجب أن يراعى في نظام هذه الجمعية ان لسهم المؤلفة قلوبهم مصرفا في مقاومة الردة والالحاد، وان لسهم فك الرقاب مصرفا في تحرير الشعوب المستعمرة في الاستعباد، اذا لم يكن له مصرف في تحرير الافراد ، وان لسهم سبيل الله مصرفا في السعي لاعادة حكم الاسلام ، وهو أهم من الجهاد لحفظه في حال وجوده من عدوان الكفار ،ومصرفا آخر في الدعوة اليه والدفاع عنه بالألسنة والاقلام ، اذا تعذر الدفاع عنه بالسيوف والاسنة وبألسنة النيران .

وقد كثر تساؤل أذكياء المسلمين عن احياء فريضة الزكاة وقوي استعداد أهل الغيرة للقيام به ، وكاد بعض أهل الاهواء يستغلون هذا الاستعداد لمنافعهم ، فهل نجد من أهل الاستقامة من ينهض به نهضة تكون أهلا لان يثق بها العالم الاسلامي ويعززها ، قبل أن يقطع عليهم المنافقون والاعداء طريقها ؟

طالما طالبنا العقلاء بالدعوة الى هذا العمل الجليل ، وما زلنا نسوف انتظارا للانصار الذين أشرنا الى صفتهم ، وقد اضطررنا الى التصريح بالاقتراح هنا قبل العثور عليهم . وسنعود ان شاء الله تعالى الى بقية فوائد الزكاة وحكمها وأحكامها في تفسير آية (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) في اواخر هذه السورة

استدراك وتصحيح

يراد في آخر القسم (الثالث) من المؤلفة قلوبهم المذكور في ص ٢٤٩ من هذا الجزء ما يأتي :

وأولى منهم بالتأليف في زماننا قوم من المسلمين يتألفهم الكفار ليدخلوهم تحت حمايتهم أو في دينهم ، فاننا نجد دول الاستعمار الطامعة في استعباد جميع المسلمين وفي ردهم عن دينهم يخصصون من أموال دولهم سهما للمؤلفة قلوبهم من المسلمين ، فمنهم من يؤلفونهم لاجل تنصيرهم واخراجهم من حظيرة الاسلام ، ومنهم من يؤلفونهم لاجل الدخول في حمايتهم ومشاقة الدول الاسلامية والوحدة الاسلامية ، ككثير من أمراء جزيرة العرب وسلاطينها !! أفليس المسلمون أولى بهذا منهم ؟

وترمج كلمة الانبياء في السطر الاول من ص ٢٤٤ ويكتب محلها القلم

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من قبودان (الصين) لأحد العلماء وأصحاب الصحف ﴾

(س ٢٧ - ٣٢)

من أحقر الانام ، عثمان بن حسين الصيني ، إلى الاستاذ العلامة محمد رشيد رضا ياسيدي سلام عليكم ورحمة الله (وبعد) فقد وصل إلى الفقير الجزء الاول من المنار الشريف وأحاط بما فيه وسر سروراً شديداً جزاكم الله تعالى عنا خير الجزاء ، فالمرفوع آنفا ان علماء الصين تنازعوا في بضع مسائل

(١) ان بعضهم قالوا بأن أرض الصين دار إسلام فان المسلمين تولدوا في

الصين ونشؤا وتمكنوا على التدين والعمل بالشرائع فهي دار إسلام فاحكام دار الاسلام كعدم جواز بيع الخمر ووجوب العشر ونحو ذلك جارية فيها، وبعضهم قالوا بكونها دار حرب فان المسلمين داخلون تحت الحكام والقضاة الكفار وليس لهم قاض ولا حاكم مستقل

(٢) ان مسلمي الصين يدعون الامام والمؤذن والقراء الى بيوتهم لقراءة القرآن لاجل موتاهم، وعادتهم ان دعوا مثلا عشرة قراء الى بيوتهم فقرأ كل ثلاثة أجزاء من القرآن معاً أو قرؤا كل جزء الى نصفه أو أقل او اكثر باختيارهم فأطبقوا القرآن فان الداعي يخرج لهم انواع الطعام ويعطي كل واحد منهم أربعة دراهم او اقل او أكثر بعد الاكل وهذا ديدنهم. فقال بعض العلماء ان هذا مخالف للكتب الفقهية لايجوز وغيروا هذه العادة ثم صار امرهم الى انهم ان قرؤا عن الغير لم يأكلوا ولم يقبلوا الهديات وان اكلوا من طعام الداعي لم يقرؤا لكن نهض بعض اهل العلم والقوم لمعارضتهم وهم الذين قراءة القرآن عند الغير مناط معاشهم ولم يرضوا بتغيير عادة السلف وأخذوا في القيل والقال، فالمرجو من كرمكم يا سيدي اعطاء الجواب الحسن القاطع للنزاع بينهم المفيد على مذهبنا الحنفي فانهم وقعوا في ورطة التفرق والشقاق بهذا السبب

(٣) ان بعض الناس إذا وجع ضرسه او داد سنه وفسد وضع ضرساً من الذهب اوغيره في موضعه واذا فسد بعض ضرس رصعه بالذهب وسده به وأصلحه. هل هذا جائز ام لا؟ هل هو مانع لصحة الغسل او لا؟ هل وجود الضرورة شرط لجواز الوضع؟ وهل إخراج هذا الضرس الوضعي بعد الموت واجب أم لا؟

(٤) ان بعض نساء المسلمين قطعن ذوائبهن لاقتفاء النساء الافرنج والمشركات ويمضين في الاسواق بغير قناع هل هذا حرام غليظ أم خفيف كيف حكمه على مذهبنا الحنفي؟

(٥) بعض مسلمي الهند لم يتمذهبوا بمذهب من مذاهب الائمة الاربعة رضي الله عنهم وقالوا ان اهل المذاهب خالف بعضهم بعضاً بل خالف رأي بعض الائمة الحديث الشريف وهذا يؤدي الى التشاجر والتقاطع ونحن محمديون نقتدي بالقرآن

وبمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ونعمل بالقرآن والحديث لا نقتدي بهذا ولا بذاك. هل رأيهم هذا صواب أم لا فالمرجوا من كرمكم الفتوى واعطاء الجواب على التفصيل على مذهبنا الحنفي سراعا، جزاكم الله تعالى عنا خير الجزاء فانا كالضفادع في غيابة الجب

(٦) ثم بقية المرام انهم تنازعوا في مسئلة الهلال ودخول شهر رمضان وخروجه وقبول أخبار الآفاق بالرؤية وعدمه وتخلفوا، فالارشاد الارشاد فلله دركم والسلام

الداعي تلميذكم عثمان بن حسين بن نور الحق الحنفي الصيني

﴿ أجوبة المنار على ترتيب عدد باب الفتاوى ﴾

(٢٧) دار الاسلام ودار الحرب

ان دار الاسلام هي البلاد التي تنفذ فيها شريعة الاسلام بالسيادة والحكم من قبل أولي الامر من المسلمين لا كل بلاد يمكن للمسلم فيها أن يصلي ويصوم فاننا إن قلنا بهذا حكمنا بأن جميع ممالك أوربة وأميركة دار إسلام، إذ لا يمنع أحد فيها من صلاة ولا صيام، وان المسلمين يصلون الجمعة والعيدين في باريس عاصمة فرنسة ولندن عاصمة الانكليز فهل هما من دار الاسلام؟ كلا. ولا كل بلاد فتحها المسلمون وان زال حكمهم منها دار اسلام، فاننا إن قلنا بهذا نكون قد حكمنا بأن بلاد الاندلس وجنوب فرنسة دار إسلام. واننا ننقل لهؤلاء المختلفين في هذه المسألة بعض أقوال فقهاء الحنفية الذين ينتمون الى مذهبهم:

قال في الكافي: ودار الاسلام عندهم ما يجري فيه حكم امام المسلمين من البلاد، ودار الحرب ما يجري فيه أمر رئيس الكفار من البلاد. وفي الزاهدي ان دار الاسلام ما غلب فيه المسلمون وكانوا فيه آمنين، ودار الحرب ما خافوا فيه من الكافرين. ولا خلاف في انه يصير دار الحرب دار الاسلام باجراء بعض أحكام الاسلام فيها. وأما صيرورتها دار الحرب نعوذ بالله تعالى فعنده (١) بشروط (أحدها) اجراء أحكام الكفر اشتهاراً بأن يحكم الحاكم بحكمهم ولا يرجعون الى قضاة المسلمين، ولا يحكم بحكم من الاسلام كما في الحرة (وثانيها) الاتصال بدار الحرب بحيث لا تكون بينهما بلدة من بلاد الاسلام يلحقهم المدد

(١) يعني الامام أبا حنيفة (رح)

منها (وثالثها) زوال الامان أي لم يبق مسلم ولا ذمي آمنا بأمان الاسلام ، ولم يبق الامان الذي كان للمسلم باسلامه ، وللذمي بعقد الذمة كما كان قبل استيلاء الكفرة ، وعندهما (١) لا يشترط الا الشرط الاول اه

هذا وان الصين لم تكن دولة اسلامية تابعة لخليفة من ائمة المسلمين ولا لسلطان من سلاطينهم تنفذ فيها أحكام شريعتهم ويكون مسلمو أهلها آمنين فيها باسلامهم وغير المسلمين آمنين بعقد الذمة مع أولي الامر من المسلمين فتكون دار اسلام ، فلا أدري من أين جاءت الشبهة لبعض متفقهة أخواننا من مسلميها بانها دار اسلام

نعم ان بعض فقهاء الحنفية تساهلوا في شروط ابقاء حكم دار الاسلام في البلاد التي تنفصل من سلطنة امام المسلمين بتغلب الكفار او البغاة عليها فلا يشترطون في صيرورتها دار حرب الشروط الثلاثة التي اشترطها امام المذهب الاعظم ، بل قال بعضهم انها تعد دار الاسلام والمسلمين ببقاء بعض احكام الاسلام فيها ولو حكما واحداً (كما في العمادي وفتاوى عالم كير وفتاوى قاضي خان وغيرها) ولكنهم جعلوا هذا من قبيل الاحتياط كما في جامع الرموز ، والذي نفهمه من الاحتياط انه يجب على أهل هذه البلاد أن يعدوها تابعة لحكومة خليفة الاسلام. ويجتهدوا في إزالة ماعرض لهم فيها من العدوان ، كما فعلت بعض البلاد التي استولت عليها جيوش الدول الاوربية وأبطلوا فيها بعض أحكام الاسلام دون بعض . وهذا الاحتياط لا يمنع الامام في دار الاسلام والعدل من التصدي لاعادتها إلى حكمه ولو بالقتال عند الامكان ، ومن هذا القبيل ما ذكرناه من البحث في دار الاسلام الاصلية مما تغلب عليه أهل الحرب من الكفار وقلنا بوجوب سعي المسلمين الى اعادة حكم الاسلام فيها (راجع ص ٥٧٦ و ٥٨٠ من مجلد المنار ٣٠)

ولكن هذا الاحتياط لا يأتي في بلاد الصين فهي دار كفر وحرب من الاصل فيباح لأهلها المسلمين في مذهبهم الحنفي أكل أموال غير المسلمين فيها بالعقود المعروفة فيها كالربا وغيره وبكل وسيلة من وسائل التعامل والتراضي أو ماعدا الغدر والخيانة

(١) يعني الامام أبا يوسف والامام محمد ابن الحسن

فان الاسلام لا يبيح هذه الرذيلة . ولا ينبغي لمسلم أن يبيع فيها الخمر لشاربها بفتح حانة لها ، لان هذا إعانة على الفحشاء والمنكر والشرور ، ولكن له أن يأخذ ثمن الخمر في دين له ، وكذا الخمر نفسها وبيعها لهم لا للمسلمين . ولهذا الباب فروع كثيرة لا محل لذكر شيء منها هنا

ولكنني أزيد على هذا الجواب تنبيه قرائه من علماء مسلمي الصين وعقلائهم ما أعتقده من انهم لو أقاموا دينهم كما يجب، ونموا ثروتهم بالطرق العصرية المباحة في مذهبهم ، ونشروا المعارف الاسلامية والاقتصادية بينهم، وعنوا مع ذلك بنشر دعوة الاسلام في الصين كما يعنى دعاة النصرانية لغلب الاسلام في الصين جميع الاديان، وصار دولة اسلامية عزيزة السلطان، باذخة البنيان ، قوية الاركان . وقد كان كثير من ساسة أوربة وعلمائها في القرن الماضي وأوائل هذا القرن يحسبون لهذا الامر كل حساب . وقد صرح به بعضهم ونقلنا بعض أقوالهم في مجلدات المنار الاولى وأولها ما نشرناه في المجلد الاول بتاريخ ربيع الآخر سنة ١٣١٦ وسنعيد نشره كله أو بعضه في جزء آخر ليعتبر مسلمو الصين بتقصيرهم

(٢٨) قراءة القرآن للموتى وأخذ الاجرة عليها

قراءة القرآن عبادة كالدعاء والذكر لا يجوز أخذ أجرة عليها بوجه من الوجوه . واذا كان فقهاء الحنفية منعوا أخذ الاجرة على تعليم القرآن لانه عبادة فمنع أخذها على قراءته أولى بالحظر، لان للاخذ على التعليم وجهاً وقد قال الجمهور بجوازه . وقد بينا هذه المسألة في الفتوى العاشرة من فتاوى مجلد المنار الثلاثين (ص ١٠٨) وأما أصل مسألة القراءة على الموتى فقد فصلنا القول فيها في ١٦ صفحة من جزء التفسير الثامن (صفحة ٢٥٥ — ٢٧٠) وبينا ان التحقيق ان قراءة القرآن للموتى بدعة غير جائزة وذكرنا ادلة مجوزيها مع بيان ضعفها فليراجعها السائل

ولكن هنا مسألة أخرى وهي أن قراءة القرآن في البيوت من الامور التي تقوي ايمان اهل البيت وتزيد أنس أرواحهم وشرح صدورهم بالاسلام سواء فهموا القرآن أو لم يفهموه، فان سماعهم له مع اعتقادهم انه كلام الله تعالى يؤثر في قلوبهم بقدر ايمانهم ، وفائدة من يفهم منهم تكون أعظم . وقد جرت عادة

الموسرين في بلاد مصر أن يجعلوا في كل بيت من بيوتهم حافظا من حفاظ القرآن يتلوه في ليالي رمضان من بعد صلاة العشاء والتراويح الى وقت السحور ، ومنهم من يقرأ القرآن في داره كل يوم ، ويعطون لهؤلاء القراء شيئا معيناً في الشهر من باب الهبة والتبرع ، لا الاجرة التي تثبت بالتعاقد ، وقد فرقت الشريعة بين التعاقد والتبرع الاختياري فثبت في الاحاديث الصحاح استحباب قضاء الدين بزيادة وفضل عن أصله ، وأخذ بهذا من لا يبيح التعاقد على هذه الزيادة بل يعدها من الربا ، والمتفقه من هؤلاء القراء يستبيح أخذ ما يعطاه من هذا الباب ، وكذلك المعطي له يعد ذلك قربة من باب الصدقة لا الاجرة على التلاوة. وقد ذكرت هذه المسألة في الفتوى العاشرة من المجلد الماضي التي أشرت اليها آنفا ، وقلت فيها : فاذا قصد القارىء ذلك (أي فائدة السامعين للقرآن) مع التعبد والاتعاظ بنفسه أرجو أن يباح له اخذ ما يعطى في كل شهر وهو يكون بغير عقد ، وهو غير خسيس يخل بقدر حافظ القرآن ، ولعل أكثر الاغنياء لا يسمعون القرآن إلا بهذه الوسيلة ، وهو هجر للقرآن وناهيك به من مصيبة

فالذي أراه ان يجتمع إخواننا المختلفون في هذه المسألة في بلاد الصين ويتذاكروا فيما كتبناه لعلهم يتفقون على أن يكرموا قراء القرآن بشيء من المال يدفعه لهم الموسرون في كل شهر ، ويرغبون اليهم ان يختلفوا إلى بيوتهم في اوقات معينة لتلاوة القرآن فيها ، وأن يكون من هذه الاوقات ما تحدث فيه المصائب لتعزية اهلها وصرفهم عن البكاء بسماع القرآن ، على ان لا يعطوهم شيئا في هذا الوقت بنفسه كالسابق

وأما اكل الطعام في هذه البيوت فيحسن ان يكون في الاوقات التي ياكل فيها غيرهم من الاصدقاء او الفقراء وان لا يقرؤا فيها

(٢٩) الاضراس الصناعية واصلاح الطبيعية بالحشو والذهب

صرح بعض الفقهاء في كتب الخلاف بجواز ما ذكر في السؤال كله وباتخاذ من جدع أنفه أنفاً من ذهب وقد أمر به النبي بعض أصحابه. رواه الترمذي وهو حديث حسن ، والسن والضرس أولى بالجواز ولم يذكروا فيها خلافا ، قال النووي في المجموع : وقول المصنف إن اضطر إلى الذهب جاز استعماله فمتفق عليه . قال أصحابنا فيباح له الانف والسن من الذهب ومن الفضة وكذا شد السن العليلة بذهب وفضة

جائز ويباح أيضا الأنملة منهما الخ ولم يذكر فيه خلافا للمذاهب كعادته. والاصل في التداوي وإزالة الضرر والفساد الإباحة بمعناها الأعم المقابل للحظر، فيدخل فيها الواجب، والتداوي وإزالة الآلام العارضة والآفات المفسدة الاعضاء بما هو معروف مجرب واجب. والتحقيق ان الحرام لا يثبت إلا بنص قطعي من الشارع كما صرح به الامام ابو يوسف نقلا عن مشايخه، وعن السلف الصالح وهو رواية عن الامام احمد، وصرح شيخ الاسلام ابن تيمية من كبار حفاظ الحديث والآثار ان السلف لم يكونوا يحرمون شيئا إلا بدليل قطعي كما بينا ذلك في المجلد الثلاثين من المنار

وقد اختلف الائمة في استعمال الذهب والفضة ولم يصح النهي عن النبي ﷺ إلا عن الاكل والشرب في أوانيهما وعن خاتم الذهب وإن صح عن بعض الصحابة (رض) لبسه، وكذا لبس الذهب إلا مقطعاً وبهذا يقول فقهاء الحديث المستقلون. ومذهب الشافعي القديم ان النهي عنهما للكراهة. قال القرطبي: وشذت طائفة فأباحتهما مطلقا ونقله عنه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري. وأما جمهور فقهاء المذاهب فيحرمون جميع أنواع الاستعمال إلا ماورد النص به كخاتم الفضة والضبة في الاناء على تفصيل معروف، أما الاكل في صحافهما والشرب من آنيتهما فبالنص وأما مافي معناهما من الاستعمال فبالقياس، على انهم مختلفون في علة التحريم. ويرد عليهم من لا يثبت من القياس إلا المنصوص على علته أو المعلومة علته بالقطع كالاسكار في الخمر. ويرد عليهم أهل الحديث بقوله ﷺ «وحرم اشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» وهو من حديث رواه الدار قطني وحسنه النووي في الاربعين. وروى معناه البزار والحاكم وصححه وغيرهما

ويستثنى من المحرم ولو بالنص ما احتيج اليه لدفع ضرر، وقد صح في الحديث الاذن بلبس الحرير لدفع ضرر القمل ومثله ماهو مثله في الضرر، وما هو أشد بالاولى ومنه مداواة الاضراس وحفظها من السقوط بتلبيسها بالذهب وهو ليس لبساً ولا زينة. وينبغي نزع الاضراس الصناعية عند غسل الجنابة ليعم الماء الفم كله بالمضمضة واجبة فيه عند الحنفية وسنة عند الجمهور. ولكن لا يجب نزع لباس الضرس

الملبس بالذهب ولا من الميت لما فيه من المشقة بل يتعذر نزعه على غير الطبيب.
ويزال من الميت كل شيء صناعي زائد لا يترتب على نزعه منه تشويه شيء من جسمه

(٣٠) تفرنج النساء بالتبرج وقص الشعور الخ

ان ما ذكره عن النساء فيه مخالفة لأحكام الشرع الاسلامي من عدة وجوه ومفاسده تختلف باختلاف أحوال البلاد العامة. والاعتصام بالدين والتهاون به وغلظ التحريم وخفته منوطان بدرجة ما في العمل من الفساد، فمنه انه من ذرائع الزنا ومسهلاته، ومن أسباب ترك الصلاة، ومن أسباب قلة إقبال الرجال على الزواج الشرعي لعدم الثقة بعفة النساء الحافظة للنسل. ومن مفاسده الاجتماعية السياسية التي يغفل عنها أكثر الناس أنه مقطع لروابط الامة مضعف لتماسكها ووحدتها، ومعد لها لقبول عادات الكفار الذي قد ينتهي بقبول الدخول في دينهم

ومن الثابت بالاختبار أن ارتكاب الصغائر يجريء على الكبائر، وأن الاستهانة بالكبائر يفضي إلى الكفر كما قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر. ومن المجمع عليه أن استحلال مخالفة القطعي من الاوامر والنواهي الالهية كفر وردة عن الاسلام. فيعلم من هذا أن بعض ماذكر عن النساء مكروه وبعضه محرم خفيف أو غليظ وبعضه يخشى أن يكون كفراً أو يفضي الى الكفر باستحلال مخالفة الأمر والنهي

(٣١) التمذهب وأهل الحديث في الهند

إذا أردتم أن تعرفوا الحق في هذه المسألة بأدلته الشرعيه التي جرى عليها الأئمة الاربعة وغيرهم رضي الله عنهم فطالعوا ما أرسلناه اليكم من كتاب الوحدة الاسلامية مع مقالات المصلح والمقلد ورسالة (القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد) لأحد علماء الحنفية، إذ لا يمكن تفصيل القول في ذلك في فتوى مختصرة مستعجلة، وقد سبق لنا بسطه في المنار فاعادته تكرار لا حاجة اليه. ومنه تعلمون أن أهل الحديث في الهند وغيرها على صواب وانهم هم أولى باتباع الأئمة الاربعة وغيرهم من أئمة السلف الذين صرحوا بتحريم تقليدهم وتقليد غيرهم ووجوب اتباع الكتاب والسنة دون ماخالفهما. فان بقي عندكم شبهة في المسألة بعد مطالعة ماذكرنا فاكتبوا إلينا به لنجيبكم عنه بما يدفع الشبهة ويجلي الحجة إن شاء الله تعالى

(٣٢) مسألة هلال رمضان

ان الشارع ناط مسألة رمضان وغيره برؤية الهلال بالاعين كما ناط مواقيت الصلاة بامور مشهودة بالحس حتى لايختلف المسلمون ولايكونوا محتاجين في مواقيت دينهم إلى الرؤساء والعلماء. ولكن المسلمين ضيقوا على أنفسهم باختلافهم في الكتاب الذي سد أبواب الخلاف في الدين وزادته السنة بيانا بالعمل وقد نهوا أن يشددوا على أنفسهم كما فعل بنو اسرائيل والنصارى من قبلهم

قال ﷺ « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين يوما » وهو متفق عليه ومشهور يذكره فقهاء جميع المذاهب في كتبهم وخطباء المنابر في خطبهم، ولكن المسلمين قلما يعملون به كما يجب، فاذا استهل جماعة من أهل البلد بعد غروب الشمس من اليوم التاسع والعشرين من شعبان ولم يروا الهلال ولم يكن هنالك مانع من رؤيته كسحاب أو قتر وجب عليهم إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما وليس لهم أن يقبلوا قول مخبر برؤيته ، وأما إن كان هنالك مانع من الرؤية وشهد غيرهم بانه رآه وجب أن يقبلوا شهادته . وفي المسألة فروع كثيرة يبنى بعضها على اختلاف الفقهاء في اعتبار اختلاف المطالع وعدمه ، فينبغي للسائل أن يبين لنا بالتفصيل اختلاف أهل بلده في المسالة ومايستدل به كل فريق لعلنا نوفق الى إفتائهم بما يرفع الخلاف والله الموفق

(تلبس الجن بالانس)

(س ٣٣) من صاحب الامضاء في المحمودية (بحيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع لسيادتكم مايأتي

كيف يتلبس الجن بالانس؟ وهل يجوز ذلك ؟ فأرجو من فضيلتكم الجواب على ذلك مع الدليل ولحضرتكم الشكر

عبد العزيز الصاوي الخولي

(ج) لم نفهم مراد السائل من قوله تلبس الجن بالانس ؟ : هل هو دخول

روح الجني في جسم الانسي ، أم تمثل الجني بصورة الانسي ؟ ومهما يكن مراده فجوابي انني لا أدري كيف يكون ذلك لانه من علاقة شيء من عالم الغيب بشيء من عالم الحس ، وأما كون ذلك جائزا عقلا فلا شك فيه ولا فائدة منه، وانما العبرة بوقوعه، وللناس فيه خرافات كثيرة مضارها معروفة، وان لنا مباحث طويلة في أمثال هذه المسائل في الكلام على الجن والشياطين وتشكلهم وتمثل الملائكة في الصور المادية وفي الصرع يحسن من السائل أن يراجعها في أجزاء التفسير السابع والثامن والتاسع فلعلها يكفيه، وهي تطلب من حرفي الجيم والشين من الفهرس أي من لفظي الجن والشياطين

(حديث من قال لا اله الا الله ومدها)

(س ٣٤) من صاحب الامضاء بالبلينا في الصعيد

حضرة صاحب الفضيلة مفتي الانام ، وخليفة الاستاذ الامام ، السيد محمد رشيد رضا متعنا الله بعلومه . بعد تقديم أوفر التحية، وغالي التمنيات، القلبية نتمنى أن تكون فضيلتكم في أعلى مراتب الصحة . قرأت في بعض كتب الحديث حديثا نصه قال عليه الصلاة والسلام «من قال لا إله الا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر – قالوا وان لم يكن له كبائر ؟ قال – هدمت لأهله وجيرانه» فلم أعلم مبلغ صحة هذا الحديث ولم يمكني التوفيق بينه وبين قوله تعالى (من يعمل سوءاً يجز به) وقوله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فرفعت قولي هذا راجياً نشر ما ترتاح اليه النفوس وتطمئن اليه الافئدة بصدد هذا على صفحات مجلتكم [المنار] الغراء في العدد القادم . أدامكم الله لكشف الشبهات، وتقرير البينات، انه مجيب، والسلام . المخلص لفضيلتكم

توفيق عبد الجليل

ناظر مدرسة العرابة المدفونة بالبلينا

(ج) الحديث ذكره الحافظ محمد بن طاهر في [تذكرة الموضوعات] وقال: فيه عباد بن كثير الكاهلي متروك الحديث. فهذا سنده لا يعتد به، ومتنه أبطل من سنده لمخالفته لأصول الشريعة وهي من علامة الحديث الموضوع . فلا حاجة إلى إطالة القول فيه

﴿ حكم نسخ كتب الكفر والاضلال بالاجرة ﴾

(س ٣٥) من صاحب الامضاء في الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حضرة الفاضل العلامة المحقق الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا ، حياك الله ومتع الاسلام بحياتك . آمين ، بعد واجب السلام والاحترام ألتمس الجواب من فضيلتكم في مجلة المنار على السؤال الآتي

انه لايخفى عن جنابكم أمر الاموال التي ينفقها المبشرون في سبيل رواج دينهم وتضليل المسلمين ما استطاعوا اليه سبيلا ، والحمد لله لم ينالوا مرغوبهم في البلاد العربية . وقد رأيت مسلماً صنعته خطاط بالعربية فيخط كتب المبشرين ويؤدون اليه أجرة الكتابة على ذلك ، وهذا الخطاط له محل خاص يخدم فيه الجمهور بأجرة يتفق عليها ، فهل يجوز له أن يخط كتب المبشرين وهو يعلم بأنهم يريدون بها تضليل المسلمين؟ وهل يحل له قبض هذه الاجرة أم حرام عليه؟ فأفيدونا ولكم الاجر من الملك العلام

عبد القادر الجزائري

(ج) ان هذه الكتب التي يؤلفها وينشرها دعاة النصرانية (المبشرون) مشتملة على اقبح الكفر بالله والشرك به والطعن على القرآن المجيد وعلى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم فمساعدتهم على ذلك بنسخها لهم مشاركة في نشر الكفر ، وهو كفر ظاهر لا يقترفه مسلم يؤمن بالله ورسالة أفضل رسله وأكملهم ، ويعد صاحبها فاسقا لا كافراً ، فان كان هذا المسلم الجغرافي يجهل هذا فيجب إعلامه به ودعوته الى التوبة وترك الكسب بما هو كفر وعداوة لله ولرسوله ، فان أصر على ذلك بعد العلم وقيام الحجة عليه فيجب أن يعامل معاملة المرتدين بما يقدر عليه المسلمون في وطنه منها ، فلا يزوجونه امرأة مؤمنة ، واذا مات فلا يصلين عليه أحد ولا يدفننه في مقابر المسلمين. وإذا كان في بلده محكمة شرعية فيجب ان ترفع عليه فيها دعوى الردة من قبل زوجته إن كان له زوجة مسلمة فتطلب فسخ عقد الزوجية والتفريق بينها وبينه ، ولكن يجب ان يدعى اولا الى التوبة باللطف والسر لئلا يكون عمله عن جهل فتأخذه العزة بالاثم ويلتحق بالكفار

جمع كلمة المسلمين

قاعدة أهل السنة والجماعة

﴿ في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم في صلاة الجماعة واتقاء تكفيرهم ﴾

للامام شيخ الاسلام، وعلم الاعلام، تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى وتقدس (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس وغيره: تبيض وجوه اهل السنة، والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة (فاما الذين اسودت وجوههم: أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم: ففي رحمة الله هم فيها خالدون)

وفي الترمذي عن ابي امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج « انهم كلاب اهل النار » وقرأ هذه الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال الامام احمد: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه. وقد خرجها مسلم في صحيحه، وخرج البخاري طائفة منها. قال النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية — وفي رواية — يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان »

والخوارج هم اول من كفر المسلمين بالذنوب . ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم في بدعتهم وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله ، فيتبعون الحق ، ويرحمون الخلق.

وأول بدعة حدثت في الاسلام بدعة الخوارج والشيعة ، حدثتا في اثناء خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب، فعاقب الطائفتين . اما الخوارج فقاتلوه فقتلهم، وأما الشيعة فحرق غاليتهم بالنار وطلب قتل عبد الله بن سبأ فهرب منه، وأمر بجلد من يفضله على أبي بكر وعمر . وروي عنه من وجوه كثيرة انه قال : خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر .ورواه عنه البخاري في صحيحه

فصل

ومن أصول أهل السنة والجماعة انهم يصلون الجمع والاعياد والجماعات ، لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل اهل البدع من الرافضة وغيرهم ، فان كان الامام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صلي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الاربعة وغيرهم من أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة انه لا تجوز الصلاة الا خلف من علم باطن أمره ، بل مازال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور، ولكن اذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور وأمكن الصلاة خلف من يعلم انه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم ، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد . وأما اذا لم يمكن الصلاة الا خلف المبتدع او الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع او فاجر وليس هناك جمعة اخرى فهذه تصلى خلف المبتدع والفاجر عند عامة اهل السنة والجماعة. وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة اهل السنة بلا خلاف عندهم

وكان بعض الناس اذا كثرت الاهواء يحب ان لا يصلي الا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب ، كما نقل ذلك عن احمد انه ذكر ذلك لمن سأله . ولم يقل احد انه لا تصح الا خلف من عرف حاله

ولما قدم أبو عمرو عثمان بن مرزوق إلى ديار مصر وكان ملوكها في ذلك الزمان مظهرين للتشيع، وكانوا باطنية ملاحدة، وكان بسبب ذلك قد كثرت البدع وظهرت بالديار المصرية - أمر أصحابه ان لا يصلوا الا خلف من يعرفونه لاجل ذلك(١) ثم بعد موته فتحها ملوك السنة قبل صلاح الدين وظهرت فيها كلمة السنة المخالفة للرافضة، ثم صار العلم والسنة يكثر بها ويظهر

فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين، ومن قال ان الصلاة محرمة او باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد كان يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح اربعا وجلده عثمان بن عفان على ذلك. وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف. وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن ابي عبيد وكان متهما بالالحاد وداعيا إلى الضلال

فصل

ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها اهل القبلة، فان الله تعالى قال (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين احد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى اجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم

والخوارج المارقون الذين امر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم امير المؤمنين علي ابن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين. واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على اموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لانهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم اموالهم

(١) أي لاجل كون ملوكهم الفاطميين ودعاتهم ملاحدة لا شيعة مبتدعة فقط

واذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والاجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم ، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ؟ فلا يحل لاحدى هذه الطوائف أن تكفر الاخرى وأن تستحل دمها ومالها ، وإن كانت فيها بدعة محققة ، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة ايضاً ؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ . والغالب انهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه

والاصل ان دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا باذن الله ورسوله . قال النبي ﷺ لما خطبهم في حجة الوداع « ان دماءكم واموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا » وقال ﷺ « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » وقال ﷺ « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله ورسوله » وقال « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ قال « انه اراد قتل صاحبه » وقال « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وقال « اذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها احدهما » وهذه الأحاديث كلها في الصحاح .

واذا كان المسلم متأولا في القتال او التكفير لم يكفر بذلك كما قال عمر بن الخطاب لحاطب(١) بن ابي بلتعة « يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق » فقال النبي ﷺ « انه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ؟ » وهذا في الصحيحين . وفيهما ايضا من حديث الافك : أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة : انك منافق تجادل عن المنافقين ، واختصم الفريقان فأصلح النبي ﷺ بينهم . فهؤلاء البدريون فيهم من قال لآخر منهم انك منافق ، ولم يكفر النبي ﷺ لا هذا ولا هذا ، بل شهد للجميع بالجنة

(١) أي في شأن حاطب

وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد انه قتل رجلا بعد ما قال لا إله إلا الله، وعظم النبي ﷺ ذلك لما أخبره وقال « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة : تمنيت اني لم أكن أسلمت إلا يومئذ . ومع هذا لم يوجب عليه قوداً ولا دية ولا كفارة ، لانه كان متأولا ولا ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه انه قالها تعوذاً

فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضا من أهل الجمل وصفين ونحوهم وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) فقد بين الله تعالى انهم مع اقتتالهم وبني بعضهم على بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالاصلاح بينهم بالعدل . ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار ، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم من بعض ، ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك

وقد ثبت في الصحيح ان النبي ﷺ سأل ربه « أن لا يهلك أمته بسنة عامة فأعطاه ذلك ، وسأله أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطاه ذلك ، وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فلم يعط ذلك » وأخبر أن الله لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم يغلبهم كلهم حتى يكون بعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضا

وثبت في الصحيحين لما نزل قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال « أعوذ بوجهك » (او من تحت أرجلكم) قال « أعوذ بوجهك » (او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال « هاتان أهون »

هذا مع ان الله أمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن البدعة والاختلاف، وقال (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال النبي ﷺ « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » وقال « الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقال « الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم والذئب انما يأخذ القاصية والنائية من الغنم »

فلواجب على المسلم اذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم ، وان رأى بعضهم ضالا او غاويا وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، والا فلا يكلف الله نفسا الا وسعها . واذا كان قادراً على أن يولي في امامة المسلمين الافضل ولاه، وان قدر أن يمنع من يظهر البدع والفجور منعه . وان لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الاعلم بكتاب الله وسنة نبيه الاسبق الى طاعة الله ورسوله أفضل، كما قال النبي ﷺ في الصحيح « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القراءة سواء فاعلمهم بالسنة. فان كانوا في السنة سواء فاقدمهم هجرة . فان كانوا في الهجرة سواء فاقدمهم سنا » وان كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره ، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم . واما اذا ولي غيره بغير اذنه وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلا وضلالا ، وكان قد رد بدعة ببدعة

حتى ان المصلي الجمعة خلف الفاجر اختلف الناس في اعادته الصلاة وكرهها أكثرهم ، حتى قال احمد بن حنبل في رواية عبدوس : من أعادها فهو مبتدع . وهذا أظهر القولين ، لان الصحابة لم يكونوا يعيدون الصلاة اذا صلوا خلف أهل الفجور والبدع ، ولم يأمر الله تعالى قط أحداً اذا صلى كما أمر بحسب استطاعته أن يعيد الصلاة . ولهذا كان أصح قولي العلماء ان من صلى بحسب استطاعته ان لا يعيد، حتى المتيمم لخشية البرد ، ومن عدم الماء والتراب إذا صلى بحسب حاله ، والمحبوس وذوو الاعذار النادرة والمعتادة والمتصلة والمنقطعة لا يجب على أحد منهم أن يعيد الصلاة اذا صلى الاولى بحسب استطاعته

وقد ثبت في الصحيح ان الصحابة صلوا بغير ماء ولا تيمم لما فقدت عائشة عقدها ولم يأمرهم النبي ﷺ بالاعادة ، بل أبلغ من ذلك أن من كان يترك الصلاة جهلا بوجوبها لم يأمره بالقضاء ، فعمرو وعمار لما أجنبا وعمرو لم يصل وعمار تمرغ كما تتمرغ الدابة لم يأمرهما بالقضاء ، وابو ذر لما كان يجنب ولا يصلي لم يأمره بالقضاء ، والمستحاضة لما استحاضت حيضة شديدة منكرة منعتها الصلاة والصوم

لم يأمرها بالقضاء ، والذين أكلوا في رمضان حتى يتبين لأحدهم الحبل الابيض من الحبل الاسود لم يأمرهم بالقضاء ، وكانوا قد غلطوا في معنى الآية فظنوا ان قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) هو الحبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « انما هو سواد الليل وبياض النهار » ولم يأمرهم بالقضاء ، والمسيء في صلاته لم يأمره باعادة ما تقدم من الصلوات ، والذين صلوا الى بيت المقدس بمكة والحبشة وغيرهما بعد ان نسخت بالامر بالصلاة الى الكعبة وصلوا الى الصخرة حتى بلغهم النسخ لم يأمرهم باعادة ما صلوا ، وان كان هؤلاء أعذر من غيرهم لتمسكهم بشرع منسوخ

وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ ؟ على ثلاثة أقوال ، في مذهب أحمد وغيره . قيل يثبت ، وقيل لا يثبت ، وقيل يثبت المبتدأ دون الناسخ . والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ، وفي الصحيحين « ما أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين »

فالمتأول والجاهل المعذور ليس حكمه حكم المعاند والفاجر بل قد جعل الله لكل شيء قدرا .

فصل

أجمع المسلمون على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وان ذلك حق يجزم به المسلمون ويقطعون به ولا يرتابون ، وكل ما علم المسلم وجزم به فهو يقطع به وإن كان الله قادراً على تغييره ، فالمسلم يقطع بما يراه ويسمعه ، ويقطع بأن الله قادر على ما يشاء ، واذا قال المسلم أنا أقطع بذلك فليس مراده ان الله لا يقدر على تغييره ، بل من قال ان الله لا يقدر على مثل إماتة الخلق واحيائهم من قبورهم وعلى تسيير الجبال وتبديل الارض غير الارض فانه يستتاب فان تاب وإلا قتل . والذين يكرهون لفظ القطع من أصحاب أبي عمرو بن مرزوق هم قوم أحدثوا

ذلك من عندهم ولم يكن هذا الشيخ ينكر هذا ، ولكن أصل هـذا انهم كانوا: يستثنون في الايمان كما نقل ذلك عن السلف فيقول أحدهم : أنا مؤمن ان شاء الله، ويستثنون في أعمال البر ، فيقول أحدهم : صليت ان شاء الله . ومراد السلف من ذلك الاستثناء كونه لايقطع بأنه فعل الواجب كما أمر الله ورسوله ، فيشك في قبول الله لذلك فاستثنى ذلك ، أو للشك في العاقبة ، أو يستثني لان الأمور جميعها انما تكون بمشيئة الله كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) مع ان الله علم بأنهم يدخلون لاشك في ذلك ، أو لئلا يزكي أحدهم نفسه

وكان أولئك يمتنعون عن القطع في مثل هذه الأمور ، ثم جاء بعدهم قوم جهال فكرهوا لفظ القطع في كل شيء ، ورووا في ذلك أحاديث مكذوبة ، وكل من روى عن النبي ﷺ أو عن أصحابه أو واحد من علماء المسلمين انه كره لفظ القطع في الامور المجزوم بها فقد كذب عليه . وصار الواحد من هؤلاء يظن انه اذا أقر بهذه الكلمة فقد أقر بأمر عظيم في الدين ، وهذا جهل وضلال من هؤلاء الجهال لم يسبقهم الى هـذا أحد من طوائف المسلمين ، ولا كان شيخهم أبو عمرو بن مرزوق ولا أصحابه في حياته ولا خيار أصحابه بعد موته يمتنعون من هذا اللفظ مطلقا ، بل انما فعل هذا طائفة من جهالهم

كما ان طائفة أخرى زعموا ان من سب الصحابة لا يقبل الله توبته وإن تاب، ورووا عن النبي ﷺ انه قال « سب أصحابي ذنب لايغفر » وهذا الحديث كذب على رسول الله ﷺ لم يروه أحد من اهل العلم ولا هو في شيء من كتبهم المعتمدة وهو مخالف للقرآن لان الله تعالى قال (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) هذا في حق من لم يتب . وقال في حق التائبين (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فثبت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ان كل من تاب تاب الله عليه .

ومعلوم ان من سب الرسول من الكفار المحاربين وقال: هو ساحر أو شاعر أو مجنون أو معلم او مفتر، وتاب تاب الله عليه . وقد كان طائفة يسبون النبي ﷺ من اهل الحرب ثم اسلموا وحسن إسلامهم وقبل النبي ﷺ منهم : منهم

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان قد ارتد وكان يكذب على النبي ﷺ ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن، ثم تاب وأسلم وبايعه النبي ﷺ على ذلك

واذا قيل: سب الصحابة حق لآدمي. قيل: المستحل لسبهم كالرافضي يعتقد ذلك دينا، كما يعتقد الكافر سب النبي ﷺ دينا. فاذا تاب وصار يحبهم ويثني عليهم ويدعو لهم محا الله سيئاته بالحسنات.

ومن ظلم انسانا فقذفه او اغتابه او شتمه ثم تاب قبل الله توبته. لكن ان عرف المظلوم مكنه من أخذ حقه، وان قذفه او اغتابه ولم يبلغه ففيه قولان للعلماء، هما روايتان عن احمد: اصحهما انه لا يعلمه اني اغتبتك. وقد قيل بل يحسن اليه في غيبته كما أساء اليه في غيبته. كما قال الحسن البصري: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته. فاذا كان الرجل قد سب الصحابة او غير الصحابة وتاب فانه يحسن اليهم بالدعاء لهم والثناء عليهم بقدر ما أساء اليهم. والحسنات يذهبن السيئات. كما ان الكافر الذي كان يسب النبي ﷺ ويقول انه كذاب اذا تاب وشهد أن محمداً رسول الله الصادق المصدوق وصار يحبه ويثني عليه ويصلي عليه كانت حسناته ماحية لسيئاته والله تعالى (يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون) وقد قال تعالى (حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم* غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله الا هو اليه المصير)

هذا آخر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية، قدس الله روحه ونفعنا والمسلمين بعلومه

[المنار] هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الاسلام وأنفعه في التأليف بين أهل القبلة الذين فرق الشيطان بينهم باهواء البدع وعصبيات المذاهب، على كونه أقوى أنصار السنة برهانا، وأبلغ المفندين للبدع قلما ولسانا، ومنهاجه في الرد على المبتدعة: بيان الحق بالادلة، وحكم ماخالفه من شرك وكفر وبدعة، مع عدم الجزم بتكفير شخص معين له شبهة تأويل، فضلا عن تكفير فرقة تقيم أركان الدين. فجزاه الله أفضل الجزاء على ارشاده ونصحه للمسلمين،

السنة والشيعة

وضرورة اتفاقهما

بلغنا عن بعض اخواننا من مسلمي بيروت أنهم غير راضين عن رد المنار على الشيعة في هذا العهد الذي اشتدت فيه حاجة المسلمين إلى الاتفاق والاتحاد ولا سيما مسلمي سورية ولبنان والعراق الذين اشتد عليهم ضغط المستعمرين في دينهم ودنياهم . وانني أقسم بالله وآياته لشديد الحرص على هذا الاتفاق وقد جاهدت في سبيله أكثر من ثلث قرن ، ولا أعرف أحدا في المسلمين أعتقد او أظن انه أشد مني رغبة وحرصا على ذلك، وقد ظهر لي باختباري الطويل وبما اطلعت عليه من اختبار العقلاء وأهل الرأي أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق ، أشد الاباء ، إذ يعتقدون انه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه . وأول من كلمتهم في هذا الموضوع شيخنا الاستاذ الامام في سنة ١٣١٥ وآخرهم الاستاذ الثعالبي السياسي الرحالة الشهير في هذا الشهر مع أستاذ ذكي من شبان الشيعة العراقيين ، وفيما بين هذين الزمنين تكلمت مع كثيرين من الفريقين في مصر وسورية والهند والعراق، وأعلاهم مقاما جلالة الملك فيصل تكلمنا في هذه المسألة في دمشق سنة ١٣٢٠ ثم في مصر عند إلمامه بها في عودته من أوربة في خريف سنة ١٣٤٥هـ ١٩٢٦ م

ومما علمته بالخبر والخبر ان الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لاهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين فالفريقان فيها قرنان متكافئان ، وقد اجتهدت أنا وإخواني من محبي الاصلاح في الهند بالتأليف وجمع الكلمة وخطبت في مدينة بمبي خطبة فياضة في ذلك . وبدأت بزيارة رئيس الشيعة الديني في لكنهؤ دون غيره من أمراء الهند وزعمائها فانهم كانوا هم الذين يبدؤنني بالزيارة ، وكنت سبب دخول الكاتب الحماسي الشعبي (الدمقراطي) المؤثر ظفر علي خان صاحب جريدة زميندار الوطنية المؤثرة دار (النواب فتح على خان) لأول مرة ولم يدخلها قبل ذلك قط ولا دخل دور غيره من سلائل الامراء من الشيعة ولا غيرهم ، وقد

رأيت لسعيي تأثيرا حسنا في الهند وفي إيران ، ولما ألممت ببغداد منصرفي من الهند جاءني وفد من النجف للزيارة و الدعوة الى النجف وأخبرني رئيسه صديقي العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني أنه يوجد هنالك كثيرون من طلبة العلم على رأيي في الاصلاح الاسلامي يتمنون لقائي، وما منعني من زيارة النجف إلا المرض ، وانما كان داعية الاصلاح فيهم الملا كاظم الخراساني وقد توفي قبل زيارتي للعراق رحمه الله تعالى ، ولـكن جمهور شيعة العراق شديدو التعصب باعتراف السيد هبة الدين وبعض المنصفين منهم . وكان يوجد في شيعة سورية من يظهر الميل إلى الاتفاق في عهد الدولة العثمانية أكثر مما يوجد في العراق، وكان للمنار رواج عند بعض العصريين المستنيرين منهم ، ولذلك قام أشهر علمائهم يطعن علي ويتهمني بالتعصب والتفريق لأنهم يكرهون الاتفاق لما ذكرته آنفا . وقد صبرت عدة سنين على طعنه علي قولا وكتابة حتى صار السكوت عنه إقرارا لهم على ما تصدوا له في هذا العهد عهد الاستعمار الفرنسي المسمى بالانتداب من مناهضة النهضة العربية الحاضرة من مدنية ودينية بما هو أكبر خدمة للاجانب السالبين لاستقلال هذه البلاد سورية والعراق ،

ذلك أنهم نشطوا في هذا العهد لتأليف الكتب والرسائل في الطعن في السنة السنية والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الامصار ، ونشروا الاسلام في الاقطار ، وأسسوا ملكه بالعدل والقوة ، وتم بهم وعد الله عز وجل (ليظهره على الدين كله) والطعن في حفاظ السنة وأئمتها ، وفي الامة العربية بجملتها ، وخصوا بالطعن أول ملك عربي اعترفت له الدول القاهرة للعرب والمسلمين وغيرها بالاستقلال المطلق والمساواة لها في الحقوق الدولية ، طعنوا فيه وفي قومه بكتاب ضخم لتنفير المسلمين ولا سيما مسلمي العرب وصدهم عنه واغرائهم بعداوته والبراءة منه ، لا لعلة ولا ذنب إلا اتباع السنة واقامة أركان دولته على أساسها ، مع عدم تعرضه للشيعة بعداوة ولا مقاومة ، بدليل اتفاقه مع دولة الشيعة الوحيدة في العالم وهي دولة إيران بما حمدناه لكل منهما ، ورجونا أن يكون تمهيدا للاتفاق التام بين الفريقين ، بالتبع للاتفاق بين الدولتين

والذي بدأ هذا الشقاق وتولى كبره منهم هو صاحب ذلك الكتاب البذيء الجاهلي ، (السيد محسن الامين العاملي) ، الذي لم يكتف فيه باخراج ملك العرب

الجديد وقومه النجديين من حظيرة الاسلام ، وهو يعلم أنه لا قوة له ولا للعرب بغيرهم في هذا الزمان، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا ذلت العرب ذل الاسلام» (رواه أبو يعلي بسند صحيح) ولكن الاسلام عنده هو الرفض الذي هو الغلو في التشيع وعداوة السنة. ولم يكتف بذلك حتى زعم أن منشأ ضلال هؤلاء الوهابية وخروجهم عن الاسلام وعليه هو كتب شيخ الاسلام ، وعلم الأئمة الاعلام ، مؤيد الكتاب والسنة بأقوى البراهين النقلية والعقلية، وناقض أركان الشرك والكفر والبدع بتشييد صرح السنة المحمدية ، الشيخ تقي الدين بن تيمية، الذي نشرنا في هذا الجزء بعض رسائله في جمع كلمة الامة الاسلامية ، والادلة على أن أهل السنة لا يكفرون احدا من أهل القبلة ، ولا يأبون صلاة الجماعة مع المبتدعة منهم ،

وزعم أيضا أن صاحب المنار قد انفرد دون المسلمين بموافقة ابن تيمية والوهابية، وزاد على ذلك الطعن في شخصه وسيرته العمليـة، بما هو محض الزور والبهتان ، ليخدع الجاهلين من أهل السنة بما بيناه في الرد عليه

وقام في أثره من علماء شيعة العراق من الف كتابا خاصا في الرد على كتاب منهاج السنة لشيخ الاسـلام ، وآخرون ألفوا كتبا ورسائل أخرى في الطعن على السنة وأهلها ، دع ماقالوه في مؤتمرهم المشهور من تكفير الوهابية والتحريض على قتالهم ، على ضعفهم وعجزهم !

كذلك قام بعده زعيمهم الثاني في سورية السيد عبد الحسين فألف كتابا آخر في الطعن على الصحابة من كبار المهاجرين والانصار وفي الامة العربية سلفها وخلفها وفي اصحاب دواوين السنة ولا سيما الحافظ البخاري رضي الله عنهم فوجب علينا الرد عليه ، ولم نفرغ الا للقليل منه

فصاحب المنار لم يهاجم الشيعة مهاجمة وإنما رد بعض عدوانهم وبهتانهم لبطلانه ولكون هـذا الطعن في الصحابة وأئمة السنة وحفاظها وفي الامة العربية وملكها في هذا الوقت لا فائدة منه إلا لاعداء المسلمين والعرب السالبين لاستقلالهم، وأكبر قوة للاجانب عليهم تعاديهم وتفرقهم

فلا أدري ماذا يريد الذي استنكر هذا الرد عليهم من إستنكاره ، وكيف

تصور إمكان الاتفاق مع قوم يتبعون أمثال هذه الزعماء، وتنشر دعايتهم هذه مجلة العرفان بالتنويه بكتبهم هذه والعناية بنشرها، عدا ماتبعثه هي من دعاية التشيع التي كنا نعذرها فيها بتنزهها عن الطعن الصريح في السنة وأهلها ولذلك كنا نرجو أن تنكر هـذه الدعاية وتأبى نشر هذه الكتب الضارة بصرف النظر عن مسألة موضوعها، فقد يقول أو قال صاحب مجلة العرفان إنه يعتقد حقية ما كتبه هذان المؤلفان، وإن كنا نشرنا عنه من قبل مايدل على عدم اعتقاد ما افتراه الاول على الوهابية، ولا نعقل أن يكون معتقدا ما افتراه الثاني على المهاجرين والانصار من وصفهم بالجبن، ونكثهم لما بايعهم الله عليه ... ومن زعمه الذي أقسم عليه يمينا مغلظة انه لولا علي بن أبي طالب لقتل المشركون رسول الله ﷺ ولم يقم للاسلام قائمة في الارض، بالرغم من وعد الله تعالى بنصره، وإظهار دينه على الدين كله الخ فهل يريد المستنكر من إخواننا أن نسكت لهؤلاء على كل هذا الطعن فيكون سكوتنا حجة على أهل السنة كافة، ومعصية يأثمون بها كلهم، ولا يزيد الشيعة إلا يقينا بضلالهم، وبعداً عن الاتفاق معهم ؟

وقد أخبرني من بلغني ماتقدم من الاستنكار أن بعض مسلمي بيروت استفتاني في تزوج كل من أهل السنة والشيعة في الآخرين ولم أفته بشيء. وأقول: إن هذا الاستفتاء لم يصل الي، واني كنت استفتيت في مثله من قبل اذ خطب أحد كبار الايرانيين بمصر فتاة من بيت بعض كبراء المصريين فأرسل الحريم يستفتوني في ذلك سراً فأفتيت بالجواز، واستدللت بأن هذا الخاطب من الشيعة الامامية وهم مسلمون لا من البابية ولا البهائية المارقين من الاسلام، وانما يمتنع تزويج هؤلاء والتزوج فيهم

وأما رأيي في الاتفاق فهو قاعدة المنار الذهبية التي بيناها مرارا وهي « أن نتعاون على ما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه » فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الاسلام الخمسة، وعلى تحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن، وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم، وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسة واقتصادية، وفي البلاد العربية على اعلاء شأن الامة العربية ولغتها الخ واستقلال بلادها وعمرانها، فيجب أن يتعاونوا على ذلك كله، وهم يختلفون في مسألة الامامة

(وقد مضى وانقضى الزمن الذي كان فيه هذا الخلاف عمليا) وفي المفاضلة بين الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، وفي عصمة الأئمة الاثنى عشر ، مع مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى وفيما دون ذلك من الفروع العملية ، فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليه قلبه ، ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو يقلد فيه من يثق بهم من العلماء ، وأن يبين ذلك قولا وكتابة من غير طعن في عقيدة الآخر ولا في الصحابة وأئمة العلماء المجتهدين والمحدثين . كما فعل بعض أدبائهم في قصائد نظمها في مدح الأئمة وشرحها وجعل مقدمتها في بيان العقيدة الاسلامية عندهم ، وفيها مالا يوافقهم عليه أهل السنة ، ولا يكفرونهم به . ولم ينكر ذلك عليه أحد منهم . فيجب على محبي الاتفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين للعمل بمقتضاها ، بالرغم من زعم مجلة المشرق اليسوعية ان الاتفاق متعذر ،واستدلالها عليه بالمناظرة التي دارت بين المنار والعرفان، وما كان صاحباها إلا أخوان ، ولا يتعذر عليهما العودة إلى ما كانا عليه بمقتضى هذه القاعدة .

هذا وإننا لا نعرف أحدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن في أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام، كما يطعن هؤلاء الروافض في الصحابة الكرام، ولا سيما أبي بكر وعمر (رض) وفي أئمة حفاظ السنة كالبخاري ومسلم وكذا الامام احمد إمام أئمة السنة وشيخ كبار حفاظها وشيخ الاسلام ابن تيمية والحافظان الذهبي وابن حجر وغيرهم ، فانهم يعدونهم من النواصب لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من الغلو في مناقب آل البيت، وقد أغناهم الله عن اختلاق المناقب لهم بكثرة مناقبهم الصحيحة الثابتة بالنقل الصحيح .وحفاظ السنة ومدونوها هم المرجع في هذا. وكل من خالفهم من المبتدعة فهم جاهلون بنقد الروايات ، والروافض منهم أجهلهم بهذا العلم، واكذبهم في النقل، كما هو مشهور عنهم في التاريخ ،وقد ذكره أحد علماء ألمانية المستشرقين في كتاب له،و انما النواصب أولئك الخوارج الذين يتبرؤن من علي كرم الله وجهه ،و كذلك من يتولون من بغوا عليه ومن قتلوا سبط الرسول (ص) أو يصوبون أعمالهم ، لا أئمة السنة الذين محصوا رواياتها، وبينوا درجاتها .

ونذكر على سبيل النموذج لجهلهم بالحديث ما انتقدته مجلة العرفان على مجلة

الشبان المسلمين المصرية من الثناء على معز الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) وما أوردته فيه من هذه النقول، وكنت قد كتبته للجزء الماضي فلم يتسع له وهو:

﴿ علم عمر وعلي (رض) بالدين والقضاء ﴾

بين مجلة الشبان المسلمين ومجلة العرفان

لا يطيق أحد من الشيعة المتعصبين أن يرى في كتاب أو مجلة ثناءً عظيما على أبي بكر أو عمر (رض) ولا سيما إذا كان فيه صيغة اسم التفضيل، مع العلم بأن اسم التفضيل كثيراً ما يستعمل في التفضيل الاضافي أو بتقدير من التبعيضية

وقد كتب الاستاذ الدكتور يحيى أحمد الدرديري مقالة في مجلة جمعية الشبان المسلمين في الثناء على عمر بن الخطاب (رض) قال فيها: كان عمر (رض) أعلم الصحابة بالدين وأفقههم فيه. فنقل عنه الاستاذ صاحب مجلة العرفان نبذة منها وعلق على هذه الجملة رداً عليها لعله لم ينقلها إلا لذلك قال: هذا مناف لقول النبي ﷺ «أقضاكم علي» وقوله «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وقول عمر نفسه: لولا علي لهلك عمر، ولا كنت لقضية ليس لها أبو الحسن اهـ

ونقول في الرد على الاستاذ صاحب مجلة العرفان ان الحديثين اللذين ذكرهما وهما مما يحفظه كل شيعي وكثير من غير الشيعة ليس لهما رواية صحيحة ولا حسنة، ولو فرضنا صحتهما لما كانا معارضين لقول من قال كان عمر أعلم الصحابة،

أما العلم والقضاء فانه يجوز عقلا أن يكون عمر أعلم بأصول الدين ومقاصده وحكمه وسياسته، ولا يكون مع ذلك أقضى الصحابة، وأن يكون علي أقضاهم أي أعلم بالفصل بين الخصوم وتطبيق قضاياهم على أحكام الشرع، ولا يكون مع ذلك اعلم من عمر به، وقد كان أبو يوسف أقضى من أستاذه ابي حنيفة وزميله محمد بن الحسن ولم يكن أعلم منهما، ومثل هذا كثير مشاهد في كل زمان. كان الشيخ محمود نشابة في طرابلس الشام أعلم من أحمد افندي سلطان بكل علوم الشرع وكان احمد افندى أقضى منه، بل لم يكن الشيخ محمود نشابة علامة سورية في زمنه الذي ادركناه في آخره مستعداً لأن يكون قاضيا

وأما حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فليس بينه على تقدير صحته وبين ماقاله الكاتب في تفضيل عمر أدنى تعارض ولا منافاة ، اذ المتبادر من معناه ان علياً (رض) موصل الى علم النبي صلى الله عليه وسلم بالرواية للسنة والتفسير للقرآن والعمل بهما ، وهذا المعنى صحيح في نفسه ، معلوم من جملة سيرته كرم الله وجهه ، وان كان الحديث المذكور غير صحيح ، ليس في لفظه مايدل على انه أعلم بما كان في هذه المدينة من كل من كان فيها ، ولا برواية ذلك العلم وتفسيره أيضا . وإلا لحكمنا بأن كل ماروي عن غيره كرم الله وجهه من الحديث والتفسير والاحكام فليس من علم النبوة . ولم يقل بهذا رافضي ولا غيره ،

والحديث رواه الحاكم في مستدركه من طريق أبي الصلت عبد السلام بن صالح عن ابن عباس وتتمته [فمن أراد المدينة فليأت الباب] وقل الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وأبو الصلت ثقة مأمون . ونقل توثيقه عن يحيى بن معين ، وتعقبه الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك فقال رداً على قوله «صحيح» : بل موضوع . قال «وأبو الصلت ثقة مأمون» قلت لا والله لاثقة ولا مأمون اه وتصحيح الحاكم للاحاديث لايعتمد عليه أحد من المحدثين فقد صحح كثيراً من الضعاف والمنكرات وكذا الموضوعات وتعقبه الذهبي وغيره فيها

وأخرج الترمذي من طريق شريك عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انا دار الحكمة وعلي بابها » هذا حديث غريب منكر ، روى بعضهم هذا الحديث عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحي ، ولا نعرف هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك ، وفي الباب عن ابن عباس اه كلام الترمذي

وأقول ابو الصلت راوي الحديث الاول وثقه ابن معين كما قال الحاكم ولكن طعن فيه الاكثرون والجرح مقدم على التعديل . قال مسلمة عن العقيلي : كذاب ، وكذا محمد ابن طاهر قال إنه كذاب ، وقل ابن حبان لايجوز الاحتجاج به إذا انفرد . وكلهم أنكروا حديثه هذا ، وكأنهم يتهمونه بوضعه على أبي معاوية ، ولكن ابن معين يقول انه ليس ممن يكذب ، وذكر ان محمد بن جعفر الفيدي حدث به عن أبي معاوية وقال أخبرني ابن نمير قال حدث به ابو معاوية قديما ثم كف عنه اه ومراد ابن معين ان أبا الصلت

لم يكن هو الذي افتراه بل كان حدث به أبو معاوية ثم كف عنه فلعل أبا الصلت رواه عنه ولم يبلغه كفه عن التحديث به لعدم الثقة بصحته

وقال صاحب (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الالسنة من الحديث) حديث «انا مدينة العلم وعلي بابها» رواه الحاكم في المناقب من مستدركه عن ابن عباس مرفوعا والترمذي من جامعه عن علي بمعناه وقال انه منكر ، وكذا قال البخاري وقال انه ليس له وجه صحيح . وقال ابن معين انه كذب لا أصل له ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره على ذلك ، وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه وقيل انه باطل اه

وقد أورده الاستاذ الشيخ محمد الحوت الكبير علامة بيروت في (اسنى المطالب) وذكر بعض ما نقله الديبع عن أستاذه الحافظ السخاوي من قول الحفاظ بوضعه حتى ابن معين ، ثم قال قد ولع به العلماء ، وذكره من دون بيان رتبته خطأ ، ومثله «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وزاد بعضهم : وأبو بكر اساسها وعمر حيطانها ، وذلك لا ينبغي ذكره في كتب أهل العلم لاسيما مثل ابن حجر الهيتمي ذكر ذلك في الصواعق والزواجر وهو غير جيد من مثله اه

وأقول ان ابن حجر الهيتمي هذا قد أتقن فقه الشافعية التقليدي على طريقة أهل زمنه ، وهو ليس بحافظ للحديث ولا من نقاده ، وانما ينقله من الكتب ، فان لم تكن له عناية خاصة بالاحتجاج به فلا يبالي أكان صحيحاً أم ضعيفاً أم موضوعا . فكيف اذا كان له هوى يوافق معناه كالغلو في المدح ؟ وأخطأ من حسنه بكثرة طرقه

وأما حديث «أقضاكم علي» فقد قال الحافظ السخاوي ماعلمته بهذا اللفظ مرفوعا بل في مستدرك الحاكم عن ابن مسعود قال كنا نتحدث ان أقضى أهل المدينة علي ، وقال انه صحيح ولم يخرجاه اه

وأقول ان الحافظ الذهبي أقر الحاكم على روايته له عن ابن مسعود من قوله ، ولو ورد مرفوعا الى النبي ﷺ ولو من طريق منكر لأورده الحاكم ، ولعمري انه لحق في نفسه سواء كان اسم التفضيل على بابه ام لا ، ولكن لا ندري متى قال ابن مسعود هذا ؟ هل قاله في زمن عمر او بعده

وأما ما ذكره صاحب مجلة العرفان من قول عمر فهو لم يرو بسند صحيح وانما ذكره بعضهم فيما يتساهلون فيه من رواية المناقب ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية انه لم يذكر عنه إلا في قضية إن صح ، وكان عمر يقول مثل هذا لمن دون علي كما قال للمرأة التي عارضته في الصداق: امرأة أصابت واخطأ عمر . وبين في منهاج السنة بالشواهد انه كرم الله وجهه لم يكن أقضى الصحابة (رض) وفيه نظر

وأما الاحاديث الدالة على علم عمر في الصحاح والسنن فهي كثيرة منها موافقات رأيه للقرآن وكونه من المحدثين (بفتح الدال المهملة) أي الملهمين، وغير ذلك ، ولسنا بصدد تفصيل هذه المسألة ، وكذلك ماروي في قضائه باجتهاده وفي اتباع الصحابة له في مسائل متعددة ، وكذلك المسائل التي كان يستشير فيها الصحابة

هذا وان العلم الذي يتعلق به القضاء هو الاحكام العملية من شخصية ومدنية وعقوبة ، وهو أدنى علوم الدين الاسلامي ، وأما أعلاها فهو العلم بالله تعالى وصفاته وبسننه في خلقه من نظام العالم، ويليه العلم بتهذيب النفس وتزكيتها بالعبادات الصحيحة، والعلم بسياسة الامم وإقامة الحق والعدل فيها ، والذين يفضلون عمر على غيره في علوم الاسلام ولا سيما بعد أبي بكر يفضلونه بهذه العلوم التي هي في الذروة العلياء وهي ماتثبتها له أعماله وأقواله وأحواله وسياسته وإدارته، ولم يغمطه أحد حقه في علم الاحكام العملية القضائية أيضاً ، وماروي من تفضيل علي لعمر أصح مما روي من قول عمر في علي، وماهما إلا اخوان، ومن مصائب التعصب جعلهما خصمين يتضادان.

فان كان قد روي عن عبد الله بن مسعود انهم كانوا يتحدثون بان عليا كرم الله وجهه كان أقضى أهل المدينة، فقد روي عنه انه قال لما مات عمر : اني لأحسب انه ذهب بتسعة أعشار العلم. رواه ابو خيثمة في كتاب العلم عن جرير عن الاعمش عن ابراهيم بن عبد الله . وقد أورده ابو طالب المكي في قوت القلوب والغزالي في الاحياء . قالا: فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة - وفي القوت وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ؟ فقال: اني لست أعني العلم الذي تذهبون اليه انما أعني العلم بالله عز وجل اه وجرير الراوي لهذا الاثر هو ابن حازم وهو ثقة فيما يرويه إلا عن قتادة . وأما ابراهيم بن عبدالله فلا نعرفه في شيوخ الاعمش وانما يروي الاعمش

عن ابراهيم النخعي فلعله هو وناهيك به في رواة حديث ابن مسعود وآثاره

هذا وان علماء السنة الذين طعنوا في رواية الحديثين المذكورين قد أثبتوا من الروايات في مناقب علي (رض) أكثر مما أثبتوه من مناقب غيره من الصحابة (رض) وصرح بذلك امامهم الاعظم احمد بن حنبل وأقروه عليه ، فهل يعدون من النواصب ؟

وأختم هذا البحث بالتذكير بانني كنت نوهت بشيعة العراق في أول العهد باستيلاء الانكليز عليها لانهم كانوا اشد من أهل السنة في الثورة عليهم ، ولما بلغنا عنهم من احتقار الدسيسة التي عرضها عليهم الانكليز للتفرقة بينهم و بين أهل السنة إذ عرضوا عليهم أن يكون القضاء في الجهات التي يكثرون فيها بمذهبهم الجعفري ، فأجابوهم بان الشريعة واحدة لا فرق فيها بين مذهب جعفر ومذاهب أهل السنة ، وانما الخلاف في كل مذهب يشبه ما في غيره وهو في مسائل اجتهادية يعذر فيها كل مجتهد . ثم نكسوا على رءوسهم وعادوا إلى خدمة الاجانب بالتفريق والتعادي من حيث لا يشعرون ، ولم يعتبروا باعتدال شيعة إيران وميلهم إلى الوحدة والاتفاق ، وانما كان اسلافهم من أمراء الفرس وموابذتهم هم الذين أسسوا قواعد الغلو في الرفض ونظموا جمعياته ونشروه في العالم لازالة ملك العرب واعادة دين المجوس وملكهم كما شرحناه مراراً ، وقد أخبرني الاستاذ الثعالبي الذي زار بلادهم في العام الماضي بمثل ما أخبرني به الاستاذ الكردي الذي ذكرت خبره من قبل وهو ناشيء في بلادهم ، قالا ان الميل فيهم إلى الوحدة الاسلامية والاتفاق مع أهل السنة قوي جداً ، وهذا ما نشاهده في جاليتهم بمصر، فهم كأهل السنة هنا في كراهتهم للخلاف ، وحبهم للائتلاف ، إلا ما شذ به صديق لنا منهم طعن علينا وافترى ، فكان قدوة للعاملي فيما امترى . ثم تصافحنا وتصالحنا ، ونسأله تعالى أن يصلح الجميع ، فالشقاق شر للجميع .

أفليس من أعجب العجائب أن نرى أخلاف أولئك الفرس يرجعون عن ذلك الغلو ويجنحون الى الاتفاق مع اهل السنة من العرب وتقوية الرابطة الاسلامية ثم نرى مع هذا أخلاف العرب حتى المنتسبين الى الرسول الاعظم ﷺ يزدادون غلواً في الشقاق المذهبي والسياسي الذي كان أكبر عيوب سلفها وخلفها ، وهو الذي أضعف دولها ، وأزال ملكها ، والله ان هذا لشيء عجاب ، وعسى أن يزول قريبا بسعي اولي الالباب .

بيان الى العالم الاسلامي

عن قضية البربر في المغرب الاقصى

(جاءنا بالبريد من بعض مدائن المغرب)

أيها المسلمون

نحن اخوانكم المغاربة الذين اعتدي علينا، وسلبنا ـ أو كدنا ـ نسلب أقدس حق يملكه الانسان، نحن اخوانكم الذين أراد الفرنسيون أن يقضوا على ديننا ويمزقوا وحدتنا، ويقتلوا لغتنا، لغة الكتاب المنزل من السماء، نحن إخوانكم الذين أيسنا أن نقر الذل فينا، وأبينا أن نضام في أعز شيء علينا، (الدين، والوحدة، واللغة) جاهدنا وضحينا في ذلك جهد المستطاع، فمنا من جلد، ومنا من سجن، ومنا من نفي، ومنا آخرون يضطهدون مابين عشية وضحاها، ولو بلغ الامر بنا إلى حد القتل ما كنا نبخل على ديننا بدمائنا الزكية، نحن الذين كنا ولا نزال من أخلص الناس للعروبة والاسلام، ومن أشد الناس شكيمة وأقواها تمسكا باحكام السنة والكتاب، نحن الذين حلت بنا هذه المصيبة العظمى والرزية الكبرى، نريد ان نبين لكم ـ أيها المسلمون ـ الحقائق وندلي لكم بالحجج والبراهين التي لاتبقي شكا لمرتاب، ولا يحتاج معها المتبصرون في فهم قضيتنا هذه إلى شيء آخر، ولئلا تنطلي على بعض الناس خدع السياسة، لانه أبعد عنا داراً، وأنأى مزاراً * وما راء كمن سمعا *

نناشدكم الله والرحم الاسلامي ـ يا أمة محمد ﷺ ـ أن تتبصروا في هذه القضيه المغربية. ولا تغتروا بما ينشره الفرنسيون من الاضاليل والتمويهات الكاذبة، فان هذه القضية لها ما بعدها، وإذا نجح الفرنسيون في تجربتهم هذه فينا فسيحذو حذوهم جميع دول الاستعمار وينقلص كل الاسلام من الارض (لا قدر الله). واذكروا إذا خرج المغرب من حوزة الاسلام كما خرجت الاندلس وصقلية ماذا يكون عذرنا أمام الله، وموقفنا إزاء العالم أجمع؟

ان هذه القضية يا أمة رسول الله، ليست إلا اعادة لتمثيل رواية الاندلس المحزنة في المغرب الاقصى، او ابتداء حرب صليبية من جديد، يا أمة رسول الله: ها نحن أولاء ندلي لكم بالحجج والبراهين لتعلموا مايتهدد ديننا من الاخطار، وأنتم اليوم أقوياء إن اتحدتم وتناصرتم، والعاقبة لكم ما جادلتم عن الاسلام وجاهدتم، (ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

الحال في المغرب قبل الحماية

عند ما ضعف نفوذ الملوك المتأخرين كان المغرب كله في ثورة(١) عامة، سواء حواضره وبواديه عربه وبربره، فما سكنت قبيلة اومدينة إلا وتثور أخرى. وكان أشد القبائل شقا للعصا القبائل النائية عن عاصمة الملك، حيث توجد القوات والسلطات، ومن هـذه القبائل العرب والبربر، وكانت القبيلة إذا ثارت إما أن يساعدها قائدها وقاضيها على الثورة فتتركهما يحكمان فيها ويكونان معها من الثائرين، واما أن لايساعداها فتقتل غير المساعد او تجليه عن أرضها، وفي هذه الحالة تضطر بحكم الضرورة إلى نصب محكمين من قبلها لفصل المنازعات والمشاكل التي تقع بين الافراد والجماعات، وكانت تختار لفصل القضايا الجنائية والمنازعات التي تحدث بينها وبين من جاورها من القبائل على الحـدود وغيرها جماعة من كبرائها، ويجعلون على رأس هذه الجماعة من كان أكبرهم سنا وأرشدهم رأيا،

وإذا نظرنا إلى ان المغرب أكثره كان قد انهد ركنه الاخلاقي والعلمي- نعلم ان هذه الجماعة التي كانت تحكمها بعض القبائل إنما كانت تحكم بأهوائها غير مقيدة بدين ولا قانون لانها كانت تجهل ذلك، هذا في القضايا الجنائية كما ذكرنا، وأما

---

(١) ينبغي ان يعلم ان أسباب هذه الثورة هو ماكان شائعاً عن مولاي عـبد العزيز من انه باع المغرب للاجانب وعن مولاي عبد الحفيظ من عدم اكتراثه بالدين، ونحن نرى ان هذه الدعاية انما كانت من ذوي الاغراض السيئة صنائع الدول التي كانت تتكالب على المغرب لتستعمره. وعلى كل فسببها الغيرة على الدين لا الثورة عليه كما يزعم الفرنسيون اه من حاشية الاصل

القضايا المدنية والاحوال الشخصية فكانت تختار لها عالما من العلماء الذين كانت لاتخلو منهم قبيلة، ويكون هذا العالم بمنزلة القاضي غير انه ولي من طرف القبيلة، ولا ننكر انه كان يوجد بازاء هذا بعض اللصوص المتشردين فيعملون على وفق اهوائهم، معتمدين على بأسهم وقوتهم

اما الملوك فلم يقروا أحداً من هذه القبائل الثائرة على حالته، بل كان كل ملك يعمل جهده كله ليردهم إلى طاعته، والتحاكم الى القضاة والقواد الذين يوليهم عليهم هو بصفة رسمية

هذه هي الحالة الحق التي كان عليها المغرب في أعوامه الاخيرة سواء من جانب الملوك او من جانب القبائل، وقد ظهر من ذلك ان القبائل البربرية لم تنبذ الشرع الاسلامي او التحاكم اليه يوما ما، وان نصبها للجماعة وتحكيمها انما كان لضرورة الثورة، وان أحدا من الملوك لم يقرهم على شيء من ذلك، وانما كان اذا أعجزه كبح جماحهم وخضد شوكتهم سكت عنهم اضطرارا، وان هذه الحالة كانت عند العرب والبربر على السواء

الحال بعد الحماية

عندما بسط الفرنسيون الحماية على المغرب، فكروا في شيء يضمن لهم بقاءهم فيه واستيلاءهم عليه نهائيا حتى يصير قطعة من الجمهورية كالجزائر والسنغال، فرأوا ان ذلك يمكنهم بمصادرة ثلاثة أشياء: الاحكام الشرعية، والقرآن، واللغة العربية، لانها ثلاثتها كحلقة مفرغة يرتبط طرفاها بعضها ببعض وتجمعها كلمة واحدة [الاسلام] والاسلام هو العقبة الكأداء عندهم في طريق استعباد الشعوب، ووجدوا ان الامر يواتيهم في البربر أكثر مما يواتيهم في العرب، فرسموا لتنفيذ ذلك فيهم خطة ابتدأوا العمل بها عام ١٩١٤ م. وصاروا يقطعون مراحلها في طي الخفاء إلى أن ظنوا ان الوقت قد حان للعمل النهائي وانه لم يبق في المغرب من يرفع رأسه او ينبس بكلمة، فاستصدروا ظهير ١٧ الحجة عام ١٣٤٨ هـ وفيه القضاء الاخير على الاسلام والمسلمين بالمغرب الاقصى

الوثائق الرسمية في محاولة فرنسة إخراج البربر من الاسلام

وها هي أقوال ساستهم الرسمية وغيرها ندلي بها حجة على مانقول، فمن ذلك:

١ — منشور أصدره المرشال ليوتي عند ماكان مقيما عاما بالمغرب الى رؤساء الاستعلامات، ونقله الكمندان مارتي في كتابه « مغرب الغد » صحيفة ٢٢٨ هذا تعريبه ملخصا:

« ان رئيس مكتب الاستعلامات (ج) لما تخابر مع ءايت مسروح الذين لا يفهمون إلا البربرية أمر رؤساء هذه الجماعات بتعيين طالب معهم ليحرر لهم رسائلهم الادارية مع مكتبة باللغة العربية، لقد غلط هذا الضابط غلطا فاحشا، ولكن لا يستحق توبيخا على تفكيره - وإن كان هذا التفكير يشتمل على شيء لا أردأ منه - لانه لما لم يجد موظفين يحسنون البربرية اقتضى نظره ذلك حتى لا تنقطع الصلة بينه وبين ءايت مسروح ... واني لا أجد أفظع من هذه الكلمات التي أدرجها هذا الضابط في تقريره وهى (ان هؤلاء الطلبة الذين سيكلفون بتحرير الرسائل سيتكفلون بتعليم الصبيان اقامة الصلاة التي أصبحت متروكة عند الرجال منهم بسبب جهلهم) ان في هذه السياسة البربرية لعكسا ... لا حاجة لنا في تعليم العربية الى المستغنين عنها، والعربية رائد الاسلام، ومصلحتنا تأمرنا بأن نمدن البربر خارج سور الاسلام . . . ويجب علينا أن نمر من البربرية الى الفرنسية بدون واسطة ... ولابد لنا من فتح مدارس فرنسية بربرية تتعلم فيها الشبيبة البربرية الفرنسية . ويجب علينا أن نأخذ الاحتياط من المذاكرة معهم في شأن الدين لان الاسلام ماوضع على البرابر — أعني البرابر الذين ظلوا مستقلين — إلا صبغة سطحية .. اه »

٢ - ماقاله الكمندان مارتي[1] في كتابه المشار اليه « مغرب الغد » صفحة ٢٤١ وهذه ترجمته بالعربية:

(١) الكمندان مارتى هو مدير المدرسة الثانوية بفاس سابقاً . والمستشار بوزارتى العدلية والصدارة ومايتبعها من الادارات الآن وكتابه طبع سنة ١٩٢٥ بباريز على نفقة لجنة أفريقية الافرنسية

« . . . وهذه المدرسة الفرنسية البربرية هي فرنسية باعتبار مايقرأ فيها ، وبربرية باعتبار تلاميذها ، واذاً فلا حاجة بنا الى واسطة أجنبي حيث ان التعليم العربي وتدخل الفقهاء وكل المظاهر الاسلامية ستبعد عنها إبعاداً ، واننا سنجذب الينا بواسطة هذا التعليم الصبيان الشلوح ، وبذلك نبعدهم قسراً عن كل مايطلق عليه لفظ اسلام »

٣ — ماجاء في خاتمة كتاب (الشعب[١] المغربي أو العنصر البربري) لفكتور بيكيه ، من ص ٢٨٧ـ٣٠١ وتلخيصه : « لما دخل العرب افريقية الشمالية عربوا السهول وانتشرت لغتهم فيها وحلت محل البربرية ولم يبق من البربر محافظا على لغته إلا الجبليون ، فهل يبقون كذلك ؟ الجواب نعم . لاننا لما حفظنا للقبائليين في الجزائر حالهم اتخذوا اللغة الفرنسية بدلا من العربية ، ولا بد لبربر المغرب أن تتبع تلك الخطة ، ومن الواجب علينا إعانتهم على ذلك ... الى أن قال : وقانونهم الخاص (يزرو) لا علاقة له بالقرآن ، فيجب أن نثبته ونتممه ونرقيه بكيفية بربرية إن لم تكن فرنسية ، ولا نترك القرآن يثبت في أذهانهم . ولقد ساعدنا على نشر اللغة العربية من غير قصد حيث استعملنا ضباطا وموظفين مدنيين وعسكريين لايحسنون العربية ، فاحتجنا الى من يعرف العربية ، وعليه فلنجتنب الفقهاء الذين تحتاج اليهم الجماعة . والكتاب والمدرسون يجب أن يكونو برابر لان من استعملناه من الجزائريين العرب في التدريس نشروا العربية والقرآن ، لكنا في عام ١٩٢٣ جعلنا برنامجا للتعليم البربري في فكرة افرنسية وجل المدرسين من القبائليين وهي أحسن وسيلة لمصادرة اللغة العربية »

٤ — ماذكره السوردون[٢] في محاضراته (محاولة وضع القانون البربري)

---

(١) طبع هذا الكتاب بباريز سنة ١٩٢٥ واخذ عليه مؤلفه جائزة مالية من الاقامة العامة بالمغرب . وله تأليف آخر اسمه (مراكش) ظهر سنة ١٩١٨ ونقل عنه مثل هذا الامير شكيب ارسلان في شرح كتاب حاضر العالم الاسلامي ص ٨٧ ج ١

(٢) السردون هو مدرس الشرع البربري بالمدرسة العليا بالرباط سابقا . ورئيس العدلية البربرية الآن .

التي كان يلقيها في معهد الدروس العليا بالرباط سنة ١٩٢٨ — المقدمة ص ٢٢
«... سيتم فتح أرض البربر عما قريب، وقد آن الوقت لنفي بوعدنا الذي وعدنا به كل قبيلة . . ص ٢٣ ولتتم مهمتنا يلزم السلطان أن يكلف الفرنسيين بادارة شئون البلاد البربرية لانه يظهر من الصعب أن نطلب من السلطان الديني الشريف أن يضع للبربر قانونا ... وقد آن الوقت أيضا لجمع العوائد لا بالعربية بل بالبربرية... فنحن الذين بنينا الدار، ولنا الحق في ترتيبها بالاستعمار ..»

وفي الخاتمة (ص ٢٠٩) يتعين علينا معرفة الشرع البربري لا للمحافظة عليه لانه محكوم عليه بالاندثار أمام شرع أعلى منه.. (وفي ص ٢١٣) توجد بالمغرب "يوم شريعتان مدونتان، الشرع الاسلامي والشرع الفرنسي، ويلوح ان الأولى لنا هو أن تندمج العوائد البربرية تحت الفرنسي (أولا) لان بيننا وبين الشرع الاسلامي هوة (ثانيا) لان أسلحتنا هي التي أدخلت الامن الى بلاد البربر، وهذا يعطينا الحق لان نختار الشريعة التي يجب أن تطبق فيهم — ص ٢٢٤ . . . ولنا الحظ السعيد بوجودنا مع مسلمين لا يطالبوننا باقامة الشرع فيهم، فلماذا نوجده نحن بيدنا ويكون حائلا بيننا وبينهم؟ طاعة البربر كلفتنا مجهودات كبيرة، والسلطان يعترف لنا بأننا وحدنا فتحناهم. وعليه فيظهر انه لا يرى بأسا في أن نتحكم فيهم كيف نشاء — (وفي ص ٢٢٩) ... ان البربر مسلمون ولكن الاسلام عندهم مجرد اعتقاد، فلماذا لا نفكر في انه يمكنهم يوما ما أن يختاروا قوانيننا؟ وعلى كل حال يكفي أن تفتح لنا هذه النظرة الهائلة الباب لنبدأ في العمل بلا تأخر»

تنفيذ سياستهم في البربر

وقد أتبعوا هذه الاقوال بالاعمال فأنشؤا المدارس الفرنسية البربرية ولا عربية فيها، وجعلوا اللهجة البربرية لغة رسمية تكتب بها التقارير والاحكام، وأخرجوا الفقهاء، وأقفلوا كتاتيب التعليم، وصادروا الشرع بهذا الظهير الذي سننشر المهم منه في هذا البيان، وصاروا ينشرون المسيحية بمختلف الوسائل

وهنا نشير الى بعض القبائل البربرية التي جاء عهد الحماية وقضاتها فيها حتى ألغى الفرنسيون وظائفهم وجلهم لا يزال حياً يرزق « ففي قبيلة زيان حوالي عام ١٣٣٢ و ١٣٣٣ كان متولياً القضاء فيها مولاي بوعزة بن محمد الادريسي: وفي قبيلة تالشوت السيد عبدالله ولد الحاج السوسي وولي بعده السيد حمودة المباركي طرد من وظيفته ولا يزال حياً ، وفي آيت هودي سيدي مبارك السرغيني ، وفي قصبة ممع وسعيد البراوي سيدي محمد الغرواوي ، وفي آيت يعقوب وعيسى وآيت احمد وعيسى وآيت إسحاق وبعض آيت شخمان سيدي محمد بن الكليب الهواري ، وفي بقية آيت شخمان وآيت يحيى وما جاورهما سيدي علي بن المكي المهاوشي ، وفي آيت بوزيد سيدي الحنصالي ، وفي آيت عباس وآيت حماد السيد احمد ولعباس التنغمالتي ، وفي آيت أجناد سيدى احمد بن كواه ، وفي قصبة اشفيره الفقية ابن الغازي ، وفي خنيفره مولاي علي الادريسي ، وفي أحوازها سيدي احمد النوخي الزياني وفي آيت سكوكو السيد عبدالكريم بن العربي ، وفي آيت مغي سيدي محمد العتابي ، وفي بني مكيلد مولاي الصالح بابران » وكذلك غير هذه القبائل المذكورة كان لها القضاة الشرعيون ، فطرد الجميع وألغيت وظيفة القضاء الشرعي من قبائل البربر كلها

أهم نصوص الظهير السلطاني

أما الظهير السلطاني فهذا نص المهم منه ونترك الحكم فيه اليكم أيها المسلمون

(الفصل الاول) ان المخالفات التي يرتكبها المغربيون في القبائل ذات العوائد البربرية والتي ينظر فيها القواد في بقية نواحي مملكتنا السعيدة يقع زجرها هناك من طرف رؤساء القبائل ، وأما بقية المخالفات فينظر فيها ويقع زجرها طبق ماهو مقرر في الفصلين الرابع والسادس

(الفصل الثاني) انه مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنسوية بايالتنا الشريفة فان الدعاوي المدنية او التجارية والدعاوي المختصة بالعقارات او المنقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف (بالمحاكم العرفية) ابتدائيا اونهائيا بحسب الحدود (المقدار) التي يجري تعيينها بقرار وزيري ، كما تنظر المحاكم المذكورة في جميع القضايا المتعلقة بالاحوال الشخصية او بامور الارث وتطبق في كل الاحوال العوائد المحلية

(الفصل الرابع) ان المحاكم الاستئنافية المشار اليها (يعني في الفصل الثالث) تنظر أيضا في الامور الجنائية ابتدائيا ونهائيا بفصل زجر المخالفات المشار اليها في الفقرة الثانية من الفصل الاول اعلاه وكذلك زجر جميع المخالفات التي يرتكبها أعضاء المحاكم العرفية التي يطوق باختصاصاتها الاعتيادية رئيس القبيلة

(الفصل الخامس) يجعل لدى كل محكمة عرفية ابتدائية او استئنافية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة للناحية التي يرجع اليها أمره ويجعل أيضا لدى كل واحدة من المحاكم المذكورة كاتب مسجل يكون مكلفا أيضا بوظيفة موثق

(الفصل السادس) ان المحاكم الفرنسوية التي تحكم في الامور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها لها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية ويجري العمل في هذه الاحوال بالظهير الشريف المؤرخ في ١٢ أغست سنة ١٩١٣ المتعلق بالمرافعات الجنائية

(الفصل السابع) ان الدعاوي المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب او المطلوب فيها من الاشخاص الراجع أمرهم المحاكم الفرنسوية فتكون من اختصاص المحاكم الفرنسوية المذكورة ..»

إخواننا المسلمين ، هذه هي الحالة قبل الحماية وبعدها ، وهذه هي أقوالهم وأفعالهم ونياتهم نحونا ، وهذا هو الظهير الذي يؤيدلهم خطتهم بصفة رسمية، فهل بعد هذا يقال ان الفرنسيين يحترمون الدين؟ وهل بعد هذا نطالب على ما نقول بدليل؟

اننا أيها المسلمون بسطنا حالتنا اليكم ورجاؤنا في الله ثم فيكم ، فانصرونا ينصركم الله ، وأعينونا بقلوبكم الطاهرة وأدعيتكم الصالحة ، واحتجاجاتكم التي تزيدنا قوة ورجاء .

أيها المسلمون : هل ترضون أن يمحى دينكم من أرض المغرب : الارض التي أنجبت رجالا عظاما، وعلماء وقوادا ، وملوكا مخلصين، الارض التي سار أبناؤها مع طارق بن زياد وعبدالرحمن الغافقي وأسد بن الفرات فافتتحوا الامصار ونشروا دعوة الاسلام، الارض التي انتصر أبناؤها للاندلس في أبلغ محنتها ،وأزمان بلائها

أيها المسلمون ، يقول الله تعالى (انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم

في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا) ويقول (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) وإذا نجح الفرنسيون في هذه التجربة فسيفتح العالم الاسلامي فتحا دينيا لهم، وهو أقبح وأنكى من فتحهم الاقتصادي والسياسي، وإذا سدوا علينا طريق الدنيا بهذا الفتح فسيسدون علينا طريق الآخرة بذلك ، وماذا بقي للمسلمين في هذه الحياة غير إيمانهم بالله ورجائهم .

فخذوا حذركم أيها المسلمون وتبصروا ، واغضبوا لله ولدينكم، وانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، والسلام عليكم أجمعين. من إخوانكم : المغاربة المسلمين ؟

تلبية المنار الدعوة ، وكشفه الا عليها من الشبهة

لبيكم أيها الاخوة لبيكم لبيكم ، ولعنة الله على كل من يدعي الاسلام ولا يهتم بأمركم، وقد ورد في الحديث « من لا يهتم بامر المسلمين فليس منهم » (١) فكيف يقال فيمن لا يهتم بدينهم وهو دينه، وانه منهم اذا كان لا يهمه إخراج الملايين منهم عن الاسلام ؟ وقد بلغنا أن بعض أدعياء الفقه المنافقين قال ان البربر أعرق في الكفر من الافرنج يعني انهم يجهلون ما كتبه السنوسي في عقائده الثلاث ، ويفعل بعضهم من المعاصي ما يخل بالاسلام. وقد يقول بمثل هذا بعض المغرورين بدينهم... ونقول ان البربر كلهم يؤمنون بان الله واحد ، وان محمداً صلى الله عليه وسلم رسوله. وان القرآن كتابه، وان كل ماقاله الله و بلغه رسوله عنه حق . وما خالف بعضهم فيه من الاصول والفروع فهو عن جهل هم فيه معذورون لا عن جحود ولا عن عناد، وانما ذنب جهلهم بدينهم على حكامهم وعلمائهم فهم إذا تعلموه وقبلوه ، وفرنسة تقطع طريق العلم عليهم ، وتتخذ ذلك وسيلة لمحو الاسلام من تلك البلاد كلها ، وفيها ما لا يحصى من العارفين بدينهم على مذهب السلف والخلف، ممن رضي بعملها فقد رضي ملايين من المسلمين المؤمنين العارفين ومن الجاهلين المعذورين ، وسنفصل هذا في مقال آخر ان شاء الله تعالى

---

(١) وفي رواية بلفظ «من لم» رواه الحاكم والطبراني في الاوسط من حديث حذيفة مرفوعا والثاني من حديث أبي ذر أيضا

اصرار فرنسة على اخراج البربر من الاسلام

نشرت بعض الجرائد المصرية كتابان في شأن قضية البربر احدهما لسلطان المغرب والآخر لوزير فرنسة فيه يدلان على اصرار فرنسة على خطتها في اخراج شعب البربر من الاسلام وعلى ان كل ما تحاوله الآن هو استخدام ما بقي من احترام السلطان ونفوذه لالزام المسلمين الرضاء بذلك و إخماد نار الاضطراب الذي وقع وتهوين الخطب الفظيع الذي أوقدها . وانا ننشر الكتابين ونبين في تعليقنا على كل منهما ما يثبت كل ما يشكو منه المسلمون في المغرب وغيره من هذا العدوان ، وينقض ما ادعاه الوزير المفوض بمصر في بيانه الذي نشرناه في الجزء الماضي من اساسه .

كتاب السلطان

(في اقرار فرنسة على جنايتها ، ودعوة حكومته ورعيته لقبولها)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

إلى خدامنا الباشاوات وكافة الاهالي نخص منهم الشرفاء والعلماء والاعيان، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فغير خفي ان للقبائل البربرية عوائد قديمة يرجعون اليها في حفظ النظام ، ويجرونها في ضبط الاحكام ، وقد أقرهم عليها الملوك المتقدمون من أسلافنا ومن قبلهم ، فتمشوا على مقتضاها منذ مدة مديدة ، وسنين عديدة ، وكان آخر من أقرهم على ذلك مولانا الوالد، قدس الله روحه في أعلى المشاهد ، اقتداء بمن تقدمه من الملوك ، واجابة لآمالهم ، ورغبة في إصلاح حالهم ، وحيث ان ذلك من جملة الانظمة المحترمة اقتضى نظرنا الشريف تجديد حكم الظهير المذكور ، لان تجديده ضروري لاجراء العمل به بين الجمهور وقد قامت شرذمة من صبيانكم الذين يكادون لم يبلغوا الحلم وأشاعوا « ولبئس ماصنعوا » ان البرابرة بموجب الظهير الشريف تنصروا ، وما دروا عاقبة فعلهم الذميم وما تبصروا ، وموهوا بذلك على العامة وصاروا يدعونهم لعقد الاجتماعات بالمساجد عقب الصلوات لذكر اسم الله تعالى اللطيف ، فخرجت المسئلة من دور

التضرع والتعبد ، إلى دور التحزب والتمرد ، فساء جنابنا الشريف ان تصير مساجد قال الله في حقها (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية محلات اجتماعية سياسية تروج فيها الاغراض والشهوات . ومعلوم لدى الخاص والعام ان مولانا السلف الصالح كان أحرص الناس على إيصال الخير لامته ، فكيف يعقل أن يسعى في تكفير جزء عظيم من قبائل رعيته ، ونحن والحمد لله سائرون على أثره في ذلك ، ساهرون على دفع كل ضرر يلحق برعايانا السعيدة ، فليس ابقاء تقرير البرابر على عوائدهم إلا مساعدة من جنابنا الشريف على محض طلبهم ، واجراء لهم على ما كانوا عليه منذ أزمان طويلة ، على اننا قررنا ان كل قبيلة بربرية تطلب اجراء الاحكام الشرعية عندها تساعد على ذلك فوراً ، اويعين لها القاضي من لدن جنابنا الشريف حرصا على صيانة دينها ، وبرهانا على مالنا من الذود عن حرمة الاسلام في بلادهم ، فآمركم أن تلزموا السكينة والوقار ، وأن ترجعوا إلى سلوك الجادة والاعتبار ، أصلح الله بمنه ودائم لطفه أحوالكم ، وهداكم لما فيه الخير من حالكم ومآلكم ، والسلام . في ١٣ ربيع النبوي الانور عام ١٣٤٩

(الرد على كتاب السلطان وكونه حجة عليه لا له)

(١) قوله : ان أسلافه من الملوك أقروا عوائد البربر القديمة . غير مسلّم على إطلاقه كما علم من البيان السابق ، ولئن صح لم يكن حجة شرعية على جواز إقراره هو ماخالف الشرع منها ، فان أسلافه لم يكونوا معصومين ، ولا يقول مسلم يعرف دينه إن إقرارهم أو قولهم أو فعلهم حجة في دين الاسلام بل هو معصية فيما ذكر ، واستحلال ماخالف الشرع منها مخالفة قطعية كفر وارتداد عن الاسلام . ومنه يعلم حكم الظهير الذي أصدره أبوه والظهير الذي أصدره هو

(٢) قوله في الذين أثاروا هذه المعارضة الاسلامية من الشبان : انهم شرذمة من الصبيان الذين يكادون لم يبلغوا الحلم - ليس في مصلحة جلالته فان أكثر الذين يعنيهم أكبر منه سناً وعلما ، وقد رأينا فيهم الكتاب البلغاء ونرى كتابه هذا في غاية الركاكة والضعف ، فكيف يصح أن يكون هو سلطانا وشارعاً ينسخ شرع الله وهو شاب مثلهم وأصغر من كثير منهم ، ولا يصح أن ينكروا هم ماهو مخالف لدينهم ، وخطر على

بلادهم ؟ وكيف أمكنهم أن يثيروا البلاد كلها لو لم يكن فعلهم دفاعا عن الاسلام ؟

(٣) قوله انه ساءه من اجتماعات الامة في المساجد لذكر اسم الله اللطيف أن تصير المساجد محلات اجتماعية سياسية وقد قال الله في حقها (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) يدل على أن الذي كتب له هذا الكتاب لا يعقل معناه ولا انه مخالف لدين الاسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم (أما الاول) فلأن عملهم موافق للآية الكريمة لانه ذكر لاسمه «اللطيف» والانكار عليه هو المخالف لها (وأما الثاني) فلأن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان في عصره وعصر خلفائه الراشدين محلا للاجتماعات السياسية والاجتماعية المتعلقة بمصلحة الملة ولم يكن هنالك «مخزن» لذلك ويظهر ان الذي وضع له هذا الكتاب من رجال فرنسة لا من منافقي المخزن عنده لان الافرنج ودعاتهم من النصارى هم الذين يفرقون هذه التفرقة بين الدين والسياسة

(٤) ما ذكره من حرص سلفه على إيصال الخير لأمته وسيره هو على أثره. واستدلاله على ذلك بانه لا يعقل أن يسعى لتنصير جزء عظيم من قبائل رعيته — يجاب عنه (أولا) بأن المسألة ليست بالدعوى والنظريات العقلية وانما هي نازلة واقعة وقضية عملية مشاهدة (وثانياً) بأن أمره ليس بيده وانما هو مسخر للقوة الفرنسية التي يستند اليها في منصبه

(٥) قوله: ان اقرار البربر على عاداتهم ليس إلا مساعدة من جنابه الشريف على طلبهم — إذا سلمناه كان حجة عليه اذ لا يبيحه له الاسلام كما تقدم، وانما تحتج به فرنسة على من ينكرون عليها اكراه الناس على ترك دينهم وهو مخالف للتقاليد المدنية، وللقوانين الدولية. وهذا دليل على انها هي الواضعة له هذا الكتاب

(٦) قوله: اننا قررنا أن كل قبيلة بربرية تطلب إجراء الاحكام الشرعية - الى قوله - حرصاً على صيانة دينها - هو نص رسمي منه على أن النظام الذي جرى عليه العمل في ظهيره وظهير والده هو خروج بالبربر عن حكم الشريعة وعن دينهم وانه هو لا يأمر برجوعهم اليها إلا إذا طلبوا ذلك. وهذا ينقض أقواله السابقة مع العلم بان قوله بمساعدة الذين يطلبون ذلك فوراً ليس بيده وقد اشترط فيه صاحب السلطان الفعلي وهو الوزير الفرنسي ما يجعله محالا كما يعلم من كتاب هذا الوزير وهذا نصه:

كتاب الوزير الفرنسي الجديد

في معنى كتاب السلطان

بلغني ان الظهير الشريف المؤرخ بالسادس عشر من شهر مايو سنة ١٩٣٠ المتعلق بتنظيم المحاكم البربرية فهم منه ماليس بمقصود حتى من قبل الولاة المحليين

وفي الحقيقة ان ما أصدره جلالة السلطان ليس فيه مايحدث شيئا جديداً، بل المراد منه هو تنظيم الجماعات البربرية المكلفة بالاحكام، واعطاؤها صبغة قانونية بحيث تصير أحكامها صالحة لان تنفـذ على البرابرة وغيرهم، وان الظهير المشار له قد أقر حالة كان يتمشى عليها من قديم الزمان، فلا فائدة حينئذ في استعماله لغاية دون الغاية التي قصدها، واحداث أمور جديدة يتمسك بها ذوو الشهوات الذين لايعتمدون على أدنى شيء في أقوالهم

فلا ينبغي والحالة هذه السعي في جعل الجماعات البربرية المعبر عنها بنزرف تقف في وجه الشرع، بل الذي يحسن سلوكه هو إجراء الظهير المذكور برفق ولين لتطمين النفوس وتسكين الخواطر

أما الذين كانت لهم الحرية من قديم في رفع دعاويهم لدى الشرع وان كانوا قاطنين في بلاد البربر فالاولى هو إبقاؤهم على ما كانوا عليه، ولا يمكن الآن إجبارهم على الانقياد إلى المحاكم البربرية، لما ينشأ عن ذلك من حوادث متعددة

وكذلك إذا رغبت بعض الافخاذ المستعربة في البقاء على إجراء دعاويهم لدى الشرع مثل ما كانت تفعله قبل فلا مانع من إجابة مرغوبها، بل إذا صرحت بعض القبائل أو الافخاذ ممن كانوا منقادين إلى الجماعات البربرية واتفقوا باجمعهم على سلوك منهج الشرع فان جلالة السلطان مستعد لتلبية طلبهم وتعيين قاض لهم

هذا وان الطلبـة والفقهاء الذين كانوا قائمين بمهمتهم بالقبائل البربرية الى الآن بلا مانع فلا يمنعون من الدخول اليها. ومثلهم مشايخ الطرق الذين يتجولون بالقبائل المذكورة لاجل جمع الصدقات حتى تبقى مسالة الترخيص لهم في الدخول

منوطة بالادارة العليا كما كان العمل به جاريا قبل

وبالجملة فانه من المصلحة البينة أن يعلم كل واحد بان الظهير الشريف المؤرخ بالسابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨ لم يصدر ليكون آلة جبر، بل ليجري العمل به بلين ورفق . اه

﴿ تفسير كتاب الوزير الفرنسي المقيم بالمغرب وكونه حجة عليهم ﴾

(١) قال: ان ما أصدره السلطان هو إعطاء تنظيم البربر صيغة قانونية به « تصير أحكامها صالحة لأن تنفذ على البربر وغيرهم » ونقول هذا نص صريح بأن ماينفذونه الآن بمقتضى الظهير المذكور في البربر يراد جعله أساساً لأجل تنفيذه في العرب ! وهو تصريح بعزم فرنسة على إلغاء الشريعة الاسلامية من بلاد المغرب كلها (فليتأمل المسلمون) ولكنه أمر المنفذين له الآن بالرفق واللين لتسكين الخواطر الثائرة

(٢) قال: ان الذين كانت لهم الحرية من قديم في رفع دعاويهم لدى الشرع وان كانوا قاطنين في بلاد البربر فالأولى عدم إجبارهم (الآن) على الانقياد إلى المحاكم البربرية لما ينشأ عن ذلك من الحوادث المتعددة — ونقول هذا نص صريح في أن البربر ممنوعون من رفع دعاويهم إلى الشرع ، وفي أن غيرهم وهم العرب لا يجبرون الآن على ذلك اتقاء للحوادث أي الثورة ، وتقييد ذلك بقوله (الآن) دليل على انهم سيجبرونهم على ذلك بعد أن تسكن ثورة الامة ويزول هذا الهياج بنصائح السلطان ورجاله ، ورشوة رئيس الجمهورية لمن رشاه منهم

(٣) قال اذا رغبت بعض القبائل أو الافخاذ واتفقوا باجمعهم على سلوك منهج الشرع فان جلالة السلطان مستعد لتلبية طلبهم وتعيين قاض لهم . ونقول ان هذا هو القيد الذي قيد به الوزير قول السلطان في المسألة السادسة من تعليقنا على كتاب جلالته، وهو أنه لايقبل طلب أحد من البربر ولا من الافخاذ المستعربة المشار إليها أن يسلكوا منهج الشريعة الا إذا أجمعوا على ذلك ، ومعلوم ان هذا الشرط لايمكن تحقيقه في قبائل أكثرهم أميون جاهلون وهو طلبهم جميعهم لما ذكر ، وان حكامهم الفرنسيون يمكنهم أن يمنعوهم منه إذا أرادوه ، أو

تمنعوا بمضهم على الاول فلا يتحقق الشرط الذي قيد به الطلب وهو ان يتفقوا عليه ويطلبوه بأجمعهم . وهو دليل رسمي على قطع هذا الطريق عليهم

(٤) ماذكره الوزير في مسالة طلبة العلم والفقهاء الذين كانوا قائمين بمهمتهم في قبائل البربر ومشايخ الطرق الذين يجمعون الصدقات من حيث عدم طروء مانع يمنع من دخولهم إليها ، ومن حيث إبقاء مسالة الترخيص لهم في الدخول الى بلاد تلك القبائل ، هو دليل على صحة ما يشكو منه المسلمون من الحيلولة بين قبائل البربر وأهل العلم الديني وطرق الصوفية ، وعلى أن كل ماتجدد من المعاملة لتسكين الهياج هو أنه يجوز دخول من لاترى السلطة الفرنسية هنالك مانعاً من دخولهم برخصة من ادارتها العليا ، فالحجر على الدخول باق ، والرخصة المنوطة برجال فرنسة لمن يثقون به لم يرفع الحجر بالطبع ، ولا يعتقد أحد انهم ينفذونه بالفعل ، اذ يستحيل أن يمنحوا هذه الرخصة لمن يعلمون أو يخشون ان يعلم البربر شيئا من أمر دينهم . فهو محاولة لتسكين الاضطراب في مدن المغرب وفي غيرها بالفاظ مبهمة ككلمة الوزير التي ختم بها كتابه وهو انه يجب تنفيذ المشروع باللين والرفق

فالكتابان الرئيسيان حجة على مصدريها ، وناقضين لما كانت أذاعته المفوضية الفرنسية هنا من بقاء البربر مسلمين حالا واستقبالا

نصيحة علنية لفرنسة أو أحرارها

(١) اننا لانجهل تاريخ فرنسة الحربي وما تفوق به غيرها من دول اوربة اليوم من قوتها العسكرية ، ولكننا نعتقد أن هذه القوة يخشى أن تقتلها كما جرى لعدوتها ألمانية عند ما فاقت اوربة كلها بالقوة . ونعتقد ان فرنسة غير غافلة عن هذا الخطر عليها ، وان رجالها ووزيرها ملير ان لم يقترح المحال من توحيد اوربة حبا في السلم ، بل لتأمين فرنسة من خطر الحرب المنتظرة ، فاذا كانت كل من فرنسة وانكلترة لاتحارب الاخرى لاخراجها من إحدى مستعمراتها كما قال أحد ضباطها في المغرب الاقصى واهما أوموهما ، فقد تحاربها ألمانية لاسترجاع حقوقها ومجدها ،

أو ايطالية لارضاء مطامح وزيرها وشعبها ، ومشاركة فرنسة في مستعمراتها . ولولا التنازع على الاستعمار لما وقعت الحرب الكبرى الاخيرة ، وان الحرب المنتظرة لاجل الاستعمار والثار معا لا كبر هولا وأعظم خطراً

(٢) اننا لا نجهل ضعف شعوبنا الاسلامية او الشرقية تجاه فرنسة وغيرها من الدول القاهرة لهم بالقوة العسكرية - ولكننا نعلم أن هذا الضعف قد بدأ يتحول الى قوة ، كما ينتظر أن تنقلب قوتهم إلى ضعف ، وانما يستحيل الضعف قوة بمعرفة الشعوب لأنفسها ، وشعورها بالحاجة الى تنظيم وحدتها، واعتقادها بصحة قاعدة موقظي الشرق (الحكيم الافغاني والامام المصري) : ان القوة الآلية القليل عمالها ، لا يدوم لها الغلب على الكثرة العددية اذا اتفقت آحادها . وقاعدتهما في استحالة إبادة أمة لامة كبيرة تماثلها او تزيد عليها في العدد ، وقاعدتهما « العاقل لا يظلم فكيف اذا كان أمة » فابادة فرنسة لمسلمي افريقية او تنصيرهم ضرب من المحال ، واستمرار استعبادها واستذلالها لهم بالقوة ضرب من المحال

(٣) ان الاسلام حي لا يموت ، والقرآن كلام الله الحي الذي لا يموت ، بل هو العلاج الوحيد الذي يمكن أن ينقذ أوربة من الهلاك الذي تنذرها إياه مفاسد الحياة المادية ، فتنصير شعب إسلامي من المطامع التي لا تنال، والغايات التي لا تدرك ، وما كان مايرونه من ضعف المسلمين ووجود أعوان لهم منهم الا بجهلهم بالقرآن ، الذي ردى بعضهم في الالحاد والبدع والفسق وضعف الايمان ، فبهذا وجد المستعمرون في المغرب والمشرق من أمراء المسلمين ورؤسائهم - ومن حملة العمائم والطيالس والبرانس أيضا - من هم أقوى على اخضاع المسلمين لهام من قوادجيشها ، وأقدر على هدم دينهم من أساقفة النصرانية ودعاتها ، ولولا هم لما تمكنوا في شيء من بلادها ، كما تبين من شواهد الجزء الماضي في مقالة (آفة الشرق)

(٤) يقول (الكابتن ادينو) لمسلمي المغرب في كتابه الحديث (السياسة الصريحة) انكم تعتقدون ان استيلاءنا عليكم وقهرنا لكم هو حكم قضاء الله وقدره بحسب عقيدتكم ، فيجب عليكم أن ترضوا به ولا تعارضونا فيه . ونرد عليه بان مسألة الرضاء بالمقضي والمقدر من جهالات بعض الصوفية المخالفة لاصول الاسلام

وانما الواجب على المؤمن أن يؤمن بأن كل شيء بقدر الله وقضائه ولا يجوز له أن يعترض على الله فيه . ولكن لايجب عليه أن يرضى بكل ماقدره الله تعالى بل لايجوز له أن يرضى بالكفر، ولا بالفسق ولا بالفحشاء والمنكر ،لان الله تعالى لا يرضى بذلك أيضا كما قال (ولا يرضى لعباده الكفر) ولا أن نرضى بالظلم والضرر وقد أمرنا أن ننكر المنكر ونغيره بما نستطيع وهو مقدر ،وأن نفر من الوباء والامراض ونقاومها بالادوية وهي مقدرة . كما قيل لسيدنا عمر أمير المؤمنين لما امتنع من دخول الشام لوجود الوباء فيها : أنفر من قدر الله ؟ قال نفر من قدر الله الى قدر الله ،وقال امام الصوفية وقطبهم الاكبر في عصره الشيخ عبد القادر الجيلاني مامعناه اننا نغالب الاقدار بالاقدار ، ولكن بدعة الصوفية نشرت هذه الافكار التي استخدمتها فرنسة لاخضاع جهلة المسلمين بها ، واخماد الشعور الاسلامي بوجوب مقاومة الكفر والالحاد والبدع والسلطة الاجنبية ،ولو بالقوة الحربية ، كوجوب مقاومة الاوبئة والامراض بالادوية المجربة والوقاية الصحية ولماذا لاتقولون للمسلمين يجب عليكم أن ترضوا بهذه الامراض لانها مقدرة ؟

(٥) ان الشعوب الاسلامية قد تنبهت لمفاسد هؤلاء الرؤساء الذين يستخدمهم المستعمرون لاستعباد المسلمين ، وستراهم بعد قليل من السنين يجاهدون هؤلاء الرؤساء المنافقين ، كما يجاهدون سادتهم الذين يجاهدون بهم الاسلام والمسلمين، فلا يخضعون لظهير ولا لمرسوم ولا لأمر عال ، ولا لفتوى يصدرها مفت موظف في حكومة استعمارية او إلحادية يراها مصدر رزقه وجاهه في هذه الدنيا . ثم يتلوه زمان قريب لايقبلون سلطانا ولا أميراً ولا مفتيا ولا قاضيا ولا صاحب منصب آخر في أمتهم ، الا اذا كان مجلس الامة هو الذي يختاره ويرضاه ،بشرط تقييده باتباع شرع الله ،والتزامه مصلحة الامة التي تقررها جماعة أولي الامر وأهل الحل والعقد من نوابها

واذا كان الله تعالى قد أرشدهم في كتابه وسنة رسوله ﷺ الى ان الطاعة لاتكون الا في المعروف ، وانه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » كما رواه الامام احمد والحاكم بسند صحيح عن النبي ﷺ و « لاطاعة لأحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف » كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث علي

مرفوعا أيضا . وجعل لهم القدوة في ذلك الرسول المعصوم فقال في آية المبايعة (ولا يعصينك في معروف) مع العلم بانه لا يأمر الا بالمعروف، فهل يطيعون من ينصبه لهم المستعبدون من ملك او سلطان أو باي او امير او وزير؟ او موظفيهم السياسيين او الشرعيين في ترك الشريعة واباحة الكفر والمعاصي؟ او يعملون بقول مثل شيخ جامع او مفت في بلاد مستعمرة أو يقتدون بفعلها و اقرارها لما يخالف الشرع كما جرى في مؤتمر دعاة النصرانية (الافخارستي) في تونس ؟ كلا ، ثم كلا ، ثم كلا

(٦) لقد أسرفت فرنسة أكثر مما أسرف غيرها في احتقار الامة الاسلامية فلم تبال بما علمت به من اضطراب جميع شعوبها لجرأتها على الشروع في تحويل شعب البربر عن الاسلام تمهيداً لتنصير سائر المسلمين العرب في جميع مستعمراتها، حتى ان رئيس جمهوريتها قد سافر الى بلاد المغرب ليشد عزم السلطان وحكومته الصورية على الثبات والاستمرار على تنفيذ الجريمة التي تنافي اسلام كل من يرضى بها وتقتضي ردته أي كفره كما صرح به البيان الاسلامي العام ، الذي أمضاه كثير من العلماء الاعلام ، ونشرته جمعية الشبان المسلمين في العالم كله ، وكنا نظن انه انما ذهب ليتلافى الفتنة ويقف تنفيذها ، فخاب الظن بالحكومة الفرنسية . وسبب هذا انها تظن أن العالم الاسلامي قوّال غير فعال ، ولا سيما مسلمي مصر ، فلا يمكنه أن ينفذ ما أنذرها اياه في البيان العام المشار اليه من مقاطعة تجارتها ، واعلان عداوتها ، لأنه لا بد من وضع نظام لذلك قبل الشروع فيه ، والمسلمون في رأيها لا يثبتون على نظام . وتظن أيضا ان أهل المغرب الفرنسي من تونس الى مراكش لا يمكنهم بث الدعوة الى الاستفادة من الحرب الاوربية المنتظرة بالثورة على فرنسة واخراج جميع رجالها من بلادهم ، أو بعدم أعطائها أحداً من الرجال للقتال معها ، وهي تعلم انها لا يمكنها أن تقهرهم على هذا مهما يكن عدد جندها في بلادهم ، وتعلم انه قد ثبت عندهم ان عصيانها في ذلك لا يمكن أن يفضي الى قتل عشر العشر مما يقتل فيهم في الدفاع عنها . كما انهم يعلمون ان الحرب القابلة ستكون أشد فتكا وابادة من الحرب التي قبلها ، التي قتل منهم مئات الالوف فيها ، فاذا علمت أن هذه الظنون في المسلمين في غير محلها ، فانها ترجع عن غيها لمصلحتها ، فهل يمكنهم اعلامهم بهذا ؟

(الاحتفال بذكرى جلوس جلالة الملك محمد نادر خان)

(على عرش الافغان)

قد تم حول كامل لاستواء محمد نادر خان على عرش الافغان فاحتفل في تلك البلاد وفي الوكالات السياسية التابعة لها بذكرى جلوسه الميمون الذي قضى على سياسة الالحاد والفساد التي جرى عليها سلفه الطالح امان الله خان

وقد شهدنا حفلة المفوضية الافغانية في دار السفارة في هذه العاصمة، في ٢٤ من هذا الشهر (١٦ اكتوبر) وقد أجاب دعوة وزيرها العالم المرشد الشهير (جلالة ماب السيد محمد صادق المجددي) جمهور من العلماء والكبراء الرسميين وغير الرسميين من الوطنين والاجانب ، وبعد أن شربوا الشاي وتناولوا معه انواع الحلوى نهض صاحب السعادة الوزير الجليل فارتقى سلم الدار ووقف بأعلى السقيفة التي امامه فاستقبل الجمهور الجالسين في الحديقة وألقى خطابه مفتتحاً اياه بتلاوة آيات من خواتيم سورة آل عمران في مناجاة الله عز وجل (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا) الآيات وكان الخطاب بعدها بالفارسية لغة الافغان الرسمية ولكنه قفى عليه بآخر في معناه باللغة العربية التي يجيدها إجادة علماء الدين في بلاده وهو من كبارهم ، فنوه بمآثر جلالة الملك المعظم والاغتباط بالموالاة الودية بين حكومته وحكومة جلالة الملك المعظم، فصفق له الحاضرون مرارا . وختم خطابه بتكبير العيد

وبعد انتهاء الحفلة أذن المؤذن لصلاة المغرب وفرشت الطنافس الشيرازية في خص (كشك) خشبي في جهة القبلة وفي جوانبه فنهض المصلون واصطفوا مؤتمين بالوزير . وبعد الفراغ من الصلاة ودع الجمهور سعادة الوزير مهنئين له بهذا العيد السياسي السعيد ،وقد سر من حضر من علماء المسلمين وسائر طبقاتهم وانشرحت صدورهم بهذا الاحتفال لانه لم يسبق له نظير في بلادهم ، فهذه أول مرة شاهدوا فيها وزيراً معمما يفتتح خطابا رسمياً بكتاب الله ويختمه بذكر الله وتكبيره . فنهنيء سعادته ودولة جلالة ملكهم المسلم المصلح بهذه الذكرى الحميدة ، ونسأله تعالى ان يوفقه للمضي في الصراط السوي من اصلاح بلاده وأمته في أمور دينهم ودنياهم بما تقتضيه هداية الاسلام ومصالح المسلمين في هذا العصر

﴿ المعاهدة العراقية بين المنار ونوري باشا ﴾

نشرنا في الجزء الثاني من المنار مقالا بينا فيه رأينا في هذه المعاهدة ونشرته جريدة المؤيد الجديد بمصر وجريدة الجامعة العربية في القدس مع اختصار، واحدى جرائد العراق. فغاظ ذلك نوري باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية فلقن جريدة العراق لسان حاله مقالا في الطعن على شخص صاحب المنار والافتراء عليه لم يكن مثله يليق بمنصب الوزير وأدبه ولا بما كان له من التردد على صاحب المنار والتودد له والملاحة ، أما المعاهدة فقد زعم انه لم ينطق أحد باستنكارها وبيان مضارها الا الغراب الذي نعب بمصر وغراب آخر رجع صداه في العراق، فان كان لهذا القول مكان من الصدق فالشرف فيه لصاحب المنار أنه كان الاول المقدم لهذه الحملة الصادقة التي حملها أعظم زعماء العراق على المعاهدة ولكن بعد نفوذ السهم وزعم أنه لم يكن له شأن في المسألة العربية... كأنه يجهل أنه أحد مؤسسي الحركة العربية وخطباء (المنتدى الادبي) العربي في الآستانة وحزب الاتحاد السوري بمصر ومكانه من حزب الاستقلال العربي وانه المؤسس الاول لجمعية الجامعة العربية ، وكأنه نسي تردده هو وغيره من الضباط عليه عند ما يجيئون مصر وعند ما يسافرون منها ، وقوله له عند ما ودعه هو بداره آخر مرة في أيام الحرب : يا نوري اني حجة الله عليكم قد أخبرتكم ان الانكليز يستخدمون شرفاء مكة والثورة العربية في القضاء على الاتراك والاستيلاء على العرب، فلا تكونوا آلة في يدهم لاستعباد أمتكم واضاعة مستقبل بلادكم ، بل اتخذوا فرصة احتياج الانكليز الى العرب لجمع ما تقدرون عليه من المال والسلاح وادخاره ، مع السعي لجمع كلمة أمراء العرب وزعمائهم الخ

وزعم أيضا أن صاحب المنار كان اتحاديا مع الاتحاديين وائتلافيا مع الائتلافيين وهاشميا مع الهاشميين يتملق للحسين وأولاده . ونوري باشا يعلم كغيره أن كل هذا افتراء وبهتان ، فصاحب المنار لم ينتظم في حزب من هذه الاحزاب ، وانه كان نصح للشريف حسين من قبل بمثل ما نصح به له ولجعفر باشا من بعد أي بان يبادر الى عقد حلف بينه وبين الامام يحيى والامام عبد العزيز بن سعود والسيد الادريسي ، فاظهر له القبول فوعده بالمساعدة على هذا الاساس لانه أساس الجامعة العربية التي أقسم نجله الامير عبد الله لصاحب المنار اليمين على العمل بقانونها ، ولكن الملك حسينا نكص ونكث فحمل عليه صاحب المنار تلك الحملات المعروفة. وأما جلالة الملك فيصل فلا يجهل نوري باشا موقف صاحب المنار معه في دمشق وتلك الكلمات المشهورة له التي سماها مؤرخ الشام الاستاذ محمد كرد علي «الكلمات التاريخية» كما انه لا ينسى انه كان رئيس المؤتمر السوري العام في دمشق الذي جعل فيصلا ملكا - وانه واقف على اخباره هو في الوساطة بين الملك فيصل والجنرال غورو حتى في عهد ذلك الانذار الشائن المهين... ولا ما قاله له عند ما عاد بجلالته ليلا الى دمشق بعد احتلال الجنرال غورو اياها؟ وانه أنكر انه هو الذي أشار برجوع الملك الى الشام ، ولطخ بذلك غيره من حاشيته.

صاحب المنار يكتب في المسألة العربية للنصيحة والارشاد واقامة الحجة على الجناة على أمتهم كما صرح بذلك لنوري وجعفر وغيرهما في أيام الحرب العامة وقد صدق رأيه بعدها، وسيظهر للامة العربية كلها صدقه في معاهدة العراق وان كان لا يود ذلك

الشيخ ابو بكر خوقير

تتمة ترجمته

وله مصنفات نافعة منها (١) (فصل المقال ، وارشاد الضال ، في توسل الجهال) طبع في مطبعة المنار بمصر ، و (٢) مسامرة الضيف ، في رحلة الشتاء والصيف ، طبع في بيروت . و (٣) ما لابد منه في امور الدين طبع في مصر ، و (٤) حسن الاتصال ، بفصل المقال ، في الرد على بابصيل وكمال ، و (٥) السجن والمسجونون (٦) مالا غني عنه ، شرح مالا بد منه (٧) التحقيق في الطريق في نقد الطرق المتصوفة . وهذه المصنفات لم تطبع وهي جديرة بالطبع .

وكان يقرأ لطائفة من الطلاب دروسا في العلوم الدينية والتاريخية وغيرها في بيته بعضها بالنهار وبعضها بالليل ، وهو لم يتعرف إلى الملك عبد العزيز آل سعود امام السلفيين ولم يطلب منه مساعدة ولا وظيفة على كونه أكبر علماء السلفيين وفقهاء الحنابلة في الحجاز ، ولكن دله عليه بعض العارفين بقدره فجعله مدرسا في الحرم الشريف قبل وفاته بسنة .

توفاه الله تعالى في بلدة الطائف مصطاف الحجاز في يوم الجمعة غرة ربيع الاول من هذا العام بمرض الزحار عن عمر ناهز السبعين رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وجمعنا به في دار القرار ، مع المقربين والابرار

(استدراك على ما نشر من الترجمة في الجزء الثالث)

في عام ١٣٢٤ و ١٣٢٥ كان الشريف علي باشا أمير مكة وهو الآن مقيم بمصر وفي إمارته كان الشيخ أحمد فتة الشافعي مفتيا للحنابلة وكان الذي يكتب له الفتوى ويستشار فيها الشيخ أبو بكر خوقير

لما صار الشريف حسين أمير مكة في سنة ١٣٢٧ عين الشيخ أبا بكر خوقير مفتيا للحنابلة ثم عزله ، وعين الشيخ عبد الله بن حميد النجدي مفتيا للحنابلة بمكة وحفيد الشيخ محمد بن حميد مفتي الحنابلة بمكة سنة ١٢٩٠ وهو مؤلف (السحب الوابلة في تراجم الحنابلة) ذيل الطبقات للحافظ ابن رجب

ثم عزل عبد الله بن حميد وعين الشيخ عمر باجنيد الشافعي مفتيا للحنابلة وهو من علماء مكة القبوريين - والآن دخل الوكر - وهو تلميذ بابصيل تلميذ دحلان . وقد استدركت بهذا على عبارة الترجمة لئلا يقول الناس ليس بين خوقير وباجنيد اتفاق حتى يكتب له الفتوى (م ٠ ن)

المنار

أنشئ ١٣١٥

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكَّر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام　ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

(٢٩ رجب سنة ١٣٤٩ هـ ٢٨ القوس سنة ١٣١٠ هـ ش ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠)

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٦١) وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

هذا ضرب آخر من دلائل نفاق أولئك المنافقين وآثاره وهو إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالطعن في أخلاقه العظيمة، وشمائله الكريمة، كايذاء أولئك الذين لمزوه في بعض أفعاله العادلة، وهي قسمة الصدقات، وناهيك بكفر من يصغرون ماعظمه رب العالمين، بقوله لرسوله (وإنك لعلى خلق عظيم)

أخرج ابن اسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان نبتل ابن الحارث يأتي رسول الله ﷺ فيجلس اليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد أذن، من حدثه شيئا صدقه، فأنزل الله فيه

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴾ ولكن منطوق الآية يسند هذا القول إلى جماعة منهم وهو المعقول وإن كان الاسناد إلى الجماعة يصدق بقول واحد وإقرار الباقين . والاول مروي عن السدي عند ابن أبي حاتم قال : اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن صامت ومخشي بن حمير ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ فنهى بعضهم بعضاً وقالوا نخاف أن يبلغ محمداً فيقع بكم ، وقال بعضهم انما محمد أذن نحلف له فيصدقنا فنزل (ومنهم) وذكر الآية

الاذى ما يؤلم الحي المدرك في بدنه او في نفسه ولو ألماً خفيفا ، يقال : أذي الانسان (كرضي) بكذا أذى وتأذى تأذيا إذا أصابه مكروه يسير - كذا قالوا - وآذى غيره إيذاء ، وأنكر الفيروزبادي لفظ الايذاء وإن كان هو القياس لانه لم يسمع من العرب إلا الاذى والاذاة والاذية ، وربما يشهد له قوله تعالى (لن يضروكم إلا أذى) من سورة آل عمران لانه من آذى المتعدي بنفسه لا من أذي اللازم إلا أن يقال انه اسم مصدر ، وتقييدهم للأذى بالمكروه اليسير غير مسلم على إطلاقه ، فالظاهر انه يطلق على اليسير والخفيف وعلى الشديد ، وقوله تعالى (لن يضروكم إلا أذى) من الاول لانه مستثنى من الضرر ، ومثله ما ورد في الاذى من المطر وأذى الرأس من القمل ، ومن الثاني قوله تعالى في سورة الاحزاب (٣٣ : ٥٧ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهيناً (٥٨) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) فقد ورد في المأثور تفسير الذين يؤذون الله بالذين نسبوا اليه الابن والبنات والذين يؤذون رسوله بالذين شجوا رأسه يوم أحد . وبالذين كانوا يكذبون برسالته ويقولون ساحر وشاعر وكاهن ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالطاعنين في الاعراض وبالزناة الذين يتبعون النساء لمراودتهن . وناهيك بالوعيد الشديد للجميع

وأما قولهم (أذن) فهو من تسمية الشخص باسم الجارحة للمبالغة في وصفه بوظيفتها وهو كثرة السمع لما يقال وتصديقه كأنه كله أذن سامعة كقولهم للجاسوس عين ، ويطلق على لازمه وهو عدم الدقة في التمييز بين ما يسمع، وتصديق ما يعقل وما لا يعقل ، فيراد به الذم بالغرارة وسرعة الانخداع . وهو من أكبر عيوب الملوك والرؤساء لما يترتب عليه من قبول الغش بالكذب والنميمة، وتقريب المنافقين، وإبعاد الناصحين. وكان ﷺ يعامل المنافقين بأحكام الشريعة وآدابها التي يعامل بها عامة المسلمين كما أمره الله تعالى ببناء المعاملة على الظواهر ، فظنوا أنه يصدق كل ما يقال له. قرأ الجمهور (أذن) بضمتين ونافع بسكون الذال، وهما لغتان

وقد لقنه الله تعالى الرد عليهم بقوله ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ أي نعم هو أذن ولكنه نعم الأذن ، لانه أذن خير لا كما تزعمون ، فهو لا يقبل مما يسمعه إلا الحق وما وافق الشرع ، وما فيه الخير والمصلحة للخلق ، وليس بأذن في غير ذلك كسماع الباطل والكذب والغيبة والنميمة والجدل والمراء ، فهو لا يلقي سمعه لشيء من ذلك ، وإذا سمعه من غير أن يستمع اليه لا يقبله ، ولا يصدق ما لا يجوز تصديقه شرعا أو عقلا ، كما هو شأن من يوصفون بهذا الوصف من الملوك والزعماء فيستعين المتملقون وأصحاب الاهواء به على السعاية عندهم ، لابعاد الناصحين المخلصين عنهم ، وحملهم على إيذاء من يبغون إيذاءه ، والاضافة هنا إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقرأ نافع [أذن] بالتنوين و [خير] بالرفع صفة له

والرد من باب أسلوب الحكيم فهو في أوله يوافقهم على قولهم، ثم يتبعه ما ينقضه عليهم حتى ينقض على رءوسهم ، كقوله في سورة (المنافقين) وهم هم (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل . ولله العزة ولرسوله والمؤمنين) الآية. فهم كانوا يعنون انهم الاعزة ويعرضون بالرسول والمؤمنين به ، فقلب عليهم مرادهم على تقدير تسليم أصل القضية وهي إخراج الاعز للاذل ، باثبات العزة لله ولرسوله والمؤمنين ، والتعريض بأنهم هم الاذلون ولو شاء الرسول ﷺ لأخرجهم، ولكنه لا يفعل الا إذا أظهروا كفرهم ، لان قاعدة شريعته الحكم على الظواهر . وجعله ابن المنير في الانتصاف من قبيل القول بموجب العلة فقال:

لا شيء ابلغ من الرد عليهم بهذا الوجه ، لانه في الاول إطماع لهم بالموافقة ثم كر على طمعهم بالحسم وأعقبهم في تنقصه باليأس منه ، ويضاهي هذا من مستعملات الفقهاء القول بالموجب لان في أوله إطماعا للخصم بالتسليم ، ثم بالطمع على قرب ، ولا شيء أقطع من الاطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه اه

ثم فسر المراد من أذن الخير بأفضل الخير وأعلاه على طريق البيان المستأنف

فقال ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ أي يصدق بالله تعالى وما يوحيه اليه من خبركم وخبر غيركم ، وهو الخبر القطعي الصدق، الذي لا يحوم حوله الشك ، لانه برهاني وجداني عياني له بما كشفه الله له من عالم الغيب، وإيمانه به أثبت وأرسخ في اليقين من تصديق غيره بما قامت عليه الادلة العقلية القطعية ، ويصدق في الدرجة الثانية تصديق ائتمان وجنوح للمؤمنين الصادقي الايمان من المهاجرين والانصار الذين برهنوا على صدقهم بجهادهم معه في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فهو يصدق أخبارهم لا لذاتها بمجرد سماعها ، بل لما علمه من آيات إيمانهم الذي يوجب عليهم الصدق ولاسيما الصدق بما يحدثونه به ، ولما يجده في أخبارهم من أماراته وآياته . ويتضمن هذا أنه لا يؤمن لهؤلاء المنافقين إيمان تسليم وائتمان، ولا يصدقهم في أخبارهم وان وكدوها بالايمان، كما ظن من قال منهم [هو أذن] اغتراراً بلطفه وادبه ﷺ إذ كان لا يواجه أحداً بما يكره ، وبمعاملته إياهم كما يعامل أمثالهم من عامة أصحابه . وفي هذا تهديد لهم وتخويف بأن ينبئه الله تعالى بما كانوا يسرونه في أنفسهم وفيما بينهم كما سيأتي قريباً في قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) وتخويف من المؤمنين الذين يسيئون الظن فيهم كعمر بن الخطاب (رض) ان يظهروا على كفرهم فيخبروه به فيأذن بالانتقام منهم

وأما كونه ﷺ أذن خير لهم مع هذا فهو معاملته لهم بالحلم ومايقتضيه حكم الشرع من العمل بالظواهر ، ومنها قبول المعاذير قبل نهيها عنها في هذه السورة . ولو كان يعاملهم بمقتضى مايسمع عنهم كما تقتضيه استعمال كلمة اذن - لما سلموا من عقابه ، لان أخبار السوء عنهم كثيرة بكثرة اعمال السوء فيهم ، فلو كان يقبل أخبار الشر لقبلها من المؤمنين الصادقين فيهم ولعاقبهم عليها

وفسر الزمخشري قراءة التنوين في قوله (أذن خير) بأن كلا من اللفظين خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو أذن هو خير لكم ، يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ، ولا يكافئكم على سوء دخيلاتكم . وقدر غيره : اذن ذو خير لكم ، او بمعنى : اخير لكم

ونكتة تعدية الايمان بالباء في الله تعالى وباللام في المؤمنين ان الاول على الاصل في آمن به ضد كفر به ، وصدق به ضد كذب به . وأما الثاني فقد ضمن معنى الميل والائتمان والجنوح للمؤمنين به، وفي معناه آيات كقوله تعالى (فآمن له لوط) وقوله (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه) وقوله إخباراً عن قول اخوة يوسف لابيهم (وما أنت بمؤمن لنا) وقوله في جدال قوم نوح له (أنؤمن لك واتبعك الارذلون) ففي كل هذا معنى التصديق المتضمن للائتمان والتسليم والميل عن جانب الى جانب ، وانما يكون هذا في ايمان الناس بعضهم لبعض لا في الايمان بالله عز وجل . وبهذا يعلم كذبهم في زعمهم تصديقه ﷺ لهم فيما يعتذرون له ، فهو لا يصدقهم وان حلفوا لانه انما يؤمن للمؤمنين الصادقين ، دون المنافقين الكاذبين

﴿ ورحمة للذين آمنوا منكم ﴾ أي هو أذن خير لكم على كونه يؤمن للمؤمنين دون غيرهم ، وهو رحمة للذين آمنوا منكم إيمانا صحيحاً صادقا إذ كان سبب إيمانهم وهدايتهم الى مافيه سعادة الدنيا والآخرة ، دون من أظهر الاسلام وأسر الكفر منافقا فهو نقمة عليه في الدارين ، كما قال (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) والآيات في هذا المعنى كثيرة . ولما كان كل منهم يدعي الايمان كان قوله (منكم) تعريضا بغير الصادقين منهم لا تصريحا . وفائدته ان يعلموا ان الرسول ﷺ عالم بان منهم منافقين ولكنه لا يعرف أعيانهم وأشخاصهم ، ويخشى أن يخبره ربه بهم ، ويكشف له عن أسرار قلوبهم ، كما سيأتي في قوله تعالى (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) وقيل ان المراد بالذين آمنوا منهم الذين أظهروا الايمان ، وانه رحمة لهم بقبول ظواهرهم ومعاملتهم بها معاملة المؤمنين . ولذلك قال « الذين آمنوا » فعبر عنهم بالفعل ، ولم يقل المؤمنين بالوصف ، وهذا القول ضعيف ،

وكثيراً ما ناط التنزيل الجزاء على الايمان بالتعبير عن أهله بالفعل الماضي

وقرأ حمزة (ورحمة) بالخفض عطفا على (خير) قيل في معناه أي هو أذن خير ورحمة لكم، وفيه نظر أيضا فانه لو أريد هذا لما فصل بين الخير والرحمة بقوله (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) بل هو يؤيد ماقلناه، والتقدير أذن خير لكم كافة، وأذن رحمة للذين آمنوا منكم خاصة، فكل ما في اختلاف التعبير أن لين الرسول ﷺ ولطفه وإلقاءه السمع الى محدثه، وعدم معاملته بمقتضى سره وسريرته، هو خير المنافقين من عدمه، فانه لو أمره الله تعالى أن يعاملهم بما يخفون من الكفر لكان ذلك أمراً بقطع رقابهم، وبقاؤهم خير لهم بالمعنى الذي يعتقدونه من لفظ الخير، وخير لهم في نفس الامر، لانه امهال لهم يرجى أن يتوب بسببه من فيه استعداد للايمان منهم بما يراه من آيات الله وتأييده لرسوله وللمؤمنين. فالخيرية دنيوية وهي للجميع، والرحمة دنيوية وأخروية وانما هي للمؤمنين. واما إرساله ﷺ رحمة للعالمين، فالمراد به عموم دعوته وهدايته، لا انه رحمة لمن كفر به كمن آمن به.

ويؤيد ما اخترناه قوله تعالى ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ فهو مقابل قوله (ورحمة للذين آمنوا منكم) يدل على أن إيذاء الرسول ﷺ بالقول او الفعل ينافي الايمان الذي هو سبب الرحمة، فجزاؤه ضد جزائه وهو العذاب الشديد الايلام، وفي اضافة الرسول الى اسم الله عز وجل إيذان بان إيذاءه إيذاء لمرسله أي سبب لعقابه، كما ان طاعته طاعة له وسبب لثوابه، (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقوله (لهم عذاب أليم) جملة مستقلة هي خبر لما قبلها، وفي هذا تأكيد لمضمونها.

والآية وما في معناها دليل على ان ايذاء الرسول ﷺ كفر اذا كان فيما يتعلق بصفة الرسالة، فان ايذاءه في رسالته، ينافي صدق الايمان بطبيعته، وأما الايذاء الخفيف فيما يتعلق بالعادات والشؤون البشرية فهو حرام لا كفر، كايذاء الذين كانوا يطيلون المكث في بيوته عند نسائه بعد الطعام فنزل فيهم (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم - الى قوله - وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا، ان ذلكم كان عند الله عظيما) وقال في الاعراب الذين كانوا يرفعون أصواتهم في ندائه ويسمونه باسمه (ياأيها الذين

آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) فهذه آداب المؤمنين التي فرضها عليهم ربهم مع رسوله ﷺ وفي التقصير فيها خطر حبوط الاعمال بدون شعور من المقصر

وصرح بعض العلماء بأن ايذاءه ﷺ بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى، كايذائه في حال حياته الدنيا ، ومنه نكاح أزواجه من بعده ، قال بعضهم ومنه الخوض في أبويه وآل بيته بما يعلم انه يؤذيه لو كان حيا . ولا شك ان الايمان به ﷺ مانع من تصدي المؤمن لما يعلم أو يظن انه يؤذيه صلوات الله وسلامه عليه ايذاء ما .

ولكن لايدخل في هذا كل مايؤذي أحداً من سلائل آله وعترته بأي سبب من أسباب التنازع بين الناس في الحقوق المالية والجنائية والمخاصمات الشخصية، لان منها مايكون فيها المنسوب الى الآل الكرام جانياً آثما ومعتديا ظالما، وقد قال الله تعالى (لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقال ﷺ «ان لصاحب الحق مقالا» وسببه كما في صحيح البخاري ان رجلا تقاضى رسول الله ﷺ فأغاظ له فهمَّ به أصحابه فقال « دعوه ان لصاحب الحق مقالا » الحديث . وهذه فاطمة سيدة نساء أهله بل سيدة نساء العالمين كمريم عليهما السلام قد تأذت من الصديق الأكبر الذي كان أحب الرجال اليه، كما كانت أحب النساء اليه، لانه لم يعطها ماظنت من ميراثها منه ﷺ وعذره أنه منفذ لأمره ومقيم لشرعه ، وقد أخبره ﷺ بنطق فمه ان الانبياء لايورثون وما تركوه فهو صدقة ، فعمله بوصيته ، لايمكن أن يعد ايذاء له ، فتأذيها عليها السلام ، لم يكن عن ايذاء منه عليه الرضوان ، وكل منهما معذور ، فماذا يقال بعد هذا فيمن ارتدوا عن الاسلام من مدعي هذا النسب الشريف بحق وبغير حق، كغلاة الشيعة الباطنية من فاطمية مصر والاسماعيلية وغيرهم الذين أسسوا جمعياتهم السرية لمحو الاسلام من الارض ، من طريق دعوى عصمة أئمة آل البيت ، كما هو معلوم وبيناه مرارا ؟ هل يقال ان من يؤذيهم يعد مؤذيا لرسول الله ﷺ وهم أعدى أعدائه ، وأخبث المفسدين لدينه ؟ ومن دونهم مبتدعة الروافض، وخرافاتهم معروفة ، وجناياتهم على الاسلام والمسلمين مشهورة ، وقد بينا بعضها في تفسير هذه السورة ، على أن من آثار الادب

مع احد من آل الرسول على الحق الشخصي حباً له ﷺ كان ذلك من كمال ايمانه كما فعل الامام احمد (رح) في العفو عن المعتصم العباسي لقرابته. وقد بينا الحق في أصل هذه المسألة في الآل والأبوين الطاهرين في تفسير (وإذ قال ابراهيم لابيه آزر) ؟ الآيات فتراجع في تفسير سورة الانعام (ص ٥٥٠ ج ٧)

(٦٢) يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا، ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ

روى ابن ابي حاتم عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال في شأن المتخلفين في غزوة تبوك الذين نزل فيهم ما نزل : والله ان هؤلاء خيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقاً لهم شر من الحمر . فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله إن ما يقول محمد لحق ، ولأنت أشر من الحمار. فسعى بها الرجل إلى نبي الله ﷺ فأخبره ، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال « ماحملك على الذي قلت ؟» فجعل يلتعن (أي يلعن نفسه) ويحلف بالله ماقال ذلك .وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب ، فأنزل الله في ذلك (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الآية . وأخرج ابن ابي حاتم عن السدي مثله وسمى الرجل المسلم عامر بن قيس من الانصار . وهذا ليس بحصر، بل المراد أن الآية نزلت في هذا وأمثاله ،فان من عادة المنافقين والكاذبين من عصاة المؤمنين وغيرهم أن يكثروا الحلف ليصدقوا لانهم لعلمهم بكذبهم يظنون أو يعلمون أنهم متهمون في أقوالهم وأعمالهم، فيحلفون لازالة التهمة، وهذا معلوم في كل زمان ، وقد تقدم في الآية (٤٢) من هذا السياق حلفهم أنهم لو استطاعوا الخروج في غزوة تبوك لخرجوا، والتصريح بعلم الله بكذبهم في حلفهم هذا - وفي الآية(٥٦) منه(ويحلفون بالله انهم لمنكم) الخ وسيأتي في آية (٧٤) منه مثل هذا الحلف على قول من الكفر قالوه انهم ماقالوه ،وفي آيات ٩٥ و ٩٦و ١٠٧ منه نحو من ذلك

فقوله تعالى ﴿ يحلفون بالله ليرضوكم ﴾ خطاب للمؤمنين في بعض شؤون هؤلاء المنافقين معهم في غزوة تبوك ، أخبرهم بأنهم شعروا بما لم يكونوا يشعرون من ظهور نفاقهم فكثر اعتذارهم وحلفهم للمؤمنين في كل ما يعلمون أنهم متهمون به من قول وعمل ، ليرضوهم فيطمئنوا لهم، فتنتفي داعية إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بما ينكرون منهم، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ أي والحال أن الله ورسوله أحق بالارضاء من المؤمنين ، فان المؤمنين قد يصدقونهم فيما يحلفون عليه اذا لم يكن كذبهم فيه ظاهراً معلوما باليقين، ولكن الله لا يخفى عليه شيء ، فهو يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وهو يوحي إلى رسوله من أمور الغيب ما فيه المصلحة

وكان الظاهر أن يقال « يرضوهما » ونكتة العدول عنه إلى (يرضوه) الاعلام بان ارضاء رسوله من حيث انه رسوله عين ارضائه تعالى ، لانه ارضاء له في اتباع ما أرسله به ، وهذا من بلاغة القرآن في الايجاز ، ولو قال (يرضوهما) لما أفاد هذا المعنى ، إذ يجوز في نفس العبارة أن يكون إرضاء كل منهما في غير ما يكون به إرضاء الآخر ، وهو خلاف المراد هنا ، وكذلك لو قيل « والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق ان يرضوه » لا يفيد هذا المعنى أيضا وفيه ما فيه من الركاكة والتطويل ، وقد خرجه علماء النحو على قواعدهم فقال بعضهم كابي السعود ان الضمير المفرد هنا يعود إلى ما فهم مما قبله الذي يفسر باسم الاشارة أو « ما ذكر » كقول رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق

يعني كأن ذلك أو كأن ما ذكر ، وهو تخريج ضعيف. وقال بعضهم إن الضمير عائد إلى اسم الجلالة ويقدر مثله للرسول ، وقال بعضهم انه للرسول وحده لان الكلام في ايذائه ، وهو أضعف مما قبله ، وأقرب الاقوال إلى قواعدهم قول سيبويه ان الكلام جملتان حذف خبر احداهما لدلالة خبر الاخرى عليه كقول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ دك راض والرأي مختلف

فهذا لا تكلف فيه من ناحية التركيب العربي ولكن تفوت به النكتة التي ذكرناها ، وهي من بلاغة القرآن التي يجب على أهل البيان اقتباسها ، واستعمال

مثل هـذا التعبير في كل ما كان مثله في المعنى ، ولولا هذا التنبيه لما عنينا بنقل اقوالهم في الاعراب لانه مخالف لمنهاجنا

وقوله ﴿ إن كانوا مؤمنين ﴾ تذييل لبيان ان ماقبـله هو مقتضى الايمان الصحيح الذي لاينجي في الآخرة غـيره ، أي فإن كانوا مؤمنين كما يدعون ويحلفون فليرضوا الله تعالى ورسوله، وإلا كانوا كاذبين، وفي الآية عبرة للمنافقين في زماننا ككل زمان، وعبرة بحالهم لمن يراهم يكذبون ويحلفون عند الحاجة إلى تأكيد أخبارهم فيما يحاولون به إرضاء الملوك والامراء والوزراء والرؤساء الذين يتقربون اليهم فيما لايرضى الله تعالى بل فيما يسخطه من المقاصد، التي يتوسلون اليها بأخس الوسائل.

﴿ ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهـنم خالداً فيهـا ﴾ الاستفهام هنا للتوبيخ وإقامة الحجة ، والمحادة مفاعلة من الحد وهو طرف الشيء ، كالمشاقة من الشق وهو بالـكسر الجانب ونصف الشيء المنشق منه ، وكلاهما بمعنى المعاداة من العدوة وهي بالضم جانب الوادي، لان العدو يكون في غاية البعد عمن يعـاديه عداء البغض والشنآن بحيث لايتزاوران ولا يتعاونان ، فشبه بمن يكون كل منهما في حد وشق وعدوة ، كما يقال هما على طرفي نقيض ، وكذلك المنافقون يكونون في الحد والجانب المقابل للجانب الذي يحبه الله لعباده والرسول لأمته من الحق والخير والعمل الصالح ولاسيما الجهاد بالمال والنفس للدفاع عن الملة والامة وإعلاء شأنهما. والعاصي وان خالف أمر الله ورسوله ونهيهما في بعض الامور لاينتهي إلى هذه الغاية أو العدوة في البعد عنهما ، فليس في الآية حجة لمن يكفرون العصاة . وجهنم دار العذاب وتقدم هذا الاسم مراراً

والمعنى : ألم يعـلم هؤلاء المنافقون أن الشأن والامر الثابت الحق هو : من يعاد الله ورسوله بتعدي حدود الله، أو بلمز الرسول في اعماله كقسمة الصدقات ، أو أخلاقه وشمائله كقولهم: هو أذن ــ فجزاؤه ان له نار جهنم يصلاها يوم القيامة خالداً

فيها لا مخرج له منها ﴿ ذلك الخزي العظيم ﴾ أي ذلك الصلي الابدي هو الذل والنكال العظيم الذي يتضاءل دونه كل خزي وذل في الحياة الدنيا

(٦٤) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ، قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٥) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٦) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ

هذه الآيات في بيان شان آخر من شؤون المنافقين التي كشفت سوأتهم فيها غزوة تبوك . أخرج ابن أبي شيبة وابن ابي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ﴾ قال يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى أن لا يفشى علينا هذا . وأخرجوا إلا الاول منهم عن قتادة قال كانت هذه السورة تسمى الفاضحة فاضحة المنافقين ، وكان يقال لها المنبئة أنبأت بمثالبهم وعوراتهم

الجمهور على أن جملة (يحذر) خبر على ظاهرها ، وعن الزجاج انها انشائية في المعنى ، أي ليحذروا ذلك . وهو ضعيف . فالحذر كالتعب الاحتراز والتحفظ مما يخشى ويخاف منه كما يؤخذ من مفردات الراغب وأساس البلاغة (في مادتي ح ذر ، و ح رز) ويستعمل في الخوف الذي هو سببه وقد استشكل هذا الحذر منهم وهم غير مؤمنين بالوحي ، وأجاب أبو مسلم عن هذا الاشكال بأنهم أظهروا الحذر استهزاء ، وأجاب الجمهور بما حاصله ان أكثر المنافقين كانوا شاكين مرتابين في الوحي ورسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا موقنين بشيء من الايمان ولا من الكفر ، فهم مذبذبون بين المؤمنين الموقنين ، الكافرين الجازمين بالكفر ، ومنهم من كان شكه قويا ، ومن كان شكه ضعيفا ، وتقدم شرح حالهم وبيان أصنافهم في أول سورة البقرة فراجع تفسيره ومافيه من بلاغة المثلين اللذين

ضربها الله تعالى لهم . وهذا الحذر والاشفاق أثر طبيعي للشك والارتياب، فلو كانوا موقنين بتكذيب الرسول ﷺ لما خطر لهم هذا الخوف على بال ، ولو كانوا موقنين بتصديقه لما كان هنالك محل لهذا الخوف والحذر لان قلوبهم مطمئنة بالايمان

واختلف المفسرون في ضمير (عليهم) قال بعضهم هو للمنافقين المذكورين والمراد بنزوله عليهم نزوله في شأنهم ، وبيان كنه حالهم ، كقوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) اي في شان ملكه . ويقال كان كذا على عهد الخلفاء ، أي في عهدهم وزمنهم. والمراد بانبائهم بما في قلوبهم لازمه وهو فضيحتهم وكشف عوارهم ، وانذارهم ماقد يترتب عليه من عقابهم ، وقال آخرون : هو للمؤمنين أي يحذر المنافقون أن ينزل على المؤمنين آية تنبئهم بما في قلوبهم أي قلوب المنافقين الحذرين من الشك والارتياب وتربص الدوائر بهم أي بالمؤمنين، وغير ذلك من الشر الذي يسرونه في انفسهم ، والاضغان التي يخفونها في قلوبهم. قيل فيه تفكيك للضمائر ، وأجيب بأن تفكيك الضمائر غير ممنوع ، ولا ينافي البلاغة الا اذا كان المعنى به غير مفهوم

ولنا هذا المقام بحثان (احدهما) انه ليس ههنا تفكيك للضمائر ، فانه قد سبق ان المنافقين يحلفون للمؤمنين ليرضوهم ، وقد وبخهم الله تعالى على اهتمامهم بارضاء المؤمنين دون ارضاء الله ورسوله وهما احق بالارضاء ، وأوعدهم على ذلك بانه محادة لله ورسوله يستحقون بها الخلود في النار ، ثم بين بطريقة الاستئناف سبب حلفهم للمؤمنين واهتمامهم بارضائهم ، بأنهم يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، فتبطل ثقتهم بهم ، فأعيد الضمير على المؤمنين لان سياق الكلام فيهم

(والبحث الآخر) ان انزال الوحي يعدى بالى وبعلى الى الرسول الذي يتلقاه عن الله تعالى - ويعدى بهما الى قومه المنزل ليتلى عليهم لاجل هدايتهم، وكلا الاستعمالين مكرر في القرآن . قال تعالى (٢ : ١٣٦ قولوا آمنا بالله وما انزل الينا) الخ وقال (٣ : ٨٤ قل آمنا بالله وما انزل علينا) الخ وقال (٧ : ٢ اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) وقال (٢ : ٢٣١ واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة

يعظكم به) وقال (٢١ : ١٠ لقد انزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم افلا تعقلون ؟)

قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ﴾ استدل أبو مسلم الاصفهاني بهذا الجواب على ان المنافقين اظهروا الحذر مما ذكر استهزاء ولم يكونوا يحذرون ذلك بالفعل لعدم ايمانهم، ويرده إسناد الحذر إليهم في اول الآية وآخرها ، ولو صح هذا لذكر ذلك عنهم بالحكاية فأسند الحذر الى قولهم ولم يسنده اليهم ، كما أسند اليهم كثيرا من الاقوال في هذه السورة وغيرها ، ومنها قوله تعالى في أوائل سورة البقرة (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم ، انما نحن مستهزءون) ويؤيد وقوع الحذر منهم قوله تعالى في السورة المضافة الى اسمهم (يحسبون كل صيحة عليهم) وفي الآية التالية لهذه الآية بيان لضرب آخر من استهزائهم في هذا المقام من سياق غزوة تبوك ، فالاستهزاء دأبهم وديدنهم، وحذرهم من تنزيل السورة ليس من هذا الاستهزاء، بل من خوف عاقبته ، وانما العجب من أمرهم استمرارهم عليه مع هذا الحذر ، واما أمرهم به فهو للتهديد والوعيد عليه وبيان كونه سبباً لاخراجه تعالى ما يحذرون ظهوره من مخبآت سرائرهم ، ومكنونات ضمائرهم ، والاصل في الاخراج أن يكون للشيء الخفي المستتر ، أو المتمكن المستقر . ومن الأول قوله تعالى في المنافقين (٤٧ : ٣٠ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) وقوله بعده (ويخرج أضغانكم) ومنه اخراج الموتى بالبعث ، واخراج الحب والنبات من الارض، ومثله في التنزيل كثير. ومن الثاني النفي من الاوطان والديار وفيه آيات كقوله تعالى (الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق) الآية . فقوله تعالى (مخرج ما تحذرون) معناه انه مخرجه الآن بتنزيل هذه السورة التي لم تدع في قلوبهم شيئاً من مخبآت نفاقهم إلا اخرجته وأظهرته لهم وللمؤمنين

قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم ليقولنّ انما كنا نخوض ونلعب ﴾ روي فيمن نزلت فيهم هذه الآية عدة روايات نذكر أمثلها : أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في الآية قال : بينما رسول الله ﷺ في غزوته الى تبوك وبين يديه أناس من المنافقين؟ فقالوا أيرجو هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام

وحصونها ؟ هيهات هيهات. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك ، فقال النبي ﷺ « احبسوا عليّ هؤلاء الركب » فأتاهم فقال قلتم كذا ، قلتم كذا . قالوا يانبي الله انما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله فيهم ماتسمعون . وأخرج الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعيد بن جبير قال بينما النبي ﷺ في مسيره وأناس من المنافقين يسيرون أمامه فقالوا إن كان مايقول محمد حقا فلنحن شر من الحمير ، فأنزل الله تعالى ماقالوا ، فأرسل اليهم: ما كنتم تقولون؟ فقالوا انما كنا نخوض ونلعب . وأخرج ابن اسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك قال : قال مخشي بن حمير لوددت اني أقاضى على ان يضرب كل رجل منكم مائة على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن ، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر «أدرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا ، فان هم أنكروا وكتموا فقل بلى قد قلتم كذا وكذا » فأدركهم فقال لهم فجاؤا يعتذرون فأنزل الله (لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم إن نعف عن طائفة منكم) الآية . فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لايعلم بمقتله ، فقتل باليمامة لايعلم مقتله ولا من قتله ولا يرى له أثر ولا عين. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في رهط من المنافقين من بني عمرو بن عوف فيهم وديعة بن ثابت ورجل من أشجع حليف لهم يقال له مخشي بن حمير كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون قتال بني الاصفر كقتال غيرهم والله لكأنا بكم غداً تقادون في الحبال . قال مخشي بن حمير : لوددت اني أقاضى ، فذكر الحديث مثل الذي قبله ، وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود نحوه .

والمعنى ان الله تعالى نبأ رسوله بما كان يقوله هؤلاء المنافقون في اثناء السير الى تبوك من الاستهزاء بتصديه لقتال الروم الذين ملأ صيتهم بلاد العرب بما كان تجارهم يرون من عظمة ملكهم في الشام إذ كانوا يرحلون اليها في كل صيف، نبأه نبأ مؤكداً بصيغة القسم انه إن سألهم عن اقوالهم هذه يعتذرون عنها بأنهم لم يكونوا فيها جادين ولا منكرين، بل هازلين لاعبين، كما هو شأن الذين يخوضون

في الاحاديث المختلفة للتسلي والتلهي ، وكانوا يظنون ان هذا عذر مقبول لجهلهم ان اتخاذ أمور الدين لعبا ولهواً ، لا يكون إلا ممن اتخذه هزواً ، وهو كفر محض ، ويغفل عن هذا كثير من الناس يخوضون في القرآن والوعد والوعيد ، كما يفعلون اذ يخوضون في أباطيلهم وامور دنياهم ، وفي الرجال الذين يتفكهون بالتنادر عليهم والاستهزاء بهم ، وانما يستعمل الخوض فيما كان بالباطل لانه مأخوذ من الخوض في البحر او في الوحل ، فيراد به الاكثار ، والتعرض لتقحم الاخطار ، قال تعالى في سورتي الزخرف والمعارج (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وقال في سورة الطور (فويل للمكذبين * الذين هم في خوض يلعبون) وقال في سورة النساء (٤ : ١٣٩ وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، انكم إذاً مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) وقد بينا في تفسير هذه الآية ان الخطاب فيها لكل من يظهر الاسلام من مؤمن ومنافق ، وانه يدخل في عمومها المبتدعون المحدثون في الدين ، والذين يخوضون في الداعين الى الكتاب والسنة ويستهزؤن بهم لاعتصامهم بهما وإيثارهم إياهما على المذاهب المقلدة (راجع ص ٤٦٣ ج ٥ تفسير)

وبعد ان نبأ الله تعالى رسوله بما يعتذرون به لقنه مايرد به عليهم بقوله

﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ؟ ﴾ والمعنى ان الخوض واللعب إذا كان موضوعه صفات الله وأفعاله وشرعه وآياته المنزلة وأفعال رسوله واخلاقه وسيرته كان ذلك استهزاء بهما ، لان الاستهزاء بالشيء عبارة عن الاستخفاف به ، وكل مايلعب به فهو مستخف به ، ـ وقد حررنا معنى اللفظ في تفسير ما أسنده تعالى الى المنافقين من قولهم لشياطينهم (إنا معكم إنما نحن مستهزؤن) أي بقولنا للمؤمنين آمنا (١) كان من يحترم شيئا او شخصاً او يعظمه لايجعله موضوع الخوض واللعب . وتقديم معمول فعل الاستهزاء عليه يفيد القصر ، والاستفهام عنه للانكار التوبيخي ، والمعنى ألم تجدوا ماتستهزؤن به في خوضكم ولعبكم الا الله وآياته ورسوله فقصرتم ذلك عليهما ، فهل

(١) راجع ص ١٦٤ من جزء التفسير الاول

ضاقت عليكم جميع مذاهب الكلام تخوضون فيها او تعبثون دونها، ثم تظنون ان هذا عذر مقبول فتدلون به بلا خوف ولا حياء ؟ ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ أي قد كفرتم بهذا الخوض واللعب بعد إيمانكم ، فاعتذاركم اقرار بذنبكم ، وانما الاعتذار الادلاء بالعذر ، وهو بالضم مايراد به محو الذنب ، وأنتم قد جئتم بما يثبت الذنب ويقتضي العقاب . يقال اعتذر إلي عن ذنبه فعذرته (من باب ضرب) أي قبلت عذره ورفعت اللوم عنه ، وهو على الراجح المختار مأخوذ من عذر الصبي يعذره - أي ختنه ، فعذره - وهو تطهيره بالختان إذ هو قطع لعذرته أي قلفته

(فان قيل) ظاهر هذا انهم كانوا مؤمنين فكفروا بهذا الاستهزاء الذي سموه خوضا ولعبا ، وظاهر السياق أن الكفر الذي يسرونه ، هو سبب الاستهزاء الذي يعلنونه ، (قلنا) كلاهما حق ، ولكل منهما وجه ، فالاول بيان الحكم الشرع وهو أنهم كانوا مؤمنين حكما ، فانهم ادعوا الايمان ، فجرت عليهم أحكام الاسلام ، وهي انما تبنى على الظواهر ، والاستهزاء بما ذكر عمل ظاهر يقطع الاسلام ويقتضي الكفر ، فبه صاروا كافرين حكما ، بعد أن كانوا مؤمنين حكما ، والثاني وهو مادل عليه السياق هو الواقع بالفعل ، والآية نص صريح في ان الخوض في كتاب الله وفي رسوله وفي صفات الله تعالى ووعده ووعيده وجعلها موضوعا للعب والهزؤ كل ذلك من الكفر الحقيقي الذي يخرج به المسلم من الملة ، وتجري عليه به أحكام الردة ، إلا أن يتوب ويجدد اسلامه

ثم قال تعالى ﴿ ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ﴾ الطائفة مؤنث الطائف ، من الطوف او الطواف حول الشيء . والطائفة من الناس الجماعة منهم ومن الشيء القطعة منه ، يقال ذهبت طائفة من الليل ومن العمر ، واعطاه طائفة من ماله ، واذا أريد بالطائفة الجماعة كان أقلها ثلاثة على قول الجمهور في الجمع . والخطاب هنا للمعتذرين او لجملة المنافقين ، فان كانت هذه الآية مما أمر الله رسوله أن يقوله لهم كالذي قبله فالمراد بالعفو والتعذيب ما يفعله (ص) في المدينة ، والا كان المراد ما سيكون في الآخرة ، والمعنى اننا ان نعف عن بعضكم بتلبسهم بما يقتضي العفو وهو التوبة والانابة (ومنهم مخشي بن حمير) نعذب بعضاً آخر باتصافهم

بالاجرام ورسوخهم فيه وعدم تحولهم عنه ، أي بالاصرار على النفاق وما يستلزمه من الجرائم الظاهرة ، وهذا التقسيم عقلي إذ لايخلو حالهم من التوبة أو الاصرار ، فمن تاب من كفره ونفاقه عفي عنه ، ومن أصر عليه وأظهره عوقب به ، فان كان الوعيد من النبي ﷺ فمعناه ان هذا ما سننفذ حكم الشرع عليكم به عند الرجوع من دار الحرب إلى دار الاسلام ، لان دار الحرب لا تقام فيها الحدود وأمثالها من الاحكام ، والمختار عندنا انه من الله تعالى وأن المراد به عفو الله وتعذيبه في الآخرة . وقل الضحاك : يعني انه ان عفا عن طائفة منهم فليس بتارك الآخرين

(فان قيل) انه بين سبب التعذيب وهو الاصرار على الاجرام ولم يبين سبباً للعفو ، أفليس هذا دليلا على أنه لمحض الفضل ؟ (قلنا) ان ما بينه يدل على مالم يبينه ، فانه لما ذكر انهم كفروا بعد إيمانهم ، دل على انهم استحقوا العذاب بكفرهم ، فبيانه بعد هذا لسبب تعذيب بعضهم دال على أن التعذيب ينتفي بانتفاء هذا السبب ، وانما يكون ذلك بترك النفاق وإجرامه والتوبة منهما ، والادلة العامة تدل على ان الوعيد على الكفر لابد من نفوذه على من لم يتب منه ، وان الوعيد على الذنوب بعضه ينفذ وبعضه يدركه العفو .

وأما عدد من يتوب ويعفى عنه ، وعدد من يصر ويعاقب بالفعل من كل من الطائفتين ، فيصح أن يكون واحداً او اثنين او أكثر ، فان كان واحداً فلا يسمى طائفة وانما يكون واحداً من الطائفة ممثلا لها ، وروي عن الكلبي ان رسول الله ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة رهط استهزؤا بالله وبرسوله وبالقرآن ، قل وكان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث يسير مجانباً لهم يقال له يزيد بن وديعة فنزلت (إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) فسمي طائفة وهو واحد اه ، وبناء على هذه الرواية قال من قل ان الطائفة من الواحد إلى الالف وروي عن مجاهد - ومن زعم انها تطلق على الرجل والنفر ، وروي عن ابن عباس ، وهو غلط ، والرواية المذكورة عن الكلبي لا تقتضيه ، وهي لاتصح سنداً فالكلبي متروك ، ولا معنى فان الذي كان يسير مجانباً لهم لايتناوله وعيدهم ، ولكن

المتعلقين بالروايات يحكمونها في العقائد والاحكام، أفلا يحكمونها في اللغة أيضاً فيقولون ان الواحد يسمى طائفة؟ وقد حافظ بعض المفسرين على اللغة في هذه الرواية فقالوا ان التاء في طائفة للمبالغة كراوية لكثير الرواية، وهو غير ظاهر هنا وانما الظاهر ما شرحناه ولله الحمد والمنة. والظاهران أكثر أولئك المنافقين قد تابوا واهتدوا بعد نزول هذه السورة التي نبأتهم بما قلوبهم كما سيأتي قريباً

وقد ظهر بما قررناه وجه الاتصال بين الشرط والجزاء، بما سقط به استشكال بعض كبار العلماء، كسلطانهم العز بن عبد السلام، واستغنينا به عما تكلفه المتكلفون لحل الاشكال

---

(٦٧) ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ: يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ، نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ، إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ (٦٨) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا، هِيَ حَسْبُهُمْ، وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٩) كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا، فَٱسْتَمْتَعُوا بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِي خَاضُوٓا، أُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ، وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ (٧٠) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ: أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ، فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

هذا بيان عام لحال جميع المنافقين ذكرانهم وإناثهم ، مقرون بالوعيد الشديد على ما أعد لهم من الجزاء مع اخوانهم الكفار على فسادهم وإفسادهم ، يتلوه ضرب المثل لهم بحال أمثالهم في الامم قبلهم . فاتصالها بما قبلها من بيان شؤون المنافقين المتعلقة بغزوة تبوك هو من قبيل التناسب بين القواعد العلمية في الاخلاق ، والسنن العامة في روابط الاجتماع ، وبين الوقائع الخاصة التي تعد من الشواهد على هذه القواعد والسنن

قال عز وجل ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ أي أهل النفاق من الرجال والنساء متشابهون فيه وصفاً وعملا كأن كلا منهم عين الآخر كما قيل

تلك العصا من هذه العُصية   هل تلد الحية إلا حية

وكما قال تعالى في آل ابراهيم وآل عمران (ذرية بعضها من بعض) وفي استجابته لدعاء الذاكرين المتفكرين (لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)

ثم بين هذا التشابه بقوله ﴿ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ﴾ المنكر الشرعي ماينكره الشرع ويستقبحه ، والمنكر العقلي والفطري ما تستنكره العقول الراجحة والفطر السليمة ، لمنافاته للفضائل والمنافع الفردية والمصالح العامة ، والشرع هو القسطاس المستقيم في ذلك كله ، والمعروف ما يقابل المنكر مقابلة التضاد ، ومن المنكر الذي يأمر به بعضهم بعضا الكذب والخيانة وإخلاف الوعود والفجور والغدر بنقض العهود ، قال ﷺ « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » رواه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة وفي حديث آخر « أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » رواه احمد والشيخان وأصحاب السنن الثلاثة من حديث عبدالله بن عمرو . ومن المعروف الذين ينهون عنه الجهاد وبذل المال في سبيل الله للقتال وغير القتال كقولهم الذي ذكر في سورتهم (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا)

وقبض الايدي ضم اصابعها الى باطن الكف وهو كناية عن الامتناع من البذل ، كما أن بسط اليد كناية عن الانفاق والبذل، فهم ينهون الناس عن البذل. ويمتنعون منه بالفعل، واقتصر من منكراتهم الفعلية على هذا لانه شرها وأضرها ، وأقواها دلالة على النفاق، كما أن الانفاق في سبيل الله أقوى الآيات على الايمان ، والآيات في هذا الانفاق كثيرة جداً تقدم كثير منها في سورتي البقرة والانفال وهذه السورة

﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ أي نسوا الله ان يتقربوا اليه بالانفاق في سبيله وغير ذلك من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ، يعني انهم لرسوخهم في الكفر لم يعد يخطر ببالهم ان له تعالى عليهم حق الطاعة والشكر ، فهم لا يذكرونه بشيء من اعمالهم ، وانما يتبعون فيها اهواءهم من الرياء ووسوسة الشيطان ، وقد حذرهم ربهم طاعة الشيطان ولا سيما في البخل فقال (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) الفحشاء ما فحش قبحه وعظم كالزنا واللواط والبخل الشديد ، وفسرت به في الآية كما فسر الفاحش بالبخيل في قول طرفة بن العبد في معلقته

اري الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

وأما نسيان الله تعالى لهم فهو عبارة عن مجازاتهم على نسيانهم اياه بحرمانهم من فوائد ذكره ، وفضيلة التقرب اليه بالانفاق والجهاد في سبيله، وغير ذلك من توفيقه ولطفه في الدنيا ، وحرمانهم من الثواب على ذلك في الآخرة كما سيأتي قريباً في قوله (حبطت أعمالهم) فالمراد بالنسيان لازمه وهو جعلهم كالمنسي الذي لا يتعهد ولا يعتنى بشأنه ، لا كالمنسي مطلقا

﴿ ان المنافقين هم الفاسقون ﴾ الراسخون في الفسوق وهو الخروج من محيط الايمان وفضائله ، الناكبون عن صراطه المستقيم الى طرق الشيطان ورذائله، وقد تقدم قريباً قوله تعالى (انكم كنتم قوما فاسقين) وهو في طائفة منهم فلم يذكر بصيغة الحصر لانه لا يصح فيهم، وانما صح هنا لانه في جنس المنافقين، والحصر فيهم اضافي ، فهم اشد فسوقا من جميع اجناس البشر كالكفار الذين اعتقدوا صحة

عقائدهم الباطلة وتعاليمهم المنكرة ، فلا يبلغ فسوقهم وخروجهم من طاعة الله بمخالفة دينهم ، ولا الخروج من فضائل الفطرة السليمة ، حد فسوق المنافقين الذين يخالف ظاهرهم باطنهم ، والمرجع في تفصيل حالهم الى ماتقدم من الآيات في اوائل سورة البقرة وفي آيات من سورة النساء ، وناهيك بما تقدم من هذه السورة وما تأخر

ثم قفى تعالى على بيان حالهم هذه بذكر ما اعده لهم ولاخوانهم الكفار من العقاب فقال ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ﴾ الوعد يستعمل في الخير والشر ، وفيما ينفع وفيما يضر ، والوعيد خاص بالثاني ، ولا يكاد يذكر الوعد فيه إلا مع ذكر متعلقه صراحة أو ضمناً كهذه الآية وقد فصلنا هذه المسألة في الجزء السابع من هذا التفسير (ص ٤٢٤) وذكر في هذه الآية المنافقات مع المنافقين للنص على أن في النساء نفاقا كالرجال ، وإن كان هذا معروفا في طباع الناس ، كما قرن ذكر الذكور والاناث في صفات الايمان ، وأخَّر ذكر الكفار في مقام الوعيد للايذان بأن المنافقين – وإن أظهروا الايمان وعملوا أعمال الاسلام – شر من الكفار الصرحاء ، ولا سيما المتدينين منهم بأديان باطلة من الاصل أو محرفة ومنسوخة كأهل الكتاب ، وقد تكرر هذا في القرآن وبينا وجهه . وتقدم آنفاً ذكر الخلود في جهنم وعيداً على محادة الله ورسوله ، وزاد هنا ثلاثا فقال ﴿ هي حسبهم ﴾ الخ فزيادة التشديد في الوعيد للفرق بين جزاء جماعة المنافقين والكفار الراسخين في النفاق والكفر المتعاونين على أعمالها ، وجزاء أفراد العاصين لله ورسوله ، فمفاسد هؤلاء الافراد شخصية كبيرها وصغيرها ، وأما مفاسد جماعات النفاق والكفر القومية والامم المتعاونة فيها فهي أكبر لانها أعم . والمعنى أن نار جهنم فيها من الجزاء مايكفيهم عقابا في الآخرة ﴿ ولعنهم الله ﴾ في الدنيا والآخرة بحرمانهم من رحمته الخاصة ، التي لا يستحقها الا المؤمنون الصادقون ، الذين تذكر صفاتهم في الآيات المقابلة لهذه عقبها ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ أي ثابت لا يتحول عنهم ، والظاهر من العطف أنه نوع من العذاب نفسي معنوي غير عذاب جهنم الحسي الخاص بها بنوعيه الظاهر والباطن : الظاهر كالسموم الذي يلفح وجوههم ، والحرارة التي تنضج جلودهم ،

والحميم الذي يصهر ما في بطونهم، والزقوم طعام الأثيم، والضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. والباطن المعبر عنه بقوله تعالى في الحطمة (التي تطلع على الافئدة) فهذا النوع المقيم إن كان في الدنيا فهو ما يلصق بقلوب المنافقين من خوف الفضيحة، وما تقدم بيانه في تفسير قوله تعالى في أموالهم وأولادهم (انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) وغير ذلك من تعذيب الضمير والوجدان، ولكل طائفة من الكفار عذاب دنيوي مقيم بحسب حالهم، ولا سيما المعطلين منهم، الذين لا هم لهم إلا في لذات الدنيا، فكل ما يفوتهم منها او ينغصها عليهم لهم فيه عذاب لا يشعر به المؤمنون الراضون بقضاء الله، الصابرون على بلائه، الشاكرون لنعمائه، وان كان في الآخرة فهو حرمانهم من لقاء الله تعالى وكرامته، والحجاب دون رؤيته، كما قال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالو الجحيم) وما يذكيه في قلوبهم إطلاع الله تعالى اياهم على أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، كما تقدم في سورة الاعراف. ولعل هذا هو المراد، ويدل عليه ما يقابله في جزاء المؤمنين من الرضوان الاكبر الذي عطف على نعيم الجنة، ولا مانع من شموله لما في الدنيا والآخرة، ولكنه في عذاب الآخرة المعنوي أظهر، وأعم وأشمل، وتقدم ذكر العذاب المقيم في سورة المائدة بما يدل على انه في النار (٥: ٤٠)

﴿ كالذين من قبلكم ﴾ هذا عود الى خطاب المنافقين الذين نزلت في شأنهم الآيات السابقة واللاحقة بعد ذكر حال جنس المنافقين وصفاتهم في كل زمان، يقول لهم: انتم ايها المنافقون المؤذون لله ورسوله محمد ﷺ والمؤمنين كأولئك المنافقين الذين خلوا من قبلكم في أقوام الانبياء، مفتونون بأموالكم وأولادكم، مغرورون بدنياكم، كما كانوا مفتونين ومغرورين بأموالهم وأولادهم، ولكنهم ﴿ كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم ﴾ اي فكان مطلبهم من أعمالهم وسعيهم التمتع والتنعم بنصيبهم وحظهم الدنيوي من الاموال والاولاد لم يكن لهم مطلب ولا غرض منها إلا التمتع بعظمتها تطغيهم بها القوة، وبلذاتها تغريهم بها الثروة، وبزينتها تفرحهم بها كثرة الذرية.

لانهم لم يكن لهم مقاصد شريفة عالية من الحياة سواها كالذي يقصده أهل الايمان بالله ورسله والدار الآخرة من إعلاء كلمة الحق، وإقامة ميزان العدل في الخلق، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل كان خلاقهم كخلاق السباع والانعام من العدوان

واللذات البدنية والنسل ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ من القوة والاموال والاولاد سواء، لم تفضلوا عليهم بشيء من إرشاد كلام الله وهدي رسوله في الفضائل والاعمال الصالحة التي تتزكى بها الانفس البشرية، وتكون بها أهلا للسعادة الدنيوية والاخروية، فكنتم أجدر باللائمة والعقاب منهم، لانهم أوتوا من القوة المطغية، والاموال المبطرة، والاولاد الفاتنة، فوق ما أوتيتم، ولم يروا من آيات الله تعالى ما رأيتم، ولا سمعوا من حكم كلامه وشرائعه ما سمعتم، ولا نصب لهم من المثل الأعلا لهداية رسله ما نصب لكم بهدي محمد صلى الله عليه وسلم، فان الله نزل عليه أحسن الحديث وأفضل الكتب وأكمل به الدين، وجعله خاتم النبيين، أعاد ذكر استمتاع من قبلهم لما يقتضيه التبكيت والتأنيب من الاطناب لبيان اختلاف الحالين، فهو يقول لهم انكم فعلتم فعلتهم حذو القذة بالقذة مع توفر الدواعي على ضده

﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ أي وخضتم في حمأة الباطل كالخوض الذى خاضوه من كل وجه، على ما بين حالكم وحالهم من الفرق، الذى كان يقتضى أن تكونوا أهدى منهم، وقال الفراء من علماء العربية إن (الذى) تأتي مصدرية فيكون التقدير : وخضتم كخوضهم، وقيل ان (الذي) هنا للجنس كمن وماوانه بمعنى الذين، ولكن هذا ضعيف لفظاً ومعنى اذ المراد انكم تخوضون كخوض من قبلكم - وهو الذي يقتضيه العطف - لا كالذين خاضوا مطلقا من أي فريق كانوا

﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ حبط بكسر الباء العمل حبطا بسكونها وحبوطا : فسد وذهبت فائدته، وحبط دم القتيل : هدر، وهو من حبط بطن البعير حبطا (بفتحتين) انتفخ وفسد من كثرة أكل الحندقوق فلم يثاط اي أولئك المستمتعون بخلاقهم وحظهم مما ذكر والخائضون في الباطل حبطت أعمالهم الدنيوية في الدنيا فكان ضررها اكبر من نفعها لهم لاسرافهم فيها وافسادهم في الارض كما تحبط بطون الماشية

تأكل الخضر فتستوبله فتنتفخ وتفسد ويكون سبب هلاكها ، وحبطت اعمالهم الدينية في الآخرة من العبادات وصلة الرحم وصنع المعروف والصدقة وقرى الضيوف فلم يكن لها اجر ينقذهم من عذاب النار ويدخلهم الجنة ، لأنها كانت لاجل الرياء والسمعة وحب الظهور والثناء ، ولاجل أن يعاملوا معاملة المسلمين ويجري عليهم أحكامهم ، لم تكن لاجل تزكية النفس ، ولا لمرضاة الله عز وجل ، وفي التنزيل عدة آيات في حبوط الاعمال بالشرك والرياء اي بطلان ثوابها وهو مستعار من حبط بطون الماشية كما تقدم ، ويالها من استعارة فان الماشية عندما تأكل الخضر من النبات تلذذا به فتكثر منه فتستوبله وتستوخمه يكون حظها منها فساد بطونها وهلاكها، بدلا من التغذي والانتفاع الذي تطلبه بشهوتها . وقيل ان المراد بحبوط اعمالهم في الدنيا فشلهم وخيبتهم فيما كانوا يكيدون للمؤمنين

وجملة القول ان أعمالهم إما دينية وإما دنيوية : فالدينية تحبط كلها في الآخرة لان شرط قبولها الايمان والاخلاص ، وتحبط في الدنيا إذا ظهر نفاقهم ، وافتضح أمرهم ، ولحبوطها معنى آخر وهو : انها لا تأثير لها في تهذيب أخلاقهم ، وتزكية أنفسهم من الفحشاء والمنكر ومساويء الاخلاق ، لان هذا لا يحصل الا بالاخلاص . وأما الدنيوية فهي قسمان (١) تمتع بالاموال والاولاد والقوة ، (٢) كيد ومكر ونفاق . وقد بينا معنى حبطهما آنفا بما يطرد في أزمنة الانبياء وما يشبهها كعهد الخلفاء الراشدين . وأما أعمال النفاق الدنيوية في أيام الملوك والامراء الظالمين الفاسقين ، فانها تكون أكثر رواجاً ونتاجا من أعمال الصادقين المخلصين ولا دليل على فساد الملوك والامراء والرؤساء أدل من تقريبهم للمنافقين المتملقين منهم ، وإبعادهم للناصحين الصادقين عنهم . قال الصادق الامين ﷺ « الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » متفق عليه

﴿ واولئك هم الخاسرون ﴾ التامو الخسران دون غيرهم ممن لم يكن كل حظهم من نعم الله الاستمتاع العاجل ، والخوض في الباطل اذ جاء خسارهم من مظنة الربح والمنفعة ، كقوله تعالى فيهم (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ؟

الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وكل خسار دون هذا هين كأنه ليس بخسار ، وهذا معنى صيغة الحصر في الجملة ، فهل يعتبر بهذا أهل هذا الزمان ؟ أم هل يعتبر به التالون والمفسرون للقرآن ، أم يقرؤنه ويفسرونه لكسب الحطام ؟

﴿ الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات ﴾ هذا تذكير للموبخين في الآيات من الكفار والمنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالاقوام الذين ضلوا من قبلهم ووصلت اليهم سيرتهم ، وكانوا أشد قوة واكثر اموالا واولادا منهم ، والمؤتفكات جمع مؤتفكة من الائتفاك وهو الانقلاب والخسف وهي قرى قوم لوط وقد فصل التنزيل قصصهم في عدة سور

وبين هنا خلاصة نبأهم ومحل العبرة فيه بقوله ﴿ اتتهم رسلهم بالبينات ﴾ أي فكفروا وعاندوا الرسل ، فاخذهم العذاب وهو الطوفان الذي أغرق قوم نوح ، والريح العقيم التي اهلكت عادا قوم هود ، والصيحة التي أخذت ثمود قوم صالح ، والعذاب الذي هلك به النمروذ لذي حاول احراق ابراهيم ، والخسف الذي نزل بقرى قوم لوط وهم فيها

﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ ما كان ليفعل كذا معناه ما كان من شأنه ، وهو يتضمن نفي الفعل بدليله ، فهو أبلغ منه ، أي فما كان من سنة الله ولا من مقتضى عدله وحكمته أن يظلمهم بما

حل بهم من العذاب وقد أنذرهم وأعذر اليهم ليجتنبوه ﴿ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ بجحودهم وعنادهم ، وعدم مبالاتهم بانذار رسلهم . والمراد من ضرب المثل للكافرين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من المجاهرين والمنافقين أن سنة الله في عباده واحدة لا ظلم فيها ولا محاباة ، فلا بد أن يحل بهم من العذاب ما حل بأمثالهم من أقوام الرسل ان لم يتوبوا كما قال في سورة القمر (اكفاركم خير من اولئكم ؟ أم لكم براءة في الزبر) ؟

وأما قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقد أهلك الله تعالى أكابر الجاحدين المعاندين منهم في أول غزوة هاجموه فيها وهي غزوة بدر ، ثم خذل الله من بعدهم في سائر الغزوات (وأخرج الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من ديارهم ، وقذف في قلوبهم الرعب .

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا ياأولي الابصار) ثم صار الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، وأما المنافقون فما زالوا يكيدون له في السر ، حتى فضحهم الله تعالى بهذه السورة في آخر الأمر، فتاب أكثرهم ،ومات زعيمهم عبد الله بن أبيّ بغيظه وكفره، ولم تقم للنفاق قائمة من بعده،وسيأتي في هذه السورة نبأ موته، ولو بقي لهم قوة يكيدون بها للاسلام لما خفي أمرها على المؤرخين ، فكان قوم محمد صلى الله عليه وسلم بهذا التمحيص خير أقوام النبيين ، نشر الله تعالى بهم أعلام هذا الدين، فسادوا به جميع العالمين ، ولولا ماأحدثه الروافض المنافقون ، والخوارج المغرورون ، من الشقاق بين المسلمين ، لعمت سيادة الاسلام جميع العالمين

فتاوى المنار

ليلة النصف من شعبان

(س٣٦) لدينا أسئلة متعددة عما يشرع في ليلة نصف شعبان وقد سئلنا عنها مراراً في السنين السابقة وأجبنا بما حاصله : أن ما جرت به العادة فيها من الاحتفال في المساجد بدعة نهى عنه الفقهاء وانكروا ما يقع فيه من المنكرات حتى إيقاد المصابيح الكثيرة . وقد ورد في قيام ليلة النصف وصلاتها أخبار وآثار موضوعة وحديث ضعيف رواه ابن ماجه من حديث علي (رض) مرفوعا « إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها » وزاد فيه عبد الرزاق في مصنفه « فان الله عز وجل ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء فيقول ألا مستغفر أغفر له ، ألا مسترزق أرزقه ، حتى يطلع الفجر »

وأما دعاء شعبان المشهور فاحيل السائلين عنه على ما هو أقرب اليهم مما كتبته من قبل وهو ما كتبه الاستاذ الشيخ علي محفوظ المدرس بقسم التخصص بالازهر في كتابه (الابداع في مضار الابتداع) قال : ومن البدع الفاشية هذا الدعاء الذي يجتمعون له ليلة النصف من شعبان في المساجد عقب صلاة المغرب يقرءونه بأصوات

مرتفعة بتلقين الامام فانه مشكوك فيه ، وكل الاحاديث الواردة في ليلة نصف شعبان دائر أمرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة . ثم ذكر أقوال العلماء في ذلك . وقد قرظ هذا الكتاب بعض كبار علماء الازهر المعاصرين وقرظناه في هذا الجزء

﴿ أسئلة من جاوة ﴾

(س ٣٧—٤٢) من صاحب الامضاء في سمبس (برنيو)

مولاي الاستاذ المصلح العظيم صاحب المنار الاسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني أرجو أن تتفضلوا بالجواب عن أسئلتي الآتية بأسرع ما أمكن فانه قد حمي في جهاتنا ـ الملاوية الآن ـ وطيس التنازع والتخاصم فيها بين أهل التقليد الجامدين ، وبين محيي الاصلاح والمصلحين ، وانني أرى ان عاقبة ذلك غير محمودة فان ضرره أكبر من نفعه ، وهي :

١ — هل يجوز لاحد تلقين الميت بعد الدفن بنحو ما ورد من حديث أبي أمامة أم يحرم عليه ؟ وهل هو بدعة ضلالة أم لا ؟ وقد قرأت قولكم في ج ٦ م ١٧ من المنار ما نصه : ـ وجملة القول ان التلقين لم يثبت بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولا قال أحد من المحققين انه سنة ، بل قال بعض الفقهاء باستحبابه للتساهل في العمل بالحديث الضعيف والاستئناس له بما يناسبه ، والبرماوي ليس قدوة ، وكم في كتب أمثاله وكتب من هم أعلم منه من البدع ، فلا ينبغي لأحد أن يثق إلا بما يصرح المحققون بثبوت نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم وجمهور السلف دون ما يذكر غفلا اهـ

أفلا يجوز لأحد اتباع بعض هؤلاء الفقهاء الذين قالوا باستحبابه للتساهل في العمل بالحديث الضعيف في ذلك ؟

٢ — هل يجوز التلفظ بنية نحو الصلاة تبعاً لما قال الامام النووي في المنهاج : ويندب النطق قبل التكبير اهـ أم لا لعدم وجود ذلك لا في الكتاب ولا في السنة ؟

٣ — هل يجوز لأحد أن يصلي صلاة الحاجة عملا بحديث عبد الله بن أبي أوفى ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له الى الله حاجة أو الى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين وليثن على الله تعالى »

الحديث رواه الترمذي وقال حديث غريب اهـ الجزء الاول من المغني للامام ابن قدامة
وميدان هذا التنازع والتخاصم جريدة «سوْدارا» الملاوية التي تصدر في فلفلان

(٤) هل المدارس العالية بمصر تضاهي المدارس العالية في اوربا كانكلترا وفرنسة والمانية وسويسرة وهولاندة في جميع العلوم والفنون واللغات التي تعلم فيها ماعدا اللغة العربية والعلوم الدينية الاسلاميه أم لا ؟

(٥) هل موظفو حكومة مصر الذين ترقوا الى مناصب الوزارة تعلموا في مدارسها فقط ام تعلموا ايضا في إحدى مدارس اوربا العالية وتخرجوا بها ام لا؟

(٦) هل يصح قول قائل : لا عبرة بعلوم من تخرج بأعلى مدارس مصر اي العلوم الاوربية العصرية ولغاتها بالنسبة الى علوم من تخرج باحدى المدارس الاوربية العالية فان مدارس مصر العالية تنقصها لغات أوربية وغيرها من العلوم التي تعلم في المدارس الاوربية

هذا وتفضلوا بقبول فائق تحياتي الزاكية وتسليماتي الطيبة . محمد بسيوني عمران

[مقدمة لجواب المنار في ضرر التفرق والاختلاف في الدين]

اعلموا أيها الاخوان المختلفون في هذه المسائل وليعلم كل المختلفين في أمثالها من المسائل الاجتهادية ، أي غير المجمع عليها ، أن التفرق والاختلاف في الدين من أكبر المفاسد وأضر المآثم ، وان كلا من فعل هذه الاشياء وتركها ، أهون من التفرق والتعادي لاجلها ، فان من فعلها ثقة بعلم من قال بها حسن النية ، ومن تركها لعدم الثقة بدليلها حسن النية ، ولكن من يشاق طائفة من اخوانه المسلمين لمثل هذا لايكون إلا متبعا للهوى ، وان أصاب فيما احتج وادعى ، فاذا ترك كل فريق الشقاق والقدح في المخالف له ، واكتفى ببيان ماعنده من الدليل ونشره ، فلابد أن ينتهي الامر بانتصار الدليل الصحيح القوي على ماله شبهة الدليل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا – ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم – فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم

تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) اتفق العلماء على ان المراد برد المسائل المتنازع فيها الى الله الرد الى كتابه - والمراد بالرد الى الرسول بعد وفاته الرد الى سنته . وشبهة المقلدين الذين تقوم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ان المشايخ الذين يقلدونهم أعلم بالكتاب والسنة من مورد الدليل عليهم منهما ، وهذه شبهة واهية ، لان الله تعالى يحاسب الناس على العمل بما علموا من كتابه وسنة رسوله ﷺ لا بما قال هؤلاء المشايخ ، ولان مورد الدليل معه من العلماء الآخذين به من هم أعلم من اولئك العلماء الذين قلدوهم بدون دليل أو مثلهم ، ومعه زيادة الدليل الذي يجب الرد اليه فيما تنازع فيه العلماء . وانما يعذر من يتبع من يثق بعلمه اذا كان اتباعه في شيء لم يعلم حكم الله وحكم رسوله فيه . وهاك أجوبة هذه المسائل ، مع الاختصار في الدلائل

(٣٧) تلقين الميت

بينا الحق في هذه المسألة بما نشرناه في المجلد السابع عشر ونقل السائل خلاصته . وقد طبع في هذه السنين الاخيرة تسع مجلدات من كتاب (المجموع - شرح المهذب) للامام النووي محرر فقه الشافعية وهو أدق كتب الخلاف المطولة في بسط الادلة على المسائل الخلافية ، فرأيناه يعزو استحباب تلقين الميت إلى « جماعات » من أصحابهم أي الشافعية ولا يذكر لهم مستنداً إلا حديث أبي أمامة الذي ذكرناه في المجلد السابع ، وينقل عن ابن الصلاح انه قال « اسناده ليس بالقائم لكن اعتضد بشواهد وبعمل اهل الشام » ثم يقول (اي النووي) رواه ابو القاسم الطبري في معجمه باسناد ضعيف ثم يقول بعد ايراده : قلت فهذا الحديث وإن كان ضعيفا فيستأنس به ، وقد اتفق علماء المحدثين وغيرهم على المسامحة في أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب اهـ

واقول : ان الحديث الضعيف لا يثبت به حكم شرعي ، والمراد بتسامح بعض العلماء في احاديث الفضائل والترغيب والترهيب — ما فيه تقوية لأمر مشروع دون ما كان تشريعا جديداً لما لم يشرعه الله ورسوله ، فمن الاول الحث على صلة الرحم وكثرة ذكر الله والترهيب من المعاصي ، ومن الثاني صلاة الرغائب وليلة نصف

شعبان اللتان قال فيهما النووي في المنهاج « وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان » ذلك بأنهما وردتا في عدد معين وصفة معينة فكانتا تشريعا جديدا ، وقد شرحنا هذه المسألة مراراً وذكرنا ماقاله الحافظ ابن حجر عن المحققين في شروط العمل بالحديث الضعيف عندهم ، وكم دخل على الامة من البدع بهذا التساهل ، وأما الاعتضاد الذي ذكره ابن الصلاح فقد بين النووي مراده منه وهو حديث « واسألوا له التثبيت » أي للميت ولكن هذا دعاء يصلح معضداً للدعاء للميت بغير التثبيت مما هو بمعناه ولكنه لايصلح معضداً للتلقين وذكر ايضا وصية عمرو بن العاص ، ولا حجة في مثلها على هذا ولا غيره

واذا كان هذا كل ماعندهم في أوسع كتبهم فلا عذر لمن علمه اذا أصر على تقليدهم في التلقين بشبهة انهم اعلم ممن ينكره ، والمنكرون له هم جمهور أئمة الامة وعلمائها من المجتهدين والمقلدين لسائر المذاهب ومنهم بعض علماء الشافعية كما علم من عبارة النووي إذ لم ينقل اتفاقهم في المسألة ، فالتلقين بدعة، وكل بدعة في الدين ضلالة.

(٣٨) التلفظ بنية العبادة

هذه المسألة بيناها في المنار من قبل غير مرة ، ونعود الآن فنقول : ان علماء المسلمين أجمعوا على ان النية محلها القلب ، ولكن قال بعض المؤلفين المقلدين من الشافعية انه يندب او يستحب التلفظ بها من باب الاحتياط للتذكر ، وقولهم ليس بشرع ، ولم يذكروا عليه دليلا من الكتاب ولا من السنة ولا من الاجماع او عمل بعض علماء السلف. وقد غلط بعضهم في فهم عبارة للامام الشافعي ظن انها تدل على ذلك فصرحوا بانه خطأ

وعبارة الشيخ أبي إسحاق في المهذب هكذا : والنية من فروض الصلاة لقوله ﷺ « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى » ولانها قربة محضة فلم تصح من غير نية كالصوم . ومحل النية القلب ، فان نوى بقلبه دون لسانه أجزأه . ومن أصحابنا من قال ينوي بالقلب ويتلفظ باللسان ، وليس بشيء لأن النية هي القصد بالقلب اه

وقال النووي في شرحها : فان نوى بقلبه ولم يتلفظ بلسانه أجزأه على المذهب وبه قطع الجمهور ، وفيه الوجه الذي ذكره المصنف وذكره غيره ، وقال صاحب

الحاوي هو قول أبي عبدالله الزبيري انه لايجزئه حتى يجمع بين نية القلب وتلفظ اللسان، لان الشافعي رحمه الله قال في الحج: إذا نوى حجاً او عمرة أجزأ وان لم يتلفظ وليس كالصلاة لاتصح إلا بالنطق. قال أصحابنا غلط هذا القائل وليس مراد الشافعي بالنطق في الصلاة هذا بل مراده التكبير. ولو تلفظ بلسانه ولم ينو بقلبه لم تنعقد صلاته بالاجماع فيه، كذا نقل أصحابنا الاجماع فيه. ولو نوى بقلبه صلاة الظهر وجرى على لسانه صلاة العصر انعقدت صلاة الظهر اه كلام النووي وانت ترى انهم لم يسموا النطق باللسان نية ولا جعلوا له حكما

وما ذكره الشافعي من التلفظ في مسألة الحج والعمرة ليس مرادا به إلا التلبية بهما او بأحدهما عند النية، والتلبية مشروعة فيهما بالنص فليس المراد بها التعبير عن نية القلب. وجملة القول ان تلقين الناس ان التلفظ بالنية مندوب شرعا - ابتداع وشرع لم يأذن به الله، فالمندوب عند علماء الاصول: خطاب الله المقتضي للفعل اقتضاء غير جازم.

(٣٩) صلاة الحاجة

حديث ابن أوفى في صلاة الحاجة واهٍ جداً رواه الترمذي من طريق فائد ابن عبد الرحمن الكوفي ابي الورقاء وقال انه يضعف في الحديث، وهذا اهون ماقيل فيه، ومما قاله الامام احمد فيه: لو ان رجلا حلف ان عامة حديثه كذب لم يحنث. وقال الحاكم روى عن ابن ابي اوفى احاديث موضوعة. فهذا الحديث لايعمل به حتى على قول من قال ان الاحاديث الضعيفة يعمل بها في الفضائل المشروع مثلها فقد اشترط في ذلك ان لايشتد ضعف الحديث فكيف اذا كان من رواية الكذابين والوضاعين؟ ولكن التوسل بالصلاة لقضاء الحاجة ولغير ذلك مشروع ويدخل في عموم قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) وانما الممنوع أن يسند إلى النبي (ص) ما لم يثبت عنه ويعمل به على انه ثابت

(٤٠) مدارس مصر ومدارس أوربة:

لو كانت مدارس مصر العالية تضاهي المدارس العالية في أوربة لاستغنى بها اهل مصر وحكومة مصر عن ارسال أولادهم الى أوربة، ولكن بعض الذين تعلموا في مصر أرقى علما من بعض الذين تعلموا في أوربة

(٤١) في أي المدارس تخرج وزراء مصر

ان بعض الذين ارتقوا الى منصب الوزارة في مصر قد تعلموا وتخرجوا في مدارس مصر وبعضهم قد تخرجوا في مدارس أوربة، ويقال فيهم ما قيل في جواب السؤال السابق . وان سعد باشا زغلول الذي ارتقى الى رياسة الوزارة ورياسة مجلس النواب و كان أكبر زعماء السياسة في مصر حتى دانت له رقاب المتعلمين في أوربة وفي مصر جميعا لم يتخرج في مدارس مصر ولا مدارس أوربة ، وقد جاور في الازهر ولكنه لم يأخذ منه شهادة العالمية ، وانما تخرج بالاستاذ الامام تعليما وتربية ، وأكبر ما استفاده منه استقلال العقل، وعلو الهمة ، وقوة الارادة، والعناية بمصلحة الامة، وقد تعلم اللغة الفرنسية ودرس بها علم الحقوق دراسة مستقلة في الكبر ثم أدى امتحانها في فرنسا فنال الشهادة العالمية (ليسانس)

(٤٢) النسبة بين المتعلمين في مصر والمتعلمين في أوربة

قد علم من الجواب عن السؤالين السابقين جواب هذا السؤال من حيث العلوم ، وأما اللغات الاجنبية فان الذين يتعلمونها في بلاد أهلها يكون أكثرهم أحذق لها وأفصح فيها ممن يتعلمها في مصر، إلا بعض من تمرن على مزاولتها مع أهلها في بلادهم وغير بلادهم ، فالاستاذ الامام كان أفصح نطقا باللغة الفرنسية وأدق فهماً من أكثر من تعلموها في فرنسة وسويسرة الفرنسية ، وهو قد تعلمها في الكبر على معلم مصري ، ولكنه كان يحضر دروس آدابها العالية في كلية جنيف عدة سنين ، ومن الغريب انه ترجم كتاب التربية للفيلسوف سبنسر ترجمة حرفية بقصد التمرن والتعلم، وقد اطلع عليه صديقه قاسم بك أمين الذي كان يعد من أرقى من أتقن اللغة الفرنسية في بلادها من المصريين ليصحح له الترجمة ، وقد علمنا أخيراً ان ماصححه قاسم بك من مسودة الترجمة كان أبعد عن الصواب مما كتبه الاستاذ كتابة تعلم وتمرن، ولكن سبب هذا ضعف قاسم أمين بك في اللغة العربية لا الفرنسية ، وكان الاستاذ هو الذي صحح له كتاب تحرير المرأة ، دون كتاب المرأة الجديدة ، ولا يخفى على من قرأ الكتابين ان عبارة الاول أفصح وأبلغ من عبارة الثاني، وكان القياس العكس

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد (سورة المؤمن ٤٠ : ٥١) انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)

كتب إلي تلميذي المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران امام مهراجا جزيرة سمبس برنيو كتابا يقترح فيه على أخينا المجاهد أمير البيان أن يكتب للمنار مقالا بقلمه السيال في أسباب ضعف المسلمين فى هذا العصر وأسباب قوة الافرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة . وقال في كتاب آخر انه قرأ ما كتبناه في المنار وتفسيره من بيان الاسباب في الامرين وما كتبه الاستاذ الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في الموضوع ، وانما غرضه أن يكتب فى ذلك أمير البيان بقلمه المؤثر المعبر عن معارفه الواسعة ، وآرائه الناضجة، لتجديد التأثير في أنفس المسلمين بما يناسب حالهم الآن، لتنبيه غافلهم ، وتعليم جاهلهم ، وكبت خاملهم ، وتنشيط عاملهم . وبنى الاقتراح على الاسئلة الآتية التي صارت مثار شبهة على الدين عند غير علمائه ، فهو يعلم مما سمعه من دروسنا في مدرسة الدعوة والارشاد ومما كتبناه مراراً في أن كتاب الله تعالى حجة على أدعياء الاسلام والايمان ، وليسوا هم حجة عليه ،

افترصت هذا الاقتراح لحمل أخي وولي الامير شكيب على كتابة شيء مثل هـذا للمنار، وأنا الذي أنصح له دائما بتخفيف أحمال الكتابة عن عاتقه لكثرة مايكتب لصحف الشرق والغرب وللاصدقاء وغيرهم، فارسلت اليه كتاب الشيخ محمد بسيونى عقب وصوله إلي ، فارجأ الجواب عنه لكثرة الشواغل إلي أن عاد من رحلته الاخيرة إلى أسبانية وقد أثرت في نفسه مشاهد حضارة قومنا العرب في الاندلس والمغرب الاقصى ، وشاهد تاثير محاولة فرنسة تنصير شعب البربر في المغرب تمهيداً لتنصير عرب افريقية المرزوئين باستعبادهالهم كما فعلت أسبانية في سلفهم في الاندلس - فكتب الجواب منفعلا بهـذه المؤثرات ، فكان آية من آيات بلاغته ، وحجة من حجج حكمته ، لعلها أنفع ما تفجر من ينبوع غيرته ، وانبجس من معين خبرته ، فسال من أنبوب براعته ، جزاه الله خير ما جزى المجاهدين الصادقين

كتاب الشيخ محمد بسيوني عمران

حضرة مولاي الاستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار نفعني الله والمسلمين بوجوده العزيز آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فان من قرأ ما كتبه في المنار وفي الجرائد العربية العلامة السياسي الكبير أمير البيان، الامير شكيب أرسلان، من مقالاته الرنانة المختلفة المواضيع، عرفانه من أكبر كتاب المسلمين المدافعين عن الاسلام، وانه أقوى ضلع للمنار وصاحبه في خدمة الاسلام والمسلمين، واني أرجو من الله تعالى أن يطيل بقاءهما الشريف في خير وعافية - كما أرجو من مولاي الاستاذ صاحب المنار أن يطلب من هذا الامير الكاتب الكبير أن يتفضل علي بالجواب عن أسئلتي الآتية وهي:

(١) ما أسباب ماصار اليه المسلمون (ولاسيما نحن مسلمو جاوة وملايو) من الضعف والانحطاط في الامور الدنيوية والدينية معاً، وصرنا أذلاء لاحول لنا ولا قوة، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فأين عزة المؤمنين الآن؟ وهل يصح لمؤمن ان يدعي أنه عزيز وإن كان ذليلا مهانا ليس عنده شيء من أسباب العزة إلا لأن الله تعالى قال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

(٢) ما الأسباب التي ارتقى بها الاوربيون والامريكانيون واليابانيون ارتقاء هائلا؟ وهل يمكن أن يصير المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء اذا اتبعوهم في أسبابه مع المحافظة على دينهم (الاسلام) أم لا؟

هذا والمرجو من فضل الامير أن يبسط الجواب في المنار عن هذه الاسئلة وله وللاستاذ صاحب المنار من الله الاجر الجزيل.

محمد بسيوني عمران

سنبس بورنيو الغربية في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨

جواب الأمير شكيب أرسلان

ان الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام لهم في المشارق والمغارب لم ينحصر في جاوة وملايو ، ولا في مكان آخر ، وانما هو متفاوت في دركاته ، فمنه ما هو شديد العمق ، ومنه ما هو قريب الغور ، ومنه ما هو عظيم الخطر ، ومنه ما هو أقل خطراً

وبالاجمال حالة المسلمين الحاضرة ولا سيما في القرن الرابع عشر للهجرة أو العشرين للمسيح ، لا ترضي أشد الناس تحمساً بالاسلام وفرحا بحزبه ، فضلا عن غير الأحمسي من أهله

ان حالتهم الحاضرة لا ترضي لا من جهة الدين ولا من جهة الدنيا ، ولا من جهة المادة ولا من المعنى . وإنك لتجد المسلمين في البلاد التي يساكنهم فيها غيرهم متأخرين عن هؤلاء الاغيار لا يسامتونهم في شيء إلا ما ندر ، ولم أعلم من المسلمين من ساكنهم أمم أخرى في هذا العصر ولم يكونوا متأخرين عنهم إلا بعض أقوام منهم ، وذلك كمسلمي بوسنه مثلا فانهم ليسوا في سوي مادي ولا معنوي أدنى من سوي النصارى الكاثوليكيين ، أو النصارى الارثوذكسيين الذين يحيطون بهم ، بل هم أعلا مستوى من الفريقين ، وككثير من مسلمي الروسية الذين ليس المسيحيون الذين يجاورونهم أرقى منهم . ولقد كان المسلمون في أذربيجان قبل الحرب أرقى من الطوائف المسيحية التي تساكنهم ، ولا خلاف في أن مسلمي الصين إجمالا على تأخرهم هم أرقى من الصينيين البوذيين ، هذا إذا كانت النسبة بين الفريقين باقية كما كانت قبل الحرب العامة ، وفيما عدا هذه الاماكن نجد تأخر المسلمين عن مسامتة جيرانهم عاما مع تفاوت في دركات التأخر

ويقال ان العرب في جزيرة سنغافورة هم أعظم ثروة من جميع الاجناس التي تساكنهم حتى من الانكليز أنفسهم بالنسبة إلى العدد ، ولا أعلم مبلغ هذا

الخبر من الصحة ، ولكنه على فرض صحته ليس بشيء يقدم أو يؤخر في ميزانية المسلمين العامة

ولا انكار أن في العالم الاسلامي حركة شديدة ، ومخاضاً عظيما شاملا للامور المادية والمعنوية ، ويقظة جديرة بالاعجاب ،قد انتبه لها الاوروبيون وقدروها قدرها ، ومنهم من هو متوجس خيفة مغبتها ، لايخفى هذا الخوف من تضاعيف كتاباتهم ، الا أن هذه الحركة الى الامام لم تصل بالمسلمين حتى اليوم الى درجة يساوون بها أمة من الامم الاوروبية او الاميركية او اليابان

فبعد أن تقرر هذا وجب أن نبحث في الاسباب التي أوجدت هذا التقهقر في العالم الاسلامي بعد أن كان منذ ألف سنة هو الصدر المقدم ، وهو السيد المرهوب المطاع بين الامم شرقا وغربا ، فقبل أن نبحث في أسباب الانحطاط يجب أن نبحث في أسباب الارتقاء فنقول:

أسباب ارتقاء المسلمين الماضي

ان أسباب الارتقاء كانت عائدة في مجملها الى الديانة الاسلامية التي كانت ظهرت جديداً في الجزيرة العربية فدان بها قبائل العرب ،وتحولوا بهدايتها من الفرقة الى الوحدة ،ومن الجاهلية الى المدنية، ومن القسوة الى الرحمة، ومن عبادة الاصنام الى عبادة الواحد الاحد ، وتبدلوا بأرواحهم الاولى أرواحا جديدة،صيرتهم الى ماصاروا اليه من عز ومنعة ، ومجد وعرفان وثروة ، وفتحوا نصف كرة الارض في نصف قرن ،ولولا الخلاف الذي عادفدب بينهم منذ اواخر خلافة عثمان وفي خلافة علي (رض) لكانوا أكملوا فتح العالم ولم يقف في وجههم واقف

على أن تلك الفتوحات التي فتحوها في نصف قرن أو ثلثي قرن برغم الحروب التي تسببت بها مشاقة معاوية لعلي والحروب التي وقعت بين بني أمية وابن الزبير قد أدهشت عقول العقلاء والمؤرخين والمفكرين،وحيرت الفاتحين الكبار، وأذهلت نابليون بونابرت أعظمهم ، وله تصريح في ذلك

فالقرآن أنشأ اذاً العرب نشأة مستانفة وأخرجهم من جزيرتهم والسيف في احدى اليدين والكتاب في الاخرى يفتحون ويسودون ويتمكنون في الارض

ولا عبرة بما يقال في شأن العرب قبل الاسلام، وما يروى من فتوحات لهم، وما ينوه به من أخلاق عظام في الجاهلية ، فهذه قد كانت ولا تزال آثارها ظاهرة ، ولا شك في مدنية العرب القديمة وانها من اقدم مدنيات العالم، ومما يرجح أن الكتابة قد بدأت عندهم ، ولكن دائرة تلك المدنية كانت محدودة مقصورة على الجزيرة وما جاورها . وقد أتى على العرب حين من الدهر سادهم الغرباء في ارضهم، وأذلهم الاجانب في عقر دارهم، كالفرس في اليمن وعمان وفي الحيرة، وكالحبشة في اليمن، وكالروم في اطراف الحجاز ومشارف الشام . والحقيقة انهم لم يستقلوا استقلالا حقيقيا الا بالاسلام، ولم تعرفهم الامم البعيدة وتخنع لهم وتتحدث بصولتهم ، ولم يقعدوا من التاريخ المقعد الذي احلهم في الصف الاول من الامم الفاتحة الا بمحمد صلى الله عليه وسلم

فالسبب الذي به نهضوا وفتحوا ، وسادوا وشادوا ، وبلغوا هذه المبالغ كلها من المجد والرقي يجب علينا أن نبحث عنه وننشده، ونحفي المسئلة ونمعن في النشدان : هل هو باق في العرب وهم قد تأخروا برغم وجوده وتأخر معهم تلاميذهم الذين هم سائر المسلمين ؟ أم قد ارتفع هذا السبب من بينهم ، ولم يبق من الايمان الا اسمه ، ومن الاسلام الا رسمه ، ومن القرآن الا الترنم به ، دون العمل بأوامره ونواهيه ، الى غير ذلك مما كان في صدر الملة ؟

فقد المسلمين السبب الذي ساد به سلفهم

اذا فحصنا عن ذلك وجدنا ان السبب الذي به استقام هذا الامر قد أصبح مفقوداً بلا نزاع وان كان بقي منه شيء فكباقي الوشم في ظاهر اليد . فلو كان الله تعالى وعد المؤمنين بالعزة بمجرد الاسم دون الفعل لكان يحق لنا أن نقول: أين عزة المؤمنين ؟ من قوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولو كان الله قد قال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) بمعنى انه ينصرهم بدون أدنى مزية فيهم سوى انهم يعلنون كونهم مسلمين ، لكان ثمة محل للتعجب من هذا الخذلان بعد ذلك الوعد الصريح بالنصر . ولكن النصوص التي في القرآن هي غير هذا ، فالله غير مخلف وعده ، والقرآن لم يتغير ، وانما المسلمون هم الذين تغيروا ، والله تعالى أنذر بهذا فقال (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فلما كان المسلمون قد

غيروا ما بأنفسهم كان من العجب أن لا يغير الله ما بهم ، وأن لا يبدلهم الذل والضعة ، من ذلك العز وتلك الرفعة ، بل كان ذلك منافياً للعدل الالهي . والله عز وجل هو العدل المحض .

كيف ترى في أمة ينصرها الله بدون عمل ويفيض عليها الخيرات التي كان يفيضها على آبائها، وهي قد قعدت عن جميع العزائم التي قد كان يقوم بها آباؤها؟ وذلك يكون مخالفا للحكمة الالهية ، والله هو العزيز الحكيم . ما قولك في عزة بدون استحقاق ، وفي غلة بدون حرث ولا زرع ، وفي فوز بدون سعي ولا كسب ، وفي تأييد بدون أدنى سبب يوجب التأييد ؟ لا جرم ان هذا مما يغري الناس بالكسل ، ويحول بينهم وبين العمل ، بل مما يخالف النواميس التي أقام الله الكون عليها ، ومما يستوي به الحق والباطل ، والضار والنافع ، وحاشا لله أن يفعل ذلك . ولو أيد الله مخلوقا بدون عمل لأيد من دون عمل محمداً رسوله ولم يحوجه الى القتال والنزال والنضال ، واتباع سنن الكون الطبيعية للوصول الى الغاية . وتصور أمة لله عندها مائة وهي تؤدي من المائة خمسة فقط ، أتعد نفسها قد أدت ما عليها وتطمع في أن يكافئها الله كما كان يكافيء أجدادها الذين كانوا يؤدون المائة مائة ، وان قصروا عن المائة أدوا بالاقل تسعين أو ثمانين ؟ كلا . هذا مخالف لما وعد الله على رسله ومخالف للعقل والمنطق ، وليس هذا هو الشرط الذي شرطه الله على المؤمنين ، وليس هذا هو البيع الذي يستبشر به المؤمنون.

قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون ، وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم) فأين حالة المسلمين اليوم من هذا الوصف الذي في كتاب الله؟ وأين حالتهم من سلفهم الذين كانوا يتهافتون على الموت لاحراز الشهادة وكثيراً ما كانوا ينشدون الموت ولا يجدونه ؟ وكان فارسهم يكر وهو يقول : اني لأشم ريح الجنة ، ثم لايزال يكر ويخوض غمرات الحرب حتى اذا استشهد قال هذا يوم الفرح ، واذا فاتته الشهادة برغم حرصه عليها عاد الى قومه حزينا

اليوم فقد المسلمون أو أكثرهم هذه الحماسة التي كانت عند آبائهم ، وقد تخلق بها أعداء الاسلام الذين لم يوصهم كتابهم بها، فتجد أجنادهم تتوارد على حياض المنايا سباقا ، وتتلقى الاسنة والحراب عناقا ، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائس وتضحيتهم للنفوس في الحرب العامة فوق تصور عقول البشر ، كما يعلم ذلك كل أحد ، فالالمان فقدوا نحو مليوني قتيل، والفرنسيون فقدوا مليونا وأربعمائة ألف قتيل، والانكليز فقدوا ستمائة ألف قتيل ، والطليان فقدوا أربعمائة وستين ألف قتيل ، والروس هلك منهم مايفوق الاحصاء ، وهلم جرا . هذا من جهة النفوس ، وانكلترا بذلت سبعة مليارات من الذهب (أي سبعة آلاف مليون جنيه) وفرنسة بذلت نحو مليارين ، وألمانية أنفقت ثلاثة ، وايطالية أنفقت خمسمائة مليون ، والروسية أنفقت ماأوقع فيها المجاعة التي آلت الى الثورة ثم الى البلشفة وهلم جرا .

فليقل لي قائل : أية أمة مسلمة اليوم تقدم على ماأقدم عليه هؤلاء النصارى من بيع النفوس وانفاق الاموال بدون حساب في سبيل أوطانهم ودولهم حتى نعجب لماذا آتاهم الله هذه المنعة والعظمة والثروة وحرم المسلمين اليوم أقل جزء منها ؟

وقد يقال: ان المسلمين فقراء ليس عندهم هذه الاموال لينفقوا هذا الانفاق كله . فنجيب بأننا نوزع هذه النفقات على الاوربيين بنسبة رأس المال ولا نكلف المسلمين إلا الانفاق مثل الاوربيين على هذه النسبة . فهل تسخو الامم الاسلامية الحاضرة بما تسخو الامم الاوربية التي منها من قد أنفقت في الحرب العامة أكثر من نصف ثروتها ؟

الجواب : لا . ليس في المسلمين اليوم من يفعل ذلك لا افراداً ولا أقواما

وقد يقال : ان الامة التركية وهي أمة مسلمة قد أنفقت كل ماتقدر عليه في حرب اليونان ولم تقصر عن شأو الاوربيين في المفاداة بالانفس والنفائس

والجواب : نعم. قد كان ذلك . ومن الترك من بذل ثلث ثروته ومنهم من بذل نصف ثروته في هذه الحرب، ولكنهم لما فعلوا ذلك انقلبوا بنعمة من الله

وفازوا، وحرروا أنفسهم واستقلوا ،وارتفعوا بعد ان كانوا هووا ،وعزوا بعد ان كانوا ذلوا . اذاً الامم الاسلامية اذا ائتمرت في المفاداة بما أمرها به كتابها كما كان يفعله آباؤها ، أو اقتدت على الاقل بما هو دأب الاوربيين اليوم من بذل النفوس والنفائس في سبيل حفظ بيضتها ، وذود المعتدين عنها ،لم تقطف من ثمرات التضحية إلا مثل ماقطفه غيرها . وانقلبت بنعمة من الله وفضل لم يمسسها سوء .

ولكن الامم الاسلامية تريد حفظ استقلالها بدون مفاداة ولا تضحية ، ولا بيع أنفس ولا مسابقة إلى الموت ، ولا مجاهدة بالمال ، وتطالب الله بالنصر على غير الشرط الذي اشترطه في النصر [1] فان الله سبحانه يقول (ولينصرن الله من ينصره) ويقول (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

ومن المعلوم أن الله تعالى غير محتاج إلى نصرة أحد ، وانما يريد بنصرته تعالى اطاعة أوامره واجتناب نواهيه . ولكن المسلمين أهملوا جميع ماأمرهم به كتابهم او أكثره ، واعتمدوا في استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين ، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد بالانفس والاموال . ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة لأنه يجده أيسر عليه من القتل والبذل . ولو كان مجرد الدعاء يغني عن الجهاد لاستغنى به النبي ﷺ وصحابته وسلف هذه الامة فانهم الطبقة التي هي أولى بان يسمع الله دعاءها . ولو كانت الآمال تبلغ بالادعية والاذكار ، دون الاعمال والآثار ، لانتقضت سنن الكون ،وبطل التشريع ،ولم يقل الله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) ولم يقل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ولم يقل للمعتذرين عن القتال (لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله) الآية ولم يقل (إني لا أضيع عمل عامل منكم)

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام ، وكل مالا يكلفهم بذل دم ولا مال ، وانتظروا على ذلك النصر من الله . وليس الامر

---

(١) المنار : يراجع تفصيل هذه المسألة في أجزاء تفسير المنار تجده في مواضع من اكثرها، منها ١٣ موضعا في الجزء الرابع منه و ٧ مواضع في الجزء الثاني وآخرها في آخر الجزء التاسع ولها مزيد في الجزء العاشر الذي سيصدر قريبا

كذلك فان عزائم الاسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام، ولا في الدعاء والاستغفار، وكيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا (١)

اعتذار المسلمين عن أنفسهم ورده

يقولون: ليس عند المسلمين ما عند الافرنج من الثروة والسعة لينفقوا في أعمال الخير وفي مساعدة بعضهم بعضا. فنقول لمن يحتج بهذه الحجة: اننا نرضى منهم أن ينفقوا على نسبة رءوس أموالهم كما تقدم الكلام عند ذكر الجهاد بالمال. فهل المسلمون فاعلون؟

اننا نراهم قد محوا رسوم الاوقاف والمؤسسات الخيرية التي تركها آباؤهم، فضلا عن كونهم لا يتبرعون باموالهم الخاصة ولا يجرون مع الاوربيين في ميدان من جهة التبرع لاجل المشروعات العامة، فكيف يطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة الاوربيين في البسطة والقوة والسلطان وهم مقصرون عنهم بمراحل في الايثار والتضحية؟ فن العمل لاجل السلطان في الارض، أشبه بالحرث في الارض، فبقدر ما تشتغل فيها هي تعطيك. وإن قصرت في العمل قصرت هي في الثمر. والمسلمون يريدون سلطانا يشبه سلطان الاوربيين بدون إيثار ولا بذل، ولا فقد شيء من لذائذهم، وينسون أن الله تعالى يقول (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين)

وقد يقولون: اننا جربنا البذل والتضحية، وابتلينا بالنقص من الاموال والانفس والثمرات وصبرنا ولم يفدنا ذلك شيئا، وبقي الاوربيون مسلطين علينا. اني أنقل هذا القول عن بعضهم لاني قد سمعته كثيراً.

---

(١) يظهر أن الامير لم يقرن الزكاة بالصلاة والصيام لعلمه بان أكثرهم تركها وهي ركن الاسلام الدنيوي المادي، والصلاة ركنها الروحي، وهم يطلبون الدنيا ويتركون من الاسلام أهم أركانها - الزكاة والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله. وقد وصف الله المؤمنين الصادقين، بالجهاد باموالهم وأنفسهم فقدم ذكر المال وقال في سياق آيات القتال (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أي بعدم الانفاق، وقد قاتل الصحابة (رض) من منع الزكاة ولم يعتدوا باسلامهم بدونها

والجواب : هل يقدرون أن يقولوا لنا إن مايدعونه من البذل والتضحية يشبه شيئًا مما يقوم به النصارى واليهود من هـذا القبيل ؟ أو إنه اذا نسب اليـه يكون نسبته نسبة الواحد إلى المائة ؟

عندنا مثال حديث العهد هو مسئلة فلسطين :حدثت وقائع دموية بين العرب واليهود في فلسطين فأصيب بهـا أناس من الفريقين . فأخـذ اليهود في جميع أقطار الدنيا يساعدون المصابين من يهود فلسطين . وأراد العالم الاسلامي أن يساعد عرب فلسطين كما هو طبيعي ، فبلغت تبرعات اليهود لابناء ملتهم من فلسطين مليون جنيه ، وبلغت تبرعات المسلمين كلها ١٣ ألف جنيه أي نحو جزء من مائة

فسيقولون : ان المسلمين لايملكون مثل ثروة اليهود . ونعود فنجيبهم . نرضى منهم بان ينفقوا في مساعدة ملتهم على قدر اليهود والافرنج بالنسبة الى رؤس أموالهم ، ولا نطالب منهم الفقراء الذين لايملكون مايزيد على كفاية عائلاتهم

قال الله تعالى (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل)

ثم قال تعالى (انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف) . ونجيب أيضا : انه وان كان اليهود أغنى بالاموال من المسلمين فالمسلمون أكثر جداً بالعدد ، لان اليهود عشرون مليونا ، والمسلمين نحو من ثلاثمائة وخمسين مليونا . فلو ان كلا من المسلمين تبرع لفلسطين بقرش واحد — وهو الذي لايعجز عنه أحد في العالم مهما اشتد فقره — لاجتمع من ذلك ثلاثة ملايين جنيه ونصف

فلنترك تسعة أعشار المسلمين ونفرض هذه الاعانة لفلسطين على عشر واحد منهم أي على ٣٥ مليون نسمة لاغير . وهؤلاء الخمسة والثلاثون مليون نسمة نجدهم حول فلسطين في لمحة بصر . فان مسلمي مصر وسورية وفلسطين والعراق ونجد والحجاز واليمن وعمان هم ٣٥ مليونا . ولنتقاض من هؤلاء أداء قرش واحد عن كل جمجمة ، فماذا يجتمع لنا من ذلك ؟ الجواب : يجتمع ثلاثمائة وخمسون الف جنيه فالمسلمون قد تبرعوا عن هذه الاعداد كلها بثلاثة عشر الف جنيه أي بما

يساوي نحو ثلثي عشر القرش عن كل نسمة من عشر عددهم

أهذا ماتريدون أن تسموه «تضحية» ؟

أو بمثل هذا تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ؟

او هذه درجة نجدتكم لاخوانكم في الدين وجيرانكم في الوطن والقائمين عنكم بالدفاع عن المسجد الاقصى الذي هو ثالث الحرمين وأول القبلتين؟ أفلم يقل الله تعالى (انما المؤمنون اخوة) أفهذه نجدة الاخ لاخيه ؟

يقولون لماذا سادت الامة الانكليزية هذه السيادة كلها في العالم ؟ نجيبهم: انها سادت بالاخلاق وبالمبادىء . حدثني رجل ثقة انه يعرف انكليزيا ذا منصب في الشرق كان يأمر خادمه أن يشتري له الحوائج اللازمة لبيته يوميا من دكان رجل انكليزي في البلدة التي هم فيها . فجاءه الخادم مرة بجدول حساب وفرعيه به ٢٠ جنيها في مدة شهر . فسأله الانكليزي كيف أمكنك هذا التوفير ؟ فقال الخادم : تركنا دكان الانكليزي الذي كنا نشتري منه وصرنا نشتري من دكان أحد الاهالي العرب . فقال له الانكليزي : ارجع الى دكان الانكليزي الذي كنا نشتري منه . فقال الخادم : اولو كان ذلك يستلزم انفاق ٢٠ جنيها زيادة ؟ قال الانكليزي : ولو كان يستلزم انفاق ٢٠ جنيها زيادة . وسمعت ان كثيرين من الانكليز الذين في الاقطار لايشترون شيئا ذا قيمة الا من بلادهم ويرسلون الى لندرة فيوصون على كل مايحتاجون اليه حتى لايذهب مالهم الى الخارج . أفنقيس هذا باعمال المسلمين الذين مهما أوصيتهم بالشراء من أبناء جلدتهم أو أوطانهم وعلموا انهم يقدرون أن يوفروا في السلعة الواحدة نصف قرش اذا أخذوها من الافرنجي تركوا ابن جلدتهم او ملتهم ورجحوا الافرنجي؟ أفلم يكن سبب حبوط مقاطعة العرب لليهود في فلسطين أشياء كهذه ؟ حرموا أنفسهم أمضى سلاح في يدهم وهو المقاطعة في الاخذ والعطاء مع اليهود من أجل فروق تافهة مؤقتة ونسوا ان الضرر الذي يصيبهم من الاخذ والعطاء مع اليهود هو أعظم الف مرة من ضرر هاتيك الفروق الزهيدة

وكنت مرة أشكو الى أحد كبار المصريين اهمال اخواننا المصريين لمجاهدي طرابلس وبرقة الذين ان لم تجب عليهم نجدتهم قياما بواجب الاخوة الاسلامية والجوار ، وجبت عليهم احتياطا من وراء استقلال مصر واستقبال مصر ، لانه كما أن وجود الانكليز في السودان هو تهديد دائم لمصر ، فوجود الطليان في برقة هو تهديد دائم لها أيضا . فكان جواب ذلك السيدلي : لقدبذل المصريون مبالغ وفيرة يوم شنت ايطالية الغارة على طرابلس ولم يستفيدوا شيئا فان إيطالية لم تلبث ان أخذتها

فقلت له : ان المصريين قد نهضوا في الحرب الطرابلسية نهضة هي بدون شك ترضي كل مسلم ، بل ترضي كل انسان يقدر قدر الحمية . ولكن المبلغ الذي تبرعوا به يومئذ معلوم وهو ١٥٠ الف جنيه . فهل يطمع المسلمون في أنحاء المعمور أن ينقذوا طرابلس من براثن ايطالية بمائة وخمسين الف جنيه ؟ وهل هذه التضحية تقاس في كثير اوقليل الى التضحيات التي قامت بها ايطالية بالمال والرجال ؟

كانت اعانة مصر في الحرب الطرابلسية ١٥٠ الف جنيه ، وأنفقت الدولة العثمانية على تلك الحرب نحو مليون جنيه

فانظر الى ما كان لذلك من النتائج :

(النتيجة الاولى) وهي أهم شيء : حفظ شرف الاسلام ، وإفهام الاوربيين ان الاسلام لم يمت ، وان المسلمين لايسلمون بلدانهم بدون حرب ، وفي ذلك من الفائدة المادية والمعنوية للاسلام مالا ينكره إلا كل مكابر

(النتيجة الثانية) ان هذا المبلغ الضئيل بالنسبة الى نفقات الدول الحربية قد كان السبب في توطين الطرابلسيين أنفسهم على المقاومة والمجاهدة بما رأوا من نجدة اخوانهم لهم . فكانت هذه المقاومة سبباً لتجشم ايطالية المعتدية من المشاق والخسائر ماهو فوق الوصف الى أن صار كثير من ساسة الطليان يصرحون بندمهم على هذه الغارة الطرابلسية

(النتيجة الثالثة) مهما يكن من عدد القتلى الذين فقدهم العرب في هذه الحرب

فان مجموع قتلى الطليان الى اليوم يفوق مجموع قتلى العرب أضعافا مضاعفة . فلقد لقي الطليان في هذه الحرب من الاهوال مالا يتسع لوصفه مقالة أو رسالة . وفي واقعة واحدة هي واقعة « الفويهات » على باب بنغازي ثبت فيها ١٥٠ مجاهداً عربيا لثلاثة آلاف جندي طلياني من الفجر الى غروب الشمس الى أن انقرضوا جميعا ، إلا أفذاذاً أتي عليهم الليل ، ورجع العدو ولما يموتوا . وبينما كان العرب في حزن عظيم على من فقدوهم في تلك المعركة إذ جاءهم الخبر البرقي من الاستانة عن برقية وردت اليها سراً من برلين عن برقية رقمية جاءت من سفارة الالمان في رومية بأنه سقط في هذه المعركة ألف وخمسمائة جندي من الطليان ، وأصاب الجنون سبعة من ضباطهم . وهذه وقعة من خمسين وقعة بالاقل تضاهيها ، فالمسلمون قد قاتلوا في هذه المعركة جيشا يفوقهم في العدد عشرين ضعفا وقتلوا نصفه أي قتلوا عشرة أضعافهم – والله تعالى قد قدر لهم في حال القوة أن يغلبوا عشرة أضعافهم وفي حال الضعف أن يغلبوا ضعفيهم فقط كما قال في سورة الانفال (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين)

(النتيجة الرابعة) انه قد كانت نفقات ايطالية في الحرب الطرابلسية في السنة الاولى منها أي من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٢ نحو مائة مليون جنيه ، ويظن انها من عشرين سنة الى اليوم — اذ المقاومة لم تنقطع حتى هذه الساعة — قد بلغت ثلاثمائة مليون جنيه

فهذا كان كله نتيجة تلك الاعانة القليلة والنفقات الضئيلة التي قام بها المسلمون في تلك الحرب ، ولكن المسلمين ينتظرون أن تنهزم ايطالية الدولة الكبيرة التي أهلها ٤١ مليون نسمة ودخلها السنوي ٢٠٠ مليون جنيه في صدمة واحدة أو في

السنة الاولى من الحرب (١) وان لم يتحقق أملهم هذا انقطع منهم كل رجاء وبطلت كل حركة ، وأصاب بعضهم اليأس الذي هو مرادف للكفر بصريح الذكر الحكيم (انه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

ولنضرب مثلا ثالثا ونمسك بعده عن ضرب الامثال لانها لا تعد ولا تحصى:

---

(١) أي وهذا عددها ، وهذا دخلها ، وهذا انفاقها على الحرب . وأما عصبيتها وضراوتها في سفك دماء المسلمين فحسب المسلم الذي لم يفسده التفرنج والالحاد ان يقرأ النشيد الطلياني الذي ننقل ترجمته عن جريدة الشرق عدد ٥٤٣ وهو:

ان من أعظم الآلام لشاب في العشرين من عمره ان لا يحارب في سبيل وطنه مع دوام القتال في طرابلس ، والراية المثلثة الالوان والموسيقى الحربية تنبهان النفس المقدامة . يا أماه أتمي صلاتك ولا تبكي ، بل اضحكي وتأملي ، ألا تعلمين ان إيطاليا تدعوني وانا ذاهب الى (طرابلس) فرحاً مسروراً لابذل دمي في سبيل سحق الامة الملعونة (كذا) ولاحارب الديانة الاسلامية التي تجيز البنات الابكار للسلطان (*)

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن (كذا)

ليس بأهل للمجد من لم يمت إيطالياً حقاً

تحمسي أيتها الوالدة ، تذكري (كاروني) التي جادت باولادها في سبيل وطنها ...

يا أماه انا مسافر ، الا تعلمين ان على الامواج الزرقاء الصافية من بحرنا ستلقي سفائننا المراسي ؟ انا ذاهب الى طرابلس مسرور الآن رايتنا المثلثة الالوان تدعوني ، وذلك القطر تحت ظلها

لا تموتي لاننا في طريق الحياة ، وان لم ارجع فلا تبكي على ولدك ، ولكن اذهبي في كل مساء وزوري المقبرة ونسائم الاصيل تحمل الى طرابلس وداعك الذي يأبي الحداد على قبر فلذة كبدك ، وان سألك أحد عن عدم حدادك علي فاجيبيه : انه مات في محاربة الاسلام

الطبل يقرع يا أماه . انا ذاهب أيضاً . ألا تسمعين هزج الحرب ، دعيني أعانقك وأذهب !

(*) الديانة الاسلامية لا تجيز للسلطان الا ما تجيزه لغيره من المسلمين وهو تزوج البكر والثيب ، ولكن الافرنج تبيح لهم نصرانيتهم الافتراء على الاسلام

قام أهل الريف في وجه الدولة الاسبانية مدة بضع سنين الى أن تغلبوا عليها وطردوا جيوشها بعد أن أبادوا منهم في واقعة واحدة ٢٦ ألف جندي وغنموا ١٧٠ مدفعا وجميع أهل الريف بقضهم وقضيضهم ثمانمائة ألف نسمة. وعدد أهالي اسبانية ٢٢ مليون نسمة، وأراضي الريف أكثرها قاحل والاهالي فيه فقراء يعيشون من كسب أيديهم، ولقد قاموا بعمل أدهش أهل الارض بالطول والعرض

فلو كان أهل الريف نصارى لانثالت عليهم الملايين من الجنيهات من كل الجهات إما بطريقة خفية وإما بواسطة جمعية الصليب الاحمر في سبيل مداواة جرحاهم

فليقل لنا المسلمون كم جنيها قدموا للريف في ذلك الوقت؟

ثم تألب الفرنسيس مع الاسبانيول وحشدوا لحرب الريفيين ٣٠٠ ألف مقاتل وحصروا الريف من كل جانب من البر والبحر، وكانت طياراتهم القاذفة بالديناميت على قرى الريفيين تحصى بالمئات لا بالعشرات، ولم تكف طيارات الفرنسيس والاسبانيول حتى جاء سرب طيارات أميركية من نيويورك نجدة لفرنسة واسبانية (النصرانيتين على المسلمين لانهم مسلمون)

هذا كله والمسلمون ينظرون الى حرب الريف مكتوفي الايدي، ولبثوا مكتوفي الايدي مدة سنة. وأخيراً نهض منهم أفراد لجمع شيء من أجل جرحى الريف، ولاجل بعث الحمية في الناس لم يكتف محرر هذه السطور بالكتابة بل تبرعت بأربعة جنيهات لاجل القدوة، فماذا كان مجموع تلك الاعانات من كل العالم الاسلامي؟ الجواب ١٥٠٠ جنيه

خيانة بعض المسلمين لدينهم ووطنهم واعتذارهم الباطل

ويا ليت المسلمين وقفوا عند هذا الحد في خذلان الريفيين بل قامت منهم فئام يقاتلون الريفيين باشد مما يقاتلون به الاجانب، وتألبت على محمد بن عبد الكريم قبائل وافرة العدد شديدة البأس ومالؤا الفرنسيس والاسبانيول على ابناء ملتهم ووطنهم تزلفا الى الفرنسيس والاسبانيول وابتغاء الحظوة لديهم. وقد جرى مثل ذلك عندنا في سورية يوم الثورة على فرنسة، وجرى في بلاد اسلامية كثيرة

أفبمثل هذه الاعمال يطالب أخونا الشيخ بسيوني عمران ربه بما وعد تعالى به من جعل العزة للمؤمنين؟ واذا سألت هؤلاء المسلمين الممالئين للعدو على اخوانهم:

كيف تفعلون مثل هذا وأنتم تعلمون انه مخالف للدين وللشرف وللفتوة وللمروءة وللمصلحة وللسياسة؟ أجابوك: كيف نصنع فان الاجانب انتدبونا ولولم نفعل لبطشوا بناء، فاضطررنا الى القتال في صفوفهم خوفا منهم؟ ونسوا قوله تعالى (أتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين) وقوله تعالى (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)

وكلام مثل هؤلاء في الاعتذار غير صحيح فان الاجانب قد ندبوا كثيراً من المسلمين الى خيانات كهذه فلم يجيبوهم ولم تنقض عليهم السماء من فوقهم، ولا خسفت بهم الارض من تحتهم، ثم انه ان كان الاجانب المحتلون لبلاد المسلمين قد أصبحوا يغضبون على المسلمين الذين لا يلبون دعوتهم الى خيانة قومهم، فانما كان ذلك من أجل ان كثيرين من المسلمين كانوا يعرضون عليهم خدمتهم في مقاومة اخوانهم، ويقومون بها بكل نشاط ومناصحة، ويبدون كل أمانة لهم في اثناء تلك الخيانة. ولولا هذا التبرع بالخيانة، والتسرع الى مظاهرة الاجنبي على ابن الملة، لما استأسد الاجنبي وصار يتحكم في المسلمين هذا التحكم الفاحش، ويتقاضاهم أن يخالفوا قواعد دينهم ومقتضى مصلحة دنياهم من اجل مصلحته، بل قام يحملهم على الموت لاجل الموت

فان الموت موتان: أحدهما الموت لاجل الحياة وهو الموت الذي حث عليه القرآن المؤمنين اذا مد العدو يده اليهم، وهو الموت الذي قال عنه الشاعر العربي:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل ان اتقدما

وهو الموت الذي يموته الافرنسي لاجل حياة فرنسة، والالماني لاجل حياة ألمانية، والانكليزي في سبيل بريطانية العظمى ـ وهلم جرا ـ ويجده على نفسه واجباً لا يتاخر عن أدائه طرفة عين

وأما الموت الثاني فهو الموت لاجل استمرار الموت، وهو الموت الذي يموته المسلمون في خدمة الدول التي استولت على بلادهم. وذلك انهم يموتون حتى ينصروها على اعدائها كما يموت المغربي مثلا حتى تنتصر فرنسة على ألمانية مثلا. ويموت الهندي حتى تتغلب انكلترة على اي عدو لها. ويموت التتري في سبيل ظفر الروسية. والحال انه بانتصار فرنسة على أعدائها تزداد في المغرب غطرسة وظلما وابتزازاً لأملاك المسلمين وهضما لحقوقهم. وذلك كما حصل بعد الحرب العامة اذ ازداد طمع الفرنسيس في اهل المغرب وحدثوا انفسهم بتنصير البربر

وبالاختصار يموت المغربي على ضفاف الرين او في سورية حتى يزداد موتا في المغرب، لان كل طائلة تفوز بها فرنسة في الخارج هي زيادة في قهر المغربي وإعناته واذلاله مما لا سبيل للمناكرة فيه، ومما قد ثبت بالتجربة. وكذلك موت الهندي في سبيل نصرة انكلترة هو تطويل في اجل عبودية الهند. وكذلك موت التتري في خدمة الروسية لا عاقبة له سوى ازدياد قهر الروس للتتر. وهلم جراً

وهذا الموت لاجل الموت هو ما كان بخط منحن كما يقال، اي باعتبار النتيجة، ولكنه هناك موت لاجل الموت مباشرة بدون واسطة، وهو عند ما يموت المغربي في قتال أخيه المغربي الذي قام يحاول أن يزحزح شيئا من النير الافرنسي الذي كاد يدق عنقه، وان لم يدق عنقه بتاتا استحياه حياة هي اشبه بالموت

ولو انحصرت هذه الامور في العوام والجهلاء نعذرناهم بجهلهم، وقلنا انهم لا يدرون الكتاب ولا السنة ولا السياسة الدنيوية، ولا الاحوال العصرية، وانهم انما يساقون كما تساق بهيمة الانعام الى الذبح

ولكن الانكى هو خيانة الخواص. مثال ذلك الوزير المقري الذي هو أشد تعصبا لقضية رفع الشريعة الاسلامية من بين البربر من الفرنسيس أنفسهم. ومثله البغدادي باشا فاس الذي طرح نحو مائة شخص من شبان فاس وجلدهم بالسياط لكونهم اجتمعوا في جامع القرويين وأخذوا يرددون دعاء «يالطيف الطف بما جرت به المقادر، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر» ومفتي فاس الذي أفتى بأن إلغاء الشرع الاسلامي من بين البربر ليس باخراج للبربر من الاسلام! وهلم جرا

وكل من هؤلاء الخونة المارقين أخزاهم الله قد بلغ من الكبر عتيا، وانتهى من أموال الامة شبعا وريا، وهو لا يزال حريصا على الزلفى الى فرنسة، واثبات صداقته لها ولو بضياع دينه ودنياه، حتى تبقى عليه منصبه وحظوظه في هذه البقية الباقية من حياته التاعسة (١)

(١) الغريب في هذا ان أمثال هؤلاء الخونة يبيعون بلادهم كلها للاجنبي بثمن خسيس هو جزء منها لا من مال الاجنبي، ولو اخلصوا في صده عنها لكان لهم منها أكثر مما يعطيهم الاجنبي منها ثم يكون باقيها لاولادهم واهليهم واخوانهم في الدين مع العز والشرف

وليس واحد من هؤلاء ولا من في ضربهم في المغرب الا وهو مطلع على نيات فرنسة وعلى مراميها من جهة هذا النظام الجديد لامة البربر، وليس فيهم الا من هو عارف بوجود جيش من القسوس والرهبان والراهبات يجوس خلال بلاد البربر ويبني الكنائس ويتصيد اللقطاء والايتام والفقراء وضعفاء الايمان، وليس فيهم الا من هو عالم بمنع فرنسة فقهاء الاسلام والوعاظ من التجوال بين البربر حتى ترتفع الحواجز امام دعوة المبشرين الى النصرانية. وقد يكون المقري والبغدادي هذان هما في مقدمة الموقعين على الاوامر بمنع علماء الاسلام وحملة القرآن من الدخول الى قرى البربر . وقد يكون المقري هذا هو الذي خصص المبلغ من مال المخزن لجريدة « مراكش الكاثوليكية » التي تطعن في الاسلام ، وتقذف محمداً عليه الصلاة والسلام، ولدينا كثير من أعدادها التي تتضمن هذه المطاعن

وبعد هذا فمن يدري؟ فقد يكون المقري مصليا وصائما وبيده سبحة يقرأ عليها أوراداً . ومن يدري؟ فقد يكون البغدادي السيء الذكر ممن يتمسحون بالقبور ويستغيثون بالاولياء ويتظاهرون بهذا الورع الكاذب . وأما المفتي فهو المفتي فلا حاجة الى تثبيت كونه يصلي الخمس ويصوم ويتهجد ويوتر ويتنفل الخ

وقد مضى علينا نحن في سورية شيء من هذا لاوائل عهد الاحتلال ، لكن لم تكن خيانة هؤلاء المعممين في قضية دينية مباشرة... فقد اقترحت عليهم فرنسة أن يمضوا برقية الى جمعية الامم ينكرون بها عمل المؤتمر السوري الفلسطيني المطالب باستقلال سورية وفلسطين ، فأمضاه منهم عمائم مكورة، وطيالس محررة مجررة، ورقاب غليظة ، وبطون عظيمة ، وان لم أقل الآن : أخزاهم الله ، أخشى عتاب اخواننا المغاربة الذين يرونني خصصت بهذا الدعاء صدرهم الاعظم ، ومفتيهم الاكبر ، وأعفيت معممي سورية، فلذلك يقضي العدل بأن نقول أخزاهم الله أجمعين ، أخزى الله الذين منهم في المشرق والمغرب ممن يوقعون على اقتراحات الاجانب المضرة بالدين والوطن

(للكلام بقية)

للحقيقة والتاريخ

﴿ جاءتنا المقالة التالية من فضيلة رئيس تحرير مجلة نور الاسلام وجمعية الهداية تحت هذا العنوان فنشرناها على قاعدتنا في نشر ماينتقد علينا، ونقفي عليها بالرد الذي تمليه علينا معرفة الحقيقة ويتقاضاه التاريخ والمصلحة ﴾

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب « مجلة المنار » الغراء

السلام عليكم ورحمة الله « أما بعد » فقد قرأت ما كتبتموه في مجلتكم الزاهرة تقريظا ونقداً لمجلة « نور الاسلام » فأشكركم على النقد بمقدار ما أشكركم على التقريظ وانا لنعلم أن مجلة كمجلة « نور الاسلام » يرقبها طوائف تختلف مذاهبهم وتتفاوت أنظارهم وتتباعد أغراضهم، ليس في استطاعة القائمين بها أن يخرجوها على ما يوافق رغبة الطوائف بأجمعها حتى لاتلاقي الا رضا عنها وتقريظا

فنحن على اعتقاد يشبه اليقين أن المجلة ستواجه ضروبا من النقد مختلفة، هذا في اشفاق ورفق، وذلك في قسوة وعنف، وربما كان كل من الفريقين حسن النية سليم القصد، وما علينا إلا أن ننظر إلى وجه النقد فنتقبله ان كان في نظر الدين والعلم وجيها، فان رأينا الصواب في جانبنا قررنا وجهة نظرنا بالتي هي أحسن، حرصا على أن يكون العلم صلة تعارف وائتلاف، [1] فلا عتب علينا إذا كنا قد قرأنا في تقريظكم كلمات معدودة ألقيتموها بقصد خدمة الحقيقة والتاريخ فلم تقع الموقع الذي قصدتم اليه، فكانت وجهة نظرنا فيها غير وجهة نظركم، وشعرنا بان الحقيقة والتاريخ لايسمحان لنا بالسكوت عنها، وفضيلتكم من أول الداعين إلى إيثارهما على كل ما يقضي الادب الجميل برعايته

قلتم في التقريظ « ان الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر السابق قد جعلني مدرسا في قسم التخصيص من الازهر بعناية خاصة استثنائية » والواقع ان مجلس الازهر الاعلى قد ندبني للتدريس بقسم التخصص قبل ولاية فضيلة

---

(١) ذكر ما يفعلون إذا رأوا الصواب في جانبهم ولم يذكر ما يفعلون اذا ظهر لهم الخطا في جانبهم، فدل هذا على انهم لا يعترفون بانهم مخطئون وان كان مما قال ان عليهم أن يتقبلوه

الشيخ المراغي مشيخة الازهر بنحو سنة وكان الذي يرأس المجلس الاعلى وقتئذ حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبدالرحمن قراعة مفتي الديار المصرية سابقاً وكان لذلك الحين رئيسا لقسم التخصص أيضاً

قلتم « قد عجبتم لي حيث لم أذكر الشيخ محمد مصطفى المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبتها في فاتحة العدد الاول من مجلة « نور الاسلام » مع أن له الفضل علي وان لم أكن من أعضاء جمعيته أو حزبه

إذا لم أذكر اسم فضيلة الاستاذ الشيخ المراغي فقد ذكرت أن المجلس الاعلى حينما أخذ ينظر في ميزانية سنة ١٩٢٩ أدرج فيها مبلغاً للمجلة ، ومعلوم من ذكر التاريخ أن المجلس الذي قرر هذا المبلغ كان تحت رياسة الاستاذ الشيخ المراغي، فللاستاذ المراغي نصيبه من فضل هذا المشروع ولا يلزم المندوب لرياسة تحرير المجلة أن يكون على علم من مقدار هذا النصيب حتى إذا لم يتعرض له في فاتحة المجلة عد متهاونا بحق التاريخ او غير معترف بالفضل

وما بال فضيلتكم تعجبون لعدم ذكر رئيس المجلس الاعلى الذي قرر المبلغ الذي ينفق على المجلة وتعدونه استخفافا مني بحق التاريخ ونكرانا لفضل ذلك الرئيس علي ، ولم يعجب أحد من مريدي صاحبي الفضيلة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد أبي الفضل والاستاذ الجليل الشيخ عبدالرحمن قراعة لعدم ذكر اسمهما في تلك الخلاصة ، وقد كان الشيخ ابو الفضل يرأس المجلس الاعلى الذي قبل اقتراح مشروع المجلة سنة ١٩٢٦ وكان فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالرحمن قراعة يرأس المجلس الذي ألف لجنة لوضع تقرير في هذا الاقتراح سنة ١٩٢٧ وهذا العمل بالنظر الى كونه الاساس الذي قام عليه المشروع عمل لا يستهان به

ولا أرى إلا أن مريدي الاستاذين الشيخ أبي الفضل والشيخ قراعة قرأوا فاتحة المجلة وقد حضرهم أن المندوب لرياسة التحرير إذا نسب العمل الى المجلس الأعلى مع ذكر تاريخ انعقاده فقد قضى واجب التاريخ عليه ،وليس من واجب التاريخ عليه أن يسمى رئيس المجلس الأعلى أو أعضاءه في خلاصة قصد بها الاشارة الى تاريخ نشأة المشروع والاطوار التي مر عليها حتى صار عملا ظاهراً

وعلى فرض أن أكون قد أجملت القول في مواضع تعلمون منها أكثر مما أعلم كان لفضيلتكم أن تكتبوها للتاريخ في صفاء خاطر متحامين الكلمات التي يسبق الى أذهان بعض الناس انها مصنوعة لتثير غبار فتنة ، ومثل هذه الفتنة لو أيقظها غيركم لكان واجب الدين وسماحة الاخلاق قبل كل داعية

وأنا لا أستنكف أن يكون للاستاذ المراغي عندي يد ، ولكن التدريس الذي تعنونه بقولكم « كما أن له الفضل عليه نفسه » قد عرف الناس أني ندبت له من قبل أن يتولى فضيلته منصب المشيخة ، على أني اربأ بكم ان تزنوا العلم بهذا الميزان وتجعلوه انقص قدراً من متاع هذه الحياة إذ سميتم ندبي للتدريس فضلا من النادب عليّ بدل ان تجعلوه اخلاصاً منه للمعهد الذي تولى امره ليدير شؤونه بنصح وامانة .

واذا لم اكن من جمعية الشيخ المراغي فلأني لا اذكر ان احداً من الناس عرض علي قانون حزب او جمعية تدعى بهذا الاسم فأعرف مبادئها والغاية التي تألفت من اجلها ، واست ممن يحب ان يحشر نفسه في كل جمعيـة او حزب وإن لم يعرف مبادئه ويطمئن الى الغاية التي يرمي اليها

نقدتم ماجاء في فاتحة المجلة من انها لا تمس السياسة في شأن وقلتم : ان هـذا حرمان لمحرريها من خدمة الاسلام والدفاع عنه بالسكوت عن امور كثيرة يجب بيانها . وجواب هذا ان المجلة اذا تجنبت التدخل في النزعات السياسية فان اقلام محرريها لا تقف دون الكتابة فيما يصيب الشعوب الاسلامية من مكاره ، او فيما تراه مخالفا للدين ولو كان من اعمال الادارة الداخلية ، غير انها تكتب في مثل هذا على وجه الوعظ والارشاد ، فلا يخرج عن دائرة مجلة « نور الاسلام » ان تكتب في انكار بعض تصرفات يعتـدي بها على حق ديني لأحـد الشعوب الاسلامية ، ولا يخرج عن دائرتها ان تطالب بنحو إلغاء البغاء الرسمي او احترام المحاكم الشرعية فيما اذا خطر لأحـد رجال الادارة ان ينقص مما هو داخل في اختصاصها ، او الاحتفاظ باللغة العربية فيما اذا رأى ذو سلطة اهتضام جانبها ، الى غير هذا من الشؤون التي تحفظ على الامة دينها ولغتها ، ويرغب أولو السياسة الرشيدة انفسهم ان يعلموا حكم الدين في امثالها .

وتقدتم ماجاء في فاتحة المجلة من « انها لاتنوي ان تهاجم دينا بالطعن ولا ان تتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول » وحملتم هذه العبارة على معنى انها لاترد على المخالفين اذا هاجموا الاسلام، وقلتم : ان العلماء لايستطيعون القتال بالسلاح فهم يستطيعون الجهاد بالقلم واللسان ومجادلتهم بالتي هي احسن وإن كرهوها

ولو صدر هذا النقد من غير فضيلتكم اقلنا : انما يريد ان يكثر سواد وجوه النقد، ولكن مكانكم ارفع من ان يقصد الى هذه الغاية ، وذلك لانا نقول في فاتحة المجلة « تناقش المجلة الاشخاص او الجماعات الذين يقولون في الدين غير الحق مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

واذا قالت: انها لاتنوي ان تهاجم دينا بالطعن، او قالت لاتتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول، فانما تريد الترفع عن بذاءة القول والخروج عن دائرة البحث العلمي الى مايهيج البغضاء دون ان يكون له في تقرير الحقائق او إزهاق الباطل اثر كثير او قليل .

واظن حضرات قراء مجلة « نور الاسلام » انما يذهبون في فهم هذه الجمل الى اننا نظرنا عند صوغها الى قوله تعالى (ادفع بالتي هى احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقد اصبح حكماء الكتاب يصوغون دفاعهم على قدر بيان الحق او كشف شبه الباطل، ولا يحسون من اقلامهم نزوعا الى السوء من القول ، ومن كان في ثروة من الحجج لايرى نفسه في حاجة الى ان يستعين في دفاعه او هجومه بشيء من اللمز والبذاء

هذا : وظننا في الاستاذ انه ينقد في اخلاص، ويتلقى الجواب في سكينة وانصاف ، وسلام عليك يوم تقرظ ويوم تنقد ويوم تكون للحق وليا

محمد الخضر حسين

رد المنـــار

الذى تجلى به الحقيقة وينصف التاريخ

أرسل الينا الاستاذ رئيس تحرير مجلة الازهر هذا الرد على ما كتبناه في تقريظها والنصيحة الاسلامية لها، ونشره هو في مجلة جمعيته (الهداية) ولم ينشره فيها، خلافا للاصول المتبعة والمعقول، بل عوقبنا على تقريظنا ونصيحتنا بقطع تلك المجلة عن مبادلة أختها المنار، وأخبرنا فضيلته بذلك فلم يتفضل بالامر باعادة ارسال المجلة الينا بالمبادلة كما هي سنة الصحف على اختلاف موضوعاتها ومذاهبها، وتلك جفوة وقطيعة بل عقوبة صحفية تنافي ما ذكره من الشكر للمنار على التقريظ والنقد جميعاً، الا أن تكون العقوبة من ادارة مجلة نور الاسلام وكانت بحيث لا يقبل فيها شفاعة رئيس التحرير، على ان الادارة لم ترسل المجلة الينا اولا إلا بعد أن رأينا تقريظها في جرائد مصر وسورية وتونس، والذي جاءنا منها ٣ أجزاء فقط، وكنا نود لو عاتبنا الاستاذ فيما خالف وجهة نظره مشافهة وسمع جوابنا، واختار بعد ذلك أن يكتب وينشر، أو أن يرضى ويصمت، ولكنه قد طرق بالنشر هذا الباب، فوجب أن يسمع منه الجواب

مقدمة وتمهيد للرد

ان الحقيقة والتاريخ يقتضيان قول الحق بغير محاباة لأحد ولا هضم لحق أحد، لا لأسباب حزبية، ولا لعلل سياسية، ولا لشؤون شخصية، والصراحة في الحق بغير تأويل، ولا ميل عن سواء السبيل، ومن لم يستطع ذلك فليصمت، ذلك خير وأحسن تأويلا، وانني ألتزم هذا الشرط فيما أتعقب به رد الاستاذ مع المحافظة على سابق مودته إن شاء، فأقول:

إنني قصدت بما كتبت في شأن هذه المجلة التقريظ والتنويه بما احب أن يكون لها من المكانة في العالم الاسلامي وما يرجى من نفعها للمسلمين، فقلت في ذلك مالم يقله أحد من مقرظيها الذين اطلعت على تقاريظهم، ولم أقصد أن أنتقدها كما صرحت بذلك،

ولو شئت ذلك لـكان مجاله عندي أوسع مما يعتقدون اذ قال : انهم يعتقدون اعتقاداً يشبه اليقين ان المجلة ستواجه ضروبا من النقد مختلفة الخ ، وانما وجدت من الواجب علي أذكر أصحاب الشأن فيها بأهم ماتجب مراعاته لاجل أن تتبوأ تلك المكانة وتحقق ذلك الرجاء ، مما ظهر لي من فاتحتها وما نشر في الجزءين الاولين منها انهم لم يراعوه ولا ينتظر أن يراعوه من تلقاء انفسهم ، لم أنتقدهم انتقاد تخطئة وتجهيل ، بل ذكرتهم التذكير الذي ينفع المؤمنين ، مع اتقاء نقد المقالات الذي لايرضي الكاتبين ، فاقترحت أمرين (أحدهما) الدفاع عن الاسلام وعن المسلمين بصد كل ما يهاجمان به في هذا العصر بالحجة ، والارشاد الى العمل الذي يكشف الغمة ، ويجمع الكلمة ، (والثاني) الدقة في تخريج كل ماينشر في المجلة من الأحاديث والآثار، إذ اعتادا كثر علماء الازهر وأمثالهم نقل الاحاديث في كتبهم وخطبهم من الكتب المتداولة ، دون الرجوع في تخريجها الى دواوين السنة المعتمدة ، وبيان مايصح ومالا يصح منها ، حتى اشتهروا باهمال علم السنة ، وقد راوغ رئيس التحرير في الاول ولم يستطع المراوغة في الثاني بل سكت على قاعدتهم التي قررها في مقاله هذا .

وأما النقد الذي قصدته بحسن النية ، وتوخي اللين والمرونة ، والمحافظة على سابق المودة ، فهو ماأنكرته على فضيلة رئيس التحرير خاصة ، لانه جاء على غير ماتقتضيه الحقيقة والتاريخ ، وعلى خلاف مانعهد من أخلاقه الفاضلة وأدبه النفسي ، وهما أكبر في أنفسنا من علمه وأدبه اللغوي ، فرد علينا رد الجدليين ، وكابر الحقيقة كمكابرة السياسيين ، فوجب أن أبحث معه في جوابه عنه بما تعلم به الحقيقة ويرضاه الله والتاريخ (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين)

هذا ماكنت قصدته وعبارتي صريحة فيه ، وناطقة بالحجة المثبتة له ، ورئيس التحرير يقول في مقدمة رده المنتقدة من عدة وجوه لانضيع الوقت في بيانها : « فلا عتب علينا إذا كنا قد قرأنا في تقريظكم كلمات معدودة ألقيتموها بقصد خدمة الحقيقة والتاريخ فلم تقع الموقع الذي قصدتم اليه » الخ ثم بين وجهة نظرهم في الرد فقال — والعناوين من المنار —

(١) مسألة التدريس في الازهر

[قلتم في التقريظ « ان الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر السابق قد جعلني مدرسا في قسم التخصص من الازهر بعناية خاصة استثنائية » والواقع ان مجلس الازهر الأعلى قد ندبني للتدريس بقسم التخصص قبل ولاية فضيلة الشيخ المراغي بنحو سنة وكان يرأس المجلس الأعلى وقتئذ صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي الديار المصرية سابقا] اه بحروفه ورقمه. ثم ذكر هذا الرد مرة أخرى واطال فيه

أقول في جوابه (أولا وقبل كل شيء) انه حكى قولي هذا بمعناه لا بلفظه كله فلماذا وضعه بين علامات الرقم الدالة على نقله إياه بحروفه هكذا « » ؟ ان أمثاله من الكتاب العصريين والمحررين الصحفيين لا يفعلون هذه الفعلة بدون قصد ، واني لا أغضي عن مناقشته فيه وهو ضرب من التحريف حتى لا أكثر في الرد عليه ، ولكنني انبه القراء لعادته كغيره في التزام الالقاب الرسمية والعرفية لكبار العلماء وغيرهم عند ذكر أسمائهم ، وعدم التزام المنار هذه العادة اتباعاً لعلمائنا وكتابنا المتقدمين كما صرحت بذلك من قبل ، وأوجه نظارهم الى ما في مقالته من التفاوت في التعبير والالقاب عند ذكر المراغي وذكر غيره من أقرانه. على أن كلمة (المراغي) وحدها صارت في هذا العهد غنية في نظرنا ونظر الذين يعرفون أقدار الرجال عن تحليتها بالالقاب ككلمة الغزالي والنووي في عهدهما ومن بعدهما

وأقول (ثانيا) ان ندبه للتدريس في قسم التخصص قبل مشيخة المراغي غير جعل هذا إياه مدرسا فيه ، وجمع من في مصر يعلم الفرق بين الندب في الحكومة لعمل من الاعمال وبين الوظيفة الثابتة وان تساوى الراتب فكيف اذا تضاعف ، وان مجافاة ما كتبه الاستاذ الخضر للحقيقة والتاريخ في المسألة يحملنا على انصافهما ببيان هذه الحقيقة التاريخية:

ندب الاستاذ الشيخ محمد الخضر التونسي الفرنسي التبعة للتدريس في قسم التخصص سنة ١٩٢٧ بمكافأة شهرية قدرها ثمانية جنيهات مصرية في كل شهر من شهور الدراسة فحسب

هذا ما كان قبل مشيخة المراغي وأما ما كان فيها فهو انه قد عرض على مجلس الازهر الأعلى مذكرة بطلب تعيين الشيخ الخضر مدرساً بالازهر براتب قدره خمسة عشر جنيها في كل شهر بعقد من ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٨ فوافق المجلس عليها - فصار بهذا مدرسا ثابتا ، وارتقى ما يأخذه من مكافأة في مدة العمل قدرها ٧٢ جنيها الى راتب يبلغ في السنة ١٨٠ جنيها !!

أفليست هذه عناية خاصة بصفة استثنائية لان الاستاذ أجنبي غير مصري؟

أوليست منة للمراغي تستحق الشكر من الاستاذ الخضر الذي رأينا من مبالغته في شكر من يحسن اليه انه رفع صوته في حفلة تأبين المرحوم أحمد باشا تيمور الحافلة فذكر من عنايته به انه أخبره بأنه يريد الذهاب الى الاسكندرية لحاجة له فكان من بره به أن سافر معه وعاد به ، فكان سفره لاجله ? بلى، وان بر الاستاذ المراغي به كان أفضل وأكمل وأشرف وأحق بالشكر ، أفيعقل أن يقابله هذا الشكور بالكنود ، فيسند الفضل فيه الى غيره ولا يعترف له بشيء منه، بل ينكر على من يذكر ذلك ويعده منتقصاً لقدر العلم والعلماء، يقول انه يكتب هذا للحقيقة والتاريخ؟

(٢) مسألة ترك ذكره للمراغي في تاريخ المجلة

قال | قلتم « قد عجبتم لي حيث لم أذكر الشيخ محمد مصطفى المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبتها في فاتحة العدد الاول من مجلة « نور الاسلام » مع ان له الفضل علي وإن لم أكن من اعضاء جمعيته أو حزبه] اه بحروفه ورقمه أي علاماته ويقال في هذا الرقم ما أشير اليه في الانكار على سابقه من انه تحريف

وفيه تحريف آخر وهو انه جعل الضمير في قولي جمعيته وحزبه عائدا الى الاستاذ المراغي وانما هو عائد اليه نفسه، فعبارتي في تعليل فضله عليه « وان لم يكن من اعضاء جمعيته » الخ اي وان لم يكن المراغي - فحرفها بقوله « وان لم اكن » الخ ومن المعلوم ان الخضر له جمعية والمراغي ليست له جمعية كما صرح هو بذلك في قوله بعد : واذا لم أكن من جمعية الشيخ المراغي فلأني لا أذكر أن أحداً من الناس عرض علي قانون حزب أو جمعية تدعى بهذا الاسم فاعرف مبادئها الخ

ويعتقد كثير من الناس ان لجمعية الخضر مقاصد حزبية وقد أضفتها اليه لانه رئيسها ، ولو كان للاستاذ المراغي جمعيـة كجمعيته لعرفت واشتهر أمرها ، ولكان هو اجدر من كثير من الناس بمعرفتها ، لما كان من كثرة تردده على الاستاذ في عهد مشيخته ، ولان الاستاذ كان يحسن الظن به ، ولما له من التدخل والتغلغل في شؤون الازهر والازهريين والحرص على تعرف ماهنالك ،

ثم ذكر انه اذا لم يذكر اسم فضيلة الاستاذ الشيخ المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبها في فاتحة المجلة فقد ذكر [ان المجلس الأعلى حينما أخذ ينظر في ميزانية سنة ١٩٢٩ أدرج فيها مبلغا للمجلة ، ومعلوم من ذكر التاريخ ان المجلس الذي قرر هذا المبلغ كان تحت رياسة الاستاذ الشيخ المراغي ، فللاستاذ المراغي نصيبه من فضل هذا المشروع ، ولا يلزم المندوب لرياسة تحرير المجلة أن يكون على علم من مقدار هـذا النصيب حتى اذا لم يتعرض له في فاتحة المجـلة عد متهاونا بحق التاريخ أو غير معترف بالفضل]

وأقول هـذ الـكلام مغالطة لايحتج بقياسها منطقي على من يعرف المنطق مثله، فما كان ينبغي لمثله أن يكتبه ، وبيان هذا من وجوه

(أولها) انه يلزم المندوب لرياسة تحرير مجلة كهذه أن يكون على علم تفصيلي من التاريخ الذى يتصدى لوضعه لها ولو مجملا ، فان لم يقدر على معرفة نصيب كل فرد من افراد من لهم عمل ما أو اقتراح ما في هذا التاريخ — وهو مالا يطلبه منه أحد - فلا يصح أن يجهل نصيب الرئيس الاكبر للمصلحة التي قررت هذا الامر ووضعت ميزانيته ، ثم انفرد هو بالجهاد في سبيل القانون الجديد للازهر الذي جعلت المجلة من فروعه، ومنه مناقشة الوزراء ورجال البلاط الملكي فيه عدة أشهر

(ثانيها) قوله ان ذكر تاريخ الميزانية يلزم منه العلم بأن رئيس المجلس الذي وضعها هو فلان فيعلم منه نصيبه من فضل المشروع - غير مسلم على اطلاقه، وغير مجد في دفع الملام عنه ، فان أكثر قراء خلاصته التاريخيـة لايعلمون من ذكر ذلك التاريخ ان الاستاذ المراغي كان رئيس ذلك المجلس ، ومن يعلم هـذا من الازهريين وغيرهم لايعد هذا اللزوم غير البين اعترافا بما لهذا الرئيس من الفضل فيه

(ثالثها) ان هذه قاعدة غريبة من قواعد التاريخ وتراجم الرجال العاملين، وهي ان ذكر التاريخ السنوي لعمل من الاعمال العظيمة يغني عن ذكر من قاموا بذلك العمل وعن التنويه بفضلهم، بل يعد تعريفا به وبهم ! !

(رابعها) ان هذا الامر الذي قال انه لا يلزم المندوب لتحرير المجلة أن يكون على علم منه — اى على ادنى علم منه — يعلم أمثالنا كما يعلم هو انه على علم تام به، فان كان لا يلزم كل مندوب لتحرير مجلة فهو لازم لبعض المندوبين لمثل ماذكر ومنهم الاستاذ الشيخ محمد الخضر حسين، فنقيض السالبة الكلية موجبة جزئية

(خامسها) اننا رأيناه قد ذكر اسماء أعضاء اللجنة التي ألفت في سنة ١٩٢٧ للبحث في التقرير الذي وضعه عبد العزيز بك محمد للمشروع ولم يكتف بذكر التاريخ عن ذكر الاسماء، وذكر بعدها ان المجلس أدرج في ميزانية سنة ١٩٢٩ مبلغا للانفاق على هذه المجلة، ولم يزد على هذا كلمة واحدة مما عمله المجلس ولا رئيسه في هذه السنة التي كانت كلها جهادا في سبيل الازهر قانونه وميزانيته ومجلته. ثم قفى على ذلك بقوله:

« ولما أسندت مشيخة الازهر الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الاحمدي الظواهري كان من أول ماتوجهت اليه عنايته مشروع هذه المجلة فأخذ يديره بجد وحكمة حتى لانت صعابه، وتهيأت بتأييد الله أسبابه» اه فسكوته عن ذكر اسم الشيخ المراغي وموضعه بين ذكر اسماء اعضاء اللجنة المذكورة وذكر الشيخ الاحمدي يدل على التعمد

والذي نعلمه ويعلمه جماهير المطلعين على سير الامور العامة في مصر ان الذي ألان الصعاب لهذا المشروع في ضمن قانون الازهر الجديد وميزانيته وجاهد في سبيله حتى ضحى منصب المشيخة برواتبه الضخمة وجاهه العريض، هو الشيخ محمد مصطفى المراغي، فكان موضع اعجاب جميع الناس الذين يعرفون قيمة الانفس الكبيرة بالعزة والشرف والاباء، وما شاءت الفضائل من علو الاخلاق، وقد أكبر الذين يتهضمون الازهر وشيوخه من ابناء الدنيا أن يتحلى شيخ أزهري قح بهذا الشمم وعلو الهمة وعزة النفس

وأما فضل الشيخ محمد الاحمدي الذي انفرد به في هذا الموضوع فهو في رأينا ماذكرناه في تقريظنا للمجلة ، وهو نوط أعمالها الرئيسية من ادارة وتحرير بغير علماء الازهر المصريين - على مافيه من الاشعار او الايهام بأنه ليس فيهم من هم اهل لذلك في نظر الشيخ - وأهمها جعل رئيس التحرير أحد الغرباء المشمولين بالحماية الفرنسية مع عدم الحاجة الى الانتفاع بهذه الحماية من جانب السياسة . وانني لأعد هذا مزية للشيخ جاداً غير هازل، ولا عاديا جادة الحقيقة، الى شيء من نواشط التعريض والكناية ، فان الشعوب تلوذ في طور الضعف بالأثرة والعجب ، فتهضم حق الغريب عن بلدها أو معهدها ، وأما في طور اليقظة والارتقاء فانها تعرف لكل ذي فضل فضله ، وأجدر الشعوب بذلك من يدينون بقول ربهم (انما المؤمنون اخوة) وقد كان من اعجاب اهل الأزهر بعلمهم وصيته أنهم لم يدعوا مثل السيد جمال الدين الافغاني إلى التدريس فيه ، وهم لم يروا له مثلا ، بل قلما تجود الاعصار له بمثل ، فكان يدرس في بيته وكان أكابر شيوخ الازهر الجامدين يصدون عنه صدوداً . وقد كان الاستاذ الامام مهد السبيل لايجاد درس في الانشاء وآداب اللغة بالازهر يناط بأديب معمم غير أزهري ولا مصري فلم يتم له ذلك على ماكان له من النفوذ

ولكن تعيين الشيخ الخضر رئيساً لتحرير الازهر لم تكن الفضيلة فيه خالصة للاحمدي ، بل كان المراغي قد مهد السبيل لها بتعيينه مدرساً في الازهر وبهذا اللقب حلي رئيس التحرير في ديباجتها إذ كان هو المحلل له ، ولو شاء ان يكتب بجانب اسمه « التونسي » او خريج جامع الزيتونة لما سمحوا له ، ولو سمحوا به وفعله لتم لهم عندي فضل الانصاف والاخوة الاسلامية ولعل الندب الاول له ما كان يسوغ هذا ، وانما كان ذاك بوصية او إيعاز لا يرد كامتحان العالمية ودرجتها ، وكان واسطته - كما قيل - احمد باشا تيمور رحمه الله تعالى ، فالفضل الاول في تدريج الخضر الى الازهر خارج عن محيط الازهر ، وانما أشرح هذا لانه من قبيل مايسمى في هذا العصر بالنقد التحليلي لتاريخ الازهر الذي خبرت اطوار الانقلاب العصري فيه من أولها ، ولذلك أنكرت على صديقي شكره لكل من أحسن اليه إلا المراغي فانه غمطه حقه

وأما ما اورده علينا من انه لم يعجب احد من مريدي الشيخين الجيزاوي وقراعة من مثل ماعجبنا منه فهو سفسطة ظاهرة اذ لا يمكنه اثبات هذه السالبة الكلية، ولو اثبتها لاتقوم بها حجة

(٣) كبوته في وزن العلم ونفسه بغير ميزانهما

أنتقل من هذا البيان إلى الجواب عن قوله [وانا لا أستنكف أن يكون للاستاذ المراغي عندي يد . ولكن التدريس الذي تعنونه بقولكم « كما ان له الفضل عليه نفسه » قد عرف الناس أني ندبت له قبل أن يتولى فضيلته منصب المشيخة . على اني أربأ بكم أن تزنوا العلم بهذا الميزان ، وتجعلوه أنقص قدراً من متاع هذه الحياة ، اذ سميتم ندبي للتدريس فضلا من النادب علي بدلا من أن تجعلوه إخلاصا منه للمعهد الذي تولى أمره ليدبر شؤونه بنصح وأمانة]

وأقول في الجواب (أولا) لا شبهة عندي في انه لا يستنكف أن يكون للاستاذ المراغي يد عنده ، لما أعلم من أدبه وتواضعه، ولانه نوه بما كان لاحمد باشا تيمور عليه من يد ، والمراغي أعلى من أحمد تيمور مقاما في العلم وفي الهيئة الاجتماعية، والتدريس في الازهر الذي نعني به يد المراغي أعلى وأشرف من يد تيمور في صحبة الاستاذ الى الاسكندرية ذهابا وايابا التي شاد بذكرها واطرائه بها على مسامع حاضري لجنة التأبين كما تقدم

(ثانيا) انني بينت آنفا ان للمراغي من الفضل في مسألة التدريس ما ليس لمن قبله، وان انكاره لذلك جحد للحقيقة الواقعة

(ثالثا) وهو المقصود بالذات ان منصب التدريس في الازهر عندي ليس من متاع هذه الحياة الدنيا وانما هو عمل علمي ديني من أفضل الاعمال التي تنال بها سعادة الآخرة بالاخلاص فيه لله تعالى ، وشرفه في الدنيا من الكمال الحقيقي الشرعي بشرطه لا الوهمي ، ولم أذكر في تلك العبارة التي انتقدها الاستاذ الخضر قدر الراتب الذي جعله المراغي للتدريس وكونه أكثر من ضعفي الراتب الاول ، إذ ليس هو موضوع الفضل عندي، وانما ذكرته في هذا الرد لبيان الحقيقة التاريخية التي طمسها في مقاله الذي جعل عنوانه (للحقيقة والتاريخ)

فتبين بهذا انه هو الذي هضم حق العلم إذ لم يخطر بباله من ذكر هذه المسألة إلا مايقترن بالتدريس من الراتب الذي هو متاع هذه الحياة ، فنحن أحق بأن نربأ به أن يزن العلم وأن يزن نفسه بهذا الميزان، ولعله لايدري ان أهل المعرفة بهذه الاحوال يقولون ان الرجل معذور فيما ينتقد عليه في هذا المقام باضطراره الى مراعاة ماينتقده من الراتب الذي هو قوام معيشته

(رابعا) إنني أعتقد أن الاستاذ المراغي جعل الاستاذ الخضر مدرساً في الازهر بباعث الاخلاص للمعهد وحسن الظن فيه هو، إذ علمت انه اختار ذلك من تلقاء نفسه ولم يفعله بتوصية ولا إيعاز من خارج الازهر كما قيل في غيره، وبهذا كان أجدر بالشكر من غيره.

(٤) الكبوة الكبرى له ايقاظ الفتنة

قال [وعلى فرض أن أكون قد أجملت في مواضع تعلمون منها أكثر مما أعلم كان لفضيلتكم أن تكتبوها للتاريخ في صفاء خاطر متحامين الكلمات التي يسبق الى أذهان بعض الناس انها مصنوعة لتثير غبار فتنة، ومثل هذه الفتنة لو أيقظها غيركم لكان واجب الدين وسماحة الاخلاق قبل كل داعية] اه بنصه وفصه وحروفه ونقطه

أقول ان هذه الكلمة هي التى حملتني قبل كل شيء على كتابة هذا الرد بعد نشر الاستاذ لمقالته في مجلة الهداية ، وانني كتبت كلمتي الأولى بصفاء خاطر وود محفوظ مكتفيا بالاشارة اللطيفة التي تغني اللبيب الذي اردت تذكيره بها الى ما كنت أربأ به أن يغمز به ، ولا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنني لم يخطر ببالي ان فيها كلمة تثير غبار فتنة ، بل عجبت لذكره كلمة الفتنة في مقالته ولم أفهم بادىء ذي بدء مايريد منها، فذكرتها لبعض اخوانه واخواني الذين هم أعرف مني بشؤونه الأخيرة في جمعيته وفي الازهر ، لعلهم يفهمون من مراده بالفتنة مالم أفهم ، فقالوا : أولم تقرأ ماكتبه في مجلة الهداية من الاشارة الى آماله في تعيين الاستاذ الظواهري شيخا للازهر ؟ قلت انني لا أجد وقتاً لقراءة هذه المجلة وهي تجيئني بالمبادلة . قالوا ارجع الى الجزء الاول من السنة الثانية لهذه المجلة تجد فيه مالعلك تفهم منه مراده بالفتنة التي يريدها هو وانت لا تعلم من أمرها شيئا ، فرجعت اليه فقف شعري من قراءته وهذا نصه :

نص ما كتبه الاستاذ الخضر في الجزء الاول من السنة الثانية لمجلة الهداية الاسلامية بصحيفة ٥٦ تحت عنوان شيخ الازهر الجديد

« تولى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد الاحمدي الظواهري مشيخة الازهر الشريف ، فكان لولايته هذا المنصب الكبير أثر ارتياح وابتهاج في الامة لما يعرفونه لفضيلته من غزارة العلم والغيرة على الدين ونحن نهنيء فضيلته بهذا المقام السامي ونرجو له المعونة من الله والتوفيق والمؤمل في فضيلته العناية باصلاح التعليم في الازهر ، وحمايته من عدوى أمراض عقلية أو خلقية أخذت تدب فيه منذ عهد قريب اه المراد منه

قالوا : وقد سئل الشيخ الخضر عن مقصده من قوله «وحمايته» الخ وكلف أن يبين مراده من هذه الامراض العقلية والخلقية التي زعم انها تدب في الازهر من عهد قريب قولا وكتابة في المجلة (الهداية) فأبى أن يقول او يكتب شيئاً واستقال من أجل ذلك بعض العلماء من جمعية الهداية وكانوا أعضاء فيها

وأقول اذاً ولا يجوز لي أن أسكت :

ان كلمة الاستاذ الخضر في دبيب الامراض العقلية والخلقية في الازهر لكلمة كبيرة لا يمكنني تحديد مراده منها ، وهو قد أبي بيانها على من سألوه عنها ، ولم يبال باستقالة من استقال من جمعيته لأجلها ، لانه يعلم ان أكبر أعضائها لا يدققون النظر في مثل هذا فيحاسبوه على كتابته باسم جمعيتهم ، وان هذه الكلمة لاجدر باثارة غبار الفتنة من اشارتي إلى ما كان يجب من انصاف التاريخ ، أوهي إنذار بفتنة تراد إثارتها في الازهر ، بالتهمة التي صبها على الازهر ، وأنذرني إياها

أظن انني أعلم بتاريخ الازهر الحديث من الاستاذ الخضر لانني كنت أمين سر الاستاذ الامام وظهيره فيما كان يحاول من إصلاحه العقلي والخلقي ، وما هو نتيجة لهما من الاصلاح العلمي والعملي ، ولعله لا يوجد أحد ينكر أن الاستاذ الامام كان أوسع الناس علماً بتاريخ الازهر الحديث — وكذا القديم — لانه نشأ فيه وعني بمعرفة تاريخه بالتتبع لتاريخ الاسلام ومصر ، وتصدى لاصلاحه منذ كان طالباً مجاوراً فيه ، واختبر كبار شيوخه بالمعاشرة ، وبما كان له من النفوذ في إدارة الازهر الذى

كان هو الواضع لقانونها صاحب التأثير الاكبر فيما نفذ منه ، وبما كان له من النفوذ أيضاً في تعيين القضاة الشرعيين والمدرسين ، على ما آتاه الله من الحكمة وفصل الخطاب ، وقد كتبت في أطوار الازهر في حياته وبعد وفاته مقالات كثيرة لو جمعت لكانت سفراً كبيراً ، وكتبت في الجزء الاول من تاريخ الامام ما فيه العبرة من أطوار الازهر ، وطبعت قبل ذلك كتاب أعمال مجلس ادارة الازهر في عشر سنين ، وهو تاريخ شبه رسمي كتبه الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان باقتراح الاستاذ الامام وكان زميله وساعده وعضده في تلك الاعمال ، وفيه من بيان أمراض الازهر العقلية والخلقية الثابتة بالادلة الرسمية العجب العجاب ،

فما الذي يريده الخضر بالامراض العقلية أو الخلقية الجديدة التي تدب عدواها الى

الازهر من عهد قريب بزعمه او حسب فهمه ويطالب من الاستاذ الظواهري حمايته منها؟

الامراض العقلية قسمان : امراض عصبية موضوعها الطب وهي غير مرادة هنا قطعاً ، وأمراض معنوية تتعلق بوظائف العقل في العلم والتعليم ، وأقتلها بناء التعليم على اساس التقليد لمؤلفي الكتب المتداولة في التدريس والمطالعة وحرمان العقل من الاستقلال في العلم بالاستدلال الصحيح في كل علم بحسبه ، وهذا المرض قديم في الازهر وغيره من المدارس الاسلامية ، وهو علة عقم التعليم فيها منذ قرون

ويمتاز هذا العهد الاخير بأنه كان من أثر الارشاد المعنوي الذي بثه الاستاذ الامام فيه بعد السيد جمال الدين ، وجرى عليه بعض تلاميذه ومريديه ، أن دب دبيب الشفاء من ذلك الداء العضال في بعض تلك العقول العقام من الازهريين ، ولكن هؤلاء الاصحاء كانوا مضطهدين من المقلدين الجامدين ، ومعضَّلين من قبل رؤساء المرضى المعضلين ، حتى اذا ما سارت رياسة الازهر الى أكبر مريدي الامام من خريجي الأزهر قدراً ، وأقواهم عزما - وهو الاستاذ المراغي - وجدوا حرية وانتعاشا ، جددوا بها لمحيي الاصلاح لهذا المعهد التليد آمالا ولا نعرف شيئا جديداً يتعلق بصحة العقل ومرضه قد طرأ على الازهر من عهد قريب غير هذا ، فياليت شعري أهذا ما يعنيه الاستاذ الخضر من

المرض العقلي ؟ أما أنا فكان ظني فيه منذ عرفته وذاكرته في مسائل العلم الى أن قرأت هذه العبارة في مجلة هدايته انه يعد استقلال العقل في تحصيل العلم هو الصحة ، وأن فقد هذا الاستقلال، هو المرض العضال، والداء القتال، فهل كذبت فيه الظنون وخابت الآمال ؟ أم ماذا يعني بهذه العبارة ؟

وأما المرض الخلقي القديم في الازهر الذي كان يشكو منه الاستاذ الامام ويحاول معالجته - وفي كتاب اعمال مجلس ادارة الازهر كثير من الشواهد عليه- فشره وأضره وأقتله الجبن وذلة النفس وما يتبعهما من التملق والخنوع لكبراء رجال الدنيا من الامراء والوزراء ، والطمع في الحطام المزري بشرف العلم وكرامة العلماء ، ولم ير الازهر بعد الاستاذ الامام أعز نفساً وأعلا همة وأكمل قناعة من الشيخ محمد مصطفى المراغي ، تجلى هذا بأبهى مجاليه وأشرف مظاهره في استقالته من مشيخة الجامع الازهر ورياسة المعاهد الدينية على مانوهنا به في هذا الرد، فكان هذا خير قدوة ومثال للفئة المهذبة الكريمة الاخلاق في الازهر ، ولا نعرف شيئا جديداً خلقياً دب في الازهر من عهد قريب غير هذا ،فهل هو الذي يسميه الاستاذ الخضر مرضاً خلقياً أم ماذا يعني ؟

يجب على الاستاذ الخضر رئيس جمعية الهداية ورئيس تحرير مجلة (نور الاسلام لسان حال الازهر والمعاهد الدينية ان يبين لنا مراده من الامراض العقلية والخلقية، ونحن نعاهد الله تعالى على ان نكون من اعوانه وأعوان الاستاذ الأكبر الذي علق آماله بحمايته للازهر منها ان ظهرت لنا صحة الدعوى وصدق المقال ،والا وجب علينا ان ندفع عن الازهر هذه التهمة، كما هو الواجب على كل من يغار على الحق والفضيلة، من غير ادنى مبالاة بالتهديد والوعيد باثارة الفتنة، فقد هددنا من قبل بمثل هذا وبما هو اشد منه فلم نخف ولم نجبن .

ماذا يخشى من يطلب حماية اعظم المعاهد الاسلامية العلمية من الامراض العقلية والخلقية من عاقبة التصريح بها؟ وبيان البيئة التي دبت منها عدواها، وهو طالب حق ومصلحة ، ومؤيد من جانب السلطة والقوة ، وهو رئيس للمستشفى الروحي الذي

يصف الادوية لهذه الامراض والأوبئة (اعني مجلة الازهر) وظهير رئيس الاطباء له (أعني شيخ الازهر)

لولم يسئل الاستاذ بيان مراده ويمتنع من بيانه لكان اول ما يخطر بالبال انه يعني بتلك الكلمة الموهمة سريان عدوى الافكار المادية والنزعات السياسية الى الازهر ، ولو عنى هذا لصرح لسائليه من اخوانه به دفعاً للظنة، وبراءة من سوء النية .

فتنة السعاية بالاستاذ المراغي

بقيت علينا كلمة ذكرتنا بها كلمته في اثارة الفتنة وهي ما بلغنا في هذه الاثناء من ان بعض السعاة المحالين النمامين القتاتين المتذقحين المتجرمين قد سعى بالاستاذ المراغي ، فاتهمه بما يعبر عنه بعدم الاخلاص المقام الملكي ، وكذلك كان أمثالهم يسعون بالاستاذ الامام الى المقام الخديوي ، فكانوا مسيئين الى أنفسهم والى ولي أمرهم باقامة خصوم له من خيار رجال مملكه ، وأجدرهم وأقدرهم على تسيير فلكه ، وهم كاذبون في وشايتهم ، ملعونون على كذبهم وعلى نميمتهم ؟

أما الاستاذ الامام فأقول ولا أخشى أن اتهم الآن بانني اريد الدفاع عنه او التزلف الى الخديو : انه كان أخلص له من جميع رجال خاصته وموظفي قصره ، ومن حاشيته وبطانته ، وأما الاستاذ المراغي فأقول فيه ولا مجال للظن بانني ابتغي أدنى انتفاع منه : انني لم أسمع منه كلمة واحدة يصح أن تعد دليلا أو شبهة على صحة تلك السعاية فيه ، بل أقسم بالله وآياته انني لم أسمع من أحد ولم أقرأ لاحد كلمة ثناء على جلالة الملك فؤاد - على كثرة مانشرت الجرائد في الثناء عليه — كانت أكبر في نفسي مما سمعته من الشيخ المراغي من رأي لجلالته في علماء المسلمين ، وما يتمناه للازهر ورجاله في خدمة الدين

ذلك اننا كنا نتحدث فيما يجب من إصلاح الازهر فذكرت للاستاذ ما اقترحته على الشيخ أبي الفضل الجيزاوي رحمه الله تعالى ومنه أنه يجب أن يؤلف لجنة للنظر في المقترحات بعد تحريرها وانه ينبغي للجنة التي يناط بها تقرير الاصلاح له أن تطلع على تاريخ الفاتيكان وقوانينه ونظمه ... وتاريخ الكنيسة والاصلاح الديني في النصرانية ، لتعلم كيف كانت الكنيسة تقاوم العلوم الكونية وتكفر

العلماء وتنتقم منهم بأقسى ضروب الانتقام ، ثم كيف صار بعض رهبانها من أعلم العلماء المدرسين والمؤلفين في تلك العلوم ، وكيف أمكنهم المحافظة على الدين ونفوذ الكنيسة بذلك ، وما كان من تأثير ذلك في أوربة وفي سائر العالم ... فقال لي الاستاذ ان جلالة الملك فؤاد قد درس تاريخ الفاتيكان ونظمه وقد علمت من حديث لجلالته انه يتمنى أن يكون لعلماء الاسلام من مثل تلك النظم مايكون خير الوسائل لحفظ الدين وارتفاع شأنه في هذا العصر .

فياليت شعري من يقدر على تحقيق ما يتمناه جلالته مما ذكر ؟ آلمستقلون؟ أم الجامدون المقلدون ؟ ولا أقول الآن أكثر من هذا

رب مدح في لفظه كان ذما في معناه ، ورب نصر في صورته ، هو خذل في حقيقته ، ورب صديق جاهل ، شر من عدو عاقل ، وان مانقله لي الاستاذ المراغي من حديث جلالة الملك في هذه المسألة هو أعظم شأنا عند كل من يغار على الاسلام بعلم وعقل من سبعين قصيدة وسبعين مقالة مما نقرأه في مدحه المرة بعد المرة ، مما يستحق بعض كاتبيه الصفع على اقفيتهم ، كقول بعضهم في مقالة نشرت في الاهرام يوم عيد الجلوس ما معناه : اننا معشر المصريين غلبنا أو نغلب جميع الامم ونقول : بعزة فؤاد إنا لنحن الغالبون * اي كما قال سحرة فرعون (بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) والكاتب يعلم ان الله تعالى قال فيهم (فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) ! ! وربما لم يكن أصحاب الاهرام يعلمون هذا ، إذ لو علموه لما نشروا تلك المقالة السوءى في صدر جريدتهم

لقد كان الشيخ محمد عبده وحده خيراً للخديو من جميع علماء الازهر ، وكان أقدر على حملهم على الخدمة النافعة التي لم يكونوا يقدرون عليها من دونه ، لانهم كانوا كالجند غير المتمرن على الحرب فلا يصلح للجهاد ، الا بتدريب مهرة القواد ، وانما يصلح لقيادة الجيوش من بلغ رتبة القيادة العليا في الفنون العسكرية ، ولكل جيش قائد من جنسه ؛ ولقد جرب الخديو قيادة العلماء في دفع ماحملته عليه سلطة الاحتلال من عزل قاضي مصر التركي المولى من قبل السلطان فما أغنوا عنه شيئا ، حتى اذا

مابلغ الامر غايته ، وجاء الامر القطعي من وزير الخارجية البريطانية الى لورد كرومر بوجوب اجتماع مجلس النظار تحت رياسة الخديو لتعيين قاض لمصر من علماء الازهر بدلا من قاضي الآستانة والخليفة ، عظم الامر على الخديو ولم ير عند أحد من رجاله الرسميين ولا غير الرسميين مخرجا من هذا المأزق الذي يقطع آخر صلة دينية له ولمصر بالدولة ، فأمر حسن باشا عاصم أن يطلب له الشيخ محمد عبده بلسان البرق ليلا ، ليقابله في قصر رأس التين بالاسكندرية صباحا ، فسافر الاستاذ في قطار الصعيد منتصف الليل ، فوجد الامير ينتظره بكرة ، فاستشاره فوصف له المخرج بداهة ، وبينا هو في حضرته وصل لورد كرومر حسب الموعد ليبلغه الامر البرقي الاخير ، فخرج الشيخ من باب ، ودخل اللورد من باب ، فذكر له الخديو ما لقنه الشيخ من الجواب ، فكان فصل الخطاب ، واستغفر اللورد وأناب .

ولو شئت لذكرت هنا ماحاول كبراء العلماء نصر الحكومة الحضرة به في هذه الايام ، وما كان من سوء تأثيره في الخواص والعوام ، وما قالت الجرائد والخطباء فيه ، وماحاول بعض العلماء المستقلين من إصدار نداء آخر يرجى أن يكون أحسن تأثيراً ، وأحفظ لكرامة الازهر ، وما حال دون ذلك ، ولكن من خطة المنار اجتناب الدخول في مآزق الحكومة بترجيح أو تجريح ، ولم احب التصدي لانتقاد الازهر قبل ان تظهر خطته في هذا الطور الجديد ، ولكن يظهر من كلام رئيس تحرير مجلة الازهر ومما بلغني من منهاج التعليم الجديد فيه انه عين القديم الذى كنا نجاهده ، وانهم قرروا قراءة المواقف والطوالع وأمثالها لطلبة الازهر ، وسنوفي هذا حقه في مقالات أخرى .

وحسبي هذا رداً على ما كتبه الاستاذ الخضر فيما يتعلق بشخصه للحقيقة والتاريخ ، وسأرد في الجزء التالي على ما كتبه في شأن نصيحتي لمجلة الازهر ان شاء الله تعالى .

واني لأود لو أكون مخطئاً فيما فهمت من مقالته ومن مجلة جمعيته ، ومايعنيه من إثارة الفتنة ومن الامراض العقلية والخلقية ، وأن يكون كما كنت أظن من حزب المصلحين المعتدلين ، بين الجامدين والمتفرنجين ، فنعود بعد هذا التنازع متعاونين ، وبعد هذا الاختلاف متفقين ، وتلك عقبى المخلصين

﴿ زيارة وزير الحقانية لقسم التخصص التابع للازهر ﴾

وما اعجب به من حياة العلم فيه

(بعد جمع ما تقدم في المطبعة وقبل طبعه كله جاءتنا الرسالة التالية فنشرناها بنصها لما فيها من تأييد رأينا في الرد على الاستاذ الخضر وهي)

زار صاحب المعالي علي ماهر باشا وزير الحقانية قسم تخصص الازهر يوم الاربعاء ١٩ رجب الحالي (١٠ ديسمبر) ومعه سعادة طاهر باشا نور وكيل الحقانية ، فمر على كثير من مدرسي القسم ولم يعجب بأحد كما اعجب بالشيخ علي الزنكلوني عند ما كان يشرح قوله تعالى (الله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) اذ شرح كيفية خلق الانسان من الطين اولا وآخراً ماراً معه في سائر اطواره على احدث النظريات العلمية التي تشهد لها مجاري استعمال القرآن الحكيم . وكذا اعجبه درس الاستاذ الشيخ محمود شلتوت وكان يقرأ مبحث (الشهادة) في فقه الاحناف فشرح رأي الفقهاء القائلين بعدم قبول شهادة غير المسلم ، ثم فند هذا الرأي وفصل مواطن الشهادة وبين ان منها مواطن يجوز فيها شهادة غير المسلم ، ثم فسر آية (يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر احدكم الموت) الآية . ووجه رأيه بما تعطيه الآية ونظائرها وما يرمي اليها سر تشريع الشهادة ، و كون الاسلام ديناً عاماً لا يخص طائفة دون طائفة ولا زماناً دون زمان

فسرّ الوزير من ذلك جداً وأعجبته تلك الحرية التي لم يكن يعهدها في الازهر ولم يستطع إخفاء سروره من ذلك حتى كاشف به فضيلة شيخ القسم (المفتي)

ومما كان له وقع جميل عند محبي الحياة للازهر — البشر الذي ظهر على وجه الوزير عند ما قال له الشيخ الزنكلوني — وهو في الادارة يشرب القهوة — الجملة الآتية: يامعالي الباشا انا مسرور منك جداً لا لأنك وزير بل لانك عالم فطن ، ومن شأن العالم الذكي ان يحب العلم الصحيح والافكار الحية ، فيجب عليك ان تكثر من زيارة الاقسام العالية في الازهر لتنشط الاذكياء ارباب الافكار السليمة

من الامراض ، فيتكون من الازهر كتلة علمية حية قوية ، ويكون جيش جلالة الملك العلمي الديني جيشاً مسلحاً بسلاح العصر الجديد يقوم في وجه أعداء الدين الذين يهاجمونه من كل ناحية ، وإلا كان وراء جلالته حثالة من الخلق مبعثرة ميتة ، لا تصلح لمقاومة بعوضة اه

[المنار] سبحان الله ، ان هذه الرسالة جاءت مؤيدة لما قلناه في ردنا هذا ولا سيما كلمة الاستاذ الزنكلوني للوزير . وأما مسألة شهادة غير المسلم فما ذكره الكاتب فيها مجمل موجز لا يفهم منه ما فيها من خطأ وصواب . ولا شك ان الجامدين يعدونها مهاجمة لفقهاء المذاهب المتبعة ، ونحن قد حققنا هذا الموضوع في تفسير آية الوصية في السفر من سورة المائدة في فصل خاص عقدناه لها (فيراجع في ص ٢٢٩ — ٢٣٧ ج ٧ تفسير) فان كان الاستاذ محمد الخضر يعد هذا وذاك من آثار الامراض العقلية فليرد عليهما في إحدى المجلتين (نور الاسلام والهداية) أو كلتيهما لنبحث معه بعد ذلك فيما كتبه من موافقة شريعة الاسلام لكل زمان ومكان

مسيح الهند القادياني الدجال

ودعاة مسيحيته في سورية

ان هؤلاء المسيحيين الاسلاميين قد جمعوا من الهند أموالا كثيرة بثوا بها دعايتهم في البلاد ، وقد طبع دعاتهم في سورية رسائل متعددة في الدعوة الى نحلتهم فانخدع بها شاب دمشقي عنده هوس في الافكار الدينية بغير علم باصول الاسلام الصحيحة ولا فروعه ، اسمه (منير الحصني) جاء مصر في العام الماضي فتمنينا لو يلقانا لنتكلم معه فلم يكن ذلك . وأخيراً جاءنا منه رسالة يرد فيها على بعض ما كنا نشرناه في المنار من تفنيد هذه المسيحية وتكذيب دجالها القادياني في حال حياته ، وااننا لكثرة الشواغل لم نفرغ للاطلاع على شيء من تلك الرسائل التي طبعوها أخيرا . وأما هذه الرسالة الخطية فقد كنت أراجع في آخر هذا الشهر (رجب) اضبارة الرسائل المحفوظة للمراجعة فوقعت عيني عليها و كان تحرير الجزء الخامس من المنار لم يتم

فأحببت أن ألخصها وأبين أهم ما فيها من حجج القوم الداحضة، والرد عليها بالبينة الناهضة يرد هذا الداعية للمسيحية الاسلامية التي يسمونها الاحمدية على المنار في ثلاث مسائل

(١) ما انذر مسيحهم به صاحب المنار فكان انذاره كاذبا

(٢) نسخ مسيحهم لمشروعية الجهاد

(٣) كونهم أعداء للاسلام كافرين ببعض القطعيات من أصوله مضللين لاهله

﴿ ١ ـ انذار القادياني لصاحب المنار ﴾

ذكر الكاتب في مقدمة رسالته ان مسيحهم بلغني دعوته فانكرتها عليه « بلا دليل بين ولا حجة دامغة » لجهله ما اتفق عليه علماء الشرع والعقل من ان البينة على المدعي، ثم قال « وقد جئت بأسطري هذه ردا على ما يمس الاحمدية التي هي عندي الاسلام الصحيح من تهمك المنشورة عنها في المنار، وأملا أن تذعن للحق ولو على نفسك كما انني أفعل ذلك إذا أظهرت لي بعض الخطأ، والله على ما أقول شهيد »

ثم قال « ـ ١ ذكرت في مجلتك كما كتبت الى أحد قرائها في بيروت ما مفاده بان احمد المسيح الموعود عليه السلام كان أنبأ في كتابه ـ الهدى والتبصرة لمن يرى ـ بوحي من الله عن موتك في حياته ولكن نبوته لم تصدق إذ مات في حياتك وهذا ما أدرجته في منارك بنصه :

« وقد رددنا عليه في حياته بما أظهر بهتانه حتى بنفس مماته فانه كان رد علينا في كتابه الهدى والتبصرة لمن يرى فزعم انه قد جاءه الوحي بان صاحب المنار (سيهزم فلا يرى نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى) يعني ان الله تعالى وعده بأن ينتقم له منه، ولكنه مات ولم تقر عينه بموتنا ولا بمصيبة يفسر بها وحيه الشيطاني »

فقبل أن أبين لك خطأك الفادح في فهم هذا النبأ الذي تم صدقه بكل وضوح اقول ان نفس مماته عليه السلام كان دليلا على صدقه لا على بهتانه كما تزعم لان الله أخبره عن عمره قبل وفاته بثلاثين سنة بقوله « ثمانين حولا أو قريبا من ذلك » وقد توفى عن ٧٥ سنة توالى عليه الوحي في السنوات الاخيرة منها بشأن الوفاة اذ اخبره الله في ديسمبر سنة ١٩٠٥ بقوله « قرب أجلك القدر » وقال له في

٧ نوفمبر سنة ١٩٠٧ « موت قريب هي » أي ان الموت قريب . وكذلك أوحى اليه بهذا المعنى مرتين في ٧ مارس سنة ١٩٠٨ و ٣ نيسان سنة ١٩٠٨ ونشرت هذه الانباء في حينها في الجرائد والمجلات وان وفاته عليه السلام في مايو سنة ١٩٠٨ طبق الانباء المذكورة بدليل ساطع على صدقه »

بعد هذا حصر الرد على عبارتي في الشق الاول مما فسرت به انذار مسيحه وهو موتي ، وترك الشق الثاني وهو وقوع مصيبة بي يفسر بها وحيه الشيطاني ، وقد أطال في تخطئتي واستطال في التثريب علي والتأنيب لي والتحقير والتهديد بما يدل على هوسه العقلي ، في هذا الدجل الشيطاني ، فأقول :

زعم القادياني ان الله أخبره بعمره

أقول في تفنيد هذا الهوس (أولا) من كان واسع الاطلاع على التواريخ او الاختبار لاحوال الامم وأخبار الدجالين فيها يعلم أن الاغرار ينخدعون بامثال هذه الاخبار التي يسميها الدجالون كشفا وكرامات ، او وحياً ونبوات ، وان كان مثلها معتادا ، والصادق منها كثير الوقوع من غير من يعتقدون هذا الاعتقاد فيهم ، ولكن اغرار العوام قلما يميزون بين الصادق والكاذب ، فهذا الذي ذكره المصني من وحي مسيحهم القادياني ادل على كذبه منه على صدقه

فهو يقول ان الله تعالى أخبر مسيحهم عن عمره بقوله « ثمانين حولا أو قريباً من ذلك » أي هذا نص الوحي الذي خاطبه الله به ، ووجه دلالة هذا القول على كذبه في دعوى أنه وحي : تردده في تحديد العمر ، فلو كان هذا خبراً من الله تعالى وهو علام الغيوب لكان جزما بالتحديد ، وتعييناً لعدد الخمسة والسبعين ، وقد يزاد على هذا ان عدد ٧٥ لا يعد قريباً من عدد الثمانين في مثل هذا المقام لان الخطأ في العدد التقريبي هو ما كان في كسر السنة لا في عدة سنين

ثم ما فائدة هذا الوحي المتتابع من أواخر سنة ١٩٠٥ إلى ما يقرب من نصف سنة ١٩٠٨ وهي بعد استكماله لسن السبعين بتلك العبارات السخيفة ؟ وما الدليل على أن تلك الخواطر وحي من الله تعالى بتلك الالفاظ العامية ؟ ولماذا جاءه الوحي بتاريخ مسيح اليهود والنصارى ولم يجئه بتاريخ الهجرة المحمدية أو بتاريخ مسيحيته

هو؟ ومن المعلوم ان مسألة قرب الاجل مما يكثر خطوره في أذهان أكثر الناس في هذه السن ويكثر تعبيرهم عنه ،وقد اشتهر عن كثير من الناس ذكر قرب آجالهم في حال الصحة وذكر مواضع موتهم، ووقوع الحوادث على وفق الخواطر في هذه المسألة كثير

(ثانياً) ان انذاره لي كان كانذاره لأناس غيري في إبهامه واحتماله للتأويل وكذلك دأب الدجالين في نذُرهم وما يدعونه من الانباء بالغيب، فان اتفق صدقه هللوا وكبروا، أو طبلوا وزمروا، وزعموا انه يدل على صدقهم فيما زعموا، وان لم يتفق صدقه كما هو التمسوا له تأويلا ولو سلبياً كما فعل الحصني في رسالته هذه

ادعى انني جزمت بان انذار مسيحه لي نص بانني أموت قبله وأطال في ذلك بما أشرت اليه آنفا، وهذا كذب صريح وبهتان جلي علي فانني انما فسرته أنا بانه يعني به انتقام الله تعالى له مني، وانني لومت قبله لفسر هذا الانتقام بموتي، وكذلك لو أصابتني مصيبة لفسره بها أيضاً. فهذا الحصر الذي حمل عليه الحصني كلامي إما أن يكون عن جهل منه بمدلول الالفاظ العربية وحينئذ لا يكون أهلا للمناظرة في شيء قط لانه لا يفهم ما يكتب وما يقال، وإما أن يكون تحريفا متعمدا فيكون منافقا في مسيحيته الاحمدية هذه، ولا يغنيه ازراؤه بنا في رسالته، وتحدينا بنقل ألفاظ الوحي المنزلة باننا نموت قبله وتوبيخنا عليها، ولولا ان نقلها سفه وإضاعة لوقتنا ووقت القراء لنقلناها لاضحاك الناس على كاتبها، وانما نذكر منها ما يتعلق بالاحتجاج.

(ثالثا) قال ان مسيحه الدجال صرح في جريدته (الحكم) «انه ليس بضروري أن يموت أعداء الانبياء في حياتهم» واستثنى المباهل ثم قال مكررا للكلام: «هذا وان كل من دعا عليه المسيح الموعود وأخبره الله عن استجابته ذلك الدعاء بالوحي وكذلك من باهله على شرط أن يموت الكاذب في حياة الصادق أهلكه الله في حياته مثل اكسندر دوتي من أهالي أمريكا (١) وفريق من النصارى في الهند» وذكر أسماء أخرى. ثم توعدني بآيات القرآن فيمن يمدهم الله في طغيانهم يعمهون ويملي لهم ليزدادوا إنما الخ

وهذا عين ماقلته في ضلالهم وإضلالهم وهو ان من يموت من المكذبين له أو تصيبه

(١) هذا الرجل كان دجالا في النصارى كدجل غلام أحمد القادياني في المسلمين

مصيبة يقولون انه مات معجزة له، وتصديق للوحي الذي زعمه، ومن يبقى حياً يقولون انه مادعا عليه، وانه ماعاش إلا ليزداد طغيانا وإثما، ونحمد الله انه تعالى أحيانا حياة طيبة نقيم دينه بالقول والعمل، ونداقع عنه بالحجة، لاندع ملحدا ولا داعية كفر وضلالة، ولا أصحاب بدعة ولا أولي منكر إلا ونرد عليهم، ونفسر كتابه العزيز بما فضله العلماء المستقلون على جميع تفاسير الامة، لا كتحريف القادياني وأتباعه له بما يتبرأ منه الدين واللغة كزعمه ان البشارة به من معاني البسملة،

زعم الحصني صدق مسيحه فيما أوعدنا به

ثم انه رد علي بما زعمه ان ما قاله مسيحه في قد صدق ووقع وهو الهزيمة من مناظرته قال:

« وفهمك منه انه أراد موتك في حياته فان هذه الجملة لاتدل على ماذهبت اليه بتاتا، وليس فيها سوى ذكر الهزيمة، والهزيمة هي الفرار ابقاء على الحياة، فكيف يسوغ لك أن تفهم منها الموت، نعم ان النبأ واضح على فرارك من الميدان الذي دعاك إلى المبارزة فيه بصورة لاترى فيه أبدا، وان ما دعاك اليه هو كتابة كتاب مثل كتابه الذي تحداك به وجعله معياراً لصدقه كما قال في ص ٢٠ مانصه (ووفقت لتأليف ذلك الكتاب، فسأرسله اليه بعد الطبع وتكميل الابواب، فان أتى بالجواب الحسن وأحسن الرد عليه، فأحرق كتبي وأقبل قدميه، وأعلق بذيله، وأكيل للناس بكيله، وها أنا أقسم برب البرية، وأوكد العهد بهذه الالية » اه

(اقول) (اولا) بوجه الاجمال ان المسيح الدجال القادياني قد كذب وأخلف وعده بارسال الكتاب المذكور فليس لي علم بهذا الكتاب، وكذب الحصني في زعمه انه دعاني المبارزة في هذا الميدان ففررت منه بصورة لا أرى فيها أبدا !! فانا ظللت أرد عليه حتى هلك، وانما ميداني الواسع هو المنار، ولا أزال اجول فيه واصول، بسيف الله المسلول، وسنة الرسول ﷺ على انى ظهرت ورؤيت بفضل الله في ميادين اخرى لسانية لا كتابية كثيرة، منها ميدان بلاده الهندية، فقد زرت الهند ولقيت حفاوة وحفلات عظيمة بينت دجل القادياني وكذبه على الله في بعضها كما سأبينه بعد

(للمسألة بقية)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تنبيه ﴾ لقد ثقل علينا حمل ما علينا من الحق الادبي لمن يهدون الينا مؤلفاتهم فنسوف في تقريظها انتظاراً لفرصة نطاع فيها على ما يمكننا من معرفة مزاياها ، وهذه الفرص تفر منا أو تحول بيننا وبينها المسائل الضرورية ، وكل ما نكتبه في ابواب المنار لا يتوقف على بذل وقت طويل لاعطائه حقه ، فكثيراً ما نكتب باب الفتوى كله من غير مراجعة شيء من الكتب ، بل كتابة التفسير لا يتوقف إتقانها على مراجعة طويلة كباب التقريظ إذا أريد كتابته على علم ، لهذا عزمنا على الاختصار في تقريظ لم نقرأه منها والاعلام بها بالاجمال كما يفعل غيرنا من اصحاب المجلات (١)

﴿ تفسير القرآن ، بكلام الرحمن ﴾

تفسير وجيز لأحد علماء الهند المعاصرين المشهورين الاستاذ الشيخ ابو الوفاء ثناء الله الأمرتسري . وطريقته فيه تعلم من اسمه ، وبيانه انه يفسر الآية او الجملة ويستشهد على تفسيرها بآية او اكثر مما ورد بلفظها ومعناها او احدهما بحسب اجتهاده كقوله في تفسير الفاتحة بعد ذكر البسملة : ﴿ الحمد لله ﴾ اي قولوا ايها العباد نقرأ باسم الله الرحمن الرحيم لقوله تعالى [اقرأ باسم ربك الذي خلق] وقوله تعالى [الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى] ﴿ رب العالمين ﴾ الذي خلقهم وخلق اسباب رزقهم لقوله تعالى (قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين) [وذكر الآية التي بعدها] ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ هو العطوف على العباد بالايجاد والهداية الى الايمان وأسباب السعادة والاسعاد في الآخرة لقوله تعالى (الرحمن علم القرآن * خلق الانسان علمه البيان) وقوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما) لعلهما مترادفان فافهم الخ

وله في هذه الشواهد افهام دقيقة وأخرى غريبة . وقد طبع الكتاب في

(١) هذا التنبيه وما بعده من التقاريظ كتب منذ أشهر

المطبع البرقي انتاب في بلدة امرتسر سنة ١٣٣٧ طبعاً حسنا بلغت صفحاته زهاء اربعمائة صفحة وثمن النسخة منه ٣٠ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بشارع الانشاء بمصر

كتاب المساكين للرافعي

الاستاذ مصطفى صادق الرافعي صاحب هذا الكتاب أشهر من نار على علم، يراها كل أحد ولا يصل اليها أحد ، فهو معروف والمعروف لا يعرف ، ومجهول لا يوصف ، أو نكرة لا تتعرف، أوتي عقله نصيبا كبيراً من فلسفة النفس والاجتماع فهو يغوص في أعماقها، وأوتي خياله حظا عظيما من المعاني الشعرية فهو يطير في اجوائها ، واودع ذهنه مادة واسعة من اللغة العربية مفرداتها وأساليبها ،فهو يبرز النظريات الفلسفية،في صور من التخيلات الشعرية ، تتجلى في طرز طريفة (مودات) من الحلي والحلل اللغوية ، جمع فيها بين الاجادة في المنظوم والمنثور،وقلما تتفق الاجادة فيهما معا الا للاقلين كما قال الحكيم ابن خلدون،وبهذه المزايا كان أمة وحده في الكتاب والشعراء والمصنفين ، وكان جمهور قراء العربية يشكون شيئا من الغموض في كلامه، والحاجة الى التامل الكثير في بعضه لاستبانة مراده ، ولكن لا ينكر أحد من أولي الفهم ان كل قارىء له يرى فيه من فرائد اللغة ودقائق التعبير البليغ عن المعاني مالم يكن يعلمه ، فهو كثير الابتكار والابداع ، بغير مكابرة ولا نزاع ، ولو كان جمهور القراء يفهمون لغته حق الفهم لعم انتشارها،وأقبل الالوف على قراءتها

له عدة مصنفات أجلها موضوعا وأوضحها بيانا (اعجاز القرآن)وقد أعطيناه حقه من التقريظ فنشره معه .وطبع ثلاث مرات ، كانت الثالثة منها على نفقة جلالة الملك فؤاد ، ويليه(تاريخ آداب العرب تحت راية القرآن) ومنها(حديث القمر) ورسائل الاحزان والسحاب الاحمر ، وأوراق الورد ،وهذه الاربعة كتب فلسفة وشعر، وله شعر كثير، ليس له فيه ضريب ولا نظير

وأما كتاب المساكين الذي جعلناه ذريعة لتقريظها كلها فقد عرفه مصنفه بكلمة بين بها ما أراده منه وكتبها تحت اسمه وهي « أردت به بيان شيء من

حكمة الله في شيء من أغلاط الناس » وقد صدق في قوله ووفى بمراده ، ولقد كنت أعجز كما إخال ان كل أحد غيره يعجز عن تعريفه هذا .

ثم وصفه بكلمة أخرى قل انها من « قلم الغيب » وذكر انها أوحيت اليه في النوم ، وهي «هذا كتاب المساكين . فمن لم يكن مسكينا لا يقرؤه ، لانه لا يفهمه ، ومن كان مسكينا فحسبي به قارئا ، والسلام »

فان كان صدق في ان هذه الكلمة من قلم الغيب ، كما صدق في أن من لم يكن مسكينا لا يفهمه ، ، فانا أظن انه لا يوجد مسكين يفهمه ، ذلك بانني أظن انني مسكين ولم أفهمه ، إلا أن مسكنتي مسكنة أخلاق ، لا مسكنة إملاق ، ولا أدري أية مسكنة ينتحل منشيء كتاب المساكين ، الذي لا يفهمه من ليس بمسكين ، قرأت صفحات منه ففهمت بعض جمله ، وأعجبت ببعض حكمه ، واستعذبت بعض استعاراته التمثيلية والتخييلية ، ولكنني أقر بانني لا أفهمه كله فهما اجماليا يمكنني تلخيصه به ، ولا أفهم فصلا منه فهما تفصيلياً يمكنني من تفسيره لمن لم يفهمه ، ولا تفسير كل جملة من جمله ، فالكتاب في جملته من قلم الغيب ، هبط على عالم الشهادة ، وفي الاطلاع على عالم الغيب من اللذة الروحية والانس ما ليس في الاطلاع على عالم الشهادة ، وان حارت فيه الافهام ، وكان حلما من الاحلام . وقد طبع في مطبعة العصور ، وضبط الكثير من كلمه بالشكل وصفحاته ٢٨٧ وثمن النسخة منه عشرة قروش

الابداع في مضار الابتداع

كتاب جديد صنفه أخونا الاستاذ الشيخ علي محفوظ من تلاميذ الاستاذ الامام المدرس بقسم التخصص في الازهر الشريف «طبق ما قرره المجلس الأعلى من مناهج التعليم في السنة الثالثة لقسم الوعظ والخطابة في الازهر الشريف» فرغ من تأليفه سنة ١٣٤١ وطبع عقب ذلك ، ثم أعيد طبعه في آخر سنة ١٣٤٨ ، وقد ذكر المصنف في آخر الطبعة الثانية سبب إعادة طبعه فقال :

« لما ولي صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

مشيخة الجامع الازهر الشريف ورياسة مجلسه الاعلى كان من باكورة أعماله الحكيمة أن وجه (حفظه الله) عنايته إلى إصلاح نظام قسم الوعظ والخطابة ومناهجه إصلاحا يكفل للطلاب النبوغ في هذا الفن، ويتناسب مع روح العصر الحاضر، فأدخل تعديلا رشيداً في مواد الدراسة، وأضاف إلى مادة البدع والعادات زيادات ذات شأن. وقد عرض على مجلس الازهر الأعلى مذكرة بشأن هذا الاصلاح فوافق عليه في جلسة يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٧. وقد طبع هذا الكتاب المرة الثانية في ذي الحجة من السنة المذكورة وهي تمتاز عن الطبعة الاولى بتنقيحات مفيدة، مع تلك الزيادات التي أقرها المجلس الأعلى في الجلسة المذكورة - اقرأ الدليل»

ويعني بالدليل فهرس الكتاب وهو مؤلف من مقدمة وبابين وخاتمة. وفي المقدمة مبحثان: الاول إخبار النبي ﷺ بغربة الدين، والثاني الحث على التمسك بالدين واحياء السنة النبوية. والباب الاول في النظر في البدع من جهة الاصول والقواعد وفيه سبعة فصول وجله مستمد من كتاب الاعتصام للشاطبي، والباب الثاني في النظر في البدع من جهة فروعها وفيه اثنى عشر فصلا (١) في بدع المساجد (٢) في بدع المقابر والاضرحة وزيارة القبور وما فيها من المفاسد (٣) بدع الجنائز والمآتم (٤) في بدع الموالد (٥) منكرات الافراح (٦) بدع الاعياد والمواسم (٧) في البدع التي تقع في العبادات (٨) في بدع الطرق (أي طرق المتصوفة) (٩) في بدع الاعتقادات (١٠) في بدع الضيافة والولائم (١١) في بدع المعاشرة والعادات (١٢) في خرافات العامة وأوهامهم

وفي كل فصل من هذه الفصول مسائل كثيرة لخص فيها كتاب المدخل لابن الحاج وزاد عليه بعض ما حدث بعده من منكرات العادات، وبدع الضلالات ومسائل متفرقة في كتب كثيرة جمعها في زهاء ٣٠٠ صفحة بقطع المنار

ولم تكن كتابته لهذه المباحث كتآليف أكثر المتأخرين من علماء الازهر وأمثالهم التي لا تعدو اختصار أحدهم لكتاب غيره وشرح آخر لبعض المختصرات بما ينقله من المطولات، هو تصنيف جديد حملته عليه حاجة العصر اليه، وكان له فهم ورأي فيما ينقله عن غيره

وجملة القول ان هذا الكتاب من الكتب النافعة الجديرة بالانتشار ، ولعل ما ينتقد من مسائله قليل، فهو خير من كثير من الكتب التي ينقل عنها ويقول قال الامام فلان والعلامة فلان ، واذا كان لايسلم من الخطأ في مسائله ، فهو أولى بألا يسلم من الغلط في طبعه ، وان قال في آخر فهرسه انه « قد استغنى عن بيان الخطأ والصواب فيه لسلامته من الخطأ !! » وسنعود إلى بيان الشواهد على هذا إن وجدنا فرصة . وثمن النسخة منه ١٠ قروش وهو يطلب من مكتبة المنار

مطبوعات دار الكتب المصرية

﴿ كتاب الاغاني ﴾ أصدرت الجزء الثالث من هذا الكتاب المشهور على نسق ماقبله في الجودة وإتقان الطبع وقد قرظنا الكتاب في الجزء الاخير من المجلد ٢٩ وثمن هذا الجزء كغيره ٢٥ قرشاً

﴿ نهاية الارب في فنون الادب ﴾ أصدرت الجزء السابع منه وهو في فنون الكتابة ومنها أنواع البديع وصفحاته ٣١٢ وثمنه ١٥ قرشا

﴿ عيون الاخبار ﴾ أصدرت الجزء الرابع منه، وموضوعه (كتاب النساء في أخلاقهن وخلقهن وما يختار منهن وما يكره) وهو زهاء ثلاثمائة صفحة . وفيه مقدمة حافلة في ترجمة المؤلف تزيد صفحاتها على الخمسين وفيها كلام على هذا الكتاب وصور شمسية لبعض صحائفه الخطية . وثمنه ١٥ قرشا

﴿ ديوان مهيار الديلمي ﴾ أصدرت الجزء الثالث منه ولم تتم به قافية الميم وثمنه ١٥ قرشا، وكل هذه الكتب تطلب منها ومن مكتبة المنار بمصر

(الجزء الخامس من فهرس الكتب العربية) و يشتمل على فهرس التاريخ وملحق بالكتب العربية الواردة على الدار في سنة ١٩٢٩م)

﴿ جريدة الشورى ﴾ أختم هذا الجزء بتهنئة زميلنا الاستاذ محمد علي الطاهر بدخول جريدته الشورى في عامها السابع محمودة الخدمة للامة العربية عامة وللوطن الفلسطيني خاصة . وقد جاءته التهاني تترا من الاقطار العربية الشرقية والغربية وهو أهل لها أدام الله النفع بها والترقي لها

المنار

أنشئ ١٣١٥

نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

(٣٠ شعبان سنة ١٣٤٩ هـ ٢٨ الجدي سنة ١٣١٠ هـ ش ١٩ يناير سنة ١٩٣١)

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٧١) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ : يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧٢) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

هاتان الآيتان معطوفتان على الآيات الاربع التي قبلها لبيان المقابلة بين المؤمنين والمنافقين وما بينهما من التضاد في الاقوال والافعال التي يقتضيها الايمان - الذي يدعيه المنافقون كذبا وتقية - والجزاء عليه وعليها. قال عزوجل

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ تقدم بيان معنى الولاية بمعناها العام في تفسير قوله تعالى (٢ ٢٥٧ الله ولي الذين آمنوا)(١) وفي مواضع أخرى من أجزاء التفسير ، وولاية النصرة الحربيـة وما يتعلق بها في مواضع أهمها في شأن المسلمين وأهل الكتاب تفسير قوله تعالى (٥: ٤٥ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم اولياء بعض)(٢) وفي ولاية المؤمنين بعضهم لبعض والكفار بعضهم لبعض تفسير قوله تعالى (٨ : ٧٢و ٧٣)(٣)

ولاية المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض في هذه الآية تعم ولاية النصرة ، وولاية الاخوة والمودة ، ولكن نصرة النساء تكون فيما دون القتال بالفعل ، فللنصرة أعمال كثيرة ، مالية وبدنية وأدبيـة ، وكان نساء النبي ﷺ ونساء أصحابه يخرجن مع الجيش يسقين الماء ويجهزن الطعام ، ويضمدن جراح الجرحى ، وفي الصحيح ان فاطمة عليها السلام كانت هي وأم سليم وغـيرها ينقزن قرب الماء في غزوة أحد ويسرعن بها إلى المقاتلة والجرحى يسقينهم ويغسلن جراحهم. وكان النساء يحرضن على القتال ، ويرددن المنهزم من الرجال ، قال حسان:

يظل جيادنا متمطرات   يلطمهن بالخُمُر النساء

وفي سيرة الخنساء رضي الله عنها انها كانت تحرض أبناءها على القتال بشعرها كلما قتل واحد حتى اذا ماقتل الثالث قالت : الحمد لله الذي أكرمني بشهادتهم. هذا شأن الخنساء في الاسلام وكانت من أرق النساء قلبا، وأكمدهن حزنا ، ورثاؤها لاخويها ملأ أندية الادب شجوا وشجنا . ونكتة الفرق بين المؤمنين والمنافقين في الوصف المتقابل هنا ان المنافقين لا ولاية بينهم بأخوة تبلغ فضيلة الايثار ، ولا تناصر يبلغ لاقدام على القتال ، لان النفاق شكوك وذبذبة من لوازمهما الجبن والبخل ، وهما الخلقان المانعان من التناصر ببذل النفس والمال ، بل قصاراه التعاون بالكلام

(١) ص ٤٠ — ٤٥ ج ٣ تفسير (٢) ص ٤٢٥ — ٤٣٠ ج ٧ (٣) ص ١٠٤ ج ١٠

ومالا يشق من الاعمال. وانما تكون ولاية التناصر بالقتال لأصحاب العقائد الثابتة، والملة الراسخة، سواء كانت حقا أو باطلة، ولذلك أثبتها القرآن لليهود والنصارى بعض كل منهما لبعض وللكفار على الاطلاق، ولم يثبتها للمنافقين الخاص بعضهم مع بعض، بل كذب منافقي المدينة في وعدهم لليهود حلفائهم بنصرهم على النبي ﷺ والمؤمنين إذا قاتلوهم في قوله (٥٩: ١١ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنكم، والله يشهد إنهم لكاذبون (١٢) لئن أخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)

فهذا ما يتعلق بالمقابلة بين المؤمنين والمنافقين في علاقة بعضهم ببعض، وخلاصته ان المنافقين يشبه بعضهم بعضاً في شكهم وارتيابهم ونفاقهم وآثاره من قول وعمل، وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض في الولاية العامة من اخوة ومودة وتعاون وتراحم، حتى شبه النبي ﷺ جماعتهم بالجسد الواحد، وبالبنيان يشد بعضه بعضاً، وولاية النصرة في الدفاع عن الحق والعدل، والملة والوطن، وإعلاء كلمة الله عز وجل، وفي آثار ذلك من القول والعمل المضاد لما عليه المنافقون وهو ما يبينه بياناً مستأنفاً بقوله

﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ كما ان المنافقين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهاتان الصفتان من أخص صفات المؤمنين التي يمتازون بها على المنافقين وعلى غيرهم من الكفار، وهما سياج حفظ الفضائل، ومنع فشو الرذائل، فراجع مزاياهما في تفسير (٣: ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)[1] وقد فضل الله تعالى بهما أمة محمد (ص) على سائر الامم في قوله (٣: ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) الآية[2] وورد في فرضيتهما وفوائدهما آيات أخرى وأحاديث حكيمة

﴿ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾ أي يؤدون الصلاة المفروضة وما شاؤا من التطوع على أقوم وجه وأكمله في شروطها وأركانها وآدابها ولا سيما الخشوع

(١) ص ٢٥ ج ٤ تفسير (٢) ٥٦ منه

لله تعالى وكثرة ذكره فيها ، وما يوجبه الايمان من حضور القلب في مناجاته ، ويعطون الزكاة المفروضة عليهم لمن فرضت لهم في الآية الستين من هذه السورة وما وفقوا له من التطوع . وفائدة اقامة هذين الركنين من أركان الاسلام مع الاخلاص في الايمان قد بينه الله تعالى في قوله (ان الانسان خلق هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا * الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين) الآيات ، فالصلاة والزكاة علاج لما في جبلة الانسان من الهلع والجبن الحاجز له عن الاقدام في الدفاع عن الحق وإعلاء كلمة الله ، ومن الشح الصادّ له عن الانفاق في سبيل الله ، ولذلك كان المنافقون أجبن الناس وأبخلهم .

وقد جعل الله تعالى هذه الاربع غاية للاذن للمؤمنين بقتال من يقاتلونهم ويعادونهم في الدين ، وسببا لنصرهم وتمكينهم في الارض بالملك والسيادة ، إذ قال بعد أول مانزل من الاذن لهم في القتال (٢٢ : ٣٩ الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وبهذه الصفات فتح المسلمون الفتوحات ، ودانت لهم الامم طوعا ، وبتركها سلب أكثر ملكهم ، والباقي على وشك الزوال ان لم يتوبوا إلى ربهم ، ويرجعوا الى هداية دينهم ، ولا سيما اقامة هذه الاركان منه

واقامة المؤمنين للصلاة يقابل في صفات المنافقين نسيانهم لله عز وجل ، لان روح الصلاة مراقبة الله تعالى وذكره بالقلب واللسان ، ولا فائدة لها بدون ذلك كما قال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر) أي ان ذكره الذي شرعت الصلاة له هو أكبر من كل شيء ، إذ به يستحكم للمؤمن ملكة المراقبة لله تعالى في جملة أحواله وأعماله ، فينتهي عن الفحشاء والمنكر ، وتزكو نفسه ، وتعلو همته ، وتكمل شجاعته ، ويتم سخاؤه ونجدته ، ولذلك قال (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال لموسى عليه السلام (وأقم الصلاة لذكري)

وايتاء المؤمنين للزكاة يقابل في صفات المنافقين قوله (ويقبضون أيديهم) ولقد كان المنافقون يصلون ولكنهم لم يكونوا يقيمون الصلاة ، وكانوا يزكون

وينفقون، ولكن خوفا أو رياء لا طاعة لله، وقد تقدم في هذا السياق (٥٣ ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) وتقدم في سورة النساء (٤ : ١٤١ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ومن لم يتدبر هذه الآيات كلها والمقارنة بين صلاة المؤمنين وصلاة المنافقين وزكاتهما لا يفقه حكمة الله تعالى في هذين الركنين اللذين هما أعظم أركان الاسلام، وهذا الفقه لا يجده طالبه فيما يسميه الناس كتب الفقه، وان زعم الخاسرون الجاهلون انها تغني عن هداية كتاب الله تعالى، وانه لم يبق للمسلمين فائدة منه الا التعبد بتلاوته، والتبرك بمصاحفه، وكذا اتجار بعض حفاظ ألفاظه بتغنيهم به !!

ثم قال ﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾ أي يستمرون على الطاعة، بترك ما نهوا عنه وفعل ما أمروا به بقدر الاستطاعة، وهو يقابل وصفه المنافقين بأنهم هم الفاسقون، فان الفسق هو الخروج من حظيرة الطاعة كما تقدم، وقوله تعالى : ﴿ أولئك سيرحمهم الله ﴾ يقابل نسيانه تعالى المنافقين ولعنه لهم كما علم مما فسرناهما به آنفاً. والمراد انه تعالى يتعهد المؤمنين والمؤمنات برحمته الخاصة المستمرة في مستقبل أمرهم في الدنيا والآخرة باستمرارهم على طاعته وطاعة رسوله، وقد قال المحققون من علماء العربية ان السين في مثل «سيرحمهم» لتأكيد الاثبات كما أن «لن» لتأكيد النفي، وكلتاهما للمستقبل. وقوله ﴿ ان الله عزيز حكيم ﴾ تذييل لتعليل هذا الوعد المؤكد وهو انه تعالى عزيز لا يمتنع عليه شيء من وعده ولا من وعيده، وحكيم لا يضع شيئا منهما الا في موضعه، ولولا ان الوعد هنا للمقابلة بالوعيد الذي قبله لكان المناسب ان يقال : ان الله غفور رحيم

ولما ذكر صفاتهم ورحمته لهم بالاجمال، بين ما وعدهم من الجزاء المفسر لرحمته المؤكدة بالتفصيل، في مقابلة ما أوعد به المنافقين واخوانهم الكفار تفسيراً لنسيانه لهم، فقال ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾ الآية نص في مساواة النساء

للرجال في نعيم الآخرة كله حتى أعلاه ، بالتبع لمساهمتهن لهم في التكليف وولاية الايمان، إلا ماخصهن الشرع به لضعفهن، وانفرادهن بوظائفهن الخاصة بهن، إذ حط عنهن وجوب القتال ، والصلاة والصيام في بعض الاحوال، وهذا من المعلوم بالضرورة من أحكام الاسلام، وإن جهله أو تجاهله أعداؤه الطغام، والجنات البساتين الملتفة الاشجار بحيث تجن الارض أي تغطيها وتسترها . وجريان الانهار من تحت أشجارها، مزيد في جمالها، ومانع من أسون مائها، والخلود فيها عبارة عن المقام الدائم ، وتقدم مثله مرارا

وأما المساكن الطيبة في جنات عدن فهي الدور والخيام، التي يطيب لساكنها فيها المُقام في ذلك المَقام، لاشتمالها على جميع المرافق والاثاث والرياش والزينة والرزق الذي تتم به راحة المقيم فيها وغبطته، ومنها الغرفات التي قال الله تعالى فيها (٣٤: ٣٧ وهم في الغرفات آمنون) وقال (٢٩: ٥٨ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها نعم أجر العاملين) وقال (٣٩: ٢٠ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار)

وأما إضافة هذه الجنات الى [عدن] فقد تعددت في التنزيل بما جاوز جمع القلة ومعنى العدن في اللغة الاقامة والاستقرار والثبات، يقال عدن في مكان كذا (من بابي ضرب وقعد) أقام وثبت فيه ، ومنه المعدن لمستقر الجواهر كالذهب والفضة والماس وغيرها. وفسروها بقولهم: جنات اقامة وخلود كقوله تعالى (جنة الخلد - وجنة المأوى) ولكن هاتين وردتا باللفظ المفرد مضافا إلى معرفة ، فهما اسمان لدار النعيم كلفظ الجنة في مثل (ادخلوا الجنة - و- يدخلون الجنة) وسيأتي في سورة يونس (تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم) وأما «جنات عدن» فهو جمع اضيف الى هذا اللفظ المفرد (عدن) فجعله بمعنى إقامة - كما قيل - يقتضي جعله مكررا مع قوله قبله (جنات تجري من تحتها الأنهار) لانها وصفت بالاقامة وبالخلود فيها أيضا ، على ما في تنكير عدن بهذا المعنى من الضعف ، فوجب أن يكون لفظ عدن معرفة، ومعنى التركيب : في جنات المكان المسمى بهذا الاسم (عدن) . وقد ورد في الاحاديث مايفسر هذا وهو ذكر جنة عدن باللفظ المفرد المضاف ، وفي بعضها مايدل على أن المراد بها مكان أو منزل من منازل دار النعيم كالفردوس

الذي هو أوسط الجنة أو أعلاها ، وهو ما يكون فيه تجلي الرؤية ، التي هي أعلى النعيم وأكمل المعرفة ،:

روى الشيخان من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه (وهو أبو موسى الاشعري رضي الله عنه) في تفسير آيات سورة الرحمن (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله بعد وصفهما (ومن دونهما جنتان) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما من فضة ، وجنتان من ذهب ، آنيتهما وما فيهما من ذهب ، وما بين القوم وبين أن ينظروا ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » أي حالة كونهم في جنة عدن ، فالمتبادر من هذا أن جنة عدن مكان سام في طبقة من طبقات الجنة ، لا انها نكرة مضافة الى نكرة . ومجموع الحديث والآيات يدل على ان عدنا منزل في أعلى الجنة ، وان فيه جنات أي بساتين متعددة ، لكل من خاف مقام ربه منها جنتان ، ومن دونها جنتان ، وهي كالاربع الموصوفة في سورة الرحمن

ويقرب من حديث ابي موسى المتفق عليه حديث ابي هريرة المتفق عليه ايضا « ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن » فيفهم منه ان الفردوس هو جنة عدن ، وهذا ما قاله مقاتل والكلبي قالا : عدن أعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنات محدقة حولها الخ وتتمته في تفسير البغوي . وقد ثبت في المرفوع أن أعلى درجة في الجنة على الاطلاق تسمى الوسيلة وهي درجة النبي صلى الله عليه وسلم التي طلب منا أن نسألها له في دعاء الاذان « اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، والدرجة الرفيعة ، وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته » فهذه درجة خاصة ،

ومن هنا يعلم أن قوله تعالى ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ بعد ذكر جنات عدن يراد به أعلى درجات الرضوان ، وما هو الا مقام رؤية الرب تعالى التي تكمل بها معرفة الرحمن ، وتتم سعادة الانسان ، فالانسان جسد وروح ، ففي الجنات ومساكنها أعلى النعيم الجسماني ، ورضوان الله الاكبر الذي هو أعلى النعيم الروحاني ، فالتنوين فيه

للتعظيم، والدليل على ما حررته أنه لم يعطف مفردا على ما قبله مما وعدوا به على الايمان وأعماله لأنه فوق كل جزاء، كما أشير اليه في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) بل جاء مرفوعا في اللفظ كرفعة معناه، في جملة مستقلة تقديرها: وهنالك رضوان من الله أكبر وأعظم من تلك الجنات وما فيها . لا يقدر قدره، ولا يكتنه سره

فهذا ما يفهم بمعونة الحديث من اختلاف اعرابه ووصفه باسم التفضيل (أكبر) وقد ورد لفظ (رضوان) معطوفا على ما قبله غير موصوف بهذا الوصف ولا موصولا بكونه من الله في آية (٢١ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان) من هذه السورة وذكرت في تفسيرها ما ورد من قوله تعالى في سورة آل عمران (ورضوان من الله) معطوفا على الجنات والازواج. فهل يجوز في بلاغة القرآن ان يكون ماهنا من اختلاف الاعراب ووصف أكبر بغير فائدة ؟ وهل نجد له من الفائدة ماهو أليق به مما ورد في الحديث الصحيح من نعمة الرؤية ؟ كلا، ولم يبين هذا بنص صريح في القرآن، لئلا يكون فتنة لمن لم تسم أرواحهم الى إدراك هذه المعان، فحكمته الرحمة بضعف الانسان، واللبيب يفهم بالاشارة بعض مالا يفهمه الغبي بأفصح عبارة، أفلم تر كيف اختلف الالباء في فهم قوله سبحانه (وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناظرة)

وأما تحقيق معنى الرؤية والحكم فيما اختلفوا فيه من معنى هذه الآية، ومعنى رداء الكبرياء وغيره من الحجب التي تحجب العبد عن ربه، فقد فصلته في تفسير سورة الاعراف تفصيلا يقربه من العقل والعلم (صفحة ١٢٨ ـ ١٧٨ ج ٩ تفسير) فهو وما هنا مما انفرد هذا التفسير بتحقيقه بالهام الله تعالى وفضله وله الحمد والمنة :

ووجه المقابلة الضدية بين ماهنا وما في وعيد المنافقين قبله ظاهر، فالجنات التي تجري من تحتها الانهار والخلود فيها مقابل لنار جهنم والخلود فيها، والمساكن الطيبة في جنات عدن مقابل للعذاب المقيم، ورضوان الله الاكبر للمؤمنين مقابل لعنة الله للمنافقين والكافرين، اذ هي الطرد والحرمان من رحمته الخاصة، نعوذ بوجهه

﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ أي ذلك الذي ذكر من الوعد للمؤمنين والمؤمنات بالنعيم الجسماني والروحاني، هو الفوز العظيم الذي يجزى به أولئك المؤمنون الصالحون المصلحون دون غيره من هذه الحظوظ الدنيوية الخسيسة الفانية التي يتكالب عليها الكفار

والمنافقون الفاسدون المفسدون، وانما هي في نظر المتقين بلغة عامل، وزاد مسافر،
فما على المؤمن إلا أن يحاسب نفسه وينصب لها الميزان، من كفة المؤمنين وكفة المنافقين في هذه الآيات، ويحكم لها أو عليها بحكم الله عز وجل لا بهواها، ولا يغترن أحد بلقب الاسلام، ولا بدعوى الايمان، الا اذا شهد بصدقه القرآن

وقد ورد في وصف الجنة ودرجاتها وحورها روايات كثيرة منها المنكر والموضوع، والمرسل والموقوف، ومن المرفوع منها ما أخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه عن الحسن انه سأل عمران بن حصين وأبا هريرة عن تفسير (ومساكن طيبة في جنات عدن) فذكر انهما قالا له: على الخبير سقطت وانهما سألا عنها رسول الله ﷺ وذكرا وصفا طويلا منه، أنه يوجد هنالك ألوف من البيوت في كل منها ألوف من الحور العين. . وهو منكر لا يصح له متن ولا سند. وقد قال المحقق ابن القيم: إنه لم يثبت في نساء الجنة حديث صحيح بأكثر من زوجين لكل رجل، وقد روى ابن ابي شيبة عن كعب الاحبار معنى هذا الحديث والظاهر أن المرفوع من دسائسه أيضا

---

(٧٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٤) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا. وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

هاتان الآيتان تهديد للمنافقين، وانذار لهم بالجهاد كالكفار المجاهرين، إذا استرسلوا بهذه الجرأة في اظهار ماينافي الايمان والاسلام، من الاقوال والافعال، كالقول الذي انكروه بعد ان اظهره الله عليه وكذبهم الله تعالى في انكارهم، أو بجهاد دون جهاد الكفار المحاربين، وأقله ألا يعاملوا بعد هذا الامر كمعاملة

المؤمنين الصادقين ، وأن يقابلوا بالغلظة والتجهم لا بالطلاقة والبشر واللين ، وغير ذلك مما يأتي بيانه في هذه السورة . قال عز وجل :

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ أي ابذل جهدك في مقاومة الفريقين الذين يعيشون مع المؤمنين بمثل ما يبذلون من جهدهم في عداوتك، وعاملهم بالغلظة والشدة الموافقة لسوء حالهم ، وقدم ذكر الكفار في جهاد الدنيا لأنهم المستحقون له باظهارهم لعداوتهم له (ص) ولما جاء به ، والمنافقون يخفون كفرهم وعداءهم ويظهرون الاسلام فيعاملون معاملة المسلمين في الدنيا ، وقدم ذكر المنافقين في جزاء الآخرة لان كفرهم اشد ، وعذرهم فيه اضعف ، وقد تقدم تفسير الجهاد بمعناه العام المستعمل في القرآن وبمعناه الخاص بالقتال في مواضع اجمعها الاستطراد الذي كتبناه في آخر آية الجزية (ص٣٠٦ ج١٠) وفيها ان الجهاد مشاركة من الجهد وهو الطاقة والمشقة كالقتال من القتل ، وانه حسي ومعنوي ، وقولي وفعلي ، واتفق علماء الملة على ان المنافقين يعاملون بأحكام الشريعة كالمسلمين الصادقين ، فلا يقاتلون إلا إذا اظهروا الكفر البواح بالردة ، أو بغوا على جماعة المسلمين بالقوة ، أو امتنع بعض طوائفهم من اقامة شعائر الاسلام وأركانه.
وروي في تفسير الآية المأثور عن ابن عباس (رض) قال : جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان ، ففسر الكفار هنا بالحربيين ، وعن ابن مسعود (رض) قال لما نزلت (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) أمر رسول الله ان يجاهد بيده ، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، فان لم يستطع فليلقه بوجه مكفهر ، فقوله « فليلقه » يفهم منه ان هذا في جهاد الافراد بالمعاملة ، لا في جهاد الجماعات بالمقاتلة ، فهو إذا بمعنى ازالة المنكر في قوله (ص) «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » رواه الجماعة - إلا البخاري - من حديث ابي سعيد الخدري (رض) وزاد ابن مسعود لقاء الكافر أو المنافق بوجه مكفهر أي عبوس مقطب، ولكن لا يظهر جعله دون كراهة القلب ، ولا ان كراهة القلب لا تستطاع ، ولم نقف على سند هذا الحديث فنعرف مكانه من الصحة.

وكان من شمائله (ص) طلاقة الوجه والبشاشة في وجوه جميع من يلقاهم حتى الكفار والمنافقين ، روى الشيخان وابو داود والترمذي عن عائشة ان رجلا استأذن على النبي (ص) فلما رآه قال « بئس اخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة» فلما جلس تطلق النبي (ص) في وجهه وانبسط اليه ، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة : يارسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا و كذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه ، فقال رسول الله (ص) « ياعائشة متى عهدتني فاحشا ؟ ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» وكان ذلك الرجل على الراجح عيينة بن حصن الذي تقدم ذكره في المؤلفة قلوبهم في سياق قسمة الغنائم بعد غزوة حنين وسياق مصارف الزكاة ، وكان سيد قومه على حماقته فلقب بالاحمق المطاع وقد أسلموا تبعاً له فكان اسلامهم أصح من اسلامه

ولا تعارض بين الحديثين لان حديث عائشة في شمائل النبي وآدابه العامة، وحديث ابن مسعود في معاملة خاصة بالمنافقين والكفار هي من قبيل العقوبة ، فالاول بمعنى قوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وفي معناه احاديث كثيرة ، والثاني مفسر للآية التي نحن بصدد تفسيرها وفي معناها قوله تعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) والغلظة في اللغة الخشونة والشدة ، ومعاملة العدو المحارب بوضع الشيء في موضعه ، ومعاملته باللين والرحمة وضع لهما في غير موضعها

ووضع الندى في موضع السيف في العلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى

واما الاعداء غير المحاربين كالمنافقين الذين قال الله عنهم لرسوله (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون) والكفار المعاهدين والذميين فكان (ص) يعاملهم اولا بلطفه ولينه بناء على حكم الاسلام الظاهر ، وكانت هذه المعاملة هي التي جرأت المنافقين على اذاه بما تقدم في هذا السياق ، ومنه قولهم فيه (هو اذن) وكذلك كفار اليهود كان (ص) عاهدهم ووفى لهم ، وكانوا يؤذونه حتى بتحريف السلام عليه بقولهم : السام عليكم وهو الموت فيقول « وعليكم » ثم تكرر نقضهم لعهده حتى كان من امرهم ما تقدم بيانه في تفسير سورة الانفال

(ص٩٤٩ج١٠) فأمره الله تعالى في هذه الآية بالغلظة على الفريقين في جهاده التأديبي لهم — ومثلها بنصها في سورة التحريم — وهو جهاد فيه مشقة عظيمة، لانه موقف وسط بين رحمته ولينه للمؤمنين المخلصين، وعداوته وقتاله للاعداء الحربيين، يجب فيه إقامة العدل واجتناب الظلم. ومن كلام عمر (رض) فيه: أذلوهم ولا تظلموهم. وهذه الغلظة الارادية (أي غير الطبيعية) تربية للمنافقين وعقوبة، يرجى ان تكون سببا لهداية من لم يطبع الكفر على قلبه، وتحيط به خطايا نفاقه، فان اكفهراره (ص) في وجوههم تحقير لهم يتبعه فيه المؤمنون، وبه يفقدون جميع منافع اظهار الاسلام الادبية، ومظاهر اخوة الايمان وعطفه، فمن رأى أنه محتقر بين قومه وابناء جنسه من الرئيس والامام الاعظم وغيره يضيق صدره، ويرجع الى نفسه بالمحاسبة، فيراها اذا انصف وتدبر مليمة مذنبة، فلا يزال ينحي عليها باللائمة، حتى تعرف ذنبها، وتثوب إلى رشدها، فتتوب الى ربها، وهي سياسة حكمة كانت سبب توبة اكثر المنافقين، وإسلام الوف الالوف من الكافرين.

هذا. وان معاشرة الرئيس من امام وملك وأمير لمنافقي قومه بمثل ما يعاشر به المخلصين منهم، فيه توطين لانفسهم على النفاق، وحمل لغيرهم على الشقاق، فكيف إذا وضع المحاسنة موضع المخاشنة، والايثار لهم، حيث تجب الاثرة عليهم، وبالغ في تكريمهم بالحباء والاصطفاء، لمبالغتهم في التملق له ودهان الدهاء، والاطراء في الثناء، فان هذه المعاملة مفسدة لاخلاق الدهماء، ومثيرة لحفائظ المخلصين الفضلاء، وكم أفسدت على الملوك الجاهلين امرهم، وكانت سببا لاضاعة ملكهم.

﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ هذا جزاؤهم في الآخرة عطفه على جزائهم في الدنيا، فهم لا مأوى لهم يلجئون اليه هنالك إلا دار العذاب الكبرى، التي لا يموت من أوى اليها ولا يحيا، فهم يصيرون اليها معتولين، ويدعُّون اليها مقهورين، لا يأوون اليها مختارين، وبئس المصير هي (انها ساءت مستقرا ومقاما)

﴿ يحلفون بالله ماقالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾ هذا استئناف لبيان السبب المقتضي لجهادهم كالكفار، وهو انهم أظهروا الكفر بالقول،

وهموا بشر ما يغري به من الفعل، وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أظهره الله على ذلك ، وأنبأه بأنهم سينكرونه اذا سألهم عنه ، ويحلفون على انكارهم ليصدقوا ، كدأبهم الذي سبق ؛ (اتخذوا أيمانهم جُنة) وكانوا يحلفون للمؤمنين ليرضوهم ، وكانوا يخوضون في آيات الله وفي رسوله بما هو استهزاء خرجوا به من حظيرة الايمان الذي يدعونه ، الى محظور الكفر الذي يكتمونه . وفي هذه الآية اسناد قول آخر من الكفر اليهم ينافي الاسلام الظاهر ، فضلا عن الايمان الباطن . والمعنى يحلفون بالله أنهم ما قالوا تلك الكلمة التي أسندت اليهم والله تعالى يكذبهم ويثبت بتأكيد القسم و« قد » أنهم قالوا كلمة الكفر التي رويت عنهم ، ولم يذكر الكلمة التي نفوها وأثبتها ، لانها لا ينبغي أن تذكر في نص الكتاب فيتعبد المسلمون بتلاوتها ؛

وقد اختلف رواة التفسير المأثور في تعيينها والقائلين لها ، فعن ابن عباس وأنس وعروة انها نزلت فيمن قال منهم : لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير . وفيه عدة روايات تقدم بعضها في الذين قالوا (انما كنا نخوض ونلعب) وامثلها وابسطها ما أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عروة ان رجلا من الانصار يقال له الجلاس (بضم الجيم) ابن سويد قال ليلة في غزوة تبوك : والله لئن كان مايقول محمد حقا لنحن شر من الحمير ، فسمعه غلام له يقال له عمير بن سعد ـ وكان ربيبه ـ فقال : أي عم تب إلى الله . وجاء الغلام إلى النبي (ص) فاخبره فارسل النبي (ص) اليه فجعل يحلف ويقول والله ما قلت يارسول الله ، فقال الغلام بلى والله لقد قلته فتب إلى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته ، فجاء الوحي إلى النبي (ص) فسكتوا فلا يتحركون إذ نزل الوحي ، فرفع عن النبي (ص) فقال (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ـ إلى قوله ـ فان يتوبوا يك خيراً لهم) فقال قد قلته وقد عرض الله علي التوبة فانا أتوب ، فقبل منه ذلك ، وقتل له قتيل في الاسلام فوداه رسول الله (ص) فاعطاه ديته فاستغنى بذلك وكان هَمَّ ان يلحق بالمشركين وقال النبي (ص) للغلام « وعت اذنك » واخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين قال : لما نزل القرآن أخذ النبي (ص) بأذن عمير فقال له « ياغلام وعت اذنك وصدقك ربك » اه وقد أشار الحافظ الذهبي إلى ضعف حديث جلاس هذا مع قوله

انه كان من المنافقين وتاب. وروي انه كان من المخلفين لم يحضر غزوة تبوك

وأخرج ابن جرير والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس (رض) قال كان: رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة فقال «انه سيأتيكم انسان ينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جاء فلا تكلموه» فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال «علام تشتمني أنت وأصحابك؟» فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماقالوا حتى تجاوز عنهم وأنزل الله (يحلفون بالله ماقالوا) الآية

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار، وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني، فقال عبد الله بن أبيّ للأوسي انصروا أخاكم، والله مامثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك. والله (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل) فسعى بها رجل من المسلمين الى رسول الله ﷺ فأرسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) الآية

وأقول: ان قول عبد الله بن أبي هذا قد رواه الشيخان وغيرهما فأخرجه البخاري في تفسير سورة المنافقين وانه كان في غزاة، وذكر الحافظ في شرحه عن محمد بن كعب عن زيد بن أرقم عند النسائي وعن سعيد بن جبير مرسلا عند عبد بن حميد باسناد صحيح انها غزوة تبوك، وان الذي عليه اهل المغازي انها في غزوة بني المصطلق. وان هذا القول كان سبب نزول سورة المنافقين، وليس فيه ان آية براءة التي نفسرها نزلت في ذلك. وحديث البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله من طريقين ان الخصام الذي كان سبب قول ابن أبي [لعنه الله] ماقال كان بين مهاجري وانصاري وذكر الحافظ في شرحه رواية قتادة في ذلك، وفي المسألة روايات أخرى ولا مانع من التعدد عقلا، وإن لم يصح نقلا. وابن أبي كان من المخلفين لم يخرج في غزوة تبوك كالجلاس.

﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ وهو اغتيال رسول الله ﷺ في العقبة منصرفه من تبوك. ذكر ابن القيم في هذه المسألة من زاد المعاد مانصه:

ذكر ابو الاسود في مغازيه عن عروة قال: رجع رسول الله ﷺ قافلا

من تبوك إلى المدينة ، حتى اذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله ﷺ ناس من المنافقين فتآمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق ، فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غشيهم رسول الله ﷺ أخبر خبرهم فقال « من شاء منكم أن يأخذ ببطن الوادي فانه أوسع لكم » وأخذ رسول الله ﷺ العقبة وأخذ الناس ببطن الوادي الا النفر الذين هموا بالمكر برسول الله ﷺ لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بأمر عظيم ، وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه، وأمر عمارا أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة أن يسوقها فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم ، وأبصر حذيفة غضب رسول الله ﷺ فرجع ومعه محجن واستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضربا بالمحجن وأبصر القوم وهم متلثمون ولا يشعر إلا أن ذلك فعل المسافر، فأرعبهم الله سبحانه حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه فأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ فلما أدركه قال « اضرب الراحلة ياحذيفة وامش أنت ياعمار وراءها » فأسرعوا حتى استووا بأعلاها ، فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس فقال النبي ﷺ لحذيفة « هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب أحداً ؟ » قال حذيفة عرفت راحلة فلان وفلان، وقال كانت ظلمة الليل وغشيتهم وهم متلثمون فقال رسول الله ﷺ « هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا ؟ » قالوا لا والله يارسول الله، قال « فانهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا طلعت في العقبة طرحوني منها » قالوا او لا تأمر بهم يارسول الله إذاً فنضرب أعناقهم ؟ قال « أكره أن يتحدث الناس ويقولوا ان محمداً قد وضع يده في اصحابه » فسماهم لهما وقال « اكتماهم »

وهذا السياق رواه البيهقي وغيره من هذه الطريق ، وقد روى القصة ابن اسحاق في سيرته وذكر اسماء أولئك الرهط بما أنكروا عليه بعضه، والصحيح في عدد هؤلاء المنافقين مارواه مسلم من حديث عمار وحذيفة اللذين كانا مع راحلة النبي ﷺ في العقبة وقد أخبرهما بأسمائهم وأمرهما بكتمانها فقد روى في صحيحه من

حديث قيس بن عباد قال قلنا لعمار أرأيت قتالكم (١) أرأياً رأيتموه فان الرأي يخطىء ويصيب؟ أو عهداً عهده اليكم رسول الله ﷺ؟ فقال ماعهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده الى الناس كافة. وقال (٢) ان رسول الله ﷺ قال «ان في أمتي» — قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة، وقال غندر أراه قال «في أمتي — اثناعشر منافقا لايدخلون الجنة ولايجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدُّبيلة: سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم» (٣)

وروى بعده من حديث أبي الطفيل قال كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض مايكون بين الناس، فقال أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم اخبره إذ سألك. قال كنا نخبر انهم أربعة عشر فان كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله ان اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد، وعذر ثلاثة قالوا ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم، وقد كان في حرة فمشى فقال «ان الماء قليل فلا يسبقني اليه احد» فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ. اه

وقد ذكر الطبراني في مسند حذيفة أسماء أصحاب العقبة وروى عن ابن عبدالعزيز بن بكار انه قال: هم معتب بن بشير، ووديعة بن ثابت، وجد بن عبدالله ابن نبتل بن الحارث من بني عمرو بن عوف، والحارث بن يزيد الطائي، وأوس ابن قيظي، والحارث بن سويد، وسعد بن زرارة، وقيس بن فهد، وسويد وداعس من بني الحبلى، وقيس بن عمرو بن سهل، وزيد بن اللصيت، وسلالة ابن الحمام، وهما من بني قينقاع أظهروا الاسلام اه من تفسير ابن كثير وانما

---

(١) يعني مع علي كرم الله وجهه (٢) أي وقال أيضا في غير سياق ذلك الجواب
(٣) الدبيلة «كجهينة» قال في اللسان: الدبلة والدبيلة داء يجتمع في الجوف وفي حديث عامر بن الطفيل «فاخذته الدبيلة» هي خراج ودمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبا، وهي تصغير دبلة، وكل شيء جمع فقد دبل والدبيلة الداهية وهي مصغرة للتكبير اه وقوله ﷺ «سراج من النار» تشبيه للمبالغة كما في النهاية ومجمع البحار، ولم يفسروا ذلك تفسيرا بينا ولا ذكروا مصداقه كيف كان

ذكرت عددهم وأسماءهم حتى لا يكون لخلفائهم من منافقي الروافض سبيل الى تضليل عوام المسلمين بما اعتادوا من الطعن في خير أصحاب النبيين والمرسلين

﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ نقم منه الشيء أنكره وعابه كما في الاساس ، وكذا عاقبه عليه ، قال الراغب نقمت الشيء إذا نكرته إما باللسان وإما بالعقوبة . أي وما أنكر هؤلاء المنافقون من أمر الاسلام وبعثة الرسول ﷺ فيهم شيئاً يقتضي الكراهة والكفر والهم بالانتقام ، الا إغناء الله تعالى إياهم ورسوله من فضله تعالى بالغنائم التي هي عندهم غاية الغايات في هذه الحياة ، وكانوا كسائر الانصار من الفقراء . فالإغناء من فضل الله ببعثة الرسول والنصر له وما فيه من الغنائم كما وعده . وتقدم شرحه في تفسير آية (٥٩ ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) كما تقدم في الكلام على قسمة غنائم حنين قوله ﷺ للانصار « وكنتم عالة فأغناكم الله بي »

والذين قالوا ان الآية نزلت في الجلاس بن سويد حملوا الاغناء على الدية التي ذكرت في قصته ، وهو ضعيف لان الكلام في توبيخ المنافقين كافة ولا سيما الذين هموا بما لم ينالوا ولم يكن جلاس منهم ، وغاية ما يقال فيها انها تدخل في عموم الاغناء فيحمل الجلاس من توبيخها علاوة على ما يحمله سائر المنافقين ، وقد تاب وأناب (رض)

وهذا التعبير من نوع البديع الذي يسمونه المدح في معرض الذم كقول الشاعر في كره ساسة الترك في الآستانة للعرب :

وما نقموا منا بني العرب خلة ... سوى ان خير الخلق لم يك أعجما

﴿ فان يتوبوا يك خيرا لهم ﴾ أي فان يتوبوا من النفاق ، وما يصدر عنه من مساوئ الاقوال والافعال ، يكن ذلك المتاب خيراً لهم في الدنيا والآخرة ، كما يدل عليه مقابله في الجملة التالية ، أما في الدنيا فبما فيه من الفوائد الروحية والعملية بالايمان بالله ، والتوكل عليه ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه ، والشكر لنعمائه ، وعلو الهمة ، والتوجه الى سعادة الآخرة ، ومعاشرة الرسول الاعظم ، ومشاهدة

ماحجبه النفاق عنهم من أنواره ، ومعارفه وفضائله ، ومن الفوائد الاجتماعية بأخوة المؤمنين وما فيها من الود الخالص ، والوفاء الكامل ، والايثار على النفس ، وغير ذلك من مزايا التعاون والاتحاد والحب التي قلما توجد أو تكمل في غير الاسلام — وأما في الآخرة فبما تقدم بيانه قريباً من وعد الله للمؤمنين

﴿وإن يتولوا﴾ عما دعوا اليه من التوبة بالاصرار على النفاق، ومساويه المدنسة للارواح المفسدة للاخلاق ﴿يعذبهم الله عذاباً أليما في الدنيا والآخرة﴾ أما في الدنيا فبمثل ماتقدم من قوله تعالى (٥٥ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) وسيأتي مثله قريبا، وقوله بعده في وصف مايلازم قلوبهم من الفرق (٥٧ لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون) وفي معناه (يحسبون كل صيحة عليهم) فهم في جزع دائم، وهم ملازم ، وكذا ماذكر آنفا في تفسير جهادهم ، وما ترى في بقية الآية من حرمانهم من كل ولي ونصير في العالم ، وما سيأتي من الآيات في هذه السورة من الشدة في معاملتهم — وأما في الآخرة فحسبك ماتقدم آنفاً من وعيدهم

﴿وما لهم في الارض من ولي ولا نصير﴾ أي ومالهم في الارض كلها أدنى ولي يتولاهم ويهتم بشأنهم ، ولا أضعف نصير ينصرهم ويدافع عنهم ، لان من خذله الله وآذنه بحرب منه لايقدر أحد أن يجيره منه ، وأما ناحية الاسباب الدنيوية فأبوابها قد أغلقت في وجوههم ، فان الله تعالى حصر ولاية الاخوة والمودة وولاية النصرة في المؤمنين والمؤمنات ، دون المنافقين والمنافقات ، فلن يجدوا بعد الآن احداً من المسلمين يتولاهم او ينصرهم بما يظهرون من الاسلام ، وقد كان منهم ما كان ، ولا من قبائلهم وأولي أرحامهم لان الاسلام قد أبطل عصبية الانساب — ولا من الغرباء بما كانوا يكون عند العرب من الجوار والحلف ، فقد قضى الاسلام على الجاهلية وجوارها، ولا من أهل الكتاب أيضا — فان احلافهم منهم قد قضي عليهم في الحجاز ، بالقتل والجلاء ، ولا سبيل لهم الى غيرهم في شاسع الامصار ، على ان الله تعالى وعد المؤمنين بملك قيصر وكسرى وهكذا كان ،

وصدق ما أخبر الله به من انتفاء الاولياء والانصار لهم في الارض كلها ، وهذا من نبأ الغيب الذي يكثر في القرآن ، ولم يفطن جمهور المفسرين لجميع افراده . هذا ما يخص حرمانهم من الاولياء والانصار في الدنيا كلها – ومن المعلوم بالنصوص الاخرى انه ليس للمنافقين ولا للكفار ولي ولا نصير في الآخرة ، وانما خص أمر الدنيا بالذكر هنا لانه هو الذي يهم هؤلاء المنافقين دون الآخرة التي لا يوقنون بها

(٧٤) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

هذا بيان لحال طائفة أخرى من اولئك المنافقين الذين أغناهم الله ورسوله من فضله بعد الفقر والاملاق ، ويوجد مثلهم في كل زمان ، وهم الذين يلجؤن الى الله تعالى في وقت العسرة والفقر ، او الشدة والضر ، فيدعونه ويعاهدونه على الشكر له ، والطاعة لشرعه ، إذا هو كشف ضرهم ، وأغنى فقرهم ، فاذا استجاب لهم نُكسوا على رءوسهم ، ونكصوا على أعقابهم ، وكفروا النعمة ، وبطروا الحق ، وهضموا حقوق الخلق ، وهذا مثل من شر أمثالهم :

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾ اي ومن هؤلاء المنافقين من عاهد الله تعالى وأقسم او كد الايمان لئن آتاهم من فضله مالا وثروة ليشكرن له نعمته بالصدقة منها والاعمال الشرعية النافعة التي ينتظمون بها في سلك الصالحين القائمين بحقوق الله وحقوق عباده . وأعاد اللام الواقعة في جواب القسم في (لنكونن) لتأكيد العزم على الاستعانة والتوسل بفضل المال ، الى الاستقامة على منهج الصلاح ، بما هو وراء الصدقات ، التي عقدوا العهد والقسم عليها اولا

وبالذات ، ﴿ فلما آتاهم من فضله ﴾ ماطلبوا من سعة رزقه ﴿ بخلوا به وتولوا ﴾ اي مالبثوا أن بخلوا بما آتاهم عقب حصوله وأمسكوه فلم يتصدقوا بشيء منه ، وتولوا وانصرفوا عن الاستعانة به على الطاعة واصلاح حالهم وحال امتهم كما عاهدوا وأقسموا ، ولم يكن توليهم هذا أمراً عارضا شغلهم عنه شاغل يزول بزواله ، بل تولوا ﴿ وهم معرضون ﴾ بكل قواهم عن الصدقة والعمل الصالح ، فكان الاعراض صفة راسخة فيهم حاكمة عليهم ، بحيث إذا ذكروا بما يجب عليهم لايذكرون ، واذا دعوا اليه لايستجيبون ،

﴿ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ يقال أعقبه الشيء إذا جعله عاقبة امره وثمرته ـ أي فأعقبهم الله تعالى او اعقبهم ذلك البخل وتولي الاعراض ، بعد العهد الموثق بأوكد الايمان ، نفاقا راسخا في قلوبهم متمكنا منها ملازما لها ﴿ إلى يوم يلقونه ﴾ للحساب في الآخرة ، لانه بلغ المنتهى الذي لا رجاء معه في التوبة . ﴿ ذلك بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ فذكر سببين هما أخص صفات المنافقين وأظهر الآيات الدالة على نفاقهم : اخلاف الوعد والكذب كما تقدم بيانه ونصوص الاحاديث فيه ، فكيف اذا كان الوعد لله تعالى مع العهد والقسم ، وقد عبر عن اخلافهم الوعد بالفعل الماضي لانه في حادثة واحدة ، وعبر عن كذبهم بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار ، لأن ذلك شأنهم الدائم الذي هو أخص لوازم النفاق ، فالمنافق مضطر إلى الكذب في كل وقت لان ظاهره يخالف باطنه ، ولا بد له من كتمان ماني باطنه واظهار خلافه دائما لئلا يظهر فيفتضح ويعاقب ، ولا يحصل ذلك إلا بالكذب . واسناد اعقابهم النفاق الى الله تعالى او الى البخل والتولي عن الطاعة قولان للمفسرين مآلهما واحد ، الا ان الثاني آدب . وذلك ان سنته تعالى في البشر أن العمل بما يقتضيه النفاق يمكن النفاق ويقويه في القلب ، كما ان العمل بمقتضى الايمان يزيده قوة ورسوخا في النفس ، وهكذا جميع صفات النفس وأخلاقها وعقائدها ، تقوى وترسخ بالعمل الذي يصدر عنها ، فاسنادها إلى العمل يكون صحيحا بهذا الاعتبار لا بالمعنى الذي تقوله المعتزلة القدرية ، كما ان اسنادها

الى الله تعالى يكون صحيحا لانها مقتضى سننه وتقديره ، لا بالمعنى الذي تقوله الجبرية والصوفية ، فالمراد من التقديرين واحد . ويؤيده ماورد في سبب النزول وهو :

أخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله) الآية . ان رجلا كان يقال له ثعلبة من الانصار اتى مجلسا فأشهدهم فقال : لئن آتاني الله من فضله آتيت كل ذي حق حقه ، وتصدقت وجعلت منه للقرابة ، فابتلاه الله فآتاه من فضله ، فأخلف ماوعده ، فأغضب الله بما أخلفه ماوعده ، فقص الله شأنه في القرآن ، اه

وأخرج الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الامثال والطبراني وابن منده والباوردي وأبو نعيم في معرفة الصحابة ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أبي امامة الباهلي (رض) قال : جاء ثعلبة بن حاطب إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا ، قال « ويحك يا ثعلبة أما ترضى أن تكون مثلي ؟ فلو شئتُ ان يسير ربي هذه الجبال معي لسارت » قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالاً فوالذي بعثك بالحق إن آتاني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه . قال « ويحك ياثعلبة قليل تطيق شكره ، خير من كثير لاتطيق شكره » فقال يارسول الله ادع الله تعالى لي فقال رسول الله ﷺ « اللهم ارزقه مالا » فاتجر واشترى غنما فبورك له فيها ونمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فتنحى بها فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله ﷺ ولا يشهدها بالليل . ثم نمت كما ينمو الدود فضاق بها مكانه فتنحى به فكان لايشهد جمعة ولا جنازة مع رسول الله ﷺ فجعل يتلقى الركبان ويسألهم عن الاخبار ، وفقده رسول الله ﷺ فسأل عنه فأخبروه انه اشترى غنما وان المدينة ضاقت به ، وأخبروه بخبره فقال رسول الله ﷺ « ويح ثعلبة بن حاطب »

ثم ان الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأخذ الصدقات وأنزل الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية . فبعث رسول الله ﷺ رجلين رجلا من جهينة ورجلا من بني سلمة يأخذان الصدقات ، فكتب لهما اسنان الابل والغنم كيف يأخذانها على وجهها ، وأمرهما ان يمرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم

فخرجا فمرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرياني كتابكما، فنظر فيه، فقال ماهذا إلا جزية ، انطلقا حتى تفرغا ثم مرا بي ، قال فانطلقا وسمع بهما السلمي فاستقبلهما بخيار إبله فقالا انما عليك دون هذا(١) فقال ماكنت أتقرب الى الله إلا بخير مالي فقبلاه ، فلما فرغا مرا بثعلبة فقال أرياني كتابكما فنظر فيه فقال ماهذا إلاجزية انطلقا حتى ارى رأيي ؛فانطلقا حتى قدما المدينة فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يكلمهما « ويح ثعلبة بن حاطب » ودعا للسلمي بالبركة ، وأنزل الله (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا الله من فضله لنصدقن) الثلاث الآيات . قال فسمع بعض من اقارب ثعلبة،فأتى ثعلبة فقال:ويحك ياثعلبة انزل الله فيك كذا وكذا . قال فقدم ثعلبة على رسول الله ﷺ فقال يارسول الله هذه صدقة مالي، فقال رسول الله ﷺ «ان الله تعالى قد منعني ان أقبل منك » قال فجعل يبكي ويحثي التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ « هذا عملك بنفسك امرتك تطعني » فلم يقبل منه رسول الله ﷺ حتى مضى . ثم اتى ابا بكر فقال يا ابا بكر اقبل مني صدقتي فقد عرفت منزلتي من الانصار ، فقال ابو بكر لم يقبلها رسول الله ﷺ وأقبلها ؟ فلم يقبلها ابو بكر .ثم ولي عمر بن الخطاب(رض) فأتاه فقال يا ابا حفص يا امير المؤمنين اقبل مني صدقتي وتوسل اليه بالمهاجرين والانصار وأزواج النبي ﷺ ، فقال عمر لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا ابو بكر أقبلها انا ؟ فأبى ان يقبلها .ثم ولي عثمان فهلك في خلافة عثمان وفيه نزلت(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) قال وذلك في الصدقة اه

وفي الحديث اشكالات تتعلق بسبب النزول وظاهره انه كان في سفر غزوة تبوك ، وبفرضية الزكاة والمشهور انها فرضت في السنة الثانية كما تقدم في تفسير قسمة الصدقات — وبعدم قبول توبة ثعلبة وظاهر السياق انها توبة صادقة ، وظاهر الآية انها عن اعراض راسخ لا رجوع عنه ، وقد يقال انه انما أراد رفع العار الذي لحقه ولم يرد وجه الله تعالى والله أعلم

---

(١) وهو الوسط اذ كان(ص) يقول لعمال الصدقة «واتقوا كرائم اموال الناس»

﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ﴾ أي ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يعلنون غير مايسرون، ويقولون مالا يفعلون ، ويتناجون فيما بينهم بالاثم والعدوان ولمز الرسول، أن الله يعلم سرهم الكامن في أعماق قلوبهم، ونجواهم التي يخصون بها

من يثقون بمشاركته إياهم في نفاقهم ﴿ وأن الله علام الغيوب ﴾ كلها (لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء * يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور) فهم يكذبون على الله فيما يعاهدونه به ، وعلى الناس فيما يحلفون عليه باسمه

الاستفهام في قوله تعالى ألم يعلموا للتوبيخ والانذار ، أوللتنبيه القاطع لطريق الاعتذار ، فان المنافقين كانوا يؤمنون بوجود الله وعلمه ايمانا اجماليا تقليديا ، وانما كانوا يرتابون في الرسالة والوحي والبعث، ولكن ماذكر من عملهم وأيمانهم الكاذبة باسمه هو عمل من لايؤمن به ، ولا يعلم أنه يعلم سره ونجواه وأنه علام الغيوب ، فان من يعلم هذا علما صحيحاً فلا بد أن يستحيى من الله ويخاف عقابه ان كان يؤمن بالبعث والجزاء ، ولكنهم لايعلمون ذلك ولايؤمنون بهذا

(٧٨) ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ

هذا بيان لحال المنافقين في جملتهم مع المؤمنين في جملتهم فيما كان من أمرهم في الصدقات للجهاد، إذ لم يقف المنافقون عند حد بخلهم وتخلفهم ، بل تعدوه إلى لمز المؤمنين وذمهم ، بما بذله غنيهم وفقيرهم ، ولحكم من ترودوا في هذه الهاوية من النفاق ، وهو أنه لم يعد لهم أدنى حظ من التلبس بالاسلام ، ولا أدنى نفع

من استغفار الرسول ودعائه لهم لرسوخهم في الكفر بالله ورسوله وعدم الرجاء في ايمانهم، قال عز وجل:

﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لايجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ﴾ أي أولئك هم الذين يلمزون المتطوعين من المؤمنين ويعيبونهم في أمر الصدقات التي هي أظهر آيات الايمان - أو أعني بما ذكر من الذم الذين يلمزون المطوعين ويذمونهم في أخص فضائلهم التي تجرد أولئك المنافقون منها. فأصل «المطوعين» المتطوعين أدغمت التاء في الطاء فهي كالمطهرين بتشديد الطاء، والمتطهرين. والتطوع في العبادة مازاد على الفريضة، والصدقات جمع صدقة تطلق على الانواع والافراد منها. وقوله «في الصدقات» كقوله (ومنهم من يلمزك في الصدقات) ولكن اللمز هنالك في قسمتها وههنا في صفة ادائها ومقدارها والنية فيها كما يذكر في سبب النزول قريباً. وقال المفسرون انه متعلق بيلمزون ولا يجوز تعلقه بالمطوعين للفصل بكونهم من المؤمنين، وهذا الفصل ليس بأجنبي بل هو بيان للمطوعين، ولكن التطوع واللمز كلاهما يتعديان بالباء لا بفي فلا بد من التقدير كما فعلنا. والمتطوعون والمطوعة هم الذين يتبرعون بالجهاد والغزو من تلقاء أنفسهم بدون أن يدعوهم الامام أو السلطان لذلك بالتعيين وتكون نفقتهم من بيت المال، هذا هو المعنى الاصطلاحي، والمتطوعون بالحرب في هذا العصر تتولى نفقتهم ادارة العسكر من مال الحكومة إذ لا يمكنهم في النظام العسكري الحديث أن يتولوا أمر النفقة على أنفسهم، والتطوع في أصل اللغة تكلف الطاعة أو الاتيان بما في الطوع من العمل، وقد يطلق في اللغة على مايعم الواجب كما قيل في تفسير آية السعي بين الصفا والمروة (ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم) واستعمل في القرآن والحديث بمعنى النفل أي الزيادة على الواجب. قال تعالى في آيات الصيام (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيراً فهو خير له) أي فمن زاد في الفدية على طعام مسكين واحد أو في الصيام على شهر رمضان فهو خير له، وفي حديث الاعرابي المستفيض في كتب الفقه أن النبي ﷺ عند ماذكر له الصلوات الخمس وصيام رمضان وشرائع الاسلام وسأله هل عليه

غيرها ؟ قال له ﷺ « لا . إلا أن تطوع » أي تتطوع وتتبرع من تلقاء نفسك . ولا يظهر كون التطوع هنا بمعنى التبرع بالغزو إذ الكلام خاص بغزوة تبوك وقد تقدم أن النفر إليها كان واجباً على كل من قدر عليه لأن الله قد استنفر المؤمنين لها، ووبخ المتثاقلين عنها، وقال (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) ولكن يصح أن يكون المراد بالمطوعين مايدل عليه المعنى اللغوي العام وهم الذين نفروا للجهاد بأموالهم وأنفسهم طاعة لله ولرسوله من غير أن يكره أحد منهم على ذلك أو يطلب بشخصه له . وأظهر منه أن يراد هنا التطوع بالصدقات وهو المختار عندنا ، على أن اللمز واقع في شأنها وما يتعلق بصفتها ومقدارها ، لا متعلق بها نفسها ، وهو الواقع المعقول ، والمنقول في سبب النزول

﴿ والذين لا يجدون إلا جهدهم ﴾ أي ويلمزون الذين لا يجدون إلا جهدهم ، والجهد بالضم والفتح الطاقة وهي أقصى مايستطيعه الانسان ، مأخوذ من طاقة الحبل وهي الفتلة الواحدة والفتيل من الفتل التي يتألف منها ، وتسمى قوة وجمعها قوى - كما بيناه في تفسير (وعلى الذين يطيقونه فدية) من آيات الصيام . والمراد بهم الفقراء الذين تصدقوا بقليل هو مبلغ جهدهم وآخر طاقتهم ، وعطفهم على المطوعين من عطف الخاص على العام تنويهاً بهم ، لأن مجال لمزهم وعيبهم عند المنافقين أوسع ، والسخرية منهم في عرفهم أشد ، وإن كانوا أجدر بالثناء والاكبار عند المؤمنين ، ولذلك قيل إنهم هم المراد بقوله تعالى ﴿ فيسخرون منهم ﴾ أي يستهزءون بهم احتقاراً لما جاؤا به وعدًّا له من الحماقة والجنون في الدين ، وقيل إنه عام يشمل المكثرين والمقلين

قال تعالى في بيان جزاء هؤلاء اللامزين الساخرين ﴿ سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ هذا التعبير يسمى مشاكلة ، وما هو إلا العدل في جزاء المماثلة ، أي جزاهم بمثل ذنبهم فجعلهم سخرية للمؤمنين وللناس أجمعين ، بفضيحته لهم في هذه السورة ببيان هذا الخزي وغيره من مخازيهم وعيوبهم ، ولهم فوقه عذاب أليم تقدم بيانه في هذا السياق بهذا اللفظ وغيره

لا يتجلى المراد من هذه الآية إلا ببيان ما نزلت فيه ومن نزلت فيهم وقد روي فيه عدة روايات في الصحاح والسنن والتفسير المأثور: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي مسعود البدري (رض) قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء ابو عقيل بنصف صاع، وجاء انسان بأكثر منه، فقال المنافقون ان الله غني عن صدقة هذا، وما فعل الآخر هذا إلا رياء. فنزلت (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم) الآية

هذا لفظ البخاري في كتاب التفسير، وقال في الزكاة: لما نزلت آية الصدقة. الخ وفي رواية: كنا نتحامل على ظهورنا. قال الحافظ في تفسير «نتحامل» من فتح الباري: أي يحمل بعضنا لبعض بالاجرة، وقال صاحب المحكم: تحامل في الامر تكلفه على مشقة، ومنه تحامل على فلان أي كلفه مالا يطيق، وذكر الروايات في اسم ابي عقيل ولقبه - وهو الحبحاب - وما ورد فيه ثم لخص الروايات في ذلك بما نختاره على ما جمعه السيوطي في الدر المنثور لبيان طرقه وصفته فقال:

وروى البزار من طريق عمر بن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «تصدقوا فاني اريد أن أبعث بعثا» قال فجاء عبد الرحمن ابن عوف فقال: يا رسول الله عندي أربعة آلاف: ألفين أقرضهما ربي، وألفين أمسكهما لعيالي، فقال «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» قال وبات رجل من الانصار فأصاب صاعين من تمر - الحديث. قال البزار لم يسنده الا طالوت ابن عباد عن ابي عوانة عن عمر، قال وحدثناه ابو كامل عن ابي عوانة فلم يذكر ابا هريرة فيه، وكذلك أخرجه عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن ابي عوانة وأخرجه ابن ابي حاتم والطبري وابن مردويه من طرق أخرى عن ابي عوانة مرسلا، وذكره ابن اسحاق في المغازي بغير إسناد. وأخرجه الطبري من طريق يحي بن ابي كثير، ومن طريق سعيد عن قتادة وابن ابي حاتم من طريق الحكم ابن أبان عن عكرمة والمعنى واحد قال: وحث رسول الله ﷺ على الصدقة يعني في غزوة تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف فقال يارسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بنصفها وأمسكت نصفها، فقال «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما

اعطيت » وتصدق يومئذ عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر . وجاء ابو عقيل بصاع من تمر - الحديث . وكذا اخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه ، ومن طريق علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال : جاء عبدالرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب بمعناه ، وعند عبد بن حميد وابن ابي حاتم من طريق الربيع بن أنس قال جاء عبدالرحمن بن عوف بأربعمائة اوقيـة من ذهب فقال ان لي ثمانمائة اوقية من ذهب - الحديث، وأخرجه عبدالرزاق عن معمر عن قتادة فقال : ثمانية آلاف دينار ، ومثله لابن ابي حاتم من طريق مجاهد ، وحكى عياض في الشفاء انه جاء يومئذ بتسعمائة بعير . وهذا اختلاف شديد في القدر الذي أحضره عبدالرحمن بن عوف وأصح الطرق فيه ثمانية آلاف درهم ، وكذلك أخرجه ابن ابي حاتم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس او غيره والله أعلم ، ووقع في معاني الفراء ان النبي ﷺ حث الناس على الصدقة فجاء عمر بصدقة وعثمان بصدقة عظيمة وبعض أصحاب النبي ﷺ يعني عبدالرحمن بن عوف ثم جاء ابو عقيل بصاع من تمر فقال المنافقون ماأخرج هؤلاء صدقتهم الارياء . وأما ابو عقيل فانما جاء بصاعه ليذكر بنفسه ، فنزلت . ولابن مردويه من طريق ابي سعيد فجاء عبدالرحمن بن عوف بصدقته، وجاء المطوعون من المؤمنين الحديث اه

ثم بين تعالى عقابهم الخاص بأمر الدين، بما جعل حكمهم في ذنوبهم حكم الكافرين،

فقال ﴿ استغفر لهم او لاتستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ هذه الآية بمعنى آية سورة المنافقين (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) وفيها زيادة تاكيد بذكر السبعين مرة والتصريح بان سبب عدم المغفرة هو الكفر الخ ، وعدد السبعين يستعمل بمعنى الكثرة المطلقة في عرف العرب فليس المراد به هـذا العدد بعينه ، بل المعنى مهما تكثر من الاستغفار فلن يستجاب لك فيهم . وحسنت هذه الزيادة فيها لتأخر نزولها، فهي امر معناه الخبر، كما قال الجمهور - تقديره - الاستغفار لهؤلاء المنافقين المعينين وعدمه سيان، فلن يغفر الله، وإن كثر الاستغفار.

والظاهر انه كان ﷺ يستغفر لهم، رجاء أن يهديهم الله تعالى فيتوب عليهم و يغفر

لهم ، كما كان يدعو للمشركين كلما اشتد إيذاؤهم له ويقول « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون» رواه ابن حبان في صحيحه من حديث سهل بن سعد، وروى مثله الشيخان من حديث ابن مسعود قال : كأني أنظر الى النبي ﷺ يحكي نبيا من الانبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول - وذكره . وفي مسلم « رب اغفر »الخ . وقال بعض العلماء انه ﷺ يعني نفسه حين شجوا رأسه في أحد، فهو الحاكي والمحكي عنه . والاستغفار للمشركين في جملتهم لا يدخل في معنى قوله تعالى الآتي في هذه السورة (١١٤ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) لان النهي هنا عن الاستغفار لمن مات على كفره وتبين للنبي انه من أصحاب الجحيم لا للاحياء غير المعينين ، وهؤلاء المنافقون المعنيون هنا هم المعينون الذين أخبره الله بكفرهم فيما تقدم وفيما سيأتي، ولذلك بين سبب عدم مغفرته لهم بقوله :

﴿ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ﴾ اي ذلك الامتناع من المغفرة بسبب كفرهم بالله ورسوله ، فهم لا يوقنون بما وصف به نفسه من العلم بسرهم ونجواهم وسائر الغيوب،ولا بوحيه لرسوله وما أوجبه من اتباعه ، ولا ببعثه للموتى وحسابهم وجزائهم ، وليس سببه عدم الاعتداد باستغفارك ايها الرسول لهم فان شرط قبوله وضعه في موضعه،وهو ما سبق في سورة النساء (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) يعني ان المغفرة إنما وعد بها التائبون المستغفرون من ذنوبهم إذا استغفرت لهم . وهؤلاء كفار في باطنهم،مصرون على كفرهم،فاسقون عن امر ربهم ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي جرت سنته في الراسخين في فسوقهم وتمردهم المصرين على نفاقهم ، الذين أحاطت بهم خطاياهم ان يفقدوا الاستعداد للتوبة والايمان ، فلا يهتدون اليها سبيلا وتقدم وصفهم بهذا الفسوق في الآية (٦٧) ومثل هذه الجملة بنصها في الآية (٣٧) من هذه السورة

وقد ذكر الرازي وتبعه الالوسي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس (رض) انه لما نزل قوله تعالى (سخر الله منهم) سأله عليه الصلاة والسلام اللامزون الاستغفار لهم فهم أن يفعل ، فنزلت فلم يفعل . وقيل نزلت بعد أن

فعل . واختار الرازي عدمه لانه لا يجوز الاستغفار للكافر . وفي التعليل بحث وهو أن من ظاهره الاسلام كالمنافقين لا يحكم بكفره إلا بوحي من الله تعالى أو صدور ما يدل على الكفر دلالة قطعية ، ولمز المطوعين ليس منه . على أن طلبهم الاستغفار إظهار للتوبة . وهذه الرواية لم نرها في كتب التفسير المأثور فلا ندري من أين جاء بها الرازي وهو لم يعزها إلى أحد من المحدثين ولا من رواة التفسير كعادته ، وهي معارضة بما ورد في سبب نزولها من انه الاستغفار لعبد الله بن أبي رئيس المنافقين وزعيمهم . روى هذا البخاري والترمذي والنسائي وبعض رواة التفسير المأثور ، وسنبين ذلك وما فيه من المباحث والاشكال بعد تفسير قوله تعالى (٨٤ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) وما هو ببعيد .

---

(٨١) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨٢) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٣) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ، إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ

كانت الآيات من اول هذه السورة الى الآية ٢٨ منها في شأن المؤمنين مع المشركين في القتال بعد فتح مكة واضمحلال دولة الشرك ، وجاءت بضع آيات بعدها في شأن المؤمنين مع أهل الكتاب في القتال والجزية مع بيان حالهم في الخروج عن هداية دين انبيائهم ، يتلوها ما كان من اعلان النفير العام لقتال الروم في تبوك من أرض الشام المعروف . وفي الكلام عليها بيان احوال المنافقين

مع المؤمنين من استثقالهم للجهاد واستئذانهم في التخلف عنه وظهور أمارات نفاقهم في الاقوال والافعال وفضيحتهم فيها ، ووعيدهم عليها، وعلى نفاقهم الصادرة عنه. وما كان من ذلك في أثناء السفر والعودة منه . وانتهى ذلك بالآية الثمانين

وعاد الكلام في هذه الآيات الى بيان حال الذين تخلفوا عن القتال وظلوا في المدينة وما يجب من معاملتهم بعد الرجوع اليها ، وكل هذا قد نزل في أثناء السفر . قال عز وجل :

﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾ الفرح شعور النفس بالارتياح والسرور ، والخلاف مصدر خالفه يخالفه كالمخالفة ، واستعمل ظرفا بمعنى بعد وخلف ، قال في الاساس: وجلست خلاف فلان وخلفه اي بعده. اه . ومنه (١٧: ٧٥ وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها ، واذاً لايلبثون خلافك إلا قليلا) وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص . وقرأ الباقون (خلفك) واستشهد اللسان على هذه اللغة ببضعة شواهد ، وههنا يصح المعنيان

والمخلفون اسم مفعول من خلف فلانا وراءه (بالتشديد) اذا تركه خلفه . والمعنى فرح المخلفون من هؤلاء المنافقين أي الذين تركهم الرسول ﷺ عند خروجه إلى غزوة تبوك بقعودهم في بيوتهم مخالفين لله تعالى وله ، وهذا المعنى أصح هنا، وانما فرحوا لانهم لايؤمنون بما في الخروج معه من الاجر العظيم الذي لاتذكر بجانبه

راحة القعود في البيوت شيئاً ﴿ وقالوا لاتنفروا في الحر ﴾ أي قالوا لاخوانهم في النفاق لاتنفروا معه في الحر ،نهياً لهم عن المعروف واغراء بالثبات على المنكر ، وهو عدم النفر ، اوقالوه تثبيتا لهم فيه ، و تثبيطا للمؤمنين عنه ﴿ قل نارجهنم أشد حراً ﴾ اي قل أيها الرسول تفنيداً لقولهم وتسفيهاً لحلومهم : نار جهنم التي أعدها الله تعالى لمن عصاه وعصى رسوله أشد من تلك الايام حراً في أوائل فصل الخريف فهو لايلبث ان يخف ويزول، على كونه مما تحتمله الجسوم ، واما نار جهنم فحرها على شدته دائم ، فهو يلفح وجوههم ، وينضج جلودهم ، وينزع شواهم ،

وفي هذا آكبر عبرة لمن يتركون الجهاد وغيره من الواجبات إيثارا للراحة والنعيم، وما يفعله في حال وجوبه عليهم الا المنافقون. ثم قال:

﴿ لو كانوا يفقهون ﴾ اي لو كانوا يعقلون ذلك ويعتبرون به لما خالفوا وقعدوا، ولما فرحوا بقعودهم إذ أجرموا فقعدوا، بل لحزنوا واكتأبوا، وبكوا وانتحبوا، كما فعل المؤمنون الذين أرادوا الخروج والنفقة فعجزوا، وسيأتي بيان حالهم قريباً

﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً ﴾ في هذا الامر بقلة الضحك وكثرة البكاء وجوه (احدها) وهو المختار عندنا ان هذا هو الاجدر بهم، بل الواجب عليهم بحسب ماتقتضيه حالهم، وتستوجبه جريمتهم، لو كانوا يفقهون مافاتهم بالتخلف والخلاف من اجر، وما سيحملون في الآخرة من وزر، وما يلاقون في الدنيا من خزي وضر، فهو خبر في صيغة أمر، نكتته أنه امر مبني على واجب مقرر، (ثانيها) ان هذا مايكون من أمرهم في الدنيا فلن يطيب لهم فيها عيش بعد أن هتك الوحي أستارهم، وكشف عوارهم، وامر الرسول والمؤمنون بمعاملتهم بما يقتضيه نفاقهم، وعدم الاعتداد بما يظهرون من اسلامهم (ثالثها) ان المراد بالضحك القليل ماسيكون منهم في الدنيا بعد الفضيحة، وهو قليل بالنسبة الى ما كان من ماضيهم مع المؤمنين، وبالنسبة الى حياتهم في هذه الدنيا، وبالبكاء الكثير ماسيكون منهم في الآخرة، وهو على كل حال إنذار مقابل لما ذكر من فرحهم بالتخلف مثبت انه فرح عاقبته الحزن والكآبة، والخيبة والندامة، في الدنيا ويوم القيامة.

وفي معنى الوجه الاول قوله ﷺ « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً » متفق عليه بل رواه الجماعة إلا أبا داود من حديث أنس. ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ « لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا: يظهر النفاق، وترتفع الامانة، وتقبض الرحمة، ويتهم الامين، ويؤتمن غير الامين، اناخ بكم الشرف الجون، الفتن كأمثال الليل المظلم » الشرف بضمتين جمع شارف وهي الناقة العالية السن، والجون السوداء، أي الفتن الكبيرة المظلمة، فهو تشبيه، وروي بالقاف أي التي تأتي من قبل مشرق المدينة.

وإنما كان الامر في الآية بمعنى الخبر لانه انذار بالجزاء لا تكليف، وقد قيل في فائدة هذا التعبير عن الخبر بالانشاء انه يدل على أنه حتم لا يحتمل الصدق والكذب كما هو شأن الخبر لذاته في احتمالها، لان الاصل في الامر أن يكون للايجاب وهو حتم. ويمكن أن يقال ان الامر بما ذكر يتضمن الاخبار بسببه فيكون مؤكداً للخبر ببناء الحكم عليه، ويقابله التعبير عن الامر بصيغة الخبر للتفاؤل بمضمونه كأنه وقع بالفعل،

وقال بعضهم: ان الامر هنا للتكوين، وأشرنا اليه في تفسير الجملتين، فهو بمعنى قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) اي كن قارئا بعد إذ كنت أميا باسم الله مبلغا عنه، ثم وصف ربه بما يدل على قدرته على جعل الامي قارئا بانه خلق كل شيء وخلق الانسان من علق، فجعله بعد ذلك سميعا بصيراً، وعلم الانسان بالقلم، علمه مالم يعلم، فكما فعل ذلك كله يجعلك قارئا باسمه عز وجل. والمعنى على هذا: فليكونوا بقدرتنا وتقديرنا قليلي الضحك كثيري البكاء، لان سبب سرورهم وفرحهم بتخلفهم ونفاقهم قد زال، ويؤيد كونه تكوينا قدريا، لا تكليفا شرعيا، جعله

عقابا جزائيا لهم على عملهم بقوله: ﴿ جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ فان جزاء كل عمل من جنسه، وكما يدين المرء يدان،

ثم بين تعالى ما يجب من الجزاء الذي يعاملون به في الدنيا قبل الآخرة مما يقتضي انقضاء عهد فرحهم وغبطتهم في دنياهم بالتمتع باحكام الاسلام الصورية والمعنوية فقال:

﴿ فان رجعك الله الى طائفة منهم ﴾ فعل «رجع» يستعمل لازما كقوله تعالى (فرجع موسى الى قومه) وقوله (فلما رجعوا إلى أبيهم) ومصدره الرجوع، ويستعمل متعديا كهذه الآية، وقوله (فرجعناك إلى أمك) ومصدره الرجع. والفاء للتفريع على ماقبله لأنه مرتب عليه. والمعنى فان ردك الله أيها الرسول من سفرك هذا إلى طائفة منهم أي المخلفين ومن هم المنافقون، وما كل من تخلف كان منافقاً ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ معك في غزاة أو غير غزاة مما تخرج لأجله ﴿ فقل لن تخرجوا معي ابداً ﴾ اي لن يكون لكم شرف صحبة الايمان بالخروج معي إلى الجهاد في سبيل الله ولا إلى غيره كالنسك أبداً مابقيت

﴿ ولن تقاتلوا معي عدواً ﴾ من الاعداء بصفة ما ، لا بالخروج والسفر اليهم ، ولا بغير ذلك كأن يهاجموا المؤمنين في عاصمتهم كما فعلوا يوم الاحزاب مثلا ، فكل من الخروج المطلق الذي حذف متعلقه ، والقتال الذي ذكر متعلقه نكرة منفية - عام يصدقان بكل خروج وكل قتال لعدو في أي مكان ، وقد يكون كل منهما بدون الآخر ، فبينهما عموم وخصوص مطلق ، وقد غفل عن هذا من غفل من المفسرين فزعموا ان الثاني تأكيد للاول ، ثم بين سبب هذا العقاب مستأنفاً فقال :

﴿ انكم رضيتم بالقعود أول مرة ﴾ اي انكم رضيتم لأنفسكم بالقعود أول مرة دعيتم فيها الى الخروج واستنفرتم فلم تنفروا عصيانا لله ورسوله ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ ما حييتم ابدا اي مع الذين تخلفوا عن النفر ، او مع الاشرار الفاسدين ، الذين خرجوا عن سبيل المهتدين ، قال في مجاز الاساس : وخلف اللبن : تغير ، ومعناه خلف طيبه تغيره (اى صار المتغير الفاسد خلفا للطيب) وخلف فوه خلوفا ، وخلف عن خلق أبيه ، وخلف عن كل خير : تحول وفسد ، وهو خالفة أهل بيته ، اي فاسدهم وشرهم اه . والخالف في الاصل اسم لمن يخلف غيره اي يأتي بعده ، ومثله الخلف بالتحريك وبفتح فسكون وقد استعمل الاول فيمن يخلف غيره في الخير والصلاح ، والثاني فيمن يخلف غيره في الشر والطلاح . قال في اللسان فأما الخالفة فهو الذي لاغناء عنده ولا خير فيه ، وكذلك الخالف ، وقيل هو الكثير الخلاف ثم قال نقلا عن ابن الاثير : وقد يكون الخالف المتخلف عن القوم في الغزو وغيره كقوله تعالى (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) اه ويراد بالخوالف الصبيان والعجزة والنساء ، الذين لا يكلفون القيام بشرف الجهاد ، للدفاع عن الحق والحقيقة واعلاء كلمة الله . ويجوز الجمع بين المعنيين الحقيقي والمجازي وهو مذهب الشافعي والطبري الذي جرينا عليه في مثل هذا

والمرة في قوله تعالى (أول مرة) قد استعملت في كلامهم ظرفا وأصلها الفعلة الواحدة من المر والمرور . قال في القاموس: المرة الفعلة الواحدة جمعها مر

ومرار ومرر بكسرهما ومرور بالضم . « ولقيه ذات مرة » قال سيبويه لا يستعمل إلا ظرفا ، و « ذات المرارة » اي مراراً كثيرة . اه المراد منه

---

(٨٤) وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ (٨٥) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ

هذا بيان ماشرعه الله تعالى في شأن من يموت من هؤلاء المنافقين في إثر ما شرعه في شأن الاحياء منهم ، وهو خاص بمن نزلت فيهم الآيات وهم الذين ثبتت أدلة كفرهم ، وفي مقدمتهم زعيمهم الاكبر الا كفر عبدالله بن أبي بن سلول ، والاثنى عشر الذين أرادوا اغتيال الرسول ﷺ قال عز وجل :

﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ اي لا تصل أيها الرسول بعد الآن على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين عرفناك شأنهم صلاة الجنازة أبداً ما حييت ـ ولا تقف على قبره عند الدفن للدعاء له بالتثبيت ، كما تقوم على قبور المؤمنين عند دفنهم ، ويلزم هذا النهي عدم تشييع جنائزهم . روى ابو داود والحاكم وصححه والبزار من حديث عثمان (رض) قال كان النبي ﷺ اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال « استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسئل » وقد نص الفقهاء على العمل بهذا الحديث ، ولا نعرف شيئاً من السنة في معنى القيام على القبر غيره ، وأدخل فيه بعضهم زيارة القبور وهو غير ظاهر فقد ورد في زيارة القبور أحاديث متعددة بلفظ الزيارة لا بلفظ القيام

وقد علل تعالى هذا النهي ببيان مستأنف فقال ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ اي انهم كفروا وماتوا وهم فاسقون أي وهم في حال خروجهم السابق من حظيرة الايمان ، كما تقدم في تفسير مثله من هذا السياق (والجملة الحالية

تدل على وقوع مضمونها قبل حدوث العامل فيها) والنهي يتعلق بالحال والاستقبال، ولا سيما اذا أكد بكلمة أبداً التي هي نص في معنى الاستقبال، ولكن قال في تعليل النهي (وماتوا) وهو فعل ماض، والقاعدة في التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي أن يكون لتأكيده وتحققه حتى كأنه وقع بالفعل، أي وسيموتون وهم متلبسون بكفرهم، ولعل فيه اشارة إلى ما روي في سبب نزول الآية وهو صلاته صلوات الله عليه على عبدالله بن أبي، فيكون المعنى ومات من مات منهم على كفره وسيموت الآخرون كذلك، وفيه بحث نبينه بعد اجمال الكلام على قوله

﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ قد تقدم مثل هذا بنصه وهو الآية ٥٥ من هذه السورة إلا انه قال فيها (ولا أولادهم) وتفسيرهما واحد إلا أن زيادة «لا» في تلك الآية للنهي عن الاعجاب بكل من أموالهم وأولادهم على حدته، وهو يصدق بمن كان له إحدى الزينتين، والنهي في هذه عن الاعجاب بهما مجتمعتين، وهو أدعى إلى الاعجاب، وأعيد هذا النهي هنا لاقتضاء المقام له كاقتضائه هناك التأثير الذي يكون له في نفس التالي والسامع، ولان السياق هنا في طائفة منهم غير الطائفة التي جاءت في السياق الاول

روى احمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عباس قال سمعت عمر يقول: لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام عليه فلما وقف قلت: أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا وكذا، والقائل كذا وكذا — أعدد أيامه — ورسول الله ﷺ يتبسم — حتى اذا أكثرت قال «ياعمر أخر عني، اني قد خيرت: قد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة — فلو أعلم اني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها» ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه. فعجبت لي ولجراءتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله عز وجل

وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر (رض) قال لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يارسول الله : أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ « انما خيرني الله فقال (استغفر لهم أو لاتستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة) وسأزيده على السبعين » قال انه منافق. قال فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) زاد مسلم في رواية أخرى فترك الصلاة عليهم

وروى مسلم من حديث جابر بن عبد الله كان يقول أتى النبي ﷺ قبر عبدالله بن أبيّ — وفي رواية جاء الى عبدالله بن أبي بعد ما أدخل في حفرته — فأخرجه من قبره فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه . اه

وقد ورد في هذه المسألة روايات أخرى فنقتصر على هذا الذي في الصحيحين وغيرهما مما في معناه وما استشكله العلماء منه، وما أجابوا به عنه، فان ورود هذا في سبب نزول الآيات وبيان المراد منها مما يخالف ظاهرها وهي لا اشكال في شيء منها كما تقدم

ولكن حديث معارضة عمر بطريقيه مشكل ومضطرب من وجوه (١) جعل الصلاة على ابن أبي سببا لنزول آية النهي وسياق القرآن صريح في انها نزلت في سفر غزوة تبوك سنة ثمان وانما مات ابن أبي في السنة التي بعدها (٢) قول عمر للنبي ﷺ وقد نهاك ربك أن تصلي عليه يدل على أن النهي عن هذه الصلاة سابق لموت ابن أبي ـ وقوله بعده . فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى (ولا تصل على أحد منهم) الخ صريح في أنه نزل بعد موته والصلاة عليه (٣) قوله انه ﷺ قال ان الله تعالى خيره في الاستغفار لهم وعدمه انما يظهر لو كانت الآية كما ذكر في الحديث ولم يكن فيها بقيتها اي التصريح بانه لن يغفر الله لهم بسبب كفرهم وان الله لا يهدي القوم الفاسقين ومن ثم كان المتبادر من «او» فيها انها للتسوية بين ما بعدها وما قبلها لا للتخيير وبه فسرها المحققون كما فهمها عمر واستشكلوا الحديث إذا

يعقل ان يكون فهم عمر او غيره أصح من فهم رسول الله ﷺ لخطاب الله له ولذلك انكر بعضهم صحته . (٥) التعارض بين رواية « فلو أعلم اني لو زدت على السبعين غفر له لزدت عليها » ورواية وسأزيد على السبعين »(٦) التعارض بين اعطائه ﷺ قميصه لابنه لتكفينه فيه وحديث جابر اخراجه ﷺ لابن أبي من قبره وإلباسه قميصه (٧) اذا أمكن ان تكون الصلاة على ابن أبي قبل نزول النهي عن الصلاة عليهم فلا شك في انها كانت بعد آية (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) وآية (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) والجزم في كل منهما بأن الله لن يغفر لهم

وقد لخص الحافظ في فتح الباري ماورد وما قاله العلماء من اشكال وجواب بما هو أجمع مما قاله من قبله ومن بعده ممن اطلعنا على أقوالهم وهو ما كتبه في الكلام على قول البخاري (باب قوله : ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) وهذا نصه:

«ظاهر الآية انها نزلت في جميع المنافقين، لكن ورد مايدل على انها نزلت في عدد معين منهم. قال الواقدي : أنبأنا معمر عن الزهري قال قال حذيفة قال لي رسول الله ﷺ « اني مسر اليك سراً فلا تذكره لأحد : اني نهيت أن أصلي على فلان وفلان» رهط ذوي عدد من المنافقين . قال فلذلك كان عمر إذا أراد أن يصلي على أحد استتبع حذيفة، فان مشي معه وإلا لم يصل عليه . ومن طريق أخرى عن جبير بن مطعم انهم اثنا عشر رجلا، وقد تقدم حديث حذيفة قريباً انه لم يبق منهم غير رجل واحد . ولعل الحكمة في اختصاص المذكورين بذلك ان الله علم انهم يموتون على الكفر، بخلاف من سواهم فانهم تابوا . ثم أورد المصنف حديث ابن عمر المذكور في الباب قبله من وجه آخر . وقوله فيه « انما خيرني الله» أو « أخبرني الله» كذا وقع بالشك . والاول بمعجمة مفتوحة وتحتانية ثقيلة من التخيير . والثاني بموحدة من الاخبار . وقد اخرجه الاسماعيلي من طريق اسماعيل بن أبي اويس عن أبي ضمرة الذي أخرجه البخاري من طريقه بلفظ « انما خيرني الله » بغير شك وكذا في أكثر الروايات بلفظ التخيير، أي بين الاستغفار وعدمه كما تقدم

«واستشكل فهم التخيير من الآية حتى أقدم جماعة من الاكابر على الطعن في

صحة هذا الحديث مع كثرة طرقه، واتفاق الشيخين وسائر الذين خرجوا الصحيح على تصحيحه، وذلك ينادي على منكري صحته بعدم معرفة الحديث، وقلة الاطلاع على طرقه.

«قال ابن المنير: مفهوم الآية زلت فيه الاقدام حتى أنكر القاضي أبو بكر صحة الحديث وقال لا يجوز أن يقبل هـذا ولا يصح أن الرسول قاله اه ولفظ القاضي أبي بكر الباقلاني في التقريب: هذا الحديث من اخبار الآحاد التي لا يعلم ثبوتها. وقال إمام الحرمين في مختصره هـذا الحديث غير مخرج في الصحيح، وقال في البرهان لا يصححه أهل الحديث، وقال الغزالي في المستصفى الأظهر ان هذا الخبر غير صحيح. وقال الداودي الشارح: هذا الحديث غير محفوظ. والسبب في إنكارهم صحته ماتقرر عندهم مما قدمناه وهو الذي فهمه عمر (رض) من حمل «أو» على التسوية لما يقتضيه سياق القصه وحمل السبعين على المبالغة. قال ابن المنير ليس عند أهل البيان تردد أن التخصيص بالعدد في هذا السياق غير مراد انتهى وأيضا فشرط القول بمفهوم الصفة وكذا العدد عندهم مماثلة المنطوق للمسكوت وعدم فائدة أخرى، وهنا المبالغة فائدة واضحة. فأشكل قوله «سأزيد على السبعين» مع ان حكم ما زاد عليها حكمها.

«وقد أجاب بعض المتأخرين عن ذلك بانه انما قال «سأزيد على السبعين» استمالة لقلوب عشيرته، لا انه أراد أنه ان زاد على السبعين يغفر لهم، ويؤيده تردده في ثاني حديثي الباب حيث قال «لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت» لكن قدمنا ان الرواية ثبتت بقوله «سأزيد» ووعده صادق ولا سيما وقد ثبت قوله «لازيدن» المبالغة في التأكيد بصيغته. وأجاب بعضهم باحتمال ان يكون فعل ذلك استصحابا للحال لان جواز المغفرة بالزيادة كان ثابتا قبل مجيء الآية فجاز ان يكون باقيا على أصله في الجواز وهذا جواب حسن. وحاصله ان العمل بالبقاء على حكم الاصل مع فهم المبالغة لا يتنافيان، فكأنه جوز أن المغفرة تحصل بالزيادة على السبعين لانه جازم بذلك، ولا يخفى ما فيه، وقيل ان الاستغفار يتنزل منزلة الدعاء، والعبد اذا سأل ربه حاجة فسؤاله إياه يتنزل منزلة الذكر لكنه من حيث طلب تعجيل حصول المطلوب ليس عبادة، فاذا كان كذلك والمغفرة في نفسها

حكمة وتعلق العلم بعدم نفعها لا يغير ذلك فيكون طلبها لا لغرض حصولها بل لتعظيم المدعو ، فاذا تعذرت المغفرة عوض الداعي عنها ما يليق به من الثواب أو دفع السوء كما ثبت في الخبر ، وقد يحصل بذلك عن المدعو لهم تخفيف . كما في قصة أبي طالب .

«هذا معنى ما قاله ابن المنير وفيه نظر لانه يستلزم مشروعية طلب المغفرة لمن تستحيل المغفرة له شرعا ، وقد ورد انكار ذلك في قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)

ووقع في أصل هذه القصة اشكال آخر . وذلك انه ﷺ أطلق انه خير بين الاستغفار لهم وعدمه بقوله تعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) وأخذ بمفهوم العدد من السبعين فقال «سأزيد عليها» مع انه قد سبق قبل ذلك بمدة طويلة نزول قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) فان هذه الآية - كما سيأتي في تفسير هذه السورة قريباً - نزلت في قصة أبي طالب حين قال ﷺ « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فنزلت ، وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة اتفاقا . وقصة عبد الله بن أبي هذه في السنة التاسعة من الهجرة كما تقدم ، فكيف يجوز مع ذلك الاستغفار للمنافقين مع الجزم بكفرهم في نفس الآية ؟

«وقد وقفت على جواب لبعضهم عن هذا حاصله : ان المنهي عنه استغفار ترجى اجابته حتى يكون مقصوده تحصيل المغفرة لهم كما في قصة أبي طالب ، بخلاف الاستغفار لمثل عبد الله بن أبي . فانه استغفار لقصد تطييب قلوب من بقي منهم . وهذا الجواب ليس بمرضي عندي . ونحوه قول الزمخشري فانه قال [فان قلت] كيف خفي على أفصح الخلق واخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته ان المراد بهذا العدد ان الاستغفار ولو كثر لا يجدي ولا سيما وقد تلاه قوله (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم [قلت] لم يخف عليه ذلك ولكنه فعل ما فعل وقال ما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه ، وهو كقول ابراهيم عليه السلام (ومن عصاني فانك غفور رحيم) وفي إظهار النبي ﷺ الرأفة المذكورة لطف بامته وباعث على رحمة بعضهم بعضا انتهى . وقد تعقبه ابن المنير وغيره وقالوا لا يجوز نسبة ما قاله إلى الرسول ، لان الله أخبر انه لا يغفر للكفار وإذا كان لا يغفر لهم فطلب المغفرة لهم مستحيل ، وطلب المستحيل

لايقع من النبي ﷺ . ومنهم من قال ان النهي عن الاستغفار لمن مات مشركا لايستلزم النهي عن الاستغفار لمن مات مظهراً للاسلام، لاحتمال أن يكون معتقده صحيحاً . وهذا جواب جيد . وقد قدمت البحث في هذه الآية في كتاب الجنائز والترجيح ان نزولها كان متراخياً عن قصة أبي طالب جداً وان الذي نزل في قصته (انك لاتهدي من احببت) وحررت دليل ذلك هناك، الاان في بقية هذه الآية من التصريح بأنهم كفروا بالله ورسوله مايدل على أن نزول ذلك وقع متراخياً عن القصة . ولعل الذي نزل أولا وتمسك النبي ﷺ به قوله تعالى (استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) إلى هنا خاصة ولذلك اقتصر في جواب عمر على التخيير وعلى ذكر السبعين فلما وقعت القصة المذكورة كشف الله عنهم الغطاء وفضحهم على رءوس الملأ ونادى عليهم بأنهم كفروا بالله ورسوله. ولعل هذا هو السر في اقتصار البخاري في الترجمة من هذه الآية على هذا القدر إلى قوله (فلن يغفر الله لهم) ولم يقع في شيء من نسخ كتابه تكميل الآية كما جرت به العادة من اختلاف الرواة عنه في ذلك

«واذا تأمل المتأمل المنصف وجد الحامل على من رد الحديث أو تعسف في التأويل ظنه بان قوله (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) نزل مع قوله (استغفر لهم) أي نزلت الآية كاملة، لانه لو فرض نزولها كاملة لاقترن النهي بالعلة وهي صريحة في ان قليل الاستغفار وكثيره لايجدي ، وإلا فاذا فرض ماحررته ان هذا القدر نزل متراخياً عن صدر الآية ارتفع الاشكال . واذا كان الامر كذلك فحجة المتمسك من القصة بمفهوم العدد صحيح، وكون ذلك وقع من النبي ﷺ متمسكا بالظاهر على ماهو المشروع في الاحكام إلى أن يقوم الدليل الصارف عن ذلك لااشكال فيه . فلله الحمد على ماألهم وعلم .

«وقد وقفت لابي نعيم الحافظ صاحب حلية الاولياء على جزء جمع فيه طرق هذا الحديث وتكلم على معانيه فلخصته فمن ذلك أنه قال : وقع في رواية ابي أسامة وغيره عن عبيد الله العمري في قول عمر «أتصلي عليه وقد نهاك الله عن الصلاة على المنافقين» ولم يبين محل النهي فوقع بيانه في رواية ابي ضمرة عن العمري ، وهو أن مراده بالصلاة عليهم الاستغفار لهم ولفظه «وقد نهاك الله ان

تستغفر لهم» قال وفي قول ابن عمر «فصلى رسول الله ﷺ وصلينا معه» ان عمر ترك رأي نفسه وتابع النبي ﷺ ونبه على ان ابن عمر حمل هذه القصة عن النبي ﷺ بغير واسطة ، بخلاف ابن عباس فانه انما حملها عن عمر اذ لم يشهدها اهـ المراد منه

(أقول) حاصل ما لخصه الحافظ من أقوال العلماء في هـذه المسألة وهو من أوسع حفاظ الملة اطلاعا أنه لا يمكن الجمع بين القرآن والحديث فيها على وجه مقبول إلا إذا فرضنا ان آية النهي عن الصلاة عليهم قد نزلت بعد الصلاة على ابن أبي ، وهو وان كان خلاف ظاهر السياق لا مانع منه عقلا. ولكن يبعد جدا ان تكون آية الاستغفار للمنافقين قد نزل صدرها أولا ثم نزل باقيها متراخيا بعد سنة او أكثر اي بعد الصلاة على ابن أبي ، وكذا تأويل قول عمر « وقد نهاك الله عن الصلاة على المنافقين - بانه يعني بالصلاة الاستغفار . وإذا سلمنا نزول صدر آية من سياق طويل كآية براءة في سنة ونزول باقيها في سنة أخرى على بعده فماذا نقول في آية سورة المنافقين وقد نزلت قبل آية براءة باربع سنين في غزوة بني المصطلق وكانت سنة خمس من الهجرة وهي اصرح في التسوية بين الاستغفار وعدمه؟

الحق ان هذا الحديث معارض للآيتين فالذين يعنون باصول الدين ودلائله القطعية أكثر من الروايات والدلائل الظنية لم يجدوا اما يجيبون به عن هذا التعارض إلا الحكم بعدم صحة الحديث ولو من جهة متنه، وفي مقدمتهم أكبر اساطين النظار كالقاضي أبي بكر الباقلاني وامام الحرمين والغزالي ووافقهم على ذلك الداودي من شراح البخارى. وأما الذين يعنون بالاسانيد أكثر من عنايتهم بالمتون ، وبالفروع أكثر من الاصول، فقد تكلفوا ما بينا خلاصته عن أحفظ حفاظهم . ومن الاصول المتفق عليها أنه ما كل ماصح سنده يكون متنه صحيحا ، وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح، وانما يعول على صحة السند إذا لم يعارض المتن ما هو قطعي في الواقع او في النصوص، وان القرآن مقدم على الاحاديث عند التعارض وعدم امكان الجمع ، فمن اطمأن قلبه لما ذكروا من الجمع او لوجه آخر ظهر له فهو خير له من رد الحديث، ومن لم يظهر له ذلك فلا مندوحة له عن الجزم بترجيح القرآن ، والتماس عذر لرواة الحديث بنحو ما ذكرناه في تعارض أحاديث الدجال (صفحة ٤٨٩ ج٩ تفسير)

فتاوى المنار

أسئلة من بيروت وردت في كتابين منذ سنة ونصف فجمعناهما وتركنا مقدمة الخطاب

(س ٤٣ — ٥٢) من صاحب الامضاء في بيروت

(١) ماقول السادة العلماء الاعلام في رجل معلم باحدى المدارس الاسلامية أفتى التلاميذ بطهارة الاسبرتو وبجواز المسح على الجورب ولو كان رقيقاً والصلاة بالنعلين (الحذاء) وحسر الرأس (كشفه) معتمداً على ما افتى به بعض العلماء بجواز ذلك، فما كان من رئيس المدارس الا انه عاقبه بالعزل من وظيفته مدعياً بأن المعلم المذكور خالف علماء المسلمين في هذه الفتوى، فهل هذا المعلم اخطأ ويستحق هذا العقاب ام لا؟

(٢) هل يجوز للمعلمين والمتعلمين وغيرهم من الرجال والنساء قراءة القرآن الكريم ومس المصحف وكتب الاحاديث وقراءتها وكتب التوحيد والفقه وقراءتها على غير طهر اي بلا وضوء وغسل من الجنابة والحيض وغيره ام لا؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب

(٣) ماقولكم دام فضلكم فيمن يقول ان قراءة القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة للتبرك والثواب فقط واما العمل فيجب أن يكون حسب اقوال مذاهب الأئمة الاربعة لاغيرها، لانه لايوجد أحد مطلقاً في هذا الزمان يقدر على استنباط حكم من الاحكام الشرعية كالعبادات والمعاملات وغيرها من القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة لعدم توفر شروط الاجتهاد فيه، فهل هذا القول صحيح معتمد عليه ومن الذي قال به من العلماء الذين يعتد بقولهم؟

(٤) هل رفع الصوت بالاستغفار عقب صلاة الفرض خلف الامام الراتب وغيره في المسجد سنة ام بدعة، وما حكم الكلام الدنيوي وغيره في المسجد

(٥) ماقول فضيلتكم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ببيتين من الشعر قبيل صعود الخطيب المنبر او عند صعوده؟

٦) هل يجوز قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم على المآذن ام لا؟

(٧) هل وضع العمامة أثناء الصلاة يثاب عليها المصلي أكثر مما لو صلى بدون عمامة وهل ورد عن النبي ﷺ شيء بهذا الشأن ام لا .

(٨) هل يجوز للرجل أن يحلق شاربيه ولحيته وهل يعد ذلك فسوقا وضلالا ولا تقبل شهادته ولا امامته في الصلاة وغيرها ام لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب
السائل
عبدالحفيظ ابراهيم اللاذقي بيروت.

أجوبة المنار على ترتيب عدد الفتاوى السابقة

المعلم المذكور في السؤال الاول أصاب فيما قاله للتلاميذ ، وأخطأ من عزله بزعمه انه خالف العلماء فانه إن خالف بعضهم فقد وافق آخرين لقوة دليلهم وانما يؤاخذ من خالف الاجماع الصحيح ولا اجماع فيما ذكر ، ونختصر في بيان ذلك لانه تكرر في المنار فنقول :

(٤٣) طهارة الاسبرتو أو الكحول

الاسبرتو طاهر بل مطهر يزيل النجاسات والاقذار التي لا يزيلها الماء وحده إلا بمشقة كما هو ثابت بالتجربة، ولا يتوضأ به لان الوضوء قد شرع بالماء وهو عبادة، وعلى من يدعي نجاسته أن يأتي بالدليل لا على من ينكرها لانها خلاف الاصل ، فان الاصل في الاشياء الطهارة ، وقد كنت أفتيت بطهارته في جواب سؤال عن الاعطار الافرنجية، وبأن الخمر التي يعلل بعضهم نجاسته بأخذه منها أو بعده منها لا يقوم دليل على نجاستها الحسية التي تزال بالماء ، وإنما هي رجس معنوي شرعي كالميسر والانصاب والازلام التي قرنت بها في الحكم ، ونشر ذلك في (ص ٥٠٠ — ٥٠٣) من مجلد المنار الرابع . وقد رد علينا رجل من وجهاء الشام ففندنا رأيه في مقالة عنوانها (طهارة الكحول ، والرد على ذي فضول) نشرت في (ص ٨٢١ و ٨٦٦) من المجلد الرابع أيضاً

ثم أراد بعض علماء الازهر أن يرد على هذه المقالة و كاشفنا برأيه في مجلس فيه جماعة من كبراء علماء الازهر منهم مفتي الديار المصرية المرحوم الشيخ أبو بكر

الصدفي ، فناظرناه في ذلك مناظرة صرفته عن الرد الذي كان ينوي كتابته ونشره ، وذكرنا خبر هذه المناظرة في المنار

ثم ان بعض علماء الهند من الحنفية أفتى بتحريم استعمال الكحول (اسبيرتو) في الاصباغ والادهان والعطور معللا ذلك بكونه خمراً نجساً ، وعرض فتواه على العلماء فقرظها له بعضهم وأرسلها الينا فنشرناها بنصها ونصوص من وافقوه عليها ، ورددنا عليها رداً طويلا نشرناه في المنار (راجع ٦٥٧ـ٦٧٩ من المجلد ٢٣) ونشرنا لها ملحقاً طبياً صيدلياً في الجزء الاول من المجلد ٢٤

(٤٤) المسح على الجورب

المسح على الجورب جائز ، وقد بينا دليله في مواضع من المنار ، ولعالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى رسالة في ذلك فيحسن أن تراجعوها

وقد اشترط بعض الشافعية في جواز المسح على الجورب أن يكون صفيقاً لا يشف وأن يكون منعلا كما ذكره الشيخ أبو اسحاق في المهذب. ولكن قال النووي في شرحه مانصه : والصحيح بل الصواب ماذكره القاضي أبو الطيب والقفال وجماعات من المحققين انه إن أمكن متابعة المشي عليه جاز كيف كان وإلا فلا، وهكذا نقله الفوراني في الابانة عن الاصحاب أجمعين .

ثم قال في بيان مذاهب العلماء في المسألة: وحكى أصحابنا عن عمر وعلي (رض) جواز المسح على الجورب وإن كان رقيقاً، وحكوه عن أبي يوسف ومحمد واسحاق وداود . وعن أبي حنيفة المنع مطلقاً . وعنه انه رجع الى الاباحة اه المراد منه .

فهذا كلام المحققين. فلماذا لايأخذ ناظر تلك المدرسة الايقول المضيقين على الامة بغير دليل ؟ في هذا العصر الذي نحن أحوج فيه الى اليسر ورفع الحرج من الدين كما رفعه الله عنا ؟ ان كثيرا من المسلمين لايجدون شيئاً من الضيق في الصلاة إلا غسل الرجلين في الوضوء واني عندما أفتيت أول مرة في المنار بجواز مسح الجورب كالخف اخبرني كثير من الوجهاء المترفين انهم صاروا يواظبون على الصلاة

(٤٥) الصلاة بالنعلين وحسر الرأس

الصلاة بالنعلين جائزة بل كانت هي الاصل الذى عليه العمل الغالب في

عهد النبي ﷺ ولعل خلع النعلين لاجل الصلاة لم يصر عادة غالبة ثم عامة الا بعد ان صاروا يفرشون المساجد ، وكان النبي ﷺ يصلي باصحابه على التراب وقد يقع المطر في المسجد فيسجدون في الماء والطين كما ترى في حديث ليلة القدر في البخاري وغيره والاحاديث في الصلاة بالنعلين معروفة كحديث انس في الصحيحين وغيرهما انه ﷺ كان يصلي في نعليه ويذكر بعضها في التفسير المأثور لآية (خذوا زينتكم عند كل مسجد) فراجع الدر المنثور للسيوطي - وفي كتب الفقه أيضا

وأما حسر الرأس في الصلاة فهو خلاف الاصل ولكنه جائز اذ لا يشترط في صحة الصلاة من اللباس الا ما يستر العورة ، ويجتنب الاكثار منه ويحظر اذا كان فيه تشبه بغير المسلمين في صلاتهم، كما انه يجب في حال الاحرام بالحج أو العمرة .

(٤٦) قراءة القرآن ومس المصحف وكتب الدين للمحدث والحائض

قراءة القرآن لغير المتوضئ جائزة لا خلاف فيها ، ومس المصحف له فيه خلاف فقد منعه الجمهور ، والجنب أولى بالمنع .وذكر النووي في المجموع ان الحكم بن عتبة وحماداً يعني ابن أبي سليمان شيخ الامام أبي حنيفة وداود جوزوا مسه وحمله ، وفي رواية عن الاولين جواز مسه بظهر الكف لا بباطنه

وأما قراءة الجنب والحائض للقرآن فجمهور الفقهاء ومنهم الاربعة على تحريمه على تفصيل لبعضهم في القليل منه كبعض آية وفيما لا يقصد به التلاوة .قال النووي في المجموع :وقال داود يجوز للجنب والحائض قراءة كل القرآن ويروى هذا عن ابن عباس وابن المسيب، قال القاضي وابن الصباغ وغيرهما واختاره ابن المنذر. وقال مالك يقرأ الجنب الآيات اليسيرة للتعوذ ، وفي الحائض روايتان عنه (إحداهما) تقرأ (والثانية)لا تقرأ. وقال أبو حنيفة يقرأ الجنب بعض آية ولا يقرأ آية. وله رواية كمذهبنا اه ثم ذكر أدلة المانعين والمجوزين بالتفصيل ومنه يعلم انه ليس للمحرمين دليل قوي وقد قال الاذرعي كما في حاشية المجموع المطبوع (ص ١٥٩ ج ٢) ما نصه: مذهب داود قوي فانه لم يثبت في المسألة شيء يحتج به لنا كما أوضحه وقد نقل البيهقي في معرفة السنن والآثار عن الشافعي انه قال لا أحب للجنب أن يقرأ القرآن لحديث لا يثبته أهل الحديث. وهذا المذهب هو اختيار ابن المنذر والاصل عدم التحريم اه

وأقول: هذا الذي أعتقده ولكني أعمل بقول الجمهور احتياطا وأدبا مع القرآن لاتحرجا وتأثما، على انني لا أحمل الجنابة زمنا طويلا لا أستغنى فيه عن التلاوة. والتحقيق ان التحريم لا يثبت الا بدليل قطعي، وهذه المسألة لم يثبت فيها دليل ظني كما قال الاذرعي وهو من كبار فقهاء الشافعية المشددين في المسألة. ومن أدلة المجوزين الآيات القرآنية في ذكر الله على كل حال، والقرآن كله ذكر الله، وأفضل ما فيه توحيد الله وتسبيحه وتكبيره وحمده، وكل هذه الاذكار جائزة للجنب والحائض بالاجماع، كما ان صلاة الجنب جائزة لفاقد الطهورين، ومن هذا يعلم ان كون تلاوة الجنب للقرآن ينافي تعظيمه - وهم من الاوهام، لانه لو صح لكان كل ذكر لله من الجنب والحائض منافيا لتعظيمه.

(٤٧) جعل الكتاب والسنة للتبرك دون الهداية

من يقول انه لم تبق للكتاب والسنة فائدة ولا حاجة للمسلمين إلا التبرك بهما، وان العمل يجب أن يكون باقوال علماء مذاهب الاربعة دونهما، فهو من أكبر المجرمين المحادين لله ولرسوله والصادين عن الاسلام، وما ضاعت هداية الاسلام وتبعها ضياع ملك المسلمين وعزهم إلا بهذه الضلالة التي ابتدعها بعض المقلدين الجاهلين لدين الله تعالى، والادلة على هذا كثيرة بسطناها في مواضع كثيرة من المنار ولا سيما التفسير

فعلماء المذاهب الاربعة المجتهدون وامثالهم ادلاء للمسلمين على معاني الكتاب والسنة ومعلمون لهما، لاحائلون دونهما، ولا صادون عن دوام الاهتداء بهما، ولم يقل أحد منهم للامة انني بينت لكم كل ماجاءكم به رسول الله ﷺ عن الله تعالى بما يغنيكم عن كتابه وسنة رسوله في بيانه، بل كانوا يقولون لها هذا ماظهر لنا فان رأيتم في الكتاب أو السنة مايخالفه فخذوا به واضربوا بكلامنا عرض الحائط.

واما مااشترطه الاصوليون والفقهاء في الاجتهاد فليس مما يتعذر على من يريده من الناس، وهم يشترطونه في المجتهد المطلق المستعد لاستنباط الاحكام في جميع المسائل غير المنصوصة في الشريعة، لافي كل من يهتدي بالكتاب والسنة ويعمل بنصوصهما في عقيدته وعبادته وآدابه واخلاقه مستعيناً على ذلك باقوال المفسرين وحفاظ

السنة ، ولم يقل أحد منهم « انه لا يوجد أحد مطلقاً في هذا الزمان يقدر على استنباط حكم من الاحكام » الى آخر ماذكر في السؤال ، بل قالوا ان الاجتهاد يتجزأ ، واننا نرى جميع المتفقهة بكتب هذه المذاهب يفتون الناس في المسائل الحادثة بعد أزمنة أئمتهم ويسمون فتاويهم شرعية . وترى مثل الامام الغزالي يصرح في إحياء العلوم بان أهم أمور الدين لا توجد في كتب الفقهاء وانظر ما كتبناه في تفسير هذا الجزء من المقابلة بين المؤمنين والمنافقين وقد فصلنا هذه المسألة مرارا وحسبكم منها ما جمعناه في كتاب (يسر الاسلام) وكتاب الوحدة الاسلامية ومحاورات المصلح والمقلد

(٤٨) الاستغفار عقب الصلاة رفع الصوت

الاستغفار عقب الصلاة مشروع ومأثور عن النبي ﷺ ولكن رفع الصوت به بدعة ولاسيما التزامه من جماعة المصلين لان مثل هذا من قبيل الشعائر، لا يثبت إلا بنص من الشارع أو عمل الجماعة في العصر الاول لانهم لا يلتزمون مثله إلا بتوقيف

(٤٩) الكلام الدنيوي في المسجد

الكلام المباح في غير المسجد يباح في المسجد إذا لم يكن فيه ما يشغل المصلين عن صلاتهم أو يخل بحرمته كاللغط ورفع الاصوات والخصام ونشد الضالة ، وتجدون في الجزء الثالث من كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية فصولا في أحكام المساجد وآدابها وما تصان منه يحسن أن تطالعوها ومنها ماينكر فيها من ليالي المواسم والموالد وهي من صفحة ٣٩٣ — ٤٢٩

(٥٠) مدح النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر عند صعود الخطيب المنبر

إنشاد الشعر في مدح النبي ﷺ عند صعود الخطيب المنبر او قبيله بدعة ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح، وصلاة الجمعة من شعائر الاسلام التي يجب فيها الاتباع بغير زيادة ولا نقصان . وأما مدح النبي ﷺ بالشعر الذي لاغلو فيه في المسجد فهو حسن كانشاده في غير المسجد ،مالم يكن بهيئة مخصوصة دائمة تشبه المشروع بحيث يظن غير العالم بالسنة أنه مشروع

(٥١) قراءة المولد في المنارة

قراءة هذه القصص التي الفت في المولد النبوي بدعة في المنارة وغير المنارة ولكن قراءتها في المنارة المبنية لأجل الأذان الشرعي توهم العوام انها مشروعة ديناً فبهذا تكون بدعة دينية محضة ، واما قراءة قصة المولد بحد ذاتها كما تقرأ كتب العلم والحديث من غير ان تشتمل على منكر في موضوعها و لا في الاجتماع لها فهي مستحبة ، وقد بينا اقوال العلماء في احتفال المولد النبوي وتحقيق الحق فيها في مقدمة كتابنا (ذكرى المولد النبوي) فراجعوه إن شئتم .

(٥٢) الصلاة بالعمامة

كان النبي (ص) يعتم ويصلي بالعمامة وكذلك اصحابه ، فالصلاة في العمامة افضل للاتباع ، ولانه في عرف المسلمين اكمل الاحوال في زينة المؤمن للمسجد التي امرنا بها في قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد)

(٥٢) حلق اللحية والشارب

حلق اللحية مكروه للامر باعفائها في الحديث الصحيح واما حلق الشاربين فكرهه بعض العلماء والافضل قصهما . والاصل في ذلك حديث « احفوا الشارب واعفوا اللحى » رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر مرفوعا وهذان من خصال الفطرة المتعلقة بالزينة وحسن الهيئة لا التعبد ، والاعفاء الترك ، والاحفاء المبالغة في القص ، وأوسطه أن يقص منهما مايغطي الشفتين وهو المشهور عن السلف ، ومنهم من بالغ في ذلك ومن حلقه ، ولكن قال الامام مالك حلق الشارب بدعة ظهرت في الناس . والظاهر من اعفاء اللحية تركها على حالها ، وقال بعضهم بل يستحب قص مازاد منها على قبضة اليد ، ونقلوه عن بعض السلف ، وصرحوا بان حلقها مكروه ، وقال الامام احمد لا بأس بحلق ماتحت حلقه من لحيته . فترى كثيراً من الحنابلة في هذا العصر يحلقون أسفل الذقن كله عملا بهذه الرواية ، ولكن الحلق من الخارج محل الذبح ومن الداخل مساغ الطعام ومخرج النفس . فحلق مافوق الحلق وهو اسفل الذقن كله لايدخل في معنى هذه الرواية ، وهو ينقص من جمال اللحية

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟

(٢)

(بقية الكلام في خيانة بعض المسلمين لدينهم وأمتهم)

ولعل الاخ الشيخ بسيوني عمران يقول : ان هؤلاء أفراد قلائل فلا يجوز أن نجعل الامة الاسلامية مسؤولة عن مخازيهم وموبقاتهم

والجواب على ذلك: أن الظلم يخص والبلاء يعم كما لا يخفى، ولكني لا أسلم أن هؤلاء أفراد قلائل ، وأن الامة غير مسؤولة ! إذ لو كان وراء هؤلاء أمة يخشونها ما تجاسروا على الاتجار بدينهـا بعد الاتجار بدنياها ، بل كانوا لو اقترح عليهم الفرنسيس اقتراحا مضراً بملتهم وأمتهم ولم يقدروا على رده اعتزلوا مناصبهم، ولزموا بيوتهم ، وكان الفرنسيس كلفوا بالعمل غيرهم ، فاذا أبى الخلف ما أباه السلف مرة بعد مرة علم الفرنسيس أن لا فائدة في الاصرار ؛ فعدلوا عن دسيستهم البربرية وما أشبهها ، ولكنهم مصرون عليها بسبب استظهارهم بأناس ممن يزعمون أنهم « مسلمون » فهم يهدمون الاسلام بمعاول في أيدي أبنائه، ويقولون لسنا من هذا الامر في قبيل ولا دبير أفلا ترى كيف قالوا عن الظهير البربري إنه قد أصدره السلطان وحكومة المخزن

أفهذا هو الاسلام الذي يناشد الله الشيخ بسيوني عمران بتأييد أهله ؟

قال الله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ولا شك أن « المسلمين » الذين يبلغون هذه الدركات من الانحطاط وتتركهم الامة الاسلامية وشأنهم يلعبون بحقوقها يستحقون للاسلام التمحيص الذي هو فيه [1] فانما سمح الله بان يستولي الاجانب على ديار المسلمين ويجعلوهم خولا ،

(١) هكذا في الاصل ومعنى يستحقون هنا يستوجبون على قول الفارابي واللام في للاسلام للتقوية والمراد به المسلمون . والمعنى يستوجبون بجرائمهم تمحيص المسلمين في جملتهم ليميز الله الخبيث من الطيب، وبفسره ما بعده وهو مستنبط من قوله تعالى في سياق غزوة أحد (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فليراجع السياق من سورة آل عمران وتفسيره المؤثر في الجزء الرابع من تفسير المنار

ويغتصبوا جميع حقوقهم، تعليما لهم وتهذيبا، وتصفيـة وتطهيراً كما يصفى الذهب الابريز بالنار

قال الله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)

لقد أصبح الفساد إلى حد أن أكبر أعداء المسلمين هم المسلمون. وأن المسلم اذا أراد أن يخدم ملته أو وطنه قد يخشى أن يبوح بالسر من ذلك لاخيه، إذ يحتمل أن يذهب هذا إلى الاجانب المحتلين فيقدم لهم بحق أخيه الوشاية التي يرجو بها بعض الزلفى، وقد يكون أمله بها فارغا

ولله در الملك ابن سعود حيث يقول: ماأخشى على المسلمين إلامن المسلمين، ماأخشى من الاجانب كما أخشى من المسلمين (١)

وهو كلام أصاب كبد الصواب، فانه مامن فتح فتحه الاجانب من بلاد المسلمين إلا كان نصفه أو قسم منه على أيدي أناس من المسلمين، منهم من تجسس للاجانب على قومه، ومنهم من بث لهم الدعاية بين قومه، ومنهـم من سل لهم السيف في وجه قومه، وأسال في خدمتهم دم قومه

فأين اسلامهم وايمانهم من قوله (انما المؤمنون أخوة) وقوله (ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقوله (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) وقوله: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)

أفبمثل هذا تكون طاعة الله ورسوله؟ أم بمثله تكون اخوة الايمان وولايته وولاية أهله؟

---

(١) وقال في محفل حافل بحجاج الاقطار — وقد طالبه مصري أزهري بمحاربة الانكليز والفرنسيس المعتدين على المسلمين ذاكراً عداوتهم لهم —: الانكليز والفرنسيس معذورون إذا عادونا لانه لا يجمعنا بهم جنس ولا دين ولا لغة ولا مصلحة، ولـكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها ان المسلمين أصبحوا أعداء أنفسهم، وأنا والله لا أخاف الاجانب وإنما أخاف من المسلمين، فلو حاربت الانكليز لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين

أو لمثل هؤلاء يعد الله العز والنصر والتمكين في الارض ، وهم سعاة بين أيدي الاجانب على ملتهم ووطنهم وقومهم ، كلما عاتبهم الانسان على خيانة اعتذروا بعدم امكان المقاومة ، أو باتقاء ظلم الاجنبي ، أو بارتكاب أخف الضررين ؟ وجميع اعذارهم لاتتكيء على شيء من الحق . ولقد كانوا قادرين أن يخدموا ملتهم بسيوفهم فان لم يستطيعوا فبأقلامهم ، فان لم يستطيعوا فبألسنتهم ، فان لم يستطيعوا فبقلوبهم (١) فأبوا الا أن يكونوا بطانة للاجانب على قومهم ، وأبوا إلا أن يكونوا رواداً لهم على بلادهم ، وأبوا إلا أن يكونوا مطايا للاجانب على أوطانهم ، وتراهم مع ذلك وافرين ناعمي البال ، متمتعين بالهناء وصفاء العيش ، وهم يأكلون مما باعوا من تراث المسلمين ، ومما فجروا من دماء المسلمين ، وينامون مستريحين . مثل هؤلاء ليس لهم وجدان يعذبهم من الداخل ، ولا نجد من المسلمين من يجرأ أن يعذبهم من الخارج

لم نكن لنطلق الكلام اطلاقا على العالم الاسلامي في هذا الموضوع ، فان الامة الافغانية مثلا لا يمكن أحداً أن يحطب فيها في حبل الاجانب علنا ويبقى حيا ، والنجديون لا يوجد فيهم من يجرأ أن يمالئ الاجانب على قومه ، والمصريون قد ارتقت تربيتهم السياسية كثيراً عن ذي قبل فأصبحت مجاهرة أحدهم بالميل للاجنبي أو تفضيل حكم الاجنبي خطراً عليه . فأما في سائر بلاد الاسلام فمن شاء من المسلمين أن يخلع الرسن ويجاهر بالعصوبة لعدو دينه وبلده فلا يخشى شراً ، ولا يحاذر قلقا ولا أرقا .

أفلمثل هؤلاء يقول الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) ؟

حاش لله أن يكون تعالى عنى بهؤلاء « المسلمين » الذين يخونون ملتهم

---

(١) إشارة إلى حديث «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان» رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن كلهم وهذا في وجوب تغيير المنكرات يفعلها المسلم فماذا يقال في مقاومة هدم الاسلام من أساسه ؟

ويسعون بين يدي أعدائها ويناصبون اخوانهم العداوة ابتغاء مرضاة الاجانب والحصول على دنيا زائلة وحطام فان ، كيف وقد قرن الايمان بلازمه وهو عمل الصالحات ؟ بئسما شروا به أنفسهم . وكذلك لايعني الله بهؤلاء المسلمين الذين ان لم يكونوا خامروا على قومهم ، وسعوا بين أيدي الاجانب في خراب أمتهم ، وأوطأوا مناكبهم لركوب الغريب الطامح ، فانهم اكتفوا من الاسلام بالركوع والسجود ، والأوراد والأذكار ، واطالة السبحة ، والتلوم في السجدة ، وظنوا أن هذا هو الاسلام ، ولو كان هذا كافيا في اسلام المرء وفوزه في الدنيا والأخرى لما كان القرآن ملآن بالتحريض على الجهاد ، والايثار على النفس ، والصدق والصبر ، ونجدة المؤمن لأخيه ، والعدل والاحسان ، وجميع مكارم الاخلاق . ولو كان هذا كافيا لاجل التحقق بالاسلام لما قال الله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين)(١)

أفيقدر أخونا الشيخ بسيوني عمران أو غيره ان يقول ان المسلمين اليوم إلا النادر الاندر ، والكبريت الاحمر ، يفضلون الله ورسوله على آبائهم وأبنائهم واخوانهم وأزواجهم وتجارتهم وأموالهم ومساكنهم ؟ أو يؤثرون حب الله ورسوله — وانما حب الله ورسوله إقامة الاسلام — على الجزء اليسير من أموال اقترفوها . وتجارة يخشون كسادها ؟

لنعمل هذه التجربة .. فبضدها تتبين الاشياء

لنفرض أن مسئلة تنصير البربر دخلت في طور النجاح ، وانتدب البابا الكاثوليك الذين في العالم لبذل الاموال اللازمة لهذا التحويل الذي تتوخاه فرنسة في البربر من دين الاسلام إلى دين النصرانية ، فكم مليونا تظن من الجنيهات يدر على المبشرين والرهبان والراهبات لبناء الكنائس والمدارس والملاجيء والمستشفيات ومراكز الاسقفيات وما أشبه ذلك لاتمام هذا العمل

---

(١) راجع تفسير الآية وماقبلها في ص ٢٢٤ - ٢٤٢ من الجزء العاشر من تفسير المنار

الذي تضم به الكثلكة ثمانية ملايين من البرابر إلى الاربعمائة مليون كاثوليكي الذين في العالم ؟

لاشك أن الجواب يكون : عدة ملايين تجمع في بضعة أشهر

فان قيل للبروتستانت : تعالوا فقد أذناكم بتنصير البرابرة فابذلوا في هذه السبيل ماأمكنكم ، فانها تدر حينئذ الملايين بقدر ضعفي ما يدر من الكاثوليك وفي مدة أقصر من المدة التي يجتمع فيها المال الذي يجود به الكاثوليك

فلنقل للمسلمين : ان البرابرة صاروا على شفا الخروج من الاسلام ، وإن الاس في هذا الصبوء عن دين الاسلام هو الجهل . فعلينا أن نرسل اليهم علماء ووعاظا ليتفقهوا في الدين ، وان نبني لهم المساجد والمدارس والكتاتيب والملاجيء إلى غير ذلك من الوسائل التي تمسك بحجزاتهم عن مفارقة الاسلام والمسلمين

فكم تظن المبلغ الذي يجود به المسلمون بعد اللتيا والتي لهذا العمل ؟ لاأظن انهم يجودون بما يتجاوز جزءاً من مائة مما يبذله الكاثوليك أو البروتستانت

فهذه هي حمية المسيحيين على دينهم ، وهذه هي حمية المسلمين ، ومن الناس من يسأل عن أسباب انحطاط المسلمين وقصورهم عن مباراة سواهم ، ولو تأمل في هذه الفروق في النهضة والحمية لوجد عندها الجواب الكافي

ومن أغرب الامور أن نرى الاوربيين ودعاتهم وتلاميذهم من الشرقيين بعد هذا كله يتهمون المسلمين بالتعصب الديني ، وينبزونهم بلقبه ، وينتحلون لأنفسهم التساهل في الدين ! ان هذا والله لعجب عجاب

وهاأنا ذا الآن في كتابتي هذه التي معناها الدفاع لاالتجاوز ، والاستاذ الاكبر صاحب المنار ، وعبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين ، والاستاذ صاحب مجلة الفتح ـ وغيرنا من الرجال الذين يبغون منع الاعتداء على الاسلام وينادون المسلمين ليتنبهوا للخطر المحدق بهم ـ متهمون بالتعصب الديني ومنبوزون بهذه الكلمة ، لابين غير المسلمين فقط ، بل بين المسلمين الجغرافيين أيضاً — أعني الذين يتباهون بأن سياستهم « لادينية » وطالما صرحوا بانهم

لايقيمون للدين وزنا ، وطالما تزلفوا إلى المسيحيين بكونهم هم لايدافعون عن الدين الاسلامي كما يدافع زيد وعمرو ...

فالمسلم اذاً لايخلص من لقب « متعصب » إلا اذا سمع أن الفرنسيس يحاولون تنصير البربر فمر بذلك كأن لم يسمع شيئا ، وإلا اذا سمع أن الهولانديين نصروا مائة ألف — وقد زعم أحد نواب البرلمان الهولاندي انهم فازوا بتنصير مليون مسلم من مسلمي الجاوي وهز كتفه قائلا : أنا لايهمني أكان الجاوي مسلما أم مسيحيا ... — هنالك « المسلم » يصير « راقيا » ويعد « عصريا » ويقال فيه كل خير

وأما الاوربي فله أن يبذل القناطير المقنطرة على بث الدعاية المسيحية بين المسلمين ، وله أن يحميها بالمدافع والطيارات والدبابات ، وله أن يحول بين المسلمين ودينهم بالذات وبالواسطة ، وله أن يدس كل دسيسة ممكنة لهدم الاسلام في بلاد الاسلام ، وليس عليه حرج في ذلك ، ولا يسلبه هذا العمل صفة « راق » و« متمدن » و« عصري » وأغرب من هذا أنه لايسلبه نعت « مدني » و« لاديني » و« متساهل »

وهؤلاء « المسلمون الجغرافيون » برغم هذه الشواهد الباهرة للأعين ، وبرغم ماعملته جمهورية فرنسة « اللادينية » في قضية البربر لمآرب دينية كاثوليكية ، وبرغم حماية هولاندة لمبشري الانجيل في الجاوى ، وبرغم قرار الحكومة البلجيكية رسميا اكمال تنصير أهل الكونغو ، وبرغم منع الانكليز في الاوغاندة وفي دار السلام — وكذا السودان — بث الدعاية الاسلامية بين الزنوج ، وبرغم أمور كثيرة لايسعنا الآن شرحها ، لايزالون يخدعون المسلمين قائلين لهم : ان أوربة قد رفست الدين برجلها وسارت على خطة لادينية ، وبذلك قد نجحت ونحن لن نفلح مادمنا سائرين على خطة اسلامية (١)

قد قام ببث هذه السفسطة أناس في تركيا ووجدوا ممن تلقاها بالقبول عدداً

---

(١) وقد صدقوا لكن بمعنى أننا لن نفلح ما دمنا على هذه الخطة التي نكذب بتسميتها إسلامية وأننا انما نفلح اذا قمنا بحقوق إسلامنا كما يقومون بحقوق دينهم أو أشد

كبيراً . وترى أناسا في مصر والشام والعراق وفارس يقولون بها ويكابرون في المحسوس ولا يبالون ، لانهم يجدون على كل الاحوال من الاغرار من يصدقهم

أهم أسباب تاخر المسلمين

فمن أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل ، الذي يجعل فيهم من لايميز بين الخمر والخل ، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة ولا يعرف أن يرد عليها

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص ، الذي هو أشد خطراً من الجهل البسيط ، لان الجاهل اذا قيض الله له مرشداً عالما أطاعه ولم يتفلسف عليه فاما صاحب العلم الناقص فهو لايدري ولا يقتنع بانه لايدري ، وكما قيل: ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون ، أقول : ابتلاؤكم بجاهل ، خير من ابتلائكم بشبه عالم

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين فساد الاخلاق ، بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن ، والعزائم التي حمل عليها سلف هذه الامة وبها أدركوا ماأدركوه من الفلاح ، والاخلاق في تكوين الامم فوق المعارف، ولله در شوقي إذ قال :

وانما الامم الاخلاق مابقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أكبر عوامل تقهقر المسلمين فساد أخلاق أمرائهم بنوع خاص ، وظن هؤلاء — إلا من رحم ربك — أن الامة خلقت لهم ، وان لهم أن يفعلوا بها مايشاءون ، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى اذا حاول محاول أن يقيمهم على الجادة بطشوا به عبرة لغيره . وجاء العلماء المتزلفون لاولئك الامراء المتقلبون في نعمائهم ، الضاربون بالملاعق في حلوائهم ، وأفتوا لهم بجواز قتل ذلك الناصح بحجة انه شق عصا الطاعة ، وخرج عن الجماعة

ولقد عهد الاسلام الى العلماء بتقويم اود الامراء . وكانوا في الدول الاسلامية الفاضلة بمثابة المجالس النيابية في هذا العصر ، يسيطرون على الامة ، ويسددون خطوات الملك ، ويرفعون أصواتهم عند طغيان الدولة ، ويهيبون بالخليفة فمن بعده الى الصواب . وهكذا كانت تستقيم الامور لان أكثر أولئك العلماء كانوا

متحققين بالزهد ، متحلين بالورع ، متخلين عن حظوظ الدنيا ، لا يهمهم أغضب الملك الظالم الجبار أم رضي . فكان الخلائف والملوك يرهبونهم ويخشون مخالفتهم لما يعلمون من انقياد العامة لهم ، واعتقاد الامة بهم ، الا انه بمرور الايام خلف من بعد هؤلاء خلف اتخذوا العلم مهنة للتعيش ، وجعلوا الدين مصيدة للدنيا ، فسوغوا للفاسقين من الامراء أشنع موبقاتهم ، وأباحوا لهم باسم الدين خرق حدود الدين ، هذا والعامة المساكين مخدوعون بعظمة عمائم هؤلاء العلماء ، وعلو مناصبهم ، يظنون فتياهم صحيحة ، وآراءهم موافقة للشريعة ، والفساد بذلك يعظم ، ومصالح الامة تذهب ، والاسلام يتقهقر ، والعدو يعلو ويتنمر . وكل هذا اثمه في رقاب هؤلاء العلماء (١)

ومن أعظم عوامل تقهقر المسلمين الجبن والهلع ، بعد أن كانوا أشهر الامم في الشجاعة واحتقار الموت ، يقوم واحدهم للعشرة وربما للمائة من غيرهم . فالآن أصبحوا الا بعض قبائل منهم يهابون الموت الذي لا يجتمع خوفه مع الاسلام في قلب واحد . ومن الغريب ان الافرنج المعتدين لا يهابون الموت في اعتدائهم ، هيبة المسلمين إياه في دفاعهم . وان المسلمين يرون الغايات البعيدة التي يبلغها الافرنج في استحقار الحياة والتهافت على الهلكة في سبيل قوميتهم ووطنهم ، ولا تأخذهم من ذلك الغيرة ، ولا يقولون نحن أولى من هؤلاء باستحقار الحياة ، وقد قال الله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله مالا يرجون)

وقد انضم الى الجبن والهلع اللذين أصابا المسلمين اليأس والقنوط من رحمة الله ، فمنهم فئات قد وقر في أنفسهم ان الافرنج هم الاعلون على كل حال ، وانه لاسبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه ، وان كل مقاومة عبث ، وان كل مناهضة

(١) وفينا هذا المسألة حقها في المنار واهمه مقالة في المجلد التاسع ص ٣٥٧ عنوانها (حال المسلمين في العالمين . ودعوة العلماء الى نصيحة الامراء والسلاطين) انحينا فيها باللائمة على علماء هذا العصر لتقصيرهم في نصيحة الملوك والامراء ، ويليها آثار عن السلف في ذلك نشرت في عدة أجزاء من هذا المجلد

خرق في الرأي . ولم يزل هذا التهيب يزداد ويتخمر في صدور المسلمين امام الاوربيين الى أن صار هؤلاء ينصرون بالرعب ، وصار الاقل منهم يقومون للاكثر من المسلمين . وهذا بعكس ما كان في العصر الاول

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

نسي المسلمون الايام السالفة التي كان فيها العشرون مسلما لاغير يأتون من (برشلونه) الى (فراكسيمه) من سواحل فرانسة ويستولون على جبل هناك ويبنون به حصنا ويتزايد عددهم حتى يصيروا مائة رجل فيؤسسون هناك امارة تعصف ريحها بجنوبي فرانسة وشمالي ايطالية ، وتهادنها ملوك تلك النواحي وتخطب ولاءها وتستولي على رؤس جبال الالب ، وعلى المعابر التي عليها الطرق الشهيرة بين فرانسة وايطالية ، ، وتضطر جميع قوافل الافرنج أن تؤدي للعرب المكوس لاجل المرور ، ثم تتقدم هذه الدولة العربية الصغيرة في بلاد (البيامون) مسافات بعيدة الى ان تبلغ سويسرة وبحيرة (كونستانزة) في قلب أوربة ، وتضم القسم العالي من سويسرة الى أملاكها ، وتبقى خمسا وتسعين سنة مستولية على هذه الديار الى أن تتألب الامم الافرنجية عليها ، ولا تزال تناجزها الى أن استأصلتها ، وكانت تلك العصابة العربية يوم انقرضت لا تزيد على الف وخمسمائة رجل (وقد نشرنا تفصيل خبرها في المجلد ٢٤ من المنار)

شبهات الجهلاء الجبناء وردها

من السخفاء من يقول : نعم قد كان ذلك لكن قبل أن يخترع الافرنج آلات القتال الحديثة ، وقبل المدافع والدبابات والطيارات ، وقبل أن صار الافرنج إلى ما صاروا اليه من القوة المبنية على العلم . وهذا القول هو بمنتهى السخف والسفه والحماقة ، فان لكل عصر علما وصناعة ومدنية تشاكله ، وهي فيه كما هي العلوم والصناعات والمدنية الحاضرة في هذا العصر . وأمور الخلق كلها نسبية . ولقد كانت في العصر الذي نتكلم عنه آلات قتال ومنجنيقات ودبابات ونيران مركبة تركيباً مجهولا اليوم ، وكانت في ذلك الوقت كما هي المدافع والرشاشات وقنابر الديناميت وما أشبه ذلك في هذه الايام . على انه ليست الدبابات والطيارات

والرشاشات هي التي تبعث العزائم ، وتوقد نيران الحمية في صدور البشر ، بل الحمية والعزيمة والنجدة هي التي تأتي بالطيارات والدبابات والقنابر . وما هذه إلا مواد صماء لافرق بينها وبين أي حجر ، فالمادة لاتقدر أن تعمل شيئا من نفسها ، وإنما الذي يعمل هو الروح فاذا هبت أرواح البشر وتحركت عزائمهم فعند ذلك تجد الدبابات والطيارات والرشاشات والغواصات ، وكل اداة قتال ونزال على طرف الثمام

يقولون : الا أن هذا ينبغي له العلم الحديث ، وهذا العلم مفقود عند المسلمين ، فلذلك أمكن الافرنج مالم يمكنهم

(والجواب) ان العلم الحديث أيضا يتوقف على الفكرة والعزيمة ، ومتى وجدت هاتان وجد العلم الحديث ووجدت الصناعة الحديثة . أفلا ترى أن اليابان إلى حد سنة ١٨٦٨ كانوا أمة كسائر الامم الشرقية الباقية على حالتها القديمة ، فلما أرادوا اللحاق بالامم العزيزة تعلموا علوم الاوربيين ، وصنعوا صناعاتهم ، واتسق لهم ذلك في خمسين سنة . وكل أمة من أمم الاسلام تريد أن تنهض وتلحق بالامم العزيزة يمكنها ذلك وتبقى مسلمة ومتمسكة بدينها ، كما أن اليابانيين تعلموا علوم الاوربيين كلها وضارعوهم ولم يقصروا في شيء عنهم ، ولبثوا يابانيين ، لبثوا متمسكين بدينهم وأوضاعهم . وأيضا فمتى أرادت أمة مسلمة أدوات أو أسلحة حديثة ولم تجدها؟ ان ملاك الامر هو الارادة فمتى وجدت الارادة وجد الشيء المراد

فلو أن أمة من أمم الاسلام أرادت أن تتسلح لوجدت السلاح الحديث اللازم بأنواعه وأشكاله من ثاني يوم . ولكن اقتناء السلاح ينبغي له سخاء بالاموال ، وهم لا يريدون أن يبذلوا ، ولا أن يقتدوا بالافرنج واليابان في البذل ، بل يريدون النصرة بدون سلاح وعتاد ، أو السلاح والعتاد بدون بذل اموال ، وإذا تغلب العدو عليهم من بعد ذلك صاحوا قائلين : اين المواعيد التي وعدنا إياها القرآن في قوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كأن القرآن ضمن للمؤمنين النصر بدون عمل وبدون كسب وبدون جهاد بالاموال والانفس ، بل بمجرد قولنا اننا مسلمون ، أو بمجرد الدعاء والتسبيح ؟ وأغرب من ذلك بمجرد الاستغاثة بالاولياء ، فأصبح الكثير من المسلمين وهم عزل من السلاح الحديث وغير مجهزين

بالعلم اللازم لاستعماله لايقومون للقليل من الافرنج المسلحين المجهزين ، وصاروا إذا التقى الجمعان تدور الدائرة في اغلب الاحيان على المسلمين . فتوالى هذا الامر عليهم مدة طويلة إلى أن فقدوا كل ثقة بنفوسهم ، واستولى عليهم القنوط ، ودب فيهم الرعب ، وألقوا بأنفسهم إلى العدو ، وبعد أن كانوا مسلمين صاروا مستسلمين ، وقد ذهلوا عن قوله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا أنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين * ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس) ونسوا أنه لايجوز أن يتطرق اليأس الى قلب أحد لا عقلا ولا شرعا ، ولا سيما المسلم الذي يخبره دينه بأن اليأس هو الكفر بعينه . وغفلوا عن قوله تعالى في سلفهم (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآيات

فتجدهم اذا استنهضتهم لمعاونة قوم منهم يقاتلون دولة أجنبية تريد لتمحوهم كان أول جواب لهم : أية فائدة من بذل أموالنا في هذا السبيل وتلك الدولة غالبة لا محالة . ولو تأملوا لوجدوا ان الاستسلام لايزيدهم إلا ويلا ، ولا يزيد العدو إلا استبداداً وجبروتا ، سنة الله في خلقه . ولو فكروا قليلا لرأوا ان هذا الشح بالمال على اخوانهم الذين في مواطن الجهاد لم يكن توفيراً وانما كان هو الفقر بعينه . لان الامة المستضعفة لا تعود حرة في تجارتها واقتصادياتها ، بل يمتص العدو الغالب عليها كل ما فيه علالة رطوبة في أرضها ، ولا يترك للامة المستضعفة إلا عظاما يتمششونها ، من قبيل «قوت لا يموت» وكثيراً ما تحصل مساغب ويموتون جوعا كما يقع كثيراً في جزائر الغرب والهند وغيرهما ، ترى المجاعات واقعة في الهند ولا يموت منها ولا انكليزي ، وتراها تشتد في الجزائر ولا يموت بها إلا المسلم . وما السبب في ذلك إلا أن الاجانب قد استأثروا بخيرات البلاد ولم يتركوا للمسلمين إلا الفقر . فقام المسلمون اليوم يعتذرون عن عدم بذل الاموال لمساعدة اخوانهم بعدم وجودها ، وهذا صحيح الى حد محدود ، وذلك انهم بخلوا بها في الاول فجنوا من بخلهم على الجهاد الذل والخنوع أولا ، والفقر والجوع ثانيا . فان من سنن الله في أرضه ان الذل يردفه الفقر ، وان العز يردفه الثراء ،

والمثل العربي يقول: من عز بز. والشاعر العربي الايادي يقول:

لاتذخروا المال للاعداء إنهم إن يظهروا يأخذوكم والتلاد معا

هيهات لا خير في مال وفي نعم قد احتفظتم بها إن أنفكم جُدعا

والمتنبي يقول:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

فالمسلمون عز عليهم المال ففقدوه، وعزت عليهم الحياة ففقدوها، وأبى الله إلا تصديق كلام النبي الموحى اليه حيث يقول «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع» قالوا: أو من قلة فينا يومئذ يا رسول الله؟ قال «لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهل في قلوبكم وينزع من قلوب أعدائكم من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت»

هذا الحديث كان رواه لي الشيخ الكتاني الفاسي رحمه الله يوم لقيته في المدينة المنورة منذ ثماني عشرة سنة، ثم قرأته في الكتب واستشهدت به في مقدمة حاضر العالم الاسلامي، وألفاظه تختلف من رواية عن رواية. فالاستاذ صاحب المنار أمتع الله بطول حياته هو الادرى بأصح رواياته[1] ومعناه ظاهر وهو: ان المسلمين يأتي عليهم يوم يصيرون فيه مأكلة وتمتد اليهم الايدي من كل جهة،

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه والبيهقي في دلائل النبوة عن ثوبان مرفوعا بلفظ «يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الأكلة الى قصعتها» فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ؟ قال (ص) «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وسينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن» - قال قائل: يارسول الله وما الوهن؟ قال «حب الدنيا وكراهية الموت»

قوله ﷺ «تداعى» أصله تتداعى أي تجتمع ويدعو بعضها بعضاً لسلب ملككم كما تتداعى الاكلة وهي جمع آكل كالفعلة جمع فاعل إلى قصعة الطعام، والغثاء بالضم مايحمله السيل ويبقيه من الزبد والعيدان ونحوها ويضرب مثلا لما لاقيمة له ولا فائدة، والوهن بالنون الضعف، وإنما سأله السائل عن سببه فأجابه (ص) بأن سببه حب الحياة الدنيا ولذاتها الخسيسة وإيثارها على الجهاد في الدفاع عن الحقيقة وإعلاء كلمة الله، وكراهية الموت ولو في سبيل الحق حرصاً على هذه الحياة الخسيسة =

فهذا العصر الذي نحن فيه هو ذلك اليوم ، وان المسلمين لايكون عيبهم يومئذ من قلة العدد ، بل يكون عددهم كثيراً وانما لاتغنيهم كثرتهم شيئا ، لان الكثرة بنفسها لاتفيد ان لم تقترن بجودة النوع ، والكمية لاتغني عن الكيفية ، وعلة العلل في ضعف المسلمين ذلك اليوم هو الجبن والبخل ، صريح ذلك في قوله ﷺ «من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت»

ومن المعلوم ان الافراط في حب الدنيا يحرم الانسان التمتع بها ، وان الغلو في المحافظة على الحياة تكون عاقبته زيادة التعرض للهلاك ، هذه من سنن الله في خلقه أو من النواميس الطبيعية كما يقال في هذا العصر

فالقرآن يأمر المسلم بأن يحتقر الحياة والمال وكل عزيز في سبيل الله ويأمر المسلم أن يثبت ولا ييأس ، وأن يصبر ولا يتزلزل مهما أصيب

وتراه يقول : (وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم

= وقد أوردت هذا الحديث في تفسير قوله تعالى (٦: ٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) الآية وأوردت قبله حديث ثوبان الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه قال قال رسول الله (ص) «إن الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها، وان أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض ، واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم (أي ملكهم وسلطانهم ومستقر قوتهم) وان ربي قال لي : يا محمد إذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم بسنة عامة (أي قحط) وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً» ورواه أحمد وأصحاب السنن إلا النسائي بزيادة على رواية مسلم هذه ، وكلا الحديثين من أعلام النبوة التي ظهر بها صدقه (ص) بعد قرون من وفاته ورفع روحه إلى الرفيق الاعلا ، فما ذهب شيء من ملك المسلمين إلى أيدي الاجانب إلا بخذلان بعضهم لبعض ومساعدتهم للاجانب على أنفسهم ، وفي هذه الرسالة للامير شكيب بعض الشواهد من مسلمي هذا العصر على ذلك وراجع الموضوع بتفصيله في تفسير الآية المشار اليها من ص ٤٩٠-٥٠١ ج ٧ تفسير

في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

هكذا يريد الله ليكون المسلمون، فان لم يكونوا هكذا بصريح نص القرآن، فكيف يستنجزون الله عداته بالنصر والتمكين ، والسعادة والتأمين ؟

ضياع الاسلام بين الجامدين والجاحدين

ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم ، فكما ان آفة الاسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم ، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الاسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئا ، ولا ترضى بادخال أقل تعديل على أصول التعليم الاسلامي ظناً منهم بأن الاقتداء بالكفار كفر ، وإن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار

فقد أضاع الاسلام جاحد وجامد

أما الجاحد فهو الذي يأبى إلا أن يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين، ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشخصاتهم ، ويحملهم على انكار ماضيهم ، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيداً فيذوب فيه ويفقد هويته . وهذا الميل في النفس الى انكار الانسان لماضيه واعترافه بأن آباءه كانوا سافلين، وانه هو يريد أن يبرأ منهم، لا يصدر إلا عن الفسل الخسيس، الوضيع النفس، أو عن الذي يشعر انه في وسط قومه دنيء الاصل، فيسعى هو في انكار أصل أمته بأسرها لانه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الاصالة ، وهو مخالف لسنن الكون الطبيعية التي جعلت في كل أمة ميلا طبيعياً للاحتفاظ بمقوماتها ومشخصاتها من لغة وعقيدة وعادة وموسيقي وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك .

محافظة الشعوب الافرنجية على قومياتها

فلننظر الى أوربة - لانها هي اليوم المثل الأعلى في ذلك - فنجد كل أمة فيها تأبى أن تندمج في أمة أخرى. فالانكليز يريدون أن يبقوا انكليزاً، والافرنسيس يريدون أن يبقوا إفرنسيسا ، والالمان لا يريدون أن يكونوا إلا ألمانا ، والطليان

لا يرضون أن يكونوا إلا طليانا ، والروس قصارى همهم أن يكونوا روساً، وهلم جرا

ومما يزيد هذا المثال تأثيراً في النفس ان الايرلنديين مثلا أمة صغيرة مجاورة للانكليز وقد بذل هؤلاء جميع مايتصوره العقل من الجهود ليدمجوهم في سوادهم مدة تزيد على سبعمائة سنة ، فأبوا أن يصيروا انكليزاً وابثوا ايرلنديين بلسانهم وتقاليدهم وأذواقهم وعاداتهم

وفي فرانسة نفسها تأبى أمة « البريتون » الا أن تحافظ على أصلها . وفي جنوبي فرانسة جيل يقال لهم « الباشكنس » احتفظوا بقوميتهم تجاه القوط ، ثم تجاه العرب ، ثم تجاه الاسبان ، ثم تجاه الفرنسيس . وجميعهم مليون نسمة . وهم لايزالون على لغتهم وزيهم وعاداتهم وجميع أوضاعهم

والفلمنك يأبون أن يجعلوا اللغة الافرنسية لغتهم، والثقافة الافرنسية ثقافتهم، ولم يزالوا يصيحون في بلجيكا حتى اضطرت دولة بلجيكا الى الاعتراف بلغتهم لغة رسمية.

وفي سويسرة ثلاثة أقسام: القسم الالماني وهو مليونان وثمانمائة الف، والقسم المتكلم بالافرنسية وهو ثمانمائة الف ، والقسم المتكلم بالطليانية وهو أكثر قليلا من مائتي الف ، وكل قسم منها محافظ على لغته وقوانينه ومنازعه مع انهم كلهم متحدون في مصالحهم السياسية ويعيشون في مملكة واحدة

وان الدانمرك وبلاد الاسكنديناف وهولانده فروع من الشجرة الالمانية لامراء في ذلك ، لكنهم لايريدون الاندماج في الالمان ولا العدول عن قومياتهم وبقي « التشيك » مئين من السنين تحت حكم الالمان وبقوا تشيكا ، واستأنفوا بعد الحرب العامة استقلالهم السياسي ، بعد أن حفظوا لسانهم واستقلالهم الجنسي مدة خمسة قرون

وقد هذب الالمان أمة المجر وعلموهم ورقوهم ولكنهم لم يتمكنوا من ادماجهم في الالمانية، فتجدهم أحرص الامم على لغتهم المغولية الاصل وعلى قوميتهم المجرية

ولبثت الروسية العظيمة من مائتين الى ثلاثمائة سنة تحاول ادخال بولونية في الجنس الروسي وحمل البولونيين على نسيان قوميتهم الخاصة بحجة ان العرق السلافي يجمع بين البولونيين والروس ، ففشلت جميع مساعيها في ادماج البولونيين

فيها، وعاد هؤلاء بعد الحرب العامة أمة مستقلة في كل شيء . وذلك لانهم لم يتخلوا طرفة عين عن قوميتهم

وليس من العجب أن لا تريد أمة عددها ٣٠ مليونا الاندماج في غيرها . ولكن الاستونيين وهم مليونان فقط انفصلوا عن الروسية ولم يقبلوا الاندماج فيها وأحيوا استقلالهم ولسانهم المغولي الاصل وجعلوا له حروفا هجائية . ومثلهم أهالي فنلاندة المنفصلون عن الروسية أيضا . وقد خابت مساعي الروس في ادماج اللتوانيين من هذه الامم البلطيكية في الجنس الروسي ، وانتقضوا بعد الحرب العامة أمة مستقلة كما كانوا مستقلين قوميا ، وجميعهم أربعة ملايين . وأقل منهم جيرانهم اللتوانيون الذين هم مليونان لاغير ، ومع هذا قد انفصلوا بعد الحرب وأسسوا جمهورية كسائر الجمهوريات البلطيكية لانهم من الاصل لبثوا محافظين على لغتهم وجنسهم

وقد عجز الروس من جهة كما عجز الالمان من جهة أخرى عن ادخال هذه الاقوام في تراكيبهم القومية العظيمة لان كل شعب مهما كان صغيراً لا يرضى بانكار أصله ولا بالنزول عن استقلاله الجنسي

وقد حفظ الكرواتيون استقلالهم الجنسي مع احاطة أمتين كبيرتين بهم هما اللاتين والجرمان

وحفظ الصربيون استقلالهم الجنسي مع سيادة الترك عليهم مدة قرون

ولم يزل الارناووط أرناووطا منذ عهد لا يعرف بدؤه وهم بين أمتين كبيرتين اليونان والصقالية أي السلاف

وكذلك البلغار أبوا إلا أن يبقوا بلغاراً فيما بين الروم والسلاف واللاتين . ثم جاءهم الترك فتعلموا التركية لكنهم بقوا بلغاراً

ولا أريد ان أخرج في الاستشهاد عن أوربة لاني إن خرجت عن أوربة قالت تلك الفئة الجاحدة : نحن لا نريد أن نجعل قدوة لنا أمماً متأخرة مثلنا

فالامم التي استشهدنا الآن بها كلها أوربية ، وكلها متعلمة راقية ، وكلها ذوات بلدان ممدنة منظمة ، وكلها عندها الجامعات والاكاديميات والجمعيات العلمية والجيوش والاساطيل الخ   (للكلام بقية)

مناظرة في الجامعة المصرية

في المدنيتين الفرعونية والعربية

﴿ وأيتهما تختار مصر في هذا العصر ؟ ﴾

(مقدمة وتمهيد) كنت كتبت في سنة ١٣٢٩ بضع مقالات عنوانها (المسلمون والقبط) نشرتها في جريدة المؤيد وفي مجلة المنار معا ، كان الداعي إلى كتابتها الخلاف والتنازع الذي اهب القبط وبعثهم على عقد « مؤتمر قبطي » عام لتقرير ما يرونه من حقوقهم في هذه البلاد وحكومتها وما يدعونه من هضم المسلمين لها ، واضطرار المسلمين الى عقد مؤتمر آخر سموه « المؤتمر المصري » معارضة لذلك المؤتمر وتخطئة له في اسمه وموضوعه ، بناء على رأيهم في وجوب وحدة الشعب المصري وعدم جواز تفرقه وجعله طوائف دينية

بحثت في تلك المقالات في حال الشعب المصري بحثا اجتماعياً أخلاقيا أثبت فيه أن القبط ارقى من المسلمين بدرجات في جامعتهم الدينية ، وروابطهم الملية ، وتعاونهم على مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية ، وانه من ثم كانت ثروتهم النسبية أوفر ، وعددهم في مصالح الحكومة أكثر ، وكانوا معذورين أو جديرين بارتقاء هممهم الى تحويل حكومة هذه البلاد عن الصبغة الاسلامية ، الى الصبغة القبطية ، باسم الجنسية والوطنية ، وقلت يومئذ انهم قد غلطوا أو اخطؤا في المظهر الذي ظهروا به في مؤتمرهم القبطي ومطالبهم القبطية فيه ، لانهم قد يوقظون به في المسلمين (وهم الاكثرية الساحقة التي تمثل السيادة في البلاد) نعرة الجامعة الملية التي ضعفت فيهم حتى تكاد تزول ، وحينئذ تتحول ثوائب مدهم إلى جزر ، وربحهم في مساعيهم إلى خسر ، ... وقد اعتبروا بذلك وصاروا يدارون عواطف المسلمين بقدر معلوم ، وتحولت دعايتهم عن اسم الجنسية القبطية ، الى المدنية الفرعونية ، ويؤيدهم في ذلك ساسة الاستعمار ودعاة النصرانية من الافرنج عامة ، ولذلك راجت

هذه الدعاية لدى ملاحدة المسلمين المتفرنجين ، وأفراد غيرهم من السذج الغافلين ، فنشروها في الجرائد والمجلات المختلفة ، وعقدوا لها مناظرة في كلية الحقوق من الجامعة المصرية من عهد قريب باللغة الانكليزية موضوعها: أي المدنيتين ينبغي أن تختار مصر : آلمدنية الفرعونية ، أم المدنية العربية ؟ وكان الفلج فيها على ما قيل لنا للمدنية الفرعونية ، فرأت لجنة المناظرات والمحاضرات في تلك المدرسة أن تعقد مناظرة أخرى في هذا الموضوع باللغة العربية ،واختارت صاحب مجلة المنار لتأييد الجامعة العربية، ظناً منها — على مانقل الينا — انه إذا فشل ودحضت حجته ، لا يرجى لأنصار المدنية العربية ان تنهض لهم حجة على لسان غيره . وطفقوا يعرضون تأييد المدنية الفرعونية على أصحاب اللسن والخلابة فيأبونها ، حتي أجاب دعوتهم اليها الاستاذ لطفي جمعة المحامي الخطيب الكاتب المشهور

عقدت المناظرة بعد المغرب من يوم الجمعة ٢١ رجب الماضي الموافق ليوم ١٢ من شهر ديسمبر الماضي وكان الرئيس المنظم للاجتماع الاستاذ وحيد رفعت من استاذي الجامعة ، وكان المعضد للاستاذ لطفي جمعة محمد أفندي أبو شقة من طلبة الجامعة المصرية والمعضد لصاحب المنار أحمد أفندي حسين من طلبة الجامعة أيضاً

كانت الكلمة الاولى لمناظرنا الاستاذ لطفي جمعة فبدأ كلامه بتخطئة لجنة المناظرة في قولها « المدنية الفرعونية » وقرر أن هذا التعبير لا يصح لان كلمة فرعون لقب لبعض ملوك مصر الاولين ،وقد تولى حكم مصر بعدهم ملوك البطالسة وأمراء العرب، وآخرون لقبوا بالسلاطين ، وآخرون لقبوا بالخديويين ، ثم عادت حكومة البلاد الآن ملكية ،فاذا صح أن تسمى مدنية هذه البلاد فرعونية في عصر جاز أن تسمى في عصور اخري سلطانية وخديوية وملكية ،وهذا ما لا يقول به احد

ثم قال : ان لهذه البلاد مدنية خاصة يجب ان تسمى المدنية المصرية، ولا يجوز أن تسمى فرعونية ولا عربية لا في الازمنة الماضية ولا في هذا الزمن ، واحتج على ذلك بأن المصري إذا ذهب الى بلاد العرب كالحجاز اوغيرها من الاقطار يقال فلان المصري لا العربي. وذكر أن المدنية المصرية تمتاز على جميع مدنيات الشعوب بمزايا خاصة بالمصريين لا يساويهم فيها أحد - وذكر منها سمرة اللون وخفة الروح

وحسن الفكاهة والظرف في النكت المليحة . وأطال في وجوب محافظة المصريين على تسمية مدنيتهم مصرية وعدم نسبتها الى العربية ، وذكر ان تدينهم بالاسلام لا يقتضي ان يكونوا عرباً في مدنيتهم وجنسيتهم فان الاسلام دين عام يشمل جميع شعوب البشر ، وذكر انه هو يرى « كمسلم مصري او كمصري مسلم » الأخذ بالمدنية المصرية وقد أطال في هذا بفصاحته وبداهته ، بما لا يستطيع كل أحد ان يطيل به لضيق الموضوع وإعوازه الحقائق التي تمده، وفقده للدلائل التي تثبته.

ولما انتهى الوقت الموقوت له في الكلام وما زاده عليه قمت فشكرت له إنكاره لنسبة المدنية إلى لقب فرعون وقلت انني كنت عازما على هذا الانكار فكفاني مؤنته . وأثنيت على فصاحته واستقلال فكره إذ لم يرض لنفسه ان يكابر الحق في المسألة ، وذكرت ان جمل سمرة اللون من آيات الجنسية أو المدنية المصرية تخرجه هو ورئيس اللجنة منها فانهما أشقران لا أسمران ، ثم افضت في الموضوع

وملخص ماقلته مع اختصار لبعض المسائل وايضاح قليل لبعض مع التزام الموضوع : أن مسألة النسبة إلى مصر نسبة إلى بلد أو قطر وليست نسبة إلى دولة او الى جيل من أجيال البشر الذين سكنوا هذا القطر . وكان المعروف عند علمائنا ان العرب الاقدمين كانوا ينسبون الاشخاص إلى أجناسهم النسبية وقبائلهم فيقولون مثلا قرشي او تميمي الخ وينسبون الاعاجم الى شعوبهم كرومي وهندي وفارسي ، والاشياء الى بلادها كالحبر اليمانية والقباطي المصرية . وكان الاعاجم ينسبون الاشخاص إلى بلادهم فيقولون مصري وبصري ودمشقي وخراساني مثلا، لأن الأنساب قلما تحفظ في الامصار

وبعد الحضارة الاسلامية تغلبت النسبة إلى البلاد على النسبة إلى القبائل لان من شأن الحضارة ان تمزج القبائل الكثيرة والاجناس الكثيرة في مصر واحد ، وانما تحفظ الانساب في أطوار البداوة

والنسبة إلى مصر الان عندما نقول فلان مصري يراد بها الجنسية السياسية التي تنال بالاقامة وقبول الحكومة، لا النسبة إلى جيل من سكان هذا القطر كالقبط والعرب فكل من له حق الجنسية المصرية الآن يقال له مصري (وإن كان غير

المسلم والقبطي منهم قد ينسب أيضا إلى أهل ملته كاليهودي او جيله كالرومي)

أما المصريون القدماء فقد اختلف علماء الآثار العادية في أصلهم فمن علماء الآثار من يقول ان أصلهم من العرب كما بينه الاستاذ جبر ضومط من أساتذة الجامعة الاميركية ببيروت في محاضرة له ألقاها في تلك المدرسة الشهيرة نقل فيها عن بعض علماء الاجناس واللغات من الانجليز وغيرهم قول من يقول ان أصل المصريين من العرب ، ونشرناها في المنار . وكذلك الاستاذ نعوم بك شقير بين هذا في كتابه (تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها) وبعد ما أورد بعض النقول عن علماء اوروبا قال ما خلاصته: ان أكثر الذين يسكنون الآن مصر وسورية والعراق هم من أصل واحد كما كانوا من قديم الزمان

ويرجع العلم التفصيلي او الكلام في هذا إلى العالم المصري الأثري الشهير المرحوم احمد كمال باشا المصري فهو قد ألف معجما كبيراً للغة الهيروغليفية بين فيه ان كثيراً من ألفاظها القديمة موافقة للغة العربية (المضرية) وقدنشرنا في المجلد الثامن عشر من المنار فصولا له في الشواهد على ذلك ويصح ان نقول إن هذا العالم المصري أوسع علما بهذا الامر من علماء أوربة المشهورين لجمعه بين اللغتين الهيروغليفية والعربية، وفيما ذكرناه من معجمه: ان اسماء الحب الذي نتخذ منه خبزنا في اللغتين واحد مع تحريف لبعض الالفاظ . فمنها كلمة (بر) وهي لغة الحجاز (وقحو)وهو تحريف قمح (وحنت) وهو تحريف حنطة لان الطاء تاء مفخمة

وقد ترجم نجله الدكتور حسن بك كمال الحجر الوحيد الذى فيه ذكر بني إسرائيل من الآثار المصرية وبين والده مافيه من الالفاظ العربية (المضرية) وهي لاتقل عن نصف ألفاظه وقد نشرناه في المنار أيضاً

ومما نقلناه عن المرحوم أحمد كمال باشا أنه يوجد في الدير البحري بقرب الاقصر أثر قديم من زمن الدولة المصرية الثامنة عشرة فيه كلمة عن أصل المصريين القدماء ملخصها أنه كان هناك قوم يسمون الأعناء هم أول من بنى المدن في الوجه القبلي وفيه انه ذهب بعض هؤلاء الاعناء إلى بلاد العرب و بعضهم الى الصومال وافريقية وبلاد أخرى ولا يعلم من اين جاؤا . والاعناء جمع (عنو) وهو لفظ

معناه بالعربية والهير وغليفية الاقوام المختلطون من قبائل شتى. وما ذكر من ان بعضهم ذهب الى بلاد العرب يدل على ان بلاد العرب كان فيها سكان غيرهم ، ولكن خبرهم واسمهم المشترك أقدم أثارة تاريخية في علاقة بلاد العرب ببلاد مصر وامتزاج شعوبها من قبل استيلاء دولة الرعاة (الهيكسوس) العربية عليها عدة قرون، فهذا ملخص مايتسع له المقام من الاشارة الى النقول التاريخية في أصل المصريين القدماء

وأما المصريون في هذا العصر فمن المعلوم أنهم أيضا كأكثر بلاد الحضارة مؤلفون من أمم مختلفة من القبط والعرب والترك والشركس والمغاربة واليونان والرومان وغيرهم حتى إن فيهم أيضاً كثيراً من الشعوب الافرنجية الحديثة تجنسوا بالجنسية المصرية

قوام المدنية ومقوماتها

بعد هذا نرجع إلى الكلام في المدنية فنقول إن المدنية قوامها اللغة والفنون والصناعات والثقافة المعنوية من العقائد والتشريع والآداب

فنحن إذا نظرنا إلى أن المصريين القدماء يمتزجون بالعرب وان بعض العلماء يقول إنهم كلهم أواصلهم من العرب ولم نستطع ترجيح هذا القول على ما قبله فاننا نجزم قطعا بان المصريين بعد الفتح الاسلامي قد امتزجوا بالعرب المسلمين وغلبت عليهم الحضارة العربية بجميع مقوماتها ومشخصاتها ، فلغتهم كلهم عربية ، ودين السواد الاعظم منهم هو الاسلام الذي هو ينبوع ثقافة الآداب والتشريع

واذا أردنا المقارنة بين المدنية العربية الاسلامية وما يسمى المدنية الفرعونية — والمراد بها القبطية — وأردنا أن نرجح بين المدنيتين فاننا نقول إن مدنية الفنون والصناعات تختلف باختلافات الازمنة وحاجات البشر فيها فالفنون والصناعات التي رقاها الاوروبيون من وسائل المعايش و التنقلات كالسكك الحديدية وغيرها لا يصلح للبشر في ارتقائهم المدني في هذا العصر غيرها (على ان المباني العربية أجمل من الافرنجية والفرعونية ، ولا يوجد امة ولا دولة في هذا العصر تسفه نفسها ببناء أهرام كأهرام الجيزة)

فيبقى النظر في اللغة والثقافة المعنوية فاما اللغة فلا يمكن أن يقال انا نؤثر اللغة

الهيروغليفية على العربية لأنها لغة ميتة ذهبت عينها وبقيت آثارها ، وليس فيها مزية توجب احياءها واستبدالها بالعربية لو كان ممكنا

وأما الدين فدين الفراعنة كان وثنيا ودين السواد الاعظم من المصريين الاسلام وتليه النصرانية فاليهودية ، ولا يرضى أحد من المصريين أن يرجع الى دين الفراعنة الوثنيين فيعبد العجل (ابيس) وغيره من آلهتهم

فاساس العقائد الاسلامية التوحيد ومن مقتضاه أن لا يخضع البشر ولا يذلوا الا لله تعالى خالقهم ورازقهم ولا يخافوا سواه

واما الفرعونية فاساسها عبادة البشر والبقر والثعابين وغيرها

وكفاكم ما قصه الله تعالى من قول فرعون موسى عليه السلام لقومه (ما علمت لكم من إله غيري) وقوله (أنا ربكم الاعلى) وقوله (فاستخف قومه فاطاعوه) أي حملهم على الخفة والجهل اي السفه ، واي قوم يسفهون انفسهم في هذا العصر فيعبدوا ملكهم ويقبلوا استبداده فيهم باختيارهم ؟

وأما التشريع وهو الذي يهم اخواننا طلبة الحقوق بوجه خاص فأساس التشريع الاسلامي السياسي والمدني والعسكري فيه مبني على أن السلطة للامة بنص قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) وقوله لرسوله (وشاورهم في الامر) فانتم ترون ان الله أمر نبيه المعصوم أن يشاور الناس في المصالح العامة ، فكان يشاورهم ويعمل برأيهم ولو خالف رأيه كما فعل في غزوة بدر وغزوة أحد (وقد ذكرت بعض الشواهد على ذلك)

وحسبكم من التصريح بسلطة الامة في الاسلام الخطبة الاولى للخليفة الاول أبي بكر الصديق (رض) فانه بعد مبايعته بالخلافة صعد منبر الرسول ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فاذا استقمت فأعينوني ، وإذا زغت (أي اعوججت) فقوموني

فهو قد صرح بأن الامة لها الحق ان تقوّم حاكمها العام إذا اعوج وخالف مصالحها وشريعتها ، (وتبعه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في هذا التصريح الرسمي فقد اشتهر قوله على المنبر: من رأى فيكم عوجا فليقومه . وما أجابه به الاعرابي من تقويمهم إياه بسيوفهم) فسلطة الامة إنما جاء بها الاسلام وعنه أخذها الاوربيون ،

ومنهم ومن المسلمين من يجهل هذا ، ومنهم من يعرفونه وهم له جاحدون

ان مدنية العرب الحديثة أي الاسلامية قد اعترف بها كثير من علماء الافرنج على اختلاف اجناسهم ، وألف بعضهم فيها كتباً مشهورة ، منها كتاب (سيديو) خلاصة تاريخ العرب وهو مترجم بالعربية ومطبوع ، ومنها كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسي الشهير . وهو كتاب ضخم ترجمه محمد بك مسعود المشهور ، وربما ينشر قريبا

فان كان بعض الشعوبية المبغضين للعرب يدعون ان مدنية العباسيين في الشرق قد اشترك فيها العجم مع العرب ، والحق ان العرب هم الذين اوجدوها ، وبلغتهم انتشرت علومها وفنونها - فهذه آثار هذه المدنية في الاندلس ولاسيما قصر الحمراء وبقية جامع قرطبة آثار ماثلة مشاهدة تفقأ عيني كل مكابر منكر لمدنية العرب من الغربيين وغيرهم ، فالذين احدثوا تلك المدنية الباذخة كلهم من العرب الاقحاح الخلص المعروفة أصولهم وقبائلهم في كتب التاريخ

وقد قال الدكتور جوستاف لوبون في كتابه تطور الامم ما معناه: ان ملكة الفنون لم تستحكم لأمة من الامم المتحضرة في اقل من ثلاثة اجيال: جيل التقليد، وجيل الخضرمة وجيل الاستقلال — وشذ العرب وحدهم فاستحكمت لهم ملكة الفنون في جيل واحد

وأخبرني صديقي محمود بك سالم الشهير من عهد بعيد ان لديه كتابا باللغة الافرنسية ألفه بعض علماء اوربة وسماه (فسيولوجيا الامم) يبحث فيه عن البنية البشرية في الشعوب المختلفة وقد أثبت فيه ان بنية الشعب العربي اكمل البنى . وقد نسيت اسم هذا الكتاب ولعلنا نسأله عنه وهو في باريس الآن

وأما مدنيـة العرب من حيث الثقافة الدينية فهي مبنية على إصلاح النفس البشرية عقلا واخلاقا ، لان النفس البشرية متى صلحت فهي تصلح كل شيء ، واصلاح النفس البشرية له أساسان (احدهما) استقلال الفكر وحرية الوجدان (والثاني) عزة النفس وقوة الارادة

وكانت العرب قبل الاسلام أعظم امم الارض استعداداً لهذا الاصلاح فان من المعلوم عند جميع المطلعين على تواريخ الامم انها كانت قبل ظهور الاسلام مستعبدة

للملوك ولرؤساء الاديان ، فلا حرية لفرد منها في دينه ووجدانه ، ولا في ارادته ، وقد فصلت هذا في مجلة المنار واجملته في خلاصة السيرة المحمدية

وأما العرب ولاسيما عرب الحجاز فلم يكن لهم ملوك مستبدون يستعبدونهم ، ولا رؤساء أديان يحملونهم على ما يقررونه في الدين وان لم يعقلوه ، فضلا عن كون عقولهم تنكره وتأباه ، وبهذا كانوا اشد استعداد للاصلاح الاسلامي على بداوتهم ، من شعوب المدنية المعاصرة لهم ، فجاء الاسلام في عقائده وفي تشريعه مكرما للنفس البشرية ، ومعليا لشانها ، فهو لا يحكم على البشر بان يذلوا او يخضعوا لاحد الا لخالقهم ، حتى إن الرسول المعصوم قد خاطبه الله في نصوص القرآن بمثل قوله (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقوله (وما أنت عليهم بجبار) وقوله (ان عليك الا البلاغ * وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) اي انما أرسلناك معلما مربيا ، لا مسيطرا ولا قهارا

(وأما المدنيه الفرعونية فقد كانت تستعبد البشر وتذلهم ، كما فعلت ببني إسرائيل وغيرهم ، وهذه الاهرام التي هي أظهر آثارهم ، حجة عليها وعليهم ، فقد كانوا يسخرون في بنائها مئات الالوف من الخاضعين لهم)

وقال تعالى في حرية العقيدة والدين (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى)

فبهذه العقائد والآداب والحكم خرج عرب الجاهلية من بداوتهم وجهلهم وفتحوا الممالك بالعدل والفضيلة والآداب ، لا بالقهر والظلم والاذلال ، فان ملكهم قد امتد في قرن واحد من شواطىء القاموس المحيط الغربي (الاطلنطيق) الى حدود الصين ، إذ فتحوا كشغر من تركستان الصينية قبل انقضاء القرن الاول ، وأوجدوا مدنية جديدة جمعت بين الدين والدنيا كما أرشدهم القرآن في آياته الكثيرة

ومن المعلوم انه لم يكن في بلاد العرب قواعد حربية تخرج الجنود ، وتمدها بالذخائر والمؤن من الشرق الى الغرب ، وانما كانت قوتها العدل والفضائل الاسلامية

فهذا مجمل وجيز من مدنية الثقافة الاسلامية التى ينكرها بعض الجاهلين والمكابرين ، ويماري فيها بعض الملاحدة المتفرنجين

وكانت آخر كلمة لي ان قلت في آخر المناظرة إن البلاد التي تنطق باللغة

العربية الآن وهي نصف أفريقية الشمالي من مملكة مراكش إلى مصر والشطر الغربي من سواحل البحر الاحمر إلى العراق وعمان ومسقط، كل قطر منها ينتسب أهله اليه لا الى العرب كما ينتسب المصري إلى قطره (اذا كان كل منهم في خارجه، و ينتسب كل فرد الى بلده، اذا كان في بلد آخر من قطره، كما يقال الاسكندري والاسيوطي والمنفلوطي) ويعدون الرابطة الجامعة بينهم هي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف مشاربهم وعقائدهم، ويعدون مصر رأساً لهذه الشعوب ويتمنون لو تكون كل هذه البلاد ممالك متحدة مركزها مصر، فبقاء انتساب مصر إلى العربية يحفظ لها هذه الرياسة على هذه الشعوب الكثيرة، ولها من ذلك فوائد سياسية وأدبية واقتصادية كبيرة، وتبرؤها من العربية وانتسابها إلى الفرعونية، ليس فيه أدنى فائدة لمصر لامادية ولا معنوية،

وقد قام بعدي مؤيد الفرعونية فألقى كلاما شعريا مبهما في المدنية الفرعونية يظهر أنه كان مكتوبا محفوظا فلم يستطع الخروج عنه، وقد أراد هذا الخروج فلم يكن إلا خروجا عن آداب المناظرة، حتى صاح به السامعون: اسكت اسكت، إنزل إنزل، تكلم في الموضوع، وما هو إلا أن حام حول العاطفة الدينية الاسلامية، ذاهبا إلى انه لا يصح أن تحول مسلمي مصر عن مدنية بلادهم الفرعونية (وما هيه؟)

وتلاه مؤيدي فكان أفصح لسانا، وأجرأ جنانا، وأقوى برهانا، فزاد ماقلته بيانا، أورد فوائد تاريخية وأدبية أحسن فيها إحسانا. وانتصر لكل منا واحد من المستمعين، فكنا نحن المنصورين، فأخذت الحدة الاستاذ لطفي جمعة بعد أن قررنا ماقررنا، فقام من بعدنا وألقى كلمات كلها مكابرة وتهكم ببعض الاقوال التاريخية وتحقير لاحمد كمال باشا والاستاذ جبر ضومط ونعوم بك شقير المؤرخ لو لم يقل شيئا منها لكان خيراً له. واننا نمسك قلمنا عن ذكرها كما أمسكنا لساننا عن ردها.

وقد عجز الرئيس عن حفظ النظام وفي الختام أخذت الاصوات فكانت الا كثرية الساحقة مؤيدة لنا في تفضيل المدنية العربية واختيارها وظهر من الهتاف لنا والتصفيق ان السواد الاعظم معنا يرجح المدنية العربية من كل وجه،

ثم طلب الرئيس من المستمعين أن يخرج المرجحون للعربية من باب النادي الذي عن يميننا ، ويخرج المرجحون للمدنية الفرعونية من الباب الذي عن شمالنا، فتأكد بذلك أن الاكثرية الساحقة من أصحاب اليمين، والظاهر ان أكثر أصحاب الشمال من القبط وأقلهم من المسلمين الغافلين. وأما الذين أخذوا منهم بطائق التصويت وكتبوا عليها رأيهم فكانت نسبة الترجيح لنا منهم أقل من الواقع ، ذلك بأن الهيئة الادارية التي تولت الاحصاء لما أعلنت ان المؤيدين للعربية منهم ١٨٧ صوتا تجاه ١٠٣ في جانب الفرعونية . قالت جريدة الشورى وكان صاحبها من حاضري المناظرة بعد ذكر الرقمين : انه وان كانت الاكثرية الرقمية كذا « فان الحقيقة انه كان يجب أن تكون ٦٠٠ في الجانب الاول وأقل مما كان للثانية بكثير »

ولما فرغنا من المناظرة أقبل الناس فرادى وثبات يهنئونني بالفلج والظفر، ويدعون الله لي بما يناسب المقام ، ولله الحمد على توفيقه

بقية رد المنار

على مقالة رئيس تحرير مجلة نور الاسلام في الدفاع عن نفسه وعنها

خطأ المجلة في اتقاء مس السياسة في شأن ما

جاء في مقدمة المجلة مانصه :

« خرجت هذه المجلة بعد ان رسمت لنفسها خطة لاتمس السياسة في شأن »

فهذا تصريح بان الخطة المرسومة لمجلة الازهر والمعاهد الدينية أن لاينشر فيها شيء ما يمس السياسة العامة، ولا السياسة الخاصة بالاسلام ولا بمصر ولا بغيرهما بوجه من الوجوه ولا برأي من الآراء ، لادفاعا ولا هجوما ، لان كلمة «شأن» نكرة في سياق النفي تفيد العموم الاستغراقي

كبر علي أن تكون هذه المجلة الغنية لهذا المعهد الاسلامي الكبير هي التي تختار

لنفسها هذا الحرج الشديد والتضييق على محرريها ؛ فتجعل الحرمان من جميع شؤون السياسة خطة مرسومة لها لاتتعداها ؛ وتجاري ما كاد يكون عرفا عاما لدى الحكام من تحريم الاشتغال بالسياسة على علماء الدين ، وابعادهم عن أهم شؤون المسلمين، وهي مصالح امتهم العامة مع انهم في عرف الاسلام أحق المسلمين بسياستهم. فذكرتهم برأيي في هذه الخطة بلطف، فاجاب رئيس التحرير عن ذلك بالمغالطة الآتية . قال:

« نقدتم ماجاء في فاتحة المجلة من انها لاتمس السياسة في شأن ، وقلتم ان هـذا حرمان لمحرريها من خدمة الاسلام والدفاع عنه بالسكوت عن أمور كثيرة يجب بيانها

« وجواب هذا ان المجلة اذا تجنبت التدخل في النزعات السياسية فان أقلام محرريها لاتقف دون الكتابة فيما يصيب الشعوب الاسلامية من مكاره ، او فيما تراه مخالفا للدين ولو كان من أعمال الادارة الداخلية ، غير انها تكتب في هذا على وجه الوعظ والارشاد ، فلا يخرج من دائرة مجلة نور الاسلام ان تكتب في انكار تصرفات يعتدى بها على حق ديني لأحد الشعوب الاسلامية » ....

وذكر مما يدخل في دائرتها المطالبة بالغاء البغاء الرسمي واحترام المحاكم الشرعية والاحتفاظ باللغة العربية !!! (راجع ص ٣٧٣ من الجزء الخامس الماضي)

أقول :خلاصة هذه المغالطة ان المجلة تتجنب التدخل في النزعات السياسية، ولكنها لاتتجنب غير ذلك من الشؤون الاسلامية ،كالمكاره التي تصيب المسلمين والبغاء الرسمي والمحاكم الشرعية واللغة العربية . فيالله العجب كيف كتب رئيس التحرير هذا وسماه جوابا عن قولي ان المجلة ضيقت مجال خدمة الاسلام على محرريها بحرمانهم من الكتابة في السياسة الاسلامية ، فان كان ما ذكر انه أبيح لهم من السياسة، فما معنى ذلك النفي العام؟ وإن لم يكن منها فما معنى ذكره وتسميته جوابا عما انتقد على المجلة من هذه الجهة ؟

دع تعبيره في الجواب عن عدم مس أي شأن من شؤون السياسة «باجتناب التدخل في النزعات السياسية » والفرق بينهما بعيد، وهو الذي كتب العبارتين !! على أن ما ادعى اباحته لأقلام محرري المجلة من بيان ماتراه مخالفا للدين

من أعمال الادارة الداخلية لا نرى له مصداقا في المجلة ، فللادارة الداخلية أعمال كثيرة مخالفة للدين غير إباحة البغاء ، كاباحة الحانات ، وتجارة المسكرات ، وأكل الربا ، والاسراف الفاحش في أموال الدولة وأموال الاوقاف وصرفها في غير مصارفها الشرعية ، وغير ذلك من الظلم الذي تذكره الجرائد من اعمال الادارة . ولا نرى في المجلة انكاراً لشيء مما ذكر على الحكومة على سبيل الوعظ والارشاد الذي يقتضي بيان سلب ما ذكر للعدالة ، وما تشترط فيه العدالة لصحة الولاية ، زد على هذا إهمال الدين في مدارس الحكومة وأهم ما يجب عليها إلزام تلاميذها باقامة الصلاة وسد ذرائع الالحاد ، وياليت شعري لماذا يسكت علماء المعاهد الدينية في مجلتهم الرسمية عن إنكار إنشاء مدرسة لتعليم البنات التمثيل المسرحي الذي يشتمل على ما يعلمون من المنكرات ، وهو من أقوى الذرائع لفساد الاعراض ، وارتكاب كثير من الموبقات ؟

سكوت المجلتين عن المؤتمر الافخارستي وتنصير البربر

ولا ادري ماذا يريد الاستاذ رئيس التحرير من المكاره التي تمس الشعوب الاسلامية ، ولا ماذا يعني بالتصرفات التي يعتدى بها على حق ديني لاحدها ، واما جماهير المسلمين فيعلمون أن شر هذه المكاره وتصرفات الاعتداء وأفظعها ما أصاب شعوب المغرب الاسلامية في دينهم ودنياهم ولاسيما مؤتمر دعاة النصرانية الملقب بالافخارستي في تونس وطن الاستاذ ذي الرياستين ، والقلم الجوال في المجلتين الاسلاميتين ، الذي اسس لتنصير المسلمين بالدعاية والطعن في الاسلام ، وشر منه محاولة تنصير شعب البربر الاسلامي الكبير بالفعل ، فاذا كانت رياسة المعاهد الدينية تمنعه من بيان هذه المكاره والنوازل التي أصابت قومه ووطنه في مجلة (نور الاسلام) فما الذي منعه عن بيانها في (مجلة الهداية) وهو يرى جميع المجلات والجرائد والجمعيات الاسلامية تقيم النكير على دولة فرنسة وتثير عليها العالم الاسلامي ، واحرار العالم المدني ، ولم يبق الا مجلة نور الاسلام ومجلة الهداية لم ينبض لاصحابهما عرق ، ولم يهج لهما شعور ولا حس ؟

لولا اننا نريد التلطف والايجاز في هذا الرد على مقالة (للحقيقة والتاريخ)

لبسطنا القول في هذا المقام بما يسوء الكاتب وغيره ممن يتكلم بألسنتهم ، ويعبر عن جماعتهم ، ويتمنون لو لم يكن كتب هذه المقالة ،ويعلمون قدر تلطفنا وإخلاصنا في الاشارة الى كراهتنا لتضييق هذه المجلة على نفسها -ان كانت مختارة كما يقول رئيس التحرير في رسمها الخطة لنفسها - لاننا نتمنى لها كل ما يمكن من الحرية في خدمتها للاسلام ، والمسلمين وهي تعدنا بهذا من المذنبين

فان قال احد أعضاء جمعيـة الهداية أو غيرهم : اننا رأينا في احد اجزائها ورقة منفصلة فيها ذكر انكار هذه الجمعية أو كراهتها لمحاولة فرنسة تنصير مسلمي البربر (قلنا) نعم قد كان ذلك، ونحن لما وقع في يدنا ذلك الجزء من المجلة وفتحناه ووقعت تلك الورقة منه على الارض فرأيناها، عجبنا من وضع ذلك الانكار الضعيف النحيف السخيف الضئيل النحيل الهزيل في ورقة صغيرة منفصـلة ، وفكرنا في سببه ، فلم نعقل له سببا الا ان يكون القصد منه جعل الورقة في الاجزاء التي توزع في مصر ، دون الاجزاء التي ترسل الى بلاد تونس والجزائر ومراكش ، لئلا تغضب الحكومة الفرنسية على رئيس الجمعية التونسي وتمنع المجلة من دخول تلك البلاد ، فان لم يكن هذا هو السبب فلتخبرنا ادارة هذه الجمعية إن لم يخبرنا رئيسها عن السبب الصحيح، ومهما يكن فلن يكون مما يرضي المسلمين ويعذرونها به، كما أنه لم يرضهم ما نقلته مجلة نور الاسلام عن المقطم في مسألة البربر كما بينا ذلك في الجزء الماضي

مسألة الرد على دعاة النصرانية بما يكرهون من الحق

وكتب الرئيس في مقدمة المجلة أيضا « خرجت هذه المجلة وهي تحمل سريرة طيبة لا تنوي أن تهاجم دينا بالطعن، ولا أن تتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول» وقد نقلت عنها هذا القول ووصلته بقولي: أنا لا أرضى لمجلة علمائنا أن تطعن في الاديان بالبذاء والسفاهة، كطعن المبشرين في بعض مجلاتهم وكتبهم على الاسلام، ولكنها لن تستطيع أن تقوم بالواجب من الرد على دعاة النصرانية المهاجمين للاسلام في مصر وغيرها مع تجنب ما يكرهونه من قول »

فهذا رأي لي علمته بالاختبار الطويل في عشرات السنين كالرأي الذي قبله ليس نقداً للمجلة ولا تخطئة لها، وكان يجب أن تقابله بالشكر او بالسكوت، ولكن الاستاذ رئيس التحرير ماعتم أن أجاب عنه بذلك الجواب الطويل كما رأى القراء في (ص ٢٧٤) من أولها الى آخرها . ومما قاله انني حملت العبارة على معنى ان المجلة «لاترد على المخالفين إذا هاجموا دين الاسلام» وهذا غير صحيح فانني ماحملتها على هذا المعنى ، وكلمتي لاتدل عليه، فمن أين جاء به ؟ ثم قال ان المجلة انما تريد بذلك القول الترفع عن بذاء القول والخروج عن دائرة البحث العلمي إلى مايهيج البغضاء الخ ثم ذكر عن حكماء الكتاب تحامي السوء من القول وعدم الحاجة إلى اللمز والبذاء!!

فأي حاجة إلى هذا القول بعد تصريحي بانني لاأرضى لمجلة علمائنا البذاء وسفه القول ؟ ولماذا لم ينشر عبارتي بنصها ؟ أليس لايهام قارئي هدايته الذين يظن انهم لا يرون المنار انني أحث مجلة نور الاسلام على السفاهة والبذاء ؟وكيف يكون هوإذا من حكماء الكتاب ، الذين هم في ثروة من الحجج لايرون أنفسهم في حاجة الى الاستعانة في هجومهم اودفاعهم بشيء من اللمز او البذاء؟

وقد بلغني بعد نشر جزء المنار الماضي ان الاستاذ الاكبر منعه من نشر رده على المنار في مجلة نور الاسلام لانه علم من ضعفه ومن سعة المجال لتفنيد المنار له مالم يعلم ، فنشره في مجلة الهداية لانه لاسيطرة عليه فيها ولارقيب

الادب في المناظرة والجدال قوة تزيد صاحبها ظهوراً ،وحججه فلجا ونوراً، وقد تذكرت الآن ما كان من أدب شيخنا الاستاذ الامام في رده على فرح افندي أنطون صاحب مجلة الجامعة العثمانية، وما كان من تسرع فرح افندي وعدم توقفه في رده ، حتى إن بعض أهل العلم ذكر للاستاذ انه لايستحق هذا التلطف فقال رحمه الله : لاخسارة في حسن الادب

وكان يكتب مقالات (الاسلام والنصرانية) في أثناء سفره لجمع الاعانة لمنكوبي الحريق في (ميت غمر) وتوزيعها عليهم ويرسلها إلي فأنشرها في المنار، فكتب إلي مرة يسألني : مارأي أدباء النصارى في المقال ؟ فكتبت اليه : انهم

معجبون بأدبه ونزاهته، ولكنهم يتألمون من موضوعه، فكتب إلي: انه انما يسأل عن رأيهم في أدب العبارة، ويخشى أن يكون سبق قلمه إلى كلمة تنتقد، ثم قال من جهة الموضوع: واذا كان الباطل لا يتألم من رؤية الحق فمم يتألم؟ فهذا المعنى هو الذي اشرت اليه في قولي ان المجلة لا تستطيع ان تدافع عن الاسلام بالرد على المبشرين بما لا يكرهون من قول مهما تكن درجة توخيها للنزاهة والادب فيه

وجملة القول أنني عنيت أشد العناية الممكنة، في تقريظ مجلة نور الاسلام، وتلطفت جهد الطاقة، في النصح لها بما اراه حافظا لكرامة اهلها، ومزيد كمال في اتقان خدمتها، (وقد يستفيد الظنة المتنصح) ولم اقصد بشيء منه الانتقاد على سعة مجاله عندي، الا ما هو خاص بفضيلة رئيس التحرير من حيث هضمه لحق الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، واشهد الله انني سررت بجعله رئيساً لتحرير المجلة، فكان حظي وحظه ما رأى القرآء من رده وجوابي، ولهم الحكم العدل فيهما ان شاء الله تعالى وهو خير الحاكمين

مسيح الهند القادياني الدجال

(٢)

ان جمعية ندوة العلماء قد دعتني في سنة ١٣٣٠ (١٩١٢م) الى الهند لأتولى الرياسة والصدارة لمؤتمرها الاسلامي الذي تريد عقده في مدرستها الجديدة التي أنشأتها في مدينة (لكهنؤ) فأجبت الدعوة، وحقق الله تعالى بي رجاء الجمعية في اقبال مسلمي الهند عليها فلم تر مثل اقبالهم في تلك السنة. وكان من جملة الوفود الذين حضروا من اقطار الهند للسلام عليّ وفد قاديان من اتباع غلام أحمد منتحل المسيحية في الاسلام، وقد دعوني الى زيارة بلدهم، فلم أجبهم لأنهم يستغلون هذه الزيارة فيوهمون المسلمين ان ضيف الهند الذي احتفلت به وأكرمت مثواه يحترم هذه الطائفة الضالة المضلة، ويحترم دعيها المسيح الكذاب، وقد بلغني ان رئيس جمعية الندوة شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني رحمه الله تعالى قد منع الوفد من

البحث في بدعتهم معي في دار ضيافة الندوة ، فلما أردت السفر وخرجت الجموع الى محطة السكة الحديدية لتوديعي خرج معهم الوفد القادياني ولم يملك رئيسه نفسه أن جهر بدعاية مسيحيتهم في المحطة - ومن يدري ماذا! كان يقول لو سكت عنه أو تكلمت بما لم يسمعه غير وفدهم ومن يقرب مني وأكثرهم لا يفهمون العربية — فوقفت في نافذة القطار ورددت عليهم بصوت جهوري يسمعه الجم الغفير مفنداً نحلتهم ، دامغا بدعتهم ، ومما أذكره من ذلك ان مسيحهم زعم ان الحرب قد بطلت من الارض بظهوره ونسخت فرضية القتال الذي فرضه الله على المسلمين فلم يبق من حاجة الى الجهاد ، وقد كذبه الله تعالى بعدوان دولة إيطالية هنالك على طرابلس الغرب وبرقة وقتالها المسلمين هنالك بغياً وعدوانا ، ومن المجمع عند المسلمين ان الكفار اذا اعتدوا على بلاد المسلمين يكون القتال لدفعهم عنها فرضاً عينياً على كل من قدر عليه

ومسألة الجهاد هذه كمسألة ادعاء النبوة قد خالف فيها هؤلاء المسيحيون القاديانيون إجماع المسلمين فيما هو قطعي معلوم من دين الاسلام بالضرورة فخرجوا بذلك من الملة الاسلامية ، وقد بينا من قبل ضلالهم فيها ، وإبطال تأويلهم لها ولما رددت علي مسيحهم في زمنه أجاب عنها في الكتاب الذي ألفه في الرد علي والانتقام مني وفي كتب أخرى من كتبه المضحكة المبكية ، وقد نقل الحصني الدمشقي بعض كلامه مترجما عن كتاب له بغير العربية ، وسأبين ذلك في النبذة التالية بما يدل على جهل مسيحهم وجهلهم ، ومما قاله داعيتهم في محطة لكهنؤ إن المسيح عيسى بن مريم قد توفاه الله اليه وثبت وجود قبره في كشمير فوجب ان يكون المسيح الذي ينزل في آخر الزمان غيره ، فا كتفيت من الرد عليه في ذلك الوقت القصير بان قولهم هذا لا يقتضي ان يكون ميرزا غلام أحمد القادياني هو المسيح الموعود به . . .

والمراد من ذكر هذه المسألة ان ما زعمه الحصني من صدق قول مسيحهم عني « سيهزم فلا يرى » كذب فانني ظهرت عليه في تفنيد دجله في عصره ، وظهرت على خلفائه من بعده حتى في بلاده ، ولا أزال ظاهراً مبطلا لدعوتهم ، هادما لضلالتهم ، ولله الحمد والمنة .

المنار

أنشئ ١٣١٥

نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام إن للإسلام صُوى «ومناراً» كمنار الطريق

(٣٠ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ ٢٩ الدلو سنة ١٣١٠ هـ ش ١٨ فبراير سنة ١٩٣١)

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٨٦) وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ
اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ
(٨٧) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ (٨٨) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٩)
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

هذا بيان لحالة المنافقين العامة في امر الجهاد بالمال والنفس، الذي هو أقوى آيات الايمان بالله ورسوله وما جاء به، وما يقابله من حال المؤمنين الصادقين فيه، وما بين الحالين من التضاد في العمل والأثر في القلب اللذين هما مناط الجزاء. قال تعالى ﴿ واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله ﴾ شرطية إذا في هذا المقام تفيد التكرار، والآية معطوفة على ماقبلها من خبر المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد، للجمع بين تلك الحال الخاصة، وهذه الشنشنة العامة، والمعنى انه كلما نزلت سورة تدعو الناس او المنافقين ببعض آياتها الى الايمان بالله والجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم اي ناطقة بأن آمنوا وجاهدوا ﴿استأذنك اولو الطول منهم﴾ الطول بالفتح يطلق على الغنى والثروة، وعلى الفضل والمنة، وهو من مادة الطول (بالضم) ضد القصر. والمراد بهم هنا اولو المقدرة على الجهاد المفروض باموالهم وأنفسهم، اي استأذنوك بالتخلف عن الجهاد ﴿ وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ اي دعنا نكن مع القاعدين في بيوتهم من الضعفاء والزمنى العاجزين عن القتال، والصبيان والنساء غير المخاطبين به

وفي معنى الآية قوله تعالى في سورة القتال — او محمد (٤٧، ٢٠ ويقول الذين آمنوا لولا أنزلت سورة؟ فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت. فأولى لهم (٢١) طاعة وقول معروف، فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم) والآيات دليل على جبن المنافقين وضعفاء الايمان، ورضاهم لانفسهم بالذل والهوان

﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ رضوا لانفسهم بان يكونوا مع الخوالف من النساء - وروي عن ابن عباس وقتادة - ومن لاخير فيهم من أهل الفساد، فهو جمع خالفة وتقدم بيان ماقاله علماء اللغة فيه في تفسير (فاقعدوا مع الخالفين) من آية (٨٣)

﴿ وطبع على قلوبهم ﴾ الطبع على القلوب والختم عليها عبارة عن عدم قبولها لشيء جديد من العلم والموعظة غير ما استقر فيها واستحوذ عليها، وصار وصفا ووجدانا لها، وقد بينا الاستعمال اللغوي حقيقته ومجازه للكلمة في تفسير (٢:٧)

ختم الله على قلوبهم) وفي مواضع أخرى من سورة النساء والاعراف [١]

﴿ فهم لا يفقهون ﴾ أي فلأجل ذلك هم لا يفهمون ما يخاطبون به فهم تدبر واعتبار فيعملوا به ، وقد بينا حقيقة معنى الفقه في مواضع أبسطها تفسير (٧: ١٧٩ لهم قلوب لا يفقهون بها) من سورة الاعراف ، وفيه تحقيق معنى القلب [٢]

﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ هذا استدراك على قعود المنافقين عن الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم عملا بداعي الايمان ، وأمر الله في القرآن ، لان ما جروا عليه من النفاق قد طبع على قلوبهم بمقتضى سنة الله تعالى في التأثير والارتباط بين العقائد والاعمال ، والفعل والانفعال ، فهم لا يفقهون ما أمروا به فيعملوا به ، لكن الرسول والذين آمنوا به وكانوا معه في كل أمور الدين لا يفارقونه ، قد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فقاموا بالواجب خير قيام ، كما يقتضيه الايمان والاسلام ، وما كان اولئك المنافقون الجبناء البخلاء ، بأهل للقيام بهذه الاعباء ، كما تقدم فيما وصفوا به من الآيات ، ولاسيما آية (٤٧ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا)

﴿ وأولئك لهم الخيرات ﴾ عطف جزاءهم على جهادهم ولم يذكره مفصولا مستأنفا كقوله السابق في المؤمنين والمؤمنات (اولئك سيرحمهم الله) وقوله في سورة البقرة (اولئك على هدى من ربهم) الآية لانه تتمة لبيان حالهم المخالفة لحال المنافقين بدءا وانتهاء عملا وجزاء ، أي وأولئك المجاهدون البعيدو المنزل في معارج الكمال ، لهم دون المنافقين الخيرات التي هي ثمرات الايمان والجهاد ، من شرف النصر ، ومحو كلمة الكفر ، واجتثاث شجرة الشرك ، وإعلاء كلمة الله ، وإقامة الحق والعدل بدين الله ، والتمتع بالغنائم

والسيادة في الارض ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي الفائزون بسيادة الدنيا مع سعادة الآخرة — دون أولئك المنافقين الذين حرموا منهما بنفاقهم ، وما له من

(١) راجع ص ١٤٣ ج ١ تفسير وص ١٧ ج ٦ وص ٢٩ وص ٣٣ ج ٩
(٢) ص ٤١٨ — ٤٢٨ ج ٩ تفسير

سوء الاثر في أعمالهم وأخلاقهم . وتقدم مثل هذا او ماينا سبه ويؤيده مكرراً في هذا السياق

﴿ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ تقدم معنى هذه الآية بما هو أوسع من هذه في الآية ٧٢ وسيأتي مثلها في آخر الآية المتممة للمائة

(٩٠) وَجَاءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ، سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

هذه الآية في بيان حال الاعراب خاصة ، وهم بدو العرب الذين طلبوا الاذن بالتخلف، والذين تخلفوا بغير اذن ، عقب بيان حال منافقي الحضر في مدينة الرسول ﷺ وسيأتي آيات اخرى في منافقي الاعراب ومؤمنيهم في الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ قال عز وجل

﴿ وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ﴾ المعذرون بالتشديد اسم فاعل من التعذير كالمقصرين من التقصير . هكذا قرأ الكلمة جمهور القراء ، وقرأها يعقوب بالتخفيف من الإعذار ، وروي هذا عن ابن عباس ، ولكن من طريق الكلبي وكذا عن مجاهد . وقد تقدم في تفسير الآية ٦٦ معنى العذر والاعتذار . والاعذار إبداء العذر ومنه المثل « أعذر من أنذر » وأعذر : ثبت له عذر ـ وقصر ولم يبالغ وهو يرى انه مبالغ ، كأنه ضد ـ وكثرت ذنوبه وعيوبه ، وله معاني أخرى كما في القاموس [قال] وقوله تعالى (وجاء المعذرون) بتشديد الذال المكسورة أي المعتذرون الذين لهم عذر ، وقد يكون المعذر غير محق فالمعنى المقصرون بغير عذر اه وزاد شارحه : ومعنى المعذرون الذين يعتذرون كان لهم عذر او لم يكن ، وهو ههنا شبيه بان يكون لهم عذر ، ويجوز في كلام العرب المعذرون بكسر العين المهملة الذين يعذرون : يوهمون ان لهم عذراً ولا عذر لهم . قال ابو بكر ففي المعذرين وجهان ، إذا كان المعذرون من عذر الرجل فهو معذر فهم لا عذر لهم ، واذا كان

المعذرون أصله المعتذرون فألقيت فتحة التاء على العين وابدل منها ذال وأدغمت في الذال التي بعدها فلهم عذر . وقال ابو الهيثم في تفسير الآية : معناه المعتذرون يقال : عذَّر عذارا في معنى اعتذر ، ويجوز عذَّر الرجل يعذر عذارا فهو معذر . قال ومثله : هدّى يهدي هدىً إذا اهتدى . قال الله (امن لا يهدّي الا أن يهدى) اهـ

وقد أطال ابن منظور في الكلام على المادة والمراد منها في الآية .

والحكمة في القراءتين على اختلاف معاني الصيغتين بيان اختلاف أحوال أولئك الاعراب في أعذارهم ، فمنهم من له عذر صحيح هو موقن به ، ومن له عذر صوري لا حقيقي وهو يوهم انه حقيقي عالما بانه مخادع ، ومنهم من له عذر ضعيف هو في شك منه لو نوقش فيه عجز عن إثباته ، ومنهم من لا عذر له في الواقع فهو كاذب في انتحاله ، وهذا من إيجاز القرآن العجيب بالاتيان بلفظ مفرد يتناول هذه الاقسام كلها ، مبهمة إلا عند أهلها ، للحكمة الآتية المقتضية لابهامها

والمعنى : وجاء الذين يطلبون من النبي ﷺ أن يأذن لهم في التخلف عن الخروج إلى تبوك امتثالا للنفير العام ، من اولى التعذير والإعذار ، قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا رسول الله ﷺ دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا ، فقال لهم رسول الله ﷺ « قد أنبأني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم » وقال ابن عباس هم قوم تخلفوا بعذر باذن رسول الله ﷺ . اقول وظاهره أن عذرهم حق ، وهو يصدق ببعضهم دون بعض ، كمقابلة الذي يذكر عن أبي عمرو

﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ أي وقعد عن القتال وعن المجيء للاعتذار الذين كذبوا الله ورسوله من الاعراب ، أي أظهروا الايمان بهما كذبا وايهاما ، يقال - كما في الاساس - كذبته نفسه إذا حدثته بالاماني والاوهام التي لا يبلغها ، وكذبته عينه اذا أرته مالا حقيقة له . قال الاخطل :

كذبتك عينك ام رأيت بواسط   غلس الظلام من الرباب خيالا

وهؤلاء هم المنافقون الاقحاح . قال ابو عمرو بن العلاء : كلا الفريقين كان مسيئا : قوم تكلفوا عذراً بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وجاء

المعذرون) وقوم تخلفوا من غير عذر فقعدوا جرأة على الله تعالى وهم

المنافقون ، فأوعدهم الله بقوله ﴿ سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ الظاهر المختار ان هذا الوعيد يعود على ماقبله من الفريقين عاما في المكذبين ، وخاصا ببعض المعذرين ، كما هو المتبادر من قوله تعالى (منهم) أي الاعراب الذين اعتذر بعضهم وقعد بعض ، فان الذين كذبوا الله ورسوله كلهم كفار ، وأما المعتذرون فمنهم الصادق في عذره ، والكاذب فيه لمرض في قلبه ، أو لتكذيبه لله ورسوله ، وكل منهم يعرف نفسه فيحاسبها إذا وجد الوعيد موضعا للعبرة منها ، ولو جعل التبعيض لهم وحدهم لظل القاعدون الكاذبون بغير وعيد وهم شر من شرهم ، فلا يصح التبعيض فيهم وحدهم ، ومن ثم اقتضى التحقيق أن يوجه الوعيد إلى الذين كفروا منهم ، لكفرهم لا لاعتذارهم ، والى الذين قعدوا لكفرهم لا لقعودهم ، بل للكذب الذي كان سببه وهو عين الكفر ، وهو لم يذكر بصيغة الحصر ، لان من القعود مايكون بعذر من الاعذار المنصوصة في الآية التالية وهم أولو الضرر في قوله تعالى (٤ : ٩٤ لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم: فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى) الخ . فالابهام لمستحقي هذا الوعيد من الفريقين من بلاغة القرآن التي امتاز بها إعجازه البياني . وهذا العذاب الاليم يراد به عذاب الدنيا وعذاب الآخرة جميعا كما تقدم في آخر الآية (٧٤)

---

(٩١) لَيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٢) وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٣) إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ

يَسْتَئْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

بين الله تعالى في هذه الآيات الاعذار الشرعية المقبولة عنده وعند رسوله بالتفصيل فعلم منه بطلان ماعداها وخص بالذكر شر ماعداها وهو استئذان الاغنياء فقال

﴿ ليس على الضعفاء ﴾ الضعفاء جمع ضعيف وهو ضد القوي أي من لاقوة لهم في أبدانهم تمكنهم من الجهاد ، قال ابن عباس يعني الزمنى والشيوخ والعجزة ، وقيل هم الصبيان وقيل النسوان ذكره البغوي - والزمنى بوزن المرضى وبالتحريك جمع زمين كمريض - ويقال زمن (ككتف) وزمنون - وهم من أصابتهم الزمانة وهي العاهة التي لاتزول بل تبقى على الزمان، ومنها الكساح (بالضم) والعمى والعرج، وقدم ذكر هؤلاء لأن عذرهم دائم لايزول ﴿ ولا على المرضى ﴾ جمع مريض وهم الذين عرضت لهم أمراض لايتمكنون معها من الجهاد كالحميات وعذرهم ينتهي بالشفاء منها

﴿ ولا على الذين لايجدون ماينفقون ﴾ وهم الفقراء الذين لايجدون مالا ينفقون منه على أنفسهم إذا خرجوا للجهاد ويتركون لعيالهم مايكفيهم ، وكان المؤمنون يجهزون أنفسهم للقتال فالفقير ينفق على نفسه والغني ينفق على نفسه وعلى غيره بقدر سعته كما فعلوا في غزوة تبوك إذ لم يكن للمسلمين بيت مال غني ينفق منه النبي صلى الله عليه وسلم على الغزاة، وهذا العذر خاص بالمال، ويزول إذا كان للامة في بيت المال ماينفقون منه عليهم

ليس على هذه الاصناف الثلاثة ﴿ حرج ﴾ اي ضيق في حكم الشرع يعدون به مذنبين ولا إثم في القعود عن الجهاد الواجب ﴿ إذا نصحوا لله ورسوله ﴾ في حال قعودهم لعجزهم، أي إذا أخلصوا لله تعالى في الايمان والرسول صلى الله عليه وسلم في الطاعة وأداء الامانة بالقول والعمل ولاسيما الذي تقتضيه حالة الحرب فالنصيحة والنصح (بالضم) تحري ما يصلح به الشيء ويكون خاليا من الغش والخلل والفساد ، من قولهم نصح العسل ونصع إذا كان خالصا مصفى « ونصح الخياط الثوب إذا انعم خياطته ولم يترك فيه فتقا ولا خللا » ذكره في مجاز الاساس وقال « شبه ذلك بالنصح » على

طريقته في جعل المعاني الحسية من المجاز والمعنوية من الحقيقة ،ونحن نرى عكس هذا- أعني أن نصح العسل والخياط حقيقة ، والنصح في التوبة والطاعة هو المأخوذ منه والاجدر بان يكون مجازاً ، الا ان يكثر استعماله فيعد من الحقيقة . ومنه يعلم ان من النصح لله ورسوله في هذه الحالة كل ما فيه مصلحة للامة ولا سيما المجاهدين منها من كتمان سر، وحث على بر ،ومقاومة خيانة الخائنين في سر أو جهر ، فالنصح العام ركن من الاركان المعنوية للاسلام به عز السلف وبزوا، وبتركه ذل الخلف وابتزوا،

روى مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري ان رسول الله ﷺ قال « الدين النصيحة — قالوا لمن يارسول الله ؟ قال — لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وروى البخاري ومسلم والترمذي عن جابر قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم

﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ السبيل الطريق السهل يطلق على الحسي منه والمعنوي في الخير وفي الشر كما تقدم في تفسير (٦: ١٥٢ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) و « من » لتأكيد النفي العام ، وهو أبلغ من قولك « ما عليه سبيل » وان كان عاما . فقولك ما على فلان من سبيل — معناه ليس لأحد أدنى طريق يسلكها لمؤاخذته او النيل منه ، فكل السبل مسدودة دون الوصول اليه ، وهذا الاستعمال مكرر في القرآن . والمحسنون ضد المسيئين ، وهو عام في كل من أحسن عملا من أعمال البر والتقوى (بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه) الآية . والشرع الالهي يجزي المحسن باضعاف احسانه ، ولا يؤاخذ ولا يعاقب المسيء إلا بقدر إساءته . فاذا كان أولئك المعذورون في القعود عن الجهاد محسنين في سائر أعمالهم بالنصح المذكور انقطعت طرق المؤاخذة دونهم ، والاحسان اعم من النصح المذكور ،فالجملة تتضمن تعليل رفع الحرج عنهم بما ينتظمون به في سلك المحسنين ،فيكون رفعه عنهم مقرونا بالدليل، فكل ناصح لله ورسوله محسن ، ولاسبيل إلى مؤاخذة المحسن وإيقاعه في الحرج، وهذه المبالغة في أعلى مكانة من اساليب البلاغة

ولما ذكر رفع المؤاخذة عنهم باحسانهم السلوك فيما هم معذورون فيه من

القعود عن الجهاد وهو الذي اقتضاه المقام، فقفى عليه بالستر عليهم والصفح والاحسان اليهم فيما عداه، على قاعدة (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان)؟ فقال

﴿ والله غفور رحيم ﴾ اى وهو تعالى كثير المغفرة واسع الرحمة فهو يستر على المقصرين ما لا يخلو منه البشر من ضعف في اداء الواجبات لا ينافي الاخلاص والنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويدخلهم برحمته في عباده الصالحين. وأما المنافقون المسيئون عملا ونية فانما يغفر لهم ويرحمهم إذا تابوا من نفاقهم الباعث لهم على إساءتهم

﴿ ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه ﴾ هذا معطوف على نفي الحرج عن الضعفاء والمرضى والفقراء ونفي السبيل عن المحسنين، أي لاحرج على من ذكر بشرطه، ولاسبيل على المحسن منهم في قعوده، ولا على الذين اذا ماأتوك لتحملهم على الرواحل فيخرجوا معك فلم تجد ماتحملهم عليه الخ وهؤلاء جماعة من الفقراء يدخلون في عموم الذين لا يجدون ما ينفقون للجهاد في سفر طويل كغزوة تبوك، وهو فقدهم الرواحل التي تحملهم، فهو من عطف الخاص على العام. يقال حمله على البعير أوغيره أي أركبه إياه أو أعطاه إياه ليركبه، وكان الطالب لظهر يركبه يقول لمن يطلبه منه: احملني

ثم بين حال هؤلاء بعد جواب الرسول لهم بيانا مستأنفا فقال:

﴿ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع ﴾ أي انصرفوا من مجلسك وهم في حال بكاء شديد، هاجه حزن عميق. فكانت أعينهم تمتليء دمعاً، فيتدفق فائضا من جوانبها تدفقا، حتى كأنها ذابت فصارت دمعا، فسالت همعا ﴿ حزنا ﴾ منهم وأسفا ﴿ أن لا يجدوا ما ينفقون ﴾ اي على عدم وجدانهم عندك ولا عندهم ماينفقون ولا ما يركبون في خروجهم معك جهادا في سبيل الله وابتغاء مرضاته

أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس (رض) قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن ينبعثوا غازين. فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزني فقالوا يارسول الله احملنا، فقال «والله لااجد ما أحملكم عليه» فتولوا

ولهم بكاء، وعز عليهم أن يُحبسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة ولا محملا . فأنزل الله عذرهم (ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم) الآية . وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب قال : جاء ناس بن أصحاب رسول الله ﷺ يستحملونه فقال « لااجد ما احملكم عليه» فأنزل الله (ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم) الآية . وذكر البطون التي ينسبون اليها ، وهنالك روايات أخرى في عددهم وبطونهم عند ابن اسحق وغيره . وأنهم كانوا يسمون البكائين. وهنالك رواية أخرى انهم ماسألوه ﷺ الا الحملان على النعال ، ورواية أخرى انهم سألوه الزاد والماء ، ولا مانع من وقوع كل ذلك في هذه الغزوة الكبيرة، ولكن الآية خاصة بطلاب الرواحل لانه هو المتبادر من اللفظ .

والحكمة في التعبير بالاتيان لأجل الحمل والاعتذار عنه بعدم وجدان مايحملهم عليه، دون ذكر جنسه من راحلة ودابة ـ هي افادة العموم فيما يحمل عليه مريد السير فتدخل فيه مراكب هذا الزمان من مراكب النقل البرية والهوائية والبحرية ، ويتحقق العذر بفقد مايحتاج اليه منها في كل سفر بحسبه ، وفقد العذر بوجوده ، فوجود الخيل والجمال والبغال لاينفي العذر في السفر الذي يقطع في القطارات الحديدية اوالسيارات، او المناطيد او الطيارات ، أو السفن البخارية

لما بين ان كل أولئك ماعليهم من سبيل بقي بيان من عليهم السبيل في تلك الحال. فذكرهم بقوله ﴿ انما السبيل ﴾ الواضح السوي الموصل الى المؤاخذة والمعاقبة بالحق ﴿ على الذين يستاذنونك وهم أغنياء ﴾ اي يطلبون الاذن لهم في القعود والتخلف عن النفر، والحال انهم اغنياء في حال هذا الاستئذان ومن قبله، قادرون على اعداد العدة له من زاد ورواحل وغير ذلك، ولماذا؟ لانهم ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ اي رضوا لانفسهم بان يكونوا مع الخوالف والخالفين، من النساء والاطفال والمعذورين، بل مع الفاسدي الاخلاق المفسدين ﴿ وطبع الله على قلوبهم ﴾ فأحاط بهم ماجروا عليه من خطاياهم وذنوبهم ، بحسب سنن الله تعالى في امثالهم ﴿ فهم لايعلمون ﴾ كنه حالهم ، ولا سوء مآلهم ، وماهو سببه من أعمالهم ، فأما حالهم في التخلف

وطلب القعود مع الخوالف بغير أدنى عذر فهو رضا بالذل والمهانة في الدنيا، لأن تخلف الافراد عن القتال الذي تقوم به الشعوب والاقوام، ورضاء الرجال بالانتظام في سلك النساء والاطفال، يعد في عرف العرب والعجم من أعظم مظاهر الخزي والعار، وهو في حكم الاسلام أقوى آيات الكفر والنفاق، وأما مآلهم وسوء عاقبتهم فيه فهو ما فضحهم الله به في هذه السورة، وما شرعه لرسوله وللمؤمنين من جهادهم وإهانتهم، وعدم العود الى معاملتهم بظاهر اسلامهم، وما أعده لهم من العذاب الاليم، والخزى الدائم في نار الجحيم

وهاتان الآيتان بمعنى الآيتين (٨٦و٨٧) المتقدمين ولكن أسند فعل الطبع على القلوب في هذه الآية الى اسمه عز وجل، وهنالك أسند الى المفعول، والمراد من كل منهما واحد، وهو بيان سنة الله تعالى وقدره في علاقة الاعمال بالعقائد والسجايا والاخلاق، الا ان التصريح باسم الله تعالى فيه مزيد اهانة لهم. وعبر هنا بالعلم وهناك بالفقه، والمراد واحد، وهو الادراك والعرفان الصحيح الذي يبعث على العمل بمقتضاه، ولكن المتبادر من العلم تيقن المعلوم، ومن الفقه تاثير العلم في النفس.

نساله تعالى ان يجعلنا من العلماء الموقنين، الفقهاء المعتبرين، المؤمنين الصادقين، العاملين المخلصين. وأن يوفقنا لاتمام تفسير كتابه بالحق، النافع للخلق، ويهدينا جميعاً للعمل به، والاستضاءة بنوره، ويؤتي هذه الامة به ما وعدها من سعادة الدنيا والآخرة، وهو على كل شيء قدير،

تم تفسير الجزء العاشر كتابة وتحريراً في العشر الاول من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٩ — وقد اعتمدنا جعل آية ٩٣ (انما السبيل) الخ منه مراعاة للمعنى الذي كانت به متممة لما قبلها، وهي في بعض المصاحف أول الجزء الحادي عشر — وكنا بدأنا به في شوال سنة ١٣٤٦ ونشر في المجلدات التاسع والعشرين والثلاثين والحادي والثلاثين من المنار.

ونرجو أن يوفقنا الله تعالى لانجاز تفسير كل جزء مما بقي في أقل من سنة مع الاختصار غير المخل ان شاء الله تعالى وبه الحول والقوة،

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(٩٤) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ، قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ، قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٥) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

هذه الآيات بيان لما سيكون من امر المنافقين الذين تخلفوا في المدينة وما حولها عن غزوة تبوك مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد عودتهم اليهم، قال عز وجل:

﴿ يعتذرون اليكم ﴾ يعتذر اليكم أيها المؤمنون أولئك الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وهم اغنياء أصحاء لاعذر لهم ﴿ إذا رجعتم اليهم ﴾ من سفركم هذا عن جميع سيئاتهم ﴿ قل ﴾ أيها الرسول لهم حينئذ ﴿ لا تعتذروا لن نؤمن لكم ﴾ لن نصدقكم

تصديق جوح وأئمان لكم بتلبسكم بالاسلام تحسينا للظن ، ولا عملا بالظواهر ،

ولماذا ؟ ﴿ قد نبأنا الله ﴾ بوحيه إلى رسوله الهم ﴿ من أخباركم ﴾ التي تسرونها في ضمائركم ، وهي مخالفة لظواهركم التي تعتذرون بها ، ونبأ الله هو الحق اليقين ومن عرف الحق لا يقبل الباطل ، ولا يصدق الكاذب ، ولم يقل « نبأني » وهو ﷺ المنبأ من الله وحده لان المراد انه أمره أن ينبيء بذلك أصحابه، ولم يكن هذا النبأ خاصاً به. واعتذارهم للجميع يقتضي أن يعلموا أن الجميع عالمون بما فضحهم الله به ، وان كان المبلغ لهم هو الرسول ﷺ بما له من الرياسة ، وما لخبره من الثقة التي لا يشك فيها أحد، والتأثير الذى يحسب له كل حساب ، فهو من قبيل التبليغات الرسمية العليا الصادرة عن الملوك والسلاطين ، دع كونه اسمى واعلى

لأنه نبأ الرسول المعصوم عن الله عز وجل ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ بعد الآن . وهو الذي يدل إما على الاصرار على النفاق ، وإما على التوبة والاذعان في الايمان ، الذي تترتب عليه الاعمال . وأما أقوالكم فلا قيمة لها وان أكدتموها بالأيمان . فان تبتم وأنبتم ، وشهد لكم عملكم بصلاح سريرتكم ، فان الله يقبل توبتكم ، ويعاملكم رسوله بما يعامل به المؤمنين الذين تشهد لهم أعمالهم باخلاصهم وصدقهم ، وان أبيتم إلا الاصرار على نفاقكم ، والاعتماد على نفاق سوق كذبكم بأعذاركم وأيمانكم ، فسيعاملكم رسوله بما أمره الله به في هذه السورة من جهادكم والاغلاظ عليكم كاخوانكم الكفار المجاهرين ، وعدم السماح لكم بالخروج معه أبداً ، ولا بان تقاتلوا معه عدواً ،

وما يتعلق بذلك من اهانة واحتقار ﴿ ثم تردون ﴾ من هذه الحياة على الذل

والموت عليه ﴿ الى عالم الغيب والشهادة ﴾ الذي يعلم ما تسرون وما تعلنون ، وما تكتمون وما تظهرون . والغيب ما غاب عن المخاطبين علمه ، والشهادة

ما يشهدونه ويعرفونه[1] ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ عندما تحشرون وتحاسبون، ويجازيكم عليه بما تستحقون ، وهو ما أوعدكم به في هذه السورة وفي غيرها كقوله (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) .

ومن الفقه في الآية ان من آداب الاسلام تحامي كل ذنب أو تقصير يحتاج فاعله الى الاعتذار، وورد في بعض الاحاديث المرفوعة «إياك وكل أمر يعتذر منه» رواه الضياء في الاحاديث المختارة عن انس وروى غيره مثله في أثناء حديث آخر

﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ﴾ سيؤكدون لكم اعتذارهم بالأيمان الكاذبة إذا انقلبتم وتحولتم اليهم من سفركم لاجل ان تعرضوا عن عتبهم وتوبيخهم على قعودهم مع الخالفين من النساء والاطفال والعجزة ، وبخلهم بالنفقة ، ولم يذكر المحلوف عليه للدلالة على شموله لكل ما يعتذر عنه

﴿ فأعرضوا عنهم ﴾ إعراض إهانة واحتقار ، لا إعراض صفح وإعذار ، وهذا التعبير من أسلوب الحكيم وهو قبول ما يبغون من الاعراض عنهم ولكن على غير الوجه الذي يرجونه منه بل على ضده ، وقد علل الامر بقوله ﴿ انهم رجس ﴾ أي قذر معنوي يجب الاعراض عنه تنزها عن القرب منه باشد مما يتنزه الطاهر الثوب والبدن عن ملابسة الارجاس والاقذار الحسية وهذا بمعنى ما تقدم من قوله (٢٨ انما المشركون نجس) وسبق بيان معنى الرجس في تفسير آية تحريم الخمر (٥:٩٣ إنما الخمر والميسر) من سورة المائدة[2] ﴿ ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ أي وملجؤهم الاخير نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من أعمال النفاق التي دنست أنفسهم ، والاعراض عن آيات الله الذي زادهم رجسا على رجسهم ، كما تراه في الآية (١٢٥) الآتية

---

(١) تقدم تحقيق معنى الغيب المطلق والمقيد مفصلا في تفسير (٦ : ٥٠ و٥٩) من الجزء السابع (٢) يراجع معني الرجس منه في ص ٥٧ ج ٧

﴿ يحلفون لكم لترضوا عنهم ﴾ فتستديموا معاملتهم السابقة بظاهر اسلامهم ، وهذا غرض آخر وراء غرض الاعراض عنهم لا يهنأ عيشهم بدونه ، ولا حظ لهم من إظهار الاسلام غيره ، ولو كان إسلامهم عن إيمان لكان غرضهم الاول إرضاء الله ورسوله كما تقدم في آية (٦٢ يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخ وليس لكم أن ترضوا عنهم وهذه حالتهم ﴿ فان ترضوا عنهم ﴾ فرضا وقد أعلمكم الله بحالهم ﴿ فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ عن أمره منهم ولا من غيرهم ، فان هذا الفسوق سبب او علة لسخط الله تعالى فالحكم بعدم رضاه متعلق به ، لا بذواتهم وشخوصهم ، ومقتضاه أنه اذا فرض أن بعض المؤمنين رضي عنهم وآمن لهم باعتذارهم بعد النهي عنه كان فاسقا مثلهم ، محروما من رضانه تعالى ، كما أن من يتوب منهم ويرضي الله ورسوله يخرج من حدود سخطه عز وجل ويدخل في حظيرة مرضاته إذ لا يعد بعد ذلك فاسقاً. فأحكام الله العامة ووعده ووعيده تتعلق بالاعمال والصفات النفسية والبدنية لا بالذوات والاعيان ، ولو قال « فان الله لا يرضى عنهم » لما أفاد التعبير هذه الحقائق والمعاني ، بل كان يكون حكما على أفراد معينين ، مسجلا عليهم الموت على كفرهم وعدم قبول توبة أحد منهم ، وما أبعد هذا عن حكمة الله وعن هداية كتابه العزيز!

ولا ينافي هذا التحقيق ما يروى عن ابن عباس من نزول هذه الآيات في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما من المنافقين وكانوا ثمانين رجلا امر النبي ﷺ المؤمنين لما رجعوا الى المدينة بأن لا يجالسوهم ولا يكلموهم. اذ لا دليل على ان هؤلاء مقصودون من الآيات بذواتهم وشخوصهم كالذين نهى عن الاستغفار لهم وعلله بموتهم على كفرهم، كعبد الله بن أبي، وقد قال قتادة ان هذه الآيات نزلت فيه ، فانه حلف للنبي ﷺ بعد عودته ان لا يتخلف عنه وطلب ان يرضى عنه فلم يفعل . والآيات اعم من هذا وذاك . وهي من أنباء الغيب بما فيها من بيان مقاصدهم الخفية وان كان الاعتذار والحلف من سجاياهم . ومن علامات النفاق كثرة الحلف لشعور المنافق دائما بأنه متهم بالكذب

ويجب التنبه في هذا المقام لجهل فظيع وقفنا عليه بهذا كرة بعض المشتغلين بعلوم الدين التقليدية مخالف لهذه الآية وامثالها من كتاب لله تعالى وهو زعمهم أن ماعابه الكتاب الحكيم على المشركين والكافرين من أعمال الشرك والكفر كدعاء غير الله واتخاذ أولياء من دونه يقربونهم اليه ويشفعون لهم عنده فيما يطلبون من دفع ضر وجلب نفع مما لا ينال بالكسب فهو خاص بهم وبأوليائهم وشفعائهم، وان وقوع مثله من المسلمين لاينافي صحة إيمانهم ، والاعتداد باسلامهم ، للفرق الواضح بين من يدعو الاصنام والاوثان ويجعلها واسطة بينه وبين الله تعالى تشفع له عنده وتقربه اليه زلفى ، ومن يدعو الانبياء والاولياء لذلك وهم عباد الله المكرمون ، الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون !!

جهل هؤلاء ان الشرك والكفر لا يختلف حكمه باختلاف متعلقه فمن يدعو مع الله صنما او كوكبا ، كمن يدعو نبيا أو ملكا ، على أن الاوثان والاصنام كانت تماثيل لذكرى بعض الاولياء والصالحين كالقبور المنسوبة إلى بعضهم نسبة صحيحة اومزورة ، ولكن ماذا يقول هؤلاء الجاهلون المدافعون عن الشرك وأهله في أهل الكتاب الذين يدعون ويستغيثون الانبياء والصالحين متوسلين بهم ومستشفعين وهم الذين اتبع القبوريون من المسلمين سننهم في شركهم كما أخبر ﷺ بذلك تحذيراً وانذاراً بقوله « لتتبعن سنن من قبلكم » الحديث وهو متفق عليه وتقدم ذكره مراراً ، وفصلت هذه المسألة في تفسير الآية (٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) فيراجع تفسيرها (١)

ويذكر هؤلاء الجاهلون بالقرآن وتاريخ الاسلام فرقا آخر بين شرك المسلمين وشرك من قبلهم ، وهو أن المشركين السابقين اتخذوا أوثانهم وأنبياءهم وأولياءهم آلهة وأربابا ، وان المسلين الذين يدعون الاولياء ويستغيثونهم في الشدائد طلبا لشفاعتهم لم يتخذوهم آلهة ولا أربابا وانما يتخذونهم وسائل ووسائط ويعتقدون انهم مخلوقون مثلهم

(١) صفحة ٣٦٣ من الجزء العاشر

والجواب عن هذا انه لا فرق بين عمل الفريقين إلا في التسمية ولكن من بعض الوجوه ، فمشركو العرب لم يكونوا يسمون أصنامهم أربابا بل كانوا يعتقدون ويقولون ان رب العالمين وخالقهم ومدبر أمورهم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله وحده، لان هذا مقتضى لغتهم ، وإنما كانوا يسمونها آلهة لان الاله في لغتهم هو المعبود ، والمعبود هو من يتوجه اليه ويدعى فيما لا يقدر عليه الناس بكسبهم في دائرة الاسباب المعروفة لهم ، ويعظم ويتقرب اليه بالذبائح وغيرها لاجل ذلك، سواء كان سلطانه على النفع ودفع الضر بذاته لذاته وهو الله تعالى ، أو بشفاعته عند الله. وقد تقدم بسط هذا المعنى مرارا ، وسيعاد في تفسير سورة يونس للنصوص الصريحة فيه . فتسمية هذه العبادة لغير الله توسلا في عرف بعض الناس لا يخرجها عن حقيقتها ، ولا عن كون اسمها في اللغة العربية عبادة وهو ما كان يسميها به أهل هذه اللغه .وانما التوسل الشرعي التقوب الى الله تعالى بما شرعه من الاعمال الصالحة لا بالاهواء المبتدعة ولا بالتقاليد المتبعة

---

(٩٧) ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٨) وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ . عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ ، وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٩) وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ، وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

هذه الآيات الثلاث في بيان حال الأعراب منافقيهم ومؤمنيهم، والظاهر انها قد نزلت هي وما بعدها الى آخر السورة بعد وصول النبي ﷺ والمؤمنين الى المدينة ، فهي بدء سياق جديد في تفصيل احوال المسلمين في ذلك العهد، بدىء

بذكر الاعراب من المنافقين لمناسبة ماقبله وفصل عنه لانه سياق جديد مع ما بعده:

﴿ الاعراب أشد كفراً ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾
بيان مستأنف لحال سكان البادية من المنافقين ، لانه مما يسئل عنه بعد ما تقدم في منافقي الحضر من سكان المدينة وغيرها من القرى . فالأعراب اسم جنس لبدو العرب ، واحده أعرابي ، والانثى اعرابية ، والجمع اعاريب . والعرب اسم جنس لهذا الجيل الذي ينطق بهذه اللغة ، بدوه وحضره واحده عربي . وقد وصف الاعراب بأمرين اقتضتهما طبيعة البداوة [الاول] أن كفارهم ومنافقيهم أشد كفراً ونفاقا من أمثالهم من أهل الحضر - ولاسيما الذين يقيمون في المدينة المنورة نفسها - لانهم أغلظ طباعا ، وأقسى قلوبا ، وأقل ذوقا وآدابا ، — كدأب امثالهم من بدو سائر الأمم — بما يقضون جل أعمارهم في رعي الانعام وحمايتها من ضواري الوحوش . ومن تعدي أمثالهم عليها وعلى نسائهم وذراريهم ، فهم محرومون من وسائل العلوم الكسبية ، والآداب الاجتماعية [الثاني] انهم أجدر اي أحق وأخلق من أهل الحضر بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى في كتابه ، وما آتاه من الحكمة التي بين بها تلك الحدود بسنن أقواله وأفعاله . وفهم ألفاظ القرآن اللغوية ، لا يكفي في علم حدوده العملية . كان أهل المدينة وما حولها من القرى يتلقون عنه (ص) كل ماينزل من القرآن وقت نزوله ، ويشهدون سنته في العمل به ، وكان يرسل العمال الى البلاد المفتوحة يقيمون فيها يبلغون القرآن ، ويحكمون بين الناس به وبالسنة المبينة له ، فيعرف أهلها تلك الحدود التي حدها الله تعالى ونهاهم ان يعتدوها . ولم يكن هذا كله ميسوراً لاهل البوادي ، وهم مأمورون بالهجرة ، لاجل العلم والنصرة ، لأن الاسلام دين علم وحضارة

فالاعراب اجدر بالجهل من الحضر بطبيعة البداوة لا بضعف أفهامهم ، أو بلادة أذهانهم ، او ضيق نطاق بيانهم ، فقد كانوا مضرب الامثال في قوة الجنان ، ولوذعية الاذهان ، وذرابة اللسان ، وسعة بيداء البيان ، وعنهم أخذ رواة العربية اكثر مفردات العربية وأساليبها

والجدارة بالشيء قد تكون طبعية ، وقد تكون باسباب كسبية ، من فنية

وشرعية وأدبية ، وقد تكون باسباب سلبية اقتضتها حالة المعيشة والبيئة ، قيل انها مشتقة من الجدار وهو الحائط الذي يكون حداً للبستان أو الدار ، وقيل من جدر الشجرة ، ويرادف الجدير بالشيء والاجدر، الحقيق والاحق، والخليق والأخلق ، وقد يستعمل أفعل في كل منها للتفضيل مع التصريح بالمفضل عليه غالبا ، كحديث « والثيب أحق بنفسها من وليها » ومع تركه للعلم به أحيانا ، ومنه قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر)

﴿ والله عليم حكيم ﴾ واسع العلم بامور عباده وصفاتهم وأحوالهم الظاهرة من بداوة وحضارة وعلم وجهل ، والباطنة من إيمان وكفر ، واخلاص ونفاق، تام الحكمة فيما يحكم به عليهم ، وما يشرعه لهم ، وما يجزيهم به ، من نعيم مقيم ، أو عذاب أليم .

روى احمد وأصحاب السنن ـ ماعدا ابن ماجه ـ والبيهقي في الشعب عن ابن عباس برفعه « من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان افتتن » قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث الثوري

وروى ابو داود والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا « من بدا جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن ، وما ازداد أحد من سلطانه قربا إلا ازداد من الله بعداً » وسبب الاخير ان السلاطين قلما يرضون عمن يلتزم الحق والصدق والنصح الصريح ، وقلما يأتيهم ويزداد قربا منهم الا المرائي الذي يمدحهم بالباطل ويعينهم على الظلم ولو بالتأول لهم ، وقد بينا هذا المعنى في تفسير (٦١ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن)

﴿ ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرما ﴾ تقدم في الآية [٩٠] ان بعض الاعراب جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم معذرين ليأذن لهم في القعود عن غزوة تبوك ، وذكر في هذه الآية حال الذين كانوا ينفقون بعض أموالهم في سبيل الجهاد رياء وتقية فيعدون ماينفقونه من المغارم وهي ما يلزم المرء مما يثقل عليه فيلتزمه كرها وطوعا الدفع مكروه عن نفسه أو عن قومه وليس له فيه منفعة ذاتية . ولم يكن هؤلاء الاعراب المنافقون يرجون بهذه النفقة جزاء في الآخرة لانهم لايؤمنون بالبعث .

ولهذا قال الضحاك : يعني بالمغرم انه لا يرجو ثوابا عند الله ولا مجازاة وانما يعطي ما يعطي من الصدقات كرها . وعن ابن زيد انما ينفقون رياء اتقاء أن يغزوا ويحاربوا ويقاتلوا أو يرون نفقاتهم مغرما [قال] وهم بنو أسد وغطفان

﴿ ويتربص بكم الدوائر ﴾ اي ينتظرون دوائر الزمان اي تصاريفه ونوائبه التي تدور بالناس وتحيط بهم بشرورها أن تنزل بكم فتبدل قوتكم ضعفا، وعزكم ذلا ، وانتصاركم هزيمة وكسرا ، فيستريحوا من اداء هذه المغارم لكم ، بالتبع للخروج من طاعتكم ، والاستغناء عن اظهار الاسلام نفاقا لكم ، كانوا أولا يتوقعون ظهور المشركين واليهود على المؤمنين ، فلما يئسوا من ذلك صاروا ينتظرون موت النبي ﷺ ويظنون ان الاسلام يموت بموته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله . وهكذا يعلل الجاهل الضعيف نفسه الخبيثة بالاماني والاوهام

واذا كان منافقو المدينة الذين هم أجدر من هؤلاء الاعراب أن يعلموا مافي الاسلام من القوة الذاتية، وما في اعتصام المؤمنين الصادقين به من القوة الحربية، كانوا يتربصون بالمؤمنين الهزيمة من الروم في تبوك ، وكانوا إن أصاب النبي ﷺ مصيبة مما لا يخلو عنه البشر يفرحون ويقولون (قد أخذنا أمرنا من قبل) أي احتطنا لهذه العاقبة قبل وقوعها ، فهل يستغرب مثل هذا التربص من الاعراب سكان البادية الذين يجهلون ماذكر ؟ (راجع تفسير الآيات ٥٠ ـ ٥٤ من هذه السورة)

﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ دعاء عليهم بما يتربصونه بالمؤمنين، أو خبر بحقيقة حالهم معهم، ومآل الاحتمالين واحد، لان الخبر في كلامه تعالى حق ومضمونه كمضمون الدعاء واقع ، ماله من دافع ، والدعاء منه عز وجل يراد به مآله وهو وقوع السوء عليهم واحاطته بهم . والسوء بالفتح في قراءة الجمهور وهو مصدر ساءه الامر ضد سره ، وقرأه ابن كثير وابو عمرو ههنا وفي سورة الفتح بالضم وهو اسم لما يسوء . والاضافة: كرجل صدق وقدم صدق . وتقديم الخبر يفيد الحصر أي عليهم وحدهم الدائرة السوءى تحيط بهم دون المؤمنين الذين يتربصونها بهم ، فان هؤلاء لاعاقبة لهم تتربص بهم إلا مايسرهم ويفرحهم من نصر الله

وتوفيقه لهم ومايسوء أعداءهم من خذلان وخيبة وتعذيب لهم في الدنيا قبل الآخرة حتى باموالهم وأولادهم ، كما تقدم في قوله تعالى (٥٢ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) وقوله (٥٥ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم)

﴿ والله سميع عليم ﴾ لايخفى عليه شيء من أقوالهم المعبرة عن شعورهم واعتقادهم في نفقاتهم إذا تحدثوا بها فيما بينهم ، وأقوالهم التي يقولونها للرسول او لعماله على الصدقات ، او لغيرهم من المؤمنين مراءاة لهم ، ولا من أعمالهم التي يعملونها ، ومن نياتهم وسرائرهم التي يخفونها ، فهو سيحاسبهم على ما يسمع ويعلم - اى على كل قول وفعل - ويجزيهم به

ولما ذكر حال هؤلاء الاعراب المنافقين عطف عليه بيان حال المؤمنين الصادقين منهم (١) فقال

﴿ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ إيمانا صادقا اذعانيا تصدر عنه آثاره من العمل الصالح . قال مجاهد: هم بنو مقرن من مزينة وهم الذين قال الله فيهم (٩٢ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) الآية . وقال الكلبي : هم أسلم وغفار وجهينة ومزينة ، وثم روايات أخرى فيهم ، والنص يشمل جميع المؤمنين الصادقين منهم ومن غيرهم من الاعراب . وقد ذكر من وصفهم ضد ماذكره في وصف من قبلهم في أمر النفقة في سبيل الله فقال ﴿ ويتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ﴾ أي يتخذ ماينفقه وسيلة لأمرين عظيمين أولهما القربات عند الله عز وجل ، وثانيهما صلوات الرسول ، أي أدعيته لانه ﷺ كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ، ولم يثبت في النص انتفاع احد بعمل غيره الا الدعاء وما يكون المرء سببا فيه كالولد الصالح ، والسنة الحسنة يتبع فيها . فهذا

(١) مما تواتر عن جهلة الترك الذين يبغضون العرب انهم يحفظون قوله تعالى (الاعراب اشد كفرا ونفاقا) الآية ويظنون ان المراد بالاعراب جنس العرب فيعيرون به من يفاخرونهم منهم ولا يحفظون الآية التالية في مدح الاعراب ولا آية (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) وهم صميم العرب !!

القصد في اتخاذ الصدقات ضد اتخاذ المنافقين إياها مغرما. والقربات كالقرب جمع قربة (بضم القاف) وهي في المنزلة والمكانة، كالقرب في المكان والقرابة، والقربى في الرحم، والاصل في الكل واحد وهو الدنو من الشيء مطلقا. والصلوات جمع صلاة ومعناها، أو أحد معانيها في أصل اللغة الدعاء، واطلاقها على العبادة المخصوصة من أركان الاسلام شرعي وجهه ان الدعاء هو روحها الاعظم لانه مخ العبادة وسرها الذي تتحقق به العبودية على أكمل وجوهها، وهو في الفاتحة فريضة، وفي السجود فضيلة، ويأتي قريبا بيان هذه الصلوات على المتصدقين في تفسير قوله تعالى (١٠٣ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم)

وقد بين الله تعالى جزاء هؤلاء الاعراب على ماشهد لهم به من صدق الايمان واخلاص النية في الانفاق في سبيل الله، وادائهم به حق الله، وهو قصد القربة عنده، وحق الرسول وهو طلب دعائه لهم بقبول نفقتهم وإثابتهم عليها، فقال

باسلوب الاستئناف المشعر بالاهتمام ﴿ ألا انها قربة لهم ﴾ وهو إخبار بقبوله تعالى لنفقتهم مؤكد بافتتاحه باداة التنبيه الدالة على الاهتمام بما بعدها وهي (ألا) وبـ[إن] الدالة على تحقيق مضمون الجملة وبالجملة الاسمية فقوله تعالى [انها قربة] راجع الى النفقة الماخوذة من قوله [ما ينفق]

وقوله ﴿ سيدخلهم الله في رحمته ﴾ تفسير لهذه القربة والمراد بالرحمة هنا الرحمة الخاصة بمن رضي الله عنهم وهي هداية الصراط المستقيم وماتنتهي اليه من دار النعيم، ومعنى إدخالهم فيها أن يكونوا مغمورين فيها وتكون هي محيطة بهم شاملة لهم، وهذا أبلغ من مثل (يبشرهم ربهم برحمة منه) والسين في قوله [سيدخلهم] لتأكيد الوعد وتحقيقه وتقدم مثله. وعلل هذا الوعد بقوله:

﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ أي واسع المغفرة والرحمة يغفر للمخلصين في أعمالهم ما يلمون به من ذنب أو تقصير، ويرحم الصادقين في ايمانهم فيهديهم به إلى أحسن العمل وخير المصير

(١٠٠) وَالسَّـٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـٰجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَـٰنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠١) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ، لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠٢) وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

هذا تقسيم آخر المؤمنين الصادقين والمنافقين من أهل الحضر والبدو جميعاً عطفه على تقسيم الاعراب لمشاركته له في بيان حقيقة جماعات المسلمين في ذلك العهد، قال

﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ﴾ هذه طبقات ثلاث هي خير هذه الامة التي هي في جملتها خير أمة اخرجت للناس (فالاولى) السابقون الاولون من المهاجرين قيل هم الذين صلوا إلى القبلتين وروي عن أبي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن سيرين والحسن وقتادة وغيرهم . وقيل هم اهل بدر وروي عن محمد بن كعب وعطاء بن يسار، وقيل هم الذين شهدوا بيعة الرضوان في الحديبية وعليه الشعبي ، ولكن هذا القول وما قبله في السابقين من المهاجرين والانصار جميعا : وأما السابقون من المهاجرين وحدهم فهم الذين هاجروا قبل صلح الحديبية لان المشركين كانوا الى ذلك الوقت يضطهدون المؤمنين في بلادهم ويقاتلونهم في دار الهجرة وما حولها ، ولا يمكنون أحداً من الهجرة ما وجدوا إلى صده سبيلا ، ولا منجاة للمؤمن من شرهم إلا بالفرار أو الجوار ، فالذين هاجروا قبل صلح الحديبية وجاهدوا بأموالهم

وأنفسهم كانوا كلهم من المؤمنين الصادقين ، ليس فيهم منافق كما قلنا من قبل ، إذ لم يكن للنفاق في ذلك الوقت مقتض ولا سبب ، ولا للهجرة والجهاد داع غير الاخلاص في الايمان وإقامة بناء الاسلام ، وإن كان هؤلاء يتفاضلون في السبق وفي غيره من الاعمال ، فأفضلهم الخلفاء الاربعة فسائر الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة بأشخاصهم ، وما كل سابق أفضل من كل مسبوق ، ومن السابقين بالايمان من سبقه غيره بالهجرة ، وأول من آمن على الاطلاق خديجة [رض] لانه صلى الله عليه وسلم بلغها خبر بعثته قبل كل أحد ، ويليها من كان معه صلى الله عليه وسلم في بيتها ، وهم علي وكان ابن ١٠ سنين ، وزيد بن حارثة ، ومن خارجه أبو بكر الصديق [رض] والمشهور انه اول من آمن من الرجال، ولا خلاف في انه آمن عندما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم بغير ادنى تريث اوتردد، ولا في انه أول المهاجرين مع الرسول كما تقدم في تفسير آية الغار ، وأول الدعاة إلى الاسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم

(الطبقة الثانية) السابقون الاولون من الانصار وهم الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة في منى في المرة الاولى سنة احدى عشرة من البعثة وكانوا سبعة، وفي المرة الثانية وكانوا سبعين رجلا وامرأتين، ويليهم الذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير بن هاشم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين وارسله مع اهل العقبة الثانية سنة اثنتي عشرة من البعثة وكذا من آمن عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وقبل أن تكون للمسلمين قوة غالبة تتقى وترجى ، وهذه القوة رسخت عقب هجرته صلى الله عليه وسلم وصار بعض أهل المدينة يظهرون الاسلام نفاقا بدليل قوله تعالى في الآيات التي نزلت في شأن غزوة بدر وكانت في السنة الثانية قوله(٨: ٤٩ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) ولم يكن فيهم أحد من المهاجرين ولا من الانصار السابقين وان كانوا كلهم من الأوس والخزرج

(الطبقة الثالثة) الذين اتبعوا هؤلاء السابقين الاولين من المهاجرين والانصار في الهجرة والنصرة اتباعاً باحسان ، أو محسنين في الافعال والاقوال ، فتضمن هذا القيد الشهادة للسابقين بكمال الاحسان لانهم صاروا فيه أئمة متبوعين، وخرج به من اتبعوهم في ظاهر الاسلام مسيئين غير محسنين في هذا الاتباع وهم المنافقون،

ومن اتبعوهم محسنين في بعض الاعمال ومسيئين في بعض وهم المذنبون والآيات الآتية مبينة حال الفريقين

هؤلاء الطبقات الثلاث ﴿ رضي الله عنهم ﴾ في إيمانهم وإسلامهم واحسانهم، وأعلاه ما كان من هجرتهم وجهادهم ، فقبل طاعاتهم ، وغفر سيئاتهم ، وتجاوز عن زلاتهم ، اذ بهم اعز الاسلام، ونكل باعدائه من المشركين واهل الكتاب

﴿ ورضوا عنه ﴾ بما وفقهم له ، وأسبغه عليهم من نعمه الدينية والدنيوية ، فأنقذهم من شرك ، وهداهم من ضلال ، وأغناهم من فقر ، وأعزهم من ذل .

﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ تقدم مثل هذا الوعد الكريم في الآية (٧٢) وفي آيات أخرى ومعناه ظاهر ، وأي فوز اعظم من نعيم الجنة الخالد من بدني وروحاني؟

قرأ الجمهور (والانصار) بالخفض عطفا على المهاجرين وقرأها يعقوب بالرفع عطفا على (السابقون) وروي عن الحسن البصري ، بل روي أيضا — وفيه نظر عندي — أن عمر (رض)قرأها كذلك مع جعل (الذين اتبعوهم) صفة للانصار وأنكر على رجل قرأها بالخفض فأخبره انه تلقاها عن أبي بن كعب كاتب الوحي وجامع القرآن، فسأل عمر أبيا فصدقه وأخبره انه هكذا سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية أنها هكذا أنزلها الله على جبريل ونزل بها جبريل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر : لقد كنت أرى انا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا — يعني المهاجرين الاولين — فقال ابي : تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة (وآخرون منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم)

ولفظ الاتباع فيها يدل على مشاركة كل مؤمن لاولئك الاصحاب الذين اتبعوا السابقين الاولين باحسان من حيث ان الجزاء على الاتباع ، ولكن النص ورد في المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم في صفتيهم :الهجرة والنصرة، وهو بصيغة

الماضي فلا يدخل في عمومه التابعون الذين تلقوا الدين والعلم من الصحابة مطلقا. وتسمية هؤلاء بالتابعين اصطلاحية حدثت بعد نزول القرآن وانتقال النبي ﷺ الى الرفيق الاعلى

وقد ورد ذكر الطبقات الثلاث من الصحابة في آخر سورة الانفال وعبر فيه عن الطبقة الثالثة بقوله (٨: ٧٥ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) وذكرت في تفسيرها آيات سورة الحشر وقد عبر فيها عن الطبقة الثالثة بقوله (٥٩ : ١٠ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) الخ [١] ولا شك في مشاركة سائر المؤمنين لاولئك الصحابة الكرام في رضاء الله وثوابه بقدر اتباعهم لهم في الهجرة ان وجدت اسبابها، والجهاد بالاموال والانفس وفي سائر اعمال البر والاحسان، وان الآيات تدل على ذلك في كل موضع، لان الجزاء في حكم الله الحق وشرعه العدل على الاعمال، وللسابقين فى كل عمل فضيلة السبق والامامة في كل عصر، ويمتاز عصر الرسول الذي وجد فيه الاسلام وأقيم بنيانه، ورفعت أركانه، ونشرت في الخافقين أعلامه، على كل عصر بعده، وهم الاقلون المقربون كما قال تعالى (٥٦: ١٠ والسابقون السابقون ١١ أولئك المقربون في جنات النعيم ١٢ * ثلة من الاولين ١٣ * وقليل من الآخرين)

هذه الشهادة من رب العالمين للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ يدمغ حقها باطل الروافض الذين يطعنون فيهم، ويحثو التراب في افواههم، والذي سن لهم هذا الطعن في جمهورهم الاعظم عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الاسلام لاجل ايقاع الشقاق بين المسلمين وإفساد أمرهم، ثم نظم الدعوة لذلك زنادقة المجوس بعد فتح المسلمين لبلادهم، كما بيناه مراراً. ثم جعل الرفض مذهباً، له فرق ذات عقائد، منها ماهو كفر صريح، ومنها ماهو ابتداع قبيح. ومنها ماهو دون ذلك.

وروي عن أبي صخر حميد بن زياد قال أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له ماقولك في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: جميع أصحاب رسول الله ﷺ في الجنة محسنهم ومسيئهم. فقلت من أين تقول هذا؟ قال اقرأ قول الله تعالى

---

[١] راجع ص١١٣ ج ١٠

(والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار - الى أن قال - رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال (والذين اتبعوهم باحسان) شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة . قال أبو صخر: فكأني لم أقرأ هذه الآية قط

والتحقيق ماقلناه، فان هذه الآيات وما بعدها في بيان حال المسلمين في عهد نزولها مؤمنيهم ومنافقيهم ، ومحسنيهم ومسيئيهم ، والذين خلطوا منهم عملا صالحا وآخر سيئاً ، والذين تاب الله عليهم والذين ارجأ توبتهم . وهذه الآية نص في أن الطبقات الثلاث من السابقين الاولين والذين اتبعوهم في الايمان والهجرة والجهاد عند ما ابيحت الهجرة وتيسرت أسبابها بصلح الحديبية قد فازوا كلهم برضاء الله ووعده لهم بالجنة ، وأنه ليس فيهم احد من المنافقين بل كان جميع المنافقين من أهل المدينة وما حولها الى ان فتحت مكة واعتق النبي ﷺ أهلها فاظهروا الاسلام والسيوف تقطر من دمائهم فكان منهم المنافقون، وضعفاء الايمان المقلدون ،وهم الذين كانوا سبب الهزيمة في حنين كما تقدم في تفسير الآيات ٢٥-٢٧ ثم حسن اسلام الاكثرين ، ففتحوا الفتوحات ونشروا الاسلام في العالمين

وجملة القول أن جميع افراد هذه الطبقات الثلاث ، قد جازوا القنطرة واستبقوا الصراط ، وما عاد يؤثر في كمال إيمانهم شيء لان نورهم يمحو كل ظلمة تطرأ على أحد منهم بالمامه بذنب . واذا كان بعض المحدثين يقول: ان من اتفق الشيخان على تعديله في الرواية - أي اعتمدا عليه في اصولهما المسندة - قد جاز قنطرة الجرح ، فماذا يقال فيمن عدلهم الله عز وجل، وشهد لهم بأنه رضي عنهم ورضوا عنه؟ وسيأتي ان الله تعالى تاب على المذنبين والمقصرين وغفر لهم

وللشيخ محيي الدين بن عربي مناظرة مع نفسه بسطها في كتابه (روح القدس) ذكر فيها انه في أثناء مجاورته بمكة المكرمة حدث لنفسه من الاعجاب بعبادتها ومعرفتها مادعاه الى مناظرتها واقامة الحجة عليها بغرورها ، فعرضها أولا على القرآن ، فاعترفت بضعفها عن بلوغ ماقرره من أوج الكمال ، فعرضها على سيرة النبي ﷺ فاعتذرت بحديث عائشة « كان خلقه القرآن» وهو مايعجز عنه من دونه

كل انسان ، فعرضها على فضائل الصحابة فأقرت بعجزها عن الرجحان في هذا الميزان ،ومسابقة من رباهم المصطفى بكتاب الله وآياته ،وزكاهم بحكمته فاقتبسوا نوره من مشكاته ، ولكنها أبت أن تعترف لكبار التابعين بمثل هذا السبق ، وكان له معها حجاج في أويس القرني هو من اعلى حقائق علم النفس (١)

﴿ وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة ﴾ بعد أن بين تعالى حال كملة المؤمنين كلهم قفى عليه بذكر مردة المنافقين من أهل البدو والحضر وعطفهم عليهم من باب عطف الضد على الضد ،فهو يقول ان بعض الاعراب الذين حولكم أيها المؤمنون منافقون . قال البغوي وهم من مزينة وجهينة واشجع وأسلم وغفار، كانت منازلهم حول المدينة ،أي كما كان فيهم مؤمنون صادقون دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم ـ وان من أهل المدينة نفسها منافقين أيضا من الاوس والخزرج غير من أعلم الله رسوله بهم في هذه السورة بما صدر عنهم من الاقوال والافعال المنافية للايمان ، وقد وصف هؤلاء بقوله ﴿ مردوا على النفاق ﴾ أي مرنوا عليه وحذقوه حتى بلغوا الغاية من اتقانه وجعله بحيث لا يشعر أحد به لاتقائهم جميع الامارات والشبهات التي تدل عليه . يقال مرد على الشيء يمرد (كقعد يقعد) مرودا اذا مرن عليه . واذا عتا واشتد فيه حتى يتعذر ارجاعه عنه . ومن الاول الغلام الامرد الذي لم ينبت الشعر في وجهه ، والشجرة المرداء التي لاورق فيها، ومنه مرد الشيء تمريداً اذا صقله وملسه حتى صار أملس لاحرشة فيه ولا خشونة ومنه (صرح ممرد من قوارير) قال في اللسان وتأويل المرود ان يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ماعليه الصنف . ثم قال : والمرود على الشيء المرون عليه ، ومرد على الكلام أي مرن عليه لايعبأ به [أي لايعنى أن يتكلف له] قال الله تعالى (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) قال الفراء يريد مرنوا عليه وجربوا ، كقولك تمردوا ،وقال ابن الاعرابي المَرْدُ التطاول بالكبر والمعاصي ومنه قوله (مردوا على النفاق) أي تطاولوا اه

(١) ويجده مقتني المنار في المجلد الثاني منه

﴿ لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ أي لا تعرفهم أيها الرسول بفطنتك ودقة فراستك التي تنظر فيها بنور الله لحذقهم في التقية وتجنب مثارات الشبهة، وأكد هذا النفي بإثبات العلم بأعيانهم له وحده عز وجل ولعلهم أخفى نفاقاً وأشد تقية ممن قال فيهم (٤٧:٢٨ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج أضغانهم ٢٩ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول)

فهؤلاء ممن لم يعلمه الله بأعيانهم كما أعلمه بمن اشير اليهم في الآية [٧٤] ولا فضحهم باقوال قالوها ولا بافعال فعلوها كما فضح غيرهم في هذه السورة، لانهم بمرودهم على النفاق يتحامون مايكون شبهة على إيمانهم، فضرره قاصر عليهم، وحكمة اخباره تعالى إياه بذلك أن يعلموا ا هم ان الله عليم بما يسرون من نفاقهم، ويحذروا ان يفضحهم كما فضح غيرهم، ليتوب المستعد للايمان منهم وهو في ستر الله تعالى قبل أن ينجز ما أوعدهم بقوله

﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ أي في الحياة الدنيا احداهما مايصيبهم من المصائب وتوبيخ الضمائر، وانتظار الفضيحة بهتك استار السرائر، ومايتلو ذلك من جهادهم اذا ظهر نفاقهم كغيرهم، والثانية آلام الموت وزهوق أنفسهم وهم كافرون وضرب الملائكه وجوههم وأدبارهم عند موتهم، فأقرب ما يفسر به العذاب مرتين هو ماتقدم في تفسير الآيات ٥٥ و٧٣ و ٧٤ و ٨٢ و٨٣ ففيه بيان لكل مايصيب المنافقين في الدنيا من عذاب الوجدان الباطن، وعذاب من يفتضح أمرهم في الظاهر، وورد في التفسير المأثور أقوال في هاتين المرتين بعضها في معنى ماذكرنا وبعضها مردود ومتناقض.

﴿ ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ أي في الآخرة وهو عذاب جهنم، وهم في الدرك الاسفل منها كما تقدم.

وفي مسند احمد عن ابن مسعود: خطبنا رسول الله (ص) فحمد الله واثني عليه ثم قال «ان منكم منافقين فمن سميته فليقم» ثم قال قم يافلان — حتى سمى ٣٦ وروى غير هذا في معناه، فان صح فهو عدد الذين سبق تهديدهم في هذه السورة لظهور نفاقهم دون الذين مردوا على النفاق، ولكن لم يرو لنا ما كان من امر هؤلاء بعد هذه الفضيحة بكفرهم ومنعهم من الصلاة، ومقتضاه ان تجري عليهم احكام المرتدين، ومثل هذا لا يخفى وتتوفر الدواعي على نقله بالتواتر او الاستفاضة ولم يرو

لنا المحدثون شيئا فيه والذي اراه ان الرواية غير صحيحة والله اعلم

والعبرة في هذا السياق أن هؤلاء المنافقين فريقان: فريق عرفوا باقوال قالوها وأعمال عملوها ، وفريق مردوا على النفاق وحذقوه حتى صار أملس ناعما لا يكاد يشعر أحد بشيء يستنكره منه فيظهر عليه ، وكل من الفريقين يوجد في كل عصر ، ولا سيما منافقي السياسة في هذا العهد ، ، وهم الذين اتخذهم الاجانب المعتدون على بلاد الاسلام دعاة وولائج وأعوانا على استعباد أمتهم واستعمار أوطانهم ، فما من قطر من هذه الاقطار التى رزئت بالاجانب الا ولهم فيها أعوان وأنصار من أهلها يزعمون انهم يخدمون أمتهم ووطنهم من طريق استمالتهم واسترضائهم ، وانهم لولاهم لما وقفوا من الظلم وهضم الحقوق عند الحد الذي هم عليه ، ومنهم من يخدمون الاجانب خدما خفية لاتشعر بها الامة لانهم مردوا على النفاق ، وانما يحتاج الخونة الخادمون للاجانب الى النفاق ، وتلبيس خيانتهم واخفائها بالكذب والاختلاق ، اذا كان للرأي العام فطنة وقوة يخشونها ، وأما البلاد التي استحوذ عليها الجهل والضعف فلا يبالي الخائنون برضاء أهلها ولا بسخطهم

واشد المنافقين مرودا واتقانا للنفاق اعوان الملوك والامراء المستبدين ، وشرهم واضرهم الذين يلبسون لباس علماء الدين

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ أي وثم آخرون أو ممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة أناس آخرون ليسوا من المنافقين ، ولا من السابقين الاولين ، ولا من الذين اتبعوهم باحسان لا إساءة فيه ، بل من المؤمنين المذنبين ﴿ خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا ﴾ أي خلطوا في اعمالهم بأن عملوا عملا صالحا وعملا سيئا ، وقيل معناه خلطوا صالحا بسيء وسيئا بصالح ، او خلطوا في كل منها ماليس منه فكان ناقصا ولكنه لم يغلب الاخر ويندغم فيه ، فلم يكونوا من الصالحين الخلص ولا من الفاسقين أو المنافقين ، ذلك بأنهم آمنوا وعملوا الصالحات ، واقترفوا بعض السيئات ، وهم أو منهم الذين تخلفوا عن النفر والخروج إلى غزوة تبوك من غير عذر صحيح كالضعفاء والمرضى وغير الواجدين ، ولا استئذان كاستئذان المرتابين ، ولا اعتذار كاذب كالمنافقين ، ثم كانوا ناصحين لله في أثناء قعودهم ،

شاعرين بذنبهم ، خائفين من ربهم ، فكان كل من قعودهم ونصحهم مقترنا بالآخر ، كالذي يدخل أرضا مغصوبة فيصلح فيها ، ويعترف بأنه مذنب بدخولها ، ويأتي بالاصلاح لتكفير ذنب الاعتداء . وهذا المعنى لا يؤديه قولك : خلط العمل الصالح بالسيء ، كما تقول خلط القمح بالشعير أو الماء باللبن ، لان هذا الضرب من الخلط يصير فيه المخلوط والمخلوط به شيئا واحداً أو كالشيء الواحد فلا يقول صاحبه عندي ماء فرات ولا لبن محض وأما الضرب الاول المراد من الآية فقد بقي فيه كل من النوعين ممتازاً بنفسه ، وإنما خلطه مع الآخر عبارة عن الجمع بينهما ، وعدم انفراد أحدهما دون الآخر ، والواو العاطفة هي التي تؤدي هذا المعنى من الجمع ، وهو من دقائق بلاغة القرآن بالعدول عن التعدية بالباء إلى العطف

﴿ عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ أي هم محل الرجاء لقبول الله توبتهم ، التي يشير الى وقوعها اعترافهم بذنوبهم وقد تقدم (في ص ٢١٠ ج ١٠) ان كلمة « عسى » وضعت للتقريب والاطماع ثم استعملت في الرجاء كلعل ، وقول بعضهم انها من الله للايجاب غير صحيح ، او لتوفيقهم للتوبة الصحيحة التي هي سبب المغفرة والرحمة . وانما تتحقق التوبة بالعلم الصحيح بقبح الذنب ، وسوء عاقبته ، وألم الوجدان من تصور سخط الله والخوف من عقابه ، والاقلاع عن الذنب أو الذنوب بباعث هذا الالم الذي هو ثمرة ذلك العلم ، والعزم على عدم العود إلى اقترافها ، ثم العمل بضدها ، ليمحى من النفس أثرها ، والروايات صريحة بأن اعتراف من ذكر بذنوبهم قد استتبع كل هذا

﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ تعليل لرجاء قبول توبتهم ، إذ معناه انه كثير المغفرة للتائبين ، واسع الرحمة للمحسنين ، كما قال (٢٠ : ٨٢ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وكما قال (٧ : ٥٦ إن رحمة الله قريب من المحسنين) وكما قص علينا من خبر استغفار الملائكة للمؤمنين قولهم (٤٠ : ٧ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم - إلى قوله - ٨ وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته)

قال بعض العلماء ان هذه الآية أرجى آية في القرآن وقال آخرون أرجى الآيات قوله تعالى (٣٩ : ٥٣ قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من

رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وانما هي علاج لمن اشتد عليهم الخوف من اسرافهم في شهواتهم، حتى كادوا يقنطون من رحمة ربهم، لا المصرين على ذنوبهم بغير مبالاة، ولذلك قال بعدها (٥٤ وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) الى آخر الايات

ومن العبرة في هذه الاقسام المسلمين ان قسم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا يوجد في كل زمان ومكان كقسم الذين اتبعوا السابقين الاولين من المهاجرين والانصار، وأما المهاجرون والانصار الاولون الذين أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بهم بناء الاسلام فهم الذين لا يلزُّ بهم قرين، ولا يلحقهم لاحق من العالمين، ولعل أكثر المسلمين الصادقين في هذا الزمان من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، ولعل أسوأ سيئاتهم ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله فيجب أن يسترشدوا بهذه الآية، وبما ورد في سبب نزولها من توبة أبي لبابة وأصحابه. ولا تتم العبرة بها، الا بتدبر ما بعدها، وهو تطهير النفس من النفاق وضعف الايمان، ببذل الصدقات وغيره من صالح الاعمال

وقد روى البخاري في تفسير الآية في صحيحه عن سمرة بن جندب مرفوعا «أتاني الليلة (أي في النوم) ملكان فابتعثاني فانتهيا بي الى مدينة بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء. قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك، قالا وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم» اه

فهذا تمثيل في الرؤيا لتحسين العمل الصالح وتجميله للنفس وتشويه العمل القبيح لها ولتطهيرها بالتوبة والعمل الصالح حتى تكون كلها حسنة جميلة وأهلا لدار الكرامة، بعد ان تبعث في الصورة التي كانت عليها قبل التوبة. وقد قال تعالى (١١: ١١٤ ان الحسنات يذهبن السيئات) وشبه النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس بنهر يفيض على عتبة لانسان خمس مرات كل يوم «فهل يبقي عليها وسخا أو قذراً؟»

فتاوى المنار

(س ٥٤ — ٥٦) من صاحب الامضاء في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على آلائه . وأصلي وأسلم على خاتم رسله وأنبيائه

حضرة صاحب الفضيلة والفضل الاستاذ الامام مرشد الانام . السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأرفع إلى فضيلتكم ما يأتي راجيا التكرم بالاجابة عليه

(١) هل يجوز للعلماء كالقضاة والمفتين ومدرسي التفسير واللغة العربية ببعض الكليات الاسلامية أن يذهبوا ويجلسوا في محلات اللهو كالمقاهي العمومية ، والحفلات وغيرها ، وهناك يرون ويسمعون المنكر كصوت البيانو والعود والغناء من النساء الاجنبيات ام لا ؟ وهل توجد أقوال عند أحد أئمة المسلمين تبيح لهم ذلك ؟ لان كثيراً من العوام حينما ننكر عليهم جلوسهم في تلك الاماكن التي يسمعون بها الغناء والضرب على البيانو والعود وغيره من النساء الاجنبيات ، لايسمعون لنا قولا ، وحجتهم في ذلك جلوس بعض العلماء في تلك الاماكن

(٢) هل يجوز لعن وشتم وسب العلماء الغُير على الدين وأهله ، المتمسكين بالكتاب والسنة وأقوال الائمة ، الذين لايحكمون إلا بما أنزل الله ، والذين يهمهم شأن المسلمين وأمرهم . وقد عرف فضلهم كل ذي فضل ؟ هل يجوز شتم أمثال هؤلاء العلماء الافاضل على مسمع من الناس ام لا ؟ وهل الواجب على المستمعين الانكار على هذا الساب ونهيه وزجره أم لا ؟ وهل يأثم هؤلاء المستمعون في سكوتهم وعدم انكارهم أم لا ؟

(٣) زعم بعض من يدعي العلم والمعرفة والمدنية (وما أكثرهم في هذه الايام)

« أن الدين الاسلامي لا يتمشى مع المدنية والحضارة » فهل هذا صحيح أم لا ؟ وهل تقرون زعمه ؟ أم تردونه وتدحضونه ؟ نرجوكم الجواب الشافي في ذلك، كما نرجو فضيلتكم أن تقدموا هذا الجواب على غيره ، لان هذا المشعوذ أخذ يجمع من حوله أنصاراً ، ليقوموا بهذه الدعوى الكاذبة الباطلة ، وقد شافهنا بعض المطلعين على زعمه فقال: ان هذا وأمثاله لا يردعهم عن غيهم بالبراهين القطعية، والحجج الناصعة القوية ، الا فضيلة العلامة المفضال الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر ، ولذلك نحن بادرنا بكتابة ما تقدم لتسرعوا بالجواب . ولكم جزيل الاجر والثواب

السائل

عبد القادر البعلبكي ببيروت

[اجوبة المنار معدودة بحسب ترتيب ارقام الفتاوى السابقة]

(٥٤) جلوس العلماء في مجالس اللهو والفسق

إن أقل ما يقال في محافل اللهو العامة المعهودة ان حضورها مخل بالمروءة والحشمة التي يطلب من علماء الدين وقضاة الشرع شدة العناية بالمحافظة عليها وهذا ينافي القول بإباحتها المطلقة حتى على القول بإباحة سماع المعازف كالبيانو والعود فان شرط إباحة هذا السماع عند القائل به ألا يكون معه منكر آخر ولا يكون ذريعة لمنكر آخر او لقدوة سيئة ، ومن المنكرات المألوفة في هذه المحافل وجود النساء الموصوفات في حديث صحيح بوصف « الكاسيات العاريات المائلات المميلات » وكذا شرب الخمور او وجود السكارى وسماع رفثهم ، والاختلاف إليها يستلزم هجر الرجال لبيوتهم في اوقات الفراغ من اعمالهم المعاشية . وهجرهم لها قد يكون مفسدة لمن فيها من النساء والاولاد . وفي حضور من ذكر من العلماء فيها تجرئة للفساق على ما وراء هذا السماع والمناظر من الفواحش والمنكرات او اعتقادهم أن هذه المفاسد مباحة في الشرع ، فهذا وما قبله يكون للعلماء حكم لا يشاركهم فيه غيرهم مع أن احكام الشرع عامة . وكان علماء السلف يتركون بعض المندوبات احيانا لئلا يفهم العوام من مواظبتهم عليها وجوبها كما ترك ابن عباس (الاضحية) وترك بعضهم المواظبة على قراءة سورة : ألم السجدة في فجر

يوم الجمعة وهي من السنن المؤكدة . فينبغي ان يكون رجال العلم والتهذيب قدوة صالحة للامة باجتناب هذه الملاهي في المقاهي والاستغناء عنها باللهو المباح في بيوتهم الذى يشاركهم فيه نساؤهم واولادهم

(٥٥) لعن العلماء المتعصمين بالكتاب والسنة وسبهم

إن لعن العلماء المتمسكين بالكتاب والسنة وسبهم بهذا الوصف لايمكن أن يقع من مسلم يؤمن بالله وكتابه ورسوله فهو يدل على الارتداد عن الاسلام .

وقد صرح بعض الفقهاء بأن اهانة علماء الدين بما دون ما ذكر كفر . وأما شتم أشخاص معينين من هؤلاء العلماء العاملين بالكتاب والسنة ولعنهم بعداوة أو صفة أخرى غير علمهم واعتصامهم بالكتاب والسنة الذي لا يكون المسلم مسلما حقا بدونه فهو معصية بدليل النص والاجماع . وحسبك قوله صلى الله عليه وسلم «سباب المسلم فسق وقتاله كفر» رواه البخاري ومسلم وغيرهما .وقوله من حديث رواه الشيخان أيضاً « ولعن المؤمن كقتله » وفي بعض الآثار التصريح بكون ذلك من الكبائر وقد عده ابن حجر وغيره منها

بل حقق بعض العلماء جواز عدم لعن الكافر المعين والفاسق المعين مع قولهم بجواز لعن جنس الكافرين والفاسقين عامة، وقد قيل للامام احمد (رح) ان أقواما يقولون انا نحب يزيد فقال: وهل يحب يزيد من يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ فقال له السائل وهو ولده عبد الله : أولا تلعنه ؟ فقال متى رأيت أباك يلعن أحداً ؟ (راجع هذا في ص٣٠٣_٣٠٧ من الجزء الاول من الآداب الشرعية، واصل المسألة في آفات اللسان من الجزء الثالث من الاحياء والجزء الثاني من الزواجر) واذا كان الامر كذلك فلا شك في وجوب الانكار على هؤلاء السبابين اللعانين الفاسقين عن امر الله الناكبين عن سبيل المؤمنين وفي إثم من يستمع لهم او يسمعهم ولا ينكر عليهم

(٥٦) الاسلام والمدنية الصحيحة

الاسلام هو دين الحضارة والمدنية الصحيحة وقد بينا هذا في المنار مراراً كثيرة بقلمنا وقلم غيرنا وحسبك فيه كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)

للاستاذ الامام ، ورسالة الامير شكيب التي ننشرها في هذه الايام، وقد طبعناها في رسالة مستقلة . بعنوان (لماذا تأخر المسلمين وتقدم غيرهم) وذكرنا في الجزء الماضي خلاصة مناظرة دارت بيننا وبين احد المحامين ومصاقع الخطباء المشهورين في كلية الحقوق من الجامعة المصرية موضوعها المفاضلة بين المدنية العربية الاسلامية والمدنية الفرعونية كان لنا فيها الفلج والظفر برأي السواد الاعظم ممن حضر المناظرة. ولكن هذا السؤال ورد علينا قبل نشر خلاصة المناظرة وقبل الشروع في نشر رسالة امير البيان ، وفيهما الحجة البالغة على ذلك الجاهل المفتري على الاسلام

أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت متصل بها أجوبتها (س٥٧ - ٦٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أرفع ما يأتي راجيا التكرم بالاجابة عليه

(س١) هل يجوز المرأة أن تظهر صوتها ووجهها ويديها وغيرها أمام الرجال الاجانب والاطباء وغيرهم أم لا ؟

(ج ٥٧) أصل الشرع جواز ذلك اذا اريد باليدين الكفين للحاجة اليه في المعيشة والتعامل وانما يكره او يحرم اذا كان بحيث يترتب عليه مفسدة مكروهة او محرمة، ويباح كشف غير الوجه واليدين من البدن للطبيب بقدر ما يحتاج اليه في معرفة المرض ولكن مع وجود الزوج او محرم آخر

(س٢) هل يجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن محارمه من النساء ومعانقتهن وضمهن وتقبيلهن ولمسهن بلا حائل أم لا ؟

(ج ٥٨) هذا لا يجوز قطعا بل الضم والعناق مع الشهوة لا يجوز ولو مع الحائل ولا يفعل هذا الا أشد الناس فسقا وفجوراً وفساده أشد من فعل مثله مع الاجنبية وفي الجزء الثاني من كتاب الآداب الشرعية فصل مستقل فيما يباح من المصافحة والمعانقة ويليه فصل في تقبيل المحارم ، وفيه ان الامام احمد اباح التقبيل على الجبهة

والرأس لمن قدم من سفر ولم يخف على نفسه قال «ولكن لا يفعله على الفم ابدا»

(س٣) هل يجوز للرجال والنساء تحسين الثياب والهندام وغيره ولبس جميع الالوان والازياء كالبرنيطة والطربوش والمعطف والسترة والبنطلون وغيرها والحرير والساعات والسلاسل والخواتم وغيرها أم لا ؟

(ج ٥٩) يجوز تحسين الثياب والهندام والاصل فيها كلها الحل الا مانهى عنه الشرع . ومنه لبس الحرير الخالص للرجال فهو حرام للوعيد عليه ومنه لبس الاحمر الخالص والمعصفر والمزعفر فهو مكروه لأنه كان خاصا بالنساء ولم يرد عليه وعيد كالحرير ، ومنه النهي عن لبس الذهب الا مقطعا وعن خاتم الذهب للرجال . ومنه تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وتشبه المسلمين بالكفار ، فهذا يكره شرعا اذا كان في غير الامور الدينية ، ويحرم فيها حتى قد يكون ردة عن الاسلام كما صرح به الفقهاء في مسائل متعددة من شأنها أن لا تصدر عن مسلم ، وتفصيلها يطلب من كتب الفقه وقد سبق لنا بيان هذه المسائل في المنار مرارا فلا نطيل فيها

(س٤) هل تقبل توبة التائب اذا تاب من جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة كالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر والديون والسرقة والخيانة والكذب والغش والظلم وغيره ولا يعذب في القبر ولا في الآخرة أم لا ؟

(ج ٦٠) الاصل في التوبة الصحيحة الشرعية أن تكون مقبولة وسببا للمغفرة ومن شروطها رد حقوق العباد اليهم أو استحلالهم منها ، وقد سبق لنا كلام مفصل في التوبة وفي التفسير المنشور في هذا الجزء خلاصة في بيان حقيقتها والاقتداء بالصحابة فيها وسيأتي في تفسير الاجزاء الاخرى تتمة لذلك

(٥) هل يجوز التشاؤم والوهم وغيره من الاعداد والسنين والشهور والايام والاوقات وغيرها ولبس ثوب او دخول بيت او قراءة سورة او آية او ورد او فائدة او غيرها بأن فاعل ذلك يصاب بضرر كمرض او موت او غيره أم لا ؟

(ج ٦١) التشاؤم منهي عنه لانه من الاوهام الخرافية التي لا تستند الى حقيقة وينبغي لمن عرض له بدون اختياره أن يجاهد نفسه حتى يزول ذلك التأثير

(س ٦) أرجو أن تبينوا لنا أسما الكتب الدينية الاسلامية الصحيحة

المعتمدة السهلة اللفظ والمعنى التي يجوز العمل بها في العقائد والعبادات والمعاملات وغيرها تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب .

(ج ٦٢) من أوضح هذه الكتب رسالة التوحيد للاستاذ الامام وخلاصة السيرة المحمدية لنا ومجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ومجموعة الحديث النجدية ، وهي لعدة من كبار العلماء كالامام احمد والنووي والحافظ المقدسي وابن القيم ، وسبل السلام للعلامة محمد بن اسماعيل الامير ، وهو شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر ، والدراري المضيئة على الدرر البهية ، للقاضى الشوكاني وزاد المعاد في هدي خير العباد ، للمحقق ابن القيم ، والآداب الشرعية للعلامة ابن مفلح

(حاشية للسائل) أرجوكم ملاحظة ضرر السفور [أي رفع الحجاب] وعدم أمن الفتنة مطلقا خصوصا في هذا الزمان الذي عم وكثر فيه الفساد والفسق والفجور والضلال وعدم الادب والحياء من الرجل والنساء جميعا السائل

عثمان سعد الدين بدران بيروت

(المنار) ان ماتكون الفتنة فيه معلومة بالقطع لا يسئل عن حكمه لانه معلوم بالضرورة وما شدد العلماء في حظر ما هو مباح في الاصل من اظهار الكفين والوجه الا لسد ذريعة الفتنة في مظنتها فكيف اذا صارت قطعية في بعض البلاد . وطلاب السفور من الفساق والمتفرنجين يتوسلون به الى الاباحة المطلقة والعياذ بالله تعالى

﴿ نبوة آدم وعدد النبيين والمرسلين ﴾

(س ٦٣) من صاحب الامضاء في سمبس - جاوه

حضرة العلامة الكبير مولاي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار أطال الله تعالى عمره ، ونفع بعلومه المسلمين .

انني رأيت في شرح عقيدة السفاريني مانصه : ففي صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : دخلت المسجد فاذا رسول الله ﷺ جالس وحده فذكر حديثا طويلا وفيه قلت يارسول الله كم الانبياء ؟ قال «مائة الف وعشرون ألفا» قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال « ثلاثمائة وثلاثة

عشر جماً غفيراً » قلت يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال « آدم عليه السلام » قلت يارسول الله أنبي مرسل ؟ قال « نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا » الخ . وقال فيه قبل هذا : اعلم ان الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين من لدن صفي الله أبي البشر آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام اه

فهل يصح الاحتجاج بحديث أبي ذر هذا على نبوة آدم عليه السلام أم لا ؟ وهل يوجد ماهو أقوى منه دليلا من الكتاب أو السنة المتواترة على نبوته عليه السلام أم لا ؟ وما قولكم في قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته « وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين. والدليل على ان اولهم نوح قوله تعالى (إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) وهل هذا القول صحيح ام لا ؟ وهل مقتضى قوله هذا انه أنكر نبوته عليه السلام أم لا ؟ وهل يجوز لأحد إنكارها ؟ وهل كان نبيا رسولا ام نبيا فقط ؟

وقال الاستاذ الشيخ حسين والي في كتابه (كلمة التوحيد) مانصه : والسبعة الباقية (من الانبياء) آدم ، ادريس ، صالح ، شعيب ، هود ، ذو الكفل ، محمد عليهم الصلاة والسلام. فاذا عرض أحدهم على المكلف وجب الاعتراف به ولا يجب حفظ أسمائهم فمن أنكر نبوة أحد من المتفق على نبوته أو رسالته كفر إلا اذا كان عاميا وممن اختلف في نبوته ذو القرنين والعزير ولقمان . اه واني لم أر ان الاستاذ في عبارته أدخل آدم فيمن اختلف في نبوته . فتفضلوا بالجواب عن هذه الاسئلة فانه يكون (إن شاء الله) شفاء لما في الصدور .

محمد بسيوني عمران

(ج) يجد السائل تحقيق الحق في اسئلته مفصلا تفصيلا تاما في تفسير الآيات (٨٥ ـ ٩١) من سورة الانعام التي ذكر فيها اسماء ١٨ من الرسل عليهم السلام ، إذ عقدنا لها فصلا استطراديا عنوانه (تحقيق مسألة الايمان بالرسل اجمالا وتفصيلا وعدد الرسل المذكورين في القرآن) وهو في الجزء السابع من التفسير والجزء التاسع من المجلد العشرين من المنار ـ وكل منهما يوجد عند السائل ولعله قرأه ونسيه ولولا ذلك لم يحتج إلى هذه الاسئلة كلها ولا بعضها ، فليراجعها

يجد فيها ان حديث ابي ذر في عدد النبيين والمرسلين قد جزم ابن الجوزي بانه موضوع والسيوطي بانه ضعيف فلا يعتد به على كل حال في الاستدلال ولا سيما في مثل هذه المسئلة الاعتقادية - وأن ماقاله الشيخ محمد عبدالوهاب موافق لنص حديث الشفاعة المتفق عليه إذ حكى النبي ﷺ فيه ان أهل الموقف يقولون لنوح عليه السلام «يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الارض» فهو فيه متبع لامبتدع ومهتد لاضال .. وان ما قاله كل من السفاريني والشيخ حسين والي هو المشهور في كتب العقائد المتداولة، ويجد هنالك تحقيق الحق في كل ذلك وأمثل الادلة على نبوة آدم وما اجاب به العلماء عن الآية التى استدل بها الشيخ محمد عبد الوهاب وعن حديث الصحيحين وغيرهما في الشفاعة وما جمعنا بين نص الآية والحديث وما قرره المتكلمون وهو مبني على التفرقة بين عرفهم في معنى الرسول وعرف القرآن

رسالة في حقيقة الصيام

وما يفطر الصائم بالنص والاجماع وما ألحق به من الرأى والاجتهاد

(لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليما

فصل

﴿ فيما يفطر الصائم وما لا يفطره ﴾

وهذا نوعان : منه مايفطر بالنص والاجماع ، وهو الاكل والشرب والجماع ، قال تعالى (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل)

فأذن في المباشرة ، فعقل من ذلك أن المراد الصيام من المباشرة والاكل والشرب .
ولما قال أولا (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) كان معقولا عندهم أن الصيام هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع ، ولفظ الصيام كانوا يعرفونه قبل الاسلام ويستعملونه ، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها « ان يوم عاشوراء كان يوماً تصومه قريش في الجاهلية »

وقد ثبت من غير واحد انه قبل ان يفرض شهر رمضان أمر بصوم يوم عاشوراء وأرسل مناديا ينادي بصومه . فعلم أن مسمى هذا الاسم كان معروفا عندهم

وكذلك ثبت بالسنة واتفاق المسلمين ان دم الحيض ينافي الصوم ، فلا تصوم الحائض ، لكن تقضي الصيام

وثبت بالسنة أيضاً من حديث لقيط بن صبرة ان النبي ﷺ قال له « وبالغ في الاستنشاق إلا ان تكون صائما » فدل على ان إنزال الماء من الانف يفطر الصائم وهو قول جماهير العلماء

وفي السنن حديثان (أحدهما) حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من ذرعه قيء وهو صائم فليس عليه قضاء ، وان استقاء فليقض » وهذا الحديث لم يثبت عند طائفة من أهل العلم ، بل قالوا هو من قول أبي هريرة ، قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل قال : ليس من ذا شيء . قال الخطابي : يريد ان الحديث غير محفوظ ، وقال الترمذي سألت محمد ابن اسماعيل البخاري عنه فلم يعرفه إلا عن عيسى بن يونس ، قال وما أراه محفوظا . قال : وروى يحيى بن كثير عن عمر بن الحكم ان أبا هريرة كان لا يرى القيء يفطر الصائم

قال الخطابي : وذكر أبو داود ان حفص بن غياث رواه عن هشام كما رواه غير ابن يونس . قال ولا أعلم خلافا بين أهل العلم في أن من ذرعه القيء فانه لا قضاء عليه ، ولا في أن من استقاء عامداً فعليه القضاء ، ولكن اختلفوا في الكفارة

فقال عامة أهل العلم: ليس عليه غير القضاء، وقال عطاء: عليه القضاء والكفارة، وحكي عن الاوزاعي وهو قول أبي ثور

(قلت) وهو مقتضى إحدى الروايتين عن احمد في إيجابه الكفارة على المحتجم فانه إذا أوجبها على المحتجم فعلى المستقيء اولى، لكن ظاهر مذهبه ان الكفارة لا تجب بغير الجماع كقول الشافعي

والذين لم يثبتوا هذا الحديث لم يبلغهم من وجه يعتمدونه، وقد أشاروا إلى علته، وهو انفراد عيسى بن يونس، وقد ثبت انه لم ينفرد به، بل وافقه عليه حفص بن غياث، والحديث الاخير يشهد له، وهو ما رواه أحمد وأهل السنن كالترمذي عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فأفطر، فذكرت ذلك لثوبان فقال: صدق، أنا صببت له وَضوءاً، لكن لفظ احمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ. رواه أحمد عن حسين المعلم

قال الاثرم: قلت لأحمد: قد اضطربوا في هذا الحديث، فقال: حسين المعلم يجوده، وقال الترمذي: حديث حسين أرجح شيء في هذا الباب، وهذا قد استدل به على وجوب الوضوء من القيء، ولا يدل على ذلك، فانه إذا أراد بالوضوء الوضوء الشرعي فليس فيه إلا انه توضأ، والفعل المجرد لا يدل على الوجوب، بل يدل على أن الوضوء من ذلك مشروع. فاذا قيل انه مستحب كان فيه عمل بالحديث

وكذلك ماروي عن بعض الصحابة من الوضوء من الدم الخارج ليس في شيء منه دليل على الوجوب، بل يدل على الاستحباب. وليس في الادلة الشرعية مايدل على وجوب ذلك، كما قد بسط في موضعه، بل قد روى الدارقطني وغيره عن حميد عن أنس قال: احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتوضأ، ولم يزد على غسل محاجمه. ورواه ابن الجوزي في حجة المخالف ولم يضعفه، وعادته الجرح بما يمكن

وأما الحديث الذي يروى «ثلاث لاتفطر: القيء، والحجامة، والاحتلام» وفي

لفظ « لا يفطر منه لا من احتجم ولا من احتلم » فهذا إسناده الثابت مارواه الثوري وغيره عن زيد بن أسلم عن رجل من أصحابه عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. هكذا رواه أبوداود ، وهذا الرجل لا يعرف . وقد رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن عبد الرحمن ضعيف عند أهل العلم بالرجال

(قلت) روايته عن زيد من وجهين مرفوعا لايخالف روايته المرسلة بل تقويها، والحديث ثابت عن زيد بن أسلم لكن هذا فيه « اذا ذرعه القيء »

وأما حديث الحجامة فاما ان يكون منسوخا وإما ان يكون ناسخا لحديث ابن عباس « انه احتجم وهو محرم صائم » أيضا ولعل فيه القيء إن كان متناولا للاستقاءة هو أيضاً منسوخ . وهذا يؤيد ان النهي عن الحجامة هو المتأخر، فانه اذا تعارض نصان ناقل وباق على الاستصحاب ، فالناقل هو الراجح في انه الناسخ ونسخ أحدهما يقوى نسخ قرينه ، ورواه غير واحد عن زيد بن اسلم مرسلا

وقال يحيى بن معين : حديث زيد بن أسلم ليس بشيء ، ولو قدر صحته لكان المراد من ذرعه القيء فانه قرنه بالاحتلام ، ومن احتلم بغير اختياره كالنائم لم يفطر باتفاق الناس . وأما من استمنى فأنزل فانه يفطر ، ولفظ الاحتلام انما يطلق على من احتلم في منامه.

وقد ظن طائفة أن القياس أن لا يفطر شيء من الخارج وأن المستقيء انما أفطر لانه مظنة رجوع بعض الطعام ، وقالوا إن فطر الحائض على خلاف القياس

وقد بسطنا في الاصول انه ليس في الشريعة شيء على خلاف القياس الصحيح

فان قيل : فقد ذكرتم ان من أفطر عامداً بغير عذر كان تفويته لها من الكبائر وكذلك من فوت صلاة النهار إلى الليل عامداً من غير عذر كان تفويته لها من الكبائر ، وانها مابقيت تقبل منه على أظهر قولي العلماء ، كمن فوت الجمعة ورمي الجمار وغير ذلك من العبادات المؤقتة وهذا قد أمره بالقضاء

وقد روي في حديث المجامع في رمضان انه أمره بالقضاء ؟ قيل هذا انما أمره بالقضاء لان الانسان انما يتقيأ لعذر كالمريض يتداوى بالقيء، أو يتقيأ لانه أكل مافيه شبهة كما تقيأ أبو بكر من كسب المتكهن(١)

واذا كان المتقيء معذوراً كان مافعله جائزاً وصار من جملة المرضى الذين يقضون، ولم يكن من أهل الكبائر الذين أفطروا بغير عذر. وأما أمره للمجامع بالقضاء فضعيف ضعفه غير واحد من الحفاظ . وقد ثبت هذا الحديث من غير وجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ومن حديث عائشة ولم يذكر احد امره بالقضاء ، ولو كان أمره بذلك لما أهمله هؤلاء كلهم وهو حكم شرعي يجب بيانه ، ولما لم يأمره به دل على ان القضاء لم يبق مقبولا منه . وهذا يدل على انه كان متعمداً للفطر لم يكن ناسياً ولا جاهلا ،

والمجامع الناسي فيه ثلاثة أقوال في مذهب احمد وغيره ، ويذكر ثلاث روايات عنه (احداها) لا قضاء عليه ولا كفارة ، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة والأكثرين (والثانية) عليه القضاء بلا كفارة وهو قول مالك (والثالثة) عليه الأمران وهو المشهور عن احمد ،

والاول أظهر كما قد بسط في موضعه ، فانه قد ثبت بدلالة الكتاب والسنة ان من فعل محظوراً مخطئا أو ناسيا لم يؤاخذه الله بذلك وحينئذ يكون بمنزلة من لم يفعله ، فلا يكون عليه اثم ، ومن لا اثم عليه لم يكن عاصياً ولا مرتكبا لما نهي عنه ، وحينئذ فيكون قد فعل ما أمر به ولم يفعل مانهي عنه . ومثل هذا لا يبطل عبادته ، انما يبطل العبادات اذا لم يفعل ما أمر به أو فعل ماحظر عليه ،

«١» روى البخاري من حديث عائشة «كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج . وكان ابو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه ابو بكر ، فقال له الغلام : أتدري ماهذا ؟ فقال وماهو: قال : كنت تكهنت لانسان في الجاهلية ، فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء »

وطرد هذا ان الحج لا يبطل بفعل شيء من المحظورات لا ناسياً ولا مخطئا لا الجماع ولا غيره وهو أظهر قولي الشافعي

واما الكفارة والفدية فتلك وجبت لانها بدل المتلف من جنس مايجب ضمان المتلف بمثله كما لو أتلفه صبي أو مجنون أو نائم ضمنه بذلك ، وجزاء الصيد اذا وجب على الناسي والمخطيء فهو من هذا الباب بمنزلة دية المقتول خطأ والكفارة الواجبة بقتله خطأ بنص القرآن واجماع المسلمين

وأما سائر المحظورات فليست من هذا الباب، وتقليم الاظفار وقص الشارب والترفه المنافي للتفث كالطيب واللباس . ولو فدى كانت فديتها من جنس فدية المحظورات ليست بمنزلة الصيد المضمون بالبدل . فأظهر الاقوال في الناسي والمخطيء اذا فعل محظورا أن لا يضمن من ذلك إلا الصيد .

وللناس فيه أقوال (هذا أحدها) وهو قول أهل الظاهر (والثاني) يضمن الجميع مع النسيان كقول أبي حنيفة وإحدى الروايات عن أحمد ، واختاره القاضي وأصحابه (والثالث) يفرق بين ما فيه التالف كقتل الصيد والحلق والتقليم وما ليس فيه كالطيب واللباس وهذا قول الشافعي وأحمد في الرواية الثانية ، واختارها طائفة من اصحابه وهذا القول أجود من غيره ، لكن إزالة الشعر والظفر ملحق باللباس والطيب لا بقتل الصيد هذا أجود (والرابع) ان قتل الصيد خطأ لا يضمنه وهو رواية عن احمد فخرجوا عليه الشعر والظفر بطريق الاولى .

وكذلك طرد هذا ان الصائم اذا أكل أوشرب أو جامع ناسيا أو مخطئا فلا قضاء عليه وهو قول طائفة من السلف والخلف ، ومنهم من يفطر الناسي والمخطيء كمالك ، وقال أبو حنيفة: هذا هو القياس لكن خالفه لحديث أبي هريرة في الناسي ، ومنهم من قال لا يفطر الناسي ويفطر المخطيء ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد ، فأبو حنيفة جعل الناسي موضع استحسان ، وأما اصحاب

الشافعي واحمد فقالوا النسيان لا يفطر لانه لا يمكن الاحتراز منه بخلاف الخطأ فانه يمكنه أن لا يفطر حتى يتيقن غروب الشمس وأن يمسك اذا شك في طلوع الفجر

وهذا التفريق ضعيف والامر بالعكس. فان السنة للصائم أن يعجل الفطر ويؤخر السحور ، ومع الغيم المطبق لا يمكن اليقين الذي لا يقبل الشك إلا بعد أن يذهب وقت طويل جداً يفوت المغرب ويفوت تعجيل الفطور ، والمصلي مأمور بصلاة المغرب وتعجيلها ، فاذا غلب على ظنه غروب الشمس امر بتأخير المغرب الى حد اليقين فربما يؤخرها حتى يغيب الشفق وهو لا يستيقن غروب الشمس

وقد جاء عن ابراهيم النخعي وغيره من السلف وهو مذهب ابي حنيفة انهم كانوا يستحبون في الغيم تأخير المغرب وتعجيل العشاء وتأخير الظهر وتقديم العصر ، وقد نص على ذلك احمد وغيره وقد علل ذلك بعض اصحابه بالاحتياط لدخول الوقت وليس كذلك فان هذا خلاف الاحتياط في وقت العصر والعشاء ، وانما سن ذلك لان هاتين الصلاتين يجمع بينهما للعذر، وحال الغيم حال عذر ، فأخرت الاولى من صلاتي الجمع وقدمت الثانية لمصلحتين (احداهما) التخفيف عن الناس حتى يصلوها مرة واحدة لاجل خوف المطر، كالجمع بينهما مع المطر (والثانية) ان يتيقن دخول وقت المغرب ، وكذلك يجمع بين الظهر والعصر على أظهر القولين وهو احدى الروايتين عن احمد، وهو يجمع بينهما للوحل الشديد والريح الشديدة الباردة ونحو ذلك في أظهر قولي العلماء وهو قول مالك وأظهر القولين في مذهب احمد (الثاني) ان الخطأ في تقديم العصر والعشاء أولى من الخطأ في تقديم الظهر والمغرب، فان فعل هاتين قبل الوقت لا يجوز بحال بخلاف تينك ، فانه يجوز فعلهما في وقت الظهر والمغرب، لان ذلك وقت لهما حال العذر، وحال الاشتباه حال عذر، فكان بين الصلاتين مع الاشتباه أولى من الصلاة مع الشك

وهذا فيه ما ذكره أصحاب المأخذ الاول من الاحتياط لكنه احتياط مع تيقن الصلاة في الوقت المشترك ، ألا ترى ان الفجر لم يذكروا فيها هذا الاستحباب ولا في العشاء والعصر، ولو كان العلم خوف الصلاة قبل الوقت لطرد هذا في الفجر ثم يطرد في العصر والعشاء

وقد جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتبكير بالعصر في يوم الغيم ، فقال « بكروا بالصلاة في يوم الغيم فانه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »

فان قيل : فاذا كان يستحب أن يؤخر المغرب مع الغيم فكذلك يؤخر الفطور ، قيل : انما يستحب له تأخيرها مع تقديم العشاء بحيث يصليها قبل مغيب الشفق ، فأما تأخيرها إلى ان يخاف مغيب الشفق فلا يستحب ، ولا يستحب تأخير الفطور إلى هذه الغاية

ولهذا كان الجمع المشروع مع المطر هو جمع التقديم في وقت المغرب ولا يستحب أن يؤخر بالناس المغرب إلى مغيب الشفق ، بل هذا حرج عظيم على الناس وانما شرع الجمع لئلا يحرج المسلمون

وأيضاً فليس التأخير والتقديم المستحب أن يفعلهما مقترنتين بل أن يؤخر الظهر ويقدم العصر ، ولو كان بينهما فصل في الزمان ، وكذلك في المغرب والعشاء بحيث يصلون الواحدة وينتظرون الاخرى لايحتاجون الى ذهاب الى البيوت ،وكذلك جواز الجمع لايشترط له الموالاة في أصح القولين ، كما قد ذكرناه في غير هذا الموضع

وأيضاً فقد ثبت في صحيح البخاري عن أسماء بنت ابي بكر قالت : أفطرنا يوما من رمضان في غيم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طلعت الشمس. وهذا يدل على شيئين: على انه لايستحب مع الغيم التأخير الى ان يتيقن الغروب . فانهم لم يفعلوا ذلك ولم يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة مع نبيهم أعلم وأطوع لله ولرسوله ممن جاء بعدهم (والثاني) لايجب القضاء . فان النبي صلى الله عليه وسلم لو أمرهم بالقضاء لشاع ذلك كما نقل فطرهم ، فلما لم ينقل ذلك دل على انه لم يأمرهم به

فان قيل: فقد قيل لهشام بن عروة: أمروا بالقضاء ؟ قال: أو بدٌّ من القضاء؟ قيل: هشام قال ذلك برأيه ، لم يرو ذلك في الحديث ، ويدل على انه لم يكن عنده بذلك علم ان معمراً روى عنه قال: سمعت هشاما قال : لا أدري أقضوا ام لا ؟ ذكر هذا وهذا عنه البخاري ، والحديث رواه عن أمه فاطمة بنت المنذر عن أسماء

وقد نقل هشام عن أبيه عروة انهم لم يؤمروا بالقضاء وعروة أعلم من ابنه، وهذا قول اسحاق بن راهويه - وهو قرين احمد بن حنبل ويوافقه في المذهب: أصوله وفروعه، وقولهما كثيراً مايجمع بينه . والكوسج سأل مسائله لاحمد واسحاق، وكذلك حرب الكرماني سأل مسائله لاحمد واسحاق وكذلك غيرهما . ولهذا يجمع الترمذي قول احمد واسحاق،فانه روى قولهما من مسائل الكوسج

وكذلك ابو زرعة وابو حاتم وابن قتيبة وغير هؤلاء من أئمة السلف والسنة والحديث وكانوا يتفقهون على مذهب احمد واسحاق يقدمون قولهما على أقوال غيرهما، وأئمة الحديث كالبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم هم أيضاً من أتباعهما وممن يأخذ العلم والفقه عنهما ، وداود من أصحاب اسحاق

وقد كان احمد بن حنبل اذا سئل عن اسحاق يقول: أنا أسئل عن اسحاق؟ اسحاق يسئل عني ،

والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق وابو عبيد وابو ثور ومحمد بن نصر المروزي وداود بن علي ونحو هؤلاء كلهم فقهاء الحديث رضي الله عنهم أجمعين

وأيضاً فان الله قال في كتابه(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) وهذه الآية مع الاحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين أنه مأمور بالأكل إلى ان يظهر الفجر فهو مع الشك في طلوعه مأمور بالأكل كما قد بسط في موضعه

(للرسالة بقية)

لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم؟

(بقلم أمير البيان)

(٣)

العبرة للعرب وسائر المسلمين برقي اليابانيين

ولكني أخرج من أوربة الى اليابان فقط لان رقي اليابان يضارع الرقي الاوربي وقد تم لليابانيين كما تم رقي أوربة للاوربيين أي في ضمن دائرة قوميتهم ولسانهم وآدابهم وحريتهم ودينهم وشعائرهم ومشاعرهم وكل شيء لهم

فأنقل الى القراء العرب فقرة من رسالة طويلة جاءت من مراسل أوربي سائح في اليابان وظهرت في جريدة «جورنال دوجنيف» بتاريخ ٢٠ اكتوبر فانه يقول:

« ان الياباني يحب الفن قبل كل شيء ، وان رأيته ساعياً في كسب المال فلاجل أن يلذذ بالمال أهواءه المنصرفة إلى الحسن والجمال . وقد انتقش في صفحة نفسه الشعور القومي الشديد عدا الميل الى الجمال ، لانه يفتخر بكون اليابان في مدة ستين سنة فقط صارت من طور أمة من القرون الوسطى اقطاعية الحكم الى أمة عظيمة من أعظم الامم، ومما لاريب فيه ان الديانة اليابانية هي ذات دور عظيم في سياسة اليابان (ليتأمل القاريء) وهي في الحقيقة فلسفة مبنية على الاعتراف بكل ماتركه القدماء لسلائلهم . فالياباني العصري قد ائتلف مع جميع احتياجات الحياة العصرية ، لكن مع حفظ الميل الدائم الى الرجوع إلى ماضيه ، ومع التمسك الشديد بقوميته ، غير مجيب نداء التفرنج (وفي الاصل التغرب Accidentalisme) الذي لايريد الياباني أن يأخذ منه إلا ماهو ضروري له لاجل مصارعة سائر الامم بنجاح ، ولا شك ان هذا مثل فريد في تاريخ أمم الشرق الاقصى »

ثم يقول:

« كان اليابانيون يكرهون الاسفار الى البلدان البعيدة ، ويحظرون دخول الاجانب في بلادهم ، ولكن هذا المنع قد ارتفع بعد النهضة العصرية ، وتلافت اليابان مافات بشكل مدهش . والنتائج هي أمامنا ، إلا أن الماضي لايزال عند اليابانيين مقدساً معظما في جميع طبقاتهم لانه في هذا الماضي المقدس يجد اليابانيون جميع شعورهم بقيمتهم الحاضرة ، فتراهم يكافحون بوسائل المدنية الحديثة التامة التي لا سبيل الى الحياة بدونها في أيامنا هذه ، لكن ينبذون كل «تغرب» بمجرد مايجدون أنفسهم في غنى عنه ، ويعودون مع اللذة الى شعورهم القومي الخالص الذي به يعتقدون انهم الأعلون

« وهناك هياكل « شنيتو » ومعابد « زن » والهياكل البوذية وهي مكرمة معظمة مخدومة باشد مايمكن من الحماسة الدينية والايمان الثابت كما كانت منذ قرون . والحق ان هذا الاحترام الشديد الذي يشعر به اليابانيون لقديمهم ولمعبوداتهم هو الذي قام عندهم حصناً منيعاً دون المباديء الشعوبية ، والافكار الشيوعية المضرة »

ومنذ بضع سنوات ظهر في فرنسة تاليف جديد عن اليابان للمركيز «لامازليير» La Mazelière قد أطنبت الجرائد في وصفه ونشرت عنه جريدة « الديبا » مقالا رنانا ، فنحن نوصي القراء الذين يهمهم أن يعرفوا كيفية ارتقاء اليابان - وهو موضوع في غاية الجلالة لما فيه من الاستنتاج لسائر بلاد الشرق - بمطالعة هذا الكتاب الذي لايمكن أن ينسب الى مؤلفه التعصب لليابان ، على انني رايته في الجملة مطابقا لتواريخ ألفها علماء يابانيون متخصصون في التاريخ . وهذه التواريخ مترجمة من اليابانية الى الافرنسية . ولا بد لي في هذه العجالة من نقل بعض فقر من تاريخ لامازليير المذكور ، قال في اثناء الكلام على تمدن اليابان العصري وخروج هذه الامة من عزلتها القديمة مايلي :

«فبدأت اليابان تستعير من أوربة وأمريكا قسما من مدنيتهما المادية ، ومن نظامهما العسكري ، ومن مباحث تعليمهما العام ، ومن سياستهما المالية ، فكان المجددون

يجتهدون في أن يقتبسوا من كل شعب ما يرونه الاحسن عنده ، فكان ذلك مشروع تجديد وهدم واعادة بناء ، وظهرت آثار ذلك في جميع مناحي الحياة اليابانية »

ثم تكلم عن الحرب اليابانية الصينية ، وانتهى إلى قوله الذي نترجمه ترجمة حرفية :

« إن ظفر اليابان بالصين لم يثبت علو الافكار والمبادىء العلمية التي أخذتها اليابان عن الغرب وكفى ، بل أثبت أمراً آخر وهو أن شعبا آسيويا بمجرد ارادته وعزيمته عرف أن يختار ما رآه الاصلح له من مدنية الغرب (تأمل جيداً) مع الاحتفاظ باستقلاله وقوميته وعقليته وآدابه وثقافته » اهـ

وقبلا كنت نشرت في الجرائد — وما نشرته لم يكن إلا نقطة من غدير — خلاصة الحفلات التي أقامها اليابانيون لتتويج عاهلهم منذ سنتين وكيف استمرت مراسم هذا الاحتفال مدة شهر ، وكانت باجمعها دينية ، وكيف ان الميكادو هو كاهن الامة الاعظم ، وكيف انه من سلالة الآلهة « الشمس » وكيف اغتسل في الحمام المقدس المحفوظ من ألفي سنة ، وكيف أكل مع الآلهة ! الارز المقدس الذي زرعته الدولة تحت اشراف الكهنة حتى يكون تام القدسية لاشبهة فيه ، وكيف كان ثمة في الحفل ستمائة ألف ياباني وكلهم يهتفون : ليحي الميكادو عشرة آلاف سنة إلى غير ذلك

لماذا لاتسمى اليابان وأوربة رجعية بتدينهما

فلماذا ياليت شعري تتقدم اليابان هذا التقدم السريع المدهش وتصير هذه الامة العصرية يضرب برقيها المثل وهي تضرب باعراقها إلى عقائد وعادات ومنازع مضى عليها ألفا سنة ، ويكون امبراطورها هو كاهنها الاعظم ، ولا يقال عنها « رجعية » و « مرتجعة » و « ارتجاعية » ؟ (فان كانت اليابان رجعية فمرحى بالرجعية)

ولماذا كان ملك انكلترة وامبراطور الهند السيد على ٤٠٠ مليون آدمي في الارض من البيض والسمر والصفر والحمر والسود هو رئيس الكنيسة الانكليكانية ومجالسه النيابية تبحث في جلسات عديدة في قضية الخبز والخمر هل يستحيلان بمجرد تقديس القسيس الى جسد المسيح ودمه فعلا بدون أدنى شك أم ذلك من

قبيل الرمز والتمثيل ؟ ولا يقال عنه انه « رجعي » ولا يقال عن دولته العظمى انها « متأخرة » او « متقهقرة » ؟ فان كانت انكلترة بعد هذا متقهقرة فيا حبذا « التقهقر »

ولماذا كانت القارة الاوربية كلها مسيحية مفتخرة بمسيحيتها تتباهى بذلك في كل فرصة متحدة في هذا الامر على ما بينهما من عداوات ومنافسات ، ولا ننبزها بقولنا « رجعية » و « ارتجاعية » والحال ان الديانة التي تدين بها أوربة عمرها ١٩ قرنا . وهذا عهد يصح أن يقال عنه قديم « وقديم جداً » وهؤلاء اليهود ، مهما ننكر عليهم فلا نقدر أن ننكر عليهم المقدرة والذكاء والحس العملي والجد الهائل - لا يزالون يفخرون بتوراة وجدت منذ آلاف السنين ويشاركهم فيها المسيحيون ؟

ولماذا نرى أعظم شبان اليهود رقيا عصريا يجاهدون في إحياء اللغة العبرية التي لا يعرف تاريخها لتوغلها في القدم . ولا يقال عنهم انهم « رجعيون » و « متأخرون » و « قهقريون » ؟

« وقد نشر وايزمان رئيس الجمعية الصهيونية حديثا في جريدة « الماتن » كان من أهم ما فخر به وأدلى به كمأثرة ينبغي أن تذكرها لهم الانسانية هو « ان فلسطين الحديثة تتكلم اليوم باجمعها بلغة الانبياء » يريد بفلسطين الحديثة فلسطين اليهودية التي قد نشر الصهيونيون فيها اللغة العبرانية القديمة وأجبروا نشئهم الجديد على أن يتحدثوا بها لتكون اللغة الجامعة لليهود . ومن الذي فعل هذا ؟ الجواب : هم اليهود العصريون الاشد أخذاً بمبادىء العلم الحديث والحضارة العصرية . (وما يذكر إلا أولو الالباب) وماذا عساني أحصي من هذه الاماثيل والعبر في رسالة وجيزة كهذه ؟

كل قوم يعتصمون بدينهم ومقومات ملتهم ومشخصات قومهم الموروثتين ولا ينبزون بهذه الالقاب !! الا المسلمين

فانه اذا دعاهم داع الى الاستمساك بقرآنهم وعقيدتهم ومقوماتهم ومشخصاتهم وباللسان العربي وآدابه والحياة الشرقية ومناحيها قامت قيامة الذين في قلوبهم مرض .. وصاحوا : لتسقط الرجعية . وقالوا : كيف تريدون الرقي وأنتم متمسكون باوضاع بالية باقية من القرون الوسطى ونحن في عصر جديد ؟

جميع هؤلاء الخلائق تعلموا وتقدموا وترقوا وعلوا وطاروا في السماء والمسيحي

منهم باق على انجيله وتقاليده الكنسية ، واليهودي باق على توراته وتلموده ، والياباني باق على وثنه وارزه المقدس ، وكل حزب منهم فرح بما لديه . وهذا المسلم المسكين يستحيل أن يترقى إلا إذا رمى قرآنه وعقيدته ومآخذه ومتاركه ومنازعه ومشاربه ولباسه وفراشه وطعامه وشرابه وأدبه وطربه وغير ذلك وانفصل من كل تاريخه ، فان لم يفعل ذلك فلا حظ له من الرقي !

فهذا ما كان من ضرر الجاحد الذي يقصد السوء بالاسلام وبالشرق أجمع ويخدع السذج باقاويله

غوائل الجامدين في الاسلام والمسلمين

وبقي علينا المسلم الجامد ، الذي ليس باخف ضرراً من الجاحد ، وان كان لا يشركه في الخبث وسوء النية ، وانما يعمل ما يعمله عن جهل وتعصب

فالجامد هو الذي مهد لاعداء المدنية الاسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بان التأخر الذي عليه العالم الاسلامي انما هو ثمرة تعاليمه

والجامد هو سبب الفقر الذي ابتلي به المسلمون لانه جعل الاسلام دين آخرة فقط . والحال ان الاسلام هو دين دنيا وآخرة . وان هذه مزية له على سائر الاديان . فلا حصر كسب الانسان فيما يعود للحياة التي وراء هذه كما هي ديانات أهل الهند والصين ، ولا زهده في مال الدنيا وملكها ومجدها كتعاليم الانجيل ، ولا حصر سعيه في أمور هذه المعيشة الدنيوية كما هي مدنية أوربة الحاضرة

والجامد هو الذي شهر الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعاتها بحجة انها من علوم الكفار . فحرم الاسلام ثمرات هذه العلوم ، وأورث أبناءه الفقر الذي هم فيه وقص أجنحتهم . فان العلوم الطبيعية هي العلوم الباحثة في الارض . والارض لا تخرج أفلاذها الا لمن يبحث فيها[1] فان كنا طول العمر لا نتكلم الا فيما هو عائد للآخرة قالت لنا الارض : اذهبوا تواً إلى الآخرة

«١» كان جدي الادني رحمه الله تعالى يقول: ان جار عليك الزمان فعليك ان تجور على الارض . أي تلح وتجتهد في استخراج خيراتها

فليس لكم نصيب مني . ثم اننا بحصر كل مجهوداتنا في هذه العلوم والمحاضرات الاخروية جعلنا أنفسنا بمركز ضعيف بازاء سائر الامم التي توجهت الى الارض، وهؤلاء لم يزالوا يعلون في الارض ونحن ننحط في الارض ، إلى أن صار الامر كله في يدهم ، وصاروا يقدرون أن يأفكونا عن نفس ديننا، فضلا عن أن يملكوا علينا دنيانا. وليس هذا هو الذي يريده الله بنا وهو الذي قال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية وقال(هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا) وقال (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) وقال فيما حكاه وأقره (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وعلمنا أن ندعوه بقوله (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) الخ

والمسلم الجامد لايدري انه بهذا المشرب يسعى في بوار ملته وحطها عن درجة الامم الاخرى، ولا يتنبه لشيء من المصائب التي جرها على قومه اهمالهم للعلوم الكونية حتى أصبحوا بهذا الفقر الذي هم فيه ، وصاروا عيالا على أعدائهم الذين لايرقبون فيهم إلاً ولا ذمة ، فهو اذا نظر الى هذه الحالة عللها بالقضاء والقدر بادىء الرأي ، وهذا شأن جميع الكسالى في الدنيا يحيلون على الاقدار .

هذا الخلق هو الذي حبب الكسل الى كثير من المسلمين فنجمت فيهم فئة يلقبون «بالدراويش» ليس لهم شغل ولا عمل، وليسوا في الواقع إلا أعضاء شلاء في جسم المجتمع الاسلامي .

وهذا الخلق بعينه هو الذي جعل الافرنج يقولون ان الاسلام جبريّ لايأمر بالعمل ، لان ماهو كائن هو كائن، عمل المخلوق أم لم يعمل .

آيات العمل المبطلة لتفسير القدر بالجبر والكسل

ولا أدل على فساد هذا الزعم الافرنجي من القرآن الملآن بالحث على العمل وباستنهاض الهمم ، وابتعاث العزائم ، ونوط الثواب والعقاب والفوز والفشل بالعمل الذي يعمله المكلف . قال الله تعالى (وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله)

وقال تعالى (وإن جادلوك فقل: لي عملي ولكم عملكم) وقال تعالى (وسيري الله عملكم) وقال تعالى (ولنا أعمالنا ولكم اعمالكم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) وقال تعالى (والله معكم ولن يتركم أعمالكم) أي لاينقصكم أعمالكم ، وقال تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) لايلتكم من لاته يليته أو ولته يلته بمعنى نقصه ، أي لايبخسكم من أعمالكم شيئا ، وقال تعالى (نوفّ اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون) وقال عز وجل (وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) وقال عز وجل (وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون) وقال عز وجل (اني لاأضيع عمل عامل منكم) وقال عز وجل (فنعم أجر العاملين) وقال عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقال عز وجل (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال عزوجل (وتوفى كل نفس ماعملت) وقال عز وجل (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وقال عز وجل (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا) وقال عز وجل (ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون) وقال عز وجل (فأصابهم سيئات ماعملوا) وقال تبارك وتعالى (ووجدوا ماعملوا حاضرا) وقال تبارك وتعالى (ليذيقهم بعض الذي عملوا) وقال تبارك وتعالى (إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) وقال تعالى (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون) وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقال تعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) وقال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) الى غير ذلك مما لايكاد يحصى من الآيات التي امتلأ بها القرآن ، ومنها ماهو نص في مسألتنا كقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)

ان صاحب السؤال يعلم أو أكثر المسلمين لايعلمون ان هذه الآية خاطب الله تعالى بها أكمل هذه الأمة ايمانا واسلاما وهم أصحاب رسول الله ﷺ إذ تعجبوا

من ظهور المشركين عليهم في غزوة أحد فرد الله عليهم ببيان السبب وهو مخالفتهم أمره ﷺ للرماة الذين يحمون ظهور المقاتلة بألا يبرحوا أماكنهم سواء كان الغلب للمسلمين أو عليهم ، فلما انهزم المشركون خالفوا الامر لمشاركة المقاتلين في الغنيمة فكر عليهم المشركون حتى شج رأس النبي ﷺ الخ

وكلها ناطقة بأن الاسلام هو دين العمل لا دين الكسل ، ولا هو دين الاتكال على القدر المجهول للبشر ، كما يقول الدراويش البطالون : يرزقنا على الله عملنا أم لم نعمل ، او كما يزين للناس بعض مؤلفي الافرنج من ان دين الاسلام دين جمود وتفويض وتسليم ، وان تأخر المسلمين انما نشأ عن ذلك .

ولو كان في هذه الدعوى ذرة ما من الصحة لما نهض الصحابة أخبر الناس بالاسلام وفتحوا نصف كرة الارض في خمسين سنة ، ولكن التسليم الذي يتكلمون عنه ويهرفون فيه بما لا يعرفون انما هو مقرون بالعمل وبالكدح وبالسعي ، والا فلا يسمى تسليما بل يسمى جموداً ، ويعد بطالة وهو مخالف للقرآن وللسنة . وأما اذا كان التسليم لله مقرونا بالعمل فانه أنفع في الدنيا والاخرى ، لان افراط المرء في الاعتماد على نفسه يورطه في البطر إذا نجح ، وفي الجزع إذا فشل . والذي يريده الاسلام انما هو أن يعقل الانسان ويتوكل (١) وأن يدبر لنفسه بهداية عقله الذي جعله الله مرشداً ، ويعلم مع ذلك ان ليس كل الامر بيده ، وان من الاقدار مالا تدركه الافكار . وهذا صحيح ، ولما ذكر النبي ﷺ القدر سأله بعض أصحابه ألا نتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه البخاري ومسلم

ومن أغرب الغرائب أن هؤلاء الافرنج الذين لا يفتئون ينعتون الاسلام بالجبرية وينسبون تأخر المسلمين إلى هذه العقيدة — التي كان يقول بها فئة قليلة من المسلمين — يذهلون عما هو وارد في الانجيل من آيات القضاء والقدر التي

«١» في قوله يعقل هنا تورية لاحتماله معنيين : احدهما تحكيم ادراك العقل في الامور مع التوكل على الله ، والثاني عقل الناقة المراد الاخذ بالاسباب مع التوكل ، اذ فيه اشارة الى حديث الاعرابى المشهور بين الناس حتى صار مثلا « اعقلها وتوكل » وفي رواية « قيدها وتوكل » يعني ناقته فلم يأذن له (ص) ان يتركها توكلا

تماثل مافي القرآن وقد تزيد عليه مثل قوله : لاتسقط شعرة من رؤوسكم إلا باذن أبيكم السماوي . ومثل آي كثيرة لو أردت استقصاءها لطال المقال . ولا نجدفي الافرنج الذين هم مغرمون بالعمل وهائمون وراء الكسب ومنكرون للقضاء والقدر في الجملة ، إلا من يقرأ الانجيل الشريف ويقدسه ويعجب بمبادئه السامية كما نعجب بها نحن . فمابالهم نسوا مافيه من آيات القضاء والقدر ؟ وما بالهم لم يصفوا أقوال المسيح صلوات الله عليه بالجبرية ؟ (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) وحقيقة الامر ان كل ماهو وارد في الانجيل وكل ماهو وارد في القرآن من آيات القضاء والقدر انما كان مقصوداً به سبق علم الله بكل مايقع (١) . ولم يكن مقصوداً به نفي الاختيار والتزهيد في الكسب . وفي حديث الوزنتين والوزنات وغير ذلك من مواعظ الانجيل الشريف مايدل على ماعزاه القرآن الى صحف ابرهيم وموسى أي وغيرهما من رسل الله (أن لاتزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان إلا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

كون المسلمين الجامدين فتنة لأعداء الاسلام وحجة عليه

ونعود الى المسلم الجامد فنقول : انه هو الذي طرق لاعداء الاسلام على الاسلام، وأوجد لهم السبيل الى القالة بحقه، حتى قالوا انه دين لايأتلف مع الرقي العصري ، وانه دين حائل دون المدنية والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لاتأتلف عقائدهم مع المدنية ، وهم الذين يحولون دون الرقي العصري . والاسلام براء من جماداتهم هذه .

«١» هذا التفسير قول لبعض المتكلمين وهو ان تعلق علم الله بوجود المخلوقات في الازل هو القضاء ووجودها على وفق العلم هو القدر ، وقول بعضهم انه تعلق الارادة الخ والتحقيق ان القدر والمقدار هو النظام الذي جرت به سنن الله تعالى في التكوين والتدبير والاسباب والمسببات كما يفهم من نصوص الآيات كقوله تعالى «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ومانتزله إلا بقدر معلوم» وقوله «وانزلنا من السماء ماء بقدر» الآية - وقوله في نظام حمل النطفة في الرحم « الى قدر معلوم » وقوله « ثم جئت على قدر ياموسى » وقد حققنا المسألة في المنار والتفسير مرارا

ان الاسلام هو من أصله ثورة على القديم الفاسد ، وجبٌّ للماضي القبيح ، وقطع مع كل العلائق غير الحقائق ، فكيف يكون الاسلام ملة الجمود ؟ والقرآن هو الذى جاء فيه من قصة ابراهيم عليه السلام (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) وجاء فيه (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون * فانهم عدو لي إلا رب العالمين) وجاء فيه : (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون * قال او لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) وجاء فيه (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وجاء فيه : (سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وغير ذلك من الآيات الداعية الى الثورة على القديم إذا لم يكن صحيحاً ولم يكن صالحاً

على ان الذين يفهمون الاسلام حق الفهم يرحبون بكل جديد لا يعارض العقيدة ، ولا تخشى منه مفسدة . ولا أظن شيئاً يفيد المجتمع الاسلامي يكون مخالفاً للدين المبني على اسعاد العباد . أفلا ترى علماء نجد وهم ابعد المسلمين عن الافرنج والتفرنج ، وأنآهم عن مراكز الاختراعات العصرية ، كيف كان جوابهم عند ما استفتاهم الملك عبدالعزيز بن سعود أيده الله في قضية اللاسلكي والتليفون والسيارة الكهربائية ؟ أجابوه انها محدثات نافعة مفيدة ، وانه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله لا بالمنطوق ولا بالمفهوم مايمنعها .

أفليس الادنى لمصلحة الامة أن تقدر الدولة على معرفة أي حادث يحدث بمجرد وقوعه حتى تتلافى أمره ؟ أفليس الانفع للمسلمين أن يتمكن الحاج ببضع ساعات من اجتياز المسافات التي كانت تأخذ أياما وليالي؟ لقد سألت الشيخ محمد بن علي بن تركي من العلماء النجديين الذين بمكة عن رأيه في التليفون واللاسلكي فقال لي : هذه مسئلة مفروغ منها، وأمر جوازها شرعا هو من الوضوح بحيث لا يستحق الاخذ والرد

ولم تكن مقاومة الجديد خاصة بجامدي الاسلام ، فقد قاومت الكنيسة في النصرانية كل جديد تقريبا من قول أو عمل ، ثم عادت فيما بعد فأجازته . ولما قال «غاليله» بدوران الارض كفرته ، ولا يزال يوجد الى اليوم من أحبار النصارى من يكفر كل مخالف لما جاء في التوراة من كيفية التكوين ، ومن سنتين حوكم أحد المعلمين في محاكم احدى الولايات المتحدة لقوله بنظرية داروين ومنع من التدريس ، ولكن هذا لم يمنع سير العلم في طريقه(١)

فالنصارى عندهم جامدون كما عندنا جامدون ، والمسلم الجامد يحارب كل علم غير العلم الديني التقليدي الذى ألفه ، حتى انه ليحارب من لا يعتد في دينه إلا بالكتاب والسنة ، وينسى ان العلوم الطبيعية والرياضية والهندسة وجر الأثقال والفلك والطب والكيمياء وطبقات الأرض وكل علم يفيد الاجتماع البشري هي علوم دينية ان لم تكن مباشرة فمن حيث النتيجة (٢) وكم جرى تدريس هذه العلوم في الازهر والاموي والزيتونة والقرويين وقرطبة وبغداد وسمرقند وغيرها عند ما كان للاسلام دول كبار وأعاظم رجال . وكم نبغ في الاسلام من عظماء جمعوا بين الحكمة والشريعة ، ونظموا بين الحديث والرياضة ، وإن أكبر فيلسوف عربي اشتهر اسمه في أوربة هو القاضي ابن رشد وقد كان من أكابر الفقهاء

«١» وقد تألف في انكلترة وامريكة حزب ديني جديد او جمعية للدعوة الى الايمان بظواهر التوراة في الخلق والتكوين وكل شيء من غير تأويل راجع ص٧٢٣ م ٣٠ من المنار

«٢» اى من باب قول العلماء : مالا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب. وقد بينا في تفسير (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) ان آلات القتال البرية والبحرية والجوية واجبة بنص هذه الآية لانها من القوة المستطاعة للمسلمين كما هي مستطاعة لغيرهم ، فليس وجوبها بقاعدة مالايتم الواجب الا به فهو واجب بل بنص القرآن ودلالة المنطوق منه فراجع تفسيرها في ص٦١ ج ١٠ تفسير

مدنية الاسلام

أما زعم من زعم أن الاسلام لم يتمكن من تأسيس مدنية خاصة والاستدلال على ذلك بحالته الحاضرة، فهو خرافة يموه بها بعض أعداء الاسلام من الخارج ، وبعض جاحديه من الداخل . أما القسم الاول فلاجل أن يصبغوا المسلمين بالصبغة الاوربية، وأما القسم الثاني فلاجل أن يزرعوا في العالم الاسلامي بذور الالحاد ، ونحن لا ننكر تأثير الدين في المدنية ولكننا لا نسلم بأنه يصح أن يكون لها ميزانا ، وذلك لانه كثيراً مايضعف تأثير الدين في الامم فتتفلت من قيوده وتفسد أخلاقها وتنهار أوضاعها، فيكون فساد الاخلاق هو علة السقوط ، ولا يكون الدين هو المسؤول، وكثيراً ماتطرأ عوامل خارجية غير منتظرة فتتغلب على ماأثلته الشرائع من حضارة وتزلزل أركانها ، وقد تهدمها من بوانيها ، ولا يكون القصور من الشريعة . فتأخر المسلمين في القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة بل من الجهل بالشريعة ، أو من عدم اجراء احكامها كما ينبغي . ولما كانت الشريعة جارية على حقها كان الاسلام عظيما عزيزاً ،

ومدنية الاسلام قضية لاتقبل المماحكة إذ ليس من أمة في اوربة سواء الألمان أو الفرنسيس او الانكليز او الطليان الخ إلا وعندهم تآليف لاتحصى في « مدنية الاسلام » فلو لم تكن للاسلام مدنية حقيقية سامية راقية مطبوعة بطابعه ، مبنية على كتابه وسنته ، ما كان علماء أوربة حتى الذين عرفوا منهم بالتحامل على الاسلام يكثرون من ذكر المدنية الاسلامية ومن سرد تواريخها ، ومن المقابلة بينها وبين غيرها من المدنيات ، ومن تبيين الخصائص التي انفردت هي بها .

فالمدنية الاسلامية هي من المدنيات الشهيرة التي يزدان بها التاريخ العام ، والتي تغص سجلاته الخالدة بآثارها الباهرة . وقد بلغت بغداد في دور المنصور والرشيد والمأمون من احتفال العمارة ، واستبحار الحضارة، وتناهي الترف والثروة، مالم تبلغه مدينة قبلها ولا بعدها الى هذا العصر ، حتى كان أهلها يبلغون مليونين

ونصف مليون من السكان . وكانت البصرة في الدرجة الثانية عنها ، وكان أهلها نحو نصف مليون .

وكانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند واصفهان وحواضر أخرى كثيرة من بلاد الاسلام أمثلة تامة ، واقيسة بعيدة في استبحار العمران، وتطاول البنيان، ورفاهة السكان ، وانتشار العلم والعرفان ، وتأثل الفنون المتهدلة الافنان ،

وكانت القيروان وفاس وتلمسان ومراكش في المغرب أعظم وأعلى من ان يطاولها مطاول ، أو يناظرها مناظر ، أو ان يكاثرها مكاثر في ممالك أوربة حتى هذه القرون الاخيرة.

وكانت قرطبة مدينة فذة في أوربة لايدانيها مدان ، وكان عدد سكانها نحو مليون ونصف نسمة ، وكان فيها نحو سبعمائة جامع عدا المسجد الاعظم الذي لما زرته في هذا الصيف قال لي المهندس الذي كان معي من قبل الحكومة الاسبانيولية: إنه يسع بحسب مساحته خمسين الف مصل في الداخل و ٣٠ الف مصل في الصحن، فجملة من يسعهم هذا المسجد "العجيب ثمانون الفاً من المصلين .

ولما ذهبنا إلى آثار قصر الزهراء رأيناها آثار مدينة لا آثار قصر واحد، وعلمنا أنها تمتد على مسافة تسعمائة متر طولا في ثمانمائة متر عرضاً ، والاسبانيول يقولون : مدينة الزهراء . وقال لي المهندسون الموكلون بالحفر على آثارها: إنهم يرجون الاتيان على كشفها كلها من الآن إلى خمسين سنة . وحسبك ان غرناطة التي كانت حاضرة مملكة صغيرة في آخر أمر المسلمين بالاندلس لم يكن في اوربة في القرن الخامس عشر المسيحي بلدة تضاهيها ولا تدانيها ، وكان فيها عندما سقطت في ايدى الاسبانيول نصف مليون نسمة . ولم يكن وقتئذ عاصمة من عواصم اوربة تحتوي نصف هذا العدد، وحمراء غرناطة لا تزال يتيمة الدهر إلى اليوم

هذه لمحة دالة من مآثر حضارة الاسلام وغرر أيامه ، وإلا فلو استقصينا كل ما أثر المسلمون في الارض من رائع وبديع لم تسع ذلك الاجلاد الكثيرة ، المرصوفة طبقا فوق طبق

وكم حرر المؤرخون الاوربيون تحت عنوان « مدنية الاسلام » كتباً قيمة

ومجاميع صور تأخذ بالابصار . وإن أشد مؤرخي الافرنجة تحاملا على الاسلام لا يتعدى ان يحاول التصغير من شأن مدنيته ، وان ينكر كونه ابا عذرتها . فقصارى هذه الفئة ان ينكروا كون المسلمين قد ابتكروا علوما وسبقوا إلى نظريات صارت خاصة بهم ، وغايتهم ان يقولوا ان المسلمين لم يزيدوا على ان نقلوا واذاعوا وكانوا واسطة بين المشرق والمغرب . وهذا القول مردود عند المحققين الذين يعرفون للمسلمين علوما ابتكروها ، وحقائق كشفوها ، وآراء سبقوا اليها ، فضلا عما زادوا عليه وأكملوه ، ومانشروه ونقلوه ، ومن استرق شيئا وقد استرقّه ، فقد استحقه .

وبعد فلم نعلم مدنية واحدة من مدنيات الارض إلا وهي رشح مدنيات سابقة ، وآثار آراء اشتركت بها سلائل البشرية ،ومجموع نتائج عقول مختلفة الاصول ، ومحصول ثمرات ألباب متباينة الاجناس،

الرد على حساد المدنية الاسلامية المكابرين

أينسى حساد الاسلام والمكابرون في عظمة فضله ، الزاعمون انه انما نقل وتعلم وقلد واقتدى وانه انما صلى وراء غيره: ان المدنية الشرقية يوم ظهر الاسلام كان أخنى عليها الذي أخنى على لبد ، وانه هو الذي جددها وأحيا آثارها، وأقال عثارها ؟ وأنها بعد ان كانت قد امحت ولحقت بالغابرين ، أبرزها من اصدافها، وجلاها من بعد ان كانت ملفوفة بغلافها ، ونشرها في الخافقين ، وبلَّجها كفلق الصبح لكل ذي عينين ، وأضفى عليها لباس الاسلام الخاص ، ودبجها بديباجة القرآن ، التي لم تفارقها في شرق ولا غرب ، ولا سهل ولا وعر ، حتى حمل ذلك كثيراً من علماء الافرنج ممن لم يعمه الهوى ، ولم يحد في التحقيق عن مهيع الهدى، على ان اعترفوا بان مدنية الاسلام لم تكن نسخاً ولا نقلا ، وانما هي قد نبعت من القرآن ، وتفجرت من عقيدة التوحيد ؟

فأما ماترجمته حضارة الاسلام من كتب ، وما أخذته عن غيرها من علوم، وما أفادته في فتوحاتها من منازع جميلة ، وطرائق سديدة ، فلا يقدح ذلك في

بكارتها الاسلامية، ومسحتها العربية، لان هذا شأن الحضارات البشرية باجمعها أن يأخذ بعضها عن بعض ويكمل بعضها بعضا، فالعلم الحقيقي ينحصر في هذا الحديث الشريف «الحكمة ضالة المؤمن ينشدها ولو في الصين» (١) وهذه من أقدس قواعد الاسلام

وعلى كل حال لا يقدر مكابر أن يكابر ان الاسلام كان له دور عظيم في الدنيا سواء في الفتوحات الروحية أو العقلية أو المادية، وان هذه الفتوحات قد اتسقت له في دور لا تزيد على ثمانين سنة، مما أجمع الناس على انه لم يتسق لأمة قبله أصلا. وكان نابليون الاول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول في جزيرة سنتهيلانة: ان العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن لا غيره

وتأمل أيها القاريء في ان قائل هذا القول هو بونابرت الذي لم تكن تملأ عينه الفتوحات مهما كانت عظيمة

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

فهذا رجل عظيم جداً استعظم حادث العرب الذي لم يسبق نظيره في التاريخ، وقد بقي دور العرب هو الاول في وقته، ولبثوا هم المسيطرين في الارض لا يضارعهم مضارع، ولا يغالبهم مغالب، مدة ثلاثة او أربعة قرون. ثم أخذوا بالانحطاط، وجعلت ظلالهم تتقلص عن البلدان التي كانوا غلبوا عليها شيئاً فشيئاً، وذلك بفتور الهمم، ودبيب الفساد إلى الاخلاق، ونبذ عزائم الدين، واتباع شهوات الانفس، وأشد ما ابتلوا به التنافس على الامارات والرئاسات، — ولا سيما بين القيسية واليمانية — مما لولاه لدانت لهم القارة الاوربية باجمعها، وكانت الآن عربية كما هو المغرب. فالمصائب التي حلت بالمسلمين انما هي مما صنعته

---

(١) هذا مضمون حديثين أحدهما «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، ورواه غيره بمعناه مع اختلاف في اللفظ. والثاني «اطلبوا العلم ولو بالصين» وله تتمة رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب والمدخل وابن عبد البر في العلم وغيرهم من حديث أنس، وله طرق يقوي بعضها بعضا

أيديهم ، ومما حادوا به عن النهج السوي الذي أوضحه لهم القرآن الذي لما كانوا عاملين بمحكم آيه علوا وظهروا وكانت لهم الدول والطوائل ، فلما ضعف عملهم به وصاروا يقرءونه بدون عمل ، وانقادوا إلى اهواء أنفسهم من دونه ، ذهبت ريحهم ، وولى السلطان الاكبر الذي كان لهم ، وانتقصت الاعداء أطراف بلادهم ، ثم قصدوا إلى أوساطها

ولنضرب الآن بعض أمثلة عن الامم الاخرى لاجل المقابلة بيننا وبينهم إذ كانت بضدها تتبين الاشياء

اليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها

كان اليونانيون قبل النصرانية أرقى أمم الارض أو من أرقى أمم الارض، وكانوا واضعي أسس الفلسفة ، وحاملي ألوية الآداب والمعارف، ونبغ منهم من لايزالون مصابيح البشرية في العلم والفلسفة الى يوم الناس هذا .

وكان الاسكندر المكدوني أعظم فاتح عرفه التاريخ او من أعظم الفاتحين الذين عرفهم التاريخ ، حاملا للادب اليوناني ، ناشراً لثقافة يونان بين الامم التي غلب عليها . وما كانت دولة البطالسة التي لمعت في الاسكندرية بعلومها وفلسفتها إلا من بقايا فتوح الاسكندر . ثم لم تزل هذه الحالة إلى أن تنصرت يونان بعد ظهور الدين المسيحي بقليل ، فمذ دانت هذه الامة بالدين الجديد بدأت بالتردي والانحطاط ، وفقد مزاياها القديمة ، ولم تزل تنحط قرنا عن قرن، وتتدهور بطنا عن بطن ، إلى أن صارت بلاد اليونان ولاية من جملة ولايات السلطنة العثمانية . ولم تعد إلى شيء من النهوض والرقي إلا في القرن الماضي، وأين هي مع ذلك الآن مما كانت قبل النصرانية ؟

أفيجب ان نقول ان النصرانية كانت المسؤولة عن انحطاط يونان هذا ؟

ان القائلين بان الاسلام قد كان سبب انحطاط الامم الدائنة به لامفر لهم من القول بأن النصرانية قد أدت أيضا الى انحطاط يونان التي كانت من قبلها عنوان الرقي

ثم كانت رومة في عصرها الدولة العظمى التي لايذكر معها دولة ، ولا يؤبه

في جانب صولتها لصولة ، ولم تزل هكذا هي المسيطرة على المعمور الى أن تنصرت لعهد قسطنطين. فمنذ ذلك العهد بدأت بالانحطاط مادة ومعنى الى أن انقرضت اولا من الغرب ، وثانيا من الشرق . ولم تسترجع رومة بعد انقراض الدولة الرومانية شيئا من مكانتها الاولى، وبقيت على ذلك مدة ١٥ قرنا حتى استأنفت شيئا من مجدها الغابر . وما هي إلى هذه الساعة ببالغة ذلك الشأو الذي بلغته أيام الوثنية

أفنجعل تنصر الرومان هو العامل في انحطاط رومة وتدحرجها عن قمة تلك العظمة الشاهقة ؟ لقد قال بهذا علماء كثيرون كما قال آخرون مثل هذه المقالة في الاسلام، وكلا الفريقين جائر حائد عن الصواب

فان اسقوط الرومان بعد فشو الدين المسيحي فيهم ولسقوط اليونان من قبلهم بعد ان تقبلوا دعوة بولس إلى النصرانية اسبابا وعوامل كثيرة من فساد الاخلاق، وانحطاط الهمم، وانتشار الخنى والخلاعة، وشيوع الالحاد والاباحة، ومن هرم الدول الذي يتكلم عنه ابن خلدون، وغير ذلك من أسباب السقوط الداخلية منضمة اليها غارات البرابرة من الخارج ، فكانت ثمة أسباب قاسرة مؤدية إلى السقوط الذي كان لابد منه ، فلو فرضنا ان النصرانية لم تكن جاءت وقتئذ لم يكن الرومان ولا اليونان نجوا من عواقب تلك الحوادث ولا تخطتهم نتائج تلك الاسباب

فدعوى بعض المؤرخين الاوربيين ان تغلب المسيحية على اليونان والرومان اخنى على عظمتها، وذهب بمدنيتها، ليس فيه من الصحيح الا كون الاوضاع الجديدة تذهب بالاوضاع القديمة ، سنة الله في خلقه ، وانه في هيعة هذا التحول لابد من اضطراب الاحوال وانحلال القواعد واستحكام الفوضى ، والا فلا أحد يقدر أن يقول ان الوثنية أصلح للعمران من النصرانية (١)

(١) علماء المسلمين يعتقدون ان النصرانية على ماطرأ عليها من الوثنية بالتثليث الوثني القديم أصلح لأنفس البشر من الوثنية الخالصة ولكنها ليست اصلح ولا اقبل للعمران المدني الذي تتنافس فيه اوربة وغيرها لأنها ديانة مبنية على المبالغة في الزهد والخضوع لكل حكم دنيوي، والعمران لا يتم ولا يسمو الا بالسيادة والملك والغنى، ومن قواعد الانجيل ان الجمل إذا دخل في ثقب الابرة فالغني لا يدخل ملكوت السموات

وهذه الدعوى كانت تكون أشبه بدعوى أعداء الاسلام الذين يزعمون ان الشرق كان راتعا في بحابح العمران فجاء الاسلام وطمس المدنيات الشرقية القديمة ! لولا أن الحقيقة هي كما قدمنا ان المدنيات الشرقية كانت كلها قد انقرضت او انحطت قبل ظهور الاسلام بكثير ، وان الاسلام وحده لا غيره هو الذي جدد مدنية الشرق الدارسة ، واستأنف صولته الذاهبة الطامسة ، وبعث تلك الحواضر العظمى الزاخرة بالبشر كبغداد والبصرة وسمرقند وبخارى ودمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة وهلم جرا ، ولئن كانت قد بقيت للشرق آثار مدنيات قديمة فان الاسلام هو الذي وطد بوانيها ، وطرز حواشيها ، وحمل السيف بيد والقلم بيد إلى أبعد ماتصوره العقل من حدود الاقطار التي لم يسبق لشرقي أن يطأها بقدمه

فاذا كان الافرنج الصليبيون من الغرب ، وكان المغول اولئك الجراد المنتشر من الشرق ، قد تبّروا ماعلا الاسلام في تلك الممالك ، ونسفوا عمران هاتيك الحواضر ، وكانت منافسات ملوك الاسلام الداخلية واتباعهم للشهوات ، وامعانهم في الضلالات ، ومحيدهم عن جادة القرآن القويمة ، وفقدهم مايزرعه في الصدور من الاخلاق العظيمة ، قد قضت في الداخل على ماعجز عن تعفيته العدو من الخارج ، فليس الذنب في هذا التقلص ذنب الاسلام ، ولا التبعة في هذا الانقلاب عائدة على القرآن ، وانما الذنب هو ذنب الهمج من الافرنج ، وجناية ذلك الجراد الزحاف من المغول ، وانما هي تبعة المسلمين الذين رغبوا عن أوامر كتابهم واشتروا بآياته ثمنا قليلا ، إلا النادر منهم

وأيضا فقد تنصرت الامم الاوربية في القرن الثالث والرابع والخامس والسادس من ميلاد المسيح ، وبقيت امم في شرقي اوربة إلى القرن العاشر حتى تنصرت . ولم تنهض اوربة نهضتها الحالية التي مكنتها تدريجا من هذه السيادة العظمى بقوة العلم والفن إلا من نحو اربعمائة سنة ، اي من بعد أن دانت بالانجيل بالف سنة . ومنها بعد أن دانت به بسبعمائة سنة ومنها بثمانمائة سنة الخ وهذه هي القرون المسماة في التاريخ بالقرون الوسطى . ولا نقول ان الاوربيين كانوا في هذه

القرون بأجمعهم هائمين في ظلمات بعضها فوق بعض ، بل نقول ان العرب كانوا أعلى كعبا منهم بكثير في المدنية باقرار مؤرخيهم ، وبرغم انف لويس برتران واضرابه . ومن الكتب المخرجة حديثا الشاهدة بذلك التاريخ العام للكاتب الفيلسوف الانكليزي «ولز» و «تاريخ مدنيات الشرق» لمؤلف افرنسي متخصص في التواريخ الشرقية اسمه «غروسه» فالحقيقة التاريخية المجمع عليها هي واحدة في هذا الموضوع لم يظهر ماينقضها ولن يظهر ، وهي : ان العرب فى القرون الوسطى كانوا أساتيذ الاوربيين ، وكان الواحد من هؤلاء إذا تخرج على العرب تباهى بذلك بين قومه

سبب تأخر أوربة الماضى ونهضتها الحاضرة

أفنجعل هذا التأخر الذي كان عليه الاوربيون في القرون الوسطى مدة الف سنة ناشئا عن النصرانية التي كانت دينهم الذي يعضون عليه بالنواجذ ؟

نعم ، ان الامم البروتستانية منهم تجعل مصدر هذا التأخر الكنيسة البابوية لا النصرانية من حيث هي . وتزعم ان نهضة أوربة لم تبدأ إلا بخروج (لوثير ، و كلفين) على الكنيسة الرومانية .

واما فولتير ومن في حزبه من أقطاب الملاحدة فلا يفرقون كثيراً بين الكاثوليك والبروتستانت ، وعندهم ان جميع هذه العقائد واحدة وانها عائقة عن العلم والرقي ، ولهذا قال فولتير تلك الكلمة عندما ذكر لديه لوثير ، وكلفين ، قال : «كلاهما لا يصلح ان يكون حذاء لمحمد » يريد ان ان محمداً (ص) بلغ من الاصلاح مالم يبلغا أدناه ، مع اعتقاد الكثيرين ان مذهبهما كان فجر أنوار اوربة[1] والحق الذي لا ارتياب فيه ان النصرانية نفسها لم تكن هي المسؤولة عن

---

(١) ونحن نعتقد هذا وكان شيخنا الاستاذ الامام واذكياء مريديه كسعد باشا زغلول يعتقدونه ولكن بمعنى سلبي وهو ان هذا المذهب اضعف حجر الكنيسة على العقول البشرية وتقييدها بتعاليمها وفهمها للدين ورأيها في الدنيا ، وكان سبب هذا المذهب ماسرى الى اوربة عقب الحروب الصليبية بمعاشرة المسلمين من استقلال العقل في فهم الدين وعدم سيطرة احد عليهم فيه كما بينه شيخنا في كتاب الاسلام والنصرانية

جهالة الافرنج المسيحيين مدة الف سنة في القرون الوسطى بل للمسيحية الفضل في تهذيب برابرة اوربة

وهؤلاء اليابانيون هم وثنيون . ومنهم من هم على مذهب بوذا . ومنهم من يقال لهم طاويون ، وكثيرون منهم يتبعون الحكيم الصيني كنفوشيوس . ولقد مضى عليهم نحو الفي سنة ولم تكن لهم هذه المدنية الباهرة ولا هذه القوة والمكانة بين الامم . ثم نهض اليابان من نحو ستين سنة وترقوا وعزوا وغلظ أمرهم، وعلا قدرهم، وصاروا إلى ما صاروا اليه ولم يبرحوا وثنيين

فلا كانت الوثنية إذاً سبب تأخرهم الماضي ، ولا هي سبب تقدمهم الحاضر ، وقد تفاوت اليابان والروسية وتحاربتا فتغلبت اليابان على الروسية. مع ان اليابانيين في العدد هم نصف الروس ، ولكن مما لا شك فيه ان اليابانيين ارقى من الروس ، والحال ان الروسية عريقة في النصرانية واليابان عريقة في الوثنية

فليترك اذاً بعض الناس جعل الاديان هي المعيار للتأخر والتقدم (١) أفنقول من أجل هذا المثال: ان الانجيل هو الذي أخر الروسية عن درجة اليابان ، وان عبادة الالهة ابنة الشمس هي التي جذبت بضبع اليابان حتى سبقت الروسية؟

ان لهذه الحوادث أسباباً وعوامل متراكمة ترجع الى أصول شتى فاذا تراكمت هذه العوامل في خير أو شر تغلبت على تأثير الاديان والعقائد ، وأصبحت فضائل أقوم الاديان عاجزة بازاء شرها ، كما أصبحت معايب أسخفها غير مؤثرة في جانب خيرها

ولسنا هنا في صدد أسباب تقدم اليابان السريع حتى نبين ان اعتقاد عامتهم « وجود حصان مقدس يركبه الاله فلان » لم يقف حائلا دون تقدمهم المبني على ما ركب في فطرتهم من الحماسة ، وما أوتوا من الذكاء ، وما أورثهم نظام الاقطاع القديم من التنافس في المجد والقوة

وعندنا أمثلة كثيرة لا تكاد تحصى في هذا الباب اجتزأنا منها بما ذكرناه . ولم نكن لنتعرض لهذا المقام لولا حملات القسوس والمبشرين وكثير من الاوربيين

(١) هذا صحيح في جملة الاديان الا الاسلام فقرآنه وتاريخه يثبتان انه هو سبب تقدم أهله حين اهتدوا به وسبب تأخرهم حين أعرضوا عنها ، فأظلم الظلم أن تجعل سبب تأخرهم

على الاسلام ، وزعمهم انه هو عنوان التأخر ، وانه رمز الجمود ، وتحدثهم بذلك في الاندية والمجامع ، ونشرهم هذه الافتراءات في المجلات والجرائد ، وقولهم ان الشجرة تعرف من ثمارها ، وان حالة العالم الاسلامي الحاضرة هي نتيجة جمود الاسلام ، وتحجر القرآن ! (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا)

وحسبك أن المسيو « سان المقيم الافرنسي السامي » في المغرب ينشر في العدد الاخير من « مجلة الاحياء » الافرنسية مقالة يتكلم فيها عن يقظة المغرب بعد « ليل الاسلام » ! هكذا تعبيره

فان كان تأخر إحدى الممالك الاسلامية حقبة من الدهر يجب أن يقال فيه « ليل الاسلام » فكم كان ليل النصرانية طويلا عند مابقيت أوربة المسيحية زهاء ألف سنة وهي في حالة الهمجية او ما يقرب من الهمجية

لماذا أيها الناس تدخلون الاديان فيما هي براءة منه ؟ ولماذا تقحمونها في موضوع يكذبكم فيه التاريخ بأماثيله الجمة

ان ادخال الاديان في هذا المعترك وجعلها هي معيار الترقي والتردي ليس من النصفة في شيء

حث القرآن على العلم باعث للمسلمين على سبق الامم فى الرقى

والعالم الاسلامي يمكنه النهوض والرقي واللحاق بالامم العزيزة الغالبة اذا أراد ذلك المسلمون ووطنوا أنفسهم عليه . ولا يزيدهم الاسلام إلا بصيرة فيه وعزما . ولن يجدوا لانفسهم حافزاً على العلم والفن خيراً من القرآن الذي فيه (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) والذي فيه : (وزاده بسطة في العلم) والذي فيه : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) والذي فيه : (شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) والذي فيه : (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) والذي فيه : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات) والذي فيه : (ويعلمهم الكتاب والحكمة) وفيه : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً

كثيراً) وفيه : (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) وغير ذلك من الآيات الكريمة ، وفيه ماهو خاص بالامة العربية: (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

وقد زعم بعضهم ومن جملتهم (سيكار) هذا الذي بالمغرب الذي الف في الطعن على الاسلام ، والذي يكتب في مجلة « مراكش الكاثوليكية » أن المراد بلفظة « العلم » في القرآن هو العلم الديني ولم يكن المقصود به العلم مطلقاً لنستظهر به على قضية تعظيم القرآن للعلم وايجابه للتعليم . وقد أتى سيكار من المغالطة في هذا الباب ما لا يستحق أن يرد عليه لما فيه من المكابرة في المحسوس . وكل من تأمل في مواقع هذه الآيات المتعلقة بالعلم وبالحكمة وغيرها مما يحث على السير في الارض والنظر والتفكر يعلم أن المراد منا بالعلم هو العلم على اطلاقه متناولا كل شيء ، وأن المراد بالحكمة هى الحكمة العلمية المعروفة عند الناس، وهي غير الآيات المنزلة والكتاب كما يدل عليه العطف وهو يقتضي المغايرة . ويعزز ذلك الحديث النبوي الشهير : « اطلبوا العلم ولو في الصين » (١) . فلو كان المراد بالعلم هو العلم الديني كما زعم سيكار ما كان النبي ﷺ يحث على طلبه ولو في الصين اذ أهل الصين وثنيون لا يجعلهم النبي مرجعاً للعلم الديني، كما لا يخفى .

وفي بعض الآيات من القرائن اللفظية والمعنوية مايقتضي أن المراد بالعلم علم الكون لانه في سياق الخلق والتكوين وهي في القرآن أضعاف الآيات في العبادات العملية كالصلاة والصيام كقوله تعالى (٣٩ : ٢٧ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها . ومن الجبال جدد بيض وحمر ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء بما ذكر في الآية من الماء والنبات والجبال وسائر المواليد المختلفة الالوان وما فيها من أسرار الخلق لا العلماء بالصلاة والصيام والقيام

(١) تتمته « فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه العقيلي وابن عدي والبيهقي وابن عبد البر عن أنس وفيه عند الاخير زيادة أخرى في فضل العلم

وقد كنا ظننا هذا الرجل على شيء من حب الحقيقة ، فلما أنكر المدنية الاسلامية رددنا عليه في المنار وجادلناه بالتي هي أحسن ، وعظما من قدر المدنية المسيحية ، ووقرنا منها ورددنا على القائلين من الاوربيين بأن النصرانية كانت وقفاً لسير المدنية وسبباً لسقوط اليونان والرومان إلى غير ذلك فكان من سيكار هذا أن نشر سلسلة مقالات تتضمن من الطعن على الاسلام مالوجئنا نرده لم نستغن عن إيراد شبه واعتراضات تتعلق بالدين المسيحي مما نأبى أن نتعرض له لانه ليس من العدل ولا من الكياسة ولا من حسن الذوق أن نغيظ إخواننا المسيحيين من أجل رجل إسمه سيكار او غيره من هذه الطبقة من الدعاة والمبشرين . هذا زائداً إلى ما رأيناه في كلامه من الخلط والخبط والمغالطة التي من قبيل قوله : ان العلم المقصود في القرآن ليس هو العلم المعروف عند الناس بمفهومه المطلق وإنما هو العلم الديني فقط لأن القرآن لا يهمه شيء من علوم الدنيا ! فكابر كهذا لا يستحق الجواب .

ثم علمنا أن المسيو سيكار هذا هو من مستخدمي فرنسة في الرباط بادارة الامور الاسلامية وانه هو والمسيو لويس برينو مدير التعليم الاسلامي هناك . والقومندان ماركو مدير قلم المراقبة على الجرائد والمطبوعات - والقومندان ماري مستشار العدلية الاسلامية - ورهطا آخرين هم الذين لعبوا الدور الاهم في قضية العمل لتنصير البربر . وما كان استخدام فرنسة لهم في مهمات كلها عائدة للاسلام إلا على نية نقض كل ما يقدرون عليه من بناء الاسلام بالمغرب . وستذوق فرنسة ولو بعد حين وبال ما عملته وتعمله من التعرض للدين الاسلامي الذي تعهدت في معاهداتها باحترامه .

كلمة لطلاب النهضة القومية دون الدينية

يقول بعض الناس (١) ما لنا وللرجوع الى القرآن في ابتعاث همم المسلمين إلى التعليم فان النهضة لا ينبغي أن تكون دينية بل وطنية قومية كما هي نهضة

---

(١) أي من ملاحدة المسلمين الجاهلين أو المتجاهلين لحال أوربة في عصبيتها الدينية

أهل أوربة ، ونجيبهم إن المقصود هو النهضة سواء كانت وطنية أم دينية[1] على شرط أن تتوطن بها النفوس على الخب في حلبة العلم . ولكننا نخشى إن جردناها من دعوة القرآن ، أن تفضي بنا إلى الالحاد والاباحة ، وعبادة الابدان ، واتباع الشهوات ، مما ضرره يفوت نفعه . فلا بد لنا من تربية علمية سائرة جنباً إلى جنب مع تربية دينية ، وهل يظن الناس عندنا في المشرق أن نهضة من نهضات أوربة جرت بدون تربية دينية ؟

أفلم يقل رئيس نظار ألمانية في الرايستاغ منذ ثلاث سنوات : ان ثقافتنا مبنية على الدين المسيحي . وهذا هو اعلان ألمانية التي هي المثل الأعلى في العلم والصناعة واتقان الآلات والادوات ، لا ينازع في ذلك أحد ولا أعداؤها

أفتوجد جامعة في ألمانية او انكلترة او غيرهما من هذه الممالك الراقية بدون أن يكون فيها علم اللاهوت المسيحي ؟[2]

ثم انهم عندما يقولون في اوربة « نهضة وطنية » او « نهضة قومية » او جامعة وطنية ، او « قومية » لا يكون مرادهم بالوطن التراب والماء والشجر والحجر . ولا بالقوم السلالة التي تتحدر كلها من دم واحد . وانما الوطن والقوم عندهم لفظتان تدلان على وطن وامة بما فيهما من جغرافية وتاريخ وثقافة وحرث وعقيدة ودين وخلق وعادة مجموعا ذلك معاً ، وهذا الذي يناضلون عنه ويستبسلون كل هذا الاستبسال من أجله

خلاصة الجواب أن المسلمين ينهضون بمثل ما نهض به غيرهم

إن الواجب على المسلمين لينهضوا ويتقدموا ويعرجوا في مصاعد المجد ويترقوا كما ترقى غيرهم من الامم هو الجهاد بالمال والنفس الذي أمر به الله في قرآنه مراراً عديدة وهو ما يسمونه اليوم « بالتضحية »

فلن يتم للمسلمين ولا لأمة من الامم نجاح ولا رقي إلا بالتضحية

وربما كان الشيخ محمد بسيوني عمران أو غيره من السائلين عن رأينا في

«١» والمسؤول عنه هو نهضة المسلمين من حيث هم مسلمون «٢» وهذا بعد التربية المنزلية الدينية المحض والتربية المدرسية الابتدائية وجلها دينية

هذا الموضوع قد ظن أني سأجيبه ان مفتاح الرقي هو قراءة نظريات « اينشتين » في النسبية مثلا أو درس أشعة « رونتجين » أو ميكروبات « باستور » أو التعويل في اللاسلكي على التموجات الصغيرة دون الكبيرة أو درس اختراعات « اديسون » وان سبب حادثة المنطاد الانكليزي الذي سقط أخيراً واحترق هو كونه لم ينفخ بالهليوم وانما نفخ بالهيدروجين ، والحال ان الهيدروجين - وان كان أخف في الوزن - قابل للاشتعال ، وانه لاخوف من اشتعال الهليوم وان كان أثقل شيئا من الهيدروجين - وما أشبه ذلك

والحقيقة أن هذه الامور انما هي فروع لا أصول ، وانها نتائج لا مقدمات ، وأن « التضحية » أو الجهاد بالمال وبالنفس هو العلم الأعلى . فاذا تعلمت الامة هذا العلم وعملت به دانت لها سائر العلوم ، ودنت جميع القطوف

وليس بضروري أن يكون صاحب الحاجة عالما بعملها حتى يكون عالما بالاحتياج اليها . قال لي مرة حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني :

« ان الوالد الشفيق يكون من أجهل الجهلاء ، فاذا مرض ابنه اختار له أحذق الاطباء ، وعلم ان هناك شيئا نافعا هو العلم لا يعلم هو شيئاً منه ، ولكنه يعلم بسائق حرصه على حياة ابنه انه ضروري »

ولم يكن محمد علي عالما وربما كان أمياً، ولكنه بعث مصر من العدم إلى الوجود في زمن قصير ، وصيرها في زمانه من الدول العظام بسائق هذا العلم الاعلى الذي هو الارادة ، وهو الذي يبعث صاحبه إلى التفتيش عن العلوم وحمل الامة عليها

فالمسلمون يمكنهم إذا أرادوا وجردوا العزائم وعملوا بما حرضهم عليه كتابهم أن يبلغوا مبالغ الاوربيين والامريكيين واليابانيين من العلم والارتقاء ، وان يبقوا على اسلامهم كما بقي اولئك على أديانهم ، بل هم اولى بذلك واحرى . فان اولئك رجال ونحن رجال ، وانما الذي ينقصنا الاعمال ، وانما الذي يضرنا هو التشاؤم والاستخذاء وانقطاع الآمال . فلننفض غبار اليأس ولنتقدم إلى الامام ، ولنعلم اننا بالغو كل أمنية بالعمل والدأب والاقدام ، وتحقيق شروط الايمان التي في القرآن (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) شكيب أرسلان

أنباء العالم الإسلامي

﴿ مولانا محمد علي الزعيم الهندي: وفاته ودفنه ﴾

محمد علي وشقيقه شوكت علي زعيمان من زعماء مسلمي الهند السياسيين، وأولي الشخوص البارزة وأصحاب اللسن والبيان الخطابي والكتابي فيهم، وهما المؤسسان لجمعية الخلافة هنالك، وشهرتهما الواسعة تغني عن تعريفهما ووصفهما وقد سافرا مع وفود من أمراء الهند وزعمائها الى لندن في هذا العام لعقد مؤتمر منهم ومن كبار رجال الحكومة البريطانية للنظر في مشكلة الهند التي تفاقم امرها، وتعذر على الدهاء الانكليزي حل عقدها، وعقد هنالك المؤتمر وعبر عنه (بمؤتمر المائدة المستديرة) وكان مما قاله محمد علي لرجال الحكومة البريطانية: إننا خرجنا من وطننا منبوذين من أمتنا بالاتحاد اليكم، فاذا لم تجيبونا الى مايرضيها من الاستقلال فاننا لانستطيع أن نعود الى بلادنا، وأنا أوطن نفسي على الموت هنا — او ماهذا معناه

وقد كان من قضاء الله وقدره أن اشتد عليه المرض الذي كان عرض له قبل السفر اوفي اثنائه فتوفي هنالك في شهر شعبان الماضي رحمه الله تعالى، وكان معه اهل بيته . فعزم شقيقه (مولانا شوكت علي) على نقله الى الهند ليدفن فيها، ولكنه مالبث ان جاءته برقية من السيد محمد امين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي فيها يدعوه بها الى دفن شقيقه في حجرة من الحجر التابعة للمسجد الاقصى الذي كان يدافع عنه، فتلقى ذلك هو وأسرة اخيه بالقبول والشكر، وكانوا قد حنطوا الجثة ، وضعوها في صندوق محكم — فسافروا بها حتى اذا مابلغت الباخرة بهم ثغر بور سعيد وجدوا وفوداً كثيرة من مصر وفلسطين تنتظرهم، ووجدوا الحكومة المصرية قد اعدت جميع وسائل الراحة والضيافة لهم وللوجهاء الذين جاؤا بورسعيد لاستقبالهم ثم لسفرهم الى القدس الشريف ..

وقد تفضل صاحب الجلالة ملك مصر فأصدر امره بتعزيتهم، وأوفد صاحب الدولة رئيس حكومته مندوبا من قبله للتعزية ، وكذلك صاحب الدولة مصطفى باشا النحاس رئيس الوفد المصري . وكان ممن حضر بورسعيد لاستقبالهم صديقهم رئيس جمعية الشبان المسلمين ومندوب جمعية الرابطة الشرقية وكثير من الوجهاء

تناولوا مع بعض الوجهاء المستقبلين طعام الافطار على مائدة محافظ الثغر بضيافة الحكومة المصرية وباتوا ليلتهم وسافروا في اليوم التالي الى القدس مع كثير من المشيعين ، وكانوا يجدون في كل محطة من محطات السكة الحديدية في فلسطين جماهير المسلمين تعزيهم بادية الحزن والكدر ، حتى اذا ما بلغوا محطة القدس وجدوا فيها ألوفا من اهلها وأهل البلاد التابعة لها وفيهم كثير من النصارى ولكن ليس فيهم احد من اليهود الذين ساءهم دفن هذا الزعيم بجوار المسجد الاقصى الذي كان يدافع عنه وعن حقوق المسلمين في هذه البلاد التي يحاول هؤلاء اليهود انتزاعها منهم . ثم حمل نعش الفقيد الى المسجد الاقصى وكان اليوم يوم الجمعة (٤ رمضان المعظم) فصلي عليه صلاة الجنازة بعد صلاة الجمعة فحضرها ألوف كثيرة وكان يوما مشهوداً من ايام التاريخ التي تؤثر وتدون ، وأبن الفقيد كثير من الخطباء والشعراء وقد اشتركت حكومة فلسطين البريطانية في الاحتفال بجنازة الزعيم بما يليق بها وبمركزه ، وكان اقتراح رئيس المجلس الاسلامي الاعلى مستحسنا ومرضياً عند حكومة لندن وهي التي امرت حكومة فلسطين بالقيام بما يليق بها

وعسى أن لا يعقب دفن الزعيم الهندي في هذا المكان القدسي شيئا آخر من بدع القبور المعروفة فيكون إثمه الديني أكبر من نفعه السياسي

وقد اعد صاحب السماحة المفتي ورئيس المجلس الاسلامي موائد الفطر في ذلك اليوم لأسرة الفقيد المرحوم وللمشيعين للجنازة من مصر وكثير من غيرها ، وظلت رسائل التعزية البرقية والبريدية تمطر الزعيم شوكت علي عدة ايام والجرائد المصرية والفلسطينية والسورية تفيض انهارها بوصف الجنازة وأخبارها .

ورسائل التعزية وأشعارها، ثم شاركتها في ذلك جرائد العراق وتونس وغيرها، ويعلم قراء المنار ما كان من الخلاف بيني وبين الزعيمين في مسألة الحجاز، ولكن يعلمون ما كان بيننا من التعارف وما بيني وبين المرحوم ، عفا الله عنا وعنه من عهد الاخوة الخاصة ، وعليهم ان يعلموا ذلك من الكتاب الآتي

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد رضا صاحب منار الاسلام

الى الاخ الكبير ، والزعيم الشهير ، والاستاذ النحرير ، مولانا شوكت علي حفظه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : اما بعد فانني أعزيكم مع المعزين باسم الجامعة الاسلامية ، وأعزيكم مع المعزين باسم الامة العربية ، وأعزيكم مع المعزين باسم الرابطة الشرقية ، وأعزيكم تعزية خاصة شخصية عن اخيكم وأخي في العهد الاسلامي الخاص بي وبه ، الذي عقدناه في جوف بيت الله الحرام حيث اشتركنا في غسل أرضه وجدره بماء زمزم وماء دموعنا ، وتطييبها بعطر الورد ، هنالك تعاقدنا وتعاهدنا على اخوة الاسلام ومودته والقلوب خافقة، والدموع متشابكة

ان أكبر عزاء لكم بعد الايمان ، والتسليم بقضاء الديان ، هذه الالوف الكثيرة التي جاءتكم من مختلف البلدان ، تشارككم في رزئكم وتعده مصابا لها في ملتها وقوميتها ، وان وفاة شقيقكم وجنازته ودفنه بجوار المسجد الاقصى الذي كان يدافع معكم عنه قد كانت خاتمة حسنة في خدمة الاسلام توثقت بها الجامعة الاسلامية العامة ، والعربية الهندية خاصة ، تحفظ له الذكر الخالد ، والمجد الطريف التالد ، فنسأل الله تعالى ان يطيل لها بقاءكم ، ويديم توفيقكم ، وينفع بكم اهل ملتكم ووطنكم ، والسلام من اخيكم الداعي محمد رشيد رضا

شوكت علي في الامصار العربية

رأى (مولانا شوكت علي) بعد الانتهاء من تقبل رسائل التعازي في القدس الشريف ان يزور قواعد الامصار العربية التي اشتركت في تشييع جنازة اخيه

وتأبينه وتعزيته عنه، فزار عمان فمصر فبيروت فدمشق فبغداد فالبصرة، وسافر منها الى الهند وقد تلقاه المسلمون في كل بلد بالحفاوة وحسن الضيافة، ورغبت اليه الجماعات في كل منها بأن يلقي فيها بعض الخطب والنصائح، بما له من الخبرة والتجارب، فتقبل طلبها بقبول حسن، وألقى في كل من مصر وبيروت ودمشق وبغداد خطبا (او محاضرات) بعضها على الرجال وبعضها على النساء، كان لها احسن تأثير، وأثنت عليها الجماهير، وتبارت في حديثها الصحف، وقد سرنا انه حث في كل منها على التربية الدينية الاسلامية والاعتصام بكتاب الله القرآن، وسنة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد انفرد بهذه النصائح الثمينة دون امثاله من رجال السياسة، وأيم الله ان أهل هذه البلاد الاسلامية لأحوج اليها من كل مايلقيه فيها زعماء السياسة، ومؤسسو الجمعيات والاندية على النساء والرجال

ويلي هذه النصيحة في الفائدة تحذيره النابتة الجديدة من تقليد الافرنج في أزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم، وإقناع الشبان المفتونين بهذه المظاهر بضررها القومي والسياسي. ومما قاله في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة انه هو تربى وتعلم في البلاد الانكليزية وتخرج في مدرسة أكسفورد الجامعة، وعاد الى الهند متفرنجا في زيه وهيئته وأكله وشربه، وأثاث داره، واقاه زواره، وكان يظن ان هذا يقربه إلى الانكليز الحاكين في بلاده زلفى، ويزيده عندهم وداً، ولكنه لم يزده إلا امتهانا منهم وبعداً، فاستيقظ من رقدته، وتنبه من غفلته، وعاد إلى شارات قومه وشعائر ملته، فاضطروا الى احترامه ومراعاة كرامته

ولقد كافأ الزعيم الكريم اخوانه من مسلمي هذه البلاد العربية على تكريمهم له وتعظيمهم إياه وتعزيته في مصابه أفضل المكافأة بهذه النصائح الثمينة التي مهدت تلك الحفاوة والاطراء السبيل لاستماع الجماهير لها والتأمل فيها

ولم يكن هذا الزعيم غافلا في نصائحه الاسلامية عن مراعاة الحقوق الوطنية والتعاون بين المسلمين وغير المسلمين من المشاركين لهم في وطنهم بل اعطى هذه المسألة المهمة حقها في كل مكان، الا انه جزم بأن الاتفاق بين العرب واليهود الصهيونيين في فلسطين هو وراء حدود الإمكان.

السيد أمين الحسيني

لا جرم أن الفضل الأول في هذه الحركة الجديدة من أطوار الجامعتين الاسلامية والشرقية للزعيم العربي الاسلامي الحازم السيد محمد أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى لفلسطين . فأتى فيها تدبيره ، باقصى ماقدر لها تفكيره ، فعلت بهامكانته في البلاد العربية والهندية وغيرها، على حين لم يظهر في البلاد العربية التي رزئت بالعدوان الأوربي المسمى بالانتداب زعيم اسلامي سياسي غيره لا من بيوتات العلم الديني وشرف النسب كبيته ولا من سائر البيوت العربية ، وانما وجد في سورية والعراق افراد من وجهاء الوطنيين المدنيين يجاهدون عدوان الاستعمار الاجنبي والأمة تشد أزرهم، ويستعين الاجانب عليهم بصنائعهم من منافقي البلاد يرفعونهم الى مناصب الحكومة لاخلاصهم لهم

صدر أولئك الاجانب المعتدون على استقلال البلاد العربية افرادا منها ليكونوا اعوانالهم على رسوخ اقدامهم فيهافتصدروا وخدموا مصدريهم بمناصبهم وانما صدر امينا جده وجده فكان مجاهداً للنفوذ الاجنبي الصهيوني ناصراً للقومية العربية وحقوقها الوطنية ،حتى فكر خصومه وخصومها اخيرا في الالتجاء الى بعض اصحاب الالقاب الكبيرة من متصدري الاجانب ليشتروامنهم شرق الاردن وماألحقوابها من الحجاز بتكبير اللقب وتوسيع دائرة الملك اللفظي . وان كان صوريا وهميا، وسنرى مايكون من عاقبة ذلك . وقى الله الاسلام والعرب شره

اقتراح انشاء مدرسة جامعة اسلامية في القدس

اتفق السيد محمد امين الحسيني مع الزعيم شوكت علي على السعي في العالم الاسلامي لانشاء مدرسة عربية إسلامية جامعة في القدس الشريف لتقوية الاسلام والعرب فيها تجاه الخطر الصهيوني والمدارس اليهودية في فلسطين، وهذه فكرة عالية كبيرة يجب التمهيد لها قبل كل شيء بوضع نظام لجمع المال الكثير الذي يتوقف عليه الشروع فيها بحيث يكون مضمونا لا ريب فيه ، وتكون الثقة بالمشروع لامراء فيها.

مسيح الهند القادياني الدجال

(٣)

(٢) نسخه للجهاد خدمة للانكليز

لقد كان رد المنار على هذيان القادياني الدجال كشهاب ثاقب أتبعه ، فخلب عقله وخبله ، وأبكاه وململه ، وكان نوراً مضيئاً لعلماء الهند وأصحاب الصحف المنشرة فبادروا إلى نشره بالنص وبالترجمة ، فبعثه ذلك على الرد عليه بكتابه الذي سماه (الهدى والتبصرة لمن يرى) فتخبط فيه تخبط المصروع ، وتململ تململ المسوع ، فجاء بما لا يسمن ولا يغني من جوع ، بل يظل المتغذي به في جوع وبقوع وهقوع ، تارة يمدح وأخرى يذم ، وطوراً يفترض ويظن وآنا يجزم ، وان من المرعى مايقتل حبطا أو يلم ، فلفق وحيه الشيطاني في الرد علي ، وأمواج الشكوك تتقاذفه في سبب ردي عليه ، واني أبدأ الكلام في مسألة الجهاد ، بعبارته في سياق هذا التردد والترداد وهذا نصه :

«ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات أن من الممكن أن يكون مدير المنار بريئاً من هذه الالزامات ، ويمكن أنه ما عمد إلى الاحتقار والنطح كالعجماوات بل أراد أن يعصم كلام الله من صغار المضاهات *) وانما الاعمال بالنيات . فان كان هذا هو الحق فلا شك أنه ادخر لنفسه بهذه المقالات كثيراً من الدرجات فان حب كلام الله يدخل في الجنة ويكون عاصما كالجنة ، وأي ذنب على الذي سبني لحماية الفرقان ، لا للاحتقار وكسر الشان ، ونحا به منحى نصرة الدين ، لا لظى التحقير والتوهين . وهل هو في ذلك إلا بمنزلة حماة الاسلام ، والداعين إلى

*) حاشية وأظن انه استشاط من منع الجهاد ووضع الحرب والسيوف الحداد ان الوقت وقت اراءة الايات لازمان سل المرهفات ولا سيف الا سيف الحجج والبينات فلا شك ان الحرب لاعلاء الدين في هذه الاوقات من اشنع الجهلات ولا اكراه في الدين كما لا يخفى على ذوي الحصاة - منه

عزة كلام الله العلام ، الذي هو ملك الكلام ، والله يعلم السر وما أخفى ، ولكل امريء مانوى » اه

ثم عقد في الكتاب فصلا في ذم علماء زمانه لانهم لم يؤمنوا بانه المهدي والمسيح المنتظر قال فيه مانصه :

« وقد أمروا أن يتبعوا الحكم الذي هو نازل من السماء ، ولا يتصدوا له بالمراء ، فما أطاعوا أمر الله الودود ، بل اذا ظهر فيهم المسيح الموعود فكفروا به كأنهم اليهود . وقد نزل ذلك الموعود عند طوفان الصليب ، وعند تقليب الاسلام كل التقليب ، فهل اتبع العلماء هذا المسيح ؟ كلا بل أكفروه وأظهروا الكفر القبيح ، وأصروا على الاباطيل وخدموا القسوس ، فأخذهم القسوس وشجوا الرءوس وأذاقوهم مايذيقون المحبوس ، فرأوا اليوم المنحوس

« سيقول السفهاء أن الدولة البريطانية أعانت القسيسين ونصرتهم بحيل تشابه الجبل الركين ، لينصروا المسلمين فما جريمة العالمين ، والامر ليس كذلك والعلماء ليسوا بمعذورين ، فان الدولة مانصر القسوس بأموالها ولا بجنود مقاتلين وما أعطتهم حرية أزيد منكم ليرتاب من كان من المرتابين ، بل أشاعت قانونا سواء بيننا وبينهم ولها حق عليكم لو كنتم شاكرين

« أتريدون أن تسيئوا إلى قوم هم أحسنوا اليكم والله لا يحب الكفارين الغامطين ومن احسانهم أنكم تعيشون بالامن والامان ، وقد كنتم تخطفون من قبل هذه الدولة في هذه البلدان .

« وأما اليوم فلا يؤذيكم ذباب ولا بقة ولا أحد من الجيران ، وان ايلدكم أقرب إلى الأمن من نهار قوم خلت قبل هذا الزمان ، ومن الدولة حفظة عليكم لتعصموا من اللصوص وأهل العدوان ، وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان . انا رأينا من قبلها زمانا موجعاً من دونه الحطمة ، واليوم بجنتها عرضت علينا الجنة نقطف من ثمارها ، ونأوي إلى أشجارها ، ولذلك قلت غير مرة ان الجهاد ورفع السيف عليهم ذنب عظيم ، وكيف يؤذي المحسن من هو كريم ، ومن أذى محسنه فهو لئيم » (للكلام بقية)

المنار
أنشئ ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومناراً» كمنار الطريق

٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ ٢١ الثور سنة ١٣١٠ هـ ش ١٧ مايو سنة ١٩٣١

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

(١٠٣) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٤) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٥) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

هذه الآيات الثلاث في بيان فوائد صدقة الاموال ومنافعها، والحث عليها،

وعلى التوبة لمن قصر في الجهاد في سبيل الله بما له ونفسه، أو في غير ذلك من أمور دينه. وفي الحث على العمل، وكونه هو الذي عليه المعول.

أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة ان أبا لبابة وأصحابه جاؤا رسول الله ﷺ حين أطلقوا فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال «ما امرت أن آخذ من أموالكم شيئا» فأنزل الله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وأخرج مثله عنه من طريق محمد بن سعد عن آبائه وزاد: فلما نزلت هذه الآية اخذ رسول الله ﷺ جزءاً من أموالهم فتصدق بها عنهم. وله في سبب النزول روايات اخرى. وهذا النص حكمه عام وإن كان سببه خاصاً، عام في الآخذ يشمل خلفاء الرسول من بعده ومن بعدهم من أئمة المسلمين، وفي المأخوذ منهم وهم المسلمون الموسرون، قال العماد ابن كثير: وهذا عام وإن عاد الضمير في (أموالهم) إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا. ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الامام لايكون وإنما كان هذا خاصا بالرسول ﷺ واحتجوا بقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية. وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد ابو بكر الصديق وسائر الصحابة (رض) وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ حتى قال الصديق: والله لو منعوني عناقا — وفي رواية عقالا — كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه اه. وهذا مشهور في الصحاح والسنن والسير ومجمع عليه، وهاك معنى الآية:

﴿خذ من اموالهم صدقة﴾ أي خذ أيها الرسول من أموال من ذكر، ومن سائر اموال المؤمنين — على اختلاف انواعها، ومنها مال التجارة — صدقة معينة كالزكاة المفروضة أو غير معينة وهي التطوع — فالصدقة ماينفقه المؤمن قربة لله كما تقدم في نفقة مؤمني الاعراب ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ أي تطهرهم بها من دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء البائسين وما يتصل بذلك من الرذائل، وتزكي أنفسهم بها اي تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية،

حتى تكون بها اهلا للسعادة الدنيوية والاخروية . فالمطهر هنا الرسول والمطهر به الصدقة . والتزكية صيغة مبالغة من الزكاء، وهو نماء الزرع ونحوه ، قال في مجاز الاساس: رجل زكي زائد الخير والفضل بيّن الزكاء والزكاة (وحنانا من لدنا وزكاة) اه

والتزكية للأنفس بالفعل تسند الى الله تعالى، لانه هو الخالق المقدر الموفق للعبد لفعل ما تزكو به نفسه وتصلح قال تعالى (٢٤ : ٢٠ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابداً ولكن الله يزكي من يشاء) وتسند الى الرسول ﷺ لانه هو المربي للمؤمنين على ما تزكو به أنفسهم ويعلو قدرها بسنته العملية والقولية في بيان كتاب الله وما لهم فيه من الاسوة الحسنة ومنه هذه الآية وقال تعالى (٦٢ : ٢ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) فتزكيته ﷺ الامة من مقاصد البعثة [1] وتسند الى العبد لكونه هو الفاعل لما جعله الله سببا لطهارة نفسه وزكائها كالصدقات وغيرها من أعمال البر ومنه قوله تعالى (٩١: ٩ قد افلح من زكاها (١٠) وقد خاب من دساها) وقوله (٨٧: ١٤ قد افلح من تزكى (١٥) وذكر اسم ربه فصلى) وأما قوله تعالى (٤: ٤٨ ألم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء) وقوله (٥٣: ٣٢ فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى) فهو في زكاء النفس بدعوى اللسان، فالتزكية تطلق على الفعل المزكي وهو الاصل وعلى القول الدال عليه ومنه تزكية الشهود

﴿ وصلّ عليهم ان صلاتك سكن لهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص (صلاتك) بالمفرد أي جنسها والباقون (صلواتك) بالجمع وهو باعتبار جماعة المتصدقين . والصلاة اسم من صلى يصلي تصلية وقد هجر لفظ التصلية في الاسلام ومنه:

تركت الدنان وعزف القيان وأدمنت تصلية وابتهالا

ومعناها الاصلي الدعاء وهو المراد من الآية ، وسميت العبادة الاسلامية المخصوصة صلاة من تسمية الشيء بأهم أجزائه، فان الدعاء مخ العبادة وروحها . وقيل في التعليل غير ذلك . والصلاة من الله على عباده الرحمة والحنان ، ومن ملائكته

---

(١) راجع تفسير آية البقرة الثانية في هذا المعنى ص ٢٩ ج ٢ تفسير

الدعاء والاستغفار قال تعالى (٣٣ :٤٣ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما) ثم قال (٥٥ ان الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وصلاتنا على نبينا ﷺ دعاؤنا له بما أمرنا به في الصلاة بعد التشهد الاخير وما في معناه كقولنا في دعاء الاذان المأثور « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته » رواه الجماعة الا مسلما. والسكن ماتسكن اليه النفس وترتاح من اهل ومال ومتاع ودعاء وثناء

والمعنى ادع ايها الرسول للمتصدقين واستغفر لهم عاطفا عليهم إن دعاءك واستغفارك سكن لهم يذهب به اضطراب أنفسهم إذا أذنبوا ، وتطمئن قلوبهم بأن تقبل توبتهم إذا تابوا ، ويرتاحون إلى قبول الله صدقاتهم بأخذك لها، ووضعك إياها في مواضعها ﴿ والله سميع عليم ﴾ اي سميع لدعائك سماع قبول وإجابة ، عليم بما فيه من الخير والمصلحة ، فالمراد من السماع والعلم لازمهما . وسميع لاعترافهم بذنوبهم ، عليم بندمهم وتوبتهم منها ، وباخلاصهم في صدقتهم وطيب أنفسهم بها، فهو الذي يثيبهم عليها ، فجملة (ان صلاتك) تعليل للامر بالدعاء ، وتذييلها بالتذكير بسمع الله وعلمه إشعار بقبول الدعاء وقبول الطاعات والجزاء عليها ، وتصرح به الآية التالية

روى الشيخان من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال كان النبي ﷺ اذا أتاه قوم بصدقتهم قال « اللهم صل على فلان » فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » فقوله: بصدقته ، صريح في ان المراد بها زكاة الفريضة . وهو يدل على ان المراد بالآية صدقة الفريضة او مايعم الفريضة وغيرها ، وعلى أنه ﷺ كان مواظبا على هذا الدعاء ، ولذلك قيل ان الامر في الآية للوجوب وهو خاص به ﷺ وقال بعض الظاهرية بوجوب الدعاء على آخذي الزكاة من الأئمة أيضا ، والجمهور على انه مستحب لهم . وقد بوب البخاري للحديث بقوله: (باب صلاة الامام ودعائه لصاحب الصدقة ، وقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة - إلى قوله - سكن لهم) والجمهور على أن الدعاء بلفظ الصلاة خاص بدعائه (ص) لغيره

وبدعاء المسلمين له ، وقيد الاول بعض العلماء بما عدا هذا اللفظ الذي كان يدعو به للمتصدقين « اللهم صل على فلان » عند اعطاء الصدقة . وقد ثبت انه ﷺ كان يدعو بغيره أيضاً فقد روى النسائي من حديث وائل بن حجر انه ﷺ قال في رجل بعث بناقة حسنة في الزكاة « اللهم بارك فيه وفي ابله » وقال الشافعي : السنة للامام اذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول آجرك الله فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أبقيت .

والأفضل الجمع بين الصلاة والسلام عليه (ص) وعلى آله ، وأكثر المسلمين يخص بالسلام الانبياء والملائكة ، وكذا جماعة آل بيته ﷺ والشيعة يلتزمون السلام على السيدة فاطمة وبعلها وولديهما والائمة المشهورين من ذرية السبطين ويوافقهم كثير من اهل السنة وغيرهم في الزهراء والسبطين ووالدهما سلام الله ورضوانه عليهم

﴿ فصل في فوائد الزكاة المفروضة والصدقات والاصلاح المالي للبشر ﴾

وامتياز الاسلام بذلك على جميع الاديان

ماذكره الله تعالى من تطهير الصدقة للمؤمنين وتزكيتهم بها يشمل أفرادهم وجماعتهم ، فهي تطهر أنفس الافراد من أرجاس البخل والدناءة والقسوة والاثرة والطمع والجشع ، ومن أكل أموال الناس بالباطل من خيانة وسرقة وغصب وربا وغير ذلك ، فان الذي يتربى بالايمان على بذل بعض مافي يده أو ما أودعه في خزانته وصندوقه في سبيل الله ، ابتغاء مرضاته ومغفرة ذنوبه ورفع درجاته ، جدير بأن ينزه نفسه عن أخذ مال غيره بغير حق . وهذا التطهير لأنفس الافراد وتزكيتها بالعلم والعرفان ، والتقوى التي هي مجموع ثمرات الايمان ، يستلزم تطهير جماعة المؤمنين (ومايعبر عنه في عرف هذا العصر بالهيئة الاجتماعية) من أرجاس الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والبغي والعدوان والفتن والحروب

ذلك بأن الاموال قوام حياة الناس (١) وقطب الرحى لمعايشهم ومرافقهم العامة والخاصة ، وهم متفاوتون في الاستعداد للكسب والتثمير ، والاسراف

---

(١) قوام الشيء بالفتح والكسر عماده الذي يقوم به وينتظم ، وتقلب واو المكسور ياء جوازا ومنه « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما »

والتقتير، والقصد والتدبير، والجود والبخل، والتعاون على البر، فلا ينفك بعضهم محتاجا إلى بعض في كسب الرزق وفي إنفاقه، وأشدهم استعداداً لجمع الثروة الذين يغلب على طباعهم الحرص والبخل حتى على أنفسهم وأولي قرباهم، وبهذا يكون بعضهم فتنة — اي امتحانا — لبعض ومثاراً للتنازع والتخاصم كما قال تعالى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون؟) أي ذلك مقتضى سنته في تفاوت البشر في الاستعداد والاخلاق والاعمال. وقد بينا حكمة ذلك من قبل

ولما كان الدين مرشداً للبشر إلى تزكية أنفسهم وتقويم أخلاقهم بما تصلح به فطرتهم، ويرتقي به أفرادهم وجماعتهم — شرع الله فيه من الاحكام التعبدية والعملية مايقيهم شر هذه الفتنة، وينقذهم مما يترتب على إهمالها من المحنة، فأوجب على أصحاب الاموال من النفقات والصدقات، مايبدل سيئات الثروة في الاسلام حسنات، واننا لم نجد في كتب التفسير ولا كتب الفقه ولا دواوين التاريخ الاسلامي بيانا علميا لحكمة الشريعة في السياسة المالية وما انفردت به من الاصلاح المعقول فيها، وكنت عازما على شرح ذلك في تفسير هذه الآية فلما وصلت اليه وفكرت في أصول هذه المسألة وفروعها تبين لي أنه لايمكن تفصيل القول فيها الا بتأليف سفر مستقل ورأيت أن أكتفي هنا بايراد أهم الحقائق، التي تشير إلى عظم شأن هذه المسألة واصلاح الاسلام فيها فأقول:

ان اتساع دوائر العلوم والفنون والمصالح العامة في هذا العصر قد اضطرت الباحثين إلى انفراد بعض الافراد والجماعات للاخصاء في كل فرع من فروعها لتمحيص مسائلها والاحاطة بها بقدر الامكان، حتى ان الرجال الماليين لايستحقون هذا اللقب فيه إلا بعد إتقان عدة علوم منها، والتمرن بالعمل في بعض فروعها، واننا نرى بعض الاجتماعيين منهم يجزمون بان جميع الثورات والحروب السياسية والدينية ذات الشأن في تاريخ البشر قد كان المال سببها الصحيح، او أحد الاسباب المؤثرة فيها أشد التأثير، ولم يستثنوا من ذلك حروب اوربة الدينية ولا حروبها الصليبية للاسلام

بل نشر منذ سنتين كتاب عربي طبع في القدس موضوعه (الحركات الفكرية

في الاسلام) زعم مؤلفه (١) تابعا لبعض مؤرخي الافرنج ان الاسلام لم يكن فكرة دينية محضا بل كان مسألة اقتصادية واجتماعية أيضا ، او كان هذا هو الغرض الاول المقصود بالذات منه ولم يكن الدين الا وسيلة له . ونقل عن (كايتاني) المؤرخ الايطالي المشهور ان الاسلام لم يكن دينيا إلا في الظاهر ، وان جوهره كان سياسيا واقتصاديا (قال) « ومن فضل مؤسس الدين الاسلامي ومظاهر عبقريته انه أدرك مصدر الحركة الاقتصادية والاجتماعية التي ظهرت في أيامه بمكة عاصمة الحجاز ، وعرف كيف يستفيد منها ويسخرها لأغراضه السامية دينية كانت او اجتماعية » ثم بسط ذلك من طريق ظواهر التاريخ بما هو باطل في نفسه ، خادع ببعض مظاهره ، وما أظن ان الناقل عنه - وهو نصراني الديانة ، شيوعي السياسة - يعتقد اعتقاده هذا ، وانما يريد فيما يظهر نشر الشيوعية التي ابتدعها بلاشفة دولته الروسية في العرب ، وزلزلة العقائد الاسلامية في المسلمين ، وربما نجد فرصة للرد على كتابه في المنار ، وحسبي هنا أن أقول لو كان الاسلام كما ذكر لظهر أثره في أعلم الناس بحقيقته ، وأصدقهم في إقامة أركانه بالعلم والعمل ، وفي طليعتهم الخلفاء الراشدون ، والأئمة المجتهدون ، وقد قال عمر بن عبدالعزيز الجامع بين الامامتين في كتاب له الى بعض عماله الماليين « إن محمداً (ص) بعث هادياً ، ولم يبعث جابيا »

والحق ان الاسلام هو الدين الوسط ، الجامع بين مصالح الروح والجسد ، للسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، فهو وسط بين اليهودية المالية الدنيوية ، والنصرانية الروحانية الزهدية (٢) وان من مقاصده الاصلاحية في الاجتماع البشري هداية الناس إلى العدل والفضل في أمر المال ، ليكتفي الناس شر طغيان الاغنياء ، وذلة الفقراء ، ونصوص القرآن في هذا هي الغاية القصوى في الاصلاح ، وهي هادمة لمزاعم هؤلاء المفتاتين على الاسلام بالجهل والهوى ،

غلا عباد المال من اليهود والافرنج في جمعه واستغلاله واستعباد الالوف والوف الالوف من العمال الفقراء به ، بجعله دُولة بينهم ، وغلا خصومهم من

«١» هو بندلي جوزي السوري الروسي التابعية أحد أساتذة جامعة باكو الروسية

«٢» راجع تفسير (٢ : ١٤٣ وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ص٣ ج ٢ تفسير

الاشتراكيين في مقاومتهم ومحاولة جعل الناس فيه شرعا، وجعله بينهم حقا شائعا، فانتهى هذا الغلو بالشيوعية الروسية في عصرنا أن استعبدت أكثر من مائة الف من البشر تسخرهم في تنفيذ مذهبها كالانعام والدواب، ويخشى العقلاء من عاقبة هذا الاسراف والغلو من الجانبين حربا عامة طامة، وفتنة لاتصيبن الذين ظلموا منهم خاصة

ولا منقذ للامم من هذه الفتنة وعواقبها إلا بدين الاسلام - أعني بالتدين به والعمل بأحكامه المالية وغيرها، ولا يمكن التزامها بالعمل إلا باذعان الدين، وقد بدأ عقلاء الافرنج يشعرون بالحاجة إلى دين معقول يصلح بالتزامه فساد هذه المدنية المادية، ولن يجدوا حاجتهم إلا في دين القرآن، وسنة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، وأخشى ألا يهتدوا اليه الا بعد البطشة الكبرى، والطامة العظمى، وهي حرب التدمير المنتظرة من تنازع البلشفية والرأسمالية، وانني أذكر هنا أهم أصول الاصلاح الاسلامي في المسألة المالية التي تبتدر فكري وتبدهه فأقول:

(١) اقرار الملكية الشخصية وتحريم أكل أموال الناس بالباطل

(٢) تحريم الربا والقمار

(٣) منع جعل المال دولة بين الاغنياء - أي يتداولونه بينهم من دون الفقراء، ولم يكن هذا التداول في عصر من أعصار البشر كما في عصر النظام المالي المتبع في الحضارة الغربية نظام البيوت المالية (المصارف) والشركات والاحتكارات التي يحاربها العمال، ويعادون لاجلها أرباب الاموال

(٤) الحجر على السفهاء في أموالهم حتى لايضيعوها فيما يضرهم ويضر أمتهم

(٥) فرض الزكاة المطلقة في أول الاسلام، وكانت اشتراكية باعثها إذعان الوجدان لا اكراه الحكام، ثم نسخت اوقيدت بالمعينة الاجبارية عند ماصار للاسلام دولة، ولو وجدت تلك الحال التي كانت عليها المسلمون في مكة قبل الهجرة لوجبت عليهم فيها تلك الزكاة الاشتراكية، أعني انه إذا وجد في مكان جماعة محصورون منهم الموسر والمعسر، وصاحب الثروة وذو الفقر المدقع، وجب أن يقوم اغنياؤهم بكفاية فقرائهم وجوبا دينياً إذا كانت الزكاة المعينة لا تكفيهم

(٦) جعل الزكاة المعينة ربع العشر في النقدين والتجارة ، والعشر او نصف العشر في الغلات الزراعية التي عليهـا مدار الاقوات . وزكاة الانعام معروفة في كتب الحديث والفقه

(٧) فرض نفقة الزوجية والقرابة

(٨) إيجاب كفاية المضطر من كل جنس ودين، وضيافة الغريب حيث لا مأوى ولا فنادق للمسافرين ، إلا إذا كان مهدور الدم أو محاربا للمسلمين

(٩) جعل بذل المال كفارة لبعض الذنوب (ومنها الظهار وإفساد صيام يوم من رمضان بشروطها المعروفة)

(١٠) ندب صدقات التطوع والترغيب فيها

(١١) ذم الاسراف والتبذير، والبخل والشح والتقتير ، وعده من أسباب الهلكة وسوء المصير ، أي للافراد وللامة والدولة

(١٢) إباحة الزينة والطيبات من الرزق بشرط اجتناب الاسراف والخيلاء الموقعين في الامراض والادواء البدنية ، المضيعين للثروة المالية ، المثيرين للحسد والعداوة والمفاسد الاجتماعية

(١٣) مدح القصد والاعتدال ، في النفقة على النفس والعيال .

(١٤) تفضيل الغني الشاكر، على الفقير الصابر ، بجعل اليد العليا ، خيراً من اليد السفلى، وأعمال البر المتعدي نفعها إلى الناس، أفضل من الاعمال القاصر نفعها على فاعلها ، وجعل الصدقة الجارية ، من المثوبات الدائمة الباقية

أرأيت أمة من الامم تقيم هـذه الاركان ويوجد فيها فقر مدقع ، أو غرم موجع ، أو شقاء مفظع ؟

ألم تر أن زكاة النقدين الواجبة - وهي ربع العشر - هي أوسط ربح تدفعه المصارف المالية لمودعي نقودهم فيها للاستغلال ، وقد يقل عن ذلك ؟

قدر الثروة القومية في النقد والتجارة للشعب المصري وانظر مقـدار ربع عشرها الواجب دفعه في كل عام لفقرائها ومصالحها ، وارجع البصر الى سائر أنواع الزكاة ومقاديرها ، تعرف قدر سعادته اذا وضعها في مواضعها ، وتعلم

صدق ماقلناه في تفسير آية مصارف الصدقات ، من ان أداء الزكاة وحده كاف لاعادة مجد الاسلام الذي أضاعه المسلمون

اقرأ (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة) واقرأ (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) وتدبر جد التدبر (هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأنتم الفقراء . وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لايكونوا أمثالكم)

وقد جاء في الكتاب والسنة من الترغيب في بذل المال في سبل البر ، وجعله من أكبر آيات الايمان ، وموجبات الثواب والرضوان ، وتبوىء غرف الجنان ، وتسميته اقراضا للرحمن ، مالم يجيء مثله في أي عمل من أعمال البر والاحسان . وتجد أكثر الشواهد على ذلك في سورة البقرة (*) ثم في هذه السورة (براءة) ما تقدم تفسيره منها وما تأخر

﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ أي ألم يعلم أولئك التائبون من ذنبهم ان الله هو الذي يقبل توبة التائبين من عباده ، ولم يجعل ذلك لرسوله ، بله من دونه من خلقه ، فالاستفهام لتقرير مادل عليه القرآن وكونه هو الذي حملهم على التوبة ، ـ أو ألم يعلم المؤمنون كافة هذا وهو مقتضى الايمان وموجبه ؟ والاستفهام على هذا تحضيض على هذا العلم ومايستلزمه من التوبة . وقبول التوبة عنهم ، قيل انه بمعنى قبولها منهم ، نحو : لاصدقة إلا عن غنى ومن غنى ، وقيل ان القبول هنا قد تضمن معنى التجاوز والصفح ، أي هو الذي يقبلها منهم متجاوزا عن ذنوبهم عفواً عنها وهذا أبلغ ﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ أي يتقبلها بأنواعها ويثيب عليها ، ويعدها اقراضا له فيضاعف ثوابها ، بمقتضى وعده في مثل قوله (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم) وقوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا

(*) راجع صفحة ٢٩٣ من الجزء الاول وص ١٢٦ ــ ١٥٩ وص ٤٥٦ ج ٢ وص ١٥ و ٥٩ و ٦٧ و ٧١ ــ ٩٢ و ٣٧١ ج ٣ و ١٣٢ ج ٤ ــ و ٩٧ ــ ٤٠١ و ٣٢٧ و ٤٠٥ ج ٥ وراجع ألفاظ الزكاة والصدقات والمال في فهرس الجزء العاشر وغيره

حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فأخذ الصدقات له ثلاث صور (احداها) أخذ الفقراء والمساكين وغيرهم إياها من المستحقين من يد المتصدق (الثانية) أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في عهده والأئمة من بعده إياها لاجل وضعها في مصارفها التي أمر الله بها (الثالثة) أخذ الله عز وجل اياها وهو قبولها للاثابة عليها بالمضاعفة التي وعدها. وفي التعبير باخذ الله تعالى بعد قوله للنبي (خذ من أموالهم صدقة) تشريف للنبي

صلى الله عليه وسلم بكونه تعالى هو الذي يأخذ ما أمره بأخذه ﴿ وان الله هو التواب الرحيم ﴾ أي وانه هو الذي يقبل التوبة بعد التوبة من كل مذنب يشعر بضرر ذنبه، ويتوب عنه منيبا الى ربه، مهما يتكرر ذلك - الرحيم بالتائبين الذي يثيبهم. فصيغة المبالغة (التواب) تتحقق بكثرة التائبين وبتكرار التوبة من المذنب الواحد الذي يمنعه الخوف من ربه، أن يصر على ذنبه، كما قال تعالى في وصف المتقين (٣ : ١٣٥ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) وفي الحديث « ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة » (١) روى الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا « ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب - ولا يقبل الله الا الطيب - الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه او فصيله » (٢) والحديث تمثيل لمضاعفته تعالى للصدقة المقبولة

وهذه الجملة الاسمية المؤكدة بان وبضمير الفصل الدالة على الحصر، وما فيها من صيغة المبالغة بمعنى الكثرة من التوبة، ومبالغة الصفة الراسخة من الرحمة، تفيد أعظم البشرى للتائبين، وأبلغ الترغيب في التوبة للمذنبين، كما لا يخفى على المتدبرين.

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ هذا عطف على قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الخ أي وقل لهم أيها الرسول اعملوا لدنياكم

«١» رواه أبو داود والترمذي عن أبي بكر مرفوعا «٢» الفلو بتشديد الواو (كعدو) المهر، أي ولد الفرس يفصل عن امه، والفصيل ولد الناقة حين يفصل عن أمه

وآخرتكم ولأنفسكم وامتكم (حذف متعلق العمل يدل على العموم، وقدره بعضهم اعملوا ماشئتم) فانما العبرة بالعمل لا بالاعتذار عن التقصير، ولا بدعوى الجد والتشمير، وخير الدنيا والآخرة منوطان بالعمل، وهو لا يخفى على الله ولا على الناس أيضاً، فسيرى الله عملكم خيراً كان أو شراً، فيجب عليكم أن تراقبوه تعالى في أعمالكم، وتتذكروا انه ناظر اليكم، عليم بمقاصدكم ونياتكم، لا تخفى عليه منكم خافية، وجدير بمن يؤمن برؤية الله لعمله أن يتقنه، وأن يخلص له النية فيه، فيقف فيه عند حدود شرعه، ويتحرى به تزكية نفسه والخير لخلقه، ولا يكتفي فيه بترك معاصيه، واجتناب مناهيه، راود رجل امرأة عن نفسها في فلاة قائلا انه لا يرانا هنا إلا الكواكب، قالت فأين مكوكبها؟ فخجل وانصرف. وسيراه رسوله والمؤمنون، ويزنونه بميزان الايمان، المميز بين الاخلاص والنفاق، وهم شهداء الله على الناس، قال رسول الله ﷺ فيما رواه احمد وابو يعلى وابن حبان والبيهقي « لو ان أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائنا ما كان » وقال زهير:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فاذا كانت الخلائق النفسية، والاعمال السرية، لا تخفى على الناس مهما يكن من محاولة صاحبها لاخفائها، فماذا يقال في الاعمال التي هي مقتضى العقائد والاخلاق، وما انطبعت عليه النفس من الملكات، ومرنت عليه من العادات؟ نرى المؤمنين الصادقين يخفون بعض أعمال البر التي يستحب اخفاؤها كالصدقة على الفقير المتعفف سترا عليه، ومبالغة في الاخلاص لله تعالى الذي ينافيه الرياء وحب السمعة، ولكنهم لا يلبثون أن يشتهروا بها، ونرى بعض المنافقين يخفون بعض أعمال النفاق خوفا من الناس لا من الله، ولكنهم لا يلبثون أن يفتضحوا بها. ومن أمثال العوام: ان الذي يختفي هو الذي لا يقع

والآية تهدينا الى أن مرضاة جماعة المؤمنين القائمين بحقوق الايمان، المقررة صفاتهم في القرآن، تلي مرضاة الله ورسوله، وانهم لا يجتمعون على ضلالة. وفي معناه حديث أنس في الصحيحين قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي

صلى الله عليه وسلم «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال «وجبت» فقال عمر ابن الخطاب (رض) ما وجبت؟ قال «هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار، انتم شهداء الله في الارض» وفي لفظ مسلم تكرار «وجبت» ثلاث مرات في الموضعين، وكذا تكرار «أنتم شهداء الله في الارض»

وفي معناه حديث ابن عمر مرفوعا «إن الله لا يجمع أمتي -- أو قال أمة محمد — على ضلالة، ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ الى النار» أخرجه الترمذي من طريق سليمان المديني وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه وسليمان المديني عندي هو سليمان بن سفيان اه أقول وهو ضعيف منكر الحديث باتفاقهم ويعزى الحديث الى الطبراني بلفظ «لا تجتمع أمتي على ضلالة» والعلماء يستدلون به على حجية الاجماع لصحة معناه بموافقته للآيات والصحاح من الاخبار، وإنما يدل على اجماع الامة، أمة الاجابة وأهل الاستقامة، لا على الاجماع المصطلح عليه عند الاصوليين.

وفي معناه قول ابن عباس «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» رواه عنه احمد في السنة لا في المسند، ومن الناس من يظن انه حديث مرفوع، ويستدل به الجهال حتى من المعممين ادعياء العلم على استحسان البدع الفاشية حتى في العقائد الثابتة، كبدع القبور التى كان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعليها في مرض موته، من بناء المساجد عليها، والصلاة اليها، وايقاد السرج والمصابيح عندها، بل ما هو شر من ذلك وهو عبادتها بالطواف حولها، ودعاء اصحابها، والنذر لهم، والاستغاثة بهم، حتى في الشدائد وهو ما لم يكن يفعله عباد الاصنام في مثل هذه الحال، بل كانوا فيه يخلصون الدعاء لله، فلا حول ولا قوة إلا بالله

بعد هذا الارشاد الى ما يقتضي الاحسان في الاعمال من مراقبة الله وتحري مرضاته ومرضاة رسوله وجماعة المؤمنين والخير لعباده بها، ذكرهم تعالى بما يقتضي ذلك من جزاء الآخرة عليها، فقال ﴿ وستردون إلى عالم الغيب والشهادة ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ في الدنيا مما كان مشهوداً للناس منه، وما كان غائبا عن علمهم منه ومن نياتكم فيه، ينبئكم به عند الحساب، وما يترتب عليه من الجزاء بحسن الثواب، أو سوء العذاب

(١٠٦) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

هذه الآية عطف على قوله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) وهؤلاء هم القسم الاخير من المتخلفين عن غزوة تبوك . فقد علم مما تقدم ان المتخلفين منهم المنافقون وهم أكثرهم ، وقد تقدم بيان أقسامهم ومن اعتذر ومن لم يعتذر منهم ، ومنهم المؤمنون وهم قسمان (أحدهما) الذين اعترفوا بذنوبهم وتابوا وزكوا توبتهم بالصدقة وطلب دعاء الرسول واستغفاره فتاب الله عليهم ، و (ثانيهما) الذين حاروا في أمرهم ولم يعتذروا للرسول (ص) لانهم لاعذر لهم ، وارجأوا توبتهم فأرجأ الله الحكم القطعي في أمرهم للحكمة التي يأتي بيانها قريبا . قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم : هم الثلاثة الذين خلفوا أي عن التوبة ، وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية ، قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة والحظ وطيب الثمار والظلال لاشكا ونفاقا ، فكانت طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري كما فعل ابو لبابة وأصحابه ، وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون ، فنزلت توبة اولئك قبل توبة هؤلاء ، وارجيء هؤلاء عن التوبة حتى نزلت آيتا التوبة الآتيتين (١١٧ و ١١٨)

﴿ وآخرون مرجون لأمر الله ﴾ أي وثم أناس آخرون من المتخلفين مؤخرون لحكم الله في أمرهم ، اولأمره لرسوله فيما يعاملهم به قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم (مرجون) بحذف الهمزة للتخفيف ، والآخرون (مرجؤن) بالهمزة على الاصل لانه اسم مفعول من أرجأه إذا أخره ، وقيل هما لغتان . روي ان هذا الإرجاء كان ٥٠ يوما

﴿ إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ﴾ أي ابهم الامر عليهم وعلى الناس ، لا يدرون ماينزل فيهم ، هل تنصح توبتهم فيتوب الله عليهم كما تاب على الذين اعترفوا

بذنوبهم ، أم يحكم بعذابهم في الدنيا والآخرة كما حكم على الخالفين من المنافقين ؟ فالترديد بين الامرين هو بالنسبة الى الناس لا إلى الله عز وجل ، وحكمة إبهام امر هؤلاء عليهم إثارة الهم والخوف في قلوبهم لتصح توبتهم ، وحكمة إبهامه على الرسول ﷺ والمؤمنين تركهم مكالمتهم ومخالطتهم ، تربية للفريقين على ما يجب في أمثالهم من الذين يؤثرون الراحة ونعمة العيش على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله لاعلاء كلمة الحق والعدل ، ودفع عدوان الكفار عن المؤمنين ، حتى

كان من امرهم ما بيّنه في الآية (١١٨) ﴿ والله عليم حكيم ﴾ عليم بحال عباده وما يربيهم ويزكيهم ويصلح حال أفرادهم ومجموعهم ، حكيم فيما يشرعه لهم من الاحكام المفيدة لهذا الصلاح ما عملوا بها . ومن آثار علمه وحكمته إرجاء النص على توبتهم في كتابه ، ومن هذه الحكمة تكرار تأثير تلاوة المؤمنين الآيات في ذلك في الاوقات المتفرقة ، فانها من اعظم آيات القرآن ترهيباً وتخويفاً ، وعظة وتهذيباً

---

(١٠٧) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٨) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ، لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٩) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ؟ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١١٠) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

نزلت هذه الآيات الاربع في واقعة حال من مكايد المنافقين للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، لم أر أحداً بين حكمة خاصة لتأخيرها عن أمثالها مما نزل في أعمال المنافقين، ووضعها هنا في سياق توبة المذنبين من المؤمنين : ما تقدم منها فقبل ، وما تأخر فأرجيء ، وقد بينا الحكمة العامة في تفريق الآيات في الموضوع الواحد — وهو تجديد الذكرى والعظة، وما تقتضيه من التأثير والعبرة — في مواضع متعددة من الكلام على التناسب ووجوه الاتصال بين الآيات . ولعل بعض ضعفاء المؤمنين كانوا قد شايعوا اولئك المنافقين الاثنى عشر الذين بنوا مسجد الضرار في عملهم جاهلين مقاصدهم منه ، فأريد بوضع القصة هنا وإيهام عطفها على من ارجأ الله الحكم في امرهم، ان يتعظ اولئك الغافلون من المؤمنين المغرورين بمسجد الضرار ومتخذيه ، ويخافوا أن يؤاخذوا بمشايعتهم لهم ، ولو بصلاتهم معهم في مسجدهم . قال تعالى

﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ يحتمل أن تكون هذه الجملة ابتدائية معطوفة على ماقبلها من السياق في جملته حذف خبرها للعلم به ، ويبعد ان تكون معطوفة على قوله (وآخرون مرجون) إلا على قول ضعيف روي عن الحسن وهو انه في المنافقين ، والافصح أن يكون لفظ « الذين » منصوبا على الاختصاص بالذم ، وجعله محتملا لما ذكر ولغيره نراه من الابهام ، الذي تقتضيه البلاغة في هذا المقام، لما أشرنا اليه آنفا من الايهام ، وقد قرر علماء البيان ان البلاغة تقتضي أحيانا ايراد عبارة تذهب النفس في فهمها عدة مذاهب محتملة فيها . وقرأ نافع وابن عامر (الذين) بغير واو . وهي أقرب الى قول الحسن منها الى قول الجمهور ، وما أشرنا اليه من حكمة وضع الآيات هنا أظهر في هذه القراءة منه في قراءة جمهور القراء (فتأمل) .

ذكر المفسرون أن هؤلاء الذين اتخذوا هذا المسجد كانوا اثني عشر رجلا من منافقي الاوس والخزرج وسموهم باسمائهم، وقد بين الله تعالى ان الاغراض التي بنوه لاجلها أربعة :

(١) أنهم اتخذوه لمضارة المؤمنين أي محاولة إيقاع الضرر بهم ، وهم أهل مسجد قباء (الذي بناه لهم رسول الله ﷺ مقدمه من مكة مهاجراً وقبل وصوله إلى المدينة) إذ بنوه بجواره مضادة لهم في الاجتماع للصلاة فيه

(٢) الكفر ، أو تقوية الكفر وتسهيل أعماله، من فعل وترك كتمكين المنافقين من ترك الصلاة هنالك مع خفاء ذلك على المؤمنين لعدم اجتماعهم في مسجد واحد ، والتشاور بينهم في الكيد لرسول الله ﷺ وغير ذلك، قيل لا بدهنا من تقدير مضاف لان بناء المسجد نفسه ليس كفراً ولكن التعليلات الاربعة في الآية هي للقصد من البناء المعبر عنه بالاتخاذ ، والكفر يطلق على الاعتقاد وعلى العمل المنافيين للايمان

(٣) التفريق بين المؤمنين الذين هنالك، فانهم كانوا يصلون جميعا في مسجد قباء ، وفي ذلك من مقاصد الاسلام الاجتماعية مافيه ، وهو التعارف والتآلف والتعاون وجمع الكلمة ، ولذلك كان تكثير المساجد وتفريق الجماعة منافياً لمقاصد الاسلام ، ومن الواجب على المسلمين في كل بلد أن يصلوا الجمعة في مسجد واحد إذا تيسر، فان تفرقوا عمداً وصلوا في عدة مساجد والحالة هذه كانوا خاطئين، وذهب بعض الائمة الى أن الجمعة الصحيحة تكون حينئذ لاهل المسجد الذين سبقوا بالتجميع

وهذا يدل على أن بناء المساجد لا يكون قربة مقبولة عند الله الا إذا كان بقدر حاجة المؤمنين المصلين ، وغير سبب لتفريق جماعتهم ، ومنه يعلم أن كثيراً من مساجد مصر القريب بعضها من بعض — وكذا أمثالها في الامصار الاخرى — لم تبن لوجه الله تعالى بل كان الباعث على بنائها الرياء ، واتباع الاهواء ، من جهلة الامراء والاغنياء .

(٤) الارصاد لمن حارب الله ورسوله من قبل اتخاذ هذا المسجد، أي الانتظار والترقب لمن حارب الله ورسوله أن يجيء محاربا، فيجد مكانا مرصداً له ، وقوما راصدين مستعدين للحرب معه ، وهم هؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد مرصداً لذلك . يقال: رصدته أي قعدت له على طريقه أترقبه ، وراصدته راقبته ،

وأرصدت هذا الجيش للقتال، وهذا الفرس للطراد اهـ ملخصاً من الاساس، واتفق المفسرون على ان الذي أغراهم ببناء هذا المسجد لهذا الغرض رجل من الخزرج يعرف بابي عامر الراهب، وعدهم بان سيأتيهم بجيش من الروم لقتال النبي ﷺ واصحابه

﴿ وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ﴾ إخبار مؤكد بالقسم أنهم سيحلفون أنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخصلة أو الخطة التي تفوق غيرها في الحسن، وهي الرفق بالمسلمين وتيسير صلاة الجماعة على أولي العجز والضعف ومن يحبسهم المطر منهم، ليصدقهم الرسول صلى الله عليه وسلم ويصلي لهم فيه ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ في قولهم، حانثون بيمينهم. قال العماد ابن كثير:

سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ اليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير. فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للاسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين ابو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش، فألبهم لحرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله عز وجل، وكانت العاقبة للمتقين، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في احداهن رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم ابو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الانصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق ياعدو الله، ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر، وكان رسول الله ﷺ قد دعاه الى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً، فنالته

هذه الدعوة ، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ، ذهب الى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه ، وأقام عنده وكتب الى جماعة من قومه من الانصار من اهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم انه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم ان يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لاداء كتبه ، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك . فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ الى تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ ان ياتي اليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته ، وذكروا انهم انما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال « إنا على سفر ولكن إذا رجعنا ان شاء الله » فلما قفل عليه السلام راجعا الى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها الا يوم او بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم (مسجد قباء) الذي اسس من اول يوم على التقوى ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية — وذكر روايته بمعنى ماذكر مختصراً اه

وذكر البغوي في خبر ابي عامر الفاسق هذا انه مازال يقاتل النبي ﷺ ويحرض عليه المشركين الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا الى الشام ، وأرسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، وابنوا لي مسجداً فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآت بجند من الروم الخ ماتقدم آنفا

﴿ لاتقم فيه أبدا ﴾ هذا نهي للرسول ﷺ والمؤمنين بالتبع له عن الصلاة فيه مؤكد بلفظ الابد الذي يستغرق الزمن المستقبل ، وتفسير القيام بالصلاة هنا مروي عن ابن عباس وهو معهود في التنزيل كقوله (وقوموا لله قانتين) وقوله (قم الليل إلا قليلا) والنهي عن القيام المطلق يتضمن النهي عن القيام للصلاة ، ولكنها

هي المقصودة بالنهي لطلبهم لها منه ﷺ ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ﴾ اللام الداخلة على المسجد للقسم او للابتداء . والتأسيس وضع الاساس الاول للبناء الذي يقوم عليه ويرفع ، والمراد منه القصد والغرض من البناء ، والتقوى الاسم الجامع لما يرضي الله ويقي من سخطه ، أي ان مسجداً قصد ببنائه منذ وضع أساسه في أول يوم تقوى الله تعالى باخلاص العبادة له وجمع المؤمنين فيه على ما يرضيه من التعارف والتعاون على البر والتقوى هو أحق أن تقوم فيه أيها الرسول مصليا بالمؤمنين من غيره ، ولا سيما ذلك المسجد الذي وضع أساسه على المقاصد الاربعة الخبيثة ، والسياق يدل على ان المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم مسجد قباء ، وقد صح في أحاديث رواها الامام احمد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ان النبي ﷺ سئل عنه فأجاب بانه مسجده الذي في المدينة في رواية مسلم عن أبي سعيد انه لما سأله أخذ ﷺ كفا من حصباء فضرب به الارض ثم قال « هو مسجدكم هذا » وفي رواية لاحمد عنه وعن سهل بن سعد « هو مسجدي هذا » ولفظ الآية لا يمنع من ارادة كل من المسجدين ، لان كلا منهما قد بناه النبي ﷺ ووضع أساسه على التقوى من أول يوم شرع فيه ببنائه أو من أول يوم وجد في موضعه (والتحقيق أن « من » تدخل على الزمان والمكان)

﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ هذه جملة وصف بها المسجد الذي أسس على التقوى تؤكد ترجيح القيام مع أهله المطهرين في مقابل أهل مسجد الضرار وهم رجس والمعنى : فيه رجال يعمرونه بالاعتكاف وإقامة الصلاة ، وذكر الله وتسبيحه فيه بالغدو والآصال ، يحبون أن يتطهروا بذلك من كل ما يعلق بأنفسهم من درن الآثام ، أو التقصير في إقامة دعائم الاسلام ، كما تطهر المتخلفون منهم عن غزوة تبوك بالتوبة والصدقات ، ومن لوازم عمارته المعنوية والعكوف فيه طهارة الثوب والبدن الحسية ، وطهارة الوضوء والغسل الحكمية ، فالتطهر صيغة مبالغة تشمل الطهارتين النفسية والبدنية ، ووردت الروايات بكل منهما ، ولكل من الاستعمالين موضع من التنزيل ، والجمع بينهما هو الاولى

﴿ والله يحب المطهرين ﴾ أي المبالغين في الطهارة الروحية والجسدية، وانما يبالغون فيها اذا أحبوها، وحينئذ تكمل انسانيتهم المؤلفة من الروح والجسد. ولا يطيق نجاسة البدن وقذارته إلا ناقص الفطرة والادب، وأنقص منه من يطيق خبث النفس بالاصرار على المعاصي والعادات القبيحة، والتخلق بالاخلاق الذميمة. دع رجس المنافقين المرائين في الاعمال، الاشحة الباخلين بالاموال. وأما حب الله المستحقين لحبه فهو من صفات كماله لأن العالم بتفاوت الاشياء في الحسن والقبح، والكمال والنقص، يكون من أفضل صفاته حب الجمال والكمال والحق والخير وبغض اضدادها وكراهتها. وحبه اللائق بربوبيته منزه عن مشابهة حبنا كذاته وسائر صفاته، ولكن يظهر أثره في المحبوبين من عباده في أخلاقهم وأعمالهم ومعارفهم وآدابهم واعلاه ما أشار اليه حديث البخاري «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الخ (١)

وقد قال الله تعالى معللا ماوعظ به نساء نبيه ﷺ مبينا أمره لهن ونهيه بما يليق بمكانتهن من رسوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

وقد فسر بعض المفسرين محبته تعالى المطهرين برضاه عنهم واحسانه اليهم وهو تأويل فسر به اللفظ ببعض لوازمه، فان كان هربا من نظرية من قال من المتكلمين ان اتصاف الله تعالى بالحب محال لأنه انفعال نفسي يستحيل على ذي الجلال، فيجب تفسيره بلازمه المذكور كما قال بعضهم في الرحمة وغيرها من الصفات — فهو هروب من مذهب السلف الحق، ووقوع فيما فروا منه بالتأويل، وهو تشبيه الله بخلقه. إذ يقال لهم إن الرضا عاطفة نفسية كالحب، والاحسان عمل بدني وهما يسندان الى الناس فلا يصح أن يوصف بهما الخالق عز وجل، لانه تشبيه له بالخلق، وكذا العلم والقدرة والمشيئة والكلام، وغيرهما من صفات الذات، فان كلا منها وضعت في اللغات، لمعانيها المعروفة في المخلوقات، ككون العلم صور المعلومات المنتزعة منها في الذهن، وهو بهذا المعنى محال على الله عز وجل وإذا كان الامر كذلك فالحق أن يوصف تعالى بما وصف به نفسه على ظاهره بقيوده

«١» راجع هذا البحث في ص ٢٣٩ ج ١٠ تفسير

الثلاثة التي قررها السلف الصالح : اي بلاتعطيل ولا تمثيل ولا تأويل. فعلمه تعالى انكشاف يليق به، وحبه معنى نفسي يليق به الخ

ذكر السيوطي في الدر المنثور عدة روايات حاصلها ان النبي ﷺ سأل أهل قباء عن سبب ثناء الله تعالى عليهم بهذه الآية فأجابوه بانهم يستنجون بالماء وفي بعضها انهم يتبعون الحجارة بالماء. وذكر ان ابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني والحاكم وغيرهم رووا عن طلحة بن نافع قال حدثني ابو أيوب وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك (رض) ان هذه الآية لما نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قال رسول الله ﷺ «يامعشر الانصار ان الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهوركم هذا ؟» قالوا نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة. قال «فهل مع ذلك غيره ؟ قالوا ان أحدنا إذا خرج من الغائط أحب أن يستنجي بالماء قال «هو ذاك فعليكموه»

أقول طلحة بن نافع هذا ثقة روى عنه الجماعة كلهم ولكن رواية البخاري عنه مقرونة بغيره وهي أربعة أحاديث رواها عن جابر. ولعله اقتصر عليها، لقول شيخه علي بن المديني إنه لم يرو عن جابر غيرها، أي لم يصح عنده غيرها. وقال ابو حاتم انه لم يسمع من أبي ايوب ولكنه هنا صرح بالسماع منه فيما رواه من ذكر وغيرهم. وحديثه هذا على كل حال أقوى من أحاديث سؤال النبي ﷺ أهل مسجد قباء وحمله الثناء عليهم، وهو في سؤال الانصار، والمسؤلون منهم كلهم من سكان المدينة، ويؤيده الاحاديث الصحيحة الناطقة بان المسجد الذي أثنى الله عليه وعلى أهله هو مسجده فيها. وقد قلنا انه لا مانع من ارادة كل منهما، وهو أولى من القول بتعارضهما، كما أن الروايات فيهما لا تنافي ارادة نوعي الطهارة كليهما، ويؤيد إرادة الطهارة المعنوية قوله تعالى

﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ؟ أم من أسس بنيانه

على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم؟ ﴾ هذا بيان مستأنف للفرق بين أهل المسجدين في مقاصدهما منها: أهل مسجد الضرار الذي زادوا به رجساً إلى

رجسهم ، وأهل مسجد التقوى وهم الرسول ﷺ وانصاره الذين يحبون أكمل الطهارة لظاهرهم وباطنهم ، فاستفادوا بذلك محبة الله لهم ، وورد بصيغة استفهام التقرير ، لما فيه من تنبيه الشعور وقوة التأثير ، والبنيان مصدر كالعمران والغفران ، ويراد به المبني من دار أو مسجد وهو المتعين هنا . وتقدم آنفا معنى التأسيس. والشفا الحرف والشفير للجرف والنهر وغيره . والجرف (بضمتين) جانب الوادي ونحوه الذي يتحفر أصله بما يجرفه السيل منه فيجتاح أسفله فيصير مائلا للسقوط. والهار الضعيف المتصدع المتداعي للسقوط[1] وهذا التعبير يضرب مثلا لما كان في منتهى الضعف والاشراف على الزوال ، وهو من أبلغ الامثال ، لمنتهى الوهى والانحلال

المراد بالمثل هنا بيان ثبات الحق الذي هو دين الاسلام وقوته ودوامه ، وسعادة أهله به ، وذكره بأثره وثمرته في عمل أهله وجماعها التقوى ، وبجزائهم عليه وأعلاه رضوان الله تعالى ، وبيان ضعف الباطل واضمحلاله ، ووهيه وقرب زواله ، وخيبة صاحبه وسرعة انقطاع آماله ، وشر أهله المنافقين ، وشر أعمالهم ما اتخذوه من مسجد الضرار للمفاسد الاربعة المبينة في الآية الاولى من هذا السياق

وقد ذكر في وصف بنيان الفريق الاول وهم المؤمنون المشبه دون المشبه به لانه المقصود بالذات ولم يذكر فيما قبله من عملهم إلا المبالغة في الطهارة . وذكر من وصف بنيان الفريق الثاني الهيئة المشبه بها دون المشبه ، لانه ذكر فيما قبل مقاصدهم منها كلها ، وهذا من دقائق إيجاز القرآن

والمعنى الجامع بين المشبه به في الفريقين : أفمن اسس بنيانه الذي يتخذه مأوى وموئلا له يقيه من فواعل الجو وعدوان كل حي ، وموطنا لراحته ، وهناء معيشته ، على أمتن أساس وأثبته وأقواه على مصابرة العواصف والسيول ، وصد الهوام والوحوش - هو خير بنيانا ، وراحة وأمانا ؟ أم من اسس بنيانه على أوهى القواعد وأقلها بقاء واستمساكا ، فهي عرضة للانهيار ، في كل لحظة من ليل او نهار ؟

وأما معنى المشبه المقصود بالذات في كل منهما فيصور هكذا : أفمن كان مؤمنا صادقا يتقي الله في جميع أحواله ، ويبتغي رضوانه في أعماله ، بتزكية نفسه بها ونفع

(١) اصله هائر من هار يهور فهو هائر وهار ، ومثله شائك وشاك ، وصائت وصات

عياله ، (والخلق كلهم عيال الله كما ورد في الخبر عن رسوله ﷺ) - افمن كان كذلك خير عملا ، وأفضل عاقبة وأملا ، وممن نزل فيهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أم من هو منافق مرتاب ، مراء كذاب ، يبتغي بأفضل مظاهر اعماله الضرر والضرار ، وتقوية أعمال الكفر وموالاة الكفار ، وتفريق جماعة المؤمنين الاخيار ، والارصاد لمساعدة من حارب الله ورسوله من الاشرار ، وما يكون من عاقبة ذلك في الدنيا من الفضيحة والعار ، والخزي والبوار ، وفي الآخرة من الانهيار في نار جهنم وبئس القرار ؟

وفي معنى هذا المثل (١٣ : ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية. وخلاصة المثلين ان الايمان الصادق وما يلزمه من العمل الصالح . هو المثمر الثابت ، وان النفاق وما يستلزمه من العمل الفاسد ، هو الباطل الزاهق ، وهذا المعنى يوافق قول علماء الكون إنه لا يتنازع شيئان في الوجود إلا ويكون الغالب هو الاصلح منهما. ويسمون هذه السنة (ناموس الانتخاب الطبيعي وبقاء الامثل) وسبق بيانه في هذا التفسير (١)

صدق الله العظيم ، فقد ثبت الله المؤمنين بالقول الثابت ، وهداهم بايمانهم إلى العمل الصالح ، ففتحوا البلاد ، وأقاموا الحق والعدل في العباد ، وأهلك الله المنافقين ، فلم يكن لهم من أثر صالح في العالمين ، هكذا كان وهكذا يكون ، ولكن المنافقين لا يفقهون ولا يعتبرون ، وشر النفاق وأضره نفاق العلماء ، فالملوك والامراء (٢)

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي مضت سنته في ارتباط العقائد والاخلاق بالاعمال ، بان الظالم لا يكون مهتديا في أعماله إلى الحق والعدل ، فضلا عن الرحمة والفضل . ولا أظلم في الناس من المنافقين (٣ : ٨٦ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين)

﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ الريبة اسم من الريب وهو ما

(١) تجده في مواضع من اجزائه أولها آخر صفحة من الجزء الثاني

(٢) راجع ص ٥١٧ و ٥٣٩ ج ١٠ تفسير

تضطرب فيه النفس ، ويتردد الوهم ويسوء الظن ، فيكون صاحبه منه في شك وحيرة إن لم يكن مثاره الشك . قال قوم صالح عليه السلام له ، منكرين دعوته إياهم إلى عبادة الله وحده (١١ : ٦٢ وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) ولهذا الاستعمال أمثال في التنزيل ، وهو صريح في ان الشك مثار للريب وموقع فيه لا انه عينه ، وقد يفسر به باعتبار لزومه له وايقاعه فيه . قال الشاعر :

وكنت إذا ماجئت ليلى تبرقعت وقد رابني منها الغداة سفورها

والظاهر ان ارتيابهم فيه كان منذ بنوه الى أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه فهدم ، وذلك انهم لسوء نيتهم في بنائه كانوا يخافون ان يطلع الله رسوله على مقاصدهم السوءى فيه ، وكان ذلك شان سائر اخوانهم كما تقدم في قوله تعالى (٦٤ يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) وذكرنا في تفسيرها قوله تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) (ص ٥٢٥ ـ ٥٢٨ ج ١٠) وأجدر بهم أن يكونوا بعد هدمه أشد ارتيابا ، وأكثر اضطرابا ، بما يحذرون من عقابهم في الدنيا كما أنذرتهم هذه السورة مرارا ، وقال الزمخشري وتبعه معتادو الاخذ عنه : لايزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم ، لايزول وسمه عن قلوبهم ، ولا يضمحل أثره ﴿ إلا ان تقطع قلوبهم ﴾ قطعا ، وتفرّق أجزاء ، فحينئذ يسلون عنه ، واما مادامت سالمة مجتمعة ، فالريبة باقية فيها متمكنة ، فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنهم ، ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم ، أو في القبور أو في النار . وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم اهـ

﴿ والله عليم حكيم ﴾ فحكم في أمرهم وبين من حالهم ما اقتضته الحكمة والعلم المحيط بكل شيء .

---

(١١١) إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنْجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ؟ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ، وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١٢) ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

هاتان الآيتان في بيان حال المؤمنين حق الايمان ، البالغين فيه ماهو غاية له من الكمال ، وضعتا بعد بيان حال المنافقين ، وأصناف المؤمنين المقصرين ، ومنهما تعرف جميع درجات المسلمين ، ولا سيما المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله

﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ﴾ هذا تمثيل لاثابة الله المؤمنين على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله بتمليكهم الجنة دار النعيم الابدي، والرضوان السرمدي ، تفضل جل جلاله وعم نواله بجعلها من قبيل من باع شيئاً هوله لآخر، لطفاً منه تعالى وكرماً وتكريماً لعباده المؤمنين بجعلهم كالمتعاقدين معه كما يتعاقد البيعان على المنافع المتبادلة وهو عز وجل المالك لانفسهم اذ هو الذي خلقها ، والمالك لاموالهم اذ هو الذي رزقها ، وهو غني عن أنفسهم وأموالهم، وانما المبيع والثمن له وقد جعلهما بكرمه لهم ، وقوله ﴿ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ بيان لصفة تسليم المبيع وهو انهم يقاتلون في سبيل الحق والعدل الموصلة إلى مرضاته تعالى فيبذلون أنفسهم وأموالهم فيكونون اما قاتلين لاعدائه الصادين عن سبيله ، واما مقتولين شهداء في هذه السبيل - قرأ الجمهور بتقديم (يَقتلون) المبني للفاعل، وحمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول ، فدلت القراءتان على أن الواقع هو أن يقتل بعضهم ويسلم بعض ، وانه لافرق بين القاتل والمقتول في الفضل ، والمثوبة عند الله عزوجل، إذ كل منهما في سبيله لاحباً في سفك الدماء ، ولا رغبة في اغتنام الاموال ، ولا توسلا الى ظلم العباد ، كما يفعل عباد الدنيا من الملوك ورؤساء الاجناد

﴿ وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ﴾ أي وعدهم بذلك وعداً أوجبه لهم على نفسه، وجعله حقا عليه أثبته في الكتب الثلاثة المنزلة على أشهر رسله، ولا تتوقف صحة هذا الوعد على وجوده في التوراة والانجيل الذين في أيدي أهل الكتاب بنصه لما أثبتناه من ضياع كثير منهما، وتحريف بعض ما بقي لفظا ومعنى، بل يكفي اثبات القرآن لذلك وهو مهيمن عليها. (راجع ص ٣٤٢ ج ١٠)

﴿ ومن أوفى بعهده من الله؟ ﴾ أي لا أحد أوفى بعهده وأصدق في انجاز وعده من الله عز وجل، إذ لا يمنعه من ذلك عجز عن الوفاء، ولا يمكن أن يعرض له فيه التردد او البداء، (١) ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ﴾ الاستبشار الشعور بفرح البشرى أو استشعارها، الذي تنبسط به بشرة الوجه فيتألق نورها، والجملة تقرير لتمام صفقة البيع من الجانبين ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ الذي لا يتعاظمه فوز، دون ما يتقدمه من النصر والسيادة والملك، الذي لا يعد فوزاً إلا بجعله وسيلة لاقامة الحق والعدل. أعلى الله تعالى مقام المؤمنين المجاهدين في سبيله فجعلهم بفضله مالكين معه، ومبايعين له، ومستحقين لثمن الذي بايعهم به، وأكد لهم أمر الوفاء به وانجازه، ويروى عن جدنا الامام جعفر الصادق عليه السلام في معنى الآية

أثامن بالنفس النفيسة ربها ... فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها أشتري الجنات، إن أنا بعتها ... بشيء سواها إن ذلكم غبن (٢)
إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها ... فقد ذهبت مني وقد ذهب الثمن

ويروى عنه انه قال: ليس لابدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها. ومعناه ان الذى يقتل أو يموت في سبيل الله كان باذلا لبدنه الفاني لا لروحه الباقية، وليس معناه أن يبيع لربه جسده دون نفسه الناطقة كما توهم بعض المتفلسفين

(١) البداء بالفتح أن يبدو لك في الامر ما لم يكن في علمك ولا حسابك فترجع عما كنت تريد امضاءه فيه (٢) الغبن بالتحريك وبفتح فسكون واحد من غبنه في البيع إذا غلبه بغش أو خديعة

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فكبر الناس في المسجد فأقبل رجل من الانصار ثانياً طرفي ردائه على عاتقه فقال يارسول الله أنزلت هذه الآية ؟ قال « نعم » فقال الانصاري بيع ربيح ، لانقيل ولا نستقيل - يعني البيع -

وأخرج ابن جرير ان عبد الله بن رواحة قال لرسول الله ﷺ اشترط لنفسك ولربك فقال « أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم » قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال « الجنة » قال : ربح البيع لانقيل ولا نستقيل . فنزلت الآية . وظاهر هذا انها نزلت في مبايعة الانصار للنبي ﷺ وتفصيله فيما يلي وان لم يصرح بانه سبب النزول

وأخرج ابن سعد عن عباد بن الوليد بن عبادة بن الصامت ان سعد بن زرارة أخذ بيد رسول الله ﷺ ليلة العقبة فقال : يأيها الناس هل تدرون علام تبايعون محمداً ؟ انكم تبايعونه على أن تحاربوا العرب والعجم والجن والانس كافة . فقالوا نحن حرب لمن حارب ، وسلم لمن سالم . فقال أسعد بن زرارة يارسول الله اشترط علي فقال « تبايعوني على أن تشهدوا أن لا إله إلا الله واني رسول الله ﷺ ، وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة ، والسمع والطاعة ، ولاتنازعوا الامر أهله وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم » قالوا نعم ، قال قائل الانصار : نعم هذا لك يارسول الله فما لنا ؟ قال « الجنة والنصر »

وأخرج ابن سعد عن الشعبي قال : انطلق النبي ﷺ بالعباس بن عبد المطلب وكان ذا رأي إلى السبعين من الانصار عند العقبة فقال العباس ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة فان عليكم للمشركين عينا ، وان يعلموا بكم يفضحوكم . فقال قائلهم : وهو ابو امامة أسعد - يامحمد سل لربك ما شئت ثم سل لنفسك ولاصحابك ماشئت ، ثم أخبرنا مالنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك ، فقال « أسألكم لربي أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم » (١) قال فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال الجنة » فكان الشعبي

---

١) المنع الحماية والدفاع

إذا حدث هذا الحديث قال ما سمع الشيب والشباب بخطبة أقصر ولا أبلغ منها

ومعنى نزولها في مبايعة الانصار انها تدخل في عموم الآية دخولا أولياً لا انها خاصة بها. وقد روى ابن مردويه من حديث أبي هريرة مرفوعا «من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله» وروى ابن أبي حاتم وابو الشيخ عن الحسن قال: ماعلى ظهر الارض مؤمن إلا وقد دخل في هذه البيعة. وفي لفظ: اسمعوا إلى بيعة بايع الله بها كل مؤمن (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) ولكن العجب ممن يدعون الايمان وهم ينكثون بيعة الله عز وجل فهم لا يبذلون أنفسهم ولا شيئاً من أموالهم في سبيل الله، وانما يطلبون الجنة بغير ثمنها كما يطلبون سعادة الدنيا وسيادتها من غير طريقها، ولا طريق لها إلا الجهاد بالمال والنفس. والقرآن حجة عليهم وهو حجة الله البالغة التي لا يدحضها شيء وهي تدحض كل شيء.

ثم وصف الله تعالى هؤلاء المؤمنين البائعين أنفسهم وأموالهم لله تعالى بجنته ودار كرامته، فقال ﴿ التائبون ﴾ أي هم التائبون الكاملون في توبتهم وهي الرجوع إلى الله تعالى عن كل ما يبعد عن مرضاته، وتختلف باختلاف احوال أهلها، فتوبة الكفار الذين يدخلون في الاسلام هي الرجوع عن الكفر الذي كانوا عليه من شرك وغيره كما تقدم في قوله تعالى (١١ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) وتوبة المنافق من النفاق وتقدم ذكرها في هذه السورة أيضاً، وتوبة العاصي من المعصية، ومنه توبة من تخلف عن غزوة تبوك من المؤمنين، وتقدم قريباً ذكر من تاب منهم ومن أرجيء أمره، – وتوبة المقصر في شيء من البر وعمل الخير انما تكون في التشمير فيه والاستزادة منه – وتوبة من يغفل عن ربه، انما تكون في الاكثار من ذكره وشكره، وسيأتي ذكر توبة الله تعالى على الجميع في الآيتين (١١٧ و ١١٨)

﴿ العابدون ﴾ لله ربهم وحده مخلصين له الدين في جميع عباداتهم في عامة أوقاتهم، لا يتوجهون إلى غيره بدعاء ولا استعانة، ولا يتقربون إلى سواه بعمل مما يقصد به القربة ومثوبة الآخرة

﴿ الحامدون ﴾ لله ربهم في السراء والضراء بالثناء عليه بلفظ الحمد وغيره من الذكر المشروع الدال على الرضاء منه تعالى. ومهما يصب الانسان من مصائب الدنيا فانه يبقى له من النعم فيها وفي الدين بل يبقى له من اللطف الالهي في نفس المصائب مايجب عليه أن يحمد الله ويشكره عليه (وتقدم بيان الحمد والعبادة في تفسير سورة الفاتحة وغيرها)

﴿ السائحون ﴾ في الارض يجوبون الاقطار لغرض صحيح من علم أو عمل كالجهاد في سبيل الله ، وروي عن عطاء، او للهجرة حيث تشرع الهجرة وروي عن عبدالرحمن بن زيد، قال السائحون هم المهاجرون ليس في أمة محمد سياحة إلا الهجرة . او لطلب العلم النافع للسائح في دينه أو دنياه او النافع لقومه وأمته وروي عن عكرمة وخصه بعضهم بطلب الحديث (لانهم كانوا يسافرون من مصر إلى أخرى للرواية) او للنظر في خلق الله وأحوال الشعوب والامم للاعتبار والاستبصار ومعرفة سنن الله تعالى وحكمه وآياته ، وهذا ماتدل عليه الآيات المتعددة في الحث على السير في الارض كما فسرنا في الاصلين (١٣ و ١٤) من الاصول العلمية التي استنبطناها من سورة الانعام (ص ٢٨٩ ج ٨)

وروي عن عبدالله بن مسعود ان المراد بالسائحين الصائمون وقاله في تفسير (سائحات) من سورة التحريم ، وتعلق به مصنفو التفاسير لاستبعادهم مدح الله تعالى النساء بالسياحة في الارض، وانما يحظر في الاسلام سفر المرأة منفردة دون زوجها او أحد محارمها، واما إذا كانت تسيح مع الزوج والمحرم حيث يسيح لغرض صحيح من علم نافع او عمل صالح او طلب الصحة او الرزق فلا اشكال في مدحها بالسياحة . بل ينبغي اشتراك الرجال والنساء في جميع أعمال الحياة النافعة ، وأزيد على ذلك السياحة لطلب الرزق الحلال من تجارة وغيرها.

وإذا صح ان النبي ﷺ وأصحابه كانوا يصحبون نساءهم في غزواتهم عند الامكان ، وهن غير مكلفات بالقتال ، بل يساعدن عليه بتهيئة الطعام والشراب ، وتضميد الجراح وغير ذلك كما تقدم في تفسير (٧١ـ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

أولياء بعض) (٥٤١ ج ١٠) فلأن يصحبنهم في سائر الاسفار أولى ، وفي سفر المرأة مع زوجها احصان له ولها ، فهو مانع المسلم من التطلع في السفر إلى غيرها

وعلل سفيان بن عيينة تفسير السائحين بالصائمين بان الصائم يترك اللذات كلها كالسائح للتعبد، ومثله أو منه قول الازهري :يسمي الصائم سائحاً لأن الذي يسيح في الارض متعبداً لايحمل زاداً فكان ممسكا عن الاكل . ولهذا التعليل خص بعضهم اطلاق وصف السائحين على الصائمين بالذين يديمون الصيام ،وأخذ بعضهم بظاهر اللفظ ، فقال يكفي في صحة لوصف صيام الفرض ، وكل ذلك ضعيف

والصوفية يخصون السائحين الممدوحين بالذين يهيمون في الارض لتربية إرادتهم وتهذيب أنفسهم باحتمال المشاق ، والبعد عن مظان السمعة والرياء ، لجمع اقلب على الرب عز وجل بالاخلاص في عبادته، والتكمل في منازل معرفته، كالسياحين من الامم قبلهم ، وقد كان اطلاق السياحة بهذا المعنى ذائعاً من قبل الاسلام حتى قال صاحب القاموس : السياحة الذهاب في الارض للعبادة ومنه سمي المسيح الخ واعترضوه فيه فانما هو عرف ليس من أصل اللغة ، وتقدم معنى السياحة اللغوي في تفسير قوله تعالى (فسيحوا في الارض أربعة أشهر) وهو أول آية من هذه السورة (ص ١٥٢ ج ١٠)

وقد حدث للمتصوفة بدع في السياحة كقصد مشاهد القبور المنسوبة إلى الانبياء والصالحين للتبرك بها والاستمداد من أرواح من دفنوا فيها ، وكثير منها يكون له هوى في التنقل من بلد إلى آخر فيظل هائما في الاسفار ، وينقطع بذلك عن الاعمال التي تنفع الناس وعن الزواج ، ويرتكب بعضهم فيها كثيراً من المنكرات ، ويكون لهم طمع في استجداء الناس ، والسؤال حرام إلا لضرورة ، والفقهاء ينكرون عليهم سياحتهم هذه ،

قال ابن الجوزي : السياحة في الارض لالمقصود ولا إلى مكان معروف منهي عنها . وقد روينا ان النبي ﷺ قال « لارهبانية في الاسلام ولاتبتل ولا

سياحة في الاسلام » وقال الامام احمد ماالسياحة من الاسلام في شيء ولا من فعل النبيين والصالحين ، ولان السفر يشتت القلب فلا ينبغي المريدأن يسافر إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدي به اه

وأقول روى ابن جرير من حديث أبي هريرة مرفوعا وموقوفا حديث «السائحون هم الصائمون» ولا يصح رفعه وروي عن عائشة وابن عباس ومجاهد وغيرهم من أقوالهم ، ومن مرسل عمرو بن دينار عن عبيد بن عميره وروى ابو داود من طريق القاسم أبي عبد الرحمن عن ابي امامة ان رجلا قال يارسول الله ائذن لي بالسياحة ؟ قال النبي ﷺ « إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل » قال الحافظ المنذري: القاسم هذا تكلم فيه غير واحداه أقول منهم الامام احمد كان يقول فيما يروى عنه من المناكير أنها من قبله ، ويقول بعضهم إنها ممن روى عنه من الضعفاء لامنه ، وقال ابن حبان : كان يروي عن الصحابة المعضلات

﴿ الراكعون الساجدون ﴾ لله تعالى في صلواتهم . والصلاة تذكر تارة بلفظها وتارة ببعض أركانها كالقيام والركوع والسجود . وهذا الوصف يفيد التذكير بهذه الهيئة وتمثيلها للقاريء والسامع

﴿ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴾ تقدم معنى هذا الامر والنهي ومكانته من صفات المؤمنين في تفسير الآية (٧١) من هذه السورة (ص٥٤١ ج ١٠) وهذه الصفة وما بعدها من الصفات المتعلقة بجماعة المؤمنين فيما يجب على بعضهم لبعض وكل ماقبلهما من صفات الافراد

﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ أي شرائعه وأحكامه التي حدد فيها ما يجب وما يحظر على المؤمنين . وهي ما يجب على أئمة المسلمين وأولي الامر وأهل الحل والعقد منهم باقامتها وتنفيذها بالعمل في أفراد المسلمين وجماعتهم إذا أخلوا بما يجب عليهم من الحفظ لها ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ أي وبشر أيها الرسول المؤمنين الموصوفين بهذه البضع الصفات، ولم يذكر ما يبشرهم به لتعظيم شأنه وشموله لخير الدنيا وسعادة الآخرة

رسالة في حقيقة الصيام

وما يفطر الصائم بالنص والاجماع وما ألحق به من الرأي والاجتهاد

تتمة ماسبق في الجزء السابع

فصل

وأما الكحل والحقنة وما يقطر في احليله ، ومداواة المأمومة والجائفة - فهذا مما تنازع فيه اهل العلم، فمنهم من لم يفطر بشيء من ذلك ، ومنهم من فطر بالجميع لا بالكحل ، ومنهم من فطر بالجميع لا بالتقطير ، ومنهم من لايفطر بالكحل ولا بالتقطير ويفطر بما سوى ذلك.

والاظهر أنه لايفطر بشيء من ذلك . فان الصيام من دين المسلمين الذي يحتاج إلى معرفته الخاص والعام ، فلو كانت هذه الامور مما حرمها الله ورسوله في الصيام ، ويفسد الصوم بها لكان هذا مما يجب على الرسول بيانه ، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة وبلغوه الامة كما بلغوا سائر شرعه . فلما لم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي ﷺ في ذلك لاحديثا صحيحا ولا ضعيفا ولامسنداً ولا مرسلا - علم أنه لم يذكر شيئا من ذلك . والحديث المروي في الكحل ضعيف رواه ابوداود في السنن ولم يروه غيره ولا هو في مسند احمد ولا سائر الكتب المعتمدة

قال ابوداود حدثنا النفيلي ثنا علي بن ثابت حدثني عبدالرحمن بن النعمان ثنا معبد بن هودة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ «أنه امر بالاثمد المروح عند النوم وقال: ليتقه الصائم» قال ابوداود قال يحيى بن معين : هذا حديث منكر قال المنذري وعبدالرحمن قال يحيى بن معين ضعيف، وقال ابوحاتم الرازي: هو صدوق ، لكن من الذي يعرف اباه وعدالته وحفظه ؟

وكذلك حديث معبد قد عورض بحديث ضعيف وهو مارواه الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: اشتكيت عيني أفأكتحل وأنا صائم؟ قال «نعم» قال الترمذي: ليس بالقوي، ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء. وفيه ابو عاتكة. قال البخاري منكر الحديث

والذين قالوا ان هذه الامور تفطر كالحقنة ومداواة المأمومة والجائفة لم يكن معهم حجة عن النبي ﷺ، وانما ذكروا ذلك بما رأوه من القياس، وأقوى مااحتجوا به قوله «وبالغ في الاستنشاق الا أن تكون صائما» قالوا فدل ذلك على ان ماوصل إلى الدماغ يفطر الصائم إذا كان بفعله، وعلى القياس كل ماوصل إلى جوفه بفعله من حقنة وغيرها سواء كان ذلك في موضع الطعام والغذاء أو غيره من حشو جوفه

والذين استثنوا التقطير قالوا: التقطير لا ينزل الى جوفه، وانما يرشح رشحا فالداخل إلى احليله كالداخل إلى فمه وأنفه.

والذين استثنوا الكحل قالوا: العين ليست كالقبل والدبر، ولكن هي تشرب الكحل كما يشرب الجسم الدهن والماء

والذين قالوا الكحل يفطر قالوا: انه ينفذ إلى داخله حتى يتنخمه الصائم لان في داخل العين منفذاً إلى داخل الحلق،

وإذا كان عمدتهم هذه الاقيسة ونحوها لم يجز افساد الصوم بمثل هذه الاقيسة لوجوه:

(أحدها) ان القياس وإن كان حجة إذا اعتبرت شروط صحته فقد قلنا في الاصول إن الاحكام الشرعية بينتها النصوص أيضا، وإن دل القياس الصحيح على مثل مادل عليه النص دلالة خفية، فاذا علمنا بان الرسول لم يحرم الشيء ولم يوجبه علمنا انه ليس بحرام ولا واجب. وان القياس المثبت لوجوبه وتحريمه فاسد، ونحن نعلم أنه ليس في الكتاب والسنة مايدل على الافطار بهذه الاشياء فعلمنا انها ليست مفطرة

(الثاني) ان الاحكام التي تحتاج الامة إلى معرفتها لابد أن يبينها الرسول

صلى الله عليه وسلم بيانا عاماً، ولا بد أن تنقلها الامة، فاذا انتفى هذا علم أن هذا ليس من دينه

وهذا كما يعلم انه لم يفرض صيام شهر غير رمضان، ولا حج بيت غير البيت الحرام، ولا صلاة مكتوبة غير الخمس، ولم يوجب الغسل في مباشرة المرأة بلا إنزال، ولا أوجب الوضوء من الفزع العظيم وان كان في مظنة خروج الخارج، ولا سن الركعتين بعد الطواف بين الصفا والمروة كما سن الركعتين بعد الطواف بالبيت، وبهذا يعلم ان المني ليس بنجس، لانه لم ينقل عن أحد باسناد يحتج به انه أمر المسلمين بغسل أبدانهم وثيابهم من المني مع عموم البلوى بذلك، بل أمر الحائض أن تغسل قميصها من دم الحيض مع قلة الحاجة إلى ذلك، ولم يأمر المسلمين بغسل أبدانهم وثيابهم من المني

والحديث الذي يرويه بعض الفقهاء « يغسل الثوب من البول والغائط والمني والمذي والدم » ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وليس في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها ولا رواه أحد من أهل العلم بالحديث باسناد يحتج به . وروي عن عمار وعائشة من قولهما

وغسل عائشة المني من ثوبه وفركها إياه لا يدل على وجوب ذلك، فان الثياب تغسل من الوسخ والمخاط والبصاق، والوجوب إنما يكون بامره، لاسيما ولم يأمر هو سائر المسلمين بغسل ثيابهم من ذلك، ولا نقل انه أمر عائشة بذلك، بل أقرها على ذلك، فدل على جوازه أو حسنه واستحبابه

وأما الوجوب فلا بد له من دليل

وبهذه الطرق يعلم ايضاً انه لم يوجب الوضوء من لمس النساء ولا من النجاسات الخارجة من غير السبيلين فانه لم ينقل احد عنه باسناد يثبت مثله انه امر بذلك، مع العلم بان الناس كانوا لايزالون يحتجمون ويتقيؤن ويجرحون في الجهاد

وغير ذلك، وقد قطع عرق بعض اصحابه ليخرج منه الدم وهو الفصاد، ولم ينقل عنه مسلم انه امر اصحابه بالتوضؤ من ذلك،

وكذلك الناس لا يزال احدهم يلمس امرأته بشهوة وبغير شهوة ولم ينقل عنه مسلم انه امر الناس بالتوضؤ من ذلك، والقرآن لا يدل على ذلك، بل المراد بالملامسة الجماع كما بسط في موضعه. وامره بالوضوء من مس الذكر انما هو استحباب إما مطلقا وإما اذا حرك الشهوة. وكذلك يستحب لمن لمس النساء فتحركت شهوته أن يتوضأ، وكذلك من تفكر فتحركت شهوته فانتشر، وكذلك من مس الامرد او غيره فانتشر

فالتوضؤ عند تحرك الشهوة من جنس التوضؤ عند الغضب، وهذا مستحب لما في السنن عن النبي ﷺ انه قال «ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار وانما تطفأ النار بالماء، فاذا غضب احدكم فليتوضأ» وكذلك الشهوة الغالبة هي من الشيطان والنار، والوضوء يطفئها فهو يطفيء حرارة الغضب. والوضوء من هذا مستحب. وكذلك امره بالوضوء مما مسته النار امر استحباب لان ما مسته النار يخالط البدن. فليتوضأ فان النار تطفأ بالماء. وليس في النصوص ما يدل على انه منسوخ، بل النصوص تدل على انه ليس بواجب، واستحباب الوضوء من أعدل الاقوال: من قول من يوجبه وقول من يراه منسوخا. وهذا أحد القولين في مذهب احمد وغيره،

وكذلك بهذه الطريق يعلم ان بول ما يؤكل لحمه وروثه ليس بنجس، فان هذا مما تعم به البلوى، والقوم كانوا أصحاب ابل وغنم، يقعدون ويصلون في أمكنتها وهي مملوءة من أبعارها، فلو كانت بمنزلة المراحيض كانت تكون حشوشا. وكان النبي ﷺ يأمرهم باجتنابها، وأن لا يلوثوا أبدانهم وثيابهم بها ولا يصلون فيها. فكيف وقد ثبتت الاحاديث بان النبي ﷺ وأصحابه كانوا يصلون في

مرابض الغنم، وأمر بالصلاة في مرابض الغنم، ونهى عن الصلاة في معاطن الابل فعلم أن ذلك ليس لنجاسة الابعار، بل كما أمر بالتوضؤ من لحوم الابل، وقال في الغنم إن شئت فتوضأ وإن شئت فلا تتوضأ، وقل « ان الابل خلقت من جن، وان على ذروة كل بعير شيطانا » وقل « الفخر والخيلاء في الفدا دين أصحاب الابل، والسكينة في أهل الغنم »

فلما كانت الابل فيها من الشيطنة مالا يحبه الله ورسوله أمر بالتوضؤ من لحمها فان ذلك يطفيء تلك الشيطنة، ونهى عن الصلاة في اعطانها لانها مأوى الشياطين، كما نهى عن الصلاة في الحمام لانها مأوى الشياطين

فان مأوى الارواح الخبيثة أحق بان تجتنب الصلاة فيه وفي موضع الاجسام الخبيثة، بل الارواح الخبيثة تحب الاجسام الخبيثة.

ولهذا كانت الحشوش محتضرة تحضرها الشياطين والصلاة فيها أولى بالنهي من الصلاة في الحمام ومعاطن الابل، والصلاة على الارض النجسة، ولم يرد في الحشوش نص خاص لان الامر فيها كان أظهر عند المسلمين أن يحتاج الى بيان

ولهذا لم يكن أحد من المسلمين يقعد في الحشوش ولا يصلي فيها، وكانوا ينتابون البرية لقضاء حوائجهم قبل ان تتخذ الكنف في بيوتهم

واذا سمعوا نهيه عن الصلاة في الحمام او اعطان الابل علموا ان النهي عن الصلاة في الحشوش أولى وأحرى، مع انه قد روي الحديث الذي فيه النهي عن الصلاة في المقبرة والمجزرة والمزبلة والحشوش وقارعة الطريق ومعاطن الابل، وظهر بيت الله الحرام.

وأصحاب الحديث متنازعون فيه وأصحاب احمد فيه على قولين: منهم من يرى هذه من مواضع النهي ومنهم من يقول لم يصح هذا الحديث، ولم أجد في كلام احمد في ذلك اذنا ولا منعا، مع انه قد كره الصلاة في مواضع العذاب. نقله عنه

ابنه عبدالله للحديث المسند في ذلك عن علي الذي رواه أبو داود ، وانما نص على الحشوش واعطان الابل والحمام وهذه الثلاثة هي التي ذكرها الخرقي وغيره

والحكم في ذلك عند من يقول به قد يثبته بالقياس على موارد النص وقد يثبته بالحديث ، ومن فرق يحتاج إلى الطعن في الحديث وبيان الفارق ، وأيضاً المنع قد يكون منع كراهة ، وقد يكون منع تحريم

فاذا كانت الاحكام التي تعم بها البلوى لابد أن يبينها الرسول ﷺ بيانا عاما ولا بد ان تنقل الامة ذلك ، فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تعم به البلوى كما تعم بالدهن والاغتسال والبخور والطيب. فلو كان هذا مما يفطر لبينه النبي ﷺ كما بين الافطار بغيره ، فلما لم يبين ذلك علم انه من جنس الطيب والبخور والدهن ، والبخور قد يتصاعد إلى الانف ويدخل في الدماغ وينعقد أجساما ، والدهن يشرب به البدن ويدخل الى داخله ويتقوى به الانسان ، وكذلك يتقوى بالطيب قوة جيدة ، فلما لم ينه الصائم عن ذلك دل على جواز تطييبه وتبخيره وادهانه ، وكذلك اكتحاله . وقد كان المسلمون في عهده ﷺ يجرح أحدهم إما في الجهاد وإما في غيره مأمومة وجائفة فلو كان هذا يفطر ابين لهم ذلك ، فلما لم ينه الصائم عن ذلك علم انه لم يجعله مفطراً

(الوجه الثالث) اثبات التفطير بالقياس يحتاج الى أن يكون القياس صحيحا وذلك إما قياس على بابه الجامع ، واما بالغاء الفارق ، فاما أن يدل دليل على العلة في الاصل معدى لها إلى الفرع ، واما ان يعلم ان لافارق بينهما من الاوصاف المعتبرة في الشرع ، وهذا القياس هنا منتف

وذلك انه ليس في الادلة مايقتضي أن المفطر الذي جعله الله ورسوله مفطراً هو ماكان واصلا الى دماغ او بدن ، او ماكان داخلا من منفذ ، أو واصلا إلى الجوف ، ونحو ذلك من المعاني التي يجعلها أصحاب هذه الاقاويل هي مناط الحكم عند الله

ورسوله ، ويقولون ان الله ورسوله انما جعل الطعام والشراب مفطراً لهذا المعنى المشترك من الطعام والشراب، ومما يصل الى الدماغ والجوف من دواء المأمومة والجائفة وما يصل الى الجوف من الكحل ومن الحقنة والتقطير في الاحليل ونحو ذلك ،

وإذا لم يكن على تعليق الله ورسوله للحكم بهذا الوصف دليل كان قول القائل: ان الله ورسوله انما جعلا هذا مفطراً لهذا - قولا بلا علم ، وكان قوله « ان الله حرم على الصائم أن يفعل هذا» قولا بان هذا حلال وهذا حرام، بلا علم، وذلك يتضمن القول على الله بما لا يعلم ، وهذا لا يجوز

ومن اعتقد من العلماء أن هذا المشترك مناط الحكم فهو بمنزلة من اعتقد صحة مذهب لم يكن صحيحا، أو دلالة لفظ على معنى لم يرده الرسول ، وهذا اجتهاد يثابون عليه ، ولا يلزم أن يكون قولا بحجة شرعية يجب على المسلم اتباعها

(الوجه الرابع) أن القياس انما يصح إذا لم يدل كلام الشارع على علة الحكم(١) إذا سبرنا أوصاف الاصل فلم يكن فيها ما يصلح للعلة إلا الوصف المعين ، وحيث أثبتنا علة الاصل بالمناسبة أو الدوران أو الشبه المطرد عند من يقول به ، فلا بد من السبر ، فاذا كان في الاصل وصفان مناسبان لم يجز أن يقول الحكم بهذا دون هذا .

ومعلوم أن النص والاجماع أثبتا الفطر بالاكل والشرب والجماع والحيض والنبي ﷺ قد نهى المتوضيء عن المبالغة في الاستنشاق إذا كان صائما، وقياسهم على الاستنشاق أقوى حججهم كما تقدم، وهو قياس ضعيف ، وذلك لان (من) نشق الماء بمنخريه ينزل الماء إلى حلقه وإلى جوفه، فحصل له بذلك ما يحصل للشارب بفمه ويغذي بدنه من ذلك الماء ، ويزول العطش ويطبخ الطعام في معدته كما يحصل بشرب الماء ، فلو لم يرد النص بذلك لعلم بالعقل أن هذا من جنس الشرب فانهما

---

(١) يعني ان القياس انما يصح في حالة عدم دلالة نص الشارع على علة الحكم بالشرط الآتي

لا يفترقان إلا في دخول الماء من الفم ، وذلك غير معتبر ، بل دخول الماء إلى الفم وحده لا يفطر ، فليس هو مفطراً ولا جزءاً من المفطر لعدم تأثيره، بل هو طريق إلى الفطر ، وليس كذلك الكحل والحقنة ومداواة الجائفة والمأمومة. فان الكحل لا يغذي ألبتة ولا يدخل أحد كحلا إلى جوفه لا من أنفه ولا فمه ، وكذلك الحقنة لا تغذي بل تستفرغ ما في البدن كما لو شم شيئا من المسهلات ، أو فزع فزعا أوجب استطلاق جوفه وهي لا تصل إلى المعدة(١)

والدواء الذي يصل إلى المعدة في مداواة الجائفة والمأمومة لا يشبه ما يصل اليها من غذائه(٢) والله سبحانه قال(كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقال ﷺ « الصوم جنة » وقال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع بالصوم »(٣)

فالصائم نهي عن الأكل والشرب لان ذلك سبب التقوى . فترك الأكل والشرب الذي يولد الدم الكثير الذي يجري فيه الشيطان ، إنما يتولد من الغذاء

«١» قال في المصباح :وحقنت المريض اذا اوصلت الدواء الى باطنه من مخرجه بالمحقنة بالكسر ، واحتقن هو ، والاسم الحقنة مثل الفرقة من الافتراق. ثم اطلقت على ما يتداوى به ، والجمع حقن مثل غرفة وغرف — اه. فهذه هي الحقنة التي يقول شيخ الاسلام انها لا تفطر الصائم وقوله حق . ولكن يوجد في هذا الزمان حقن آخر وهو إيصال بعض المواد المغذية الى الامعاء يقصد بها تغذية بعض المرضى والامعاء من الجهاز الهضمي كالمعدة وقد تغني عنها، فهذا النوع من الحقنة يفطر الصائم فهو لا يباح له الا في المرض المبيح للفطر «٢» الجائفة الجراحة التي تصل الى الجوف. والمأمومة الشجة في الرأس تصل الى ام الدماغ: ومداوتهما ليس فيه تغذية في الصيام (٣) الحديث الاول رواه النسائي عن معاذ بهذا اللفظ . وروي بزيادة وبلفظ الصيام . والثاني متفق عليه من حديث أنس وصفية بدون «فضيقوا مجاريه بالجوع» وقد ذكره الغزالي في الاحياء بها ولم يذكر الحافظ العراقي لها أصلا ، ولم يذكرها الشيخ عند ما أعاد الحديث وزيادة

لا عن حقنة ولا كحل، ولا مايقطر في الذكر، ولا مايداوى به المأمومة والجائفة، وهو متولد عما استنشق من الماء لان الماء مما يتولد من الدم فكان المنع منه من تمام الصوم

فاذا كانت هذه المعاني وغيرها موجودة في الاصل الثابت بالنص والاجماع فدعواهم ان الشارع علق الحكم بما ذكروه من الاوصاف معارض بهذه الاوصاف. والمعارضة تبطل كل نوع من الاقيسة ان لم يتبين أن الوصف الذي ادعوه هو العلة دون هذا

(الوجه الخامس) انه ثبت بالنص والاجماع منع الصائم من الاكل والشرب والجماع، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» ولا ريب أن الدم يتولد من الطعام والشراب، وإذا أكل أو شرب اتسعت مجاري الشياطين(١) وإذا صام ضاقت وانبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي بها تفتح أبواب الجنة، وإلى ترك المنكرات التي بها تفتح أبواب النار، وصفدت الشياطين فضعفت قوتهم وعملهم بتصفيدهم فلم يستطيعوا أن يفعلوا في شهر رمضان ما كانوا يفعلونه في غيره، ولم يقل انهم قتلوا ولا ماتوا، بل قال: «صفدوا» والمصفد من الشياطين قد يؤذي، لكن هذا أقل وأضعف مما يكون في غير رمضان، فهو بحسب كمال الصوم ونقصه، فمن كان صومه كاملا دفع الشيطان دفعا لايدفعه الصوم الناقص، فهذه المناسبة ظاهرة في منع الصائم من الاكل والشرب، والحكم ثابت على وفقه وكلام الشارع قد دل على اعتبار هذا الوصف وتاثيره، وهذا المنع منتف في الحقنة والكحل وغير ذلك

(فان قيل) بل الكحل قد ينزل إلى الجوف ويستحيل دما. (قيل) هذا كما قد يقال في البخار الذي يصعد من الانف إلى الدماغ فيستحيل دما، وكالدهن الذي يشربه الجسم. والممنوع منه إنما هو مايصل إلى المعدة فيستحيل دما ويتوزع على البدن،

«١» وهي الشهوات

ونجعل هذا وجها خامسا فنقيس الكحل والحقنة ونحو ذلك على البخور والدهن ونحو ذلك : لجامع مايشتركان فيه من أن ذلك ليس مما يتغذى به البدن ويستحيل في المعدة دما ، وهذا الوصف هو الذي أوجب أن لاتكون هذه الامور مفطرة ، وهذا موجود في محل النزاع . والفرع قد يتجاذبه أصلان فيلحق كلا منهما بما يشبهه من الصفات

(فان قيل) هذا تطبخه المعدة ويستحيل دما ينمو عنه البدن لكنه غذاء ناقص فهو كما لو أكل سما او نحوه مما يضره وهو بمنزلة من أكل أكلا كثيراً أورثه تخمة ومرضاً. فكان منعه في الصوم عن هذا أوكد لانه ممنوع عنه في الافطار وبقي الصوم أوكد، وهذا كمنعه من الزنى فانه اذا منع من الوطء المباح فالمحظور أولى .

(فان قيل) فالجماع مفطر وهذه العلة منتفية فيه ؟

(قيل) تلك أحكام ثابتة بالنص والاجماع فلا يحتاج اثباتها الى القياس ، بل يجوز أن تكون العلل مختلفة فيكون تحريم الطعام والشراب والنظر بذلك الحكمة ، وتحريم الجماع والفطر به لحكمة ، والفطر بالحيض لحكمة ، فان الحيض لايقال فيه انه يحرم وهذا لان المفطرات بالنص والاجماع لما انقسمت الى أمور اختيارية تحرم على العبد كالأكل والجماع ، والى أمور لا اختيار له فيها كدم الحيض ، كذلك تنقسم عللها

(فنقول) أما الجماع فانه باعتبار انه سبب انزال المني يجري مجرى الاستقاءة والحيض والاحتجام - كما سنبينه ان شاء الله تعالى - فانه من نوع الاستفراغ لا الامتلاء كالأكل والشرب ، ومن جهة انه احدى الشهوتين فجرى مجرى الأكل والشرب وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الله تعالى « الصوم لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي » فترك الانسان مايشتهيه لله هو عبادة مقصودة يثاب عليها كما يثاب المحرم على ترك ماعتاده من اللباس والطيب ونحو ذلك من نعيم البدن ، والجماع من أعظم نعيم البدن وسرور النفس وانبساطها ، وهو يحرك الشهوة والدم والبدن أكثر من الاكل ، فاذا كان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . والغذاء يبسط الدم الذي هو مجاريه ، فاذا أكل أوشرب

انبسطت نفسه إلى الشهوات ، وضعفت إرادتها ومحبتها للعبادات، فهذا المعنى في الجماع أبلغ، فانه يبسط إرادة النفس للشهوات، ويضعف إرادتها عن العبادات أعظم، بل الجماع هو غاية الشهوات وشهوته أعظم من شهوة الطعام والشراب، ولهذا أوجب على المجامع كفارة الظهار فوجب عليه العتق أو مايقوم مقامه بالسنة والاجماع، لان هذا أغلظ، وداعيه أقوى ، والمفسدة به أشد. فهذا أعظم الحكمتين في تحريم الجماع

وأما كونه يضعف البدن كالاستفراغ فذاك حكمة أخرى فصار فيه كالأكل والحيض وهو في ذلك أبلغ منهما فكان افساده الصوم أعظم من افساد الأكل والحيض

*
* *

فنذكر حكمة الحيض وجريان ذلك على وفق القياس ، فنقول : إن الشرع جاء بالعدل في كل شيء . والاسراف في العبادات من الجور الذي نهى عنه الشارع وأمر بالاقتصاد في العبادات ، ولهذا أمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور ونهى عن الوصال وقال «أفضل الصيام وأعدل الصيام صيام داود عليه السلام ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى» فالعدل في العبادات من أكبر مقاصد الشارع ، ولهذا قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية . فجعل تحريم الحلال من الاعتداء المخالف للعدل وقال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) فلما كانوا ظالمين عوقبوا بأن حرمت عليهم الطيبات، بخلاف الامة الوسط العدل فانه أحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث

واذا كان كذلك فالصائم قد نهي عن أخذ مايقويه ويغذيه من الطعام والشراب فينهى عن اخراج مايضعفه ويخرج مادته التي بها يتغذى ، وإلا فاذا مكن من هذا ضره وكان متعديا في عبادته لا عادلا

فالخارجات نوعان: نوع يخرج لايقدر على الاحتراز منه أو على وجه لايضره فهذا لايمنع منه كالاخبثين، فان خروجهما لايضره ولايمكنه الاحتراز منه أيضاً ، ولو استدعى خروجهما فان خروجهما لا يضره بل ينفعه . وكذلك اذا ذرعه القيء لايمكنه الاحتراز منه ، وكذلك الاحتلام في المنام لا يمكنه الاحتراز منه

وأما اذا استقاء فالقيء يخرج ما يتغذى به من الطعام والشراب المستحيل في المعدة ، وكذلك الاستمناء مع ما فيه من الشهوة فهو يخرج المني الذي هو مستحيل في المعدة عن الدم فهو يخرج الدم الذي يتغذى به ، ولهذا كان خروج المني اذا أفرط فيه يضر الانسان ويخرج احمر

والدم الذي يخرج بالحيض فيه خروج الدم ، والحائض يمكنها ان تصوم في غير أوقات الدم في حال لا يخرج فيها دمها فكان صومها في تلك الحال صوما معتدلا لا يخرج فيه الدم الذي يقوي البدن الذي هو مادته ، وصومها في الحيض يوجب أن يخرج فيه دمها ، ويوجب نقصان بدنها وضعفها وخروج صومها عن الاعتدال ، فأمرت ان تصوم في غير أوقات الحيض

بخلاف المستحاضة فان الاستحاضة تعم الزمان وليس لها وقت تؤمر فيه بالصوم وكان ذلك لا يمكن الاحتراز منه كذرع القيء وخروج الدم بالجراح والدمامل والاحتلام ونحو ذلك مما ليس له وقت محدد يمكن الاحتراز منه . فلم يجعل هذا منافيا للصوم كدم الحيض ،

وطرد هذا اخراج الدم بالحجامة والفصاد ونحو ذلك فان العلماء متنازعون في الحجامة هل تفطر الصائم أم لا ؟ والاحاديث الواردة عن النبي ﷺ في قوله « أفطر الحاجم والمحجوم » كثيرة قد بينها الأئمة الحفاظ

وقد كره غير واحد من الصحابة الحجامة للصائم وكان منهم من لا يحتجم إلا بالليل . وكان أهل البصرة اذا دخل شهر رمضان أغلقوا حوانيت الحجامين والقول بان الحجامة تفطر مذهب أكثر فقهاء الحديث كاحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهم

وأهل الحديث الفقهاء فيه العاملون به أخص الناس باتباع محمد ﷺ والذين لم يروا افطار المحجوم احتجوا بما ثبت في الصحيح «أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم محرم » وأحمد وغيره طعنوا في هذه الزيادة وهي قوله « وهو صائم » وقالوا الثابت انه احتجم وهو محرم. قال احمد قال يحيى بن سعيد قال شعبة لم يسمع الحكم حديث مقسم في الحجامة للصائم، يعني حديث شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن

عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم محرم

قال مهنا: سألت احمد عن حديث حبيب بن الشهيد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم محرم. فقال ليس بصحيح، وقد أنكره يحيى بن سعيد الانصاري، قال الاثرم سمعت أبا عبدالله رد هذا الحديث فضعفه وقال: كانت كتب الانصاري ذهبت في أيام المنتصر فكان بعد يحدث من كتب غلامه وكان هذا من تلك

وقال مهنا: سألت احمد عن حديث قبيصة عن سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الخ فقال: هو خطأ من قبل قبيصة. وسألت يحيى عن قبيصة فقال: رجل صدق، والحديث الذي يحدث به عن سفيان عن سعيد خطأ من قبله

قال مهنا سألت احمد عن حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم فقال ليس فيه «صائم» انما هو «محرم» ذكره سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه وهو محرم. وعن طاوس وعطاء مثله عن ابن عباس، وعن عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مثله، وهؤلاء أصحاب ابن عباس لا يذكرون صائما

(قلت) وهذا الذي ذكره الامام احمد هو الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، ولهذا أعرض مسلم عن الحديث الذي ذكر حجامة الصائم ولم يثبتا إلا حجامة المحرم. وتأولوا أحاديث الحجامة بتأويلات ضعيفة كقولهم: كانا يغتابان وقولهم أفطرا لسبب آخر. وأجود ماقيل ماذكره الشافعي وغيره ان هذا منسوخ فان هذا القول كان في رمضان واحتجامه وهو محرم كان بعد ذلك لان الاحرام بعد رمضان. وهذا أيضا ضعيف بل هو صلوات الله عليه أحرم عام الحديبية بعمرة في ذي القعدة، وأحرم من العام القابل بعمرة القضية في ذي القعدة، وأحرم من العام الثالث سنة الفتح من الجعرانة في ذي القعدة، وأحرم سنة عشر بحجة الوداع في ذي القعدة، فاحتجامه وهو محرم صائم لم يبين في أي الاحرامات كان، والذي يقوي ان إحرامه الذي احتجم فيه كان قبل فتح مكة، وقوله «أفطر الحاجم والمحجوم» فانه كان عام الفتح بلا ريب هكذا في اجود الاحاديث

قال احمد: أنبأنا اسماعيل عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن الاشعث عن شداد

ابن اوس انه مر مع النبي ﷺ زمن الفتح على رجل محتجم بالبقيع لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان فقال « أفطر الحاجم والمحجوم » وقال الترمذي سألت البخاري فقال ليس في هذا الباب أصح من حديث شداد بن أوس وحديث ثوبان فقلت ومافيه من الاضطراب؟ فقال كلاهما عندي صحيح ، لان يحيى بن سعيد روى عن أبي قلابة عن أبي اسماء عن ثوبان عن ابي الاشعث عن شداد الحديثين جميعاً

(قلت) وهذا الذي ذكره البخاري من أظهر الادلة على صحة كلا الحديثين اللذين رواهما ابو قلابة - الى ان قال - ومما يقوي ان الناسخ هو الفطر بالحجامة أن ذلك رواه عنه خواص اصحابه الذين كانوا يباشرونه حضراً وسفراً ، ويطلعون على باطن امره مثل بلال وعائشة ، ومثل اسامة وثوبان مولياه ، ورواه عنه الانصار الذين هم بطانته مثل رافع بن خديج وشداد بن اوس

وفي مسند احمد عن رافع بن خديج عن النبي ﷺ قال « أفطر الحاجم والمحجوم » قال أحمد اصح شيء في هذا الباب حديث رافع ، وذكر أحاديث «أفطر الحاجم والمحجوم» إلى أن قال: ثم اختلفوا على اقوال (احدها) يفطر المحجوم دون الحاجم ، ذكره الخرقي ، لكن المنصوص عن احمد وجمهور اصحابه الافطار بالامرين ، والنص دال على ذلك فلا سبيل إلى تركه (والثاني) انه يفطر المحجوم الذي يحتجم ويخرج منه الدم ، ولا يفطر بالافتصاد ونحوه لانه لا يسمى احتجاما ، وهذا قول القاضي وأصحابه ، فالتشريط في الآذان هل هو داخل في مسمى الحجامة؟ تنازع فيه المتأخرون فبعضهم يقول التشريط كالحجامة كما يقوله شيخنا ابو محمد المقدسي ، وعليه يدل كلام العلماء قاطبة ، فليس منهم من خص التشريط بذكر ولو كان عندهم لايدخل في الحجامة لذكروه كما ذكروا الفصاد فعلم ان التشريط عندهم من نوع الحجامة ، وقال شيخنا ابو محمد هذا هو الصواب إلى أن قال :

(والرابع) وهو الصواب واختاره ابو المظفر ابن هبيرة الوزير العالم العادل وغيره انه يفطر بالحجامة والفصاد ونحوهما ، وذلك لان المعنى الموجود في الحجامة موجود في الفصاد شرعا وطبعا ، وحيث حض النبي ﷺ على الحجامة وأمر بها فهو حض على مافي معناها من الفصاد وغيره ، لكن الارض الحارة تجتذب الحرارة فيها دم البدن فيصعد

إلى سطح الجلد فيخرج بالحجامة والارض الباردة يغور الدم فيها إلى العروق هربا من البرد، فان شبه الشيء منجذب اليه كما تسخن الاجواف في الشتاء وتبرد في الصيف، فاهل البلاد الباردة لهم الفصاد وقطع العروق كما للبلاد الحارة الحجامة لافرق بينهما في شرع ولا عقل

وقد بينا أن الفطر بالحجامة على وفق الاصول والقياس، وانه من جنس الفطر بدم الحيض والاستقاءة وبالاستمناء. وإذا كان كذلك فبأي وجه أراد اخراج الدم افطر، كما انه باي وجه أخرج القيء افطر سواء جذب القيء بادخال يده او بشم مايقيئه او وضع يده تحت بطنه واستخرج القيء، فتلك طرق لاخراج القيء وهذه طرق لاخراج الدم، ولهذا كان خروج الدم بهذا وهذا سواء في باب الطهارة، فبين بذلك كمال الشرع واعتداله وتناسبه، وان ماورد من النصوص ومعانيها فان بعضه يصدق بعضا ويوافقه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

وأما الحاجم فانه يجتذب الهواء الذي في القارورة بامتصاصه، والهواء يجتذب مافيها من الدم فربما صعد مع الهواء شيء من الدم ودخل في حلقه وهو لا يشعر والحكمة إذا كانت خفية أو مستترة علق الحكم بالمظنة كما أن النائم الذي يخرج منه الريح ولا يدري يؤمر بالوضوء، فكذلك الحاجم يدخل شيء من الدم مع ريقه إلى بطنه وهو لا يدري

والدم من أعظم المفطرات فانه حرام في نفسه لما فيه من طغيان الشهوة، والخروج عن العدل، والصائم أمر بحسم مادته. فالدم يزيد الدم فهو من جنس المحظور. فيفطر الحاجم لهذا كما ينقض وضوء النائم وان لم يستيقن خروج الريح منه لانه يخرج ولا يدري وكذلك الحاجم قد يدخل الدم في حلقه وهو لا يدري

وأما الشارط فليس بحاجم، وهذا المعنى منتف فيه فلا يفطر الشارط وكذلك لو قدر حاجم لايمص القارورة بل يمتص غيره أو يأخذ الدم بطريق أخرى لم يفطر

والنبي ﷺ كلامه خرج على الحاجم المعروف المعتاد، وإذا كان اللفظ عاما وان كان قصده شخصا بعينه فيشترك في الحكم سائر النوع للعادة الشرعية من أن ماثبت في حق الواحد من الامة ثبت في حق الجميع. فهذا أبلغ فلا يثبت بلفظه مايظهر لفظا ومعنى انه لم يدخل فيه مع بعده عن الشرع والعقل، والله أعلم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين

نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها

وبعثة محمد خاتم النبيين

للناس أجمعين (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وخاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

أيها السادة

ان موضوع الليلة هو بيان نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها من الشرائع ، وبعبارة أصح : بيان عموم بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وان الله تعالى أرسله للناس أجمعين ، سواء أصحاب الاديان السماوية وغيرهم

وقبل الكلام على هذا الموضوع لابد لنا من تمهيد ندخل به اليه ، وهو وإن كان تمهيداً فيما يبدو ، إلا ان له اتصالا قويا بهذا الموضوع في الحقيقة ، حتى كأنه أحد أجزائه

(التمهيد) من المعلوم عندنا من الدين بالضرورة أن الله تعالى لم يبعث لرسل إلا لاصلاح العالم بمعرفته وعبادته وحده واجتناب عبادة الطاغوت، وإيضاح الطريق اليه، لإتمام المجازاة بين العباد يوم الرجوع اليه ، كما كانت البداية منه . يوافقنا على هذا أصحاب الاديان الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولقد آزر أصحاب الاديان في ذلك العقل الانساني ، المجرد عن أهواء النفس وميلها الشهواني، والعقل في كل عصور التاريخ من اليوم الذي ترعرع فيه وقوى على الكفاح والنضال لم يختلف مع

(*) محاضرة لفضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني في جمعية الشبان المسلمين

أصحاب الاديان في أصل الفكرة، إذ العقل مهما تعرجت به السبل لا يستطيع أن ينكر حاجة البشر إلى الاصلاح والمصلحين، كما انه قد وقف خاضعاً مبهوتاً أمام معجزات الانبياء في عصورهم، وبعد انقراض عصورهم. بل العقل البشري في عصور الفلسفة الاولى وهي منعزلة عن الاديان تمام الانعزال وغير متأثرة بها، قد عرف واجب الوجود، وخطا خطوة واسعة في الشعور باليوم الآخر وهو من الغيب المحض، فرأى أن الحكمة تأبى على مبدع هذا الوجود وقد تفاوت فيه أفراد الانسان: سعادة وشقاوة، ولذة وألماً، وظالمية ومظلومية — أن ينتهي العالم بعد ذلك التفاوت البليغ إلى العدم المحض، وقرر انه لابد من حياة وراء هذه الحياة تتجلى فيها مظاهر العدل والحكمة بين أفراد الانسان

أيها السادة

ان هذا النوع الانساني الذي أرسل الله له الرسل مبشرين ومنذرين لابد له من بداية، ولابد أن تكون هذه البداية فرداً، وقد أجمع أصحاب الاديان السماوية على أن الفرد الذي تناسل منه هذا النوع الانساني هو آدم عليه السلام ثم زوجه حواء. ولا يهم بحثنا أن تكون حواء مخلوقة من طينة آدم على قانون تخليقه، أو من جزء من أجزائه بعد انتقاله الى الطور الانساني، كما لا يهم العقل أيضا هذا البحث، لان بداية العالم من الغيب المحض، فلا سبيل الى الوصول الى الغيب من طريق المشاهدة والتجارب المادية، ولا من طريق البحث والاستنتاج، لان الغيب المحض لا يكون الاستنتاج فيه اكثر من حدس وتخمين، وإذاً لا يمكن الوصول الى معرفة الانسان الاول خلقا وتعليما إلا من طريق الحق، طريق الوحي المنزل على الانبياء المؤيدين بالمعجزات، ولقد اعلمنا الله تعالى على لسانهم رحمة منه بنا حيث لم يتركنا حيارى فيما يمسنا، ونعجز عن الوصول اليه بعقولنا، ان آدم عليه السلام أبو البشر، وانه خلقه من طين ومن صلصال من حمإٍ مسنون. ولا بدع في ذلك فانسان اليوم يتخلق من الطين بوسائط، وبعض العلق (الدود الصغير) يتخلق منه بلا واسطة

ومن هذا تعلمون قيمة القول بأن القرد هو أصل الانسان ، على أن هذا القول لا يزال في دور البحث العلمي عند أصحابه ، وهم أنفسهم يقولون إن هناك حلقة مفقودة لايتم لهم هـذا البحث الا اذا عثروا عليها ، ونحن نقول لهم لا نؤمن بما تقولون وان عثرتم عليها ، لان بحثكم على فرض تمامه مبني على القياس والاستنتاج لا على المشاهدة واليقين . وقد قال الله تعـالى وقوله الحق الذي يذعن له العقل ، (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) فأي عاقل بعد هذا يستبيح لنفسه أن يترك يقينيات الاديان الى ظنون الباحثين ، وإذا أباح العقل للباحث أن يتأثر بنتائج بحثه ، وعذره فيه لانه منتهى علمه ، لانه يبحث بعيداً عن كل دين ، فأي عقل يبيح لغير الباحث من أصحاب الاديان أن يقلده فيه ويتغنى بما يخالف جميع الاديان ؟ وأي سقوط وراء من يقلد عن جهل من لا ضمان له ، ويترك عظمة الاديان وفيها الضمان كل الضمان بالمعجزات وشهادة التاريخ

أيها السادة

ان الدعي الذي ينتسب لغير أبيه حقير في ذاته ، ممقوت عند الناس ، وإن انتسب الى من هو أكرم من أبيه ، فكيف اذا انتمى الى من هو دون أبيه بمراحل ؟

أيها السادة : لست الآن بصدد البحث عن إثبات مبدأ الخليقة ، ولا عن إثبات إرسال الرسل وحكمة ارسالهم ، وانما جر الى ذكر ذلك التمهيد لا غير ، لان موضوع الليلة خاص بأصحاب الاديان ، وكلهم يؤمن بالله وملائكتـه وكتبـه ورسله واليوم الآخر ، وليست المسألة أكثر من موضوع يطرح أمام العقـل ليبحثه ، وينصف من نفسه

واني لم أعتمد في هذا البحث إلا على أدلة العقل المستندة الى نظام الوجود الثابت لئلا يقال (كل فتاة بأبيها معجبة) ومن واجب اصحاب الاديان أن يبحثوا عن الحق حيثما كان ، ويطلبوا السعادة أينما وجدت ، ولا يليق بهم أن يجعلوا الاديان من أعراض الحياة الدنيا وأسباب تنازع البقاء فيها ، لان الاديان ما نزلت الا للسعـادة الشاملة ودوام البقاء في الآخرة . وقد انحرف أصحاب

الاديان جميعاً عن هذه الغاية السامية ، فتعصب كل لتراثه الموروث أياً كان مركزه من الحق ، كي لا يضيع عليه شيء من مظاهر الدنيا وتقاليدها ، ولم يقف الامر عند التنازع في ذات الاديان بل انتقل الى تنازع أصحاب المذاهب المختلفة من دين واحد لهذه الغاية الكاذبة ، مع ان الدين يجب ان يكون كله لله وان يبحث فيه دائماً عن اقوم الطرق الموصلة الى الله

وقد اخترت هذا الموضوع لانه يمس حياة العالم الدينية والعقلية ويتصل بسعادتهم الابدية كل الاتصال . وها انا ذا الآن بتوفيق الله تعالى داخل على اصل الموضوع

ايها السادة

ان الانسان في طوره الاول بسيط وساذج ، وهو في حياته الاولى أشبه بالطفل بعد ولادته ، وقد قال الله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) وإذا كان الطفل في حياته الاولى لا علم له بشيء أصلا بشهادة الدين والحس وقد تولد من انسان عاقل مرت به أحقاب طوال في الانسانية المعبدة المهذبة ، فكيف يكون حال الانسان الاول وقد انفصل عن الطينة الصماء وعن ظلام الوجود (؟) وقد تعلمون ان استعداد المنفصل عن انسان ، أقوى من استعداد المنفصل عن جماد أو حيوان . لهذا يجب علينا ان نبحث بحثا هادئا في هذا الانسان الذي وصل أبناؤه الى ما نرى ونسمع من العلم والعمل والرقي في أساليب الحياة المتشعبة الاصول والفروع فنقول :

إذا كان من الجائز عقلا أن نحيل أمر حياته المادية ونظام معيشته على الغرائز الحيوانية كما هو الشأن في بقية الحيوانات لان دواعي النفس كلها مركوزة في الغريزة الحيوانية ومشتهياتها على ظهر الارض -- فليس من الجائز عقلا أن نحيل أمر تنظيم جزئه الانساني على قانون الغرائز الحيوانية ، لانها لا تعدو المادة ولا تتجاوز وظائف حياتها الحيوانية ، والنفس الناطقة وغريزتها العقلية فوق الحيوانية : هذه سماوية وتلك ارضية ، هذه نورانية وتلك ظلمانية ، وعالم النور غير عالم الظلمة . ومن غير المعقول أن يستمد عنصر السماء من عنصر الارض ، ولو أن في الارض عالما آخر أرقى من الانسان في بداية نشأته لجاز أن نحيل عليه امر تنظيم حياته

العقلية والادبية وتلقي مبادىء العلوم المختلفة . وقد علمتم ان الفطرة الحيوانية لاتهدي الا الى سبيلها الحيواني، والا لارتقى الحيوان الاعجم الى مستوى الانسان، بل لو جاز ان يكون قانون الفطرة وحده هو الذي وضع لآدم نظام حياته الاولى وهو الذي ارشده الى الحق والباطل والى الخير والشر لكانت آثار العقل من الطهارة وحب الخير والسلام العام مثلا متمشية في الرقي جنبا لجنب مع الرقي المادي، مع أن دليل الحس قائم على اطراد الرقي المادي ، واضطراب الرقي الروحي الذي لا يتم بدونه كمال الانسان ، بل لا أبالغ اذا قلت إن الرقي المادي قد طغا على العقل طغيانا كبيراً حتى أفقده آثاره الروحية التي تظهر في طهارة النفس ، ومتانة الاخلاق

على انا لو تساهلنا وقلنا ان الانسان الاول قد هدته فطرته الى وضع المبادىء الاولى لنظام حياته العقلية ، لما كان لنا مندوحة عن القول بان الفطرة يجب أن تسبق بنموذج تقيس عليه ، ونبراس تسير على ضوئه . وليس ثمة من يهديها من العوالم. والجاهل لايستمد علمه من نفسه، فمن كان ياترى مصدر ذلك المقياس، ومطلع هذا النبراس ؟

مهما قلب العقل طرفه يمنة ويسرة في صفحات الوجود لايمكنه أن يهتدي إلى المعلم الاول للانسان الاول من عالم المادة . ولابدأن يرجع أخيراً إلى ماجاء به الانبياء ونطق به القرآن الكريم حيث قال (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالاتعلمون * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون)

ثم ان مبادىء التعليم الاولي للانسان الاول لاتعدو شعوره بنفسه ، وشعوره بخالقه ، وشعوره بالمسئولية امام خالقه . وهذه الامور الثلاثة تكاد تكون أساسا مضطرداً في كل تشريع إلهي ، وان آخر تشريع لم يزد في جوهر هذه الاسس

عن أول تشريع . ولذلك كانت هذه الاسس عماد التشريع الالهي وعناصره القوية التي لا يعدو عليها تطاول الازمان ، فأصول الشرائع الالهية منحصرة في تصحيح الاعتقاد ، وفي حفظ النظام . ومعرفة أقرب الطرق إلى الله وأوضحها للسير فيه ، وهذا هو ما يشير الله اليه بقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب)

الا ان هذه الاصول لم يخاطب بها العقل ولم يكلف بتنفيذها الانسان في أطواره المختلفة بنسبة واحدة . فالعقل فى بداية حياته غير العقل في نضوجه وغيره فيما بينهما من الاطوار ، والحكمة قاضية بأن يكون لكل طور حاجات خاصة به ، ولبيانها له أسلوب خاص في الخطاب وطرق الاستدلال للاقناع ، كذلك الانسان في حياته المعاشية الحيوانية ومحيطه المادي له أطوار كثيرة تختلف بحسبها حاجاته وطرق علمه بها ، والغرض من الشرائع الالهية اصلاح النفس وتهذيبها وكبح جماح قوتيها السبعية والشهوية ، ومعلوم ان عوامل قوى النفس كامنة فيها يثيرها ما يحيط بها من زخرف ومتاع ، ولا ينكشف خلق سبعي او شهوي في انسان إلا إذا أثاره محيطه المادي ودواعي الشهوات المادية لم تتوفر للعالم في عصر واحد

واذا تبين ان التشريع الالهي مرتبط بما ذكرنا من الاطوار المختلفة باختلاف الاعصار . تبين ان اختلاف التشريع باختلاف العصور المتطاولة ضروري لاصلاح البشر ، وان التشريع المتقدم لا يصلح في تفصيله للزمان المتأخر ، لان التشريع اذا لم يكن وفق الاستعداد وطبق الحاجات ضاع وضاعت معه حكمته ، ولو ان أصحاب الاديان جميعا تجردوا عن الشهوات والتنافس في الدنيا وبحثوا عن طريق الله الواضحة وعن الحق ليصلوا إلى الله على الوجه الذي دعاهم به ، لو انهم فعلوا ذلك لاهتدوا إلى قانون نظام النشوء والارتقاء في الاديان السماوية ، كما اهتدى اليه الماديون في القوى والعناصر المادية ، ولأصبح من المسلمات في عقول البشر ومتعارف حياتهم أن شريعة نوح لا تصلح لقوم ابراهيم ، وأن شريعة موسى ، وعيسى لا تصلح لزمان محمد ، وان أوضح دليل على ذلك أن اليهود والنصارى

لا يسيرون على المسيحية ولا على اليهودية لا من قرب ولا من بعد، وان أصحاب هاتين الديانتين في العالم انقلبوا ماديين أكثر من الطبيعيين

إن علم وحدانية الخالق وكماله وان المبدأ منه والمنتهى اليه الذي هو تصحيح الاعتقاد - انما يعتمد على أدلة الوجود وعلى مقدار مافي العقل من يقظة وانتباه

وقد كان العقل وأدلة الوجود في أزمنة الانبياء السابقين، دون ما ارتقت اليه في زمان البعثة المحمدية قوة واستعداداً، اذ كان الانسان بطول الكفاح العقلي قد تم او قارب التمام. كذلك ارشاد العالم إلى الطريق الموصل إلى الله وإلى كيفية السير فيه وهذا النوع من الارشاد يعبر عنه بكلمتين: تنظيم صلة العبد بالله، وتنظيم صلة العباد بعضهم ببعض، ومجال القول فيهما واسع المسافة بعيد الغور، مترامي الاطراف. خصوصا مايتعلق بالناس في مصالحهم ومتاجرهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وآدابهم وأخلاقهم، فكما ان أسلوب الاستدلال على الله والخوف منه والرجاء فيه تابع لدرجة انتباه العقل ويقظته، ومرتبة الارتقاء الانساني، كذلك صور العبادات، إذ حكمة مشروعية العبادة تنمية معرفة النفس بخالقها ومالكها، وتقوية ملاحظتها لما يجب من الشكر له، وانتباهها لبواعث الخوف منه والرجاء فيه، ومراتب العقل ودرجات استعداد النفس متفاوتة تفاوتا عظيما في الصور المتباينة فلكل استعداد أسلوب خاص وتأثير خاص ومن هنا كانت صور العبادات وأشكالها متفاوتة وتفاوتها ضروري، وإن اتحدت في الغرض، فرب عصر يتأثر بصورة وشكل، لا يتأثر به عصر آخر، ورب انسان يطمئن قلبه لحال وتخضع عندها نفسه ولا تتحرك من حال آخر

ثم لننتقل من التشريع الخاص بالخالق إلى التشريع المتصل بافراد الانسان وجماعاته وشعوبه. وما يجب على الجميع من مراعاة الحقوق والمرافق في الانفس والاموال والاعراض، وما يجب أن يفعل عند المخالفة ليتم السلام العام من جهة واتتعبد طريق الله من جهة أخرى. وهذا النوع أدق أنواع التشريع وأخطرها في حياة البشر. بل هو المحور الذي كان يدور عليه وحده نظام التغيير والتبديل فلعتو الزمان وتمرده وتغلب القوة السبعية فيه أحكام تناسبه، وللامم التي بالغت في حب

الدنيا وتغلغلت فيها آثار الشهوة البهيمية والوحشية عقوبات تناسبها ، ولذلك كانت عقوبة الله للامم المتمردة المحق والخسف وعذاب الاستئصال ، ولم تكن عبادتهم أكثر من رموز بسيطة وملاحظات ، لان العبادة في صورتها التامة على الحقيقة لباس إلهي يخلعه الله تعالى على من جاوز حدود الحيوانية الهوجاء ، ووقف في مصاف الانسان

ولهذا لو قارنا بين روح التشريع في بني اسرائيل وروح التشريع في عصر المسيحية لوجدنا الفرق واضحا ، لان حياة بني اسرائيل في عصر موسى عليه السلام كانت حياة مشادة في خبث وتمرد ، وحياة المسيحية حياة انكسار وتواضع ، ولهذا كانت تكاليف بني اسرائيل أشق ، وعقوباتهم أشد ، والعقوبات دائما تتبع الجرائم ، والتكاليف الشرعية تتبع حالة النفوس . فأي مؤرخ طبيعي وأي عقل انساني يستطيع أن يقول ان العالم في عصر محمد هو العالم في عصر موسى وعيسى خلقا واستعداداً ؟ فالعرب كانوا في سذاجة وبساطة وجهالة تامة بالشرائع وقد بلغ منهم التنافر وتنازع البقاء أقصى حدوده ، ولكنهم مع ذلك كانوا أصحاب فصاحة لسان ، وذكاء جنان ، وفطرة سليمة ، وحرية تامة ، واليهود كانوا على العكس من أمر العرب ، والنصارى ورثوا من اليهود الشيء الكثير ، واليهودية والمسيحية بتطاول الزمان والحروب المستعرة ، والحرص على متاع الدنيا لعبت بهما أيدي الرؤساء والحكام وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم للعرب ولغير العرب ، ودعا الناس كافة فاستجاب له العرب وغير العرب . فأي دين من الاديان السابقة يصلح نظاما ويحقق حياة سعيدة لهذه التشكيلة العجيبة التي كانت عناصرها متباينة متنافرة ؟ تفضل الله على نبيه محمد فجمعها برباط واحد قوي ، ومكن له دينه في الارض رغم تألب العالم عليه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

وبعد هذه الادلة الواضحة والبيانات الصارخة هل يبقى شك في عموم بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان شريعته ناسخة لما قبلها من الشرائع لمقتضيات الزمان وتجديد الاصلاح ؟

فان قال قائل اذا كان الامر على ما بينت وقد تطاول العهد بين العصر المحمدي وهذا العصر فمن الواجب تجديد التشريع

(فالجواب) انا نتكلم الآن عن التشريع الالهي النازل على الانبياء المؤيدين بالمعجزات ، فلو علم الله ان التشريع المحمدي أصبح غير صالح لحياة العالم لرحم العباد برسول جديد وتشريع جديد .

أما ان العالم يترك شرائع الانبياء إلى شرائع البشر المضطربة المختلة التي لا تتفق في الامم ولا تستقر على حال واحد - فأمر لا يمكن أن يصلح به حال البشر . على أن الشريعة المحمدية قد وضعت من الاسس في الكتاب والسنة ما فيه الكفاية . اما ما ترونه غير صالح من أحكام الفقهاء والعلماء فليس مرجعه ضعف الاساس ، ولا رخاوة الاصل ، وانما مرجعه جهالة الباحثين ، وشهوات المسيطرين

ولقد نبتت طائفة في هذا الزمان - وكثيراً ما ينبت مثلها في عصور الانتقال - تنادي بوجوب سير الشريعة الاسلامية بجانب نظام المجتمع المادي الحاضر . وهذه الطائفة سامحها الله إن لم تكن خبيثة فأقل ما يقال فيها انها جاهلة بالاسلام ، فمن واجب الباحث الجاد غير المتشهي ان يكون عالما تمام العلم بطرفي ما يبحث فيه وباساليب الاستدلال عليه على طريقة البحث العلمي في مثله ، وإلا كان صاحب شهوة وصاحب الشهوة لا يلتفت اليه

ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة في طريق الاهواء والشهوات ، فلو جارى الاسلام انحدار الامم فأباح الزنا للاعزب ومن لا كسب له وللجيوش الحروب ، واباح الرقص لمتاع النفس ، وأباح الربا لاستكمال مشتهيات الحياة ، او لمزاحمة الاجانب ، وفي مكنة المسلمين أن يزاحموهم ويقفوا مثل وقفتهم بثروتهم الطبيعية والاقتصاد الديني ، وهكذا وهكذا ، لو اتسع الاسلام لذلك كله لكان دين مادة لا دين خلق ، واصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ، ومع ذلك ماهو الاساس الاسلامي الذي جرب في الامم الاسلامية وغيرها ثم فشل وتبين خطؤه ؟ ومن ذا الذي وازن بعقله السليم المنصف بين حكم اسلامي ونظيره في تشريع وضعي ثم اقام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الاسلامي وخذلانه ؟ ثم ماهو الامر الجوهري الذي طعن به أعداء الاسلام عليه مع تألبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من اول أمره إلى اليوم ، على كثرتهم وقوتهم ، ووفرة أساليب حروبهم ، وضعف المسلمين وتخاذلهم ، ثم اثبت العقل في وضوح انهم محقون والاسلام مبطل ؟

انهم والحمد لله مع هذا كله لم ينالوا من دين الله ومن مبادئه الثابتة مايشفي غلتهم ، ويبلغهم غايتهم ، وان نالوا من المسلمين بحكم نشاطهم المادي الشيء الكثير ،

وقد كان فضل الله على محمد ﷺ عظيما أن لم يجعل معجزته الدائمة من جنس معجزات الانبياء ، بل هي كتاب خالد يصارع العقل في كل زمان ، فيصرعه بالحجة والبرهان ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

ان العالم المادي لايزن الاسلام الا بحالة المسلمين ، مع أن الاسلام دين وخلق ومبادىء ، ومثلها يجب أن يوزن بميزان العلم والعقل ، لا بميزان أهلها المضيعين لها ، على انا لو وازنا بين المسلمين وغير المسلمين او بين الماديين وغير الماديين لوجدنا ضعف المسلمين أجدى على الانسانية من نشاط المادة ، فليست المادة إلا آلات ظلم وافساد وتخريب ، وانها في رقيها لأشبه بمخالب الحيوانات المفترسة وأظفارها، وأنياب الكلاب الكلبة ، وان من الجهل الفاضح أن يتحدث ضعفاء العالم وضعفاء العقول بان اوربا تخدم الانسانية ، كلمة والله كاذبة ، ومن العدل أن يقال ان اوربا المسيحية واليهودية او بعبارة اصح اوربا اللادينية إنما تخدم القوتين السبعية والشهوية ، ان الانسانية سلام واخاء وتعاطف في الخير لا في جواذب المادة ، وتناصر في الحق لا تغلب على الضعيف بل الحيوان الضعيف أجدى على الانسانية من الحيوان الشرير ،

لهذا أرجو المسلمين الذين يسيرون وراء كل ناعق مادي أن يخلصوا لعقولهم ويفرقوا بين الرقي الانساني والرقي المادي لتحقيق الاهواء والشهوات ، لان ميزة الانسان في حسن تقديره ، وقوة تفكيره ، وسبره غور الحقائق

واني قبل أن أبرح مكاني هذا أرجو الشبان المسلمين أن لا ينخدعوا في دينهم باتباع المذبذبين الذين لاعلم لهم بالمادة ولا بالدين ، وأن لا يفروا من دينهم بغضا في قوم ادعوا معرفتهم به وحمايتهم له ورعايتهم لحقوقه زورا وبهتانا ، فالحلال بين والحرام بين ، ولا يخلو قطر اسلامي من علماء صادقين مخلصين ، كما ارجو أن اوفق في محاضرة اخرى لبيان عظمة القرآن وشخصية محمد ﷺ

واني اشكر جمعية الشبان المسلمين على هذه النهضة المباركة واسأل الله لها السداد والتوفيق

علي سرور الزنكلوني المدرس بالازهر

(تعليق المنار)

ان أسس التشريع الاسلامي ، قد قيدت البشر بقواعد من الحق والعدل والرحمة والفضل وحقوق الروح والجسد الصالحة لكل عصر تكفل لهم كمال الانسانية وسعادة الحياة ما أقاموها ، وأباحت لهم التشريع الاجتهادي فيما يتجدد لهم من الاقضية والمصالح التي تختلف باختلاف الأزمنه والامكنة مع المحافظة عليها ، وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سماوي جديد بعدها . وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والأدبية والاجتماعية والثورات الحكومية التي تهدد العالم المدني بحرب شر من حربها الاخيرة تدك معالم العمران دكا ، وإلحاد (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدًّا) فقد وردت الانباء بأن دولة البلشفية الروسية ، تعد سبعة عشر مليونا من الجند لغزو أوربة الرأسمالية على مابين دول أوربة من الاحقاد والضغائن واستعداد بعضها لتدمير بعض ، وانهماك أممها في الفسق والفجور ، والاباحة والشرور ، وتلك القواعد الاسلامية قد بيناها في المنار وتفسيره ، وفي رسائلنا المقتبسة منهما خلاصات من ذلك وهي (١) خلاصة السيرة المحمدية وكليات الدين الاسلامي وحكمه (٢) الخلافة الاسلامية (٣) يسر الاسلام ، والتشريع العام .

ولو ان دول أوربة تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى في كتابه القرآن من وجوب حفظ العهود والمواثيق واجتناب جعلها دخلا باطنها ينقض ظاهرها ، لنجاهم ذلك من كل مابينهم الآن من التنازع والتخاصم في معاهدة الحرب الكبرى وفروعها ، وهاك بضع آيات من سورة واحدة كافية لصلاح البشر إذا دانوا الله بها وهي (١٦ : ٩٠ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون (٩١) وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ماتفعلون (٩٢) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون)

بيان بشأن المجالس الحسبية

حادث تعصب البربر يتكرر في مصر (١)

المجالس الحسبية من المؤسسات الشرعية الاسلامية في هذا القطر ، فهي في أصلها من اختصاص القاضي الشرعي وحده ، والظروف لا تريد بالاسلام والمسلمين خيراً - ضم اليه فيها عضو إدارة وعضو أعيان ، مع بقاء كل مظاهر الاختصاص فيها للقاضي الشرعي ، فكانت رسومها ترد إلى المحاكم الشرعية ، وكان القاضي الشرعي يحضرها ومعه كاتبه ومضبطته ليضبط كل القرارات التي تصدر متوجة باسمه ، محالة عليه من رئيس محكمته ، فألغيت كل هذه المظاهر الشرعية شيئاً فشيئا ، ولم تفاجأ بها هذه الامة الاسلامية حتى لا تحس بما يبيت لشريعتها ، وقد كان أحمد خشبة باشا رأى ما في هذه المجالس من حال غير قارة ، ومظاهر غير سارة ، فاستشار فيها القضاة جميعاً ، فكان أغلب الرأي في غير صالح وجودها على تلك الحال ، ووفقاً لغالبية الرأي ألغى الادارة الحسبية وضمها للادارة الشرعية ، وبذلك نجت ميزانية الدولة من عبء باهظ ، وقد اتفق رأي إلغائها مع اسلامية البلد وزعامتها في مظاهر الاسلام ، وان اهانة القاضي الشرعي بجعله مرءوساً دائما في عمل هو من اختصاصه دون سواه شيء يمجه تقليد البلد ، وأدبه مع علماء دينها وقضاته ، فضلا عن انه ليس عدلا ، بل ينطوي على مقدار ظاهر من العصبية ضد قضاة المسلمين ، وزيادة على ما تقدم فان غيرة المسلمين على أحكام دينهم لم يخف عليها ان القاضي الشرعي انما أحيط بعضوين في هذه الهيئة لا صلة لهما بالشريعة الاسلامية لاجل شل أحكامها في هذه المجالس ، وان ذلك إنما يراد به أن يألف الشعب الزراية بالاسلام وعلمائه وقضاته ، ويألف القنوع من الشريعة بعضو مشلول مغلول لا يملك لحكمه تنفيذاً حتى يحين غفلة من الشعب الاسلامي فيبتر هذا العضو نهائيا بعد أن تكون هذه

(١) لاحد العلماء المحامين

المجالس قد امتصت كل اختصاص المحاكم الشرعية ، وكل ذلك تمهيد لالغاء هذه المحاكم نفسها وهو اليوم الذي يتم فيه انهزام الاسلام في داره على يد أبنائه والعياذ بالله

واتفق رأي إلغاء هذه المجالس أيضاً مع الامور الآتية :

(١) ان أمور الاوصياء والقامة والوكلاء والمحجورين من الاحوال الشخصية والمحاكم الشرعية على أسوأ تقدير محاكم الاحوال الشخصية للمسلمين في مصر ، ولو وجد الاسلام نصيراً لكانت محاكم المسلمين في كل أمورهم

(٢) إن هذا الباب من المعاملات وردت فيه أحكام شرعية يجب اتباعها وتحرم مخالفتها ولم تكن من مشتملات القانون الاهلي

(٣) انه رغم كثرة الشكوى من مجالسنا واختلالها بسبب تنافر تأليفها وفساده ، وتناقضه من علم وجهل ، ودين ولادين ، ونظام وفوضى ، وقضاء وادارة ، حتى صارت أسوأ حالا من محاكم الاخطاط التي خنقتها العدالة ، ولكن هذه المجالس لايمد في وجودها إلا انها قائمة لنقض أحكام الاسلام ، ورغم كل ذلك يدعون انها عنوان الرقي في مصر ، وان البلاد الاسلامية الاخرى التي تتولى أمور المجالس الحسبية فيها المحاكم الشرعية ، ولا يوجد بسبب ذلك أي شكوى فمتأخرة لانها لم تبتدع مفسدة كالمجالس الحسبية تثل بها في بلادها عرش شرع الاسلام ، وينتج من ذلك ان مصر وحدها هي التي تتهم قاضيها الشرعي وتهينه عصبية للقضاء الاهلي ، وانه أحط تربية وتحقيقا من كل القضاة الشرعيين في كل باقي بلاد الاسلام

(٤) ان المحاكم الشرعية تتولى تطبيق الاحكام الشرعية في بعض المسائل كالاوقاف والمواريث ثم تتولى المحاكم الاهلية الجانب التنفيذي المدني فيها فيجب أن تكون المجالس الحسبية كذلك

فهذا ملخص الاستاذ خشبة باشا ، ثم قفاه الغرابلي باشا بجعل لهذه المصلحة وكيلا من القضاة الشرعيين ، وهذا معنى كبير ولكن عهده لم يطل

وأما معالي الوزير الحالي فمع انه كان ينتظر منه أكثر من ذلك لان معاليه يتحرى أكثر رضاء جلالة مولانا الملك - والامور الشرعية الاسلامية لدى جلالته بالمكان الاول - طرد وكلاء الادارات الشرعيين ووسع وجود هذه المجالس اللادينية وبعد

بها عن الشريعة كثيراً ، ورغم ما فيها من مظاهر الاهانة لحرمات البلد(١) لتسلط الادارة على القضاء الشرعي فيها ، لان المدير ووكيله والمحافظ ووكيله والمأمور يرأسون القاضي الشرعي للغاية التي بيناها (٢) وتحكيم قاض في قاض، وهو عمل لا يسيغه أي ذوق فضلا عن انه افساد ما بين طائفتين من الزملاء ، وهذه عيوب قضائية لا يحتملها أي نظام ، رغم كل هذا فان معاليه لم يعمل لتدارك هذا الفساد بالاصلاح ، بل بنى عليه فأنشأ مجالس حسبية استئنافية تزيد في البلد الفوضى والفساد وتزيد عبء الميزانية التي على وشك الرزوح والاعياء

ولا ندري اذا ظفرنا بقاض شرعي استوعب التعليم الديني والدنيوي، والتهذيب الوضعي والفلسفي في حيز معاهد القضاء ، ودرس في خمسة عشر عاما الشريعة التي يحكم بها حتى تفقهت فيها نفسه ، ثم تدرب وجرب وغمر هذا الاستعداد الراقي سائر المحاكم الشرعية قضاة وكتابا ، ولم يبق في المحاكم بعد هذه الحركات العنيفة من يقال فيه لو وليت ، اذا كان الامر كذلك فمتى ننصف قاضينا الشرعي بين قضاة العالم ؟ ومتى يقضي على العصبية ضده لزميله المطربش؟ فان هذا غير جميل من ناس تخرجوا من القضاء ، والعصبية ضده انما هي عصبية ضد الاسلام

والخطأ الشائع ان بعض المسلمين يقيسون الاسلام على المسيحية، مع أن هذه ديانة أخروية روحية محضة لم تجيء بحكم واحد ، لكن الديانة الاسلامية ديانة ختامية كاملة شاملة ، فهي نظام كامل لدولة اسلامية وأمة اسلاميـة وتاريخ اسلامي. فالمصحف كما يوجد في المساجد يوجـد في مقاصير البيوت وزوايا الاكواخ ، ويوجد على سرر الملك ومنصات الاحكام ومعترك الاسواق وميادين الحروب ونوادي السياسة . وبالاجمال فحيث تقعد أو تمشي أو تقف أو تنام يطل عليك المصحف بأحكامه وآدابه ، فان عصيته لم تكن به مؤمناً ولا باراً .

وأما ما يتشدق به المفتونون منا من ان الاحكام الشرعية أمور مدنية لا يضر الدين في شيء أن تتولاها المحاكم الاهلية بقوانينها فليس بعيداً من الذي يقول: ان الديانة الاسلامية أو سواها من الديانات ليست إلا دعوى إلى خير وفضيلة، فتتساوى فيها جميع الاديان والمذاهب الاخلاقية والمبادىء القائمة عليها جمعيات الخير، فيمكن

أن يستغنى عن الاسلام مثلا بالماسونية وكفى الله المؤمنين القتال — وبعد فاما إسلام صريح أو لا إسلام ، فان الامم لا تنهض بهذا الارتياب

وما كنا ننتظر أن يشكو لمعالي الوزير ثلاثمائة عالم إسلامي من هذه المجالس باسم الانتصار لأحكام الاسلام وكرامة قضاته ثم لا ينصفون

(المنار) جاءتنا هذه الرسالة في البريد فأهمنا اصل الموضوع فيها جداً على إنكارنا على الكاتب بعض التشنيع الشعري ، الذي لا ينبغي لمن يطالب بمثل هذا الحق الشرعي ، ونرى انه يجب على رياسة المعاهد العلمية الدينية في مصر أن تتولى مطالبة الحكومة بجعل هذه المجالس الحسبية شرعية تابعة للمحاكم الشرعية يتولى رياستها قضاة الشرع بما هو مقرر في الشرع ، وأن ينكروا عليها أي تشريع يتعلق بحقوق الشرع ومحاكمه بدون موافقة رجال الشرع عليه وإقرارهم له ، ويجب على مجلتهم نور الاسلام بسط ذلك

إذا صح ما ذكره صاحب هذه الرسالة من أن ثلاثمائة عالم من علماء الاسلام شكوا إلى وزير الحقانية مسلك وزارته أو عمله في هذه المجالس الحسبية بما يعد اعتداء على حقوق المحاكم الشرعية وما يلزمه من الاعتداء على الشريعة نفسها — ولا نخاله الا صحيحاً — فكيف تسكت رياسة المعاهد الدينية ومجلتها على هذا ؟ وأي خدمة للشرع ترجى منهما إذا أضاع رجالها هذا الحق ، ورضوا بهذا الهضم لحقوق الشرع ؟ ما ارى لهما عذراً إلا عدم العلم بما بينه صاحب هذه الرسالة فيها

إذا كانت الحكومة المصرية تحرم على علماء الاسلام التعرض لسياستها الخارجية وإدارتها الداخلية ، فهل تستطيع أن تحرم عليهم التصدي لحماية ما بقي فيها من الاحكام الشرعية ؟ وتكرههم على الرضا بمثل ما بينته هذه الرسالة في شأن المجالس الحسبية ؟ كلا ، ان على فضيلة الاستاذ الاكبر رئيس المعاهد الدينية أن يكتب الى الحكومة بوجوب جعل المجالس الحسبية شرعية خالصة ، فان لم تستجب له فعليه أن يرفع الامر إلى جلالة الملك صاحب النفوذ الاعلا ، وكلمة من جلالته تعيد الحق إلى أهله ، وتحله في محله

باب المراسلة والمناظرة

(الانتقاد على المنار وتفسيره)

مولاي الاستاذ السيد العلامة حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرأت في العدد السابع من المجلد ٣١ من المنار الزاهر في تفسير قوله تعالى (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) ص ٥٠٩ مانصه « وفي مسند أحمد عن ابن مسعود : خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن منكم منافقين فمن سميته فليقم، ثم قال: قم يافلان حتى سمى ٣٦ » وروى غير هذا في معناه.

ولما كنت أعمل - كما تعلمون - في وضع فهارس دقيقة مفصلة لمسند الامام احمد فقد استغربت أن يكون فيه هذا الحديث ، ثم رجعت الى فهارس المسند التي عملتها فأيقنت انه لم يروه أحمد أصلا من حديث ابن مسعود فانه لم يرو من حديثه فيما يتعلق بالمنافقين إلا خمس أحاديث هي :

حديث المواظبة على اجابة النداء بالصلاة وفيه « ولقد رأيتني وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم نفاقه » رواه مرتين في صفحة ٣٨٢ و ٤١٤ ج ١

وحديث « ان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه » الخ وهو ليس نصاً في وصف المنافق ورواه ثلاث مرات في ص ٣٨٣ ج ١

ولم يرو من حديث ابن مسعود في خطب النبي ﷺ إلا أربعة أحاديث هي أحاديث خطبة الحاجة رواه بأربعة أسانيد في ص ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٤٣٢ ج ١

وروى في التفسير من حديث ابن مسعود ٣٦ حديثا ليس منها هذا الحديث على اليقين ولولا خوف الاطالة لذكرتها بصحتها

وقد رجعت الى الدر المنثور للسيوطي فوجدته روى قريباً من هذا المعنى من حديث ابن عباس ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط وأبي الشيخ وابن مردويه ، وهو في تفسير ابن جرير الطبري كما قال السيوطي ولفظه « قام رسول الله ﷺ خطيبا يوم الجمعة فقال : اخرج يافلان فانك منافق

اخرج يافلان فانك منافق فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم» الخ ونسبه صاحب كتاب جمع الفوائد للطبراني في الاوسط وقال « بضعف » وحقيقة ان في اسناده عند ابن جرير ضعفا . وكذلك نقله ابن كثير عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ولم يذكر من أخرجه ، وظاهر أنه أخذه من تفسير ابن جرير ،

وذكر السيوطي في الدر المنثور حديثا آخر لابن مردويه عن أبي مسعود الانصاري قال « لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ماشهدت مثلها قط ، فقال : «أيها الناس إن منكم منافقين فمن سميته فليقم ، قم يافلان، قم يافلان، حتى قام ستة وثلاثون رجلا » وذكر باقي الحديث ولم يتكلم على اسناده من الصحة والضعف فلا ندري ماهو وليس انفراد ابن مردويه بحديث مما يطمئن معه القلب الى صحته

وأظن أن هذا الاخير هو الاقرب الى رواية المنار الزاهر ولكنه من حديث أبي مسعود البدري الانصاري لا من حديث عبد الله بن مسعود ومن رواية ابن مردويه لا من رواية الامام أحمد بن حنبل في المسند

هذا مابدا لي في استخراج هذا الحديث أرجو من أستاذي الجليل أن يتفضل بنشره في المنار وأن يمن على تلميذه بذكر مصدر الرواية إن كانت منسوبة للمسند من حديث ابن مسعود حقيقة استدراكا لفائدة نفيسة كهذه حتى نقيدها عندنا على نسختنا من مسند أحمد ، لا زلتم أهلا للفضل ومناراً للعلماء والسلام

تلميذكم المخلص

أحمد محمد شاكر — القاضي الشرعي

(المنار) أشكر لاخينا الكريم خادم السنة بحثه العلمي عن الحديث المذكور وإيذاننا بنتيجته وأخبره بأنني نقلته من كتاب (فتح البيان في مقاصد القرآن) وانني اطلعت على ما ذكر في معناه في تفسير الطبري والدر المنثور وابن كثير وغيرهما فاقتصرت عليه لاختصاره ، بعد أن كنت نقلت غيره ولم أنشره لانني أعتقد انه لايصح شيء في فضيحة اولئك المنافقين في المسجد بالتصريح بكفرهم باعيانهم لما صرحت به من تعليل ذلك عقب نقله ولولا هذا لما ذكرت هذا الحديث أيضا وانني قد استغربت سكوت السيوطي عن هذا الحديث في الدر المنثور ولكنني

أعلم انه لم يستقص كل ما ورد وقد راجعت جدول الخطأ والصواب من فتح البيان لعلي أرى فيه تصحيحاً لخطأ وقع في عزو الحديث إلى المسند او إلى ابن مسعود فلم أره فيه، وأنا أعلم أن مؤلفه رحمه الله كان يتحرى في نقل الاحاديث ويقال انه كان يستعين في تأليف تفسيره هذا بلجنة من علماء الحديث وغيرهم ، ومن الكتب التي كان يعتمد عليها تفسير الشوكاني ، فان وجد الحديث في هذا التفسير يكون ناقلا له عنه، وان لم يوجد فيحتمل أن يكون وجده في نسخة للمسند خطية في خزانة كتبه الحافلة ، ويحتمل أن يكون عزوه الى مسند ابن مسعود عند الامام أحمد خطأ ، ويرجحه عدم نقل السيوطي إياها عنه في الدر المنثور ، على انني قد حذفت هذه الرواية مما طبعته على حدته وكذا من مختصره الذي شرعت فيه بل قلما أذكر فيه شيئاً من الروايات الصحيحة بألفاظها وتخرجها ، وأختم هذا التعليق باعادة ما بدأت به من شكر اخينا الاستاذ، جعله الله تعالى خير عون على العلم وتحرير كتبه

اقتراح مناظرة

﴿ في الخلاف بين أهل السنة والشيعة ﴾

(جاءنا الكتاب الآتي من حضرة صاحب الامضاء ، أحد علماء الشيعة الامامية الاعلام ننشره بنصه وحروفه ، وننشر بعده جوابنا له ، وقد سبق هو الى نشرهما في بعض الصحف)

بسم الله تعالى

بازكى التحية وأفضل السلام أحيي مقام ذلك الامام السيد الرشيد آل رضا ألهمه الله قول السداد ، وسلك به سبيل الهدى والرشاد

أما بعد فاني أحمد اليك الله سبحانه الذي عرفنا أولياءه وأهل محبته، وهدانا إلى ماسنه من شريعته (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) واسئله أن يوفقنا جميعا لنصرة الحق وارشاد الضال ، واحياء السنة واماتة البدعة ، فانه ولي ذلك

والقادر عليه. ثم اني رأيتك قد أرهفت يراعتك ونثلت كنانتك منتصبا في وجه الشيعة زاعما انهم قد نشطوا في هذه الايام لدعاية الرفض والبدع ، والصد عن السنة وأعلامها، فان يكن ذلك منك حمية للحق وغيرة على الاسلام (والسرائر لايعلمها غيره سبحانه) فحقق دعواك - ان رأيت - بان تفتح لنا بابا في مجلتك الغراء نذكر فيها المسائل الهامة التي وقع الخلاف فيها بين الطائفتين ونحقق الحق في ذلك متبعين البرهان، غير متحيزين إلى فئة، ملتزمين آداب المناظرة، وايم الحق لئن فعلت ذلك انها لاعظم حماية للدين ، وأعود نفعاً على المسلمين، وأكون لك بلسان أهل الحق من الشاكرين ، فأرجوك وظني بك ستحقق رجائي ولك عهد الله سبحانه أن لا أذكر في مناظرتي كلمة أقصد بها جرح عاطفتك والغض من كرامتك ، واحتمل لك كل قول، وبذلك يظهر فساد ماليس من الدين مما يعتقد صحته الكثير من الطائفتين، وتنال لقب المصلح، ويكون لمجلتك شأن ، وانني بانتظار الجواب والا فسندرج صورته في مجلة العرفان الغراء وغيرها

صاحب الكلمات

عبد الحسين نور الدين

جواب صاحب المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد رضا - إلى الاستاذ الكبير ، والعلامة الشهير ، السيد عبد الحسين نور الدين ، هدانا الله وإياه الصراط المستقيم ، آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد ألقي إلي كتاب منك أنكرت فيه علي ما كتبته أخيراً في دعاية الشيعة، وما هو إلا ردي على كتاب السيد عبد المحسن العاملي فيما طعن به علي أقبح الطعن الديني والشخصي بالتبع لطعنه على الوهابية، وعلى شيخ الاسلام ابن تيمية، بما تضمن الطعن على سلف الامة الصالح في عقيدتهم - ثم انتقادي ما كتبته أنت في الجزء الاول من كلماتك في موضوع غزوة حنين.

وقد عبرت عن ذلك تعبيراً منتقداً أغضي عنه، وأخص بجوابي مادعوتني اليه من فتح باب في المنار للمناظرة « في المسائل الهامة التي وقع فيها الخلاف بين الطائفتين » لتحقيق الحق فيها بالبرهان « غير متحيزين إلى فئة ، ملتزمين أدب المناظرة » الخ

فأقول: لبيك لبيك ، لقد دعوتني إلى ما كنت أتمنى مثله ، فانني ما كتبت ولن أكتب في هذه المسألة ولا في غيرها إلا ماأعتقد حقيته، وأقصد به النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين ، وهو ماأرشدنا اليه الله ورسوله ﷺ بقدر مايصل اليه علمي ورأيي ، فانني لاأنتحل مذهبا من مذاهب الفرق الاسلامية أتعصب له ، ولا اقلد عالما من أئمتها أتقيد برأيه واجتهاده ، فأخشى أن يظهر بالمناظرة بطلان قوله ، بل طالما ذكرت في المنار ماهو منتقد عندي من المذاهب الشهيرة ، وليس للمنار أدنى مساعدة مالية ولا معنوية من طائفة من الطوائف ، ولا أهل مذهب من المذاهب ، ولا من فرد من الافراد ، فاخشى على نفسي أن تتبع الهوى في الانتصار لمذهبهم أو شخوصهم من حيث ادري ولا أدري ،

فان كنت تعاهد الله كما أعاهده على ما نقلته عنك آنفا فهلم .

ولا أحفل بما قلت قبله ولا بعده من الامور التي أملاها عليك سوء الظن بي من ترغيب وترهيب ، وشك مريب

ولما كانت مسائل الخلاف كثيرة ، وكان الباب الذي نفتحه لها مع بقاء سائر أبواب المنار مفتحة — ولاسيما التفسير والفتاوى والشؤون الاسلامية العصرية — لايتسع لدخول هذه المسائل كلها فيه إلا في سنين كثيرة ، وجب أن نقتصر على المسائل المهمة ، وان نلتزم فيها الاختصار غير المخل بالغرض ، وان تكون وجهتنا جمع الكلمة ، والتأليف بقدر الطاقة ، على المنهج الذي شرحته في الجزء الرابع من (منار) هذه السنة .

فعسى أن تكتب إلي برأيك في هذا تمهيداً للشروع في هذا العمل . وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه من جمع كلمة المسلمين على كتابه وسنة رسوله ﷺ ونبذ البدع ، ثم على مصالحهم الدنيوية العامة والسلام

١٤ رمضان سنة ١٣٤٩

نظرة تاريخية في الثورة الهندية الكبرى وأسبابها

(وما اقترفه الانكليز من الفظائع فيها)

(لصاحب الامضاء كلكته)

لا يجهل أحد له المام بتاريخ الهند الحديث الثورة العامة التي نشبت في البلاد ضد الحكم الانكليزي سنة ١٨٥٧ م فكل من اطلع على تاريخ الهند تستوقف نظره هذه الثورة وتوغر صدره على الهنود، فيتهمهم بالهمجية والبربرية، لان التاريخ يبين له ما ارتكبه الهنود « الثوار » من الفظائع والمنكرات ويريه أنهاراً من الدماء الانكليزية التي أراقها هؤلاء المتوحشون. ولكن هذا التاريخ انما دونته الاقلام الانكليزية المتعصبة التي اشتهرت بتشويه الحقائق ان كان من وراء ذلك كسب للاستعمار. وهو بالحقيقة ليس بتاريخ بل دعاية استعمارية انكليزيه أريد بها تبرير استيلاء انكلترا على القطر الهندي العظيم

بيد أن الحق لا يعدم أنصاراً ولا يمكن اخفاؤه إلى آخر الدهر، فقد وجد أناس منصفون في الانكليز أنفسهم برزوا للدفاع عن الحق، ولبيان ما ارتكبه اخوانهم من الفظائع خلال الثورة الهندية وقبلها وبعدها. وقد ظهر حديثا كتاب ألفه مؤرخ هندي دون فيه شهادات هؤلاء المنصفين من الانكليز، فأحببنا أن نلخص منه فصلا لقراء المنار الاغر ليكونوا على حذر من كتب التاريخ الانكليزية المتداولة عن الثورة الهندية (١) فنقول :

للثورة الهندية أسباب كثيرة ولكن هنالك سببين مشهورين هما أساس لغيرهما (أولهما) ان الشركة الهندية الشرقية « ايست انديا كمبن » أخذت تبلع وتضم جميع المقاطعات الهندية واحدة بعد أخرى الى ممتلكاتها، فخافت الهند على ضياع حريتها وأخذت تنظر إلى الشركة بنظر الريب والشك (وآخرهما) قهر الجنود الهندية على استعمال الخراطيش المدهونة بشحوم الخنزير والبقر. وقد كتب عن هذه الخراطيش «انيس» وكان إذ ذاك القائد العام لقوات الشركة ما يأتي : -

(١) وليكونوا على حذر أشد مما تنشره الجرائد الانكليزية في قضيتي الهند ومصر وغيرهما

« لقد فتشت تلك الخراطيش التي كانت محل الريب فوجدت ان عذر الجنود في امتناعهم عن استعمالها كان مبنيا على الحق، وما كنت أتوقع ان شحم الخنزير والبقر يوضع في الخراطيش ، فأقول ولا أبالي بلائم: ان الشركة لم تحترم عواطف الهند الدينية »

ان هذه الخراطيش التي قهر الجنود على استعمالها كانت مدهونة بشحم البقر والخنزير وكانت توضع في البنادق بعد قطعها بالاسنان لان بعض الاجزاء منها متين الى درجة انه ما كان يمكن استعمالها إلا بعد أن تقطع بالاسنان . ومن المعلوم ان الديانة الوثنية تحترم البقر كل الاحترام ، والدين الاسلامي يحرم الخنزير ، فحين أكرهت العساكر على استعمالها غضبت غضباً شديداً وهاجت وماجت فعصى ٨٥ جنديا منهم في بلدة « ميرت » وابوا استعمال الخراطيش ، فساقتهم السلطة الانكليزية الى المحكمة العسكرية فحكمت على كل واحد منهم بسجن عشرة سنوات بدلا من تسكين هيجانهم ومعاملتهم باللطف والاقناع . ولو اكتفى الانكليز بذلك لما حسب له حساب ولكنهم لجوا في طغيانهم وعاملوا هؤلاء الجنود معاملة سافلة جدا ، وقد صور أحد الكتاب الانكليز ذلك المنظر البشع قائلا :

« سيق ٨٥ جنديا الى المحكمة العسكرية ، تحت مراقبة الآلات النارية ، وحكم عليهم بهذا الحكم القاسي: ثم عريت ابدانهم عن الملابس العسكرية ووضعت في أرجلهم الاغلال والسلاسل من الحديد فكان منظراً هائلا حتى ان رفقاءهم الناظرين اليهم عن بعد كانوا يتململون ويتأسفون على هذه المعاملة الوحشية وكان بين المحكوم عليهم من خدموا الانكليز خدمات جليلة ، وأظهروا شجاعة فائقة في كثير من المعامع (١)

---

(١) ياللعجب من هذا الجهل الذي يبذل المبتلي به روحه في خدمة عدو دينه ووطنه ولا يخاف إثماولا عارا ، وهو من أكبر الكبائر ان لم يستلزم كفرا، ثم يتأثم أويتورع عن لمس مادهن بشحم نجس حكما بيده اوفمه ويعده اهانة فيثور ويعرض نفسه لاشد العذاب والتنكيل ، مع أن تنجس الفم به يطهره اللعاب او الماء في مذهبه ، واعجب من جهل هؤلاء العوام غطرسة الانكليز واحتقارهم لشعور الناس

«وقد احتجوا على هذه القسوة ورجوا من قائدهم ان لا يرميهم بمثل هذا الذل والاهانة، فلم يصغ الى تضرعاتهم ولما لم تنجهم ولولتهم وبكاؤهم من العذاب المبين وتحققوا ان « لاحياة لمن تنادي » توجهوا الى رفقائهم الشاخصين اليهم وصاحوا بأعلى صوتهم «أليست فيكم غيرة وطنية ؟ أليس عندكم شيء من عاطفة الاخوة والمروءة ؟ نحن اخوانكم نهان ونذل ونخزى وأنتم شاخصون ؟ فنزلت هذه الصرخات المؤلمة على قلوب رفقائهم كالصاعقة، فتأثروا بها ايما تأثر ورأوا ان يساعدوهم على النور، ولكن وجود الآلات الجهنمية حال دون ارادتهم، فكظموا غيظهم، الا أن الفعلة الشنيعة نفرت جميع الجنود الهنود من الانكليز فثاروا عليهم ثورة عامة بعد ان كانوا يضحون حياتهم في سبيلهم»

وقد صرح « ارورد كينج » الوالي العام للهند يومئذ بما يأتي « لقد كان هذا الحكم الجاف القاسي بعيداً عن الانسانية الى درجة أنه لا يوجد له نظير في العالمين فكان وحده سببا لايقاد نار الثورة »

وقد صدق الوالي فانه في اليوم الثاني من المحاكمة أي في ١٠ مايو سنة ١٨٥٧ م ثار الفرسان وفرقتان من المشاة وتوجهوا الى السجن ففتحوا أبوابه عنوة وأطلقوا سراح الجنود المسجونين، ثم طفقوا يحرقون بيوت الانكليز ويقتلونهم حيثما وجدوهم، وبعد ذلك توجهوا كلهم الى « دهلي » وفعلوا هنالك مافعلوه من القتل والنهب

ولا عجب فقد جرت العادة أن الامة المقهورة اذا اضطرت الى اخذ الثار من قاهريها فقدت توازنها العقلي ولجأت الى الاعمال الهمجية دون تبصر ولكن الانكليز المتحضرين لم يكونوا اقل همجية من هؤلاء الجنود الجهلة (١)

قال فرينك تين في تاريخه ماياتي « كانت هذه المحاربة بين امتين متوحشتين متجاوزتين حدود العدل والانسانية وكان همهما الوحيد القتل والنهب والسلب وقد بلغا في الظلم والعدوان حدوداً متناهية يستحسن ان يسدل الستار عليها »

ان التاريخ الانكليزي قد وارى سوآت الانكليز ولكنه قسا كل القسوة على الهنود فذكر كل مافعلوه وما لم يفعلوه، فملأ صحائفه بمئات من القصص المخترعة

(١) ولكنها أفظع بكونهم هم المعتدين الظالمين

لتهييج عواطف الانكليز وحملهم على الانتقام من الهنود المساكين إلى آخر الدهر واني أقتبس من الكتاب بعض الحوادث التي أخفاها التاريخ الانكليزي عمداً :

حادثة بشاور

ألقي القبض على ١٢٠ من الجنود يوم ١٥ يونيو سنة ١٨٥٧ م بمدينة بشاور ولم يكن أحد منهم ارتكب جناية ما ، ولكنهم اضطروا الى الالتحاق بالثوار اضطراراً ، فماذا فعل بهم الانكليز؟ تعرف ذلك مما يلي :

كتب القائد « نكلسن » إلى «أدوارد» مدير بشاور « اني أشفع لديك للعفو عن ٥٥ جنديا من هؤلاء الجنود ،لان ضباطهم أكدوا لي أنهم بريئون من الخيانة . ولم يشتركوا في الثورة اشتراكا فعلياً ، وأما الباقون من ١٢٠ فاربطهم على أفواه المدافع ، اجعلهم رمادا» فأجاب لارنس «انهم لايستحقون العفو لانهم وُجدوا في صفوف الاعداء، ومع ذلك لا أريد أن أهلكهم جميعاً، ولكن أريد أن أجازيهم جزاءاً مراً حتى يكونوا عبرة للآخرين . أريد ان أقتل ثلثهم وأنتخب لهذا أشرارهم أو الذين يشكو ضباطهم منهم ، فان لم يكمل العدد من هؤلاء أكمله من الشيوخ ، وأما الباقون فأعاقبهم بالسجن لمدد مختلفة أقلها السجن ٣ سنوات»

وقد كتب «اللورد رابرت» الى والدته عن هذه الحادثة وكان يومئذ ضابطا في الجيش «جئنا من جيلم إلى بشاور ماشين على الاقدام وصرنا نقتل الثوار ونجردهم من أسلحتهم ، وعند ما أهلكناهم بالمدافع ارتعب الآخرون من بطشنا ، وشدة شكيمتنا ، أجل ان هذه لقسوة ولكن لامناص لنا منها ،لقد أردنا أن نُقنع بهذه الاعمال القاسية أشرار المسلمين، بأننا بعون الله نبقى على الهند متسلطين » (١)

---

(١) ظن هذا الجاهل المتكبر ان شدة الظلم سبب لدوام الحكم ، وما هي الا سبب زواله ، ولا بد أن يزول حكم الانكليز من الهند ومن هم شر منهم من الاوربيين من البلاد التى استعبدوا أهلها — ولكن بعد ان ينقشع سحاب الجهل عن هذه الشعوب وتعرف نفسها . وقد سبقت مصر والهند في هذا غيرهما ،

حوادث بنجاب

سيق رجل من الثوار إلى مدفعة كان فيها بارود زيادة عن المعتاد فأطلق عليه النار فطار جسمه ممزقا كل ممزق

وأشار الجنرال (نكلسن) في كتاب له الى (ادوارد) قائلا: يجب علينا أن نسن قانونا يبيح لنا أن نحرق أو نسلخ جلود الثوار وهم أحياء، لان نار الانتقام التي تتأجج في صدورنا لا تخمد بالشنق وحده، ثم ان الامم الشرقية اعتادت أن لا تحسب للحكومات حسابا ولا تخاف جانبها الا إذا كانت ذات سطوة قاهرة»(١)

وكتب مدير (امرتسر) في ذلك العهد «كان جميع الضباط في بنجاب يبدأون بالفظائع لايقاع الرعب في قلوب الاهالى لكيلا يتجرأوا على أخذ الثأر منا»

وذكر (لامسن) للسر هنري كاتن عن بعض المسجونين المسلمين ما ترجمته: أتاني ذات ليلة عسكري فقال لي بعد التحية العسكرية «لعلك تريد أن ترى المسجونين» فقمت حالا إلى السجن فرأيتهم مربوطين على الارض يتنفسون آخر انفاسهم وكان على أجسامهم آثار الكي بالنحاس المحمي على النار، فرق قلبي لحالتهم التعسة، فأخرجت المسدس وصرت أطلق النار عليهم واحداً بعد آخر لاخلصهم من هذا العذاب الاليم، فلما سمع (كاتن) عن هذه الحادثة المؤلمة سأل (لامسن) عما فعل مع الذين ارتكبوا هذه الافعال الشنيعة؟ فأجاب (لامسن) انه لم يعاقبهم بشيء.

الهمجية في القتل والنهب

لقد كان كل عسكري هندي في ذلك الوقت متهما بالاشتراك في الثورة ومسئولا عن قتل أولاد الانكليز ونسائهم، سواء كان جانيا أو غير جان قريبا او بعيداً، حتى ان الانكليزي الذي كان قتل في دهلي يسئل عنه من كان في بنجاب او في بشاور ويعذب أشد العذاب.

وقد ذكر اللفتنيت مجدن حادثة تفتت القلوب لفظاعتها فقال «وأثبت ذات

---

(١) ليعتبر الشرقيون

مرة ان الانكليز والسيخ كانوا يطعنون عسكريا هنديا بالحراب الا ان طعنهم لم تقتله فجمعوا الحطب وأشعلوا النار فيه، فلما اشتد ضرم النار ألقوا الهندي المسكين فيها وظلوا ينظرون اليه بفرح وسرور عظيمين!»

وأيد هذا القول المستر رسل المكاتب الخصوصي لجريدة «لندن تيمس» وزاد عليه «انني رأيت عظام الجنود المحروقة في ذلك المكان»

وقد احتج «رسل» هذا على تلك الافعال الهمجية الخارجة عن الانسانية: فكتب في مذكراته

«ان الانتقام من الجنود على طريقة همجية، مثلا وضع المسلمين في جلود الخنازير ثم الخياطة عليهم وادخال شحم الخنزير في أفواههم قبل قتلهم، وقهر الهندوس على أكل لحم البقر لاعمال شنيعة تشمئز منها الانسانية كل الاشمئزاز ولا بد انها تنتج النتائج السيئة عاجلا أو آجلا!»[1] (عثمان..)

حول النشأة الاسلامية في الهند

﴿ ترجمة السيد الامام احمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر ﴾

رسالة للاستاذ السيد ابي الحسن علي الحسني بن العلامة السيد عبد الحي ناظم ندوة العلماء (سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

أما بعد: فلم تزل سنة الله في عباده ولا تزال — ولن تجد لسنة الله تبديلا — أن يبعث فيهم — وقد أخذ الشيطان قيادهم، وذهب بهم النسيان مذهبه حتى (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) — مذكراً مبشراً منذراً

(١) هذا العاقل وذلك المنصف قلما يوجد مثلهما في الشعوب المستعمرة الأخرى

فترى ان الانسان يذكر شيئاً فكأنه لا ينساه أبداً، ثم يضرب عنه صفحاً فكأنه لم يكن قط على ذُكر منه (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) الكهف (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما (طه) (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) (الفرقان) (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون (الانعام) (فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) (الاعراف) (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) (المائدة) (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم) (الحشر)

فلا بد من التذكير ولا غنى عنه (واتل عليهم نبأ نوح إذ قل لقومه ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت، فاجمعوا أمركم وشركاءكم (يونس) (وذكرهم بايام الله (ابراهيم) (فذكر انما أنت مذكر (الغاشية)

وكان محمد ﷺ خاتم النبيين (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (الاحزاب) به أكمل الله للبشر دينه، وأتم عليهم نعمته

مجددو الامة ومصلحوها بعده

قال ﷺ «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» رواه الشيخان وغيرهما وفي السنن «ان الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الامه أمر دينها» رواه ابو داود وغيره

فلم يزل في هذه الامة من جدد لها أمر دينها، أيقظها وقد طال بها الكرى، وبثَّ فيها روح الحياة والعمل

وأرجو ان يكون السيد الامام احمد بن عرفان: مجدد القرن الماضي وأنا على ثقة وبصيرة ان شاء الله، فمنه كان عصر النهضة الاسلامية واليه يرجع فضل النشأة الحاضرة

﴿ حالة الهند العامة في عهد نشأته ﴾

انتهت الحرب السياسية التي دارت بين المسلمين واليسوعيين في القرن الثامن وذهبت على اثرها السياسة الاسلامية ، إذ ذهبت الحمية الاسلامية ، وسكرة العزة الملية ، وفقد العالم الاسلامي نشاطه وروحه ولم يبق يومئذ من الاسلام الا اسمه، ومن الدين الا رسمه

طرأت على الهند حوادث سياسية فكثر المفسدون واخذوا يعيثون فيه فساداً، ويغرسون بذور الفتنة استئثاراً بالامارة ، فلم يكن فيه من يكبح جماحهم ويقطع دابرهم ، فحدثت ثورة بعد ثورة ، وبغوا وطغوا وأكثروا فيه الفساد ، وانقطعت وسائل الراحة والطمأنينة

حتى اذا احتلت الهند الانكليز لعبت يدهم بسياسته ، وساروا على قاعدة « فرّق تَسد) وأوقدوا نار العداوة بين أمراء الهند وملوكه حتى صار بأسهم بينهم شديداً ، وصار يقتل بعضهم بعضا ، وكانوا مع الحروب الداخلية يحاربون عدواً آخر وهو الفرنساويون ، فانكسروا وانكسر الفرنساويون وآل الامر الى الانكليز

أما ملوك دهلي (١) فبقوا كأعجاز نخل خاوية ، أو خشب مسندة، حتى اذا استشهد المغفور له السلطان طيبو الذي حارب الانكليز ودفع عن المسلمين سنة تسع وتسعين وسبعمائة وألف (م) ضاقت على المسلمين أرض الهند وكادت تلفظهم

ان مما امتاز به العرب عن غيرهم أنهم اذا دخلوا قرية غير وا دينها ومدنيتها واجتماعها ومعاشرتها وآدابها ولسانها من غير جبر ولا استكراه ، وانقاد أهلها رضا وطاعة لهم ، وحبا وكرامة لطاهر عواطفهم الملية ، ولكرمهم وتقواهم ، وحسن معاملاتهم لهم

وأما ملوك الهند وفاتحوه فقد خلوا من تلك العواطف الملية الطاهرة ،وانما ألجأتهم اليه مطامعهم فزحفوا عليه وفتحوه ، وحكموا ماشاءالله أن يحكموا. فداس

(١) دهلي مهد الحكومة الاسلامية ومدفنها كانت بغداد الهند وقرطبته عدة قرون

أكثرهم أحكام الاسلام وشرائع الدين كما يظهر من أعمالهم المنكرة التي يأباها كل ذي ضمير حي فضلا عن المتدينين

فالتيموريون لما استقرت بهم الحكومة أراد بعضهم أن يستتب أمره فلم يجد بداً من معاضدة الوثنيين له، فألان جانبه لهم حتى ازورّ جانبه عن المسلمين، ومال اليهم ميلا شغله عن الدين، بالرغم من المتدينين، فتزوج فيهم، وخرَّ لاوثانهم، وصار كأنه واحد منهم لا يخيل لاحد انه مسلم، ثم أمرهم بعبادة شخصه فخروا له سجداً وكفّروا له — فهذا كان شأن الحكومة الاسلامية في الهند في ربيع حياتها، أو ريعان شبابها، فما ظنك بها في وهنها وهرمها ؟

اتخذوا القرآن هزؤا، بل كان تلقينه والاستمساك به ذنباً لا يغفر، فلم يكن يوجد للقرآن ترجمة في أي لسان الا الترجمة الفارسية المنسوبة الى الشيخ سعدي (رح) حتى ان الشيخ العلامة ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي حين ترجمه خشي على نفسه واضطر أن يهاجر من الهند

وأما الحديث فلم يبق منه إلا روايات وأساطير كأساطير ألف ليلة وليلة، كانوا يسجدون بين يدي القبور سجودهم بين يدي الله، فكان القبر قبلتهم التي يتوجهون اليها، وملجأهم الذي يلجئون في شدائدهم وحاجاتهم اليه، فكانوا يزينونه ويزخرفونه ويطوفون به، ويعتكفون عليه، وكانت تنعقد عليه الاسواق وتجتمع عنده المواكب، وكل امريء رضي بشيخه رائداً، وإلى النجاة قائداً، حتى إذا توفي أحدهم دفنت معه صحيفة عليها اسم شيخه ونسبه ظنا انها تقيه سوء العذاب

ثم المتصوفون — تصوفا مبتدعا — فأحلوا ما حرم الله، وجعلوا المنكر معروفا، والباطل حقا، واعتدوا وأسرفوا، واتبعوا أهواءهم، فضلوا وأضلوا، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتخذوا دينهم لهواً ولعبا، ولذة وطربا، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، وكان الاسلام يومئذ كالمسيحية ما هي إلا أوهام، ومعتقدات وأسماء سموها استغناءاً بها عن الاعمال (لها بقية)

الشيخ محمد عبد العزيز الخولي

رزئت مصر، بل نهضة الاصلاح الاسلامي في هذا العصر، باغتضار الشيخ محمد عبد العزيز الخولي في شرخ شبابه، وغضاضة إهابه، وغضارة معيشته، وصولة مجاهدته، بعد مرض فجأه على غرة فأقصده، بجهل الطبيب كنهه وعلاجه، لاستكماله ما كتب الله له من العمر، وإذا قضي الاجل، عمي البصر وضاعت الحيل، وخاب الامل

مات الشاب الذي فاق الشيوخ حكمة وعلما، وفات الكهول همة وثباتا وحلما، وبذ الشباب نجدة وإقداما

مات خطيب مصر المفوه، وواعظها الديني المؤثر، المبشر المنذر، لذي تخشع لوعظه القلوب، وتسيل الغروب، وتجيش الصدور، وتستهل الشؤون

مات المصنف المدرس الصحيح العلم، الجيد الفهم، المتحري لهدى القرآن الحكيم، وهدي محمد خاتم النبيين، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم في التزام سنته، والنصح لامته

نعم مات أخونا وصديقنا وأحد أركان جماعتنا دعاة الاصلاح على المنهج الذي تقتضيه حال الزمان، من هدم الخرافات والبدع، وإقامة قواعد السنن، والقيام بحقوق الروح والجسد، واستقلال العقل والفكر، والجمع بين الدين والعلم، والعمل النافع في عمران الدنيا والاستعداد للآخرة، فحزنت لموته القلوب، وفاضت الدموع، وإنا على فقده لمحزونون، فانا لله وإنا اليه راجعون

كان اول عهدنا بمعرفته سنة ١٣٣١ إذ اشترك في مجلة المنار وصار يتردد علينا للمذاكرة والبحث، وكان طالبا في مدرسة القضاء الشرعي، فكانت قراءته للمنار وزياراته لنا في بعض الاحيان، مقوية لاستعداده لمعرفة حقيقة الاسلام، والاهتداء بهما للعمل والتعليم على منهج الاصلاح

ولما حان وقت امتحانه النهائي لنيل شهادة المدرسة، وكان لابد له من كتابة رسالة في أحد المباحث العلمية الدينية للتقدم بين يدي الامتحان اتباعا للعادة المتلزمة — اختار بحث السنة وعلومها وتاريخها فكتب رسالته التي سماها (مفتاح

السنة —او— تاريخ فنون الحديث) وكان يستشيرنا في تأليفها وفي الكتب التي يستمد منها ، وفي الوقوف على أخبار المشتغلين بعلم السنة في الاقطار الاسلامية في عصرنا. ونشرنا له هذه الرسالة في مجلد المنار الثاني والعشرين وطبعناها مستقلة في مطبعة المنار سنة ١٣٢٩ (١٩٢١م) وقدمها للمدرسة فنالت حسن القبول

وقد نوه رحمه الله تعالى في أواخر هذه الرسالة بما كان من تأثير مجلة المنار في نشر السنة والاهتداء بها إذ قال في فصل (حال السنة في عصرنا الحاضر) ما نصه (ص ٦١ من الطبعة الاولى) « ولما كانت مجلة المنار سلفية المنهج وكانت عنايتها موجهة إلى محاربة البدع ، والرجوع بالدين إلي مادرج عليه الرعيل الاول من السلف ، وكان ذلك داعياً للعناية بالسنة والبحث فيها وفي فنونها ، والاستدلال بها في الفتاوى وغيرها ، كان لها أثر صالح في نشر السنة وتكثير سواد الطالبين لها في الاقطار الاسلامية المختلفة » اه

وبقي لنا عليه دين أدبي كان يعد بوفائه من غير مطالبة ، وهو تقريظ تفسير المنار كما قرظه أخص اخوانه من علماء الازهر وغيرهم ، وكان يسوف فيه ليجد فرصة لكتابة شيء لم يسبقه إليه غيره ، فرحمه الله وعفا عنه

خلاصة ترجمته

قال صديقه ورفيقه في الطلب والتدريس الاستاذ الشيخ مصطفى محمد خفاجي المدرس في تجهيزية دار العلوم في تأبينه إياه في حفلة المدرسة (في ٢٦ ذي الحجة) :

ولد رحمه الله ببلدة الحامول من أعمال المنوفية سنة ١٣١٠ من الهجرة ، ولما أتم حفظ القرآن وتجويده التحق بالجامع الازهر كسائر أهل بلده إذ ذاك (كذا) ولكنه لم يرقه ما كان عليه من الفوضى ، فولى وجهه شطر الاسكندرية وانتسب إلى معهدها إذ كان على شيء من حسن النظام والدقة فقضى به أربع سنين إلا بعض السنة ، ثم تاقت نفسه الوثابة وآماله البعيدة إلى الالتحاق بمعهد يكون أدق نظاما ، وأعلى إحكاما ، فكانت مدرسة القضاء الشرعي طلبته ، ومغناها بغيته ، فألقى عصاه بذراها ، وانتظم في طلبتها وذلك سنة ١٣٢٩ هـ الموافق سنة ١٩١١ ميلادية ، وما زال بها الطالب المجد والجندي القوي حتى أتم تسع السنين

ثم غادرها إلى حلبة الحياة العملية وقد اتسعت أمامه الارجاء ، وانفتح لمداركه وآماله مغلق الانحاء ، فعين مدرساً بالمعهد الذي تخرج فيه سنة ١٩٢٢ ولما أنشيء به قسم التخصص في الشريعة الاسلامية كنا ممن اختير ليدرس في هذا القسم ، ولما عصفت الاعاصير بذلك المعهد الشامخ نقلنا إلى مدرسة دار العلوم ، حتى اذا كان صيف العام الماضي نقلنا إلى المدرسة التجهيزية حيث نحن الآن ، ثم غادرنا إلى الدار الآخرة قبل شهر كامل من اليوم » (أي في ٢٥ ذي القعدة)

ثم ذكر خلاصة ماعلمه بالمعاشرة ، والمزاملة في المدرسة ، من شمائله وآدابه وأخلاقه ، وأسلوبه في الدرس ، ومنزعه في الخطابة والوعظ ، وصلته للارحام ، ووفائه للخلان ، وغيرته على الدين ، واهتمامه بامر المسلمين ، وذكر انه لقي في طريقته الوعظية التي جرى عليها في المساجد معارضة من الخرافيين الجامدين فنصره الله عليهم

وأقول ان الخطابة الدينية قد ارتقت في هذه السنين بمصر ارتقاء يبشر بخير عظيم ، فنبغ فيها طائفة من علماء الخطباء العارفين بحال الزمان ، يرجى فيهم الخير الكثير في هداية العوام ، الذين زادهم جهلا على جهلهم ، وضلالا على ضلالهم خطباء الفتنة الذين يلقون على منابرهم خطب الدواوين المعروفة ، وكان فقيدنا رحمه الله تعالى في الذروة منهم ومن عرف كنه ماهبطت اليه الخطابة الدينية في المساجد الاسلامية بموت العلم وافساد الملوك والامراء الفاسقين للعلماء الرسميين ، وانها صارت في هذا العصر مشوهة للاسلام في نظر المتعلمين العصريين ، ومعززة للخرافات في أنفس العوام الجاهلين ، ـ علم ان مثل فقيدنا اليوم خير لدينه وأهل ملته من ألف عالم من هؤلاء المتأخرين الجامدين ، حتى من يعدونهم من كبراء المصنفين ، كالشرقاوي والباجوري والانبابي والسقا واضرابهم . وكتابه في الوعظ والخطابة ورسالة في تاريخ الحديث أنفع من كل تلك المصنفات ودواوين الخطب التي ليس لاحد منهم تحقيق مسألة دينية نافعة فرحمه الله رحمة واسعة ، آمين

(تأخر صدور المنار وكثرة مواده المتأخرة والمنتظرة)

عرض لنا في أوائل شهر شوال من العوارض المختلفة عامة وخاصة ما أمسك بيدنا عن كتابة أي شيء للمنار وامتد ذلك الى مابعد عيد النحر ، ولا حاجة إلى بسط العذر ، (وكان أمر الله قدراً مقدورا) وقد سبق لنا مثل هذا مما جعل أول سنة المنار يتأخر عن شهر المحرم الى أن عاد في العام الماضي ، ولنا الرجاء في الله عز وجل ان نصدر في عام ١٣٥٠ اثني عشر جزءا فتعود سنة المنار في ١٣٥١ إلى أول المحرم ونجعل مافات من الشهرين في سنة ١٣٤٩ بدلا من أجازة السنة الجديدة - ان أحيانا الله في عافية وسعة بفضله وكرمه وحده كما عودنا

هذا وانه قد كثرت علينا مواد المنار فعلينا في العام الجديد أن نتم مقالات (المساواة بين النساء والرجال) التي كتبنا منها ثلاث عشرة مقالة . وما هو أهم منها من اتمام بحث الربا وما يترتب عليه من أحكام المعاملات المالية في هذا العصر ، وكذا نشر محاضرتنا في موضوع التجديد والمجددين التي ألقيناها في رمضان سنة ١٣٤٨ في نادي الجمعية الجغرافية الملكية ، وكثرت مطالبة الناس لنا بنشرها ، لانها كانت الفاصلة في هذه المسألة التي كان كثر الخوض فيها

ولدينا أيضا موضوع المناظرة في مسائل الخلاف بين أهل السنة والشيعة وقد أرسل الينا الاستاذ السيد عبد الحسين شرف الدين مقالته الاولى فيها ولكنه لم يلتزم فيها ما اشترطناه عليه في جواب اقتراحه المنشورين في هذا الجزء ، ولا بد مع هذا من نشرها وبيان مانراه في تحرير موضوع المناظرة . وكذا مسألة تنكيل ايطالية باخواننا مسلمي طرابلس وبرقة وهتكها لدينهم وعرض نسائهم

وقد نجم في أواخر العام المنسلخ قرن فتنة جديدة في الاسلام لا بد من تقديم الكتابة في دفع ضررها على كل ماذكر ، وهي أن رجلا جاهلا مغرورا تجرأ على وضع حواشي لكتاب الله تعالى وطبعها مع المصحف الشريف وسماها تفسيرا للقرآن بالقرآن وما هي الا تحريف قبيح يراد به هدم دين الاسلام ، واستبدال دين جديد به . وقد بدأت بتفنيد بدعته التي هي ردة صريحة ، مقرونة بدعاية قبيحة ، بنشر مقالات في جريدة الاهرام التي كانت أول من فتح باب البحث في هذا الموضوع .

المنار

أنشئ ١٣١٥

يُؤتي الحكمة من يشاء ومن يُؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذَّكَّر إلا أولوا الألباب

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للإسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

المحرم سنة ١٣٥٠ هـ الجوزاء سنة ١٣١٠ هـ ش يونيه سنة ١٩٣١

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(١١٣) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ
وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
(١١٤) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ،
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
(١١٥) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ
مَا يَتَّقُونَ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٦) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

تقدم في الآية الثمانين من هذه السورة ان الله تعالى لا يغفر للمنافقين لانهم كفروا بالله ورسوله الخ، فاستغفار الرسول لهم وعدمه سيان . وتقدم في سورة النساء (إن الله لا يغفر أن يشرك به (٤: ٤٨ و ١١٦) وقد شرع الله للمؤمنين في أوائل سورة الممتحنة التأسي بابراهيم ﷺ والذين آمنوا معه في البراءة من قومهم المشركين ومن معبوداتهم واستثنى من هذه الاسوة استغفار ابراهيم ﷺ لأبيه فقال (إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) وقد نزل بعد ذلك كله قوله تعالى هنا

﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ هذا نفي بمعنى النهي، فهو أبلغ من النهي المجرد ، وهذا التعبير فيه يسمي نفي الشأن ، وهو أبلغ من نفي الشيء نفسه ، لانه نفي معلل بالسبب المقتضي له . والمعنى : ما كان من شأن النبي ولا مما يصح أن يصدر عنه من حيث هو نبي — ولا من شأن المؤمنين ولا مما يجوز أن يقع منهم من حيث هم مؤمنون — أن يدعوا الله طالبين منه المغفرة للمشركين ﴿ ولو كانوا أولي قربى ﴾ لهم في الاصل حق البر وصلة الرحم. وكانت عاطفة القرابة تقتضي الغيرة عليهم وحب المغفرة لهم، ولو هذه تفيد الغاية لمعطوف عليه يحذف حذفا مطرداً للعلم به ، والمراد انه ليس مما تبيحه النبوة ولا الايمان ولا مما يصح وقوعه من أهلهما : الاستغفار للمشركين في حال من الاحوال، حتى لو كانوا أولي قربى ، فان لم يكونوا كذلك فعدم جوازه أولى . ثم قيد الحكم بقوله تعالى

﴿ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ أي من بعد ما ظهر لهم بالدليل أنهم من أهل النار الخالدين فيها بأن ماتوا على شركهم وكفرهم ولو بحسب الظاهر كاستصحاب حالة الكفر الى الموت ، أو نزل وحي يسجل عليهم ذلك كاخباره تعالى عن أناس من الجاحدين المعاندين انهم طبع قلوبهم وختم عليها وقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم (سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) ومثله في المنافقين (سواء عليهم أستغفرت لهم) الخ وقد ورد في الصحيحين وغيرهما ان هذه الآية نزلت في أبي طالب، اذ دعاه ﷺ عند ما حضره الموت الى قول

(لا إله إلا الله) فامتنع وأبو طالب مات بمكة قبل الهجرة، فهل نزلت الآية عقب موته ثم الحقت بهذه السورة المدنية لمناسبتها لاحكامها، أم نزلت مع غيرها من براءة مبينة لحكم استغفار الرسول (ص) له؟ وروي من طرق انها نزلت حين زار (ص) قبر أمه واستغفر لها (١) والله أعلم. والآية نص في تحريم الدعاء لمن مات على كفره بالمغفرة والرحمة وكذا وصفه بذلك كقولهم المغفور له المرحوم فلان، كما يفعله بعض المسلمين الجغرافيين الآن، لعدم تحققهم بمقتضى الايمان، وتقيدهم بأحكام الاسلام، ومنهم المعممون والحاملون لدرجة العالمية من الازهر المعمور

أخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وغيرهم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال «أي عم! قل لا اله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب. وأبى ان يقول لا اله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ «والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك» فأنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

هذا لفظ البخاري في تفسير الآية الاخيرة من سورة القصص وأخرجه في تفسير آية براءة وفي الجنائز أيضا.

قال الحافظ في شرحه للحديث: ووقع في رواية مجاهد قال: يا ابن أخي ملة الاشياخ. ووقع في حديث أبي حازم عند مسلم والترمذي والطبري قال: لولا ان تعيرني بها قريش يقولون ما حمله على ذلك إلا جزع الموت لأقررت بها عينك. ثم قال الحافظ وروى الطبري من طريق شبل عن عمرو بن دينار قال قال النبي ﷺ «استغفر

(١) راجع هذا البحث في تفسير (٦: ٣٥ واذ قال ابراهيم لابيه آزر) ص ٥٣٧ـ٥٥٣ ج ٧ تفسير

ابراهيم لابيه وهو مشرك فلا ازال أستغفر لابي طالب حتى ينهاني عنه ربي » فقال أصحابه لنستغفرن لآبائنا كما استغفر نبينا لعمه ، فنزلت

(قال) وهذا فيه إشكال لان وفاة ابي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقا ، وقد ثبت ان النبي ﷺ اتى قبر امه لما اعتمر فاستأذن ربه ان يستغفر لها فنزلت هذه الآية - والاصل عدم تكرار النزول وقد أخرج الحاكم وابن أبي حاتم من طريق أيوب بن هانيء عن مسروق عن ابن مسعود قال خرج رسول الله ﷺ يوما إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه فقال « ان القبر الذى جلست عنده قبر امي واني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي فأنزل علي (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) » وأخرج أحمد من حديث ابن بريدة عن ابيه نحوه ، وفيه نزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب ولم يذكر نزول الآية ، وفي رواية الطبري من هذا الوجه لما قدم مكة اتى رسم قبر ومن طريق فضيل بن مرزوق عن عطية لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها ، فنزلت . وللطبراني من طريق عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس نحو حديث ابن مسعود وفيه : لما هبط من ثنية عسفان . وفيه نزول الآية في ذلك — فهذه طرق يعضد بعضها بعضا وفيها دلالة على تأخير نزول الآية عن وفاة ابي طالب . ويؤيده ايضا انه ﷺ قال يوم احد بعد ان شج وجهه « رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » لكن يحتمل في هذا أن يكون الاستغفار خاصاً بالاحياء وليس البحث فيه - ويحتمل أن يكون نزول الآية تأخر وان كان سببها تقدم ويكون لنزولها سببان متقدم وهو امر أبي طالب ومتأخر وهو امر آمنة ، ويؤيد تأخير النزول ما تقدم في تفسير براءة من استغفاره ﷺ للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك ، فان ذلك يقتضي تأخير النزول وان تقدم السبب ، ويشير الى ذلك أيضا قوله في حديث الباب « وأنزل الله في أبي طالب (انك لا تهدي من أحببت) » لانه يشعر بأن الآية الاولى نزلت في ابي طالب وفي غيره ، والثانية نزلت فيه وحده ، ويؤيد تعدد السبب ما أخرج أحمد من طريق ابي اسحاق عن ابي الخليل عن علي قال سمعت رجلا يستغفر

لوالديه وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله (ما كان للنبي) الآية وروى الطبري من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد قال قال المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا كما استغفر ابراهيم لابيه ؟ فنزلت . ومن طريق قتادة قال ذكرنا له ان رجالا فذكر نحوه . وفي الحديث ان من لم يعمل خيراً قط اذا ختم عمره بشهادة أن لا إله الا الله حكم باسلامه ، وأجريت عليه احكام المسلمين ، فان قارن نطق لسانه عقد قلبه نفعه ذلك عند الله تعالى بشرط أن لا يكون وصل الى حد انقطاع الامل من الحياة وعجز عن فهم الخطاب، ورد الجواب، وهو وقت المعاينة ، واليه الاشارة بقوله تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) والله أعلم اه كلام الحافظ وقد تعددت الروايات في استغفار بعض الصحابة لآبائهم وأولي قرباهم من المشركين تأسيا به ﷺ حين استغفر لعمه حتى نزل النهي فكفوا

﴿ وما كان استغفار ابراهيم لأبيه ﴾ مما يدخل في عموم تأسيكم به ، فانه فانه ما كان وما وقع لسبب ولا علة ﴿ إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ في حياته إذ كان يرجو ايمانه فقال له (٦٠: ٤ لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) أي لا أملك لك هداية ولا نجاة وانما أملك دعاء الله تعالى . وقد وفى بوعده وما كان إلا وفياً كما شهد له تعالى بقوله (وابراهيم الذي وفّى) فكان من دعائه (٢٦ : ٨٦ واغفر لابي انه كان من الضالين ٨٧ ولا تخزني يوم يبعثون ٨٨ يوم لاينفع مال ولا بنون ٨٩ إلا من أتى الله بقلب سليم)

ورد أنه يعد من الخزي له يوم القيامة أن يكون أبوه في النار كما رواه البخاري من حديث رؤيته في النار أنه يقول « يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد» فيمسخ الله أباه ذيخا - وهو ذكر الضباع الكثير الشعر - حتى لا يخزى ابراهيم أبنه برؤيته في النار على صورته المعروفة له ولقومه. وقد تقدم لفظ الحديث في قصة ابراهيم مع أبيه من تفسير سورة الانعام (ص ٥٣٩ ج ٧)

﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ قال ابن عباس : لم يزل ابراهيم

يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فتبرأ منه. وفي رواية عنه: فلما تبين له انه عدو الله يقول لما مات على كفره. وقال قتادة تبين له حين مات وعلم أن التوبة انقطعت عنه. وقيل انه تبين له ذلك بوحي من الله تعالى، فحينئذ تبرأ منه ومن قرابته، وترك الاستغفار له كما هو مقتضى الايمان (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الآية

﴿ ان ابراهيم لأواه حليم ﴾ هذه الجملة المؤكدة بوصف ابراهيم صلى الله عليه وسلم بالمبالغة في خشية الله والخشوع له، وبالحلم والثبات في أموره كلها، تعليل لامتناعه عن الاستغفار لابيه بعد العلم برسوخه في الشرك وعداوة الله عز وجل. الأواه الكثير التأوه والتحسر وانما يتأوه ابراهيم من خشية الله ويتحسر على المشركين من قومه ولاسيما أبيه، ويصدق الاواه على الخاشع الكثير الدعاء والتضرع لله - وأصل التأوه قول «أوّهْ» اوآه (بالكسر منونا وغير منون) أو واه، أو اوه، . وفي حديث مرفوع في التفسير المأثور «الأواه الخاشع المتضرع» وعن ابن عباس فيه روايات منها انه المؤمن أو الموقن بلسان الحبشة، والحليم الذي لا يستفزه الغضب ولا يعبث به الطيش، ولا يستخفه الجهل أو هوى النفس، ومن لوازمه الصبر والثبات والصفح والتأني في الأمور واتقاء العجلة في كل من الرغب والرهب

﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم ﴾ أي وما كان من شأن الله تعالى في حلمه ورحمته، ولا من سننه في خلقه التي هي مظهر عدله وحكمته، أن يصف قوما بالضلال، ويجري عليهم أحكامه بالذم والعقاب، بعد إذ هداهم الى الايمان، وشرح صدورهم بالاسلام، بمجرد قول أو عمل صدر عنهم بخطأ الاجتهاد

﴿ حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ من الاقوال والافعال، بيانا جليا واضحا لا شبهة فيه ولا إشكال ﴿ ان الله بكل شيء عليم ﴾ فهو يشرع لهم من الاحكام ما تكمل به فطرتهم، ويستقيم به رأيهم وفهمهم، فيبين لهم مهمات الدين بالنص القاطع حتى لا يضل فيه اجتهادهم باهواء نفوسهم، ويترك لهم مجالا للاجتهاد فيما دون ذلك من مصالحهم، فهو لهذا لم يؤاخذ ابراهيم في استغفاره لابيه قبل أن

يتبين له حاله ، وكذلك لايؤاخذ النبي والذين آمنوا بما سبق لهم من الاستغفار لوالديهم وأولي القربى منهم قبل هذا التبيين لحكم الله في ذلك ، وان كان من شأنه أن يعلم أنه من لوازم الايمان، قال مجاهد في تفسير الجملة: بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة، وفي بيان طاعته ومعصيته عامة، مافعلوا أو تركوا. اه

يعني ان الآية عامة وان نزلت في مسألة استغفارهم للمشركين . وعن ابن عباس انها نزلت حين أخذوا الفداء من المشركين يوم الاسارى قال : لم يكن لكم أن تأخذوه حتى يؤذن لكم . ولكن ماكان الله ليعذب قوما بذنب أذنبوه حتى يبين لهم مايتقون ، قال حتى ينهاهم قبل ذلك اه

وأقول الآية متأخرة النزول عن غزوة بدر ولكنها شاملة لحكمها فقد تقدم أن أخذ الفداء من الاسرى هو في معنى الاستغفار للمشركين هنا من حيث انه خلاف مايقتضيه شأن النبوة والايمان لقوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) فهذا نفي للشأن كنفي الاستغفار هنا. ثم قال تعالى هنالك بعد عتابهم الشديد (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب أليم) فابن عباس يفسر هذا الكتاب بحكمه تعالى في هذه الآية بأنه لايحكم بضلال قوم في شيء فيعاقبهم عليه إلا بعد أن يبين لهم مايتقون بيانا واضحا تاما لا مجال معه للاجتهاد الذي يكون عذراً في المخالفة، سواء كانت هذه الآية نزلت وقتئذ أم لا - فهذا حكم الله تعالى .

أخرج ابن المنذر أن عبدالله بن مسعود (رض) كان يخطب أصحابه كل عشية خميس ثم يقول : فمن استطاع منكم أن يغدو عالما أو متعلما فليفعل ولا يغدو لسوى ذلك ، فان العالم والمتعلم شريكان في الخير . أيها الناس : إني والله ماأخاف عليكم أن تؤخذوا بما لم يبين لكم وقد قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) فقد بين لكم ماتتقون .

ويؤخذ من هذا كله قاعدة أن أحكام الاسلام العامة التي عليها مدار الجزاء في الآخرة ، ويكلف العمل به كل من بلغه إن كان من الاحكام الشخصية وتؤخذ بها الامة كلها وينفذه أئمتها وأمراؤها فيها ان كان من الاحكام القضائية او السياسية،

هو ماكان قطعي الدلالة ببيان الله تعالى ورسوله لا حجة معه لأحد في تركه. وان ماعداها منوط بالاجتهاد، فمن ظهر له من نص ظني الدلالة حكم واعتقد أنه مراد الله من الآية وجب عليه اتباعه، ومن لا فلا. كما وقع عند نزول آية البقرة في الخمر والميسر إذ فهم بعض الصحابة من قوله تعالى (وإثمهما اكبر من نفعهما) تحريمهما فترك، وبقي من لم يفهم هذا يشرب الخمر حتى بين الله تحريمهما بياناً قطعياً بآيات المائدة. وأصل مذهب الحنفية أن الفرائض والتحريم الديني لا يثبتان إلا بالنص القطعي أو بنص القرآن القطعي بل هذا ما كان عليه علماء السلف. وتقدم تحقيق المسألة (في ص ٣٧١ ج ١٠ تفسير)

﴿ان الله له ملك السموات والارض﴾ لا شريك له في خلقهما ولا في تدبير شؤونهما ولا في التشريع الديني للمكلفين فيهما ﴿يحيي ويميت﴾ أي يهب الحياة الحيوانية والحياة المعنوية الروحية بمحض قدرته ومشيئته ومقتضى سننه في التكوين والهداية الفعلية. ويميت ماشاء من الابدان بانقضاء آجالها المقدرة في علمه، ومن الانفس بنكوبها عن صراط هدايته ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي وليس لكم أيها المؤمنون أحد غير الله يتولى أمركم، ولا نصير ينصركم على عدوكم، فلا تحيدوا عن هدايته فيما نهاكم عنه من الاستغفار لأولي القربى الذين هم أهل الولاية والنصرة من عصباتكم في الانساب. ولا في غير ذلك من أوامره ونواهيه

(١١٧) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ، إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٨) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ

عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

هذه الآيات تتمة ما تقدم من موضوع توبة المتخلفين عن غزوة تبوك، أخرت على سنة القرآن في تفريق الآيات في الموضوع الواحد لانه أدنى أن لا يسأم التالي لها في الصلاة وغيرها ، وأقوى في تجديد الذكرى والتأثير في النفس كما بيناه مراراً ، وهو مناسب لما قبله من النهي عن الاستغفار للمشركين وهو مما يتاب منه

﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ﴾ هذا خبر مؤكد بلام القسم على حرف التحقيق بين به تعالى غاية رضاه عن نبيه وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والانصار وتجاوزه عن هفواتهم في هذه الغزوة وفي غيرها ، لاستغراقها في حسناتهم الكثيرة على كونهم، لا يصرون على شيء منها ، وانما كانت هفواتهم هذه مقتضى الطباع البشرية واجتهاد الرأي فيما لم يبينه الله تعالى لهم بياناً قطعياً يعد مخالفه عاصياً وقد فسر ابن عباس التوبة على النبي صلى الله عليه وسلم هنا بقوله تعالى في سياق هذه الغزوة (٤٣ عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟) الآية وحققنا في تفسيرها مسألة ذنوب الانبياء وكونها من الاجتهاد الذي لم يقرهم الله عليه لان غيره خير منه[1] وأما المهاجرون والانصار (رض) وهم خاص المؤمنين

﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ فمنهم من كان ذنبه التثاقل في الخروج حتى ورد الامر الحتم فيه والتوبيخ على التثاقل الى الارض، ومنهم من كان ذنبهم السماع للمنافقين فيما كانوا يبغون من فتنة المؤمنين

فأما العسرة فهي الشدة والضيق . وكانت عسرة في الزاد اذ كانت عند انتهاء فصل الصيف الذي نفدت فيه مؤنتهم من التمر ، وأول فصل الخريف الذي بدأ فيه ارطاب الموسم الجديد ولا يمكن حمل شيء منه ، فكان يكتفي الواحد منهم او الاثنان بالتمرة الواحدة من التمر القديم ومنه المدود واليابس ، وقد تزود

(١) راجع ص ٤٦٤ ج ١٠ تفسير

بعضهم أيضا بالشعير المسوس والاهالة الزنخة - وعسرة في الماء حتى كانوا ينحرون البعير على قلة الرواحل ليعتصروا الفرث الذي في كرشه ويبلوا به ألسنتهم - وعسرة في الظَّهر حتى كان العشرة يعتقبون بعيراً واحداً - وعسرة في الزمن اذ كان في حمارة القيظ وشدة الحر ، ولعل التعبير بساعة العسرة للتذكير بذلك الوقت العصيب ، قال جابر بن عبدالله (رض) في ساعة العسرة: عسرة الظَّهر وعسرة الزاد وعسرة الماء ، وقال ابن عباس لعمر (رضي الله عنهم) حدثنا من شأن ساعة العسرة ، فقال: خرجنا مع رسول الله ﷺ الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع حتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر الصديق (رض) يارسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا ، فرفع يديه فلم يرجعها حتى قالت السماء ، فأهطلت ثم سكبت فملؤا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ، أخرجه ابن جرير وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في دلائلهما والضياء في المختارة

﴿ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ أي اتبعوه من بعد ما قرب أن يزيغ قلوب فريق منهم عن صراط الايمان ، بعصيان الرسول حين أمر بالنفير العام ، إذ تثاقل بعضهم عن النفر وبخهم الله تعالى في الآيات ٣٨ و ٣٩ و ٤٠(*) أو المعنى انه تاب على المؤمنين كافة من بعد ما كاد يزيغ بعضهم عن الايمان والمراد بهم الذين تخلفوا بالفعل منهم لغير علة النفاق ، وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً واعترفوا بذنوبهم تائبين فقبل الله توبتهم كما تقدم ، وقل هنا فيهم ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ وهو الظاهر من العطف بثم ، وأما على التوجيه الآخر فهو تأكيد لما في أول الآية من التوبة على الجميع ﴿ انه بهم رءوف رحيم ﴾ وهذا تعليل لقبول توبتهم . قرأ (كاد يزيغ) بالياء التحتانية حمزة وحفص ،

(*) راجع تفسيرها في ٤٢٣ - ٤٣٤ ج ١٠

وقرأها الباقون (تزيغ) بالفوقانية ، والمعنى واحد فيهما الا ان في هذه من احتمال الاعراب ما ليس في تلك

﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ أي وتاب أيضا على الثلاثة الذين خلفوا عن الخروج الى تبوك معه ﷺ وهم المرجون لأمر الله في الاية (١٠٦) او خلفوا بمعنى أرجؤا حتى ينزل فيهم امر الله ، وهم كعب بن مالك من بني سلمة وهلال ابن أمية من بني واقف ومرارة بن الربيع من بني عمرو بن عوف ﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ اي خلفوا ، وأبهم الله أمرهم الى ان شعروا بأن الارض قد ضاقت عليهم برحبها أي بما وسعت من الخلق خوفا من العاقبة وتألما وامتعاضاً من إعراض النبي ﷺ والمؤمنين عنهم وهجرهم اياهم في المجالسة والمحادثة والتحية ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ اي وضاقت أنفسهم على انفسهم ، وانما كان ذلك بما كانوا يشعرون به من ضيق صدورهم بامتلاء قلوبهم من الهم والغم حتى لا متسع فيها لشيء من البسط والسرور ، فكأنهم لايجدون لأنفسهم مكانا ترتاح اليه وتطمئن به

﴿ وظنوا ان لاملجأ من الله إلا اليه ﴾ واعتقدوا انه لاملجأ لهم من سخط الله يلجؤن اليه الا اليه تعالى بان يتوبوا اليه ويستغفروه ويرجون رحمته فان الرسول البر الرحيم باصحابه مازاد ينظر اليهم ولا يكلمهم حتى يطلبوا دعاءه واستغفاره ، وهو ﷺ لايشفع في الدنيا ولا في الآخرة إلا لمن ارتضى الله أن يشفع لهم

﴿ ثم تاب عليهم ﴾ اي بعد ذلك كله عطف تعالى ورجع عليهم وأنزل قبول توبتهم أو وفقهم للتوبة المقبولة عنده ﴿ ليتوبوا ﴾ ويرجعوا اليه بعد إعراضهم عن هدايته واتباع رسوله ﷺ ﴿ ان الله هو التواب الرحيم ﴾ انه تعالى هو الكثير القبول توبة التائبين ، الواسع الرحمة للمحسنين ، وتقدم مثله قريبا

وان العبرة بهذه القصة لاتتم إلا بذكر أصح الروايات وأوسعها فيها وهو حديث كعب بن مالك (رض)

أخرج أحمد والبخاري ومسلم وأشهر مدوني التفسير المأثور من طريق الزهري

قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي - قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها انما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك اني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان

قال كعب رضي الله عنه: فقلَّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى به ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل. وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وانا لها اليها أصعر، فتجهز اليها رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولا أقضي شيئاً، فأقول لنفسي أنا قادر على ذلك إن أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، وقلت الجهاز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه، فغدوت بعد ما فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت ان أرتحل فادركهم وليت أني فعلت، ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني اني لا أرى

لي أسوة إلا رجلا مغموصاً عليه في النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله[1] ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك « مافعل كعب ابن مالك ؟ » فقال رجل من بني سلمة: يارسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل، بئسما قلت ،والله يارسول الله ماعلمنا عليه إلا خيراً ،فسكت رسول الله ﷺ

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل ان رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادما، وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعا وثمانين رجلا ، فقبل رسول الله ﷺ منهم علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ،حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي « تعال » فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي « ماخلفك ؟ ألم تكن قد اشتريت ظهرك ؟ » فقلت يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر ،لقد أعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عني به ليوشكن الله يسخطك علي ، ولئن حدثتك بحديث صدق تجد علي فيه ،اني لأرجو فيه عقبي من الله ، والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال ﷺ « أما هذا فقد صدق ،فقم حتى يقضي الله فيك » فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، لقد عجزت أن لاتكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المتخلفون فلقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ قال « فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي، ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد؟

(١) يعني الضعفاء المرضى والذين لا يجدون ماينفقون

قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما؟ قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن أميـة الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي

قال ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس - او قال تغيروا لنا - حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما. وأما أنا فكنت اشد القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فاشهد الصـلاة مع المسلمين وأطوف بالاسواق فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة وأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر، فاذا اقبلت على صلاتي نظر إلي فاذا التفت نحوه اعرض عني، حتى اذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي واحب الناس إلي - فسلمت عليه، فوالله مارد علي السلام. فقلت له يا ابا قتادة انشدك الله تعالى هل تعلم اني احب الله ورسوله؟ قال فسكت، قال فعدت فنشدته فسكت، فعدت فنشدته. قال الله ورسوله اعلم. ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار.

وبينا أنا امشي بسوق المدينة اذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا، فقرأته فاذا فيه:

أما بعد فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت حين قرأتها وهذه أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها

حتى اذا مضت أربعون ليـلة من الخمسين اذا برسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال ان رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال بل اعتزلها ولا تقربنها، وأرسل الى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي إلحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر، فجاءت امرأة

هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن هلالا شيخ ضائع وليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال « لا ولكن لا يقربنك » فقالت انه والله ما به من حركة الى شيء ، ووالله ما زال يبكي من لدن ان كان من أمرك ما كان الى يومه هذا ، فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه . فقلت والله لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ،

قال فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا ، قال ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر ، فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج ، فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر . فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي وأوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس ، فلما جاء الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما املك غيرهما يومئذ ؟ فاستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا بعد فوج يهنئوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيد يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ، قال فكان كعب رضي الله عنه لا ينساها لطلحة .

قال كعب رضي الله عنه : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور « ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال « لا بل من عند الله » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم قال « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » فقلت اني أمسك سهمي الذي

بخبر، وقلت يارسول الله انما أنجاني الله بالصدق، وان من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا مابقيت، قال فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى، والله ماتعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ الى يومي هذا كذبا واني لارجو أن يحفظني الله فيما بقي وأنزل الله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار — الى قوله — وكونوا مع الصادقين)

قال كعب فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني الله للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه، فان الله قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ماقال لاحد فقال (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس — إلى قوله — الفاسقين)

قال كعب وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر اولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فلذلك قال الله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وليس الذي ذكر مما خلفنا تخلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه إيانا وارجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه اه

ان في هذه القصة لأكبر عبرة تفيض لها عبرات المؤمنين، وتخشع لها قلوب المتقين، وكان الامام احمد لا يبكيه شيء من القرآن كما تبكيه هذه الآيات وحديث كعب في تفصيل خبرهم فيها. وأي مؤمن يملك عينيه أن تفيض من الدمع، وقلبه أن يجف ويرجف من الخوف اذا قرأ او سمع هذا الخبر، وتأمل ما فيه من العبر، التي لا يمكن بسطها إلا في كتاب مستقل، ولا ادري ماعسى أن ينال من قسوة قلوب المقلدين، وجهل المغرورين، الذين يقترفون الفواحش والمنكرات، ويتركون الفرائض والواجبات، ويصرون على مافعلوا وهم يعلمون. فلا يتوبون ولا هم يذكرون، وإذا وعظهم واعظ أو ذكرهم مذكر، وجد اللابسين لباس الاسلام منهم بين جازم بالمغفرة والعفو عنه، وبين متكل على شفاعة الشافعين له، ومنهم من يحفظ من أخبار المكفرات للذنوب ما لا يصح له سند، ولا يستقيم له على

أصول الدين متن ، وما له أصل من هذه الاخبار يراد به تكفير الصغائر ، بشرط اجتناب الكبائر ، لقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وما كان العمل الصالح فيه مقرونا بالتوبة أخذاً من قوله تعالى (١٦ : ١١٩ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا . ان ربك من بعدها لغفور رحيم) وتقدم بيان هذه المسألة في مواضع (آخرها ص ١٧٥ ج ١٠)

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ باتباع ما أمر به بقدر الاستطاعة ، وترك

مانهى عنه وبين تحريمه مطلقا ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ أي مع جماعة الصادقين او منهم (وفاقا لقراءة ابن مسعود وقد تكون تفسيراً) دون المنافقين الذين يتنصلون من ذنوبهم بالكذب ويؤيدونه بالحلف . والصادقون هم المعتصمون بالصدق والاخلاص في جهادهم إذا جاهدوا ، وفي عهودهم إذا عاهدوا ، وفي أقوالهم ووعودهم إذا حدثوا ووعدوا ، وفي توبتهم إذا أذنبوا اوقصروا . والمنافقون ضدهم في ذلك وغيره

تقدم في آخر حديث كعب بن مالك المتفق عليه ان هذه الآية نزلت فيه وفي أصحابه بما صدقوا رسول الله ﷺ ولم ينتحلوا لأنفسهم عذراً كاذبا في التخلف عن النفر معه . وبه قال نافع والسدي . وقال عبد الله بن عمر [رض] (وكونوا مع الصادقين) مع محمد ﷺ وأصحابه . وقال سعيد بن جبير والضحاك: مع أبي بكر وعمر -وابن عباس وأبو جعفر : مع علي . والحق انها عامة كما قال ابن عمر في عهده ، ومثله يقال في الصادقين من بعده ، وان الثلاثة الذين نزلت في قصتهم يدخلون في عمومها دخولا أولياً . وان أبا بكر وعمر وعلياً أفضل من هؤلاء الثلاثة وأعرق في الصدق وأكمل . ولكني أشم من الروايتين رائحة وضع النواصب والروافض ، وقيل ان المراد بالصادقين المهاجرون وان أبا بكر احتج بالآية على الانصار يوم السقيفة . وهذا القول لا وجه له والاحتجاج به لا يصح ، ووجهه القائلون به بانه جعل الصادقين هنا هم الصادقين في آية سورة الحشر (٨٩ : ٩ للفقراء المهاجرين —

الى قوله ـ اولئك هم الصادقون) ومقتضاه أن يكون هذا الوصف خاصا بالمهاجرين حيث وجد في القرآن معرَّفا كآية (٤٩ : ١٥ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ـ إلى قوله ـ اولئك هم الصادقون) وقوله (ليسأل الصادقين ـ ليجزي الله الصادقين) وغيرهن ـ وهو باطل ولم يقل به أحد ، ومع هذا لا يدل على وجوب اتباع الانصار وغيرهم لهم في الامامة كما قال الطوفي

أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأشهر رواة التفسير والبيهقي في الشعب عن عبدالله بن مسعود (رض) لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ، ولا يَعدْ أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه ، اقرؤا إن شئتم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فهل تجدون لأحد رخصة في الكذب ؟ وأخرجه عنه الحاكم وصححه ، والبيهقي مرفوعا الى النبي ﷺ بلفظ « ان الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ، ولا يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له ، ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الكذب يهدي إلى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، انه يقال للصادق : صدق وبر ، ويقال للكاذب : كذب وفجر . وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، ويكذب حتى يكتب عند الله كذابا » وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عنه قال قال رسول الله ﷺ « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر وان الرجل ليصدق — الخ ما تقدم آنفا — وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الرجل ليكذب» — الخ ما تقدم فيما قبله — والاحاديث في فضيلة الصدق ورذيلة الكذب وكونها من صفات المنافقين كثيرة تقدم بعضها ، وفي روايات عديدة « ان المؤمن قد يطبع على كل خلق إلا الكذب والخيانة» وانه لا رخصة في الكذب إلا لضرورة من خديعة حرب او اصلاح بين اثنين او رجل يحدث امرأته ليرضيها — يعني في مثل التحبب اليها بوصف محاسنها ورضاه عنها ، لا في مصالح الدار والعيال وغيرها ، والرواية في هذا على علاتها تقيد بحديث « ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ـ وفي رواية ـ ما يغني الرجل العاقل عن الكذب » روى ابن عدي الاول عن عمران ابن حصين والثاني عن علي رضي الله عنهما

(١٢٠) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

(١٢١) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

هاتان الآيتان في تأكيد وجوب الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من الأجر العظيم، وحظر تخلف أحد عنه إلا باذنه، بما فيه من تفضيل أنفسهم على نفسه

﴿ ماكان لاهل المدينة ﴾ ما كان بالذي يصح لاهل المدينة عاصمة الاسلام ومقر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بالذي يستقيم او يحل لهم ﴿ ومن حولهم من الاعراب ﴾ كمزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار ﴿ أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ فيما ينهض به من أمور الملة ومصالح الامة ولاسيما إذا خرج غازيا في سبيل الله كما فعل بعضهم في غزوة تبوك

﴿ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ أي ولا ان يفضلوا أنفسهم على نفسه فيصونوها ويرغبوا بايثار راحتها وسلامتها عن بذلها فيما يبذل فيه نفسه الشريفة القدسية من احتمال الجهد والمشقة في سبيل الله عز وجل. يقال رغب في الشيء إذا أحبه وآثره، ورغب عنه إذا كرهه وأعرض عنه، وقد جمع هنا بينهما بهذه العبارة المؤثرة الدالة على أن المتخلف يفضل نفسه ويؤثرها على نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يكمل ايمان أحد حتى يحبه أكثر من حبه لنفسه، وهذا يصح بعده صلى الله عليه وسلم في كل راغب عن سنته والتأسي به، كالملاحدة الذين يقولون لا يجب اتباعه بعد موته، والمبتدعة والمقلدة الذين يؤثرون بدعهم ومذاهبهم على سنته

قال الزمخشري - ونعم ماقال : أمروا أن يصحبوه على البأساء والضراء ، وأن يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط ، وان يلقوا أنفسهم من الشدائد ماتلقاه نفسه ، علما بأنها أعز نفس على الله وأكرمها . فاذا تعرضت مع كرامتها وعزها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيمون لها وزناً ، وتكون أخف شيء عليهم وأهونه ، فضلا عن أن يربؤا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ، ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه . وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم ، وتوبيخ لهم عليه ، وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية اهـ

﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ﴾ أي ذلك الذي دل عليه النفي من النهي عن التخلف عنه ، ووجوب الاتباع له ، بسبب أن كل مايصيبهم في جهادهم من أذى وان قل ، ومن إيذاء للعدو وان صغر ، فهو عمل صالح ، لهم به أكبر الاجر ، فلا يصيبهم ظمأ لقلة الماء ـ أو نصب لبعد الشقة أو قلة الظهر ـ أو مجاعة لقلة الزاد ـ في سبيل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه ﴿ ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ﴾ وطؤهم إياه لانه من دارهم ، ويعدون وطأه اعتداء عليهم واستهانة بقوتهم ، فيغيظهم أن تمسه اقدام المؤمنين او حوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم ، فكيف إذا يسر الله فتحه لهم ﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ أي ولا يبلغون من أي عدو من أعداء الله ورسوله شيئا مما أرادوا من جرح أو قتل او أسر او هزيمة او غنيمة ﴿ إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ أي كتب لهم بكل واحد مما ذكر عمل صالح مرضي لله تعالى مجزي عليه بالثواب العظيم ، فما أكثر هذه الاعمال الصالحات التي تعم الامور السلبية العارضة كالجوع والعطش ، وتشمل كل حركة من بطشة يد أو وطئة قدم ؟ ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ هذا تعليل لهذا الاجر العظيم يدل على عموم الحكم ، وإن كان من المعلوم بالضرورة ان هذا الجهاد مع رسول الله ﷺ أعظم اجراً ، وأنفس ذخرا ، قال قتادة : ان حكم الآية خاص به ﷺ وبمن جاهد معه ، وقال الاوزاعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما من علماء التابعين : هذه الآية للمسلمين الى ان تقوم

الساعة. وهذا القول اصح، على مالا يخفى من التفاوت في الاجر، فالجهاد في سبيل الله إحسان، و (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان)؟ في كل زمان ومكان

﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ﴾ أي كذلك شأنهم فيما ينفقون في سبيل الله صغر أم كبر، قل أم كثر، وفي كل واد يقطعونه في سيرهم غادين أو رائحين (وهو مسيل الماء في منفرجات الجبال وأغوار الآكام، خصه بالذكر لما فيه من المشقة) لا يترك شيء منه أو ينسى بل يكتب لهم

﴿ ليجزيهم الله ﴾ بكتابته في صحف أعمالهم ﴿ احسن ما كانوا يعملون ﴾ وهو الجهاد، فانه عند وجوبه وفرضيته بالاستنفار له يكون أحسن الاعمال، إذ يتوقف عليه حفظ الايمان، وملاك الاسلام، وجميع مايتبعهما من فضائل الاعمال، يقال جزاه العمل وجزاه به. كما قال (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) والنص على جزائهم احسن ما كانوا يعملون لا ينافي جزاءهم بما دونه وقد قال آنفا (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) وهو فيه، وانما المراد النص على أن هذا العمل أحسن أعمالهم أو من أحسنها لانه جمع بين الجهاد بالمال والجهاد بالنفس وما قبله من الثاني فقط، والجزاء على الاحسن يكون أحسن منه على قاعدة (من جاء بالحسنة فله خير منها) وبيان ذلك بقاعدة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وقال بعضهم إن معنى الجملة أنه تعالى يجزيهم بكل عمل مما ذكر احسن جزاء على أعمالهم الحسنة، اي في غير الجهاد بالمال والنفس، بأن تكون النفقة الصغيرة فيه كالنفقة الكبيرة في غيره من المبرات، والمشقة القليلة فيه كالمشقة الكثيرة فيما عداه من الاعمال الصالحات.

(١٢٢) وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ

هذه الآية من تتمة أحكام الجهاد بالقتال، مع زيادة حكم طلب العلم والتفقه في الدين وهو آلة الجهاد بالحجة والبرهان، الذي عليه مدار الدعوة الى الايمان، وإقامة دعائم الاسلام ، وانما جهاد السيف حماية وسياج . وسببها أن ما ورد في فضل الجهاد وثوابه وفي ذم القاعدين عنه وكونه من شأن المنافقين دون المؤمنين الصادقين ، قوى رغبة المؤمنين فيه حتى كانوا إذا أراد الرسول ﷺ ارسال سرية للقاء بعض المشركين وان قلوا ينتدب لها جميع المؤمنين ويتسابقون إلى الخروج فيها، ويدعون الرسول ﷺ وحده أو مع نفر قليل كما ورد، وانما يجب هذا في النفير العام اذا وجد سببه بقدر الحاجة لا في كل استنفار لمقاومة الكفار ، على ان النفر العام قد يتعذر او تكثر فيه الاعذار ، وقيل انه لم يكن واجبا على عمومه إلا في عهده ﷺ او على الانصار بمقتضى مبايعتهم له (راجع ص ٣٠٨ ج ١٠)

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ أي ما كان شأن المؤمنين ولا مما يجب عليهم ويطلب منهم ، أن ينفروا جميعاً في كل سرية تخرج للجهاد، فان هذه السرايا من فروض الكفاية لا من فروض الاعيان ، وإنما يجب ذلك إذا خرج الرسول واستنفرهم للخروج ﴿ فلولا نفرَ من كل فرقة ﴾ لولا حرف تحضيض وحث على ما تدخل عليه ، أي فهلا نفر للقتال من كل فرقة كبيرة ﴿ منهم ﴾ كالقبيلة أو أهل المدينة ﴿ طائفة ﴾ أي جماعة بقدر الحاجة ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ أي ليتأتى لهم أي المؤمنين في جملتهم التفقه في الدين بأن يتكلف الباقون في المدينة الفقاهة في الدين بما يتجدد نزوله على الرسول ﷺ من الآيات، وما يجري عليه ﷺ من بيانها بالقول والعمل، فيعرف الحكم مع حكمته ، ويفصل المجمل بالعمل به، ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ الذين نفروا للقاء العدو ﴿ اذا رجعوا اليهم ﴾ أي يجعلوا جل همهم من الفقاهة بأنفسهم ارشاد هؤلاء وتعليمهم ما علموا ، وانذارهم عاقبة الجهل، وترك العمل بالعلم ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ أي رجاء أن يخافوا الله ويحذروا عاقبة عصيانه . ويكون جميع المؤمنين علماء بدينهم قادرين على نشر دعوته ، وإقامة

حجته ، وتعميم هدايته ، فهذا ما يجب أن يكون غاية العلم والتفقه في الدين والغرض منه ، لا الرياسة والعلو بالمناصب ، والتكبر على الناس وطلب المنافع الشخصيه منهم

والآية تدل على وجوب تعميم العلم والتفقه في الدين والاستعداد لتعليمه في مواطن الاقامة وتفقيه الناس فيه على الوجه الذي يصلح به حالهم ، ويكونون به هداة لغيرهم ، وان المتخصصين لهذا التفقه بهذه النية ، لا يقلون في الدرجة عند الله عن المجاهدين بالمال والنفس لاعلاء كلمة الله والدفاع عن الملة والامة . بل هم أفضل منهم في غير الحال التي يكون فيها الدفاع فرضا عينيا والدلائل على هذا كثيرة ، وما قاله بعض الاصوليين من دلالة الآية على الاحتجاج بخبر الواحد متكلف بعيد عن معنى النظم الكريم ، ومبني على أن لفظ طائفة يطلق على الواحد كما قيل وهو باطل

كنت أطلب العلم في طرابلس وكان حاكمها الاداري (المتصرف) فيها مصطفى باشا بابان من سروات الكرد ، وكان من اهل العلم والفقه في مذهب الشافعية ، وقد قال لي مرة في دارنا بالقلمون : لماذا تستثني الدولة العلماء وطلاب العلوم الدينية من خدمة العسكرية وهي واجبة شرعا وهم أولى الناس بالقيام بهذا الواجب ؟ - يعرض بي - أليس هذا خطأ لا أصل له في الشرع ؟ فقلت له على البداهة بل لهذا أصل في نص القرآن الكريم وتلوت الآية ، فاستكثر الجواب على مبتديء مثلي لم يقرأ التفسير وأثنى ودعا . وقد تعارضت الروايات المأثورة في هذه الآية فاختلفت الاقوال في تفسيرها والحق فيها ما قلنا وعليه الجمهور

أخرج أبو داود في ناسخه ، وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس (رض) قال نسخ هؤلاء الآيات (انفروا خفافا وثقالا - وإلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما) قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) يقول لتنفر طائفة ولتمكث طائفة مع رسول الله ﷺ فالماكثون مع رسول الله ﷺ هم الذين يتفقهون في الدين وينذرون اخوانهم اذا رجعوا اليهم من الغزو لعلهم يحذرون ما نزل من بعدهم من قضاء الله في كتابه وحدوده .

واخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في المدخل عنه في الآية : يعني ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا النبي ﷺ وحده - فلولا

نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا فلا يسيرون الا باذنه. فاذا رجعت السرايا وقد نزل قرآن تعلمه القاعدون من النبي ﷺ قالوا ان الله انزل على نبيكم بعدكم قرآناً وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ﷺ بعدهم ، ويبعث سرايا أخر ، فذلك قوله (ليتفقهوا في الدين) يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ويعلمه السرايا إذا رجعت اليهم (لعلهم يحذرون)

فاما قوله في الرواية الأولى بان هذه الآية نسخت آيات النفير العام فهو قد يوافق إطلاق السلف في النسخ ومنه عندهم تخصيص العام وتقييد المطلق ، ولا يصح هنا النسخ المصطلح عليه في اصول الفقه، لان موضع النفر الخاص غير موضع النفير العام، فلا تنافي بين الاحكام . وبهذا يقول جمهور العلماء

وأخرج ابن جرير عن الحسن البصري انه جعل الضمير في قوله تعالى (ليتفقهوا في الدين) للطائفة التي تنفر للغزو لا للتي تبقى مع النبي ﷺ في المدينة وذلك قوله : ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم . وزعم الطبري ان هذا القول أولى بالصواب ، واوضح ذلك بأن هذه الطائفة النافرة تتفقه بما تعاين من نصر الله اهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به فيفقه بذلك من معاينة حقيقة علم أمر الاسلام وظهوره على الاديان من لم يكن فقهه (ولينذروا قومهم) فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا ممن ظفر بهم المسلمون من اهل الشرك (إذا) هم (رجعوا اليهم) من غزوهم (لعلهم يحذرون) يقول لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذراً ان ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروهم خبرهم اه وهذا تاويل متكلف ينبو عنه النظم الكريم فان اعتبار طائفة السرية بما قد يحصل لها من النصر – وهو غير مضمون ولا مطرد – لا يسمى تفقها في الدين وإن كان يدخل في عموم معنى الفقه ، فان التفقه هو التعلم الذي يكون بالتكلف والتدرج والمتبادر من الدين علمه . ولا يصح هذا المعنى في ذلك العهد إلا في الذين يبقون مع النبي ﷺ فيزدادون كل يوم علما وفقها بنزول القرآن كما تقدم آنفا في تفسير (وأجدر أن لا يعلموا حدود ما انزل الله) وما يأتي قريبا فيما

ينزل من السور فيزداد به الذين آمنوا إيمانا .

واخذ بعضهم من قول الحسن أنه يشمل السفر لاجل طلب العلم لما في الرحلة من اسباب زيادة الاستفادة بالانقطاع للعلم ولقاء اساطينه ، وعلل بعضهم فضيلة السياحة بذلك كما تقدم قريبا

وقد بينا معنى الفقه في عرف اللغة واستعمال القرآن ، وانه اخص من العلم بفروع الاحكام ، وحققناه بشواهد الآيات في تفسير (٧ : ١٧٩ لهم قلوب لا يفقهون بها) — (٤٢٠ ج ٩)

---

(١٢٣) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

اعلم أن هذه الآية قاعدة من قواعد القتال الذي نزلت أهم قواعده وأحكامه في هذه السورة والتي قبلها ، وانما وضعت ههنا على سنة القرآن في تفريق الموضوع الواحد الكثير الاحكام في مواضع متفرقة وبينا حكمته آنفاً عوداً على بدء

﴿ يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ اي الذين يدنون منكم وتتصل بلادهم ببلادكم ، وذلك ان القتال شرع لتأمين الدعوة إلى الاسلام وحرية الدين والدفاع عن أهله ، وقد كانت الدعوة موجهة الى الاقرب فالاقرب من الكفار كما قال تعالى لرسوله (تنذر ام القرى وما حولها) وقال لاهل مكة (واوحي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) وكل من بلغته دعوته. بل أمره أن يخص الاقرب اليه في النسب من اهل بلده ام القرى فقال (وانذر عشيرتك الاقربين)

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في الآية قال : كان الذين يلونه من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم — وعن قتادة قال : الادنى فالادنى — وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر انه سئل عن غزو الديلم فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) قل « الروم » اه يعني ان الروم هم المراد بالكفار في الآية لانهم كانوا عند نزولها في هذه السورة بعد الفراغ من أمر

يهود المدينة وخيبر هم الذين يلونهم في تبوك وسائر بلاد الشام

وترجيح البدء بالاقرب فالاقرب معقول من وجوه كثيرة كالحاجة والامكان والسهولة والنفقة ، ولذلك كانت القاعدة فيه عامة في الدعوة والقتال والنفقات والصدقات ، وكذا ما يدار في المجلس من شراب ونحوه فكان ﷺ يعطي من على يمينه وان لم يكن افضل الجالسين ثم الذي يليه فالذي يليه ، وأمر بان يأكل الانسان مما يليه . وانما تطرد القاعدة في الحالة العادية . وأما ما يعرض من ضرورة في كل ذلك فله حكمه فاحكام الضرورات مستثناة في الواجبات والمحرمات والآداب .

﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ أي وليجدوا فيكم شدة وخشونة في القتال ومتعلقاته كما تقدم في تفسير آية (٧٣ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) (ص ٥٤٩ ج ١٠) والغلظة على المقاتلين في زمن الحرب من مقتضيات الطبيعة والمصلحة وتنكيرها في الآية يدل على ان لأولي الامر أن يحددوها في كل زمن وكل حال عما يتفق مع المصلحة ، وانما أمروا بها على كونها طبيعية لتقييد ما أمروا به في الاحوال العامة من الرفق والعدل والبر في معاملة الكفار حتى صار ذلك من أخلاق الاسلام . وامر القتال مبني على الشدة والغلظة في كل الامم وقد حرم فظائعها الإسلام كما تقدم في تفسير سورة الانفال . وقد بلغت فظائعها عند الافرنج في هذا العصر ما يخشى ان يفضي الى تدمير العمران كله ﴿ واعلموا ان الله مع المتقين ﴾ له في مراعاة أحكامه وسننه بالمعونة والنصر ، وأهمها ما يجب اتقاؤه في الحرب ، من التقصير في أسباب النصر والغلب ، التي بينها في كتابه ، والتي تعرف بالعلم والتجارب ، كاعداد ما يستطاع من قوة ، والصبر والثبات ، والطاعة والنظام ، وترك التنازع والاختلاف ، وكثرة ذكر الله ، والتوكل عليه فيما وراء الاسباب . وقد بينا حقيقة معنى التقوى وانواعها واختلاف المراد منها باختلاف مواضعها في تفسير (٨ : ٢٩ ص ٦٤٨ ج ٩)

(١٢٤) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٥) وَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَـٰفِرُونَ (١٢٦) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٧) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

هذه الآيات الاربع آخر ما نزل في المنافقين، وتأثير نزول القرآن فيهم وفي المؤمنين ، ومن قام الدليل على اليأس من ايمانهم ، واخبار الله بموتهم على كفرهم

﴿ واذا ما أنزلت سورة ﴾ كلمة «ما» بعد « اذا » تفيد التأكيد لمضمون شرطها، يعني واذا تحقق انزال الله تعالى على رسوله سورة من القرآن ﴿ فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ﴾ أي فمن المنافقين من يتساءل مع اخوانه للاختبار، او مع من يلقاه من المسلمين كافة للتشكيك، قائلا أيكم زادته هذه السورة إيمانا ؟ أي يقيناً بحقية القرآن والاسلام ، وصدق الرسول ﷺ فان في كل سورة من القرآن آيات على صدقه ﷺ بما فيها من ضروب الاعجاز العامة الدالة على انها من عند الله تعالى وكون محمد ﷺ لا يستطيع ان يأتي بمثلها من تلقاء نفسه ، فالسؤال عن الايمان باصل الاسلام وصدق الرسول (ص) في تبليغه عن الله عز وجل . وهو التصديق الجازم المقترن باذعان النفس وخضوع الوجدان الذي يستلزم العمل ، لا مجرد اعتقاد صدق الخبر ، الذي يقابله اعتقاد كذبه، فان أشد الناس كفراً اولئك المصدقون الجاحدون الذين قال الله لرسوله فيهم (فانهم لا يكذبونك ولـكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ومثله قوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ولا شك ان الايمان بمعناه الذي قلناه يزيد بنزول القرآن في عهد الرسول وناهيك بمن يحضر نزوله عليه ويسمعه منه ، وكذا يزيد بتلاوته وبسماعه من غيره أيضاً ثباتا في قلب المؤمن وقوة اذعان ، وصدق وجدان ، ورغبة في العمل والقرب من الله . قال

الله تعالى في جواب هذا السؤال وهو العليم الخبير ﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا ﴾ فاثبت تعالى للمؤمن زيادة الايمان بزيادة نزول القرآن وهو يشمل الزيادة في حقيقته وصفته من اليقين والاذعان واطمئنان القلب، وفي متعلقه وهو ما في السورة من مسائل العلم ، وفي أثره من العمل والتقرب إلى الرب . وانما يتساءل المنافقون عن الاول وهو الذي يفقدونه، وإنما غيره تابع له. ﴿ وهم يستبشرون ﴾ أي والحال انهم يسرون بنزولها وتستدعي زيادة الايمان في قلوبهم البشرى والارتياح بما يرجون من خير هذه الزيادة بتزكية أنفسهم ، وأثر ذلك في أعمالهم في الدنيا والآخرة

﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض ﴾ اي شك وارتياب يدعو إلى النفاق باسرار الكفر واظهار الاسلام ﴿ فزادتهم رجساً إلى رجسهم ﴾ اي كفراً ونفاقا مضموما إلى كفرهم ونفاقهم السابق الذي هو اقذر الرجس النفسي وشر انواعه

﴿ وماتوا وهم كافرون ﴾ اي واستحوذ ذلك عليهم ورسخ فيهم، فكان مقتضى سنة الله تعالى في تأثير الاعمال في صفات النفس ان من مات منهم مات على كفره ، وسيموت من بقي منهم وهم متلبسون بالكفر . وهاك الدليل على ذلك :

﴿ أو لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ﴾ الاستفهام لتقرير مضمون الحكم عليهم والحجة عليه وهو داخل على فعل محذوف للعلم به من المقام، والمعنى أيجهلون هذا ويغفلون عن حالهم فيما يعرض لهم عاما بعد عام من تكرار الفتون والاختبار الذي يظهر به استعداد الانفس للايمان او الكفر ، والتمييز بين الحق والباطل ، كالآيات الدالة على صدق الرسول ﷺ في كل ما اخبر به من نصر الله له ولمن تبعه ، وخذلان اعدائه من الكفار والمنافقين ووقوع ما انذرهم ، ومن إنباء الله رسوله بما في قلوبهم، وفضيحتهم بما يسرون من اعمالهم، كما فصل في هذه السورة وذكر بعضه في غيرها — وقرأ حمزة ويعقوب (او لا ترون) على ان الخطاب للمؤمنين الذين قد يروعهم الخبر المؤكد وقوعه بموتهم على كفرهم ، كأنه يقول أتعجبون من الحكم عليهم بهذه العاقبة السوءى ولا ترون الدلائل الدالة عليها من فتنتهم وابتلائهم

المرة بعد المرة سنة بعد سنة ، بما من شأنه ان يذهب بشكهم ويشفي مرض قلوبهم ، من آيات الله فيهم وفي غيرهم ﴿ ثم لايتوبون ولا هم يذكرون ﴾ أي ثم تمر الاعوام على ذلك ولا يتوبون من نفاقهم ، ولا يتعظون بما حلّ بهم مما أنذرهم الله تعالى به ؟ وهل بعد هذا من برهان على انطفاء نور الفطرة والاستعداد للايمان أقوى من هذا ؟ ان كان وراءه برهان أقوى منه فهو أنهم يفرون من العلاج الذي من شأنه أن يشفيهم من مرض قلوبهم وهو ما أكد به ماقبله بقوله :

﴿ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض ﴾ هذا بيان لحال المنافقين الذين كانوا يكونون في مجلس الرسول (ص) عند نزول سورة وما يكون من فعلهم وقولهم عند تلاوته لها ، وما قبلها في بيان حالهم اذا بلغهم نزول سورة من حيث البحث عن تأثيرها ، وقد يقال ان الاولى تشمل من سمع منه ومن بلغ عنه ، والعبرة بموضوعها ، لا بطريقة العلم بها ، وان هذه أدل على رسوخهم في الكفر وعدم الطمع في رجوعهم عنه ، باثباتها انهم يكرهون سماع القرآن من الرسول ﷺ وهو اشد تأثيراً من سماعه من غيره في الهداية ، ولذلك كان المشركون يمنعونه من تلاوته على الناس لئلا يهتدوا بسماعه منه ، فان لم يتمكنوا من اسكاته اعرضوا عن سماعه ولغوا فيه . ومنعوا صاحبه الصديق أيضا من الصلاة في المسجد الحرام ثم من مسجده الخاص لما رأوا النساء والصبيان يجتمعون لسماع القرآن منه ويتأثرون بخشوعه فيه : يقول : واذا انزلت سورة وهم في المجلس تسارقوا النظر وتغامزوا بالعيون ، على حين تخشع ابصار المؤمنين ، وتنحني رءوسهم ، وتجب قلوبهم ، وترامقوا بالعيون يتشاورون في الانسلال من المجلس خفية لئلا يفتضحوا بما يظهر عليهم من الانكار والسخرية بالوحي ، قائلا بعضهم لبعض بالاشارة او العبارة ﴿ هل يراكم من احد ﴾ أي من الرسول والمؤمنين اذا نحن انصرفنا كارهين لسماعها ﴿ ثم انصرفوا ﴾ يتسللون لواذاً الى مجامعهم الخاصة بهم ، والتعبير بثم لبيان تراخي فعلهم عن وقت قولهم ، الى سنوح فرصة الغفلة عنهم ولو افرادا ، فكلما لمح احد منهم غفلة من المؤمنين عنه انصرف ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾

هذه الجملة تحتمل الدعاء والخبر ومضمونهما النهائي في كلام الله واحد كما تقدم نظيره قريبا . والمعنى صرف الله قلوبهم عن صدق الايمان، والاهتداء بآيات الله في القرآن، المرشدة الى آياته في الاكوان ﴿ بانهم قوم لا يفقهون ﴾ اي بسبب انهم قوم فقدوا صفة الفقاهة الفطرية وفهم الحقائق وما يترتب عليها من الاعمال، لعدم استعمال عقولهم فيها، فهم لا يفقهون ما يسمعون من هذه الآيات لعدم تدبرها، والاعراض عن النظر والتأمل في معانيها، وموافقتها للعقل، وهدايتها الى الحق والعدل، ذلك بانهم اتخذوا انفسهم اعداء وخصوما للرسول فوطنوا انفسهم على الاعراض عن كل ماجاء به من غير بحث ولا تأمل فيه أمعقول ام غير معقول؟ احق ام باطل؟ اخير ام شر؟ اهدى ام ضلال، انافع ام ضار؟ فأنى يرجى لهم وهذه حالهم ان يهتدوا بتعدد نزول الآيات والسور؟ انما مثلهم كمثل اعداء الاسلام من اهل الملل التي جروا على نظام تعليمي وتربية وجدانية عملية في عصبيتهم الدينية والقومية وارتباط منافعهم الاجتماعية والسياسية بها : لقنهم رؤساؤهم انه يوجد دين اسمه الاسلام بني أساسه على عداوتكم لذاتكم، فيجب عليكم أن لا تنظروا فيه إلا أن يكون للبحث عن مطعن ولو متكلف تلمزونه به، ولا تفكروا في شيء من حال أهله في دينهم ودنياهم إلا للعداوة والتحقير لهم، وتدبير المكايد للعدوان عليهم، واذا ظهر لكم شيء حسن من دينهم فوجهوا كل قواكم العقلية وبلاغتكم الكلامية الى تشويهه وذمه والصد عنه، وهذا ما يفعله رجال الكنائس النصرانية على اختلاف مذاهبهم كما بيناه في غير هذا الموضع

ومن المباحث الكلامية في الآيات الخلاف في زيادة الايمان ونقصه، على مذهبين في اثبات ذلك ونفيه، وجمهور السلف من الصحابة والتابعين وحفاظ السنة على الاثبات . وهذه المسألة من اغرب مسائل عصبيات المذاهب عند النظار الجدليين ومقلديهم، وما كان ينبغي لمسلم أن يجعل هذا موضع خلاف لبحث بعض من ينتسب اليهم في مفهوم لفظ الايمان الذي يتحقق باعتقاده الدخول في الملة هل يقبل الزيادة والنقصان في ذاته أم المراد من هذه الآية وما في معناها متعلق الايمان من العقائد والاحكام التي كانت تشتمل عليها السورة؟ واستبعاد ان يكون التصديق الذي يكون به الكافر مؤمنا قابلا للزيادة والنقصان، وهي

نظرية باطلة، وقد بينا معنى الآية بما يدل على ان قصر زيادة الايمان فيها على التصديق بزيادة العلم بما تضمنته باطل لان هذا بديهي لا يمكن ان يكون هو الذى سال عنه المنافقون ، ونصوص القرآن الكثيرة صريحة في زيادة الايمان ونقصه، وكذلك الاحاديث الصحيحة التي صرح فيها الرسول ﷺ بأن اقل الايمان وهو المنجي من الخلود في النار كالذرة او الخردلة من الايمان الكامل الذي لا يمس اهله من عذاب النار شيء كالذين وصفهم الله بقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الخ وقوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) الخ

والتحقيق ان اليقين في الايمان وغيره له درجات متفاوتة في القوة والضعف، واليقين الذي يصح به الايمان هو اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم في غير الحسيات والضروريات كما بيناه في مواضع اولها تفسير (٢ : ٣ وبالآخرة هم يوقنون) وهو درجات ، منها التقليد الجازم ومنها المعلوم بالنظر والاستدلال ، وقد يطرأ عليهما الشك والزوال، ولولا ذلك ما تصور ارتداد مؤمن عن دينه ومنها ما يصير وجدانا ضروريا بشرح الصدر والنور الالهي بكثرة الذكر والفكر والعبادة وأما اليقين المنطقي وهو العلم القطعي بالبرهان بأن هذا الشيء كذا مع العلم القطعي باستحالة ان يكون غير كذا ، فهو هو الذي قالوا انه لا يقبل الزيادة والنقصان، ولكنه نادر الوقوع في غير الضروريات ولا تتوقف عليه صحة الايمان، ومع هذا يمكن ان يقال انه قابل للزيادة في وصفه وطمأنينة القلب به ، وفي ترتب آثاره عليه . ومثال الاول أن ترى شبحا في سدفة الفجر فتعلم انه انسان في انتصاب قامته ثم تزداد علما به كلما انتشر الضياء حتى يكون العلم به تفصيليا . والبرهان المنطقي المفيد لهذا اليقين عندهم لا تكون مقدماته النظرية في درجة الضروريات قوة وثباتا . وقد قسم بعضهم اليقين الى ثلاث درجات علم اليقين وهو ما يعلم بالدليل ، وعين اليقين وهو ما يكون بالمشاهدة والكشف، وحق اليقين وهو ما يكون بالذوق والوجدان . ومثل لها بعضهم بالفناء عند الصوفية بالموت ، فكل أحد عنده علم اليقين بأنه يموت فاذا عاين ملائكة الموت عند الحشرجة وقبل قبض الروح كان عين اليقين ، فاذا مات بالفعل وصل الى درجة حق اليقين، لكن هذه الدرجة وما قبلها لا يتعلق بهما التكليف.

ايطالية شر دول الاستعمار

كانت دول الاستعمار شراً على الشعوب التي يستعمرون بلادها وحدهم فصارت شراً على جميع البشر ، فان التنازع والتحاسد فيه قد أغرى بينها العداوة والبغضاء أو زاد نارهما ضراما، فكان أفظع أثر له في العالم هذه الحرب الاخيرة التي هي مصداق لقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) فقد أصاب سعيرها جميع البشر ، ولا تزل عواقبها السوءى موضع الشكوى في العالم كله من ضيق المعايش والعسر المالي ، وهو لم يزد هذه الدول إلا طمعاً وجشعاً في سلب الاموال،وضراوة بسفك الدماء،والاستعداد للحرب المدمرة للعمران

وكان المعروف ان شر هذه الدول في الاستعمار فرنسة فان خطتها في مستعمراتها إفساد عقائد أهلها وأخلاقهم وآدابهم وحرمانهم من الثروة ومن جميع العلوم الدينية والدنيوية ، ليرضوا بأن يكونوا كالبهائم والدواب في هذه المزارع الفرنسية يحرثون ويزرعون وينتقلون ويبنون لتوفير أموال سيدتهم وتمتيع شعبها الفاسق بالشهوات واللذات ثم اذا احتاجت الى الحرب والقتال لتذليل أبناء ملتهم أو للدفاع عن نفسها تسوقهم الى ذلك كما تسوق الخيل والبغال

ما كان يخطر على قلب بشر أن يوجد في البشر شر على البشر من هذه الدولة ولكن كان هذا قبل استيلاء شقيقتها اللاتينية على طرابلس وبرقة وقبل عهد وزيرها الفاشيستي السنيور موسوليني الذي شبهه الملك ابن السعود كما قيل لنا برجل من الديناميت على اتون من النار، قد قارب الانفجار، فلا يدري أحد الا الله ما يكون لانفجاره من فظائع الآثار

ظهرت هذه الدولة في هذا العهد بأفظع ما عرف في التاريخ الكاثوليكي وحروبه الصليبية من مظاهر الحماسة الدينية، وأفظع ما يؤثر فيه من أخبار الاثرة اللاتينية، وشر ما سطر من عار المظالم النيرونية ، فخطتها الآن محو الاسلام واستئصال العرب من طرابلس وبرقة بالتقتيل والتجويع والاجلاء للرجال، والتنصير للاطفال، والمحلل لذلك عندها أن نسل شعبها من سوء حظ البشر كثير لا تسعه بلاده فيجب أن تنتزع من بلاد الناس ما تقدر على انتزاعه وتستأصلهم منها لاسكانه فيها ، وانه لا بد لها من اعادة المستعمرات الرومانية كلها إلى رومية . . (وسيرى القاريء بعض فظائعها في هذا الجزء)

إلحاد في القرآن

ودين جديد بين الباطنية والاسلام

(وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

طبع القرآن المجيد في خاتمة هذا العام، طبعة جديدة مشوهة حواشيها بتحريف سخيف لآياته في العقائد والاحكام، ووُصف كذبا وزوراً بانه تفسير للقرآن بالقرآن، وبهذا الوصف بيعت نسخ كثيرة منه قبل طبعه باسم الاشتراك، لمن صدقوا انه ليس فيه إلا تفسير كل آية بالدلالة على كل ما في معناها أو موضوعها من الآيات

ومن هؤلاء بعض أهل العلم الديني وفي مقدمتهم صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية السباق إلى اقتناء المطبوعات الجديدة المفيدة للمطالعة أو المراجعة

وعرض الاشتراك فيه على آخرين بوصف آخر فقبلوه به، وهو انه تفسير عصري سياسي يقيم الحجج من القرآن على بطلان الحكومة الشخصية الملكية وذم استبداد الملوك (!) واثبات الحكومة الوطنية النيابية (!) ويزيل من طريقها عقبات التشريع المدني الذي وضعه الفقهاء وغيرهم من علماء الدين حتى ما كان منها منصوصا في القرآن كالحدود الشرعية وتعدد الزوجات والتسري، وكل ما مستنده السنة النبوية. بل يبيح لهم تعمد مخالفة رسول الله ﷺ بآرائهم وما يدعون من المصلحة بأهوائهم

وعرض على بعض الماديين بانه تفسير مادي يتأول لهم ما ورد في عالم الغيب من الجن والشياطين والملائكة ومعجزات الانبياء والمرسلين، فيكفيهم من الاسلام أن يعترفوا بالفاظ القرآن، ويتصرفوا في معانيها بما يشاءون غير

مقيدين باللغة العربية في مفرداتها ولا تركيبها ونظم أسلوبها ، ولا بما ورد عن النبي ﷺ وأصحابه (رض) فيها ،ولا من دونهم من أئمة الحديث والفقه بالاولى،

ويلزم من هذا بالاولى ألا يلتزموا كل ماقبله هذا الملحد من أحكام القرآن غير محرف ، اذ ماجاز له من الرد والتأويل بالهوى يجوز لغيره على قاعدته في اختلاف معاني القرآن باختلاف الزمان والمكان ، وهو ماصرح به فيمانشره في الاهرام

ثم تم الطبع وظهر الكتاب ، فوقع في يد فضيلة شيخ الازهر فبادر إلى مخاطبة الحكومة بمصادرته لتضمنه مخالفة ماأجمع عليه المسلمون من دين الله تعالى . فصادرت الحكومة ماكان في مطبعة الحاج مصطفى البابي الحلبي وأولاده منه وما وجد في ادارة البريد أو سكة الحديد مهيئا لنقله

ثم نشرت جريدة الاهرام حديثا بعد حديث لفضيلة شيخ الازهر في شأنه ليتهما لم ينشرا ، فانهما على كونهما لم يبينا للناس أهم مايجب بيانه من تحريف تلك الحواشي لكتاب الله ، واشتمالها على ماهو ارتداد صريح عن دين الله، لايحتملان التأويل لغة ولا شرعا،قد تضمنا اتهام بعض علماء الازهر المدرسين في قسم التخصص منه- وهو أعلى أقسامه- بنشر هذا الكتاب ، ويلزم منه موافقة صاحبه على ما فيه ،والتصريح بان المجلس الاعلى للأزهر والمعاهد الدينية قد قرر نقل اثنين من هؤلاء المتهمين من قسم التخصص إلى معهد أسيوط من باب الاحتياط قبل التحقيق في أمرهما .

فبهذا وذاك فهم عامة الناس وبعض خاصتهم ان هذا التفسير الجديد للقرآن موضوع خلاف بين علماء الازهر أو بين شيخ الازهر وبعض مدرسي القسم الاعلى فيه ،لاممايتفق علماء الملة على كونه مخالفا لاجماع المسلمين،وقد نشرت الجرائد من عهد قريب لبعض العلماء انكاراً على بعض مانشر في مجلة الازهر والمعاهد الدينية (نور الاسلام) مع الوعد بتتابع النشر، (ونحن قدجاءتنارسائل متعددة في الرد على هذه المجلة في مسائل تتعلق بالعقائد ومقام الرسول ﷺ وحديثه) فيكون للناس عذر إذا ظنوا ان الخلاف في التفسير الجديد كالخلاف فيما تنشره مجلة المعاهد الدينية مما يعهد مثله دائما بين العلماء

ولما نشر في جريدة الاهرام وغيرها اسماء هذين المدرسين (وهما الشيخ محمد العدوي والشيخ عبد الجليل عيسى) قويت الشبهة في اتهام الاستاذ الاكبر إياهما، لعلم المشتغلين بالقضية الوطنية — أوجمهور الناس — انهما من المائلين إلى الوفد المصري والمتصلين بأكبر زعمائه بصداقة سابقة ، وأنهما من جماعة العلماء الذين أنكروا على فضيلة شيخ الازهر ومن معه من هيئة كبار العلماء الرسميين ذلك المنشور المشهور الذي نشروه لتأييد الوزارة الاسماعيلية الحاضرة ، ووضعوا بيانا آخر في موضوع الشقاق في القضية الوطنية ، ولم يتمكن الشيخ من منع نشرهم له إلا بجهد وعناء عظيمين

فبهذا وجد واضع الحواشي البدعية الالحادية طريقا ممهداً للرد على شيخ الازهر بانه انما سعى لدى الحكومة التي ينصرها بان تصادر تفسيره لتأييد سياستها لا للدفاع عن الدين ، وطعن على فضيلته بانه لم يعهد منه النضال عن الاسلام والمسلمين ،ويخشى أن يصدقه في هذه الدعوى أكثر المصريين، مستدلين كما استدل بسكوت الشيخ عن الانكار على أعمال الفرنسيس في المغرب الاقصى، وايطالية في طرابلس وبرقة، والحق ان هذا لايقاس على ذاك وان كان واجبا وضروريا، فان سكوت الشيخ وهو رئيس العلماء الدينيين عن هذا الكتاب يعد إقراراً له ، وانكاره إياه يقتضي منع نشر الالحاد والفساد باسم القرآن ، وأما الانكار على عدوان الدولتين على الاسلام والمسلمين فقصاراه أنه يقوي التكافل والتعاون بين المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم ، ولكنه لايمنع ذلك العدوان إلا اذا ترتب عليه عمل كبير ، وانا لنعلم انه وجد من الناصحين من حذر فضيلة الشيخ الاستهداف لهذه التهمة وسوء تأثيرها في سمعته

وشبهة الشيخ على هذين الاستاذين كما علمناه من حديثنا مع فضيلته ان الرجل كان مصاحبا لهما ، ونحن نعلم انه كان ينزل ضيفاً على أحدهما وعلى المرحوم الشيخ محمد عبد العزيز الخولي خير خطباء مصر وأنفع وعاظها ، ويلتقي عندهما أو معهما سائر إخوانهما من المدرسين الممتازين في الازهر باستقلال الفكر ، والانصاف والادب في البحث ، والدفاع عن الاسلام بدلائل العلم ، ونعلم أيضاً انهم كانوا يناقشونه مناقشة علمية

في فهمه الشاذ الذي نذكر قريبا كيف تدرج فيه ، ولم يكونوا يثنون عليه بمثل مانقل الينا من ثناء الاستاذ الاكبر شيخ الازهر عليه في محفل من المهنئين له بالرياسة ، ولا كانوا يعرفون منه كل هذا الالحاد الذي قاءه في هذه الحواشي الجديدة . ويافضيحة الازهر ان كان هؤلاء يوافقونه فيها، وإني لأشهد انهما انكرا أمامي كل ما أنكرته عليها

لهذا كله افترص هذا المبتدع ما نشرته الاهرام من حديثي الشيخ لاعلان تفسيره هذا واتهامه فيه وتهديده له ، وصرح بما نشره في الاهرام وغيرها بانه مبطل للحكومة الحاضرة بدلائل القرآن، وانه سيبين هذا للناس . ومن المعروف عنه انه من غلاة أنصار الوفد ، وقد سبق تأييده له من طريق الدين ، بما فيه تحريف ظاهر للقرآن المبين،وهو يرجو أن يكافئه الوفد اذا عادت له الكرة المرجوة إلى الحكم ، ولهذا تجرأ على تهديد شيخ الازهر في رده عليه ، وسنبين خطأ ظنه في موافقة الوفد له على إلحاده ،وخيبة أمله في ازدلافه اليه بالباطل

صفة الالحاد الجديد في تفسير القرآن

لهذا الضعف الذي وجدته في مقاومة شيخ الازهر لهذا الالحاد،ولما رأيته من الضعف فيما نشر في الجرائد من انكار هذا الافساد ، وجب علي أن أبادر إلى بيان ماينبغي أن يعلمه المسلمون في هذه الفتنة الجديدة ، بما لاتحوم حوله الشبهة ، ولا تدنو من قائله الظنة ، وأنشره في الاهرام قبل نشره في المنار، وقبل أن يكثر أنصارها من الجاهلين وأصحاب الاهواء الالحادية والسياسية. فأقول -

(أولا) ان هذه الحواشي (الهوامش) القليلة المبهمة لا يصح أن تسمى تفسيراً بوجه من الوجوه و خاصة ما سماه « تفسير القرآن بالقرآن » فانه على اعتماده فيه على فهمه الشاذ المخالف للغة والشرع - وهما مادة كل تفسير - يحيل فيه عند أكثر الآيات التي يكتب شيئاً بازائها على آيات متعددة وعلى سور كثيرة لايمكن أن تكون بمعنى الآيات أو الآية التي جعلها مفسرة لها ، وقصاراه أن يكون في بعضها مسألة منها ،وأكثر الآيات لايفسرها بشيء

وقد فتحت المصحف الآن لاجل كتابة شاهد على ماقلت فجاءت أمامي

سورة الجن فاذا هو قد كتب في حاشيتها مانصه :

(٦-١٠) اقرأ الصافات وتدبرها آية آية ثم الاعراف إلى ٣٨ و ٣٩ ومابعدها إلى آخرها ثم سبأ وغافر وابراهيم والانعام ويس والشعراء - ثم الاسراء والكهف والحجر والرحمن والنمل وفصلت والذاريات وأواخر الاحزاب - ثم هود والسجدة والناس - ثم الفاتحة ثم ١٤٦ و ١٦٥ - ١٦٧ في البقرة . بعد هذا تفهم انه يطلق الجن والجنة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ، ويعبر عن الانس بسائر الناس المقلدين ، والتابعين المستضعفين اه بحروفه

هذه الحاشية تقنع كل من له مسكة من العقل ، أن كاتبها ليس له مسكة من العقل ، ولا شمة من العلم ، وانه لا يفهم مايكتبه هو فكيف يفهم كلام الله تعالى الذي يتوقف فهمه على اتقان اللغة العربية ، وسعة العلم بالعلوم الشرعية ، وهو لم يؤت منها شيئاً له قيمة. أمر من يبتليه الله تعالى برؤية (هوامشه) أن يقرأ عشرين سورة من السور الطوال والمئين وطوال المفصل ووسطه وقصاره بترتيب معين ، عطف بعضه بثم وبعضه بالواو — ثم بقراءة ثلاث آيات من البقرة بعد قراءة الفاتحة وقال : «بعد هذا تفهم انه (أي الله عز وجل) يطلق الجن والجنة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ، ويعبر عن الانس بسائر الناس المقلدين ، والتابعين المستضعفين »

ان في هذه العبارة من ضروب الجهل مايربأ الانسان بكرامة نفسه ويضن بقيمة وقته أن يضيع شيئاً منه في شرحها وبيانها، اذ لايوجد عامي ولا خاصي يتوهم أن فيها شبهة على دعواه فنحاول ردها رحمة به، وحسب الأمي أن يفتش في سورة الفاتحة التي يحفظها كل مسلم عن صحة دعواه التي لا نعرف في اللغة اسما ولا وصفا يليق بها. وانما ذكرني ذكره الفاتحة فيها ما استنبطه غلام احمد القادياني مسيح الهند الدجال من الدليل منها على مسيحيته ، وما استنبطه منها اتباعه من بقاء النبوة والوحي بعد خاتم النبيين ، بل دعوى هذا المفسر الجديد. أبعد عن اللغة العربية من دعوى اولئك الاعجمين لانه أجهل بها منهم

وأقول (ثانيا) إن ماذهب اليه من تحريف آيات الله في الجن كما رأيت آنفا

وفي الملائكة وفيما أيد الله به رسله من الآيات الكونية كعصا موسى واحياء عيسى للموتى وابرائه للاكمه والابرص باذن الله تعالى وغير ذلك وزعم ان هذا من فهم القرآن الذي تقتضيه علوم هذا الزمان . قد سبقه اليه ملاحدة الباطنية منذ أكثر من الف سنة ، فليس هو مما أفاضته عليه فلسفة هذا العصر وعلومه المادية في شيء، وعهدنا به أنه لايعرف من هذه الفلسفة ولا من هذه العلوم شيئاً، الا ماقد يراه في بعض الصحف وقلما يفهمه . وقد كان اولئك الباطنية ممن حذقوا الفلسفة الطبيعية والعقلية والعلوم الرياضية ، واتقنوا علوم اللغة العربية ، كما يرى القاريء في كتاب رسائل اخوان الصفا من كتبهم ، ولذلك انخدع كثير من المتعلمين بدعايتهم التي أرادوا بها تحويل الناس عن دين لاسلام بالانتقال البطيء من درجة في التأويل لنصوص القرآن والحديث الى درجة، ولم يفاجؤهم بمقصدهم دفعة واحدة

ما اظن ان هذا الباطني الجديد قرأ شيئا من كتبهم فسرت اليه دعوى الالحاد منها . فالذي أعلمه انه لايعنى بمطالعة الكتب القديمة ولا الحديثة، ولكن لايبعد أن يكون قد لقي بعض دعاة البابية البهائية فهم ينشرون دينهم في مصر وفلسطين وسورية، وكانوا ممنوعين من ذلك في عهد الدولة العثمانية

ومما ينقل عنهم ان المراد بعصا موسى ما آتاه الله من القوة الروحية، ومن إحياء عيسى للموتى إزالة جهل موتى القلوب بالعلم والتهذيب ، ولكنهم مع هذا يدعون ظهور لاهوت الرب في ناسوت المسيح تمهيداً لمثل هذا في معبودهم البهاء، ولهذا قلت في العنوان إن الدين الجديد الذي يبث دعايته مفسر دمنهور الجديد هو وسط بين الباطنية والاسلام

وأقول (ثالثاً) ان مايوجد في بعض هذه الحواشي وفي مقدمتها من المسائل الصحيحة في الجملة كسنن الله تعالى في خلقه ، وتعظيم القرآن لشأن العلم والعقل والبرهان ، وهدمه لتقليد الآباء والاجداد في الايمان وأصول الدين ، وخطابه للامة بما يجعلها به متكافلة في تربيتها وسياستها وآدابها — وجعله حكومة الامة شورى بين اولي الامر وأهل الحل والعقد منها — وتكريمه للانسان واعلائه لشأنه بالتوحيد والعلم وعزة النفس - وجعله الجزاء على الاعمال بقدر تأثيره في تزكية النفس - وموافقته لمصالح البشر في كل زمان ومكان لانه دين الفطرة

المكمل لها الجامع بين مصالحها الجسدية والروحية - ان مايوجد في مقدمته وبعض حواشيه من هذه القضايا جله أو كله مأخوذ من تفسير المنار ومن مجلة المنار أيضا - يعلم ذلك كل من يقرأهما ، ولكنه قد وضع بعض هذه القضايا في غير مواضعها ، وحرف كثيراً من الآيات عن مواضعها لادخالها فيها ، وسأبين هذا بالشواهد في مقال آخر . ومنه يعلم انه ربما لا يوجد في تفسيره كلمة حق قد انفرد هو بها

ومن شاء أن يطلع على مآخذها صحيحة غير محرفة ولا مخالفة لقواعد الدين ولا لفصيح اللغة ، فليراجعها في مظانها من فهارس أجزاء التفسير العشرة ، كلفظ سنن الله ، وسنن الاجتماع ، والاسلام ، والقرآن ، والجزاء ، ولا سيما الفصول التي نلخص بها مسائل كل سورة في أبواب أصول الدين وفروعه وقواعد الاجتماع وسنن العمران

***

تنقل هذا الملحد في الحاده بالتدريج

وأقول (رابعا) ان هذا الرجل قد عرف بالولوع بالشذوذ وحب الشهرة في مخالفة جماعة المسلمين في أمور له في بعضها وجه ما من المسائل العلمية ، ثم فيما ليس له وجه حتى في مخالفة العقائد القطعية ، وتحريف نصوص القرآن الاجماعية ، فأول ماعرف به من ذلك أنه لايكاد يصلي إلا بنعليه ، والصلاة بالنعلين جائزة إذا كانتا طاهرتين او خاليتين من الخبث ولكنها ليست واجبة ، وهي في الغالب منافية للنظافة ان لم نقل للطهارة ، وانما كانوا يصلون بنعالهم في العصر الاول لانهم كانوا يصلون على التراب ، لا على الحصير أو البساط . ثم حكي لنا عنه أنه لا يتوضأ في السفر ولو من بلده الى غيرها من بلاد وطنه ، بل يصلي بالتيمم دائما مع وجود الماء ، وانما التيمم رخصة بشرطه لا عزيمة

ثم انه لما زار المدينة المنورة وعاد منها إلى مكة سنة ١٣٤٤ لاجل أداء فريضة الحج لم يحرم من ميقاتها الذي كان يحرم منه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهو ذو الحليفة ، فشذ دون جميع من كان معه من المسلمين . ولا حاجة إلى بسط

شبهته والجواب عنها هنا وقد شددت عليه النكير فيها بالمشافهة في وقتها

ثم اننا سمعناه يرفع عقيرته في المؤتمر الاسلامي العام في مكة المكرمة في مسألة عملية ظننت انها شذوذ جزئي من جهله بالفقه ، ثم تبين الآن انها فرع لأصل من أصول دينه الجديد، ذلك أنه عند مابحث أعضاء المؤتمر في اقتراح انشاء سكة حديدية بين جدة ومكة المكرمة تؤخذ نفقاتها من ضريبة يفرضها ملك الحجاز على الحجاج وامتنع الملك ابن السعود من ذلك بانه لايحل له فرض هذه الضريبة — ادعى هو انه يحل له ذلك لانه اصلاح، و«الاسلام لايمكن ان يمنع الاصلاح» فأخذ يرفع عقيرته ويصيح في المجلس بهذه القاعدة التي لا تدل على جواز اكراه الملوك للناس على دفع أموالهم لامثال هذا الاصلاح ، وقد بسطت حكم الشرع في هذه المسألة في المؤتمر بما لم ينكره أحد من أعضائه كما أنكروا عليه قاعدته المخترعة، وكان الاستاذ الظواهري من حاضري تلك الجلسة

ثم جهر في نادي جمعية الشبان المسلمين بتحريف كلام الله تعالى في مسألة عرش ملكة سبأ فقام الناس في وجهه وأهانوه

ثم ألف رسالة في الزواج أنكر فيها التسري وملك اليمين بما هو أبعد عن اللغة والشرع والتاريخ من كل تلك الجهالات وهو مما خالف فيه الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة ، وقد احتدمت في انكاري عليه حتى لم يعد يزورني منفرداً

ثم كتب مقالة ونشرها في جريدة من جرائد الوفد الشهيرة أراد التقرب بها اليه والزلفى عنده بأقبح من كل ماتقدم من الجرأة على العبث بكلام الله تعالى جعل عنوانها قول الله عز وجل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) أراد ان يثبت فيها ان الآية تصدق على جماعة الوفد الذين ذهبوا إلى لندن للمفاوضة في عقد المعاهدة بين مصر وانكلترة ، وسخر فيها من علماء المسلمين في تفسيرهم للتقوى ، كما سخر من أئمة الحديث والتفسير في رواية سحر اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فعبر عنهم بوصف المسلمين بما يشعر انه ليس منهم ، ولا يليق بمن يطالب بحرية الرأي والفهم أن يسخر من هؤلاء الأئمة فيما يخالفهم فيه .

وبلغني انه كان يكلم بعض انصار الوفد الذي رآه يستحسن مثل هذا

الالحاد والتحريف لكتاب الله في مكافأة الوفد له على هذه الخدمة ، فاجابه بانه يجب عليه أن يصبر لان حالة الامة الاسلامية الآن لاتساعد على ذلك

فهذا الاستدراج الذي ذكرناه هو الذي جرأه على ان يطبع كتاب الله مسخما حواشيه بما ذكر، وبما هو ابعد في الضلال وأوغل في الالحاد من كل ما ذكر، وعلى ان يهدد فضيلة شيخ الازهر بأنه انما أمر بمصادرته لما فيه من التصريحات السياسية المخالفة لحكومة مصر الحاضرة

نعم ان فيه شيئا كثيرا مما ذكر، بعضه صحيح وبعضه باطل، والقصد منه سياسي ظاهر ، وهو أن يجعله الوفد عند ما تعود السلطة اليه إمام المسلمين في دينه الجديد ، الذي يتوهم انه هو الموافق لحال هذا العصر والواقع انه إلحاد قديم

وأنا اعتقد انه هو القاضي على جميع آماله هذه ، فان اكبر زعماء الوفد من المسلمين متدينون فعلا لا سياسة ، يصلون ويصومون ويدينون الله بما هو مقرر في كتب أهل السنة والجماعة من العقائد والعبادات ، وفي مقدمتهم الرئيس الجليل مصطفى باشا النحاس ، ومحمد نجيب باشا الغرابلي ، وفتح الله باشا بركات، وحمد باشا الباسل، وكل منهم أحسن منه فهما للقرآن لأن لهم من علم اللغة وغيرها ماليس له . فكيف يرضى أحد منهم أن يجعله اماما له ، أو يجهل أن تكريمهم إياه يسقط مكانتهم من نفوس الامة؟

وأقول (خامساً) ان أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الاسلامية مجمعون على أن من جحد شيئا مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة يحكم بكفره وارتداده عن الملة الاسلامية ولا يقبل منه تأويل إلا إذا تاب وأناب

وفي هذه الحواشي عدة مسائل جحد كاتبها فيها ما ذكر ، ومهد لها السبيل وقدم لها الاحتجاج بما ذكره في مواضع كثيرة من حرية الاعتقاد ، ولكن حريته في اعتقاده لا يمنع علماء المسلمين أن يبينوا لهم ان عقيدته غير عقيدتهم ، وأن يجبروا الحكومة على منعه أن يشوه كتاب الله وينشر تحريفه بينهم ، ولا يمكن لأية حكومة مصرية أن تخالفهم في هذا ، ولا يرضى أحد من زعماء الوفد المسلمين بهذا .
وأما القبط منهم فلا يعرضون لهذه المسألة بوجه من الوجوه

جحد هذا الملحد للمجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة

وأقول (سادسا) ان افظع ماخالف به إجماع المسلمين فيما هو معلوم من دين الله بالضرورة إجازته عصيان رسول الله ﷺ بالرأي والمصلحة فيما كتبه عند قوله تعالى (٢٤: ٦٣ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) فقد كتب عندها مانصه:

(عن امره) يفيدك ان المخالفة المحذورة هي التي تكون للاعراض عن امره وأما التي تكون للرأي والمصلحة فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى اه بحروفه. فاطلاقه جواز المخالفة للرسول بهذه العلة يشمل السنن العملية والقولية القطعي منهما والظني

فهذه القاعدة من قواعد هذا الدين الجديد تبطل من قواعد الاسلام وجوب تقديم النص على الرأي والاجتهاد المبني على الرأي ودعوى المصلحة . وجميع علماء القوانين الوضعية موافقون للمسلمين فيها . (على أنه يعني بالرأي الهوى لا القياس الفقهي لانه لا يعرفه) ومن فروع هذه القاعدة مارفع به عقيرته في المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة ، وهو يقتضي أن كل ماأخذه اسماعيل باشا من أموال الامة المصرية بأنواع الضرائب والمغارم كان جائزاً شرعا لانه أخذه باسم اصلاح مصر وجعلها مدينة أوربية ! !

ومما يتعلق بطاعة الرسول ﷺ وخالف فيه المسلمين قوله في تفسير (٤: ٥٩ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) مانصه (ص ٦٨)

« جعل أولي الامر مع الرسول في الطاعة لاعتباره رئيس حكومة شورية تنفذ قانون الله ، وكل رئيس ينفذ حكم الله له هذه الطاعة »

والمقرر عند المسلمين ان الرسول ﷺ انما يطاع لرسالته لا لرياسته ، وهو مقتضى تعلق الحكم بالمشتق ، فقد كانت طاعته واجبة منذ بعثته وقبل ان تكون لامته حكومة ، وهي عامة فيما يتعلق بمصالح الحكومة وما لا يتعلق بها ، فلو أمر

أي مؤمن أمراً خاصا بشؤونه الشخصية وجب عليه امتثال أمره . وقد قال الله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وليس لكل رئيس حكومة هذه الاولوية.

وقد سبقه بعض الملاحدة الى ادعاء ان طاعة الرسول (ص) انما كانت واجبة لانه رئيس الحكومة وأن هذه الطاعة قد سقطت بعده ، وأنها واجبة لكل رئيس حكومة من ملك أو أمير أو سلطان

وكان بعض رجال النيابة المصرية ألقى محاضرة في هذا الموضوع منذ بضع عشرة سنة قرر فيها ان السنة النبوية كانت شريعة مؤقتة خاصة بعصر الرسول (ص) الخ ورددت عليه رداً مفصلا في مجلة المنار . والمشهور عن هذا المفسر الجديد أنه لا يحتج بالسنن القولية ، وقد ظهر من تفسيره هذا انه لا يبالي بالسنن العملية أيضا ، وقد احتج عليه الشيخ عبد الجليل والشيخ العدوي باقامة النبي صلى الله عليه وسلم حد الزنا على ماعز والغامدية باعترافهما به مرة واحدة ، فلم يمنعه ذلك من اصراره على القول بان الحد لا يقام الا على من اعتاد الزنا واصر عليه واشتهر به

ومما أجمع عليه المسلمون وعلم من الدين بالضرورة الآيات الكونية التي أيد الله تعالى بها رسله عليهم السلام على ظواهرها من نصوص القرآن وكذلك ما في معناها من آيات الله التي وردت في القرآن مطلقة وهو يحرف تلك الآيات كلها بما هو جحد صريح لما أجمعوا عليه ولا يحتمل النص سواه وشبهته في هذا كله أن ظواهر هذه الآيات مخالفة لسننه تعالى في نظام الخلق ، وهو يتأول الآيات القطعية الدلالة في ذلك بما تتبرأ منه اللغة والتاريخ واجماع أهل الملل كاليهود والنصارى مع المسلمين . وهذه المسألة قد ذكرها كل من رد على هذا الالحاد اجمالا ، وذكرناها في القولة الثانية من مقالنا هذا عرضا ، وسأذكر عبارته في عصا موسى واحياء عيسى للموتى وابرائه للاكمه والابرص باذن الله وفي قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) مع أدلة بطلانها لغة وشرعا وعقلا وتاريخا . وأبين جهله بمعنى سنن الله تعالى ، وبمعنى كونها لا تبديل لها ولا تحويل ، وألزمه الحجة بما يعرف في العالم بالمشاهدة في كل زمن من وقوع أمور مخالفة للسنن المعهودة في نظام الخلق ، ومنها ماقرأناه اليوم في بعض الصحف من ولادة امرأة في اسبانية بضع بنات سليمات الابدان ، وغير ذلك مما يسميه الماديون

«فلتات الطبيعة» دع جهله الذي حمله على تقييد قدرة الله ومشيئته وحكمته بما يسميه هو أو غيره من الناس سننا الهية أو طبيعية وجهله بكون واضع السنن هو فوق السنن.

وأختم هذا المقال المجمل بان ما انفرد به من هذه الحواشي التي سخم بها المصحف الكريم هو مجموعة جهالات وسخافات يظن أن ما مهده لها من تجهيل الامة الاسلامية من عصر النبوة الى هذا العصر وزعمه انه لم يفسر القرآن منهم أحد تفسيراً صحيحاً، وان هذه المنقبة قد ادخرت له – سيتلقاه كثير من الناس بالقبول، ويكون به مؤسس دين جديد بين البهائية والاسلام، وان الوفد المصري سيرفع به قدره بين الانام، وقد ظن مثل هذا الظن من سبقه الى انكار حكومة الاسلام، وهو يفوقه بشيء من أدب اللغة وخلابة الكلام، فخاب ظنه، وسيكون هو أشد خيبة وأسوأ عاقبة منه

فأدعوه بعد هذا البيان الوجيز الى التوبة الى الله تعالى والبراءة من هذا الالحاد، وأنبئه بأن الباطنية قد ألفوا كتبا كثيرة، واسسوا جمعيات قوية، وسفكوا دماء غزيرة، بل أسسوا خلافة ودولة في مصر وغيرها (دولة العبيديين التي اسست الجامع الازهر والمشهد الحسيني) كل ذلك لاقناع المسلمين بتأويلاتهم الباطلة للقرآن فخاب سعيهم، وحفظ الله كتابه من الحادهم، وقد بقي لهم اتباع في غير مصر التي كانت مركز خلافتهم، فهل يمكن ان تتبع مصر مثله فيما هو أسخف من تأويلاتهم، ولا قوة له في علم ولا حكم، ولا عصبية ولا مال؟ كلا فليعتبر بتلك العاقبة، وإلا فلينتظر سوء الخاتمة، وخسران الدنيا قبل الآخرة، وذلك هو الخسران المبين، واني له لمن الناصحين، والعاقبة للمتقين.

المقالة الثانية

السرقة والتزوير، في دعوى التفسير

وعدت في المقال الاول الذي نشرته الاهرام بأن أبين في مقال آخر ان ما اورده هذا الملحد في مقدمة (هوامشه) من مزايا القرآن الصحيحة قد سرقها كلها من تفسير المنار، ثم ادعاها لنفسه بالزور والبهتان، وجعلها في المقدمة لاجل

الاعلان ، وإيهام الناظر فيها انها مما فاق به جميع المفسرين من (الهداية والعرفان) إذ زعم انهم هدموا بتفاسيرهم جميع أصول القرآن (كما في الصفحة الثانية منها) وقد قال الرسول ﷺ وهو الذي أوجب الله اتباعه لرسالته ، لا لرياسته كما زعم هذا الملحد المبيح لمخالفته ، « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » متفق عليه

وقد كان من رأيي الذي أفضيت به إلى فضيلة شيخ الازهر أن لا ينشر عن هذه الضلالة والجهالة شيء في الجرائد يشعر بأن لهوامشه قيمة أو تأثيراً ولو في الكفر ، لئلا يكون ذلك وسيلة لاعلانها ، وما يبغيه مبتدعها من الشهرة والربح منها ، ولاجل هذا وحده لم أسبق غيري الى الرد عليها ، وأرجو أن تكون مقالتي الاولى كافية لاقناع من قرأها بأن هذه الهوامش التي سميت تفسيراً للقرآن بالقرآن ليس فيها من حقيقة هذه التسمية شيء ، فلا هي مساعدة للمسلم على فهم القرآن ، ولا قوية التأثير في تشكيكه في الايمان ، ولا هي تصلح بسخفها شبهة للملحدين والمبشرين على الصد عن الاسلام ، لان ما فيها من التحريف سخيف لا يقبله الخواص ولا العوام ،

ولكنني أخشى أن يظن من يطلع على مزايا القرآن في مقدمتها ان تلك الهوامش شرح لها ، وانها مما امتازت به على غيرها ، فيرتكب جريمة اقتناء هذا المصحف المشوه المحرف لاجلها . فأنا ابين في هذا المقال بعض المواضع التي سرقها منها ، ليعلم الناس بطلان ما اوهمه في مقدمته ، وما صرح به لمندوب الاهرام في حديثه الذي نشره له ، من إنه لم يعتمد في فهمه القرآن على تفسير أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين ، وإنما هو علم استفاده من نظره وسياحاته في العالمين...

ولا ادري ما حكم هذه السرقات الكثيرة في دينه الجديد؟ هل تثبت بها الجريمة العلمية الادبية عليه لتعدد ما ارتكبه منها كما قال في حكم الزاني والسارق؟ أم هي مباحة عنده وان كان مرتكبها كاذبا في دعواه ، ومزوراً غاشا للناس ؟

شر آرائه الالحادية في مقدمة تفسيره

كل ما في مقدمته من معنى صحيح قبل ذكر المزايا وبعدها فهو مسروق من تفسير المنار أيضاً ولكنه مقترن ببعض آرائه الفاسدة وقواعد دينه المبتدع او التمهيد له ، وشره وأعرقه في الافتراء وابطال ثقة المسلمين بدينهم ما يأتي :

(ا) قوله: « وقد بلغ الدس والحشو في التفاسير انك لاتجد أصلا من أصول القرآن الا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله » وقد فرع على هذه الفرية الطعن بجميع المفسرين وكتبهم، وكتب اللغة التي يعتمدون عليها

(ب) زعمه انه قرأ في بعض المسائل خمسين تفسيراً فرآها كلها متفقة يرجع أصلها « الى رواية مكذوبة أو رأي ميت لايصح أن يكون تفسيراً لكلام الله » وقد اثبت قبل هذا ان من عيوب التفاسير رد بعضها على بعض، فاذا اتفق مع هذا خمسون منها على بعض المسائل لرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم او بعض الصحابة صحت عندهم أو رأي لبعض الأئمة قوي دليله - فكيف يقبل المسلمون طعنه فيهم كلهم وزعمه ان الرواية مكذوبة وهو من أجهل الناس بعلم الرواية، أو زعمه ان رأي من مات من أئمة المفسرين لايصح أن يكون تفسيراً للقرآن؟ وهل كتب تفسيره هو ليعمل به الناس ما دام حيا فقط؟

(ج) زعمه ان معنى كون القرآن متشابها هو « تحمله لاختلاف الآراء والانظار في كل زمن أي انه من تعدد المعنى يتشابه ويختلف على الناظرين » وهذا الاطلاق فاسد. لانه يشمل العقائد وأصول الدين وحدود الله وقواعد أحكامه، وهي كلها قطعية ومقتضى كلامه انه ليس فيها شيء قطعي، وهو يناقض قوله في حاجة الناس إلى الدين. واما الذي قررناه في التفسير ولم يفهمه فهو أنه يوجد في القرآن آيات في الخلق والتكوين والادب والتاريخ وغير ذلك تحتمل كل منها معاني قد يظهر منها في كل زمان مايدل على انها من عند الله تعالى، وتجد بيان هذا في الوجه السابع من وجوه إعجاز القرآن ا صفحة ٢١٠ جزء أول)

(د) زعمه انه لايضر الناس اختلافهم في فهم القرآن « ماداموا يرجعون إلى المحكمات من الاصول والامهات، أي يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات » فقد حصر أصول الدين المحكمة في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، ولم يجعل منها الايمان بالرسل وما أيدهم الله به من المعجزات، وغيرها من أصول العقائد وقواعد الاحكام. وهذا أصل من أصول دينه الجديد الذي يريد به هدم الاسلام.

أكتفي الآن بهذه الاباطيل مجملة، وأذكر عبارته في المزايا العشرين بلفظه على مافيها من الضعف والادماج والتكرار، وأبين بعض مآخذها من تفسير المنار بالاختصار، وأتحرى ان يكون أكثر الشواهد على هذه المآخذ من الجزء الاول منه. فأقول:

(مزايا القرآن العشرين من مقدمته مميزة بوضع خطوط فوقها)

(١) بلاغة الاسلوب الذي يقوم به الانسان لسانه وقلمه، وبه يبلغ ماير يد من نفس السامع اه

هذه المزية مقتضبة من بحث بلاغة القرآن في الصفحات ٢٠١ و٢٠٢ و٢٣٠ من جزء التفسير الاول. ومنها قولنا في آخر ص٢٠٢ وأول مابعدها

« الحد الصحيح للبلاغة في الكلام هي أن يبلغ به المتكلم ماير يد من نفس السامع باصابة موقع الاقناع من العقل، والوجدان من النفس » !!

(٢) خطاب جماعة الامة في الاحكام الاجتماعية بما يجعل الامة متضامنة في الاعمال فيظهر مسؤوليتها ويقرر سلطتها اه

بينا هذه القاعدة في مواضع من تفسير المنار فأنت ترى في فهرس الجزء الاول منه (الامم) تكافلها ووحدتها ص ٣٠٩ و ٣٢٢ و ٣٨٤ الخ ومما جاء في ص ٣٢٢ ما نصه: وما جاء الخطاب بهذا الاسلوب إلا لبيان معنى وحدة الامة واعتبار ان كل مايبلوها الله من الحسنات والسيئات، وما يجازيها به من النعم والنقم، انما يكون لمعنى موجود فيها يصح أن يخاطب اللاحق منها بما كان للسابق كأنه وقع به، ليعلم الناس ان سنة الله تعالى في الاجتماع الانساني أن تكون الامم متكافلة يعتبر كل فرد سعادته بسعادة سائر الافراد وشقاءه بشقائهم، ويتوقع نزول العقوبة به اذا فشت الذنوب في الامة وإن لم يواقعها هو (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وهذا التكافل في الامم هو المعراج الاعظم لرقيها، لانه يحمل الامة التي تعرفه على التعاون على الخير والمقاومة للشر فتكون من المفلحين

(٣) تعقيب الآيات بما يناسبها من صفات الله كعليم وحكيم الخ

راجع هذه المسألة بعينها في ص ٤١٦ من الجزء الاول ، ولو شئت لذكرت نصها ونصوصا أخرى من غيره ، ولكن جمع المفسرين يبينون هذه المناسبات

(٤) تعظيم شأن العقل وجعله أساسا لفهم الاحكام وسير الامور والاعمال اه

هذه القاعدة مبينة في مواضع كثيرة من تفسيرنا وقد قلنا في بيان الاصول والقواعد الشرعية العامة المستنبطة من سورة البقرة من الجزء الاول ص ١٢١ مانصه :

(القاعدة ٣٣) بناء أصول الدين في العقائد وحكمة التشريع على ادراك العقل لها واستبانته لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد ، وسد ذرائع الفساد الخ ــ وذكرت بعض آيات الشواهد . وفي ص ٢٥٠ منه مانصه : ولذلك جاء القرآن يلح أشد الالحاح بالنظر العقلي والتفكر والتدبر والتذكر ، فلا تقرأ منه قليلا إلا وتراه يعرض عليك الاكوان ويأمرك بالنظر فيها الخ وفيه بعض آيات الشواهد

(٥) اعلاء النفوس واعزازها بتوحيد الله وعدم الذلة للمخلوق اه

هذه القاعدة مبينة في مواضع كثيرة جداً من أجزاء تفسيرنا أولها في تفسير (إياك نعبد وإياك نستعين) من الجزء الاول قولنا (ص ٦٠)

ما أفاده الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك (أي ماقدمناه من استفراغ القوة في الاستقلال من طريق الاسباب) وهو روح الدين وكمال التوحيد الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ويفك ارادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم من قيد المهيمنين الكاذبين ، من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً وسيداً كريما ، ومع الله عبداً خاضعا (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) الخ

(٦) تقرير حرية الاعتقاد والقضاء على الرياسة الدينية حتى يكون الخضوع في الدين لله بوازع من النفس لا بالضغط والاكراه اه

هاتان مسألتان لا مسألة واحدة . فأما حرية الاعتقاد ومنع الاكراه في الدين

فقد بيناها في عدة مواضع وذكرناها في قواعد سورة البقرة العامة بقولنا في (ص ١١٦ من الجزء الاول)

(القاعدة العشرون) حرية الدين والاعتقاد ومنع الاضطهاد الديني ولو بالقتال حتى يكون الدين كله لله، ومنع الاكراه على الدين» الخ وفيه بعض آيات الشواهد على القاعدة

وأما مسألة القضاء على الرياسة الدينية فانما تصح اذا أريد بها سيطرة رجال الدين الرسميين على الناس في فهمهم للدين كما هو معهود في بعض الملل وهذه مبينة في مواضع كثيرة من تفسير المنار ومجلة المنار ومنها ماذكرناه آنفاً في مأخذ المزية الخامسة مما ذكره هو. وقد بسطها الاستاذ الامام في (كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)

---

(٧) رفع شأن الانسان بالمساواة بين جميع الطبقات وجعل الامتياز للاتقى اهـ

هذه المسألة مبينة في مواضع كثيرة من تفسير المنار أيضاً اولها مافي مقدمة التفسير (ص٢٩) من بيان أخوة المسلمين من جميع الاجناس وفيها الاستشهاد بآية الحجرات (٤٩: ١٣ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقول النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع «يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد، لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لاسود على أحمر، ولا لاحمر على اسود إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ألا هل بلغت؟» قالوا بلى يارسول الله. قال «فليبلغ الشاهد الغائب» وذكرنا بعد هذا ماحدث من العصبية الجنسية في المسلمين وما كان من مفاسدها

---

(٨) هدم التقليد الذي يقضي على استقلال الفكر ويضعف الاستعداد الفطري في البحث والاستنتاج)

قد حققنا هذه المسألة في مواضع كثيرة من أجزاء التفسير ومن المنار أيضاً. وجعلتها القاعدة الثالثة عشرة من قواعد سورة البقرة (ص١٠٤) فتجد في فهرس

الجزء الاول منه مانصه: التقليد : بطلانه وذمه (صفحة ٢٤ و ٣٢ و ٦٨ و ١٠٨ و ١١٤ و ١٧٣ و ١٧٨ و ١٨٠ و ٢٠٣ و ٣٠٦ و ٣٩٥ و ٤٢٥ و ٤٢٩ و ٤٤٨ و ٤٨٩ و ٤٩١

التقليد التجرد منه لطلب اليقين بالبرهان ٤٤١

« كونه كفراً بنعمة الفطرة والدين وخروجا من نورهما ١٨٥ و ٣٩٥

---

(٩) الجزاء على العمل بمقدار تاثيره في النفس لا بالفدية والشفاعة اهـ

هذه المسألة ما رأيت احداً سبقني إلى بيانها بمثل مابسطته في مواضع كثيرة من التفسير منها ما ذكر مع مسالة الشفاعة والفداء ومنها ما ذكر مع تفسير آيات أخرى ليست مقرونة بعدم الاتكال على الشفاعة والفداء . ومن الاول تفسير قوله تعالى (٢ : ٤٧ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) وهو في ص ٣٠٥ من الجزء الاول ومافي معناها وهو آية (١٢٣)

ومن الثاني تفسير (ووفيت كل نفس ما كسبت) من الجزء الثالث ص ٢٦٨) بما نصه : بأن رأت ما عملته محضراً موفى لا نقص فيه فكان منشأ الجزاء ، ومناط السعادة او الشقاء ، دون الانتماء الى دين كذا اومذهب كذا او الانتساب الى فلان وفلان من النبيين والصالحين . ألا انهم يرون يومئذ ان الجزاء يكون بشيء في داخل نفوسهم لا من شيء خارج عنها ، يكون بما أحدثته اعمالهم فيها من الصفات الحسنة او القبيحة ومقدرة بقدر ذلك . الخ

---

(١٠) بيان السنن العامة وهي النواميس والانظمة الطبيعية . بالبحث فيها

يفهم القدر والميزان ، وينكشف العلم ويزداد الايمان اهـ

هذه المسئلة مما امتاز بها تفسيرنا أيضا وتجدها مفصلة في كل جزء منه ففي فهرس الجزء الاول وحده مانصه :

سنن الله المطردة في الكون — ص ٢٣ و ٣٦ و ٥٨ و ٦١ و ٧١ و ٢٤٢ و ٢٥٩ و ٣٤٤ و ٤١٣ و ٤٢٣

سنن الله في نظام الاجتماع البشري ١١ و ٢٤٢ وما بعدها و ٣٣٦ و ٣٤٤

وأما سنن الله تعالى في الكائنات التي يفهم منها معنى القدر فهي مكررة فيه، وقد جعلتها الاصل السادس من الاصول العلمية والعملية في تلخيص سورة الانفال، وتجده في صفحة ٢٨٦ من الجزء الثامن، وراجع في هذا الجزء وزن الاعمال أيضاً (ص ٣١٩)

(١١) هيمنته على الكتب بالحكم على الابحاث الفلسفية وتقرير الصحيح من المذاهب وجمع الناس كلهم على طريقة مرضية تجمع خلاصة الكتب ولا تفرق بين أحد من الرسل اه

هيمنة القرآن على الكتب الالهية من أعظم مزاياه وهو نص قوله تعالى في سورة المائدة بعد ذكر التوراة والانجيل (٦: ٤٨ وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وهو لم يتكلم عليها في مكانها بشيء وفي تتمة يتها حكمة اختلاف الشرائع، وهي مسألة أخرى، وقد بينا معناهما في تفسير الآية بما لم نر مايدانيه في التفاسير المعروفة (راجع صفحة ٤١٠ ـ ٤٢٠ من الجزء الرابع) وعدم التفريق بين الرسل مسألة أخرى بينها جميع المفسرين لانها من أصول عقائد الاسلام

وتكلمنا على هيمنة القرآن على الكتب الالهية في مباحث اعجازه أيضا، ومنه الفصل في الخلاف بيننا وبين أهل الكتاب، وتحقيق الحق في مسائل طعن ملاحدة أوربة في كتابة التوراة وكتب الانبياء بعد فقدها باحراق بختنصر لهيكل سليمان ... بما لاتجد له نظيراً في غير المنار وتفسيره، وأول موضع ذكرت فيه هذه المسألة

(النوع السابع) من اعجاز القرآن من صفحة ٢١٢ـ٢١٥ من الجزء الاول وآخره الفصل الاستطرادي الذي عنوانه (هيمنة القرآن على التوراة والانجيل وشهادته لهما وعليهما) وهو في صفحة ٣٤٢ من الجزء العاشر

(١٢) ذكر مافيه الفائدة والعبرة من القصص والحوادث اه

هذه عبارة مبهمة قاصرة يجد قاريء تفسيرنا أول بسط لها في صفحة ٣٢٧

من الجزء الاول ويرى لها شواهد متعددة في مواضعها من الاجزاء الأخرى مفصلة تفصيلا ، ومنها ما في صفحة ٢٠١ و ٤٦٤ من الجزء الثاني وما في الفصل الذي عقدناه عقب ذكر قصص الرسل من سورة الاعراف بعنوان (سنن الله وحكمه في هذه القصص وأمثالها والاعتبار بها) وهو في صفحة ١٤ من الجزء التاسع

---

(١٣) هدايته العامة وأحكامه المنطبقة على مصلحة كل شعب في كل زمان ومكان اه

هذه المزية قد بيناها في مواضع كثيرة من أجزاء التفسير ، تارة بالايجاز والاجمال ، وتارة بالاسهاب والتفصيل ، مثبتين انه لا يمكن الاستغناء عن هدايته وأحكامه بما هو خير منها أو يغني عنها ، راجع في ذلك صفحة ٢٢١ — ٢٢٤ من الجزء الاول وبحث (الرجاء في اهتداء الافرنج بالاسلام) في ص ٣٥٨— ٣٦٢ من الجزء العاشر ، وفي الصفحة الاخيرة منها التصريح بمثل عبارته وقد سبقها تصريحات كثيرة . وأما هو ففي حديثه الذي نشرته الاهرام ما يدل على ان سبب تحريفه لآيات القرآن وحملها على غير ما عمل به الرسول الذي أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه (رض) وسائر أئمة المسلمين هو زعمه إن حال الزمان والمكان تقتضي ذلك ، فهو إذاً لا يقول بظاهر هذه القاعدة بل يقول بضدها وهو انه لا يمكن العمل بأحكام القرآن إلا بما حرفها هو به حتى في الحدود القطعية

---

(١٤) تشابه معانيه ، ليتسع مجال الافهام فيه اه

قد بينا آنفا مراده الباطل من هذه الجملة ، في الكلام على مسألة حرف (ج) وهو قد قلب بها ما كتبناه في هذه المسألة في أواخر صفحة ٤٣٥ من الجزء الاول وهو : وهذا الضرب من البيان مما امتاز به القرآن على سائر الكلام ، فانك لترى فيه فنونا من الاستدراك والاحتراس ، قد جاءت في خلال القصص وسياق الاحكام ، تقرأ الآية في حكم من الاحكام أو عظة من المواعظ ، أو واقعة تاريخية فيها عبرة من العبر ، فتراها مستقلة بالبيان ، ولكنها باتصالها بما قبلها قد أزالت وهما ، أو تممت حكما ، وكان ينبغي لاهل العربية أن يقتبسوا هذا الضرب من البيان ، ويتوسعوا به في أساليب الكلام ، فان القرآن قد أطلق لهم اللغة من عقالها ،

وعلمهم من الاساليب الرفيعة ما كانت تستحليه أذواقهم ، وتنفعل له قلوبهم ، وتتحرك به أريحيتهم ، ولكنهم لم يوفقوا لاقتباس هذه الاساليب الجديدة الخ

(١٥) تكريره المسائل ومزجه القصص بالاحكام لينفخ روح الهداية بصور مختلفة والنفوس تتأثر بالشيء بمقدار تكريره وتجديد ذكره اه

هذه المسألة مما بسطته في مواضع كثيرة من تفسير المنار ولم أطلع لأحد على كلام فيها ، وأخصر عبارة لي فيها ما في صفحة ١٢١ من الجزء التاسع :
« اعلم ان وضع هذه الآيات الواردة في الترهيب والترغيب، والانذار والتبشير، في سياق الآيات الواردة في قصة أحد — هو من سنة القرآن في مزج فنون الكلام وضروب الحكم والاحكام بعضها ببعض الخ

وفي صفحة ٢٠١ من الجزء العاشر في التكرار ما نصه :
والتكرار الذي يقتضيه المقام أعظم أركان البلاغة لانه أعظم أسباب اقناع العقل والتأثير في الوجدان .

(١٦) بناؤه الحكومة على الشورى وتقريره سلطة الأمة للقضاء على الاستبداد وحكم الفرد الذي يضعف الارادة ويولد النفاق والجبن اه

شرحت هذه القاعدة من قواعد التشريع الاسلامي شرحا وافيا في تفسير (وشاورهم في الامر) من سورة آل عمران (٣: ١٥٩) من الجزء الثاني (ص١٩٨) وفي تفسير آية طاعة (أولي الامر) في سورة النساء (٤: ٥٨) وهي من صفحة ١٨٠ ـ ٢٢٢ من الجزء الخامس وفيها تفصيل الكلام على أولي الامر وأهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطة الأمة ، ومقارنة ذلك بالمجالس النيابية في هذا العصر .

وأما الاستبداد وظلم الملوك وافساده للأمة وإذلاله لها فقد بسطته في مواضع كثيرة أولها ما في تفسير (لا ينال عهدي الظالمين) من سورة البقرة (٢ : ١٢٤) وهو في ص ٤٥٦ ـ ٤٥٩ من الجزء الاول . ولعل آخرها ما عبرنا عنه في فهرس الجزء العاشر بقولنا (الملوك والرؤساء ، وإفسادهم للاخلاق بتقريبهم لأهل النفاق) ص ٥٣٩

(١٧) تخييره الانسان بين الانتقام بالعدل من المسيء والعفو عنه بما تدعو اليه المصلحة، حتى تنتشر العزة في النفوس، ويذوق كل امرئ لذة فضله وجهاده اه

هذه المسألة مبينة في مواضعها من جميع التفاسير وتجدها في تفسير (فاعفوا واصفحوا) من سورة البقرة (ص ٤٢٠ من الجزء الاول) وفي تفسير (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) في سورة الانفال (ص ٦٣ ج ١٠) وفي مواضع أخرى منه كالمقابلة بين الاسلام والنصرانية

(١٨) نظامه الاجتماعي وتأسيسه على الفضيلة وحسن المعاملة اه

هذه جملة مبهمة تدخل في قواعد كثيرة من قواعد نظام الاسلام الاجتماعي التي بيناها في مواضع كثيرة من تفسيرنا ، منها تفسير آية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وآية معاملة اليتامى بما فيه اصلاحهم ، وكلاهما في الجزء الثاني . وفي آخرها ثماني قواعد اجتماعية في حكم الاسلام تدخل في ذلك أيضا .

ومن أهمها مابسطناه في حكمة تحريم الربا في الجزء الثالث وهو ان الاسلام دين عدل ورحمة وفضيلة وهو في صفحة ١٠٦ - ١٠٧ ثم في صفحة ١٢٣ - ١٣١ من الجزء الرابع . (ومنها) ماذكرناه في شكل الحكومة الاسلامية وفي نظامها المالي أصلا أو استطراداً ، ومن مباحثها ماتقدم آنفا في المزيتين ١٦ و ١٧

(١٩) كتاب يؤاخي العلم ، ويساير مع الفطرة ، يقنع العقل بالحجة ، ويؤثر في النفس بالموعظة الحسنة ، اه

هذه أربع مسائل لا مسألة واحدة ، وقد تقدم ذكر المسألة الثالثة والرابعة منها في بيان مآخذ المزية الأولى من تحديدنا لمعنى البلاغة من التفسير ، وكذا في بيان مآخذ المزية الرابعة وهي تعظيم شأن العقل ، وهما مشروحتان في مواضعهما المناسبة من أجزاء التفسير ، وأما مؤاخاته للعلم فهي مشروحة في مواضع كثيرة من التفسير والمنار ، وفي كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية وكذا رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام ، وهو صاحب الفضل الاول في تقرير هذه الحقيقة ، وأول موضع فصلتها فيه من التفسير (الوجه السادس) من وجوه إعجاز القرآن ، وهو «عجز الزمان عن ابطال شيء منه» وفيه الرد على من زعم ان فيه

شيئا معارضا بشيء ثبت بدليل علمي قاطع ، وهو في صفحة ٢٠٧ من الجزء الاول ويليه الوجه السابع من وجوه اعجازه وهو « اشتماله على تحقيق كثير من المسائل العلمية الكونية والتاريخية كانت مجهولة للبشر » وترى في أول الكلام على الاسلام من فهرس الجزء العاشر مانصه : إظهار الله إياه على جميع الاديان، بالحجة والبرهان والهداية والعرفان ، والعلم والعمران، والسيادة والسلطان (صفحة ٣٨٩)

وأما كونه دين الفطرة بمعنى موافقته لها ، وتقويمه إياها ،وكونه للنوع البشري كالعقل لافراده - فهو مبين في مواضع كثيرة أيضاً سيأتي بعضها بنصه في الكلام على المزية العشرين التاليه . وتعبير هذا السارق والمزور عن ذلك بالسير مع الفطرة مبني على زعمه الالحادي جواز تحريفه القرآن، وتغيير أحكامه لموافقة المبتدعين في هذا الزمان

وقد شرح الاستاذ الامام معنى الفطرة البشرية وما كان عليه البشر قبل بعثة الرسل وشرع الدين في تفسير قوله تعالى (٢ : ٢١٢ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) بما لم يحوم حوله أحد من المحققين، وتجده في الجزء الثاني من التفسير (من ص ٢٧٦-٣٠١)

---

(٢٠) كتاب يجمع بين صلاح الروح والجسد فيضمن للناس سعادة الدنيا والآخرة اه

قد سبق فيما مر من مآخذ بعض هذه المزايا بعض الشواهد على هذه المسئلة وهي كثيرة جداً جداً في تفسيرنا ، بعضها تفسير للآيات المناسبة لها وأظهرها قوله تعالى في سورة البقرة (٢: ١٤٣ وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وهي في أول الجزء الثاني كما تقدم - ومنها في الشواهد ، وقد بيناها في قواعد سورة البقرة ، فجعلنا أهلها القسم الاول من المهتدين بالقرآن ثم قلنا في القواعد (القاعدة ٢٢) ان من شأن المسلمين طلب ماهو أثر لازم للاسلام من سعادة الدنيا والآخرة معاً كما تقدم في القاعدة الاولى . وانما تتحقق الغايات ولوازم الامور بطلبها والسعي لها . فليس من هداية الاسلام أن يترك المسلمون الدنيا ومعايشها وسياستها ويكونوا فقراء أذلاء، تابعين للمخالفين لهم من الاقوياء ، ولا أن يكونوا كالانعام لا همّ لهم إلا في شهواتهم البدنية ، وكالوحوش التي يفترس قويها ضعيفها ، وهذا الجمع بين الامرين مقتضى الفطرة، والاسلام دين الفطرة - ثم ذكرت بعض الشواهد

وأنت اذا نظرت كلمة الدين من فهرس الجزء الاول تجد فيه بحث اقتضائه السعادة في ستة عشر موضعاً مبينة بأرقام صفحاته ، وتجد مع هذا في حرف السين (سعادة الدارين تابعة لآثار اعتقاد الانسان وعمله في تزكية نفسه)

وقد قال هذا السارق المزور في التفسير بعد هذه المزية (٢٠) مانصه :

«هذا وان القرآن بهذه المزايا جدير بالعناية ، ولتعلم ان الله تعالى سماه قرآنا ليقرأ على الدوام ، ليكون خلقا وملكة في النفس لاليكون كالقوانين تراجع مواده عند الطلب. وان في دوام القراءة تجديد الافهام الداعية الى إحياء العلم وبث الهداية اه

وهذه الخاتمة مسروقة من تفسير المنار أيضاً ولكنه أساء بجعل سبب "العناية بالقرآن محصوراً فيها، لانه لم يتيسر له سرقة غيرها من المزايا الاعتقادية وغيرها أو لانها لاتوافق دينه الجديد، وهذا اذا كان يعلم ان قوله « ان القرآن بهذه المزايا جدير بالعناية » يدل على الحصر على انه قال في كلامه على السنة « إن القرآن دستور فيه كل شيء من أصول القوانين »

وأما المواضع التي سرقت منها هذه العبارة ، فهي في تفسير المنار كثيرة ، بل هي أول ماقررته في فاتحة التفسير من الجزء الاول ، فقد أوردت بعد البسملة آيات في وصف القرآن وهدايته في صفحتين ونصف صفحة وقلت بعدها مانصه :

أما بعد فيا أيها المسلمون ! إن الله أنزل عليكم كتابه هدى ونوراً ليعلمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم ، ويُعدّكم لما يَمدكم به من سعادة الدنيا والآخرة ، ولم ينزله قانونا دنيويا جافا كقوانين الحكام ، ولا كتابا طبيا لمداواة الاجسام ، ولا تاريخا بشريا لبيان الاحداث والوقائع ، ولا سفرا فنيا لوجوه الكسب والمنافع ، فان كل ذلك مما جعله تعالى باستطاعتكم ، لايتوقف على وحي من ربكم ، وهذا بعض ماوصف الله تعالى به كتابه في محكم آياته (اشارة الى الآيات السابقة) تدبرها سلفكم الصالح واهتدوا بها فأنجز الله لهم من سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة ما وعدهم ... (وههنا أوردت بعض هذه الوعود القرآنية)

ولنا فتوى في حكمة انزال القرآن أوردنا فيها ٢٤ آية من أمثال هذه الآيات و ١٥ حديثا في معناها ، وهي (ص ٢٥٨ من مجلد المنار الثامن)

ثم قلت بعد زهاء صفحتين مانصه :

صلحت أنفس العرب بالقرآن إذ كانوا يتلونه حق تلاوته في صلواتهم المفروضة وفي تهجدهم وسائر أوقاتهم ، فرفع أنفسهم ، وطهرها من خرافات الوثنية المذلة للنفوس المستعبدة لها ، وهذب أخلاقها ، وأعلا هممها ، وأرشدها إلى تسخير هذا الكون الارضي كله لها ، فطلبت ذلك فأرشدها طلبه الى العلم بسننه تعالى فيه من أسباب القوة والضعف ، والغنى والفقر ، والعز والذل ، فهداها ذلك الى العلوم والصناعات الخ

ثم قلت : إنما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهة قلبه في تلاوته في الصلاة وغيرها مابينه الله فيه من موضوع تنزيله ، وفائدة ترتيله ، وحكمة تدبره ، من علم ونور ، وهدى ورحمة ، وموعظة وعبرة ، وخشوع وخشية ، وسنن في العالم مطردة . فتلك غاية إنذاره وتبشيره ، ويلزمها عقلا وفطرة تقوى الله تعالى بترك مانهى عنه وفعل ماأمر به بقدر الاستطاعة فانه كما قال (هدى للمتقين) الخ

(فان قيل) ألا يصح أن يكون صاحب هذه الحواشي التي سماها تفسيراً بما سرقه من تفسير المنار من مزايا القرآن بالحق، مع ماأورده فيها من إلحاد الزنادقة وتأويل الباطنية الباطل — ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً ؟

(قلت) لا . بل هو ممن خلطوا الكفر بالايمان ومثله في تفسيره مثل المنافقين الذين قال الله فيهم (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون)

فلا يجوز لمن يدين بالاسلام - أو باليهودية او النصرانية ايضاً - أن يقتني هذا المصحف المحرف لكتاب الله ، الذي يجعل اصول الايمان كفرا . فان اقتناءه شر من اقتناء كتب الكفر والالحاد الاخرى ، ومن وافقه على مافيه من مخالفة أصول الدين ، واتباع غير سبيل المؤمنين ، فهو مرتد عن الاسلام ، وبريء من جميع الانبياء لايختلف في هذا عالم من علماء المسلمين ، ولا من علماء أهل الكتاب ، فانه جحد معجزات موسى وعيسى عليهما السلام ، وكون السيدة مريم العذراء وابنها آية من آيات الله بحملها به من غير أن يمسها بشر ، الخ . وسنزيد ذلك بيانا في المقال الثالث ان شاء الله تعالى

(موضوع المقال الثالث أصول دينه الجديد وهي خمسة ومقدماتها التمهيدية له وهي خمسة)

الطريقة المثلى لعمران الحجاز الاقتصادي

من الرحلة الحجازية الموسومة (بالارتسامات اللطاف، في خاطر الحاج الى أقدس مطاف)

(للأمير شكيب أرسلان)

ان الحجاز فيه بقاع زراعية هي في الدرجة القصوى من الخصب والزكاء، ولكن ينبغي لها المال والعلم فلا بد من بناء السدود كما كانت من القديم ومن حفر الآبار الارتوازية لاستنباط المياه، ومن الاعتماد في السواني على الآلات الرافعة البخارية (المواتر) وهناك طريقة رأيتها في الصيف الماضي في جزيرة ميورقة وهي الدواليب الهوائية تدور بهبوب الريح فترفع الماء وينصب إلى الصهاريج، ولا يتكلف عليها صاحبها زيتاً ولا فحما فاذا وجد الماء وجد من الخصب والخير والمير في الحجاز مالا يوجد في قطر آخر. وأما المال اللازم للمشروعات الزراعية المذكورة فله طريقان:

(احداهما) ان تنظم الميزانية المالية لحكومة الحجاز تنظيما حسنا ويفرز منها جانب واف لمصلحة الزراعة، فتأخذ هذه كل سنة بمشروع وتقوم بانشائه من مال الخزانة ثم تستوفي ذلك من الاهالي المنتفعين على أقساط معلومة مؤجلة إلى عدة سنوات بحسب جسامة المشروع

(والثانية) أن تتقدم لهذه الاعمال شركات اسلامية بحتة من حجازيين ونجديين ومصريين وشاميين وهنود واندونسيين وغيرهم وتعطيها حكومة الحجاز بها امتيازات الى آجال معينة، وهذه الشركات هي التي تبني السدود وتستوفي على الري شيئاً معلوما من الزراع، او تحفر الآبار الارتوازية وتأخذ بدل العمل مع الربح الذي يكون وقع عليه الشرط، أو تقدم المواتر لاصحاب السواني وتأخذ منها منجما على عدة سنوات وما أشبه ذلك (١)

(١) وفي أخبار أم القرى ان الحكومة السعودية انتدبت أحد كبار مهندسي الامريكان لاختبار الارض وأماكن وجود المياه فيها. وانه وجد مياها غزيرة قرب وادي فاطمة من جهة جدة، وستحفر هناك الآبار الارتوازية لاستخراجها وسقي الارض بها اهـ من حاشية الاصل

ويوجد عدا الزراعة منبع عظيم للرزق في الحجاز بل في كل جزيرة العرب هو المعادن . فان غنى الجزيرة بالمعادن موصوف معروف عند جميع الامم من قديم الدهر حتى ان المؤرخين أجمعوا على ان حضارة هذه الجزيرة الباهرة في الحقب القديمة انما قامت بامرين (أحدهما) نقل متاجر الهند والشرق الاقصى إلى الغرب بموقع العرب بين الاثنين (والثاني) ثروة المعادن التي تكنها أرض الجزيرة

فينبغي الآن وقد مضى وقت الفتوحات وصرنا لا نطمح إلا إلى حفظ الموجود بيدنا، أن نأرز إلى الجزيرة التي هي مهد العرب المنتشرين في أقطار المعمور جميعاً ونجعلها الكهف المانع ، والاصل الجامع ، ونستخرج كل ما فيها من عيون الحياة الكامنة، حتى تصون نفسها، وتنجد أخواتها التي انبسطت عليهن أيدي الاستيلاء الاجنبي، وأصبحن لا يملكن لانفسهن أمراً، فتزحزح عنهن هذا الرق الذي يرسفن في قيوده، وتتم بذلك الجامعة العربية التي هي نكتة المحيا ، ونشيدة آمالنا في هذه الدنيا . ويجب ان لا ننسى ان هذا الامر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله . فقد كانت معادن الجزيرة في القديم من أغزر منابع ثروتها وعزها وارتقائها وهي لا تزال هي هي لا ينقصها إلا الارادة والعمل

ولقد يقال ان استثمار المعادن ليس بامر سهل وانه ان انشبت الشركات الاوربية مخالبها في هذه المعادن جنينا منها السيطرة الاجنبية ، والذل ، والندامة، فالافضل ان نكون فقراء أحراراً ولا نكون أغنياء أرقاء ... ولن نكون أرقاء وأغنياء أبداً، لان الثروة لا تجتمع مع فقد الاستقلال. وهاؤم أهل المغرب والجزائر وتونس عندهم من معادن الفوسفات وغيرها ما يقوم بالمليارات وليس بايديهم منه شيء حتى كأن ذلك ليس في أرضهم

كل هذا التعليل صحيح لا اعتراض عليه . وأحسن لنا ان نبقى فقراء مستقلين من ان يبتلعنا الاستعمار الاجنبي بواسطة معادن نرجو في استثمارها اليسر، فيؤول بنا الامر إلى الخسر . ولكن هذا التعليل لا يحل المشكل ، ولا يجوز لامة عاقلة رشيدة أبية تبغي الحياة مثلنا ان تعول في قضية ذات بال كهذه على حل سلبي

صرف، نظن أننا قد أجبنا به ضمائرنا الناشزة، وسكنا به خواطرنا الثائرة، على حين انه الحل الذي يليق بالامم التي استوى عندها الماء والخشبة والتي لاتريد ان تعمل شيئاً، بل تنظر قضاء الاستيلاء الاجنبي ان ينفذ فيها

أقول في تعليل ذلك (أولا) ان الذين يقترحون استثمار هذه المعادن الثمينة لايشيرون باعطاء أقل شيء منها لشركة أجنبية او لشركة مؤلفة من مسلمين هم تبع لدولة أجنبية غير مسلمة، بل يشيرون باعطاء الامتيازات لاستثمارها إلى شركات إسلامية مرجعها حكومات اسلامية، ومما لانزاع فيه ان الشركات التجارية في بلاد الاسلام قليلة وان رءوس الاموال قليلة أيضاً

فالمسلمون لم يتعودوا أسلوب الشركات في التجارة فضلا عن ان ثروتهم العامة لاتساعدهم على تأليف هذه الشركات. الا ان المبالغة في كل شيء مذمومة فلا يجوز ان نظن أن تأليف الشركات عند المسلمين مستحيل ولا ان المال معدوم تماما بين أيديهم، فكلا هذين الافتراضين مخالف للمحسوس

وفي بلاد الاسلام شركات اقتصادية كثيرة، ومن المسلمين عدد غفير من ذوي الثروة، وعدد غفير من ذوي المهارة في الامور الاقتصادية

واذا جربت حكومتا الحجاز واليمن استثمار المعادن التي في هذين القطرين على أيدي متمولين من المسلمين فلا يبدأ هؤلاء بالربح ولا يتحقق المسلمون ان هذه المشروعات ذات عوائد أكيدة حتى يقبلوا على المساهمة من كل صوب وتجد من رءوس الاموال عند المسلمين مالا يخطر لك على بال. وذلك لان الربح جلاب، وحيث تحقق وجود الفائدة وجد المال بلا اشكال

اذن يمكننا أن نستثمر معادن جزيرة العرب برءوس أموال أصحابها مسلمون بل أصحابها مسلمون لاتلي بلدانهم دول غير مسلمة (١) وليس بضربة لازب ان

«١» إن تجار العرب في بمبي «الهند» وأكثرهم من نجد والكويت قد ألفوا شركة بواخر تمخر بين الهند وشط العرب زاحموا بها الشركات الانكليزية فزحموها، ثم كانت الحرب العامة سبب استيلاء الانكليز عليها بصفة قانونية اهـ مصحح الرحلة

نستثمر هذه المناجم كلها دفعة واحدة ، بل يمكننا أن نستخرج خيراتها تدريجا، ولكن الذي لايجوز أصلا هو ان نظمأ والماء فوق ظهورنا ، او أن نشكو مزيد الفقر والمال تحت أرجلنا

(ثانيا) ان الظن الذي يظنه بعضنا ان الشروع باستخراج هذه المناجم يفتح أعين الاوربيين على الجزيرة لاسيما اذا رأوا الخيرات تدر منها وانهم قد يشنون الغارات على البلاد لاجل حيازة هذه المعادن هو ظن لعمري بغير محله

فان الافرنج يعرفون مواقع هذه المعادن ويعلمون مافيها إن لم يكن تفصيلا فاجمالا . وعندهم علم آخر من طبقات الارض يجعلهم عارفين بما يحتوي من المعدن والفلز كل نوع من هذه الطبقات ، فان كانوا لم يشنوا الغارات إلى اليوم على الجزيرة فليس لجهلهم بما في بطنها من الكنوز والخيرات ، بل لان الامور مرهونة باوقاتها ، والاستيلاء على جزيرة العرب او على بعض أقسام من جزيرة العرب ليس بالامر السهل ، بل دونه عقبات من وعورة الجبال ، وحرارة الرمال، وشجاعة الرجال، فضلا عما بين الدول من التنافس الذي يحمل بعضهن على الوقوف بالمرصاد لبعض مما يخشى منه وقوع الحرب بينهن . وعلى كل حال فالجزيرة إلى الآن سالمة من استيلاء الاجنبي إلا بعض أطراف لابال لها

فليس من الحكمة ولا من الحزم أن نضيع على أنفسنا ثروة نحن في أشد الاحتياج اليها تحت ملاحظات ليست صحيحة وأسباب غير واردة

ومما يدلنا على كون هذه المعادن معروفة عند الافرنج رسالة بالالمانية أطلعني عليها مؤخراً مؤلفها المستشرق الالماني الشهير الاستاذ موريتز واسمها « المعادن في العربية القديمة » die bergwerke in alten arabien

جاء فيها ماملخصه :

يظن الناس إجمالا ان جزيرة العرب هي من افقر بلاد الدنيا ، وحقيقة

الحال انها ليست كذلك ، بل إذا نظرنا إلى ما كانت عليه في القرون الوسطى نجدها كانت ذات ثروة تضرب بها الامثال و كانت تلك الثروة آتية من منبعين (أحدهما) كون الجزيرة طريق التجارة بين الشرق والبحر المتوسط (والثاني) وفرة المعادن التي كانت فيها ، وأخصها الذهب ، فقد كانت هذه المعادن في أواسط عهد الالاف سنة قبل المسيح معروفة عند العبرانيين والفينقيين والاشوريين . وقد كان سليمان بن داود أرسل بعثة على حسابه إلى البحر الاحمر ، وعادت بغنائم تدهش العقل

وذكر سترابون (جغرافي يوناني مات في زمان طيباريوس قيصر) وديودور (مؤرخ يوناني يقال له ديودور الصقلي صاحب تاريخ عظيم ، وكان معاصرا لاغسطس قيصر) انهرا في بلاد العرب كان فيها التبر

وقد كانت جزيرة العرب قبل الاسلام وقبل دخولها في الفتوحات النائية ذات ثروة عظيمة بالزراعة والمعادن ، وكانت مكة أشبه بمركز حكومة جمهورية ذي مراكز تجارية عظيمة ذات علاقات مع الآفاق ، وكان الاخذ والعطاء جاريين بقوة بينها وبين سائر البلدان ، وكانت فيها صناعة الحلي بالغة درجة الاتقان ، ولا يزال صاغة مكة ، وصنعاء اليمن ، وعنيزة نجد ، الى يومنا هذا مشهورين باتقان الصنعة

أماكن معدن الذهب في جزيرة العرب

فأما الاقاليم التي فيها معادن الذهب من جزيرة العرب فمنها الاقاليم الغربية والذهب يوجد فيها باسناد الجبال الواقعة بين الداخل والساحل أي أسناد الجبال المتدلية إلى التهائم . وكذلك توجد معادن ذهب في أواسط الجزيرة في الاماكن المجهولة الضاربة إلى الجنوب والشرق . وهذه الجوانب الجبلية متكونة من حجر الغرانيت مع كثير من الرخام السماقي ، وهذه الحرات التي في الجنوب

والتي تمتد إلى مكة وإلى غربيها لا شك انها تولدت تحت تأثير التحولات الجيولوجية التي أدت إلى هذه القفار المحرقة وهذه اليبوسة في الجزيرة ، وان شكل الغرانيت الصواني هذا يظهر في وسط البلاد وتمتد آثاره الى جهة الشرق اي في جبال نجد . واطرافه الجنوبية تظهر في شمالي اليمن الى أن تحاذي صنعاء من الشمال . وأما الجنوب الغربي من الجزيرة والجنوب كله فتشكلاتهما الجيولوجية مختلفة عن الاولى ، والذهب انما يوجد في الجهات التي فيها الصوان او الغرانيت وهي ما يأتي :

(أولا) في الشمال الغربي من الجزيرة بأرض مدين القديمة

(ثانياً) في ارض الحجاز الضاربة الى الجنوب

(ثالثا) في الشرق من الجزيرة نحو نجد

(رابعاً) في الجنوب الشرقي إلى جهة اليمامة

(خامساً) في الجنوب المحض بأرض عسير إلى الشمال من اليمامة

فمدين هي البلاد الواقعة بين البحر الاحمر وقمم الجبال المحاذية للبحر الممتدة من نحو العقبة في الشمال إلى وادي الحمض في الجنوب وهي اليوم تابعة للحجاز . وهناك مراكز على ساحل البحر منها (ظبا ، والمويلح ، والوجه)

*
* *

فأنت ترى من هذه الرسالة المنشورة سنة ١٩١٧ أي منذ أربع عشرة سنة ان الاوربيين يعرفون ما في جزيرة العرب من المعادن ان لم يكن تفصيلا فاجمالا وانه ليس عدم سماعهم بثروتها المعدنية هو الذي ثبطهم حتى اليوم عن احتلالها، بل لذلك أسباب سياسية مرجعها حفظ التوازن الدولي ، وعسكرية مرجعها صعوبة مراس أهلها

فالاولى بنا أن نغتنم هذه الفرصة ونستغل ما أمكننا من هذه المعادن لنقوي بها جيوشنا ، ونصلح إدارتنا ، ونبث العمارة في بلادنا ، وأن لا نأخذ هذه الامور بالتسويف والمطاولة حتى يصيبنا ما أصاب تركيا في مطاولاتها باستخراج الكنوز التي كانت تحت يدها إلى أن جاء الاجانب واستولوا عليها ، فقد كانت قادرة أن تستفيد من زيت الموصل من عهد طويل ، فلم تبت في أمره شيئاً ، ولم تزل تماطل إلى أن أضاعت بهذه المماطلة ثروة تقوم بالمليارات الكثيرة من الجنيهات لا من الفرنكات ، وكان عندها البحر الميت فلم تصنع في استخراج ثروته شيئاً ، ولا أبدت ولا أعادت إلى أن جاء الانكليز بعد الحرب العامة فحللوا مياهه وقوموا مايمكن أن يستخرج منه ، فقالوا انه يمكن أن يستخرج منه قيمة خمسة آلاف مليار جنيه ، وعشرون الف مليون طن من الفوسفات وهلم جرا مما تعيى العقول عن تصوره ، وليس في جزيرة العرب شيء من الخيرات التي تقوَّم بهذه المليارات من الجنيهات ولكنه بدون شك فيها كثير من المعادن التي يمكن كلا من حكومة الحجاز ونجد السعودية وحكومة اليمن الامامية أن ترتفق به وتستعين به على اصلاح بلادها وتعزيز أجنادها ، وذلك على شرط أن لا تلجأ في هذا الموضوع إلا إلى رؤوس أموال أصحابها مسلمون ليسوا من تبعة الاجانب وهذا ممكن إذا أرادته هاتان الحكومتان وبدأتا بفحص في عن هذه الاماكن حتى تعلما ماتحت ارجلهما قبل مباشرة العمل ؟

باب المراسلة والمناظرة

العلويون في أوغندة والمنار

جاءتنا هذه الرسالة مع كتاب خاص من حضرة صاحب الامضاء

من أوغندة ميالة في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٩ الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٣١

مجلة المنار هي المجلة الوحيدة التي انفردت دون سواها من المجلات والجرائد لخدمة دين الاسلام والمسلمين ، وصاحبها هو العالم الفذ الذي كرس كل حياته في هاته الوظيفة السامية، وما انفك - أيده الله وأطال بقاءه - منذ أنشأ مجلته (المنار) وهو يكافح المبشرين تارة ، والملحدين من المجددين أخرى، وتارة نراه شاهراً قلمه في وجوه المبتدعة من غلاة الروافض والخوارج، والمتمشيخين من دجاجلة التصوف الكاذب، وعبدة القبور أو معظميها . ولا يعرف قدر ما يبذله من الخدمات العمومية إلا من وجدت عنده مجموعة صالحة من أجزاء المنار ومصنفات صاحبه ، وأمكنه مطالعة ذلك بامعان وتدقيق ، وترو وتحقيق ، ومنها يعرف قدر ماله من الفضل في دين الاسلام على المسلمين

امتاز صاحب المنار على أقرانه من العلماء الاعلام بخدمه الجليلة ، ومواقفه الشهيرة ، في كل موطن من مواطن الجهاد ، وناهيك بفتاويه القيمة ، وردوده المؤيدة بالحجة والبرهان (بمناره الاغر) ومباحثه الطلية المفيدة وتفسيره المشهور ، ولو لم يكن له من المصنفات غيره لكفاه فخراً في الدنيا والدين، وذخرا يوم يلقى رب العالمين

مما لاشك فيه ان الاقطار الاسلامية وغيرها لاتخلو من العلماء العظام ، والفطاحل الاعلام، وانه قد يوجد فيهم من يداني صاحب المنار أو يوازنه في العلم، بيد اننا نجده قد فاق الكل في الناحية العملية ، وقد وجدنا فيه كل ما فيهم من العلم والفضل ، ولم نجد فيهم بعض ما فيه من تكلفه المشاق، وحمل ما لا يطاق، ومواصلة الليل بالنهار بحثاً وتحقيقاً وكتابة ونشراً وتأليفاً في كل شأن له تعلق ومساس بالدين

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

حقا لقد امتاز عليهم بصفات كثيرة أهمها وأعظمها كما قدمنا آنفا : غيرته على الدين ، ويليها شجاعته الادبية وعفة نفسه ، وتواضعه مع علو قدره ، وهانحن نراه اليوم قد ساخ من عمره - أطاله الله - ثلاثة عقود ونصفا من السنين مكافحا ومنافحا - بمناره الاغر - عن دين الاسلام ، ولم نره يوما ماوضع قلمه تحت إرادة حزب معين او طائفة مخصوصة ، أو حكومة جائرة ، وهكذا دأب المخلصين من المجاهدين المؤمنين .

وقد غلا وافترى من قال : انه من حين ظهور الملك ابن السعود على مسرح السياسة مازال في خدمته لأغراض مادية صرفة ، وانه (أي الملك ابن السعود) بذل له من المال كذا وكذا عوضاً عن خدمته (سبحانك هذا بهتان عظيم)

اننا ننزه الاثنين من ان يتواطآ على مثل هاته الفعلة ، وحاشاهما من ذلك ، وقد أراد المفتري بقوله هذا أن يذم فمدح ، وأن يفضح فافتضح ، وما على صاحب المنار من غضاضة أو عار اذا أيده الملك ابن السعود ، فتأييده اياه هو - والحق يقال - في نظر المنصفين من المسلمين عين الخطة التي رسمها صاحب المنار لنفسه ، وهي نصرة دين الاسلام وتأييده ، وبلاشك ان ابن السعود أعظم أنصار هذا الدين نصره الله وأيده . وقد أيد قبله الملك الحسين بن علي حيث كان يؤمل فيه المصلحة العامة للاسلام والمسلمين حتى بان له غلطه فانتقده في ذلك وبذل له النصح

* ولم يتبين الرشد إلا ضحى الغد *

وهكذا نراه اليوم قائما بجانب الملك ابن السعود فاذا حاد لا سمح الله عن النهج القويم والطريقة المثلى فبلا شك انه (أي صاحب المنار) لايذره وشأنه ، بل يعرفه بخطئه ، ويفعل معه مثل مافعل مع الملك الحسين بن علي (*)

(*) المنار : تالله لقد أصاب هذا الكاتب العلوي كبد الحق فيما رمى اليه من أوغندة على بعدها عن مراكز السياسة فنحن كنا ننصح للملك عبدالعزيز بن السعود من رحمه الله قبل الاستيلاء على الحجاز بالاخلاص الذي كنا ننصح به للملك حسين بن علي ، والفضل الذي نراه لهذا على ذاك انه يشكر لنا نصيحتنا ويعدنا بالاصلاح الذي نقترحه عليه بقدر الامكان ونحن لوعده منتظرون ، مع علمنا بأنه يعوزه الرجال العاملون ، والملك حسين لم يحتمل كلمة واحدة في انتقاد رجاله بل عاقبنا عليها بمنع دخول المنار من الحجاز الذي كان يسميه المملكة الهاشمية

هاته هي عقيدتنا وعقيدة السواد الاعظم من المسلمين في شرق الارض وغربها (في صاحب المنار) ولاعبرة بمن يشذ من المنافقين والملحدين والدجالين المتاجرين بالدين، والمضللين لطغام المسلمين

وليثق صاحب المنار أننا - عرب هذا القطر (أوغندة) وأهاليه - من اخوانه المؤمنين، وأنصاره المخلصين، الذين يقدرونه قدره، ويوفونه حقه من الاجلال والاكبار والاحترام، ومن المقتفين أثره في العقيدة، وهديه في الدين، بيد أننا معشر العلويين المقيمين بهذا القطر لانرى باساً إذا شكوناه (أي صاحب المنار) إلى نفسه بسبب الرسالة التي بعث بها اليه من جاوة أخونا في الدين عبدالسميع منصور الجاوي ونشرها في المنار في الجزء الثامن من المجلد السابع والعشرين في صحيفة ٦٠٤ . وجاء فيها ما نراه ماسا بكرامتنا وشرفنا وعقيدتنا، والمنار كما يعلمه الخاص والعام قد انتشر في أنحاء المعمور انتشاراً هائلا ونال صاحبه ثقة الجمهور لاسيما فيما له تعلق بالدين، فهو فيه إمام الانام، وخادم المقام، ويقرأه العالم والجاهل والمطلع على أحوال العلويين وغير المطلع فيتخذ نشر المنار لها (أي الرسالة) كقضية مسلمة، وحجة ثابتة لزاما على العلويين البريئين مما يجري هناك (بجاوة) بين بعض إخوانهم العلويين والارشاديين من سفاسف الاقوال والافعال

اننا معشر العلويين المقيمين هنا بافريقية الشرقية - اسوة لسائر إخواننا بكل قطر ومصر - ننكر ونستهجن ككل ذي وجدان حي مايبلغنا من حين إلى آخر من التشاجر والتناحر والتنابز بالالقاب، والطعن في الانساب، ومن كل فعل شائن بين الطائفتين بجاوة أو غيرها، كما أننا نبرأ إلى الله ككل ذي عاطفة دينية وغيرة عربية، مما ينشره أصحاب المقاصد والاغراض في جريدة حضرموت أو غيرها من الجرائد في حق الملك ابن السعود من الكلام الذي نرى فيه عدوانا صريحا او تلميحا في حقه

ان كثيراً من ضعفاء النفوس وأرباب الاغراض السافلة ينشرون ويذيعون أخباراً عارية عن الصحة يفهم منها ان العلويين غير راضين عن الملك ابن السعود وسلطانه، وانهم ناقمون عليه ويناصبونه العداء لانه على غير مذهبهم، ومشربه

غير مشربهم ، إلى غير ذلك من لغو القول وهذره ، ليدخلوا على أنفسهم الضعيفة شيئاً من السرور وليحطوا - بظنهم - من قدر العلويين شيئاً وأنى لهم ذلك ؟

أنفق بطانك ياجرير فانما منتك نفسك في الخلاء محالا

والعلويون أجل قدراً من كل مايتوهمه هؤلاء المساعير ، ومابينهم وبين الملك ابن السعود غير السلام والوئام والاحترام ، التي ظهرت آثارها من جانب الملك ابن السعود في حق من وصل إلى مكة من أعيان العلويين وسراتهم ، فقد لقوا من جلالته (أيده الله) فوق مايتوقعونه من الاجلال والاكبار ، حتى انهم رجعوا إلى أوطانهم وألسنتهم رطبة بحمده وشكره والثناء عليه ، لما شاهدوه هناك من صنوف الحفاوة بهم وبغيرهم من الناس ، والعدل والامان ، ووسائل الراحة لسائر الرعية ، أفبعد ذلك يأتي (هماز مشاء بنميم) ويقول عن العلويين غير ماهم متصفين به ؟ (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

ان علماء العلويين وأعيانهم والسواد الاعظم منهم قد رسموا لأنفسهم خطة الحياد في كل أمر من شأنه تكدير العلائق الودية ، وتحريك العواطف الدينية بينهم وبين اخوانهم المسلمين ، وقد عرفوا مسألة المتنازعين بجاوة ، فرأوها مسألة هزلية صرفا أوجدها أصحاب المقاصد والاغراض والمطامع الاشعبية ليصطادوا في الماء العكر فغشوا سذج العوام من الحضارمة فاتبعوهم وهم لايعلمون عن المسألة فتيلا ولا نقيرا

ومن فهم منهم شيئا حببوا اليه الظهور الكاذب ، والفخر المزيف ، فيغتر بهذا ويتوهم انه قد حاز علوم الاولين والآخرين

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا ياسعد تورد الابل

ربما يعترضني معترض ويقول لي : فكيف بك وقد ألزمت نفسك أنت وغيرك من اخوانك في البلدين في هذه المسألة خطة (الحياد) ثم نراك تأتي اليوم وتبعث المسألة من جديد ؟

فأقول له : إن ظهور هاته المسألة هو من نحو عشرين عاما تقريبا ولم أنبس فيها أنا ولا غيري ببنت شفة ، حتى ظهرت لنا رسالة أخينا عبد السميع منصور الجاوي ونشرت في أعز مجلة علينا (المنار) فعظم علينا ذلك وعلمنا ان الحالة

غير مرضية ، وانها قد دخلت في طور جديد بدخول بعض اخواننا الجاويين ، فجئنا بكلمتنا هاته إلى المنار على سبيل الشكاية منه واليه ، والنصح لاخواننا الكرام الجاويين

اننا ننصح لأخينا في الدين عبد السميع منصور، إن كان هناك شخص يدعى بهذا الاسم خصوصا ولاخواننا الجاويين عموما ، فنقول لهم : مالكم والدخول في هاته المسألة المشئومة التي تشتت بسببها شمل الحضارمة هنالك ، وأضحوا شذر مذر ، لا يوقر كبير لكبره ، ولا يرحم صغير لصغره ، في زمن ومحل هم أحوج الخلق فيهما إلى التعاون والتعاضد تبعاً لأوامر دينهم القويم ، ورسولهم الكريم ، ولما تقتضيه الظروف الزمانية ، والمنطق الصحيح لو كانوا يعقلون

أيها الاخوان الكرام : خلوا الحضارمة وشأنهم ماداموا يمثلون هاته المأساة المحزنة والرواية الهزلية ، واسمعوا مانشره عالمهم الاشهر ، وزعيمهم الاكبر ، السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله بجريدة الشورى الغراء بالعدد المؤرخ ١٤ شوال من درر النصائح الغالية التي هي أحرى بالاتباع وأولى أن تكتبوها على صفحات قلوبكم بماء الذهب ، وتضعوها في أعز ماتضعون فيه نفائس أموالكم كذخيرة لاحفادكم

أيها الاخوان الكرام : إن دخولكم في هاته المسألة يزيدها إعضالا وتعقيداً وتتسع دائرة الشقاق بين الفريقين ، وتدخل في طور جديد من التكيف والتلون وبه يجد الغاصب القاعد لكم بالمرصاد مدخلا بين صفوفكم فيثبت قدمه (بأندونسية) الفتية التي تتجاوز اليوم عقبات كأداء لاستقلالها المطلوب ، بلغها الله إياه

أيها الاخوان الكرام : اننا والله لانخاف ضيراً عليكم ولا على وطنكم المحبب الينا واليكم ، مازالت المسألة مقتصرة على من أوجدوها من الحضارمة لانهم أقلية وصوتها غير مسموع ، لكننا نخشى ونخاف دخولكم فيها ، فيتفاقم الامر وتندمون ولات ساعة مندم

ياعبد السميع هاته نصيحتنا لك ولقومك الكرام فان تلقيتموها بالقبول — ومثلكم من يفعل — كنا لكم من الشاكرين الحامدين ، وإن أبيتم قبولها (وهو

مالا نرضاه) ولكن قد يستفيد الظنة المتنصح - فنقول لك ولاخوانك إن عقلاء العلويين وذوي الفضل والسواد الاعظم منهم لاقدرة لهم على النزول إلى الميدان الذي تدعونهم اليه ، لعلمهم ان الغالب فيه أظلم من المغلوب كما جاء في الحديث ، ولعلمهم أيضا أن السب والشتم والمهاترة في الاعراض ، والمشاجرة في الانساب ، هي أسلحة لا يحملها إلا كل وغد جبان ، قد قصر باعه في العلم فضعف مزاجه في الدين ، وخارت عزيمته في العمل ، وانه من سقط المتاع

ياعبد السميع : لو أنه تكلم غيرك من العرب الارشاديين أوغيرهم بما تكلمت به على العلويين في رسالتك لكان الامر في غاية السهولة والبساطة ، ولكان جوابه من كل علوي فاضل السكوت الدال على الاهمال ، لأنه قد سمع منهم ماهو أعظم من ذلك

ياعبد السميع : إن العلويين في شرق الارض وغربها يعيشون مع اخوانهم في الدين والانسانية على اختلاف مشاربهم في سلام ووئام واحترام ، وإخاء اسلامي وانساني في كل شأن من الشؤون الدينية والدنيوية ، وإنهم مازالوا ولن يزالوا إن شاء الله دائرين على الخطة التي رسموها لأنفسهم من خدمة الاسلام والمسلمين ، والقيام بالشعائر الدينية بمعاونة أولي الفضل منهم والسعة ، ونشر الدعوة المحمدية بكل قطر ومصر ، والصبر واحتمال كل مايصل اليهم من أذى ، والمرور على لغو القول وهذره مر الكرام

ياعبد السميع : ان المعتقدات التي ذكرتها برسالتك لو نسبتها اليوم الى زنوج الكنغو (أو اوغنده هنا) لكذبك الحس وشواهد الحال ، فكيف بك وقد نسبتها اليوم - إرضاء لاخوانك الارشاديين وتزلفا لديهم - الى آل الرسول ، وأبناء البتول ، الذين تلقيت انت وأجدادك الكرام رحمهم الله تعاليم دينكم القويم وعقائده الصحيحة عنهم ؟ أفيحسن بك بعد هذا أن تأتي اليوم وتنسب اليهم ماهم برآء منه ومما تعملون ؟

يا عبد السميع : اننا نقول لك ولغيرك من المفترين علينا - غير ما سبب نعلمه ، غير مفتخرين عليكم ولكن نعمة الله نتحدث بها : ان للعلويين الذين بدأت

أنت دون سواك من الجاويين بالحط من شأنهم لهم على سكان أهالي الهند الهولندية وافريقية الشرقية من الفضل ، بقدر مالهم عند الله من الاجر، فان أنكر جاحد او غضب غاضب ،قلنا له :

يا مرسل الريح جنوبا وصبا ان غضبت قيس فزدها غضبا

يا عبد السميع : ان ما ذكرت برسالتك من العقائد الفاسدة ، والخرافات الباردة ، فانه غير ممكن قبوله اليوم ولا بعد اليوم . وقد تنورت العقول وتفتقت الاذهان ، وتفتحت العيون ، وبان الصبح لذي عينين . وان ما أمكن وقوعه في القرن الثاني عشر لايمكن وقوعه اليوم وقد انتشر المنار الاغر في انحاء المعمورة، وتغلغل في خلال الاقطار الاسلامية، فجلا الابصار والبصائر من الاوهام والخرافات

يا عبد السميع :اننا اصبحنا في عصر لانخاف فيه من تعظيم علي او غيره تعظيم ربوبية، فان الناس قد انقلب حالهم الى تفرنج وزندقة وإلحاد ، وسقطت كرامة الصالحين من نفوسهم وتمردوا على الدين وأهله فضلا عن الغلو في الصالحين بل اننا نشكوا اليوم من أقوام بدءوا يهاجمون مقام النبوة ويحطون من قدرها. وغلا آخرون ومالوا إلى التعطيل والالحاد وهذا صاحب المنار أطال الله بقاءه نراه اليوم بمصر يقاسي منهم عرق القربة وقد ثبت لهم في الميدان حتى أرجعهم مدحورين مذءومين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

الشريف صالح خمور العلوي الحضرمي

(المنار) نشرنا هذه الرسالة برمتها بعد اقفالنا اباب هذه المسألة وذيولها لما آنسناه فيها من الاخلاص في النية والاعتدال في الرأي والوقوف على الحقائق الاشدة النكير على عبد السميع الجاوى الذي يشك في وجوده فقد اتهمه بانه يعني بما كتبه جميع العلويين في الدنيا وهذا غير معقول

وقد جاءتنا رسائل أخرى من جاوة وغيرها تؤيد رأي الشيخ عبد السميع فلم ننشر منها شيئا لانها تذكي نار الشقاق ونحن نود اطفاءها ، ويجيئنا رسائل أخرى من جزائر أندونسيا وغيرها يشكو فيها دعاة الاصلاح ومقاومو الخرافات من بعض العلويين المقاومين للاصلاح وانهم يطعنون على المنار لدعوته الى التمسك

بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح واجتناب البدع والخرافات التي يعيشون بها ، وهم الذين يذيعون ان صاحب المنار خصم للعلويين وهم يعلمون انه علوي حسيني الأب حسني الأم ، وجميع أهل السنة والجماعة من العلويين وغيرهم أنصار له ، ويوجد في الشيعة المعتدلين منهم ومن غيرهم من يعترف له بأنه قد سعى أفضل السعي لخير خطة ترفع قدر العلويين ، وتجعلهم الائمة الوارثين ، وزعماء الاسلام في مصالح الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

وقد اتهمنا بعض الخائضين في مسألة التنازع والتخاصم بين العلويين والارشاديين بأننا نصرنا الفريق الثاني وهي تهمة باطلة لا ندري سببها . وقد كنت انا الواضع الاول للكتاب الذي نشرته جمعية الرابطة الشرقية للاصلاح بينهما وان أبغض شيء الينا بعد الكفر والنفاق في الدين جريمة التنازع والتفرق بين المسلمين ،

وقد عزز صاحب الرسالة ما كتبه فيها بكتاب خاص لنا فيه فوائد عن مسلمي اوغندة يسر بعضها ويسوء بعض

ومما قاله في كتابه بعد تأكيد الرجاء علينا بنشر الرسالة لاسباب ثلاثة تعلم من غضونها الاستطراد الآتي :

﴿ استطراد الى صاحب الفضيلة ﴾

حالة العرب والهنود من المسلمين غير مرضية هنا ولاسيما من الجهة الدينية . الاسباب ليس هنا محل شرحها ولكن مما يبعث على الارتياح الكثير حالة الاهالي فانهم والحق يقال راغبون كثيرا في الدخول الى دين الاسلام ، وقد كفونا مؤنة التبشير إذ قام بعضهم يدعو البعض الآخر الى الدخول في دين الاسلام

والمبشرون (بالنصرانية) بهذا القطر كل يوم في ازدياد وناهيك بنفوذ سلطانهم وكثرة أموالهم الواردة عليهم من كل الجهات غير انهم مع كثرتهم وقوة شكيمتهم ما فازوا باكثر مما فاز به الاسلام ، بل انه قد فاقهم في كثير من المواضع لاسيما الاماكن التي يقطنها العرب ، فالأسلام في انتشار عظيم فيها كمثل (كمبلا) عاصمة الأوغندة (وجنجة) وميالة ونواحيهن .

وقد بدأت الكراهة تظهر من الاهالي للأوربيين لاسباب كثيرة ، أهمها

انهم أي الاهالي فهموا روح الدين الحق وأحسوا بكابوس الظلم الملقي عليهم من المستعمرين وهو مما يستفيد منه المسلمون .

وهنا نطلب من فضيلتكم ارسال ثلاث نسخ من كتابكم اللطيف الذي صنفتموه وغاب عن ذهني الآن اسمه (لاني بمحل غير الذي أنا مقيم فيه) في حقيقة الدين الاسلامي وتعاليمه وهو كما ذكرتم في الاعلان عنه مختصر ومفيد (يعني خلاصة السيرة المحمدية ...) وهذا الكتاب قصدنا أن نترجمه الى اللغة السواحلية لانها هي المنتشرة هنا ونكتبه بحروف افرنجية لان الكتابة العربية غير منتشرة ولا يعرفها من الاهالي غير آحاد لا يعتد بهم ، والفائدة من ترجمته بالسواحلية وكتابته بالاحرف الافرنجية هو اطلاع الاهالي المسيحيين على حقيقة روح الاسلام وتعاليمه لان المبشرين هنا لا همَّ لهم إلا الحط من شأن هذا الدين الكريم وتشويه سمعته في نظر الاهالي ، واذا جاء هذا الكتاب وترجم الى اللغة السواحلية وكتب بحروف افرنجية واطلع عليه الاهالي فلاشك انه يكون هنا نكبة كبرى على المبشرين، وسوف ينكشفون وينكشف عوارهم وينهزمون شر هزيمة، لان الاهالي هنا خالية أنفسهم من التعصب ومتسامحين بعضهم مع بعض من جهة الديانة ، ويرون ان كل شخص منهم حتى الطفل له الحرية التامة في اختيار أي دين كان ، وقد تجد الاسرة المؤلفة من اشخاص مثل الاب وأولاده مثلا مختلفي الدين فتجده هو على دين أجداده ، وأولاده منهم مسلم، ومنهم مسيحي، والمسيحيون هنا ينقسمون الى قسمين : بروتستانت و كاثوليك ، وهكذا تجدهم لا يعيرون احداً ولا يعتبونه . نعم المسلمة هنا لا تتزوج المسيحي ، وفي وقت الاعياد تجد كلا منهم يحتفل بعيد الثاني وخصوصاً اعياد المسلمين ، فيجتمع يوم العيد جمع غفير هناك ويدخل في الاسلام عدد كثير (أي في يوم العيد)

لهذا نرجو من ترجمة الكتاب وطبعه فائدة تذكر ان شاء الله ، والباري يحرسكم ، والسلام على المنار وصاحبه وأهل إدارته

من المخلص

صالح زيد بكخمور العلوي الحضرمي

بيان عن سياسة الابادة والاستئصال

التي اتبعتها ايطاليا في طرابلس الغرب

(ألقي في اجتماع عظيم في نادي جمعية الشبان المسلمين ووقع عليه أهل الرأي والمكانة في مصر ليرسل الى جمعية الامم ويذاع في العالم الاسلامي):

لقد شهدت مصر مشهداً لا تستطيع الانسانية أن تعرض عنه متجاهلة ماانطوى عليه من الآلام، وذلك أن مئات من بني الانسان - بين رجال ونساء وأطفال وشيوخ - اضطروا تحت ضغط الجور الى أن يتركوا أوطانهم تخلصاً من الظلم، وأن يهيموا على وجوههم في القفار، ولولا مروءة مأمور الواحات المصري الذي خرج هو ورجاله للبحث عنهم حتى لقيهم وأنقذهم لهلكوا عطشا وجوعا أولئك هم فريق من اخواننا الطرابلسيين الذين خرجوا من قسوة الحكم الايطالي الذي لا يطاق

ولم تكد أعيننا تكفكف الدموع على هذا المشهد الذي شهدته على اليابسة حتى حملت الينا أمواج البحر في السلوم مشهداً آخر أفظع من هذا وأشنع، فرمى البحر الى هذا الساحل المصري أربع عشرة جثة من جثث هؤلاء الطرابلسيين مغلولة في سلسلة واحدة

ثم توالت الاخبار بأن زاوية الكفرة المنقطع أهلها للعبادة قد أمطرتها طيارات الايطاليين بالقنابل وفتكت بأهلها فتكا ذريعا، وبعد ذلك هاجمها الجيش وكاد يأتي على البقية الباقية من أهلها ولم يتعفف عن هتك الاعراض وسلب الاموال وبقر بطون الحوامل، وقد قتل من أهل الكفرة في هذه النازلة كثيرون منهم الشيخ أبو شنة وابن أخيه الشيخ عمر والشيخ حامد الهامة والشيخ عبد السلام أبو سريويل والشيخ محمد المنشوف وابن أخيه علي بن حسين والشيخ محمد العربي والشيخ محمد أبو سجادة والشيخ احمد الفاندى الجلولي والشيخ خليفة الدلاية

ولما ذهب كبار شيوخ زاوية الكفرة الى القائد الكبير يرجونه وضع حد لهذه المذابح أمر بذبحهم فذبحوا أمامه كما تذبح الشياه

ومن الفظائع التي ارتكبها الايطاليون في برقة، ونقلها الرواة الصادقون انهم وضعوا أحد مشايخ عائلة الفوائد المدعو الشيخ سعد وخمسة عشر شخصاً من العرب في الطيارات وارتفعوا بهم عن سطح الارض ثم جعلوا يلقونهم واحداً بعد الآخر ليموتوا موتة لم يسبق لها مثيل

ومن الفظائع التي ارتكبوها في الجبل الاخضر اخراج أهله منه وهم لا يقل عددهم عن ثمانين ألف عربي الى بادية سرت القاحلة، ثم أذاعوا بواسطة قنصلياتهم في بلاد الارجنتين أن حكومة طرابلس وبرقة تعطي الاراضي الخصبة فيهما لكل ايطالي يريد النقلة اليهما، وبلغت مساحة الاراضي التي أخذت غصباً نحو من مائتي ألف هكتار ولا تزال الحكومة الايطالية تحث الايطاليين على استعمار هذه الاراضي

وقبل انتزاع أراضي الجبل الاخضر من اهله في هذه السنة انتزعت في سنة ١٩٢٤ مامساحته ٤٢٠ ألف هكتار بدون مقابل، وفي بعض الاحيان كان المقابل عن المائة هكتار ستة آلاف فرنك ايطالي - أى خمسين جنيهاً تقريبا

وقد خرج أهالي الجبل الاخضر عند انجلائهم منه وهم لا يملكون مايقتاتون به فرتبوا لكل عائلة فرنكين في اليوم وهم الآن يعيشون بهذا المرتب عيشة بؤس تفتت الاكباد، وفي أثناء نقلهم الى صحراء سرت كان كلما عجز واحد منهم عن مواصلة المشي يرمى بالرصاص

وفضلا عن كل ذلك فقد جمع الايطاليون الاطفال الوطنيين من سن ٣ إلى سن ١٤ وأخذوهم من أهلهم وأرسلوهم الى إيطاليا بزعم تعليمهم فيها وجمعوا الشبان من سن ١٥ إلى ٤٠ وألحقوهم بالجيش واستخدموهم في محاربة أهلهم وبلادهم

وبلغ الاستهتار بالشعور الاسلامي مبلغا عظيما من ارساليات التبشير المنبثة الآن بين الاهالي ومن صدور الاوامر المشددة على الخطباء في الجوامع بالدعاء لملك إيطاليا على المنابر

وقد حدث مراراً أن الحكومة تعلن العفو والامان، فاذا وقع المعفو عنهم في قبضتها غدرت بهم. وممن ذهبوا ضحية هذا الغدر من رؤساء القبائل: خليفة ابن عسكر والشيخ عبيدة الصرماني وأحمد الباشا وابراهيم بن عباد والهادى كعبار

وابنه محمد كعبار والشيخ أحمد الحجاوي والشيخ علي الشويخ والشيخ عبدالسلام ابن عامر والشيخ محمد التريكي والشيخ شرف الدين العامي والشيخ أحمد بن حسن ابن المنتصر والشيخ عمر العوزاني والشيخ محمد عبد العال ، ومن الضحايا الذين لايعرف لهم ذنب: الشيخ صالح العوامي وهو شيخ يبلغ التسعين عاما من أهل العلم والصلاح قبضت عليه ايطاليا سنة ١٩٢٣ وزجته في سجن بنغازي إلى أن مات فدفن بمحل مجهول

فأرواح هؤلاء الضحايا تصيح بالانسانية جميعها وبجمعية الامم بنوع خاص أن هلمي إلى انقاذ البقية الباقية من أبناء الانسانية المعذبة في هذه الربوع من سياسة الفتك والاستئصال والابادة التي تتبعها إيطاليا في طرابلس المنكودة

وأن العالم الاسلامي يعتبر ماوقع ويقع في طرابلس الغرب عدوانا مباشراً على كل مسلم مهما كان جنسه ووطنه ، وسيبقى عار هذه الاعمال لاصقا بالانسانية كلها حتى تهب الهيئات الرسمية — وفي مقدمتها عصبة الامم — لاجراء تحقيق دولي حر دقيق في نفس بلاد برقة وطرابلس عن كل ماجرى فيها واعلان نتيجته كما تقتضيه العدالة والحق

والموقعون على هذا يطلبون من جمعية الامم اجراء هذا التحقيق تنزيهاً للانسانية عن لحوق هذا العار بها الى الابد ويرجون بالحاح أن يكون لهم مندوب يختارونه مع لجنة التحقيق ، وهم ينتظرون ما تقرره العصبة في هذا الشأن بفارغ الصبر

التوقيعات

محمد أبو الوفا
الشرقاوي

خليل الخالدي
رئيس الاستئناف الشرعي بفلسطين

محمد رشيد رضا
منشيء مجلة المنار الاسلامية

محمد عبد اللطيف دراز
من العلماء وعضو مجلس ادارة جمعية الشبان بالقاهرة

محمد عبد الرحمن قراعة
من العلماء ومدرس بالازهر الشريف

عبد الوهاب النجار
وكيل جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة

محمد كامل القصاب

محمد تقي الدين الهلالي
الاستاذ الاول للاداب العربية بندوة العلماء بالهند

علي سرور الزنكلوني
المدرس بقسم التخصص بالازهر

الامير عمر طوسن — فؤاد سليم الحجازي سفير الدولة العثمانية بسويسرا سابقاً — علي جلال المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً

عبد الحميد سعيد الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين — حسين شيرين رئيس جمعية الشبان المسلمين بالاسكندرية — عبد العزيز صدقي وكيل مديرية سابقاً

حافظ موسى الكلحي عضو مجلس النواب سابقاً — محمود السيد محام وعضو مجلس النواب سابقاً — مصطفى الشربجي محام وعضو مجلس النواب سابقاً

الدكتور يحيى أحمد الدرديري المراقب العام لجمعية الشبان المسلمين — محمود علي فضلي عضو مجلس ادارة الشبان سابقاً — طنطاوي جوهر مدرس سابقاً ومؤلف

أحمد حافظ عوض صاحب جريدة كوكب الشرق — محب الدين الخطيب منشئ مجلة الزهراء وصحيفة الفتح — محمد أحمد الغمراوى كاتم سر جمعية الشبان بالقاهرة

محمد الناغي عضو ادارة الشبان المسلمين — ابراهيم اطفيش الجزائري صاحب مجلة المنهاج — محمد أحمد الحناوي محرر بجريدة الفلاح المصري

الدكتور محمد علي من أطباء مديرية الغربية — الدكتور نصر فريد من أطباء القاهرة — الدكتور عبد اللطيف فاضل من أطباء القاهرة

الدكتور حسن أبو السعود من أطباء القاهرة — محمد أحمد الفقي من العلماء — محمود شلتوت من علماء الازهر — عبد ربه مفتاح من علماء الاسلام

محمد الهيهاوى صحفي — أحمد مختار مهندس — أحمد عبد الحميد مهندس — محمد عثمان مهندس

عبد العزيز عثمان مهندس — محمد رفعت مهندس — عبد الرزاق البيلي مهندس

(ويلي هذا مئات من الامضاءات في مصر وفي اقطار أخرى نشرتها كلها مجلة الشبان المسلمين في القاهرة)

الشريف الحسين ملك الحجاز السابق

وفاته — والعبرة من ترجمته

في يوم الخميس الثامن أو التاسع عشر من المحرم توفي الشريف حسين بن علي آخر من تولى إمارة مكة للدولة العثمانية وأول من سمي ملك الحجاز بعد الانقلاب العام الذي أحدثه حرب المدنية الكبرى . توفي في عمان فنقل منها إلى القدس ودفن في جوار المسجد الاقصى بالقرب من مدفن محمد علي الزعيم الهندي وقد احتفل بدفنه احتفال عظيم اشتركت فيه الحكومة الانكليزية رسمياً . فنعزي أنجاله أصحاب الجلالة والسمو ونسأل الله تعالى له المغفرة والرحمة التي وسعت كل شيء

كان الملك حسين ذا مواهب فطرية ووراثية عظيمة، صار بها من رجال التاريخ العام وتاريخ العرب الخص . كان شجاعا حازما قوي الارادة ، ماضي العزيمة ، كبير الهمة، نزيه النفس، شديد البأس، عفيفا عن الشهوات، عزوفا عن الدنايا، محافظا على الفرائض الدينية ، أديب المجلس ، حسن الحديث ، على عظمة وكبرياء، وشمم وإباء ، ولكن معارفه الدينية والمدنية ضيقة النطاق، مبنية على تقليد المقلدين من الآباء والعشراء، وخبرته ضعيفة مستمدة من أهل الملق والرياء في مكة ، وأولي التقية والعبودية الحميدية في الاستانة ، فلهذا لم يكن ينال الزلفى عنده إلا المراءون المخادعون ، وكان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعجاب برأيه ، والثقة بعلمه ، والظنة والريبة في كل من يتصل به ، والاصرار على رأيه ، وان فرض انه ظهر له خطؤه فيه حتى كان بعض خاصته يقول : لولا عناد سيدنا لكان كل ما ينتقد عليه سواه هيناً لا يخشى ضرره، ولم يكن أحد من عماله ولا من أولاده يتجرأ على النطق امامه بما يخالف رأيه — وهذا خلق يقطع على المتخلق به طرق العلم والاستفادة التي لا يستغني عنها بشر مهما تكن درجة عقله ، وسعة علمه ودقة خبره ، وقد قال الله تعالى لرسوله خاتم النبيين وسيد ولد آدم (وقل رب زدني علماً) وقال الامام الشافعي :

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددت علما زادني علماً بجهلي

وان في هذين البيتين لحكمة لا يسمو اليها الا أرقى الناس عقلا وأوسعهم علماً

وكان رحمه الله تعالى يكره دولة الترك ويتألم من سيادتهم على الحجاز، والظاهر ان بعض رجالهم في الاستانة كانوا يشعرون بذلك منه ويحسبون كل حساب لامارته على الحجاز في عهد الدستور، وفي هذا دليل على انه أعز من غيره من شرفاء مكة نفساً، وأعلى همة وأبعد مرمى، وكان نجله الشريف عبدالله أشد منه بغضاً للترك وميلا للاستعداد للخروج عليهم ونبذ سلطانهم، ولكن نجله الشريف فيصلا كان الى الترك أميل، وعلى الاتفاق معهم أحرص، كما أخبرني بذلك في بيروت والشام بعد الحرب

ولما أسسنا جمعية الجامعة العربية كاشفت بخبرها الشريف عبدالله في نزالته لدى الخديو من قصر عابدين وكان عائداً من الاستانة الى مكة هو وأخوه الشريف فيصل، ولم أقابل فيصلا ثم، وقد نظمت عبدالله في سلك الجمعية وحلفته يمينها الغموس لخلفه، وأخبرني أنه موفد لاقناع والده بقتال السيد الادريسي لاستقلاله في العسير دون الدولة انتصاراً لها، فقلت له: إياكم تسفكوا دماء العرب بسيوف العرب... فوعدني بأن سيبلغ والده ما أمر به ويجتهد في إقناعه بأن لا يقاتل الادريسي، وأن يعني بالاتفاق معه ولو في الباطن تمهيداً للحلف العربي الذي هو أس جمعية الجامعة العربية

ولكن والده قاتل السيد الادريسي بغضاً فيه وطمعاً في ضم بلاده الى الحجاز لا حبا في الترك وانتصاراً لهم، فقهره الادريسي ورده خائبا منكسراً

ولما اشتعلت نار الحرب الكبرى وانضمت الدولة العثمانية فيها الى الحلف الالماني كان من سياسة الانكليز فيها ان يستميلوا الامة العربية إلى الانضواء اليهم وإلى حلفهم، والخروج على الدولة العثمانية ووعدوهم بأن يكون جزاؤهم على ذلك: الاستقلال وتأسيس دولة عربية جديدة تحيي حضارة العرب الزاهية، ولعلي قد كنت أول من أرادوا أن يستخدموه ببث الدعاية لهم في جزيرة العرب وفي الولايات العربية العثمانية، وكلفوني إرسال مندوبين من قبلي الى أمراء الجزيرة وجمعيات العرب السياسية في الولايات بذلك

ولما كنت اعلم من سياسة الانكليز انهم كالسيل يقذف جلموداً بجلمود، ويقاتلون الامم والشعوب بعضها ببعض ثم يستأثرون هم بالغنيمة، اشترطت عليهم أن تقرر دولتهم بالاتفاق مع حلفائهم الاعتراف باستقلال الامة العربية في جميع

بلادها معرفة بحدودها الطبيعية — استقلالا مطلقا من كل شرط وقيد الخ ولم تفده المراجعات بيني وبين رجالهم هنا في ذلك الا وقد أيقنت انهم مخادعون، وانهم إذا انتصروا جعلوا البلاد العربية غنيمة لهم ولحليفتهم فرنسة، ولهذه المناقشات قصة طويلة وفيها وثائق مكتوبة ليس هذا محل بيانها

كنت قررت أن ارسل أخي المرحوم السيد صالح إلى الحجاز للكلام مع الشريف حسين في هذه المسألة وقرر الانكليز أن يرسلوه من طريق السودان فحالت العوائق دون إرساله حتى زال من انفسهم ما كانوا يرجونه مني، ووجدوا واسطة أخرى لمخاطبته وإقناعه بالخروج على الدولة العثمانية، وإعلان الانضمام اليهم، وكانت فظائع جمال باشا السفاح التركي في سورية قد أيأست أهلها من إمكان البقاء تحت سيادة الترك وبثوا شكواهم إلى الشريف حسين وأظهروا له ميلهم إلى الخروج على الدولة، فأعلن الثورة العربية ولكنه لم يطلع أحداً من حاشيته ولا من بطانته ولا من أولاده على الاساس الذي بناها عليه بالاتفاق مع الذين أغروه بها من الانكليز لانه لا يثق بأحد

لا ينكر عاقل أن الاحتراس والحذر والكتمان من أركان السياسة، كما لا يخفى على عاقل أن من لا يثق بأحد لا يمكنه أن يقوم بعمل عظيم ولا سيما الاعمال السياسية والانقلابات القومية، وتأسيس الدول والممالك - وان شدة الحذر تفضي إلى التردي في شر مما يخافه الحذر من ناحية ضعف الثقة بالعاملين، فانه يضطر إلى الاعتماد في أعماله على صغار النفوس المتملقين الذين يرضون أن يكونوا كالآلات المعدنية والادوات الخشبية في يده لاجل منافعهم الشخصية منه أو من الاجانب الذين يدسون له من جواسيسهم من يوافقونه على هواه في كل شيء لينقلوا لهم عنه كل ما يعلمون من أعماله وأحواله

وإن أغرب ما أنكرناه من أموره المتناقضة انه على عدم ثقته بأحد من أمته ولا من اولاده قد وضع ثقته كلها في الانكليز المشهورين في العالم كله بالخداع والمكر والعبث بالرجال العظماء وبالدول والامم - وثق بهم ثقة عمياء صماء بكماء ورهاء بلهاء، معتقداً انهم أعلى البشر أو فوق البشر في الصدق والوفاء، بل كان يعتقد انهم سيمنحونه كل ما يؤمله ويتمناه، لا ما وعدوه به خداعا وتغريراً ولا ما اقترحه عليهم مما سماه مقررات النهضة فقط

(للترجمة بقية)

نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

المنار

أنشئ ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

صفر سنة ١٣٥٠ هـ برج السرطان سنة ١٣١٠ هـ ش يوليه سنة ١٩٣١

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

(١٢٨) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

ختم الله تعالى هذه السورة بهاتين الآيتين اللتين قال أبي بن كعب (رض) انهما آخر مانزل وبينا في الكلام على السورة قبل الشروع في تفسيرها مايعارضه وسنحقق المسألة بعد الفراغ من تفسير الآيتين

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ جمهور المفسرين على ان الخطاب هنا

للعرب فهو في معنى قوله (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) فالمنة به (ص) على قومه أعظم ، والحجة عليهم به وبكتابه أنهض ، وأخص قومه به قبيلته قريش فعشيرته الاقربون بنو هاشم وبنو المطلب ، ولو لم يؤمن به وبكتابه العرب لما آمن العجم ، وهو مبعوث إلى جميع الناس كما تقدم في قوله (٧: ٥٨ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) ولكنه وجه دعوته الى الاقرب فالاقرب على القاعدة التي بيناها آنفا في قتال الاقرب فالاقرب ، فالعرب آمنوا بدعوته مباشرة والعجم آمنوا بدعوة العرب ، العرب آمنوا بفهم القرآن وبيانه ﷺ له بالتبليغ والعمل ، وبما شاهدوا من آيات الله تعالى في شخصه ، والعجم آمنوا بدعوة العرب وما شاهدوا من عدلهم وفضائلهم ، ثم بدعوة بعضهم لبعض بعد انتشار الاسلام فيهم ،

وقال الزجاج: ان الخطاب للعالم كله لعموم بعثته فيكون بمعنى ما يأتي في أول السورة التالية (أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم) الخ ولكن آية اول سورة يونس هذه في الرد على منكري كون البشر رسولا من الله وهو المحكي عن جميع كفار الامم ، وآية آخر سورة براءة في امتنان الله عز وجل على من أرسل اليهم الرسول من أنفسهم وصميم قومهم ، لتأييد الحجة بالمنة ، والترغيب في اجابة الدعوة ، فان من طبع كل قوم حب الاختصاص بالفضل والشرف على غيرهم ، كما قال تعالى في امتنانه عليه بالقرآن المجيد (وانه لذكر لك ولقومك) أي شرف لك ولهم تذكرون به في العالم ويدوّن لكم في التواريخ ، وانما قاومه وعانده أكابر قومه حتى من بني هاشم انفة واستكباراً عن اتباعه وهم يرونه دونهم ، ولما يتضمن اتباعه من الاقرار بكفرهم وكفر آبائهم وأجدادهم الذين يفاخرون بهم ، مع عدم ثقتهم بفوزه وبأنهم ينالون باتباعه من مجد الدنيا فوق ما كانوا عليه بمسافات تطاول السماء رفعة وشرفا. دع ماهو فوق مجد الدنيا من سعادة الآخرة ، ثم انهم صاروا يفتخرون بكونه صلى الله عليه وسلم منهم ، بأكثر مما يبيحه دينه لهم ، حتى صار أقربهم يتكل على نسبه فيقصر في العلم والعمل ، وقد أكد تعالى هذه المنة الخاصة بوصفه هذا

الرسول بقوله ﴿ عزيز عليه ما عنتم ﴾ الخ العنت المشقة ولقاء المكروه الشديد وقيده الراغب بما يخاف منه الهلاك ، وعز على فلان الأمر: ثقل واشتد عليه ، وقالوا هو

كناية عن الأنفة عنه ، وما مصدرية ـ أي شديد على طبعه وشعوره القومي عنتكم لأنه منكم ، وهذا يشمل مايكون في الدنيا وما يكون في الآخرة، فلايهون عليه أن يكونوا في دنياهم أمة ضعيفة ذليلة يعنتها أعداؤها بسيادتهم عليها وتحكمهم فيها، ولا أن يكونوا في الآخرة من أصحاب النار ﴿ حريص عليكم ﴾ الحرص شدة الرغبة في الحصول على المفقود ، وشدة العناية بحفظ الموجود ، وكان (ص) حريصاً على اهتداء قومه به بإيمان كافرهم وثبات مؤمنهم في دينه كما قال تعالى له (١٦: ٣٧ إن تحرص على هداهم) الآية ، وقال (١٢: ١٠٣ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ أي شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين فكل مايدعوهم اليه من العمل بشرائع الله تعالى فهو دليل على هذه الصفات الكاملة والعواطف السامية له صلى الله عليه وسلم بنص الله تعالى وهو أرحم بالمؤمنين وأرأف ، وكل شاق منها كالجهاد فهو منجاة مما هو أشق منه ، ولا شيء من الشاق منها ببالغ حد العنت ، للقطع في هذا الدين بنفي العسر والحرج .

وصف الله تعالى رسوله بصفتين من صفاته العلى ، وسماه باسمين من أسمائه الحسنى ، بعد وصفه بوصفين هما أفضل نعوت الرؤساء والزعماء المدبرين لأمور الامم بالحق والعدل والفضل ، وفي الصحاح والقاموس ان الرأفة أشد الرحمة . وجعلهما بعض اللغويين والمفسرين بمعنى واحد . وقال بعضهم ان الرأفة أخص لاتكاد تقع في الكراهية ، والرحمة قد تقع في الكراهية للمصلحة ، واختار الرازي انها مبالغة في رحمة مخصوصة من دفع المكروه وإزالة الضرر . وقال أستاذنا انها لا تستعمل إلا في حق من وقع في بلاء ، اختياراً لقول الرازي (ص ١٢ ج ٢ تفسير) وأصح منه انها تستعمل في مكان الضعف والشفقة والرقة كقولهم رأف بولده وترأف به . وتقديمه على الرحيم هو الواجب كأنه قال رءوف بضعفاء المؤمنين وأولي القربى منهم ، ورحيم بهم كلهم وتخصيص رأفته ورحمته (ص) بالمؤمنين ، في مقابلة ما أمر به من الغلظة على الكفار والمنافقين ، لايعارض كون رسالته رحمة للعالمين ، كما هو ظاهر ، فان هذه الرحمة مبذولة لجميع الامم لعموم بعثته (ص) ولكن منهم من قبلها ومنهم من ردها ، وقد بينا في تفسير (واغلظ عليهم) انه انما أمر بذلك صلوات الله تعالى عليه

لان الغالب على طبعه الشريف الرقة والرحمة والادب في المقابلة والمعاشرة . وقد قال تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

وفي التفسير المأثور عن ابن عباس (رض) في الآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي (ص) مضريها وربيعيها ويمانيها . يعني ان نسبه متشعب في جميع قبائل العرب وبطونها . وعنه في (عزيز عليه ماعنتم) قال شديد عليه ماشق عليكم (حريص عليكم) أن يؤمن كفاركم .

ومن القراءة الشاذة في الآية قراءة (أنفسكم) بفتح الفاء من النفاسة رواها ابن مردويه من حديث علي مرفوعا وقرأ بها ابن عباس والزهري وابن محيصن ورويت عن الامام جعفر الصادق عن ابيه الامام محمد الباقر ، وهي خبر واحد لا يثبت بها القرآن ، وفيها ان المعهود في فصيح الكلام ان النفيس والانفس مما يوصف به الاشياء لا الاشخاص

﴿ فان تولوا فقل حسبي الله ﴾ هذا التفات عن خطاب أمة الرسول او قومه الذين امتن الله تعالى عليهم بمجيئه رسولا اليهم من انفسهم وبفضائله العائدة عليهم ، إلى خطابه ﷺ وبيان مايجب عليه في حال إعراضهم عن الاهتداء والانتفاع بما خاطبهم به ربهم في شأنه . يقول : فان تولوا وانصرفوا عن الايمان بك والاهتداء بما جئتهم به ، فقل حسبي الله أي هو محسبي الذي يكفيني أمر توليهم وإعراضهم ، وما يعقبه من عداوتهم لي وصدهم عن سبيله وقد بلغت وما قصرت ﴿ لا إله الا هو ﴾ أي لا معبود غيره ألجأ اليه بالدعاء والاستعانة كما يلجئون إلى آلهتهم المنتحلة ﴿ عليه توكلت ﴾ وحده ، فلا أكل أمري فيما اعجز عنه إلى غيره ، وكيف لا اخصه بالتوكل ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ الذي هو مركز تدبير أمور الخلق كلها كما قال الآية الثالثة من السورة التالية (ثم استوى على العرش يدبر الامر) قرأ جمهور القراء العظيم بالخفض على انه صفة للعرش . وقرىء بالرفع على انه صفة لرب ، ورويت هذه القراءة عن ابن كثير . وعظمة العرش بعظمة الرب الذي استوى عليه ، وعظمة الملك الكبير الذي هو مركز تدبيره ووحدة النظام فيه ،

وعظمتهما في الملأ الأعلى وفيما دونه هي المظهر الوجودي لعظمة هذا الرب التي لا تحد، ولا يدرك كنهها احد، ودليل على انه الاله الحق الذي لا يصح أن يعبد غيره ولا يتوكل على سواه، وكيف يعبد غيره بالدعاء أو غيره أو يتوكل على سواه من يعلم انه هو الرب المالك للعالم كله والمدبر لاموره. ويراجع هنا تفسير (٨: ٦٤ يا أيها النبي حسبك الله) [في ص٧٤ ج١٠] وفسر بعضهم العرش هنا بالملك (بالضم) لانه يطلق عليه تجوزا، وهو خطأ منهم لان هذا التجوز لا مسوغ له، ولا يصح في كل الآيات التي ورد فيها اللفظ، والمعنى الحقيقي أبلغ منه وأعم، فانه يدل على المعنى المجازي وزيادة إذ ليس لكل ملك في الارض عرش حقيقي هو المركز الوحيد لتدبير كل شيء فيه. فالعرش العظيم يدل على الملك العظيم وعلى وحدة النظام والتدبير فيه، ولفظ: الملك العظيم لا يدل على هذا، لاحتمال وجود الخلل فيه وكون تدبيره ليس له مرجع وحدة تكفل النظام، وتمنع الخلل والفساد، أنظار المتكلمين ومفسروهم يتأولون العرش والاستواء عليه فراراً من التشبيه الذي يستلزمه بزعمهم المبني على قياس عالم الغيب على عالم الشهادة، وقياس الخالق على المخلوق، وهو قياس باطل باجماعهم، وقال ابن عباس سمي العرش عرشا لارتفاعه، وفي الدر المنثور روايات في وصف العرش ومادته هي من الاسرائيليات لا يصح فيها شيء مرفوع.

ونختم تفسير الآيتين بتحقيق مسألتين ذكرنا في تفسيرهما المأثور ولم نر احدا حققهما:

﴿ الاولى ماورد في كتابة الآيتين عن النبي صلى الله عليه وسلم وكونهما آخر مانزل ﴾

إن معنى هاتين الآيتين لا يظهر إلا في دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاسلام بمكة في أول زمن البعثة. وقد ذكرت في الكلام على هذه السورة قبل البدء بتفسيرها ان ابن أبي الفرس قال انهما مكيتان، وأنه يرد قوله ماورد من انهما آخر مانزل من القرآن، ثم ذكرت هنالك أصح ماورد في آخر مانزل من القرآن وهو غير هاتين الآيتين.

وأقول الآن إن قول ابن الفرس هو الوجيه من جانب المعنى فهو يؤيد الرواية. وأما القول بأنهما آخر ما نزل فقد أخرج في بعض المسانيد والتفاسير المأثورة عن

أبي بن كعب بألفاظ متقاربة (منها) عن ابن عباس عنه : ان آخر آية أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان آخر ما انزل من القرآن (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الخ الآية (ومنها) عن الحسن عنه انه كان يقول : إن احدث القرآن عهداً بالله - وفي لفظ بالسماء - هاتان الآيتان (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الخ السورة (ومنها) من طريق أبي العالية عنه انهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر فكان رجال يكتبون ويملُّ عليهم أبي بن كعب حتى انتهوا الى هذه الآية من سورة براءة (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم انهم قوم لا يفقهون) فظنوا ان هذا آخر ما نزل من القرآن فقال أبي بن كعب ان النبي ﷺ قد أقرأني بعدهذا آيتين (لقد جاءكم - الى - رب العرش العظيم) قال فختم الامر بما فتح به: بلا إله الا الله . اه وهو صريح في انهما آخر ما نزل من هذه السورة، لا من القرآن مطلقا الا اذا صح أن سورة براءة آخر سورة نزلت والصحيح في الرواية أن ما نزل من السور سورة النصر ومن الآيات (٢: ٢٨١ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) كما تقدم في محله

وفي حديث زيد بن ثابت في جمع القرآن المكتوب الذي كان متفرقا في عهد أبي بكر عند ابن سعد وأحمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم - انه قال : حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت الانصاري لم أجدهما مع احد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الى آخرهما اه والمراد انه لم يجدهما مكتوبتين عند ما جمع المكتوب في الرقاع والاكتاف والعسب في هذه السورة إلا عند خزيمة ، وفي رواية في البخاري وغيره عند ابي خزيمة وهي أرجح كما سيأتي ، الا ان تكونا وجدتا عند كل منهما - وكانتا محفوظتين معروفتين للكثيرين كما صرح به في الروايات الأخرى. فقد أخرج ابن اسحاق واحمد وابن أبي داود في المصاحف عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال :أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة (لقد جاءكم رسول - الى قوله - وهو رب العظيم) الى عمر فقال من معك على هذا ؟ فقال : لا أدري والله الا اني اشهد لسمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما وحفظتهما ،فقال عمر وأنا اشهد لسمعتهما من رسول الله ﷺ لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا سورة من القرآن فألحقوها بها ، فألحقت

في آخر براءة . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ ان رجلا من الانصار جاء بهما عمر فقال عمر لا أسألك عليها بينة ابداً كذلك كان رسول الله ﷺ يقرأها

وأخرج ابن ابي داود في المصاحف ان خزيمة بن ثابت جاء عثمان حين تصدى لكتابة القرآن بعد مقتل عمر فقال اني رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما ، فقالوا ما هما ؟ قال تلقيت من رسول الله ﷺ (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) الخ السورة . فقال عثمان : وأنا أشهد انهما من عند الله فأين ترى ان نجعلهما؟ قال اختم بهما آخر ما نزلت من القرآن فختمت بهما براءة

فيؤخذ من مجموع الروايات ان الآيتين كانتا محفوظتين مشهورتين الا انهم اختلفوا في موضعهما ، ففي بعضها انهما آخر سورة براءة بالتوقيف من النبي ﷺ ، وفي بعضها انهما وضعتا بالرأي والاجتهاد ، والمعتمد الاول قطعا لان من حفظ التوقيف حجة على من لم يحفظ . والظاهر ان سبب الاختلاف في موضعهما ان موضوعهما يدل على انهما مكيتان ، ولم تصح لجماعة جامعي المصحف رواية بجعلهما في أحد السور المكية ولكن وجدتا عند أبي خزيمة مكتوبتين في آخر براءة . وان زيد بن ثابت كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ وهو الذي امره أبو بكر بجمع القرآن مع آخرين وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون . وفي الصحيح ان زيداً قال : فوجدت آخر براءة مع خزيمة بن ثابت او ابي خزيمة . بالشك وهو من الراوي لا من زيد، وفي رواية عنه مع خزيمة. والتحقيق الذي قرره الحافظ ابن حجر ان آخر التوبة وجد عند ابي خزيمة، وأما الذي وجد مع خزيمة فهو آية الاحزاب. وذلك مارواه البخاري في تفسير سورتها عن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها لم اجدها مع احد الا مع خزيمة الانصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين من المؤمنين (رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) قال الحافظ في شرحه : هذا يدل على أن زيداً لم يكن يعتمد في جمع القرآن على علمه ولا يقتصر على حفظه . لكن فيه إشكال لان ظاهره انه اكتفى مع ذلك بخزيمة وحده والقرآن انما يثبت بالتواتر . والذي يظهر في الجواب ان الذي اشار اليه انه فقده فقد وجودها

مكتوبة لا فقد وجودها محفوظة ، بل كانت محفوظة عنده وعند غيره ، ويدل على هذا قوله في حديث جمع القرآن « فجعلت أتتبعه من الرقاع والعسب كما سيأتي مبسوطا في فضائل القرآن اه

وأقول انني قد ذكرت آنفا ان هذا هو المراد منه وهو ما كنت افهمه دون غيره وأجيب به من سألني عنه مستشكلا . فقول الحافظ : والذي يظهر الخ كان يجب أن يكون : والذي يتعين القطع به كذا ، وحسبك دليلا على هذا انه قال انهم كانوا يسمعون رسول الله ﷺ يقرؤها فهو صريح في أن البحث كان عمن كتبها فقط . وجملة القول ان الآيتين كانتا محفوظتين ومكتوبتين ومعروفتين لكثير من الصحابة وانما اختلفوا عند الجمع في موضع كتابتهما حتى شهد من شهد ان النبي ﷺ هو الذي وضعهما في آخر سورة براءة وفقا لقول أبي بن كعب الذي ثبت في الصحيح أنه أحد الذين تلقوا القرآن كله مرتبا عن النبي ﷺ وكذا زيد بن ثابت . وكان عدد المختلفين في موضعهما قليلا فلما كتبتا في المصاحف وافق الجميع على وضعهما ههنا ، ولم يروا أي اعتراض على ذلك عمن كتبوا لانفسهم مصاحف اعتمدوا فيها على حفظهم كابن مسعود (رض)

بقي البحث في حكمة وضعهما في آخر هذه السورة المدنية وموضوعهما مكي يؤيده كون الخطاب فيهما لقومه ﷺ على ما جزم به جماهير المفسرين ، وماهما بأول ما وضع من الآيات المكية في السور المدنية لمناسبة اقتضت ذلك . ولعل الحكمة في ذلك ان يفيدا بموضعهما صحة الخطاب بهما لكل من تبلغه الدعوة من أمة الاجابة وهو ما ذهب إليه الخطابي ، كما دل موضوعهما ونزولهما بمكة - كما قال ابن أبي الفرس - على كون الخطاب فيهما لقومه ﷺ وهو ما جزم به الجماهير . ويكون ماقلناه جامعا بين الاقوال كلها

(طهارة نسبه ﷺ وفضل قومه واصطفاؤه من خيارهم)

من المأثور في تفسير الآيتين ما ذكروا في قوله تعالى (رسول من أنفسكم) من الاحاديث المرفوعة في طهارة نسبه ﷺ من سفاح الجاهلية ومن فضل قومه

وعشيرته وعترته واهل بيته على غيرهم وأصح ماورد في هذا مارواه مسلم والترمذي من حديث واثلة (رض) مرفوعا «ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» ولم أر لاحد من العلماء بيانا لمعنى هذا الاصطفاء بم كان؟ وقد وفقني الله لاستنباطه من التاريخ العام، وبينته في المنار وفي خلاصة السيرة المحمدية في جواب السؤال عن حكمة بعثة خاتم النبيين، بالرسالة العامة للناس أجمعين، بالدين العام للبدو والحضر- من العرب الذين غلبت عليهم جهالة البدو، وبعد عهدهم بما سبق لامتهم من الحضارة والعلم، ولم يبعث من بعض شعوب الحضارة القريبة كالفرس والروم والهند والصين، ويليه السؤال عن مزية كنانة في العرب من آل اسماعيل، الذين امتازوا على سائر العرب بانهم ممن اصطفى الله من آل ابراهيم، ثم عن مزية قريش في بني كنانة وفضل بني هاشم على سائر قريش؟

خلاصة مابينته في فضل العرب على سائر الامم الذي أعدهم به الله لبعثة سيد البشر بالدين العام هي ان جميع شعوب الحضارة المشار اليها وغيرها كانت قد فسدت غرائزها وأخلاقها الفطرية، وعقائدها الدينية، وآدابها التقليدية، بفساد رؤساء الدين والدنيا فيها، وتعاون الفريقين على استعبادها واستذلالها لهما، وتسخيرها لتوفير لذاتهما وتشييد صروح عظمتهما، بسلب حريتهم العقلية بالتقاليد الدينية التي يفرض عليهم الكهنة والاحبار والقسوس الخضوع لها، بدون أن يكون لهم أدنى رأي أو اختيار او فهم فيها، وسلب حرية ارادتهم في حياتهم الشخصية والاجتماعية بما يضع لهم الملوك والحكام من القوانين والنظم الادارية والعسكرية الاستبدادية، وبتحكمهم فيهم بدون قانون ولا نظام ايضا، فجميع الامم والشعوب كانت مرهقة مستعبدة في دينها ودنياها الا العرب ولاسيما عرب الحجاز

اما العرب فلم يكن عندهم رياسة حكم استبدادية تستذلهم وتفسد بأسهم وتقهر ارادتهم على مالا يريدون، ولا رياسة دينية تقهرهم على اتباع تقاليد تعبدية لا يعقلونها، بل كانوا على أتم الحرية العقلية واستقلال الارادة في دينهم ودنياهم، وفي أعلى ذروة من عزة النفس، وشدة البأس، فبحرية عقولهم كانوا على أتم الاستعداد لفهم دين

العقل والفطرة ، وباستقلال ارادتهم كانوا على أكمل الاستعداد للنهوض بما اعتقدوا حقيته وصلاحه وخيريته ، ولاقامته في قومهم ، ونشره في غيرهم ، والدفاع عنه باختيارهم ، وتصرفهم في كل ذلك بمقتضى الوازع النفسي ، دون تحكم رئيس ديني ولا دنيوي ، فان هذا الدين انما أوجب طاعة الأئمة والقواد بالمعروف والاذعان للشرع ، وما تضعه الامة لنفسها من النظام بالشورى بين ممثليها من اهل الحل والعقد ، حتى فرض الله على الرسول ﷺ مشاورتها في أمورها ، وقال ربه له في صيغة مبايعة نسائها له (ولا يعصينك في معروف) وبها كان يبايع الرجال كالنساء ولذلك قال ﷺ « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق انما الطاعة في المعروف » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث علي كرم الله وجهه

وأما كنانة فقد كان أشهر ذرية اسماعيل في العلم والحكمة ، والكرم والنبل ، حتى كانت العرب تحج اليه ، وينقلون عنه حكما رائعة ، وكفى بهذا اصطفاء عليهم ، وامتيازاً فيهم ،

واما امتياز قريش على سائر العرب فهو معروف متواتر وأهمه أن ماذكرناه من عزة النفس ، واستقلال الارادة والعقل ، كان اكمل فيهم ، فان بعض العرب في أطراف جزيرتهم خضعوا لسيادة الفرس والروم خضوعاً ما ، وجملته انهم كانوا أصرح ولد اسماعيل أنساباً، وأشرفهم احسابا ، وأعلاهم آدابا ، وأفصحهم ألسنة ، وهم الممهدون لجمع الكلمة العامة، بعد أن جمع قصي جميع قبائلهم بمكة ، واستقلوا بخدمة المسجد الحرام من الحجابة وسقاية الحاج والرفادة وهي اسعاف الفقراء والمساكين من الحجاج وغيرهم ، وأسسوا دار الندوة لاجل الشورى في الامور المهمة ، وكانوا أعرف العرب ببطون العرب في جميع جزيرتهم بما كانوا يتناوبونه من رحلة الشتاء والصيف ، وبذلك كانوا أغنى العرب أيضاً واشرفهم بلا منازع ، وناهيك بما عقدوه من حلف الفضول ، في حداثة سن الرسول ، وهو انهم تعاقدوا وتعاهدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوما إلا اقاموا معه ، وكانوا عونا له على من ظلمه . إلى أن ترد مظلمته ، وفي حديث الزبير بن العوام وأم هانيء عن الطبراني وتاريخ البخاري « فضل الله قريشاً بسبع خصال : فضلهم بانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قرشي

(أي لا يعبده وحده من العرب إلا قرشي) وفضلهم بانه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون (أي نصرهم على قوة تفوق قوتهم كثيراً بما يشبه نصره لرسله في كونه بدون استعداد كسبي يقرب من استعداد عدوهم) وفضلهم بانه نزل فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين وهي (لايلاف قريش) وفضلهم بان فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية »

وأما اصطفاؤه تعالى لبني هاشم على قريش فقد كان بما امتازوا به من الفضائل والمكارم فقد كان جدهم هاشم هو صاحب إيلاف قريش الذي أخذ لهم العهد من قيصر الروم على حمايتهم في رحلة الصيف إلى الشام، ومن حكومة اليمن في رحلة الشتاء، وهو أول من هشم الثريد للفقراء من قومه ولاهل موسم الحج كافة ، وقد أربى عليه في السخاء والكرم ولده عبد المطلب ، وجملة القول ان بني هاشم كانوا أكرم قريش أخلاقا وأبعدهم عن الكبر والاثرة ، لا ينازعهم أحد في ذلك ، وقد قال أبو جهل في وجه حسدهم على كون الرسول ﷺ منهم: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا . . . حتى إذا زاحمناهم بالمناكب قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء . فمتى ندرك هذه ؟ ويؤخذ منه أنهم كانوا يعلمون ان النبوة لا يمكن أن تكون بالاجتهاد والمباراة الكسبية في الفضائل

وقد ورد في فضل هذه الخاتمة لهذه السورة المباركة ما رواه أبو داود عن أبي الدرداء موقوفا وابن السني عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ «من قال حين يصبح وحين يمسي : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - سبع مرات - كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة » كذا في الدر المنثور ويراجع ما قاله ابن كثير في آخر تفسير السورة فيه ، وهو لا يمنع العمل به ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين

(تم تفسير سورة براءة بفضل الله وتوفيقه وبقي تلخيص ما فيها من القواعد الدينية والحكم والآداب والسنن الالهية في الاجتماع ، فنسأله تعالى توفيقنا فيه للحق الذي يرضاه وينفع عباده)

فتاوى المنار

﴿ الزواج بالمسلمة وراثة والكتابية والوثنية تنطق بالشهادتين ﴾

(قدمنا هذا السؤال على غيره مع تأخر وروده لان موضوعه اهم من غيره)

(س ٦٤)من صاحب الامضاء في بهر مبالة (اوغندة)

الى صاحب الفضيلة الاستاذ رشيد رضا

ما قولكم دام فضلكم في نساء هذا القطر (الاوغندة) وزواج العرب والهنود لهن فانه قد عم وانتشر، وهل يعاملن في زواجهن معاملة الحرائر المحصنات المؤمنات، او معاملة الاماء الكافرات ؟

وتوضيحا للمسألة اقول لكم ان الاهالي هنا ينقسمون الى ثلاث طوائف

(الطائفة الاولى) لمسلمون والغالب على نسائهم انهن لا يعرفن من امور الدين غير النطق بالشهادتين مع جهل معناهما وقد يكون أولياؤهن مثلهن في الجهل احيانا.

(الثانية) المسيحيون ولا نعلم من احوالهم غير الذهاب الى الكنيسة أيام الآحاد

(الثالثة) المشيترية وهم الذين بقوا على عوائد اجدادهم .

والزواج في هاته الطوائف منتشر بكثرة ،

أما المسلمة فيتزوجونها بمجرد كونها مسلمة فقط وهي لا تعرف من امور دينها شيئاً وأما المسيحية فيتزوجونها بحجة انها كتابية ولا يعرفون عن أهل الكتاب شيئاً

وأما المشيترية فيكلفونها النطق بالشهادتين قبل العقد بحجة الدخول في الاسلام ثم يدخل بها وربما لا تصلي وهي عنده يوماً واحداً . وقد تلد له الاولاد وهي على هذه الحالة

افتونا ولكم الاجر ، وبينوا لنا حالات الزوجات والمتزوجين ولكم من الله الاجر ومن المسلمين هنا مزيد الشكر

ابنكم المطيع المخلص

الشريف صالح خمور العلوي الحضرمي

(ج) ذكرتم صفة الزوجات بالاجمال دون صفة الازواج ، فاذا كان هؤلاء الرجال المسلمون لا يعرفون الضروري من دينهم فهم ونساؤهم سواء ، وإذا كانوا يعرفون عقيدة الاسلام واركانه واحكام الحلال والحرام الاجماعية فكيف لا يلقنون نساءهم ذلك ويحملونهن عليه بالعمل ؟ المرأة الوثنية يحكم بدخولها في الاسلام بالنطق بالشهادتين مع العلم بمعناهما، ويجب عليها عقب ذلك معرفة الضروري من هذا الدين الذي قبلته اجمالا ، واوله العقيدة فالطهارة والصلاة ثم كل فريضة وقت وجوبها ولست أعنى بالعقيدة ان تلقن السنوسية الصغرى او معاني الجوهرة ، فقد يكفيها ان تعلم ان الله تعالى هو الخالق لجميع الخلق المدبر لأمورهم ، وأنه الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، لا شريك له ولا ولد ، فهو المعبود الحق الذي لا يدعى غيره لكشف الضر وجلب النفع الذي يعجز عنه العبد بكسبه ، وانه متصف بكل كمال منزه عن كل نقص (ليس كمثله شيء) وان علمه محيط بكل شيء وقدرته نافذة في كل شيء ، وانه فاعل مريد مختار ، وهو السميع البصير ، العلي الكبير ، الحكيم الخبير ، الرؤف الرحيم . وان تؤمن بملائكته وكتبه وباليوم الآخر ، وما فيه من الحساب والجزاء على الاعمال ، إما بدخول الجنة وإما بدخول النار ، وان تؤمن برسله وان خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وان كتابه القرآن كلام الله المعجز للبشر . وان كل ما جاء به حق يجب اتباعه ، وتعلم العبادات بالعمل . وان الله حرم الشرك به والكفر وقتل النفس بغير حق والسرقة والزنا وشرب الخمر وكل ما يزيل العقل والكذب والخيانة وسائر الفواحش والمنكرات . ويصح العقد عليها قبل هذا العلم التفصيلي ، فان الشهادتين مفتاح الاسلام ومدخله ولكن مع توطين النفس على ما يتبعهما من شرائعه . فالاقتصار عليهما لا يعد اسلاما .

وكذلك المرأة المولودة من ابوين مسلمين اذا لم تفهم معنى الشهادتين وما يتبعهما من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واركان الاسلام لا يعتد باسلامها الاسمي . والذي يظهر لي بالاجمال ان اكثر اهل هذه البلاد يجهلون حقيقة الاسلام فان دعوته لم تبلغهم كما بلغها رسول الله واصحابه ومن تبعهم ، وان بعضهم يعرفون ذلك معرفة ما ، والاثم الاكبر على هؤلاء العارفين فيجب عليهم تبليغ الدعوة للمسلمين والمسلمات

بالوراثة اولا وبالذات، ثم للوثنيين والوثنيات وأهل الكتاب. وانني مرسل اليك بعض الكتب والرسائل التي تساعدكم على ذلك فان قصرتم كان إثم الجميع عليكم

واما النصرانية فالغالب انها تعرف الضروري من دينها لان النصارى في هذا العصر اشد من المسلمين عناية بتعليم نسائهم واولادهم أمور دينهم وتربيتهم عليه بالعمل، والدليل على ذلك ان النساء يحافظن عندكم على صلاة الاحد التي هي اظهر شعائر دينهن في الكنائس، وان عندكم دعاة منهم الى دينهم

وحكم من لم يعلم ماذكرنا من ضروريات الاسلام في بلادكم حكم من لم تبلغهم دعوة الاسلام على وجهها الصحيح على مايظهر لي ، فاذا هم عرفوا الاسلام بعد هذا التبليغ وبادروا الى اتباعه فالظاهر أنهم يقرون على نكاحهم السابق والله أعلم

(٦٥ — ٧٠) اسئلة من صاحب الامضاء في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء دام محفوظا

سلاما واحتراما وبعد فاني أرفع ماياتي راجياً التكرم بالاجابة على صفحات مجلة المنار الاغر ليكون النفع عاما

١ — مارأي فضيلتكم في عقيدة الوهابيين ساكني الحجاز ونجد وغيرهما وهل هي موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة أم لا ؟

٢ — هل أعمال بعض أرباب الطرق كالتصفيق والتمايل وضرب الدفوف وأكل النار والزجاج وضرب الشيش وغير ذلك مما يحدث في مجتمعاتهم التي يسمونها حلقات الذكر شرعية أم بدعة ضلالة يجب الانكار عليها وإزالتها

٣ — هل يجوز المرأة أن تخلو مع طبيب كطبيب الاسنان وغيره اذا كان عدلا صالحا لاجل المعالجة سواء كان ذلك في بيتها أو في محل عيادته من غير أن يكون معها أحد من محارمها كأبيها او أخيها او عمها او خالها او زوجها ام لا ؟

٤ ـ هل يجوز تمثيل حياة بعض الصحابة على شكل رواية أدبية خلقية تظهر محاسن ذلك الصحابي الممثل لاجل الاتعاظ بسيرته ومبادئه العالية مع التحفظ والتحري لضبط سيرته دون اخلال بها من أي وجهة كانت أم لا ؟

٥ ـ هل يجوز مصاحبة المنافقين والزنادقة والملحدين والطبيعيين مع العلم بنفاقهم وزندقتهم وغير ذلك أم لا ؟

٦ ـ هل يجوز استخدام المسلم عند المسيحي وغيره من الذين يشتغلون بالمحرمات كسباق الخيل والمراسح العمومية ونوادي اللهو والخلاعة مع ملاحظة أنه ليس له أي عمل آخر يتعيش به مع عائلته سوى ذلك أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب

محمد عبد الرؤف مفتي

ج (٦٥) عقيدة الوهابية : هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي كان عليها سلف الامة الصالح من الصحابة والتابعين وحفاظ السنة التي كان أكبر المدافعين عنها عند ظهور البدع وتأييد الدولة العباسية لها امام أئمة السنة احمد بن حنبل رحمه الله تعالى . فان صح عن أحد منهم خلاف لشيء مما كان عليه أحمد وجمهور السلف فانما يكون ذلك عن جهل منه بالمسألة التي خالف فيها فلا يتخذ دليلا على انه مذهبه ومذهب قومه . كما نرى كثيراً من أتباع سائر المذاهب في الاصول والفروع يخالفون أئمتهم عن جهل في الغالب

ج (٦٦) ماذكرتم من أعمال بعض أهل الطرق كله من البدع المنكرة يجب انكارها وكذا إزالتها باليد على من يقدر على ذلك من غير أن يترتب عليه مفسدة أخرى وضرر يفوق ضررها

ج (٦٧) لايجوز للمرأة أن تخلو برجل غير محرم سواء كان طبيبا أو غيره ، ويمنع تحقق الخلوة وجود غير المحرم لها من الرجال والنساء الذين يمتنع في العرف حصول أي منكر في حضرتهم كما هو مفصل في كتب فروع الفقه

ج (٦٨) لا يوجد دليل شرعي يمنع تمثيل حياة بعض الصحابة او أعمالهم الشريفة بالصفة المذكورة في السؤال

ج (٦٩) مصاحبة من ذكر من المنافقين والزنادقة وغيرهم يختلف حكمها باختلاف

حال من يصاحبهم من المؤمنين وحالهم معه، فقد تكون صحبة ومودة واقرارهم على نفاقهم وكفرهم وهذه غير جائزة ، وقد يصاحبهم المؤمن العالم لنصحهم وارشادهم وانكار مايظهر من منكراتهم وهذا جائز وقد يكون مندوبا أو واجبا اذارجيت الفائدة او غلب الظن بحصولها ، وقد تكون عارضة في سفر او اجتماع لامندوحة عنه ولا ضرر فيه فتكون مباحة

ج (٧٠) لايجوز للمسلم اكتساب رزقه من الطرق المحرمة كالحانات ومواخير الفسق ، وأعمال القمار المختلفة ، ولا حيث يتعذر عليه القيام بالمفروض عليه في دينه، والضرورات التي تبيح المحظورات لا تكون عادة الا عارضة فلا نعقل وجود مصر من الامصار كبيروت لا يجد فيها المسلم وسيلة لرزقه الا مثل هذه المعاصي. وانما يتصور ان يتعود ذلك بعض المسلمين الجاهلين المتهاونين بدينهم ، ومثل هؤلاء قد يصعب على احدهم اذا اراد التوبة ان يجد رزقا غير الذى الفه الا بعد بحث ، فاول مايجب عليه ان يراجع بعض اهل الغيرة من المسلمين لكي يسعوا له ويساعدوه على عمل مباح يعيش به

(أسئلة من صاحب الامضاء في صولو)

(س ٧١ ـ ٧٥ من صاحب الامضاء في صولو)

الحمد لله وحده

حضرة عزيزي ومولاي صاحب الفضل الاكبر .... ومنشيء مجلة المنار الغراء ، السيد محمد رشيد رضا ، كان الله له معينا ومرشدا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فياصاحب الفضيلة أرجو من جنابكم العالي أن تجيبوا على الاسئلة الآتية بأدلة شرعية لتحوزوا الثواب والاجر من الله . وتفضلوا بقبول أوفر تشكراتي الجزيلة

(١) ماقولكم عزيزي في حديث «من تشبه بقوم فهو منهم» هل ذلك حديث صحيح أو موضوع ؟

(٢) وما معناه اذا كان حديثا صحيحا ليس بموضوع؟

(٣) وهل المسلمون الذين يستعملون «البنطلون» و «الزنار» أي حبل الرقبة ويعرف عند الفرنساويين (قرافات) يكفرون بموجب نص ذلك الحديث أم لا؟

(٤) وما معنى الآية (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) الخ؟

(٥) وما قول جنابكم في شخص مسلم يدين بدين الاسلام كما انه يزعم انه من جهابذة المسلمين الكبار وعلامة بمعنى الكلمة أفتى للفيف من المسلمين بقوله: ان الرجل المسلم الذي يرتكب المعاصي المحرمة شرعا كشرب الخمر والزنا أفضل عند الله من المسلم الذي يستعمل الزنار أي حبل الرقبة وبالفرنساوية (قرافات) وما حكم القائل بهذا الكلام والافتاء الفظيع الشنيع في الشرع؟ وهل يحكم عليه العقل بالجنون أو بالالحاد؟ أفيدونا سيدي على صفحات مجلتكم المنار الغراء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (عيضة بن أحمد البحري الصدفي)

ج (٧١) حديث «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد وأبو داود والطبراني قال في المقاصد الحسنة: وسنده ضعيف وصححه ابن حبان. أقول ولكن السيوطي أشار في الجامع الصغير الى حسنه، ففيه ثلاثة أقوال أوسطها انه حسن بين الصحيح والضعيف وليس بموضوع قطعا. وابن حبان يتساهل في التصحيح فيتروى فيما ينفرد بتصحيحه كالحاكم

ج (٧٢) معنى الحديث من تكلف أن يكون شبيها بقوم في أفعالهم ومزاياهم فانه يعد منهم، فالذي يتكلف البذل تشبها بالاسخياء الاجواد يعد سخيا جواداً وقد يصير منهم بالفعل فان التكلف ينتهي غالبا بأن يصير ملكة كما ورد «العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» ومن المعلوم بالبداهة ان الانسان لا يميل الى التشبه الا بمن يراه فوقه وأفضل منه، فكل من يترك شيئا مما هو عليه وقومه من العادات والتقاليد والآداب والاعمال ومنها الازياء، ويستبدل بها ما عليه غيره وغير قومه في معناها فانما يفعل ذلك لاحتقاره ما تركه وتفضيل ما تكلفه عليه، ولذلك كان يكره النبي صلى الله عليه وسلم التشبه بأهل الكتاب في عاداتهم وأعيادهم وغير ذلك وينهى عنه فهو في الدينيات محرم وفي العادات مكروه، وكان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ينهى جيوشه عن التشبه بالاعاجم الذين يفتحون بلادهم ويحتم عليهم المحافظة على مشخصاتهم العربية، وقد فصلنا ذلك مرارا

معنى آية (ولا تركنوا الى الذين ظلموا)

ج (٧٣) الركون ميل الثقة والاطمئنان. ومعنى الآية في الجملة (ولا تركنوا) أيها المؤمنون (الى الذين ظلموا) من المشركين وغيرهم فتوالوهم او تعتمدوا على صدقهم في ولايتكم او تقروهم على ظلمهم أو تساعدوهم عليه (فتمسكم النار) التي هي جزاء الظالمين في الآخرة وهي مآلهم ومآل أعوانهم، قد تعاقبون على ذلك في الدنيا والآخرة جميعا فان عاقبة الظالمين في الدنيا إذا طال العهد على ظلمهم هو الهلاك كما نطقت بذلك الآيات الكثيرة ودلت عليه عبر التاريخ (وما لكم من دون الله من أولياء) يتولون أمركم (ثم لا تنصرون) بالركون اليهم فيفوتكم ما املتم من الركون اليهم.

حكم لبس البنطلون ونحوه

ج (٧٤) المسلمون الذين يلبسون السراويل الضيق المعروف بالبنطلون ويضعون في رقابهم الزيق المذكور في السؤال لا وجه للقول بكفرهم ولا فسقهم بذلك لان هذا اللباس لا يتضمن تكذيبا لما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين من أمر الدين ولا خروجا عنه، بل هو الآن لا يعد تشبها بغير المسلمين لانه صار من ملابسهم. وتشبه المسلم بغير المسلم في بعض العادات غير الدينية لا يعد كفراً ولا معصية لله ولرسوله وانما هو مكروه شرعاً كما هو مكروه سياسة ووطنية. أما شرعا فلما تقدم، وأما وطنية وسياسة فلما ذكرناه من تضمنه لاحتقار عادات أهل ملته ووطنه، وتفضيل غيرهم عليهم

شرع ما لم يأذن به الله

ج (٧٥) إن الذي زعم ان من يرتكب كبائر الاثم والفواحش كشرب الخمر والربا افضل عند الله من المسلم الذي يضع في عنقه زيق الرقبة المسمى باللغة الفرنسية «بالكرافات» اقل مايقال فيه انه جاهل بدين الله يقول على الله ما لا يعلم، وقوله هذا اعظم جرما واكبر اثما ممن ذكر من العصاة لامن واضع زيق الرقبة على فرض أنه إثم. لأن العلماء قالوا في الآية الجامعة لأصول الكفر والمعاصي (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) قالوا ان هذه الكليات ذكرت بطريق الترقي

من المحرم الى ما هو اشد تحريما منه ، وان القول على الله بغير علم تشريع ديني وهو حق الله وحده فمن شرع للناس ما لم يأذن به الله فقد جعل نفسه شريكا لله في التشريع ، ومن قبل تشريعه فقد اتخذه شريكا لقوله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)

وانما كان هذا اكبر من اتخاذ شريك لله في العبادة كالدعاء والاستغاثة لان شرك من عبد غير الله بدعاء ونحوه قاصر عليه ، ومن اتخذ نفسه شارعا للناس فشركه متعد الى من يتبعه في تشريعه .

هذا اذا كان نقلكم عمن ذكرتم صحيحا . ويحتمل ان يكون الرجل قال هذا في الزنار الذي كان في العصور الأولى شعارا لاهل الذمة يمتازون من المسلمين وصار لابسه يعد منهم لاشتباهه بهم ، ولكن هذا قد بطل منذ قرون. وزيق الرقبة في هذا العصر يتخذه ملايين من المسلمين وغيرهم ، ولا يصح على اي حال ان يقال ان مرتكبي كبائر الاثم والفواحش افضل عند الله ممن يلبس لبسا خاصا بالنصارى او غيرهم ولا من النصارى انفسهم ، فان المقام ليس مقام تفاضل مطلقا ،

وقد اعتاد بعض المتنطعين من لابسي لباس العلماء على المجازفة في التحريم والتكفير بغير علم ولا عقل وانما يغرهم قبول اكثر العامة لأقوالهم ، وهذا سلطان كان لهم وقد اشرف على الزوال لاساءتهم التصرف فيه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

﴿ حكم وقوف التعظيم لشعار الامة أو الدولة ﴾

(س ٧٦) من صاحب الامضاء في (بتاوي - جاوه) تأخر سهواً

فضيلة العلامة الحجة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء ، أدام الله للاسلام نفعه ومتع به آمين

بعد اهداء مايليق بفضيلتكم من مراسم التحية والاحترام وفائق السلام ، ترون القصد من هـذا المرقوم سؤالا كنت أود أن أورده على قواعد الاسئلة بايجاز ، ولكن استحسنت أن أصحبه بقليل من الشرح لا لأهميته فحسب بل لافادتكم أيضاً لكي توردوا السؤال على الوجه الذي يتناسب مع الجواب .

كنت قد وجهت هـذا السؤال لحضرة العلامة الداعي الى الله بقوله وفعله السيد علي بن عبد الرحمن الحبشي العلوي الحضرمي القاطن الآن بمدينة بتاوي فصادف حضوري عنـده وقت رقمه مسطوراً لفضيلتكم . فاشار عليّ أن أرقم له السؤال في مكتوب ليضمنه المسطور الذي سيرسله للمنار ، وأن أنتظر الجواب ريثما يراه على صفحات مجلتكم فيطلعني عليه . وذلك لا لعدم المعرفة، منه لا، حاشا وكلا . ولكن لعدم حبه للتظاهر بالانحياز لحزب من الاحزاب الاندونساوية بجاوه . وقال : اننا عرب مهاجرون يلزم أن نبقى على الحيـاد تجاه كل حركة اندونسياوية ، ولا بد في جوابنا مالا يرضي أحد الفريقين . ومن ثم أشار عليّ برقم السؤال هكذا :

وهو ان في الجزائر الاندونساوية قامت ضجة بين حزبين عظيمين من الاحزاب الاندونساوية وهما الحزب الوطني والحزب الاسلامي ، انتقد هـذا الاخير على الاول وقوفهم لدى اجتماعاتهم احـتراما للعلَم الذي وضعوه شعارهم القومي، ولوقوفهم أيضاً عند سماعهم للحن النشيد الموضوع لوطنيتهم مع نوع من الانحناء كما هي العادة المتبعة في الشرق والغرب،وكذا عندكم في مصر وغـيرها من البلدان الاسلامية يقومون بواجب الاحترام والتعظيم لعلمهم ونشيدهم عند رؤيته وسماعه مع نوع انحناء

فهل عملهم هـذا ينافي الدين ويناقض ماأتى به محمد ﷺ أو هو من قبيل العادة فقط ؟ وكيف حكمه في ديننا الحنيف ؟ (مع العلم بأن للاسلام في أدواره أعلاما) ونريد البيان أيضا كيف كان احترام الصحابة للعلم المحمدي اذا كان هناك احترام منهم ؟

وقد قال الحزب المنتقد انه يمس بأصول الدين الاسلامي وان الوقوف لقطعة من القماش ضرب من الجنون، فما أحوج البيمارستانات الى معالجتهم ! وانه مروق من الدين بحجة انهم ينحنون لغير الله ، وبرهان واضح على عدم معرفتهم بالدين وما يدعوهم اليه ، وانه خدش لجبهة الشريعة الغراء، الى غير ذلك مما جعل حتى غير المسلمين يدلون بدلائهم في المسألة . وقد خبط الحزب المنتقد عليه في الدفاع

وافهام المنتقدين خبطا مما جعل من واجب كاتب هذه السطور أن ينبه العلماء ليبينوا المسألة بيانا يحسن السكوت عليه

فنرجو من غيرتكم على هذا الدين - أن تفسحوا في مجلتكم للجواب على صفحاتها بما يشفي العليل، ويبرد الغليل ونرجو أن لا نحال على عدد سابق لصعوبة التفتيش عليه

واننا للجواب على صفحات المنار بفارغ الصبر منتظرون، وفي الختام تفضلوا بالتنازل لقبول أسمى سلامنا وفائق احتراماتنا

السيد علي بن عبد الله السقاف العلوي

مدرس بمدرسة عنوان الفلاح بتاوي ويلتفريدن - جاوه

(ج) الدين كله اتباع، وأمور الدنيا فوضها الشارع إلى علم أهلها بها. بناء عليه نقول: لو كان لتعظيم العلم الذي اتخذ شعاراً قومياً بالقيام عند نصبه مثلا صبغة دينية كاعلام أهل الطريق بأن نصب في المسجد - او كان نصبه مقترنا بالاذكار وتلاوة القرآن بحيث يعد كالمشروع دينا - او قال متخذوه انه مطلوب شرعا، لقلنا لهم ان عملكم هذا بدعة في الدين، وقولكم هذا افتراء على الله، وان مجموعهما شرع لم يأذن به الله. اما وهم يعدونه من العادات، لا العبادات، وينظمونه في سلك السياسيات لا الشرعيات، فحكمه حكم سائر مايستحدث الناس من أمور الدنيا في معايشهم وصحتهم وتنقلاتهم وأسفارهم ونظم التربية والتعليم في مدارسهم، والادارة والسياسة والحرب، الاصل في هذه العاديات الاباحة وقد يعرض لها الحظر او الوجوب أو الندب لضررها او نفعها فلا يحكم بتحريم شيء من ذلك ولا كراهيته لذاته شرعا ما دام لم يخالف نصاً من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله ﷺ أو يشتمل على ضرر عام او خاص تحرمهما الشريعة بدليل قطعي فيكون حراما اوغير قطعي فيكون مكروها.

كذلك اذا اشتمل فعله على منفعة مشروعة وتركه على مضرة ممنوعة فان الحكم يكون بضد ماتقدم، بأن يكون فعله واجبا أو مندوبا، وتركه محرما او مكروها، لما ذكر لا لذاته، فلا شك في ان جميع مستحدثات أسلحة الحرب الحديثة وعتادها ووسائل النقل فيها واجبة في قتال المسلمين لمن يقاتلونهم بها، ومن عجز عن

الحج ماشياً أو راكبا على جمل او دابة وقدر عليه بركوب البواخر المستحدثة وسكك الحديد اوالطيارات وجب عليه الحج على هذه النقالات الحديثة

واما الانحناء لغير الله فان فعل بقصد القربة والثواب أوعده فاعله مطلوبا شرعا فانه يكون عبادة محرمة وقد يكون استحلاله كفرا كما يفعل الذين يطوفون بقبور الصالحين ويقبلونها ويلتمسون أركانها من باب التدين وطلب النفع أورفع الضرر من المدفونين فيها ، وأما الانحناء الذي لاشبهة للتدين فيه فهو من العادات المباحة. وقد يتجه القول بكراهته اذا كان بشكل الركوع في الصلاة للاشتباه به في الصورة وان خالفه في النية .

وأما قول من قال ان تكريم العلم القومي أو الدولي جنون فهو يتضمن الحكم بأن أكثر البشر مجانين، فاذا حكموا عليه بمثل حكمه عليهم فاي الحكمين يكون أرجح في العالم؟

فيا أيها المسلمون لاتغلو في دينكم ، ولا تلبسوا الحق بالباطل ، فدينكم يسر لاحرج فيه ، ووسط لا افراط ولا تفريط فيه . ومن أخطأ في اجتهاده ثم ظهر له الحق فليرجع اليه ، فان الرجوع اليه فضيلة، والاصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة.

هذا واما الاعلام ورايات الحرب في عهد النبي (ص) واصحابه ودول الاسلام فلم يكونوا يقومون لها عند رفعها ، ولكنها كانت محترمة لا يحملها الا الاخيار ، فكان علي المرتضى كرم الله وجهه كثيرا ما يحمل راية النبي (ص) وقد حمل رايته يوم فتح مكة سعد بن عبادة سيد الأنصار ، فلما قال: اليوم يوم الدمدمة، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة . وشكي الى النبي (ص) اخذ الراية منه واعطاه لولده لئلا يعد اخذها اهانة له وللانصار (رض)

(عقد النكاح وصيغة الطلاق عند اعراب فلسطين)

(س ٧٧ و ٧٨) من صاحب الامضاء

صاحب الفضيلة مولانا الحجة السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد فاني أرجو من فضيلتكم الاجابة على ماياتي فالحاجة الشرعية ماسة إلى ذلك ولكم منا عظيم الشكر ومن الله تعالى جزيل الاجر والثواب

(١) ان طريقة عقد النكاح عند الاعراب في قضاء بئر السبع هي ان يخطب الرجل المرأة التي يريدها إلى أهلها ، وبعد الاتفاق على السياق يأخذ ولي أمر المرأة عوداً ويناوله الخاطب قائلا له هاك قصلة فلانة (ويسميها) بسنة الله وسنة رسوله، فيأخذ الخاطب العود او القصلة ويضعه في عقاله او يحفظه معه، فيصير هذا عقداً صحيحا في عادتهم ثم يبني عليها وتقيم معه إقامة الازواج . فهل هذه الطريقة عقد صحيح لان الاصل في العقود الصحة ولان الاعمال بالنيات كما يؤخذ من تحقيق شيخ الاسلام ابن تيمية في الصحة من كتابه القياس في الشرع الاسلامي . أم هي عقد فاسد يجب على القاضي الحكم بين هذين الزوجين بالتفرقة لانهما لم يأتيا بالالفاظ المذكورة في كتب الفقه لعقد النكاح .

(٢) اذا أراد رجل من الاعراب المذكورين ان يطلق زوجه قال لها : كفيل فراقك فلان ويسميه، وهذا عندهم طلاق بائن لا يقوله إلا من قصد عدم البقاء مع زوجه، ولذلك تتزوج بعد ذلك بمن تشاء فلا يعارضها زوجها الاول . فهل هذا يعد طلاقا لان قولها : كفيل فراقك فلان كناية بمنزلة حبلك على غاربك الخ . أم ان هذا مجرد وعد بالطلاق ولا تعتبر نيته الفراق بهذه الجملة ؟

كتبت هذا والناس عندنا ينتظرون فتواكم الشافية لان هذه مسائل واقعة بكثرة في هذه النواحي والسلام عليكم المخلص

حافظ البطة

(ج) العبرة في العقود كلها وفي حل عقدة الزواج بالطلاق ما يتعارف عليه الناس فيما بينهم ، ويعد ايجابا وقبولا في عرفهم، لا بألفاظ لا يفهمونها بلغتهم ولا عرفهم ، والالفاظ التي اعتمدها الفقهاء في صحة العقود أو وقوع الطلاق ليست تعبدية وانما وجد الأئمة أهل اللغة يستعملونها فيها فبنوا أحكامهم عليها ، وقد جاء في القواعد الشرعية التي جعلت مقدمة لمجلة الاحكام العدلية الشرعية ان «العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني ، لا بالالفاظ والمباني» وهي قاعدة صحيحة ، وقد حقق الموضوع شيخ الاسلام في قواعده وفي كتاب القياس الذي ذكرتموه بما يغنيكم عن إطالتي فيه والله أعلم

مراهنة سباق الخيل والتداوي بما خلط بمحرم

(س ٧٩ و٨٠) من حضرة صاحب الامضاء في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع الى سيادتكم ما يأتي:

(١) هل يجوز المراهنة على سباق الخيل وغيرها سواء كانت الشركة الضامنة للخيول وغيرها أجنبية أم وطنية. وكيفيتها عندنا أن يشتري المراهن ورقة بنمرة حصان أو حصانين فاذا صادف وصول الحصان أو الحصانين الى الدرجة الاولى أو الثانية وغيرها حسب الشرط ربح الراهن وإلا فهو الخاسر، فما قولكم في هذا الرهان؟ وهل هو بمثابة القمار المحرم شرعاً أم لا؟

(٢) هل يجوز تعاطي الدواء المخلوط بالمحرمات كالخمر والحشيش والكوكايين وغيرها لاجل تسكين الآلام وشفاء الامراض والاسقام وذلك بأمر الطبيب سواء كان الطبيب مسلما أو مسيحياً أو غيرهما أم لا؟ تفضلوا بالجواب على صفحات مجلة المنار الاغر ليكون النفع عاما ولكم الأجر والثواب محمد عباس

مدير مدرسة رأس بيروت العلوي

(ج) أما الجواب عن الاول فهو ان المراهنة المذكورة في السؤال من القمار المحرم لا ريب في ذلك، وانما المراهنة المشروعة في السباق فهي ما كانت تمريناً عملياً على الجهاد ولها شروط مشروحة في كتب الشرع لا حاجة الى ذكرها، إذ لا وجود لها فنذكر حكمها. ولو سألتم أي فقيه أو طالب علم عنها لبينها لكم.

وأما الدواء المخلوط بشيء من هذه السموم المحرمة فيشترط في جوازه عند الحاجة اليه عدم وجود غيره يغني عنه، وللمريض أن يأخذ في ذلك بقول الطبيب العدل فان لم توجد العدالة الشرعية فله أن يأخذ بقول من يثق بعلمه وتجاربه من الاطباء، وكذا بتجربته هو، واعلم ان اكثر الادوية مشتملة على شيء من السموم المحرمة لضررها، ولكن وضعها بمقادير معينة مع مواد من غيرها يجعلها نافعة باذن الله تعالى، وقد فصلنا هذا في المنار من قبل

مجلة نور الاسلام والاستاذ الدجوى

أتمت هذه المجلة الازهرية سنتها الاولى ولولا فتاوي الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي ومقالاته فيها لكانت جديرة بالتهنئة ، ففي مكتوباته مايدعو الى العجب من مخالفة اجماع السلف الصالح في الاتباع ، وتأييد الخلف الطالح في الابتداع ، وإقرار ما أفسد على الخرافيين دينهم وآدابهم وصحتهم من عبادة القبور بالدعاء والاستغاثة والتضرع والنذور لها ، والطواف بها كالكعبة ، واستلام أركانها وتقبيلها كالحجر الاسود ، وتقريب القرابين لها ، وتسييب السوائب لاجلها ، وشد الرحال الى موالدها ، وتقديم عرائض الشكوى من مصائب الزمان للمدفونين فيها ، وتسميته ذلك كله توسلا ، وتوجيه بالتأويلات التي حذقها الازهريون في توجيه عبارات الكتب المنتقدة بالاحتمالات الغريبة .

وقد كثر انتقاد أهل العلم الصحيح على هذه الفتاوي والمقالات وكان القائمون بأمر الوعظ والارشاد في مصر اشدهم تبرما وسخطا على هذه المجلة أنها قطعت عليهم طريق الوعظ والارشاد بكونها مجلة المعاهد الدينية لا بكون الكاتب في توجيه البدع وعدها من عبادات الاسلام هو الشيخ يوسف الدجوي أحد كبار العلماء الرسميين ، فكل واحد من هؤلاء المرشدين الذين نعنيهم قادر على الرد على هذا الشيخ وتفنيد تأويلاته الباطلة ، ولكن الذي يجبنون عنه هو مقاومة رياسة الازهر والمعاهد الدينية في مجلتها ، لانهم موظفون من قبلها ، ويعتقدون ان اغضابها يقطع عليهم عملهم ، فيفوتهم ثوابه ورزقهم ، لذلك طالبنا بعض من نعرف ومن لم نكن نعرف منهم بالرد عليها كما طالبنا غيرهم من أهل هذا القطر ومن غيره بهذا الرد وأوجبوه علينا وأرسل الينا بعض أهل العلم من الازهريين غير التابعين لرياسة المعاهد ومن غيرهم رسائل في الرد على الفتاوى والمقالات الدجوية لنشرها في المنار ، وهو لا يتسع لها ، وكل ما ينشر فيه خير منها ، وما فيها من الدلائل على نصر السنة ودحض البدعة ، وحماية جانب التوحيد الاسمى ، قد سبق لنا بسطه بأوسع وأقوى مما كتبوه ، فقراء

المنار يعرفونه ولا يخشى على أحد منهم أن يضل بشبهات الاستاذ الدجوي وتأويلاته الضعيفة النحيفة السخيفة ، كالاستدلال على شرعية دعاء غير الله تعالى من أصحاب القبور والاستغاثة بهم في الشدائد والتضرع اليهم بكشف الضر ، وجلب النفع، مما عجزوا عنه باسبابه - بان لفظ الدعاء والاستغاثة قد ورد في اللغة العربية فيما ليس بعبادة الخ . وبان الصالحين الذين يدعونهم يجوز أن ينفعوهم لانهم أحياء في قبورهم ، وقد أثبت وجود الارواح وصلتها بالاحياء كثير من الافرنج وغيرهم

أمثال هذه الشبهات لاتروج عند أحد من عوام قراء المنار فضلا عن خواصهم لانهم يعلمون جميعا أن الدين أتباع لا ابتداع ، فلو كان لما يصنعه عباد القبور ما ذكر بالاجمال أصل في الاسلام لنقل فعله نقلا متواتراً عن الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ، عند قبر النبي ﷺ وقبور خلفائه وخواص أصحابه (رض) ولكن لم ينقل عنهم شيء لامتواتراً ولا آحاداً ، لابسند صحيح ، ولابسند ضعيف، على ان العبادة لا تثبت إلا بالنص ، بل نقل عنهم ما يبطل هذه البدع وأمثالها ، بل نصوص القرآن القطعية تبطل هذا ، وأنى لنا أن نوصل هذه المعلومات إلى قراء مجلة نور الاسلام وأكثرهم لايطلعون على المنار ؟

كنا نظن كما يظن كثير من الناس بالاستاذ الشيخ يوسف الدجوي ظنا حسنا يرفعه عن طبقة الجامدين على التقاليد الذين تؤثر في علمهم البيئة العامية

وأول ماظهر لنا مخالفا لحسن ظننا في علمه وفهمه خطاب أرسله إلى عدو السلف والمحدثين الشيخ الكوثري التركي الحشوي،فطبعه تلميذ للكوثري ووزعه في الامصار ،فلما رأيته عزمت على الرد عليه ، ودعوة الشيخ الدجوي إلى المناظرة في موضوعه كتابة ، فلم نلبث ان رأينا اسمه في محرري مجلة نور الاسلام ومن رأينا أن لا نتعجل بنقدها ، ثم لم نلبث ان رأيناه هو مفتيها ، وأن رأينا في فتاويه مالو خصصنا جميع صحائف المنار للرد عليه لما وفت به ، ولو كانت مجلة نور الاسلام تقبل الرد على ماينشر فيها كالمنار بما شاءت من الشروط العلمية والادبيه لكفتنا وكفت غيرنا مؤنة هذا الواجب ،لتمييز الحق من الباطل، ولكنها لا تفعل

فلم يبق إلا أن تنشر هذه الردود التي كتبها أو يريد أن يكتبها الكثيرون

في بعض الجرائد الاسلامية اليومية بمصر ، وأن ترسل خلاصة منها إلى الجرائد الاسلامية في سائر الاقطار

وقد كان بعض علماء هذه البلاد شرعوا في الرد عليه في جريدة الفلاح المصري فحال إبطال الحكومة لها دون المضي في ذلك، ولكن من هؤلاء من حاول الرد عليه في كل ماراه مخطئا فيه من نقل ورأي وحكاية قول غير صحيح ، وهذا شرحه طويل، فالواجب الرد عليه فيما أخطأ فيه من المسائل الدينية قبل كل شيء

وان لدي من الشواغل الخاصة في هـذا الوقت مايمنعني من التصدي للرد التفصيلي عليه في الجرائد (منها) انني مشتغل باتمام طبع الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام الذي طال العهد على مطالبة الناس لنا به وهو أكبر مما سبقه وسيصدر في هذا الصيف إن شاء الله تعالى

لو أعطى فضيلة الاستاذ الاكبر - أو مجلس الازهر الاعلى - هذه المجلة حقها من العناية في نظام التحرير وأبواب المسائل لجعل لباب الفتوى لجنة خاصة أو لناطها بفضيلة مفتي الديار المصرية وهو يختار لها من العلماء من يرى فيهم الكفاية تحت إشرافه، فقد علمت ان الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي هذا العصر قد فضل من قبله من المفتين باقامة الدلائل على مايفتي به في كل موضوع بحسبه، وهو على ماعلمت من سيرته في الذروة العليا من علماء الازهر في سعة الاطلاع على العلوم الشرعية ومتعلقاتها ولا سيما التفسير والحديث اللذين قصر فيهما الاكثرون . ويظهر مما يكتبه الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي في نور الاسلام انه من أقلهم بضاعة في هذين العلمين ، وهما أساس علوم الشرع ولا سيما الحديث-روايته ودرايته- وفي آثار السلف الصالح

ولم يقف هـذا الاستاذ عند حد الفتوى في الجنـاية على هـذه المجلة العامة التي كان من الواجب عليهـا العناية بجمع كلمة المسلمين والتأليف بينهم حتى وجه عنايته للتفريق بين الازهريين - ان لم أقل المصريين - وبين الوهابيين ، بكتابة مقالات خاصة في الطعن على عقائد هؤلاء وتجهيلهم ، وقذفهم بتكفير من عداهم من المسلمين، والظاهر انه تلقى مايسنده اليهم من المتداول على ألسنة

الناس من تأثير الدعاية العثمانية التركية القديمة التي أذاعها أتباعهم وأنصار سياستهم منـذ ظهرت نهضتهم الدينية في بلاد العرب ، وخشي الترك أن يؤسسوا دولة عربية قوية تزيل سلطانهم من البـلاد العربية ، فحاربتهم الدولة لذلك بالسلاح وبالدسائس والدعاية الدينية ، واستخدمت في هذا بعض المنافقين والخرافيين من المعممين وغيرهم من الكتاب ، فزعموا أن لهم مذهبا جديداً في الاسلام من قواعده تكفير كل من يخالفهم ، ومن أشهر من ألف في الرد عليهم كبـير ملاحدة العراق المجاهر بالالحاد جميل صدقي افندي الزهاوي الشاعر المشهور

ولولا هذا السبب السياسي لما كانت الدولة تبالي بعقائدهم وافقت السنة أم خالفتها فانها كانت تعد النصيرية والاسماعيلية والدروز من المسلمين في معاملاتها الرسمية كلها

والحق ان هؤلاء الذين سموهم بالوهابية من اتباع امام السنة الاكبر أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وانني اطلعت على أكثر كتبهم وفتاويهم فلم أرهم يخالفون مذهبه إلا في شيء واحد وهو انه اذا صح الحديث بخلاف الصحيح في المذهب وأخذ به الأئمة الثلاثة أو اثنان منهم فانهم يرجحون العمل به على الصحيح في المذهب

وأما التكفير فلا يأخذون فيه إلا بما اجمع عليه المسلمون . بهذا صرح المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب وغيره من اولاده واحفاده رحمهم الله تعالى

وهم يفرقون بين بيان ماهو كفر بالقول والـكتابة ، وبين الحـكم به على الشخص المعين ومعاملته معاملة المرتد بن بالفعل فقد صرحوا بان الشخص المعين يمكن أن يكون متأولا ، وان يكون في ارتكاب بعض المكفرات معذورا بالجهل ، ولم يبلغنا أن حكومتهم قد أقامت حد الردة في الحجاز على أحد ممن ينكرون عليهم بعض أقوالهم ويقولون لهم انها شرك بالله تعالى . مع العلم بانهم يقيمون الحدود الشرعية .

وقد أجمع علماء المسلمين على تكفير من يشرك بالله تعالى احداً من خلقه ملكا كان أو نبيا أو ولياً أو حيوانا أو نباتا أو جماداً بتوجيه اي عبادة اليه مما يقصد به القربة وطلب النفع او دفع الضر من غير طريق الاسباب ولا سيما الدعاء الذي هو مخ العبادة ، والتضرع في الشدائد ، وتقريب القرابين ، فما كان من هذه التعبدات عمليا فهو لا يحتمل التأويل ، وما كان منها قولياً فمنه مايحتمل التأويل ، وقد يخطيء

بعض علماء الوهابية كغيرهم في بعض المسائل التي تحتمل ذلك والتي لاتحتمله. ولكن لاينكر احد عرف حالهم وبلادهم انهم طهروها مما كان فاشياً فيها من الشرك بعبادة القبور والشجر والحجر، ومن البدع والخرافات التي اجمع المسلمون على بدعيتها، فضلا عن المعاصي المعروفة وترك الفرائض. فهي بهذا تفضل هذه البلاد وغيرها من بلاد الاسلام. وان ماينكره العالم المسلم على اهلها مما لايخلو منه قوم من الاقوام فهو دون ما ينكر على غيرهم. فلماذا يخص الاستاذ الدجوي هؤلاء بالرد عليهم والطعن في دينهم بغير بصيرة في هذا الوقت الذي وقع فيه بين حكومتهم في الحجاز وحكومتنا المصرية من الخلاف والشقاق ماهو معروف يشكو منه جميع المسلمين عندنا وعندهم وفي سائر الأقطار ويتمنون زواله ؟

هل يدعي الاستاذ الدجوي انه يفعل ذلك من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يعلم أن في بلادنا من البدع والمنكرات أضعاف مافي بلادهم، وأن أهلها أحوج من أهل نجد إلى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، لان المجلة التي يكتب فيها منتشرة هنا غير معروفة في نجد، ولان كلامه يرجى قبوله عند عوام مصر وما يقرب منها من الامصار، ولا يرجى أن يكون له من التأثير عند من عساه يطلع عليه من الوهابيين الاشره وأضره، لانه ليس له من الآثار العلمية المؤيدة بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ما يحملهم على الثقة به والاعتداد بعلمه ودينه اذا هو وصل اليهم، ولم يكن طعناً فيهم، فكيف وهو طعن يستطيع عوامهم الرد عليه

وكان اللائق بمكانته من كبار علماء الازهر وباشتغاله في تحرير مجلة دينية منسوبة إلى هذا المعهد الكبير الصيت جديرة بأن يكون من أكبر مقاصدها التأليف بين المسلمين — وقد قام عنده باعث ما على الرد عليهم دون غيرهم — أن يقرأ عدة من كتبهم المطبوعة المشهورة ويرد على ما يراهم متفقين عليه مما يرى هو انه خطأ أو على من يراه مخطئاً من علمائهم باسمه ولو فعل هذا لرأى ان هذه التأويلات والاحتمالات التي يحتج بها على هذه البدع التي يسميها التوسل قد قيلت من قبله وفندت تفنيداً في تلك الكتب

ومن أغرب مايتأوله لعباد القبور بناء اقوالهم وافعالهم على انهم أشعرية يعتقدون أن لافعل لغير الله تعالى ولا تأثير في شيء ما، لا كسب البشر الذي هم فيه مجبورون

في قوالب مختارين، ولا خواص الاشياء الطبيعية كاحراق النار وارواء الماء، فلو كان هؤلاء الناس يعتقدون هذا لما شد الرحال نساؤهم مع رجالهم وأطفالهم إلى القبور، وحملوا اليها الهدايا والنذور، وقربوا عندها القرابين لاجل قضاء حوائجهم، ودفع البلاء عنهم ومن العجيب انهم يعتقدون ان بعضهم لا يقبل من القرابين الا المعز كاويس القرني الذي ذبح عند قبره من عهد قريب ألوف من المعز، وهذا القبر مزور قطعاً، فان اويسا لم يأت مصر (واشهر الاقوال انه قتل في وقعة صفين وكان في جيش على كرم الله وجهه) وكذلك شيخ آخر اسمه ابو سريع لا يقربون له في مولده وغيره إلا المعز

ومن استنبأهم واستنبطن أمرهم يعلم انهم يعتقدون أن هؤلاء الموتى يجيبون دعاء من يدعوهم واغاثة من يستغيث بما له من التصرف في العالم فوق الاسباب، لا ان الاسباب نفسها صورية يخلق الله الاشياء عندها لا بها كما يقول الاشعرية، وان ابلد الناس يعلم انهم لو كانوا يؤمنون بأنه لا تأثير لها في نفع ولا كشف ضر لا بسببية ولا بسلطة غيبيه لما شدوا إليها الرحال، وحملوا الاثقال، وبذلوا الاموال وارتكبوا عندها منكرات الاعمال، كترك الصلوات، واتباع الشهوات المغفورة بزعمهم بما لهم من الكرامات. وكذلك لو كانوا يعلمون ان نذر هذه القرابين لها لا ينفعهم شيئا لما نذروا شيئا منها. فالى متى نكابر الحس بالاحتمالات الوهمية ونسمي هذا علماً وديناً؟ ونزيد هؤلاء الخرافيين الذين لا يعرفون من الدين إلا مايتلقفه بعضهم عن بعض من الجهالات الموروثة التي اتبعوا فيها سنن من قبلهم مصداقا للحديث الصحيح المعروف. وقد أفسد ذلك عليهم دنياهم وصحتهم كما أفسد دينهم وقد صح في الاحاديث لعن النبي ﷺ لمتخذي القبور مساجد ولواضعي السرج عليها، ووصفه اياهم بأنهم شرار الخلق عند الله عز وجل؟ آلله ياشيخ يوسف لو كان الوهابيون هم الذين يقترفون هذا كله وما قبله، مما حرم هذا لاجله، من دون قومك الذين ألفت هذا منهم، وتتأوله لهم تارة بحمل الفاظهم على المجازات اللغوية او العقلية التي لا يعقلونها وتارة بانه لا يضر مع العقيدة الاشعرية ماذا كنت تقول فيهم؟ حاسب نفسك قبل أن يحاسبك ربك وأنصف منها

مسيح الهند القادياني الدجال

(٤)

نقلنا في النبذة الثالثة من هذا الرد بعض نصوص القادياني في مسألة نسخ الجهاد وما فيها من اطراء الانكليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على المسلمين وتحريم جهادهم من كتابه (الهدى. والتبصرة لمن يرى) الذي ألفه للرد على صاحب المنار وقد أيد هذا في مواضع أخرى من كتبه محتجا بأن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت به غربة الاسلام وضعفه وانتصر أهله على النصارى المعبر عنهم عنده بيأجوج ومأجوج، وحصل كل ماورد انه يحصل بظهور المهدي والمسيح من عزة الاسلام والقضاء على أعدائه الكافرين. ومن ذلك ما فصله في أواخر خطبة له سماها (خطبة إلهامية) وزعم انها من معجزاته، فانه بعد أن زعم ان الذلة التي أصابت الملة الاسلامية في عصره ما أصابتها من قبل ولن تصيبها الى يوم الدين قال «فعند ذلك تنزل النصرة من السماء، ومعالم العزة من حضرة الكبرياء، من غير سيف ولا سنان ولا محاربين (*) واليه اشارة في قوله تعالى (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) وهو مراد من بعث المسيح الموعود يامعشر العاقلين (**) وفي لفظ النزول الذي جاء

(*) حاشية له من الاصل: إن عيسى بن مريم ماقاتل وما أمر بالقتال - فكذلك المسيح الموعود فانه على نموذجه من الله ذي الجلال - والسر فيه ان الله اراد أن يرسل خاتم خلفاء بني إسرائيل وخاتم خلفاء الاسلام - من غير السنان والحسام، ليزيل شبهات نشات من قبل في طبائع العوام - وليعلم الناس ان اشاعة الدين بامر من الله لا بضرب الاعناق وقتل الاقوام - ثم لما كان اليهود في وقت عيسى والمسلمون في وقت المسيح الموعود - قد خرج أكثرهم من التقوى وعصوا أحكام الرب الودود - فكان بعيدا من الحكمة الالهية ان يقتل الكافرين لهذه الفاسقين - فتدبر حق التدبر ولا تكن من الغافلين اهبنصه وإملائه السخيفين وهو يزعم أنه وحي من الله

(**) وكذلك اشير إلى المسيح الموعود في الكتاب الكريم اعني في سورة التحريم وهو قوله تعالى (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) ولاشك ان المراد من الروح ههنا عيسى ابن مريم فحاصل الآية أن الله وعد انه يجعل اخشى الناس من هذه الامة مسيح ابن مريم و ينفخ فيه روحه بطريق البروز فهذه وعد من الله في صورة المثل لاتقى الناس من المسلمين فانظر كيف سمي الله بعض أفراد هذه الامة عيسى بن مريم ولا تكن من الجاهلين اه بحروفه و إملائه الكثيري الاغلاط أيضا

في الاحاديث إيماء الى ان الامر والنصر ينزل كله من السماء في أيام المسيح من غير توسل أيدي الانسان ومن غير جهاد المجاهدين » الخ اه بحروفه

وكنت أريد أن أبحث في كتبه على نصوص أخرى في هذا الموضوع فراجعت بعض ما عندي منها على كثرة شواغلي في هذه السنة فشغلني عن مسألة الجهاد ما رأيته فيها من الجهالات السخيفة في الاستدلال على كونه هو المهدي المنتظر والمسيح الموعود به ، وغرائب تحريفه لآيات القرآن والاحاديث الواردة في هذه المسألة . ومنها ما كنت رأيته ونسيت تفصيله ، ومنها مالم أكن قرأته ، فان ذا المعرفة الفنية والملكة الذوقية في اللغة العربية ، يمل ويسأم وتغثى نفسه من اسجاعه المتكلفة التي يحاول بها محاكاة فواصل القرآن ، على ما فيها من الاغلاط النحوية والصرفية ، دع قواعد المعاني والبيان ،

وهو لعراقته في الجهل باللغة لا يستحيي من الاستدلال على مسيحيته بسورة الفاتحة وبسورة العصر ، وبآيات كثيرة من القرآن ، ليس فيها ادنى اشارة الى هذا الشأن ، كما رأى القارىء فيما نقلناه آنفا من خطبته الالهامية وحواشيها الجهلية ،

وكذلك يحمل على شخصه جميع الاحاديث الواردة بشأن عيسى عليه السلام ومن اغربها قوله في حاشيته ص ٩١ من التبصرة : « اول بلدة بايعني الناس فيها اسمها لدهيانة ، وهي اول أرض قامت الاشرار فيها للاهانة ، فلما كانت بيعة (كذا) المخلصين ، حربة لقتل الدجال اللعين ، باشاعة الحق المبين . اشير في الحديث ان المسيح يقتل الدجال على باب اللد بالضربة الواحدة - فاللد ملخص من لفظ لدهيانة . كما لا يخفى على ذوي الفطنة » اه بحروفه ومعلوم ان « اللد » اسم مدينة في فلسطين . فزعم هو ان المراد بها بلدة لدهيانة في الهند وان معنى لفظ الدجال مخالفة اعدائه . وان الحربة مبايعة المغرورين به له . وكان اتباعه يقبلون مثل هذا منه لجهلهم باللغة العربية واما الآن فقد صار لهم جمعية غنية يعتصمون بها لمنافعها .

وقد ظهر لمتقني هذه اللغة بعده مقدار جهله وسخفه وهوسه العقلي في دعواه فمنهم من ترك ضلالته ، ومنهم من اعتدلوا في دعاويهم فيه . وانما يصر عليها الجاهلون ، ويؤثرا لانتفاع الطامعون الجشعون . ولله في خلقه شؤون .

الحاد في القرآن

ودين جديد بين الباطنية والاسلام

المقالة الثالثة

ماقدمه من التمهيد ، لهذا الدين الجديد

قد مهد هذا الملحد لبيان الحاجة إلى دينه الجديد بهذه الدعاوي الخمس :

(١) قوله « ان هؤلاء المسلمين بعدوا عن القرآن ولم يعملوا به ، ففريق منهم لم يفكر فيه واكتفى منه بالانتساب اليه ، والفريق الآخر الذي يظن انه متمسك به بعد عنه من جهة الخطأ في التعاليم » اه

(٢) قوله « وقد بلغ الدس والحشو في التفاسير انك لا تجد أصلا من أصول القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله » اه

(٣) قوله في أصحاب المذاهب إنهم حكموا أصولهم في القرآن « حتى صار ميدانا للجدل وأصبح غير صالح للحياة .. فهدايته فقدت بالمجادلات في الالفاظ والمذاهب ، ومعانيه ومقاصده ضاعت بالروايات الناسخة ، والتفسيرات المتحجرة العقيمة »

(٤) قوله « وقد تغيرت معاني القرآن أيضا وتبدلت مقاصده باعتماد المفسرين على كتب اللغة التي تفسر الالفاظ بلازمها ، وتقصرها على بعض معانيها ، ... فتكون بذلك بعيدة عن فقه اللغة فيتغير معناها المراد في القرآن » اه

(٥) زعمه ان القرآن ليس له معاني قطعية ثابتة ، بل ألفاظه تقبل الآراء والانظار المختلفة المتعارضة في كل زمن وهذا معنى كونه متشابها ، وإذاً يجب تفسيره في كل عصر بما يناسبه . وقد ذكرنا قوله هذا في المقال الماضي وسنعيده قريباً في بيان أصول دينه الجديد

خلاصة هذه الدعاوى الخمس ان جميع المسلمين قد بعدوا عن دين الاسلام،

ولا يكاد يوجد أحد منهم عليه، وان سبب ذلك هو هدم المفسرين لجميع أصول القرآن وتبديلهم لها ، وكون علماء المذاهب حكموا أصولهم فيه، فزالت هدايته ، وضاعت معانيه ومقاصده ، وانه لا يمكن الاعتماد في فهمه على كتب اللغة التي استمد منها المفسرون لانها فاسدة بعيدة عن فقه اللغة فتتغير بها المعاني المقصودة من القرآن، ولانه ليس له معاني ثابتة يجب التزامها في كل زمان ،

ونتيجة ذلك كله أنه لما كان لابد للناس من الدين وانه « لما كان القرآن آخر الكتب الالهية كان واجبا على الناس أن يرجعوا اليه لمعرفة حقيقة الدين » ولما كان لا يمكن أخذ دين القرآن من كتب التفسير ولا من اصول المذاهب وفروعها ولا من كتب اللغة ـ وانه لابد أن تكون معاني القرآن في هذا العصر موافقة له دون ما قبله — ولما كان هو الذى بين هذا في تفسيره ، — تعين ان يكون ما جاءهم به (هذا الملحد) هو دين القرآن الذي لابد لهم منه ، وهذا عين ما كان يقوله دعاة ملاحدة الباطنية من ان مراد الله من القرآن لا يمكن العلم به إلا من إمامهم المعصوم كما هو مبين في كتب المقالات والتاريخ والمناظرات معهم (راجع أخصرها وهو القسطاس المستقيم للغزالي) واننا نشير الى بطلان مقدماته بالاختصار فنقول :

أما الدعوى الاولى فهي صادقة في كثير من المسلمين لا في جميعهم، وقد بينا هذا في مواضع كثيرة من تفسير المنار ومجلة المنار ، ونعبر عن هؤلاء المسلمين بالجغرافيين، أي الذين يعدون من المسلمين في إحصاء الحكومات وعلماء الجغرافية للامم والشعوب مع بيان أديانهم الرسمية . وقد سرقها هذا المدعي الكذاب إلا انه جعلها عامة، ومقدمة لنتيجة باطلة . بل علاها بما يجعل حكمه عاما يشمل مسلمي السلف كلهم ،

وأما الدعوى الثانية فهي باطلة ، ليس فيها للحق شية ولا شائبة، فالروايات الموضوعة قليلة في أكثر التفاسير ، ولا يعتمد عليها في هدم شيء من أصول الدين ، واما دينه هو فتهدمه نصوص القرآن القطعية ، والسنن القولية والعملية،

وأما الدعوى الثالثة فمقدمتها تصدق في بعض آراء المقلدين المتعصبين لمذاهبهم من المفسرين، وهي التي نبين القول الراجح منها في تفسيرنا . والاقيسة المؤلفة من مقدمات جزئية ، لا تنتج نتيجة كلية ، فدعواه ان هداية القرآن فقدت بذلك دعوى باطلة

وأبطل منها زعمه ان معاني القرآن ومقاصده ضاعت بالروايات الناسخة ، والتفسيرات المتحجرة العقيمة ، أما النسخ الاصولي فالسيوطي حصر آياته في عشرين ، وحقق بعض الاصوليين كالشوكاني انها بضع آيات فقط دع انكار بعض المفسرين للنسخ من أصله ، وترجيح آخرين لكثير من نقضه لما قيل فيها

ومن العجيب الغريب أن هذا الملحد المغرور يتصدى لنسخ آيات العقائد والاخبار الالهية التي أجمع العلماء على أنها كلها محكمة لا يعرض لها النسخ ، وينسخ أيضا كثيراً من الاحكام القطعية بفهمه الباطل . ثم يزعم ان القرآن قد ضاعت معانيه كلها بذهاب المفسرين إلى نسخ بعض الآيات بآيات أخرى خير منها للامة او مثلها !

وأعجب من هذا وأغرب انه يزعم ان القرآن يحتمل جميع الآراء والافهام ، وهو ينكر على أعلم الناس به مافهموه منه ! !

وأما التفسيرات التي سماها المتحجرة تقليداً لأدعياء التجديد الالحادي من المتفرنجين فلا يقبل لمثله قول فيها بعد ماعلم من جهله وإلحاده وبراءته مما أجمع المسلمون على انه من محكمات القرآن وأصول الاسلام

وأما الدعوى الرابعة فهي ظاهرة البطلان أيضاً فالمحققون من المفسرين راسخون في فقه اللغة ، وكتب اللغة في جملتها قد حققت المعاني الاصلية للألفاظ ، ومنها ما فرق بين الحقيقة والمجاز ، وعابوا على الفيروزبادي الخلط بينهما ، وحشر الالفاظ الاصطلاحية فيها . وناهيك بمفردات القرآن للراغب واساس البلاغة للزمخشري دلالة على ذلك ، وهذا جهل منه لايحتاج دحضه إلى التطويل

وأما الدعوى الخامسة فنذكر وجه بطلانها في الكلام على الاصل الثاني من أصول دينه الجديد ، وانما نقول هنا انها مستمدة من إلحاد الباطنية . قال النسفي في عقائده : النصوص على ظاهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد . وقال السعد التفتازاني في شرحه لها : سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم (يعني الذي يسمونه الامام المعصوم)

بعد هذا التمهيد نبين أصول دين هذا الملحد الجديد ، فنقول :

الاصل الاول

﴿ للدين الجديد تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ﴾

هو ماسماه طريقته في تفسير القرآن وهو « كشف معنى الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور ، فيكون من ذلك العلم بكل مواضيع القرآن ، ويكون القرآن هو الذي يفسر نفسه بنفسه كما أخبر الله ، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع »

أقول : هذا الاصل كله جهل وغش ، سببه ان مدعيه فاقد لكل ما اشترطه العلماء من العلوم التي يتوقف عليها فهم القرآن وتفسيره . وبيانه من وجوه

(الوجه الاول) ان من لم يكن يفهم القرآن بما أوتي من العلم باللغة الفصحى وسيرة الرسول ﷺ وسننه العملية والقولية لا يمكن أن يفهم كل آية بمراجعة ما يناسبها في لفظها ومعناها ، وانما الذي قررناه في تفسير المنار هو ان الذي يفهم الآيات المتعددة في موضوع واحد يحتاج إلى استحضارها عند ارادته بيان حكم الله تعالى في ذلك الموضوع

(الوجه الثاني) ان هذه الطريقة أكبر شاغل عن تدبر القرآن والاهتداء به ، اذ يأمره عند تلاوة الآية الواحدة بمراجعة آيات كثيرة يدعي هو انها بمعناها . ومن المعلوم بالضرورة أنه قد يكون في كل آية منها معاني أخرى غير اللفظ او المعنى المراد من المقابلة وحينئذ يضطرب الفهم في اختلاط هذه المعاني فلا يسلم للقاريء منها شيء

(الوجه الثالث) قوله ان الله أخبر بهذا ـ هو كذب وافتراء على الله ، فان الله لم يخبر بهذا ، ولو أخبر به لبينه بالعمل رسوله الذي أنزل عليه بتلاوة الآية مع كل ما نزل بمعناها ، ولنقل ذلك بالتواتر ، ولكنه لم ينقل قط لا تواتراً ولا آحاداً

(الوجه الرابع) قوله ولا يحتاج إلى شيء من الخارج الخ باطل فان ما يحتاج اليه مريد فهم القرآن من الخارج (ولا يصح اسناد الاحتياج إلى القرآن نفسه) غير ماذكره كثير ، وأهمه وأوله وأولاه بالتقديم معرفة معاني مفرداته وأساليبه في اللغة العربية الفصحى ، كالعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين وقواعد النحو والمعاني والبيان ـ ويليه او يقرن به معرفة حال الامة العربية قبل نزول القرآن

وفي أثناء نزوله ومعرفة سيرة الرسول وسننه . فهذا مايتوقف عليه فهم عقائد الدين الذي جاء به وعباداته وأصول التشريع فيه وهي المقاصد الاساسية للدين. وأما معرفة سنن الله تعالى في الكون والاجتماع فهي مزيد كمال في هذا الدين

ولكن هذا الملحد يريد هدم بعض قواعد هذه العقائد والاصول والاحكام ، محتجا على هدمها بمخالفتها لسنن الكون ونظام الاجتماع ، وهو يجهل هذه السنن كما يجهل تلك القواعد والاحكام .

(الوجه الخامس) ان الله قد وكل بيان كتابه إلى رسوله الذي أنزله عليه بمثل قوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وقرن طاعته بطاعته أمراً ونهيا ، ووعداً ووعيداً ، فزعم هذا الملحد ان المسلم لايحتاج في فهم القرآن إلى غير القرآن الخ هو كفر بالقرآن وبمن أنزل عليه القرآن ، وبناء على هذا قال ﷺ للناس « خذوا عني مناسككم » وقال « صلوا كما رأيتموني أصلي » ولكن هذا الملحد لم يحرم بالحج من الميقات كما أحرم النبي ﷺ وأصحابه لانه غير متبع للرسول ﷺ وقد أمر القرآن باتباعه ، وناط به حب الله تعالى والفلاح في الآخرة

وجملة القول في هذا الاصل الذي انتحله لتفسيره بالباطل انه يستغني عنه المفسر إذا أراد جمع الآيات في كل موضوع بكتاب (فتح الرحمن ، لطالب آيات القرآن) وكتاب (مفتاح كنوز القرآن) وكتاب (نجوم الفرقان) وما في موضوعها. بل أرقامه التي وضعها هو المراجعة ليست عامة لكل الالفاظ ولا لكل المعاني . وهي قاصرة على مايفهمه هو، وفهمه سخيف باطل كما علم من الشاهد الذي أوردناه منه في المقال الاول في الانس والجن

وقد وضع الشيخ ثناء الله الهندي المعاصر تفسيراً سماه (تفسير القرآن، بكلام الرحمن) وتباع الطبعة الثانية منه في مكتبة المنار. وانا لنذمه إذا قلنا انه أصح من هذا الملحد فهماً، وأوسع علما . والحافظ ابن كثير يعنى في تفسيره بايراد الآيات الكثيرة في معنى الآية التي يفسرها .ونحن أشد عناية في تفسيرنا بايراد مايتوقف عليه تحقيق المعنى اللغوي أو العلمي من هذه الآيات ، وما يصح شاهداً على بعض المعاني المطلوبة يغني عن اطالة القول في بعض آخر .

الاصل الثاني

﴿ في الدين الجديد المحكم والمتشابه من القرآن ﴾

وهو زعمه ان أصول الدين المحكمات في القرآن هي الثلاثة الآتية وان القرآن كله متشابه قال « أي انه من تعدد المعنى يتشابه ويختلف عن الناظرين ولا يضر الناس اختلافهم في المعاني والافهام ماداموا يرجعون الى المحكمات من الاصول والامهات ، أي يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات »

المراد من هذا الاصل انه ليس في القرآن نصوص قطعية الدلالة في العقائد ولا في التشريع يجب على أهله التزامها علما وعملا ، بل يكفي كل أحد أن يؤمن بأن للعالم إلهاً وباليوم الآخر ويعمل الصالحات بحسب رأيه غير متقيد في ذلك بما أجمع المسلمون على نقله من عهد الرسول الى هذا العهد من قول ولا فعل ، وله أن يفهم القرآن كما يشاء ، لانه قابل بتشابهه لكل فهم وكل رأي (قال) « وان آراء المفسرين فيه تابعة للبيئة والظروف المحيطة بهم ، وهذه تتغير وتتجدد ، فالجمود على آراء فاتها الزمان مؤخر للأمة ، وجعل القرآن مقيداً بهذه الآراء ضار به ، لانه يجعله غير صالح لكل وقت فيضيق سعته » اه

خلاصة هذا أنه يمكن أن يكون لكل فرد يدعي اتباع القرآن دين خاص به ، وقد صرح بهذا فيما سماه الواجب الختامي لمقدمته بقوله : « والواجب أن كل انسان يعمل في خاصة نفسه بما يفهمه ويقتنع به ، ولا يكون تابعاً لأحد بدون برهان »

وأول مايخطر في بال من وقف على ماتقدم من مقدماته انه يريد من « فهم كل انسان » مايخطر بباله من معاني القرآن لانها متشابهة لا يمكن القطع بشيء منها . وهو لا يبيح لاحد أن يعتمد فيها على كتب اللغة ولا على السنة النبوية ولا على اجماع السلف ، فضلا عن مذاهب الائمة ، وهذا هو الذي يجري عليه في العمل ، فانني لما أقمت له الحجة على بطلان ما كتبه في مسألة الاماء والتسري أو التزوج بهن لم يقبل مني الاحتجاج بنص اللغة ولا بما جرى عليه العمل من عهد النبي ﷺ

فهو يزعم أن قوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) ان مملوكات اليمين هن الخوادم الخ .

وقد قال يومئذ لمن كان يتكلم معهم في هذه المسألة إن السيد لم يقنعني . . .

والذي قررناه في المنار وفي تفسير المنار فيما يشبه هذه المسألة أن الاحكام الثابتة بالنصوص القطعية والسنن العملية المتبعة واجماع الصحابة يتعين على كل مسلم اتباعها

وأما المسائل الاجتهادية فيجب على الباحث في الادلة أن يعمل بما يثبت عنده منها في المسائل الشخصية ، ومن لم يكن من أهل الاستدلال فيستفتي فيما يعرض له من ذلك من يثق بعلمه ودينه ، سائلا عن حكم الله ورسوله . ولكن هذا الملحد جعل الاحكام وكذا العقائد كلها فوضى كما علمت ، فهدم بهذا أعظم قاعدة للدين تقي أهله من الفوضى في عباداتهم وآدابهم وبه يكونون أمة واحدة متحدة في عقائدها وعباداتها

وكذلك أهمل وجوب العمل بنصوص الكتاب والسنة في أحكام المعاملات المتعلقة بامور الامة والدولة فقال بعد ماتقدم « فمرجعها أهل الشورى من العلماء فان الذي يقررونه باجتهادهم وتطبيقهم هو الواجب اتباعه والعمل به ، ولا يجوز لفريق من الامة أن يشذ عنه »

والذي قررناه في تفسير (٤ : ٥٩ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وغيره ان طاعة أولي الامر وأهل الحل والعقد بالشورى بينهم هي في المرتبة الثالثة بعد طاعة الله وطاعة رسوله وخاصة بما ليس فيه نص قطعي وهو المسائل الاجتهادية . في المصالح العامة والاحكام القضائية ومن أصول دينه الجديد أن كلام الله تعالى ليس فيه نصوص قطعية يجب التزامها دائما ، وأما رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تجب طاعته بمقتضى رسالته . وكما ترى :

الاصل الثالث

﴿ للدين الجديد اباحة مخالفة الرسول بمحض الرأي والمشاورة ﴾

وهو ما صرح به في تفسيره لقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) إذ قال كما تقدم في المقال الاول ما نصه « يفيدك ان المخالفة المحذورة هي التي تكون للاعراض عن أمره ، واما التي تكون للرأي والشورى فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى » اه أي فهي مرجحة على الطاعة له ﷺ هذا مع كونه في تفسير آية سورة النساء المشار اليها آنفا (٤ : ٥٩) أوجب طاعة الرسول من حيث هو رئيس حكومة شورية ، لا من حيث رسالته ، فالظاهر انه كما يخص هذا الوجوب بعصره ﷺ يخصه بما كان تنفيذاً لحكم الشورى

نعم انه فسر قوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليما) بقوله (ص ٢٣٤) « اقبلوا عليه بكل ما يحكم الصلة بينكم وبينه — ولا تعارضوا في شيء من أحكامه وتعاليمه ، انظر النساء في ٦٥ »

فهو على شذوذه ومخالفته اللغة والاجماع في هذا التفسير للصلاة والتسليم أحال فيه على آية ٦٥ من سورة النساء وهي قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية وقد فسرها بقوله « يفيدك ان مقتضى الاسلام تحكيم دين الله والرضاء بقضاء رسوله ، فكل من ينتسب إلى الدين ولا يخضع لحكمه لا يكون انتسابه إلا رياء ونفاقا » اه

فقد علم بهذا ان مراده بعدم المعارضة في أحكام الرسول وتعاليمه خاص بقضائه ﷺ بحكم الله ، لا عام لكل أوامره ونواهيه التشريعية ، وهو مقتضى قاعدته وجوب طاعة الرسول في عصره لرياسته للحكومة لا لرسالته مطلقا . مع تقييدها بعدم مخالفة الرأي والمصلحة جمعا بين نصوصه السقيمة على ما فيها من التعارض والاختلاف .

ومن فروع هذا الاصل وما قبله زعمه أن السرقة والزنى لا حد على فاعلهما

إلا إذا تكررا وصارا من العادات له . ولما احتج عليه بعض أهل العلم بإقامة النبي ﷺ حد الزنا على ماعز والغامدية وقد زنيا مرة واحدة رفض هذا الاحتجاج ولم يعتد بفهم النبي ﷺ للآية ولا بعمله في تنفيذ حكم الله تعالى ، لانه مخالف لرأيه، وزعمه انه كان ﷺ يطاع في عصره لرياسته لا لرسالته

(ومنها) انكاره للرق والتسري والتزوج بالامة وما يتعلق بذلك من النصوص

الاصل الرابع

(للدين الجديد النزعة المادية)

ترى هذا الملحد مقلدا اتباعه الماديين في انكار ماوراء المادة المدركة بالحس مما ثبت في كل دين وتاريخ كل أمة وأشهره مايعبر عنه بالملائكة والجن والشياطين كما ترى في المعاجم والمعالم العلمية والتواريخ والكتب الدينية فهو يحرف الآيات في ذلك تحريفا مخالفا لما هو متواتر عن أهل اللغة وعن جميع رسل الله تعالى وأتباعهم . وكذلك عرش الرحمن فانه يفسره بالملك ، وملك الله (بضم الميم) عبارة عن جميع مخلوقاته التي يتصرف فيها ويطلق على التصرف بالتدبير ، كما يطلق الملك (بالكسر) على التصرف في الاعيان . ونصوص الكتاب والسنة صريحة في أن العرش مخلوق عظيم فوق السموات كلها وانه كان قبل تكوين السموات والارض على الماء ، وان له حملة من الملائكة ، وانهم يكونون يوم القيامة ثمانية ، وقد شبهنا كونه مركز التدبير العام للعالم كله بالبناء الذي تولد فيه الكهرباء لمدينة عظيمة تنيرها كلها وتدير جميع آلات الصناعة فيها ، وهو يحرف الآيات فيه وأما الاحاديث النبوية فلا تدخل في دينه من باب التشريع ولا من باب اللغة والتفسير ،

إن هذا التحريف ليس مما ابتدعه خيال هذا الملحد بل هو مسبوق اليه من الباطنية وغيرهم كما قلنا مراراً . وقد ذكر الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس معنى كلمة شيطان وأشار إلى مواضعها من العهدين الجديد وذكر ثلاثة

آراءهم في تأويل نصوص الانجيل في دخول الشياطين الناس والبهائم واحداثهم فيهم اعراض الجنون قال

(١) انه يشير إلى دخول مبدأ الشر فيهم واستيلائه عليهم وان إخراج الشياطين بكلمة الرب يشير إلى غلبته على الشر بتعليمه وسيرته (قال) على ان ذلك يخالف النص الصريح

(٢) ان المجانين لم يكونوا بالحقيقة تحت صولة الشياطين ، إلا انه حيث ظن الناس بذلك تكلم ربنا ورسله حسب اعتقاد العالم الخ

(٣) ان دخول الشياطين كان أمراً حقيقيا ظهر على هيئة أمراض جسدية وعقلية (قال) وهذا هو الصواب - إلى أن قال - وأخيراً لا بد من هذا التفسير لمن يعتبر المسيح صادقا اهـ المراد منه ، وهكذا يقول كل عاقل في اخبار الرسول الذي يؤمن به والكتاب الذي جاء به

وأما الملائكة فالايمان بهم من أصول العقيدة وأركان الايمان وهو يلي الايمان بالله تعالى ، ويليه الايمان بالرسل (عليهما السلام) لان الوحي الذي يكون به الرسول رسولا يكون في الغالب الا كثر بتبليغ الملائكة . وكون الملائكة من عالم الغيب المقابل لعالم الشهادة أو المادة معروف في جميع الاديان الالهية

ومن المعروف عندهم أنهم قادرون على التشكل في الصور الجسمانية ، وأنهم كانوا يتمثلون للانبياء عليهم السلام بصور البشر ، وهذا ثابت عندنا في نصوص القرآن والاخبار النبوية الصحيحة . وأهل الكتاب يصورونهم بأجنحة اتباعا للمأثور عندهم . ولكن تلك الصور خيالية . وأما الاجنحة فهي ثابتة عندنا بقوله تعالى في أول سورة فاطر (الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق مايشاء إن الله على كل شيء قدير)

وملاحدة الباطنية يتأولون هذه النصوص وتبعهم ملحد دمنهور ، ولكن كلامه في الآيات المختلفة في خلقهم وأعمالهم مذبذب ليس له قاعدة ولا نظام كالمعروف عن الباطنية ، فهو يسميهم في قصة آدم من سورة البقرة رسل النظام وعالم السنن ، ويقول في قوله تعالى (أولي أجنحة) : « يمثل لك السرعة في إجراء سننه تعالى

في الكون وتنفيذ أمره » يعني انه ليس هنالك مخلوقات لها أجنحة حقيقية ، ويقول في قوله تعالى في قصة مريم (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا) مانصه: « يفهمك انها رؤيا تمثيلية ، وبشارة روحية » وفي مواضع أخرى يحيل على الآيات المتشابهة كالآيات في ملائكة الموت الذين يتوفون الناس فلا يمكن لمتبع دينه السخيف أن يقف بعقيدته في الملائكة على معنى جامع معقول ، فضلا عن مخالفته للمنقول ، ولارباب الاديان والعقول

الاصل الخامس

(لهذا الدين الجديد جحد مبتدعة لآيات الله التي جاءت على غير المعهود عند الناس كمعجزات الرسل عليهم السلام)

ان أكثر البشر في مشارق الارض ومغاربها يعتقدون ان هذا العالم علويه وسفليه صنع خالق عليم حكيم مريد مختار ، وأنه لم يوجد بالمصادفة والاتفاق ، أو تأثير ضرورات المادة العمياء ، وفي كل شيء منه آيات دالة على ذلك . وشذ أفراد منهم ظنوا ان سنن النظام العام المطردة تنافي أن تكون فعل فاعل مختار ، يقدر أن يتصرف في الكون كما يشاء ، فأقام الله تعالى حجته البالغة على عموم قدرته وشمول ارادته ، وكونه هو المقدر للسنن (النواميس) والمتصرف فيها والحاكم عليها ، ولا تتقيد قدرته بها ، إذا اقتضت حكمته شيئاً غيرها . فأوجد في الكون آيات أخرى مخالفة للمعروف عند البشر ، ومنها ما أيد به رسله عليهم السلام فأقام بهم الحجة على الذين تقيدت عقولهم بما ألفته حواسهم ، وكان ما جاءت به الرسل من اخبار عالم الغيب (ومنه الملائكة والجن) وما أيدهم الله تعالى به من الآيات أكبر فائدة للشعوب المهتدية بالدين ثم لغيرهم في كشف أسرار الكون الخفية ، وتوسيع دوائر العلوم والفنون الطبيعية والفلكية ، ولو ظلوا مقيدين بمألوفات الحواس ونظريات العقول ، لما بحثوا عن غيرها ، ولما وصلوا إلى ما وصلوا اليه في هذا الزمان ، مما كان يجزم الناس بانه من محالات العقول وخيالات الاوهام .

ولكن الماديين أنكروا تلك المعجزات بحجة أنها مخالفة لسنن الكون (نواميس الطبيعة) وزعمهم ان مخالفتها محال، وسلك ملاحدة الباطنية هذه السبيل في التشكيك في الدين وإفساد عقائد العوام، واتبعهم في هذا على جهل وغباوة ملحد دمنهور في دينه الجديد، كما نوهنا بذلك في مقالنا الأول، فهو يتأول تلك الآيات كلها فيزعم أنه لم يكن لموسى ولا لعيسى ولا لغيرهما من رسل الله تعالى آية على الرسالة إلا الحجة العقلية والسيرة الادبية، فلافرق عنده بينهم وبين الادباء والفلاسفة. وقد فرق بينهم جميع الامم فقال المؤمنون بهم انهم جاؤا بآيات هي من خوارق العادات، دالة بعجز البشر عن مثلها، على انها من عند الله تعالى أيدهم بها، وقال الكافرون بهم انها سحر مبين، ونصوص القرآن في هذا عديدة، فلو كانت آياتهم هي الحجج القولية، والاداب العملية، لما وصفها الكافرون بالسحر، ولكان قوله تعالى حكاية عن كفار قريش (لولا يأتينا بآية من ربه) فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) دليلا على انه ﷺ لم يأتهم بآية علمية أدبية، وهو هو الذي جاء بأكمل الحجج العقلية والعلمية والتعاليم الادبية. وقد وعدنا بذلك كلمة في شأن عيسى وأمه عليهما السلام في هذه المقالة فنقول:

﴿ الشواهد على جحده لآيات المسيح وأمه عليهما السلام ﴾

(١) قال في تفسير قوله تعالى (٢٣: ٥٠ وجعلنا ابن مريم وأمه آية) مانصه: «جعلناهما آية بسيرتهما الحسنة وبالنجاة من الصلب الذي كان مدبراً للمسيح فهربت به أمه وهاجر كما يهاجر كل نبي خوفا من القتل» اهـ

(٢) وقال في تفسير قوله تعالى (٣: ٦ هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) مانصه: «ذكر التصوير في الارحام هنا مقدمة لذكر عيسى واظهار ان الله صوره في الرحم كما صور غيره».

(٣) قال في تفسير قوله تعالى (١٩: ١٧ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا) «يفهمك انها رؤيا تمثيلية، » أي رؤيا في المنام

ونقول إن الله تعالى بين في سورتي الانبياء والتحريم ان هذا الروح (أي

الملك) نفخ فيها نفخة كانت سبب حملها بالمسيح عليه السلام ، وفي الآية الاولى أسند الله النفخ إلى نفسه فقال (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) فهل يتبع هذا الملحد عاقل أو مجنون فيقول ان المراد من الاية جعلها آية بادابها ؟ وهو لم يتكلم على هاتين الآيتين بل اكتفى بالاحالة على هذه الآية وقد أحال فيها على الآيتين ٩ و ١٠ قبلها يعني قوله في حمل امرأة زكريا بيحيى عليهما السلام « فآية الله في مجيء الغلام لم تخالف سنته في نظام التناسل والزوجية » اه

وهذا خطأ مزدوج فان إزالة عقم المرأة وحملها ولا سيما في الكبر مخالف للسنن المعهودة في الحمل ، وآية على قدرة الله تعالى على خرق العوائد . وأما حمل مريم بالمسيح فليس فيه من نظام الزوجية شيء ، وهو نص ماقصه الله تعالى من قولها للملك المبشر لها (٢٠ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا) وفي معناه آية آل عمران (٣: ٤٧ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وهذا الجواب من الله تعالى نص في ان هبة هذا الولد لها يكون بمحض إرادة الله المعبر عنها بكلمة التكوين لا بسنة الزوجية المعروفة . ومثله :

(٤) قوله تعالى (٣: ٥٩ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقد كتب عليها هذا الملحد « أي لم يكن عيسى خارجا عن نظام البشرية حتى يصفوه بما لاينبغي لها من الصفات الالهية . راجع قصة آدم في أوائل البقرة اه

وأقول انه قال في قصة آدم إنها « قصة فيها تمثيل حياة الانسان وتطوراته » فأي مناسبة بين قصة تمثيلية لأطوار البشر وبين خلق عيسى وهو شخص معين

(٥) انه حرف المعجزات المنصوصة في الآية (٤٩) من هذه السورة بما يأتي : أما النفخ في صورة الطير من الطين فتحل فيها الحياة فتكون طيرا فقال فيه « يفيدك التمثيل لاخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته الى خفة العلم وروحه » وأما ابراء الأكمه والابرص فقد قال فيه « ان الأكمه من ليس عنده نظر ،

والابرص المتلون بما يشوه الفطرة » ثم قال « فهل عيسى يبرىء هذا بمعنى انه يكمل التكوين الجسماني بالاعمال الطبية أم بمعني انه يكمل التكوين الروحي والفكري بالهداية الدينية » ؟

نقول انه لايكمل التكوين الجسدي ولا الروحي انما يزيل باذن الله هذه العاهة وهذا المرض من الجسد ، وأما الهداية الدينية فلم يعط نبي من الانبياء منها إلا الدلالة والتعليم ، وأما الهداية بالفعل التي هي اتمام التكوين الروحي فهي لله وحده كما قال عز وجل لخاتم النبيين (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

ثم قال في تحريف قوله عليه السلام لبني اسرائيل (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) مانصه « يعلمهم التدبير المنزلي »!!

يعني ان من مقاصد بعثة المسيح امام الزاهدين أن يعلم اليهود التدبير المنزلي وهم عبيد المال وأعلم علماء الارض بشؤون الكسب والرزق !!

(٦) ثم قال في تفسير الآيات التي في آخر سورة المائدة في هذا المعنى وفيها احياء الموتى ما نصه :

« من هذا تعرف ان عيسى نبي أرسله الله الى بني اسرائيل ليشفي مرض نفوسهم ، ويحيي موت قلوبهم ، فآيته في دعوته (أي كائنة في دعوته) وسيرته وهدايته ، عاش ومات كغيره من الانبياء في بشريته ، فلم يكن خارقا لله في سنته، ولا ممتازاً بما يدعو الى ألوهيته وعبادته » اه

أما زعمه انه لم يكن ممتازا فهذا باطل مخالف لنصوص القرآن ولما عند النصارى من نصوص الاناجيل ، وأما كون هذا الامتياز لايدعو الى ألوهيته وعبادته فهذا حق أريد به باطل ، من هذا الملحد الجاهل .

﴿ مأخذ هذا التحريف من كلام الباطنية ﴾

ان من اطلع على ماقاله الباطنية وكذا غلاة الصوفية في تأويل هذه الآيات وأمثالها يعلم أن هذا الملحد قد سلك طريقتهم وأخذ هذا الكفر عنهم بنوعه أو

عينه في بعض العبارات ولم أر له تحريفا لم أر له نظيراً إلا تحريف آية الاسراء فقد أولها بالهجرة من مكة إلى المدينة وقال ان المسجد الاقصى هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيها . وقد بلغنا هذا الزعم عن بعض اليهود الصهيونيين فان صح هذا النقل كان غير مستقل بهذه السخافة أيضا

سورة الاسراء نزلت قبل الهجرة بسنين . ووصف الله المسجد الاقصى بقوله (الذي باركنا حوله) يدل على أن موقعه بالقرب من مهاجر ابراهيم ولوط عليهما السلام إذ قال تعالى (ونجيناه ولوطا إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وورد في الاحاديث النبوية الصحيحة ذكر المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي في المدينة والمسجد الاقصى . وان ثواب الصلاة في الثلاثة مضاعف والتفاضل بينها على هذا الترتيب .

وجملة القول ان هذا الملحد قد أخذ إلحاده كله عن ملاحدة الباطنية وبعض الماديين ولكنه لم يتقن صرف الناس عن دين الله تعالى بعض إتقانهم

مثال من تأويل الباطنية لآيات المسيح عليه السلام

وإنني أذكر شاهداً واحداً من تفسير الكاشاني الباطني المنسوب الى الشيخ محيي الدين بن عربي في آيات عيسى عليه السلام المذكورة آنفا من تفسير آية آل عمران . قال في قوله (ورسولا الى بني اسرائيل) الخ «ورسولا» الى المستعدين الروحانيين من أساطين يعقوب الروح (اني قد جئتكم بآية من ربكم) تدل على اني آتيكم من عنده (اني اخلق لكم) بالتربية والتزكية والحكمة العمليـة من طين نفوس المستعدين الناقصين (كهيئة الطير) الطائر إلى جناب القدس من شدة الشوق (فأنفخ فيه) من نفث العلم الالهي ونفس الحياة الحقيقية بتأثير الصحبـة والتربية (فيكون طيراً) اي نفسا حية طائرة بجناح الشوق والهمة الى جناب الحق (وأبرىء الاكمه) المحجوب عن نور الحق الذى لم تنفتح عين بصيرته قط ، ولم تبصر شمس وجه الحق ولا نوره ، ولم يعرف أهله بكحل نور الهداية (والابرص) المعيوب نفسه بمرض الرذائل والعقائد الفاسدة ، ومحبة الدنيا ، ولوث الشهوات

لطب النفوس (وأحيي) موتى الجهل بحياة العلم (باذن الله . وأنبئكم بما تأكلون) تتناولون من مباشرة الشهوات واللذات (وما تدخرون في بيوتكم) أي في بيوت عيوبكم من الدواعي والنيات اه

هذا وان صاحب هذا الكلام لا يسميه تفسيراً للقرآن ، ولا ينكر التفسير الظاهر المأثور والمعقول ، بل يقول ان هذا تأويل يشير إلى مقاصد روحية وتهذيبية وفاقا لما ورد من أن للقرآن ظهراً وبطنا . ولكن الباطنية يزعمون أن ظواهر القرآن التي يقتصر عليها المفسرون خاصة بالعوام غير المرتقين في معارج العرفان ، وان المعاني الباطنة هي المقصودة بالذات ، التي يستغني من ارتقى اليها عما يكلفه العوام من الاعمال والعبادات

والذي قصد بملحد دمنهور عن شأو كل من كتب في التفسير من أهل الشرع وأهل الالحاد ، وأهل الظاهر والباطن ، هو انه جاهل بعلوم الجميع ، ومستعجل لاستغلال القرآن بايجاد تفسير للملاحدة الماديين المتفرنجين ، ظن أنه يجد فيهم عصبية له فيكون إمام المجددين ، وقد خاب ظنه فيهم ، فلم ينتصر له أحد منهم

ارتداد من يصدق أصول هذا الدين الجديد

وجملة القول في هذه الحواشي (الهوامش) التي دنس المصحف الشريف المعظم بطبعها عليه انها إلحاد جديد في كتاب الله تعالى هو أعرق في الجهل ومحاولة هدم دين او الاسلام من إلحاد الباطنية ، فمن صدق تلك الاصول التي أجملناها كلها أو بعضها يحكم بارتداده عن دين الاسلام باجماع المسلمين ، ولا يجوز لامرأته المسلمة أن تعاشره معاشرة الازواج ، ولا يرث المسلمين ولا يرثونه . ونحن لا نخشى أن يتبعها جماعة تتألف منه ملة جديدة كالبابية البهائية أو الأزلية ، ولا فرقة مارقة مع التمسك بأركان الاسلام الخمسة كالمسيحية القاديانية ، وإنما نخشى أن ينتشر هذا المصحف فيظن بعض الجاهلين بأصول الدين وعقائده أنه تفسير لبعض آيات القرآن فيعلق بأذهانهم بعض ما فيها من العقائد الفاسدة او بعض تحريف آيات الاحكام المخالف لاجماع المسلمين . فهذا أهم ما حملنا على كتابة هذه

المقالات ونشرها في الاهرام التي هي الآن أوسع الجرائد انتشاراً . فنحن نجزم بأن بيع هـذا المصحف حرام ، واقتناءه حرام ، إلا لعـالم قادر على تفنيد مافيه من الكفر والضلال، ونعتقد أن جميع علماء الاسلام يوافقوننا في هذا

هذا وانه قدجهر بهذا الكفر في وقت سئم فيه العالم المدني من مفاسد الافكار المادية ، وضعف الحياة الروحية الدينية، وتألفت كتب وتأسست جمعيات في أوربة وأمريكة لاحياء العقائد الدينية ، وسنحت الفرصة لعلماء المسلمين الحكماء العارفين بحال هـذا الزمن لعرض هداية القرآن الوسط الجامعة بين الحيـاتين الجسدية والروحية على العالم المدني ، واقناعهم بأنها هي التي تخرجهم من هذه الفوضى المادية والادبية، والاخطار الاستعمارية والبلشفية ، التي يخشى أن تدعهم دعًّا الى حرب عامة أخرى تدمر هـذه الحضارة وتقضي على أهلها . وقد فصلنا هذا في المنار وتفسيره وجزمنا ـ تبعاً لأستاذنا الامام ـ بأن العالم المدني كله سيتبع هداية القرآن (ولتعلمن نبأه بعد حين)

وقد ضاق المقال عن بيان جهل هذا الملحد بالسنن العامة والاجتماعية التي يتوكأ عليها في هدم الدين ، فوجب أن نخصه بمقال آخر هو مما يهتم به جميع المتدينين اهـ

(المنار) أرسلنا هذه المقالات الى جريدة الاهرام التى فتحت باب الخوض فى هذه المسألة على مصراعيه فى وقت عطلت فيه جرائد المسلمين اليومية ، لاسباب سياسية محلية ، ولكن الاهرام أبطأت في نشرها ، حتى ان المقالة الثالثة الاخيرة قسمت الى ثلاث مقالات لتنشر متتابعة في ثلاثة أيام متوالية ، فنشرت متفرقة في زهاء ثلاثة أسابيع ، ولم يعتن بتصحيحها ولا تصحيح ماقبلها فكثر فيها الغلط والتحريف والسقط ،

وقد علمت ان بعض علماء الازهر وغيرهم حفظوا نسخ الاهرام التي نشرتها ولا بد أن يستغنوا عنها بالمنار ، ومن لا يقتني المنـار ينبغي له أن

يصحح ما نشر في الاهرام بالمقابلة عليه . وليعلم القراء ان هذا الملحد هو محمد ابو زيد الذي كان دخل مدرستنا دار الدعوة والارشاد وكنت كتمت اسمه حياء من خزيه وعاره، ولكن قال لي الاستاذ الاكبر شيخ الازهر: وماذا عليك من ذلك وقد ارتد أحد المسلمين الاولين ممن كتبوا الوحي عن الاسلام فلم يضر ارتداده الاسلام ولم يشوه المسلمين. وقال غيره من اخواننا ان الله تعالى قال في كتابه وهو الهدى للمتقين (يضل به كثيراً ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون) وهذا الرجل المخذول منهم هداه الله

التجديد والتجدد والمجددون

محاضرة ألقاها صاحب هذه المجلة في نادي الجمعية الجغرافية الملكية، باقتراح جمعية الرابطة الشرقية في احدى ليالي رمضان سنة ١٣٤٨ وقد حضرها الجم الغفير من العلماء والادباء وطلبة العلم بالازهر ونجباء المدارس العالية، وفضليات النساء. وكذا بعض فضلاء المستشرقين من الشعوب الاوربية، وقد سئلوا بعد الفراغ منها عن رأيهم فيها، فشهدوا لها بالاعتدال

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة

عهدت إلي جمعية الرابطة الشرقية بأن ألقي على حضرتكم في هذه الليلة محاضرة في موضوع التجديد والتجدد والمجددين، كما تفضل زميلي في عضوية إدارتها الدكتور منصور فهمي ببيانه لكم باسمها، فأرجو من حضرتكم الاصغاء والاغضاء عن التقصير. وأبدأ بالتمهيد للموضوع بمقدمة في بيان الحاجة الى شرحه وتمحيصه فأقول:

﴿ المقدمة التمهيدية في حاجتنا إلى التجديد بأنواعه ﴾

في هذا العصر المضطرب بأنواع الانقلاب الاعتقادية والفكرية والسياسية والشيوعية والبلشفية، في هذا العصر القلق بالفوضى الدينية والادبية والاجتماعية، في هذا العصر المهدد بالثورة النسائية، ونقض ميثاق الزوجية، وانقطاع سلك الاسرة، ووشائج الرحم والقرابة، في هذا العصر الذي نجمت فيه قرون الزندقة، والاباحة المطلقة، والهجوم على مقومات الامة من دين ولغة وأدب، ومشخصاتها من عادات وزي وحسب، حتى لا يبقى فيها شيء ثابت يربى عليه النشء وتحترمه النابتة

في هذا العصر الذي أجملت وصفه - وعندكم تفصيله - كثر اللهج بيننا بلفظ الجديد والتجديد والمجددين، ولعمر الحق اننا لفي أشد الحاجة إلى التجديد والمجددين، فانه لم يبق عندنا شيء يحفظ شخصيتنا القومية، ومقوماتنا الملية، ويرتقي بنا في معارج الحياة الاجتماعية، إلا وقد سحلت مريرته، وانفصمت عروته

أما ما كان عندنا من حسب قديم، ودين قويم، وحضارة زاهية وملك عظيم، فقد أخلقناه وأبليناه، بل هجرناه فنسيناه، وأما ما حاولناه من اقتباس طريف، وانتحال حديث، فانا تشبثنا بأهدابه، ولم ننسج شيئا من أثوابه، فكل ما لدينا من القديم والجديد، فهو من قشور قشور التقليد، كقشرة اللوز والجوز الخارجية الظاهرة، التي تغشى القشرة الخشبية الباطنة، لا غناء به في نفسه، ولا هو حفاظ لشيء من اللباب في داخله

فان كان أزهرنا ومعاهدنا الدينية في حاجة إلى الاصلاح لتجديد هداية الدين، فمدارسنا الاميرية والاهلية احوج الى الاصلاح لتجديد حضارتنا المدنية، وإعادة استقلالنا، وإقامة سائر مصالحنا، فان ما ظهر من فساد التربية والتعليم فيها شامل للقسمين: الايجابي والسلبي. وأما ما نشكو من خلل المعاهد الدينية فمعظمه سلبي محض، وسنبين ضرره بعد. ولا يزال أهل الرأي والفهم من الامة يشكون من كل منهما، ويقترحون الاصلاح بعد الاصلاح لهما

نحن نحتاج الى تجديد استقلالي كتجديد اليابان ترتقي به مصالحنا الاقتصادية والعسكرية والسياسية، وتنمي به ثروتنا الزراعية والصناعية والتجارية، ونكون

به أمة عزيزة ودولة قوية ، مع حفظ مقومات أمتنا من دين وثقافة وتشريع ولغة ، وحفظ مشخصاتها القومية من زي وعادات حسنة وأدب

لا إلى تجديد تقليدي كتجديد الدولة العثمانية الذي انتهى بتمزيق سلطنتها (امبراطوريتها) الواسعة ، ثم بزوالها من الوجود ، ومحو رسمها من مصور العالم الجغرافي — ولا كتجديد الدولة المصرية الذي بديء به في عهد مؤسسه محمد علي الكبير استقلاليا ، ثم استحال تقليديا ، فانتهى بالاحتلال ، وفقد الاستقلال ، ولو استقام على خطته الاولى لصارت به مصر سلطنة عظيمة مؤلفة من شطر افريقية الشرقي ، وشطر آسية الغربي ، ولأعادت مجد الحضارة العربية ، ونيطت بها زعامة الامة الاسلامية ، ولا تزال مستعدة لهذا ، وما عليها الا أن تأخذ له أهبته ، وتسعى له سعيه ، ثم تطلبه في إبانه ، وتأخذه بربّانه وعلى عرشها اليوم ملك يظهر من الاستعداد لهذا ما يعلمه الجميع

نعم نحن في حاجة إلى هذا التجديد المجيد ، الجامع بين الطريف والتليد ، وإلى مجددين في العمران كمحمد علي الكبير ، وفي العلم والحكمة كمحمد عبده وجمال الدين ، لا إلى تجديد الالحاد والاباحة ، والتهتك والخلاعة ، والدعوة إلى الرذيلة باسم الادب المكشوف ، والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية ، وتحرير المرأة الشرقية ، وتقليد الحضارة الغربية ، فان كل هذه المفاسد قديمة لا جديدة ، كما يعلمه المطلعون على تاريخ أثينة ورومية وغيرهما من عواصم الشعوب القديمة ، وهي التي أضعفت دولها وذهبت باستقلالها (وإذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) اي أمرناهم بالطاعة والفضيلة ، ففسقوا عن امرنا الى المعصية والرذيلة ، فآثروا شهواتهم الخاصة ، على النهوض بالمصالح العامة ، فحق عليهم قولنا (لنهلكن الظالمين) وقولنا (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) وقولنا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) وقولنا (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أي ما كان ليهلكهم بظلم منه لهم وهم مصلحون في أعمالهم

أيها السادة

ان إصلاح محمد علي الكبير العمراني لم يزل معروفا ، وان إصلاح الحكيمين الديني والسياسي الاجتماعي لم يصر مجهولا ، فجلالة الملك الجالس على عرش محمد علي والامراء والنبلاء من سلالة محمد علي هم أقوى ظهير للامة وللدولة على إعادة تجديده العمراني "العسكري سيرته الاولى، مع المحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها، إذا طلبته الامة منهما، فان عمامة محمد علي العجراء ، وجبته القوراء ، وأزياء رجال دولته القومية، ورجال بعثاته العلمية ، لم تكن عائقة لهم عن النهوض بذلك العمران، والاضطلاع بتجديد العلوم وجلائل الاعمال . ولكن أمان الله خان خسر ملكه، وسفك دماء قومه ، بما حاول من تجديده التقليدي ببرنيطته ، وتبرج امرأته ، وحلق لحى رجال دولته !!

وان لجمال الدين ومحمد عبده سلالة علمية عقلية إصلاحية جديرة بالقيام بسنتهما، والمضي في إصلاحهما بقدر ما تواتيهم به الامة في استعدادها . وقد رأت من نبوغ أحدهم في الزعامة السياسية (١) ما لم يكن يخطر لاحد ببال قبل استعدادها للنهوض معه ، وعرفانها بقدره بيد أنه قد تصدى لزعامة التجديد واحتكار لقب المجددين أفراد هدامون غير بنائين ، يدعون الامة الى ترك هداية الدين، والتجرد من لبوس الفضيلة، والتشرف بلبس البرنيطة ، وإباحة ملابسة النساء الرجال في الرقص والسباحة ، والخلوة والسياحة، ومعاقرة الخمر، وما يتبع ذلك من ضروب الفسق. وينعون على المرأة أن يكون جل همها من الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لاجله حق القيام وميزها به على الرجل ، وهو أن تكون زوجا صالحة محصنة، وأما ، ومربية، ورئيسة منزل مقتصدة منظمة. فيسمون الدار سجنها - وان كانت كقصور الجنان ، ويسمون الزوج سجانا لها - وان كانت في نظره كالحور المقصورات في الخيام ، ويغرونها بالخروج عليه والتفلت منه، وأن تدخل داره وتدخل هي دار من أحبت بدون رضاه وإذنه . ويطمعونها في مناصب الحكومة ومقاعد النيابة وعدم المبالاة بما

(١) هو سعد باشا زغلول

يعارض ذلك من وظائف الحمل والولادة، والرضاعة والحضانة. بل يقول بعضهم: انهن أهل للحرب والقتال، وقيادة الجيوش البريه والبحرية، والاساطيل المائية والهوائية، وان من استبداد الرجال بالنساء وإهانتهن لهن ماعبر عنه بعضهم بقوله:

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

كذلك يغرون الشبان بالالحاد، ويزينون لهم اتباع الشهوات، ليتخذوا منهم ومن النساء جنداً يطيع قواده منهم طاعة عمياء، لايقبل فيها وفيهم - بعد المروق من الدين - وعظ واعظ، ولا يسمع مع فوضى الآداب وطاعة الهوى نصيحة ناصح، وحسبكم من سفه النفس وأفن الرأي، التسليم لهم بان القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لانه قديم، ويحتقر المحافظ عليه بوصفه بالرجعية ونبز صاحبه بلقب «الرجعي»

نعم قد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) في هذا العهد زعنفة من الملاحدة في هذا البلد العظيم، ليس لاحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة، ولا بالرشد والفضيلة، ولا بكشف حقيقة كانت مجهولة، ولا بسن سنة نافعة للامة في حفظ حقيقتها، او تنمية ثروتها، او اعادة مجدها، (أستغفر الله ان اعادة مجد الامة في فتوحاتها وحضارتها رجعية عندهم يحتقرون من دعا اليه)

وانما كل ما أوتوا او حملوا من البضاعة في هذه السوق ثرثرة في الكلام، وسفسطة في الجدال، وجرأة على تلبيس الحق بالباطل، وسفاهة في الطعن على من يخالفهم او يرد عليهم، ولكن بالبهتان الصريح، لا بالبرهان الصحيح فالصدق لاحرمة له عندهم - وباطراء غلاة الترك الذين نبذوا الاسلام وراء ظهورهم، حتى في هدم جميع أركان الحرية: حرية الدين والرأي والخطابة والكتابة والزي والعمل - هذه الحرية، التي يقدسها من يدعون اتباعهم من أهل العلم والحضارة العصرية، ولولا افراط الحكومة المصرية فيها، لما أمكن لهؤلاء الادعياء أن يجهروا بهذه الدعاية الالحادية لهدم دينها وآدابها وتقاليدها، وهذا الذي يطرونه من غلو ملاحدة الترك ليس بجديد فيهم، بل نجم في الجيل الماضي منهم وكان من ثمراته في هذا الجيل زوال السلطنة العثمانية، التي كانت أعظم سلطنة في اوربة وآسية وافريقية، ولم يبق منها إلا امارة جمهورية صغيرة فقيرة، هي أقل عدداً وثروة

وعلما وحضارة من المملكة المصرية ، التي كانت إحدى إمارات هذه السلطنة ، وهم يريدون اليوم أن تقتدي بها في إلحادها ونبذ هداية الدين فقط ، لئلا تحل محلها فيما هي أجدر به من زعامة ٤٠٠ مليون من المسلمين

ولما خدع أمثالهم من أدعياء التجديد أمان الله خان وحاول تقليد الدولة التركية الحاضرة طفقوا يفرغون عليه الحلي والحلل من الثناء ، أن اكره قومه على لبس البرنيطة وتبرج النساء ، فكانت عاقبة تجديده الالحادي ايقاد نيران الثورة في بلاده عليه وعلى حكومته ، واضطراره إلى الفرار منها وخسارة ملكه ، واما المدارس والنظام العسكري والصناعة وغيرها من التجديد الحقيقي فلم يتوجه اليه في بلاد الافغان ، وقد بدىء به في القرن الماضي على عهد عبد الرحمن خان ،

وكل ما يحتاج اليه الترك من التجديد الدنيوي الذي يطلبه الملاحدة وغيرهم قد شرعوا فيه في القرن الماضي ولم يكن الاسلام مانعاً لهم من شره الذي يحظره ، فضلا عن خيره الذي يوجبه ، ولكنهم لم يسلكوا فيه طريقة الاستقلال التي سلكها اليابان بالمحافظة على مقوماتهم الدينية والقومية ، بل كانوا مقلدين فاصطدموا بالمقلدين من رجال الدين ، وكان الواجب عليهم الجمع بين التجديد الديني والدنيوي كما فعلت اوربة في النهضة الاصلاحية الدينية

واما مصر فقد سبقت الترك إلى هذا التجديد الدنيوي ولم يعارضها رجال الدين كما انهم لم يساعدوها ، لان التجديد كان من جانب واحد ، ولو كان من الجانبين لتم وكمل في زمن قليل ، كما سأبينه بعد ،

وأدعياء التجديد هنا لا ينظرون إلى الواقع وانما يقلدون ملاحدة اوربة في عداوة رجال الدين تقليداً ، فهذا التقليد الاعمى هو الذي يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك في عقائده ، والطعن في أحكامه وآدابه ، والتحقير لرجاله ، ودعوى ابطال العلم والفلسفة له ، واتهام علمائه بانهم عقبة كؤود في طريق ترقي الامة ، فيجب أن يماطوا عنه كما يماط الاذى عن الطريق الحسية . ولو كانوا يطلبون باسم التجديد اصلاحا عملياً ويجدون أهل الدين مقاومين لهم فيه لكانوا معذورين

تجديد الملاحدة المزعوم شقاق جديد للامة

هذا التجديد المزعوم كاد يكون تجديداً حقيقياً لفتنة من فتن التفريق ربما كانت شراً من فتن التفرق بالعصبيات الجنسية والوطنية ، والاحزاب السياسية ، كأننا لا نستكمل جميع أنواع الشقاق إلا بوجود حزب جديد يعادي الدين ويحتقر أهله - وهم السواد الاعظم من الامة - تقليداً لملاحدة أوربة وأحرارها فيدعو علماءه وخطباءه وكتابه إلى الرد عليه ، واستصراخهم الشعب المتدين لعداوته ومقاومته ، ويضطر زعماؤه وكبراؤه إلى مطالبة الحكومة بردع المجاهرين من أفراده عن جهرهم بالسوء ، وهذا عين ماوقع بسوء تأثير من جهر في الجامعة المصرية بحقوق للمرأة ما أنزل الله بها من سلطان [1] ثم من جهر في الجامعة الامريكية بوجوب مساواة النساء للرجال حتى في الطلاق والميراث ، في محاضرة طبعها ونشرها في الناس [2] وقد سمعت أمس خطيب الجمعة في المسجد الذي صليت فيه يندب الاسلام ويستصرخ المصلين الصائمين للدفاع عن القرآن . اذ أهانه بعض أعدائه فرماه بظلم النساء الخ بعد أن قام بالانكار الشديد على هذه المحاضرة بعض كبار الامراء [3] وأجمعت الجرائد على انتقاد هذا الهراء.

أيها السادة

ان مثل هذا الشقاق قد وقع في قرون أوربة الوسطى التي كانت شر القرون عليهم ، فكانت فتنه كقطع الليل المظلم ، سفكت فيها دماء غزيرة في التنازع بين حرية العلم والحكم من جهة ، وتقاليد الدين وسلطان الكنيسة من الجهة المقابلة ،

---

(١) هو الاستاذ محمود عزمي الذي ناظرناه في الجامعة فكان لنا الفلج والظفر بتأييد الجمهور لنا وباعترافه هو أيضاً

(٢) هو الدكتور فخري فرج ميخائيل القبطي

(٣) هو سمو الامير عمر باشا طوسن

ووقع مثله أخيراً في بلاد الافغان ، وأرى ان حال مصر مخالف لحال أوربة في تلك القرون وحال الافغان في هذا العصر ، وانه يجب علينا درء هذه الفتنة قبل انتشارها، وتلافي هذا الشقاق قبل تفاقم خطبه ، وهذ ما أتوخاه بهذه المحاضرة ، وأرى انه أفضل عمل أقدمه بين يدي جمعية لرابطة الشرقية لمصر العزيزة والشرق كله

حصر موضوع المناظرة في بضع قضايا

وانني بعد هذا الاجمال التمهيدي أحصر موضوعها في بضع مسائل أو قضايا

(١) في معنى التجدد والتجديد ، والمقابلة بين القديم والجديد ، والتنازع بين الطريف والتليد ، والمفاضلة بين المتقدمين والمتأخرين ، وهو بحث لايخلو من فكاهة واحماض ، في أثناء هذا الموضوع الحريف الحماز (*)

(٢) في فضل الشيء في ذاته وصفته ، ودرجة الانتفاع به ، ومزيته في قدمه أو جدته

(٣) في الحاجة إلى التجديد الديني والتجديد الدنيوي ، وحكم الاسلام فيهما ، وحثه عليهما

(٤) في المجددين في الاسلام ، والتجديد الذي سنه حكيم الشرق الافغاني والاستاذ الامام المصري

(٥) في أنواع الاصلاح الجديد وعدم التعارض فيه مع الدين

(٦) الاحزاب الثلاثة في المسلمين : الفقهاء المقلدون الجامدون ، والماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون، ومايقابلهم في الغرب من الاحزاب والجمعيات الدينية

(٧) في القاعدة التي ينبني عليها الاتفاق بين الذين يخدمون أمتهم ووطنهم بالاخلاص على مايكون بينهم من اختلاف في العرف والمشرب ، أو الدين والمذهب

(البقية في العدد القادم)

(*) الحريف بكسر الحاء وتشديد الراء الذي يلذع اللسان بحرافته وهو هنا مجاز ويرادفه الحماز وهو مبالغة حامز فطعم الحمز قريب من طعم الحرافة

مقدمة الطبع والنشر لرحلة الامير شكيب الحجازية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَذِّنْ فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ *

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ (الآيات من سورة الحج)

يحج بيت الله الحرام، ويزور مسجد رسوله وروضته عليه أفضل الصلاة والسلام، ألوف كثيرة من مسلمي الآفاق، أكثرهم من العوام والفقراء، وبعضهم من العلماء والادباء والكتاب والشعراء، ويقل في جملتهم من يفقه ما يعمل، ومن يعي ما يسمع، ومن يعقل ما ينظر، ويقل في هؤلاء من يكتب لاخوانه المسلمين ما يفيدهم شيئا لا يجدونه في كتب الفقه أو التاريخ والرحلات والادب بل نرى من حجاج إخواننا المصريين من يكتبون في كل عام ما يغضب الله تعالى ويسوء جيرانه في حرمه ، وجيران رسوله (ص) في روضته ، وخدام قاصدي هذين الحرمين من المطوفين والمزورين ، وحكامهما الحافظين لأمن السكان ، وآمّين البيت الحرام ، وأطباءهما المحافظين على

صحة أهلهما، وصحة من يتشرف بأداء المناسك والزيارة فيهما، بل يكتبون ما ينفر المسلمين عن اقامة هذا الركن العظيم من أركان الاسلام، ويصدهم عن إحياء هذه الجامعة العامة التي امتاز بها على جميع الاديان، - فهذا يشكو من شدة الحر، وذاك يتململ من كثرة النفقة، وآخر يتبرم بما يزعم من تقصير المطوفين وطمعهم

وأغرب من كل هذا أن منهم من ينتقدون منع البدع والخرافات، والطواف بالقبور والاستغاثة بالاموات، وان منهم من كتب في هذا الشهر مشنعا على حكومة الحجاز التقصير في عمارة مسجد الرسول (ص) وتجديد فرشه، وهو يعلم ان حكومة الحجاز الحاضرة على فقرها، قد فعلت مالم تفعله حكومة قبلها، من حفظ الامن، وتسهيل السبل، وتوفير المياه، والاسعافات الصحية للحاج، فان هذا قد صار متواترا، ويعلم أيضا ان حكومته هو قد منعت ما كانت ترسله الى الحرمين وأهلهما من الاموال، والحقوق المقررة لهما التي كانت ترسلها في كل عام، وان هذه الحقوق هي بعض ماوقفه الملوك والامراء، وأهل البر من الاغنياء، ويعلم ان وزارة الاوقاف تجبي من أوقاف الحرمين في كل عام مئات الالوف من الجنيهات، وتصرفها في غير ما وقفت عليه - ويعلم أيضا ان الحكومة التركية، قد استحالت حكومة لا دينية، وضمت أوقاف الحرمين الى أملاكها، بل هي تمنع من يريد الحج من شعبها، وحجتها الظاهرة على هذا المنع ان الترك أحق بأموالهم أن تبقى في بلادهم من أن تصرف في بلاد العرب !!

وخير من هؤلاء الصادين عن سبيل الله، والمنفرين عن شعائر الله،

والمؤذنين لجيران الله ، من يؤلفون كتبا في رحلاتهم الحجازية ، ينقلون فيها أحكام المناسك الفقهية ، وبعض الاخبار التاريخية والادبية ، ومن كتبوا في رحلاتهم وفي الصحف ما أملاه الحق من وصف أمن الحجاز ، وتوفير أسباب الراحة للحاج ، والثناء على الحكومة السعودية ورجاء الخير العظيم للاسلام فيها .

بيد أنك قلما ترى فيما كتبوا عبرة جديدة ، أو شيئا من الاقتراحات المفيدة ، أو ترغيبا في البذل لعمارة المسجد الحرام ، ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو لتسهيل السبيل على الحجاج والزائرين ، وتوفير المياه لهم وللمقيمين ، اقتداء بما كان من فعل السلف الصالحين

دع ما هو أعلى من ذلك منزعا ، وأروى مشرعا ، وأبعد في الاصلاح غاية ، وأقوى في درء الخطر عن الاسلام وقاية ، فقد علم الواقفون على سياسة الاستعمار الاوربي أن خطره قد أحاط بجزيرة العرب ، ونفوذ بعض دوله تغلغل في بعض أنحائها ، ثم طفق يوغل في أحشائها ، ويلغ في دمائها ، فان المستعمرين قد استولوا على سكة الحديد الحجازية ، التي كان الغرض الظاهر القريب من انشائها تسهيل أداء الفريضة ، والباطن البعيد حفظ الجزيرة نفسها من الاستعمار الاوربي ، ومن قتل الاسلام في عقر داره ، وإزاحته عن قراره ، تمهيداً لمحوه من الارض كلها ،

كذلك كان شأن المسلمين في حجهم وزيارتهم ، وكذلك كان ما دونوا في رحلاتهم ومقالاتهم ، الى أن أذن الله تعالى لعبده المجاهد في سبيله بماله ونفسه ، ولسانه وقلمه ، وعلمه وعمله ، الامير شكيب أرسلان ، الذي بحق لقبته أمته بأمير البيان ، أن يستجيب لاذان ابراهيم خليل الرحمن ،

فيؤدي فريضة الحج، ويمرض مرضا يضطره بعد اداء المناسك، إلى الالتجاء الى الطائف، والتوقل في جبالها وذراها، والتنقل في مزارعها وقراها، والهبوط في أخيافها وأوديتها، فينال الشفاء والعافية من مرضه، ومن مرض سابق له، بما شم من هواء نقي، وشرب من ماء روي، وجنى من ثمر شهي، ويشاهد ما ثم من قابلية للعمران، لا يكاد يفضلها مكان، في عصر عم الحجاز فيه العدل والامان، وأن يصف ذلك بقلمه السيال، وبيانه السلسال، الذي يجري فتكبو في غاياته جياد الفرسان، ومن ذا الذي يطمع في لحاق أمير البيان، في مثل هذا الميدان؟ ميدان التاريخ وعلم الاجتماع والعمران، ومافيه من عبر السياسة في هذا الزمان، ولاسيما سياسة الامة العربية والاسلام

أحمد الله تعالى أن وفق أخي شكيبا لأداء المناسك، وشهود ما قرنه بها القرآن من المنافع، وانما هي منافع أمته، لا منافع شخصه وأسرته، وأن يسّر له السير في تلك الارض، لفقه ما أرشد اليه عقله، وهدى له قلبه، فيعرف بنفسه جبالها ووهادها، وأغوارها وأنجادها، وسهوبها وصفاصفها، ومجاهلها ومعارفها، ثم يبعث مادفن في بطون الكتب من تاريخ عمرانها، وكنوز معادنها، مع بيان أماكنها، ووسائل استخراجها من مكامنها، ويجلي للعقول ما فيها من العبر البالغة، ويقرن بها وصف حالتها الحاضرة، ويستنبط منهما ما يجب على الامة العربية وحكوماتها، والشعوب الاسلامية وزعمائها، من توجيه أصدق ما أوتوا من إرادة وعزيمة، وأفضل ما أعطوا من علم وثروة، في سبيل عمران الحجاز، وصيانته من خطر الاستعمار، وان ذلك لا يتم لهم الا بعمران جزيرة العرب كلها، لان انتقاصها من أطرافها، يفضي الى الاحاطة بسائر أكنافها

تلك الغاية البعيدة المرمى، هي التي وضع لها الامير رحلته الحجازية التي سماها (الارتسامات اللطاف، في خاطر الحاج الى أقدس مطاف) وقد أقام الدلائل على إمكان ما دعا اليه وسهولته، من قابلية في المكان، ومواتاة من الزمان، وأشار الى مايعترض به على ذلك من شبهات داحضة، وكر عليها بما ينقضها من حجج ناهضة، بما لم يبق لمعتذر عذرا مقبولا، ولا لمقصر قولا معقولا

ثم انه لم يقف في ارتساماته دون هذا المقصد الاسمى، بل ألمّ فيها بكل ما يهم المسلم من حال الحجاز وأهله وحكومته، فأفاض القول في تعظيم شأن المياه فيه، وما يرجى من زيادتها بالوسائل العصرية، ولاسيما الآبار الارتوازية، واستشهد التاريخ على ماكان من عناية السلف الصالح بعمرانه، وحبس الاوقاف الواسعة عليه، وعناية الخلف الطالح بتخريب ما عمروا، واضاعة أكثر ماوقفوا، وتمهيد حكامهم الفاسقين، سبيل ذلك لسالبي ملكهم من المستعمرين. وضرب لذلك الامثال، بتاريخ أكبر المعمرين من الملوك والامراء والوزراء، وأسهب في بيان أحوال المطوفين والمزورين وقناعتهم، ومايجب من اصلاح حالهم، ونوّه فيها بفضل الحكومة السعودية الحاضرة وخدمة ملكها للحجاز، وأعظمها والمقدم منها تعميم الامنة في بدو البلاد وحضرها، قريبها وبعيدها، وما يرجى بحكمته من سائر اركان الاصلاح فيها

***

وقد منّ علي بان عهد بنشر هذه الارتسامات إلي، بان أطبعها بمطبعة المنار، وأشرف على تصحيحها بنفسي، لتعذر ارسال مثل الطبع اليه في أوربة ليتولى تصحيحها بنفسه، بل منّ عليّ بالاذن لي بتعليق بعض

الحواشي على بعض المواضع التي أرى التعليق عليها مفيداً لقارئيها ، ليكون اسمي مقروناً باسمه في هذا الاثر الخالد له في خدمة العرب والاسلام ، كما منَّ عليّ قبله بمثله في رسالته التي جعل عنوانها (لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم) وهي هي الرسالة التي

سارت بها الركبان تطوي نفنفا فنفنفا وسبسبا فسبسبا

فاضطربت بها بعض دول الاستعمار وزلزلت زلزالا شديداً ، حتى قيل لنا انها أغرت حكومة سورية بمنع نشرها فيها ، وهي أحق بها وأهلها ، فانفردت بهذه العداوة للاسلام دون من أغروها بها

ولقد كان سماح الامير حفظه الله لي بهذا وذاك اعلاما لقارئي الرسالة والرحلة بما بيننا من الاخوة الاسلامية الصادقة ، والاتفاق في المقاصد الاصلاحية النافعة ، للامة العربية ، والشعوب الاسلامية ، التي نفخ روحها في كل منا شيخنا الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) بالتبع لاستاذه موقظ الشرق وحكيم الاسلام (السيد جمال الدين الافغاني) قدس الله روحهما ، وأجزل ثوابهما

هذا وان الامير أمتع الله بعلمه وعمله ، ولسانه وقلمه ، قد وضع للرحلة حواشي كثيرة عزوتها اليه في مواضعها ، وكان يجب أن أشير الى ذلك في ديباجتها ، ولكنني ماعلمت بها إلا عند بلوغ أول حاشية منها

وقد كان لي وقفة ونظر في اقتراحه على الحكومات المختلفة في الدين والسياسة أن تشدد على حجاج بلادها الفقراء ، فيما تفرضه من الشروط للسماح لهم بالسفر إلى الحجاز ، لا لأن هذا الاقتراح منكر في نفسه ، بل لان الحكومات الاستعمارية التي تكره للمسلمين المرزوئين بسيطرتها عليهم

أن يؤدوا هذه الفريضة لم تقصر في ارهاقهم بالشروط المالية والصحية، بل أنا أعلم علم اليقين أن جميع الدول الاستعمارية تمقت قيام المسلمين بهذه الفريضة، وتتعاون على صدهم عنها بما تستطيع من حول وحيلة، ولولا مالبواخرها وتجارتها من المنافع من نقل الحجاج لكان تشديدهم في الصد أكبر، ولكن ماوضعوه من العواثير والعقاب في سبيل الحج باسم المحافظة على الصحة، قد أنالهم بعض مرادهم منه بقلة من يتحمل مشقته من ملوك المسلمين، وأمرائهم المترفين، وأغنيائهم المحسنين، وزعمائهم المفكرين

وقد كانوا حاولوا ان يقرروا في مؤتمر طبي عقد بمصر في أوائل عهد الاحتلال البريطاني أن الحجاز بيئة وبائية بطبعه، يجب جعله تحت سلطة الحجر الدولي دائماً لذاته. فجاهد المرحوم سالم باشا سالم كبير اطباء مصر (والطبيب الخاص لسمو الخديو توفيق باشا وأسرته) يومئذ جهادا كبيرا دون ذلك، حتى دحض كل شبهة تؤيد هذا الاقتراح، وأثبت بالادلة الفنية الطبية والتاريخية، أن الحجاز ليس بوطن لوباء الهيضة الوبائية، (الكولرة) ولا لغيرها من الأوبئة السارية المعدية. ولكنني لم أضع لهذه المسألة حاشية، بل أدعها الى علم الامير الواسع، ورأيه الناضج، لعله يستدرك ما يرى استدراكه ممحصا لهذا الرأي (١)

---

(١) ارسلنا الى الامير مثالا من هذه المقدمة قبل طبعها فكتب إلينا هذا الاستدراك: —

« اقتراح تشديد الحكومات على الفقراء بعدم الحج لم يكن مرادي به إلا منع الفقراء المعدمين الذين لايستطيعون الى الحج سبيلا، والذين اذا جاءوا الى مكة صاروا وقراً على أهلها وحكومتها

وأما الفقراء الذين لم يبلغ فقرهم هذه الدرجة فليسوا المراد بكلامي. واني =

وها أنا ذا أزف إلى قراء العربية هذه الرحلة النفيسة، والارتسامات اللطيفة، ولا ريب عندي في أنهم يقدرونها قدرها، ويُعنون معي بنشرها، وبث الدعاية الى العمل بما فيها من النصيحة الثمينة، التي تتوقف عليها حياة هذه الامة المسكينة، التي كانت هي الناشرة لدعوة الاسلام، والمفيضة لنور هدايته، والمفجّرة لأنهار حضارته، وباحيائها وعمران بلادها يناط

= أوافق الاستاذ على كون دول الاستعمار تشدد الشروط عمداً على من يريد الحج المستطيع وغير المستطيع، وذلك قطعا لصلة المسلمين بمكة وعزلا لهم عن اخوانهم في الدين. واذا سمحت احيانا بالحج فيكون على كره منها وتعتاض من ذلك باكراه الحجاج على ركوب بواخرها، وتفرض عليهم أجرة فاحشة وتحشرهم فيها حشراً يزيد قهرهم، وفي السنة الفائتة لم تزل فرنسة تتنوع فى الشروط وتتعنت على الحجاج حتى لم يقدر على الحج إلا ٣٠ شخصاً من كل جزائر الغرب مع أن الذين كانوا نووا الحج هم أكثر من الف وتسعمائة

ولا يكبر على الفرنسيس بعد ذلك أن يمنوا بكرة واصيلا على مسلمي المغرب بالحرية الدينية التي امتعوهم بها! وان يملأوا جرائدهم بما منحوهم منها! حتى يخال لمن لم يطلع على الحقيقة ان مسلمي المغرب راتعون في بحابح الحرية الدينية كما يصفها هؤلاء الخطباء والكتاب

والحقيقة أن أهل المغرب جميعاً في عناء شديد من كل جهة ولا سيما من جهة حرية الاجتماع بسائر المسلمين بل من جهة حرية اجتماعهم بعضهم مع بعض، ومنذ نحو شهر نادى المنادي في أسواق فاس بأنه ممنوع ذهاب التجار للبيع أو للشراء بين قبائل البربر. وجميع الناس يعلمون انه لا يقدر أحد من الفقهاء ولا من حملة القرآن ولا من مشايخ الطرق الصوفية ان يدخل قرى البربر، ولا أن يجول في الجبال التي هم فيها إلا باذن خاص من الحكومة على حين مئات من الرهبان والراهبات والاقسة والمبشرين يجولون في بلاد البربر كيف يشاؤن ويبنون المدارس والكنائس

فهذا هو كنه الحرية الدينية التي تمن بها فرنسة على مسلمي المغارب. ومن كان في شك من كلامنا هذا فليذهب إلى تلك البلاد أو فليسأل الثقات من أهلها»

بقاؤه، ويعود رواؤه ، وينضر إهابه ، ويتجدد شبابه ،

وأختم هذا التصدير لها بما يؤيد قولي هذا من الاحاديث النبوية في شأن الحجاز ومستقبله ، وكونه مأرز الاسلام ومعقله ، وحصنه وموئله ، عند ما يشتد على المسلمين البغي والعدوان ، ويركبون المناكير فينا كرهم الزمان ، او تستباح بيضتهم بما أعرضوا عن هداية القرآن :

قال رسول الله (ص) « ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » (١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة .

وأعم منه وأدل على المراد قوله عليه الصلاة والسلام « إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم من حديث ابن عمر

وأعم منه وأظهر قوله (ص) « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأُروِيَّة (٢) من رأس الجبل . ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي »

وأوسع من ذلك كله وأدل على الباعث عليه مارواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عند موته بثلاث أولها « اخرجوا

(١) ارز - كعلم - انضم واجتمع وانكمش (وورد لغة من بابي ضرب وقعد) والمعنى انه سيعود الى المدينة والحجاز كله ويأوي اليه كما تعود الحية الى جحرها ولا سيما اذا خافت

(٢) الاروية بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء أنثى الوعول وهي تعتصم في أعالي الجبال . والمعنى أن الاسلام سيضعف ويصير غريباً ومضطهداً في الاقطار فلا يجد له حصناً ومعقلا إلا الحجاز فيعتصم فيه كما تعتصم الاروية في شناخيب الجبال

المشركين من جزيرة العرب » وما رواه أحمد ومسلم والترمذي عن عمر (رض) انه سمع رسول الله ﷺ يقول « لأخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلما » وما رواه أحمد من حديث عائشة (رض) قالت: آخر ما عهد به رسول الله ﷺ أن قال « لا يترك بجزيرة العرب دينان » وروى عن أبي عبيدة عامر بن الجراح قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ « اخرجوا يهود أهل الحجاز ونصارى نجران من جزيرة العرب » والمراد انه آخر ما أوصى به عند موته، وأما آخر كلمة نطق بها ﷺ فهي « اللهم الرفيق الاعلى »

وقد بينت في مواضع من جزء التفسير العاشر وغيره حكمة هذه الوصايا النبوية، وهي ما أطلع الله تعالى عليه رسوله وأخبر به كما في حديث ثوبان (رض) وغيره، من تداعي الامم على المسلمين كما تتداعى الأكَلة على قصعتها، وسلبهم لملكهم، واضطهادهم لهم في دينهم، إلى أن يضطروا الى الالتجاء الى مهد الاسلام الاول، ومعقله الاعظم، ومأرزه الآمن، وهو الحجاز وسياجه من جزيرة العرب. ولذلك أوصى بأن يكون هذا المعقل خاصا بالمسلمين لا يشاركهم فيه غيرهم، فهذه الوصية من دلائل نبوته ﷺ قد ظهر سرها في هذا العصر

وها نحن أولاء نرى أعداء الاسلام مازالوا يطاردون المسلمين حتى انتهوا بهم إلى جزيرة العرب، وطفقوا ينازعونهم فيها، بل وصلوا إلى الحجاز واستولوا بمساعدة بعض أمرائه على أعظم موقع من معاقله البرية والبحرية (ما بين العقبة ومعان) وصاروا باستيلائهم على سكة الحديد الحجازية على مقربة من المدينة المنورة التي خصها الرسول ﷺ من هذه الوصايا بالذكر، وأنشأوا يؤسسون وطنا لليهود في جوارها من فلسطين

التي يدعون أنها لهم وحدهم ، وسيطلبون ضم خيبر اليها ، بأنها كانت لهم وأخرجهم عمر بن الخطاب منها .

فاذا لم تتعاون جميع الشعوب الاسلامية على مساعدة حكومة الحجاز بالمال والنفوذ الصوري والمعنوي على حفظ الحجاز وعمرانه ، بل إلجائها الى ذلك واضطرارها اليه ،فستتقطّع قلوبهم اسفا وندما ، ويذرفون بدل الدموع دما،إذ لاذات مندم ، ولا متأخر ولا متقدم،ولقد كنت في حيرة لاأهتدي السبيل إلى أقرب الوسائل لهذا العمران ، حتى وجدته مرسوما في هذه الارتسامات ، داحضة أمامه جميع الشبهات ، فبادروا اليه أيها المسلمون (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)

وكتبه ناشر الارتسامات

منشئ ، مجلة المنار

﴿ الانكليز في جزيرة العرب ﴾

﴿ المنار ﴾ كتبنا هذه المقدمة لرحلة الأمير شكيب الحجازية في الشهر الماضي وهو شهر المحرم عند ما تم طبعها ثم أردنا نشرها في هذا الجزء من المنار وهو جزء (صفر) لتكون تقريظا لها فاتفق أن رأينا في جريدة الضياء الغراء مقالا مترجما عن اللغة الانكليزية لرجل من كبار ساسة الانكليز كان من أكبر العاملين في سبيل استعمارهم لهذه الجزيرة بين فيها ماوصل إليه نفوذهم فيها وأنواعه وماهم مستهدفون له في هذا العصر بيقظة الامة العربية وسعي المستيقظين منها لاعادة مجدهم واستقلال بلادهم، لينبه دولته لما ينبغي لها من الحذر والحكمة في هذا الطور الجديد، لهذه الامة ذات التاريخ العجيب

فرأيت أن أنشرها في هذا الجزء بجانب هذه المقدمة مفصلة لما أجملته فيها وحجة على صحة رأيي وصدقه في الانكليز الذي بينته في المنار مرارا كثيرة عسى أن يكون نشرها من أسباب انتشار اليقظة العربية التي نسعى لها سعيها منذ سنين كثيرة واقناع بعض الزعماء والامراء بما يرمى اليه هذا السياسي الانكليزي من أن الامم إذا عرفت نفسها، تعذر على غيرها استعبادها أو استعمارها ، فان أكثر أمراء الجزيرة يجهلون هذه الحقيقة فلذلك خنعوا واستخذوا أمام هذه الدولة الطامعة. وهذا نص المقالة :

بريطانيا ستخرج من جزيرة العرب

كما خرج الفرس والرومان

هكذا يقول بريطاني كبير من رجال السياسة *)

كانت قد وافتنا التلغرافات بنبذ مقتضبة من مقال نشرته الديلي تلغراف لجناب السرهنري دوبس مندوب العراق السامي البريطاني بين سنة ١٩٢٣-١٩٢٩

ثم جاء بعد ذلك أصل المقال وقد رغب فيه الى حكومته أن تكون أكثر اهتماما وأوفر درساً للحالة الروحية التي عليها بلاد العرب ، وقد اقتطفنا من هذا المقال الخطير الجزء التالي قال : ان المناقشة الحديثة العهد التي جرت في مجلس اللوردات حول اقتراح اللورد ترانشود الذي يرمي به الى توحيد زمام السيطرة والسياسة في الشرق الاوسط قد انتهت بالخيبة . وقد كان فحوى جواب اللورد باسفيلد يفيد أن الحكومة البريطانية تظل قابضة بيديها على جميع زمام السياسة ، وأن تنوع المصالح العديدة في البلدان المختلفة تلك المصالح المتصلة المرجع بعدة من دوائر الحكومة ، يقضي بأن تكون هذه الدوائر متصلا بعضها ببعض اتصالا مستمراً بتبادل الرأي والمشاورة ، وعلى هذا لا تبقى هناك فائدة في إنشاء دائرة واحدة يعهد اليها اسمياً في إدارة الشؤون المتعلقة بالبلدان المذكورة .

فما هي تلك البلدان ذات المصالح والشأن في هذه القضية ، وما هي الاساليب التي تجري سياستنا عليها في تلك البلدان ؟ تلك البلدان هي : سوريا ، وهي تحت الانتداب الفرنسي ، وعلاقتها تدار من قبل وزارة الخارجية عن طريق باريس

فلسطين ، وهي تحت الانتداب البريطاني الذي سيتطاول أمده الى حد غير معروف ، وتدار من قبل وزارة المستعمرات .

شرقي الاردن ، وهي أيضاً تحت انتداب مندرج في صلب معاهدة معقودة مع الامير الحاكم ، وتدار تحت إشراف وزارة المستعمرات

*) هذا القول غير موجود فيما نشرته الضياء ولعلها تعده نتيجة له

العراق ، ويرجى دخوله عضواً في عصبة الامم في السنة المقبلة بصفته مملكة مستقلة . وعند حصول هـذا يعتاض عن المندوب السامي المرتبط الآن بوزارة المستعمرات بسفير مرتبط بوزارة الخارجية

نجد والحجاز ، ومنهما يتألف معظم جزيرة العرب ، وهما تحت حكم الملك ابن السعود الذي تدار علاقاته من قبل وزارة الخارجية بواسطة وزير مفوض

الامارات المستقلة والمقاطعات الواقعة في الخليج الفارسي ، وهذه الامارات والمقاطعات داخلة في نطاق دائرة الشؤون الخارجية في حكومة الهند

عدن ، وبعضها من الاملاك البريطانية ، وبعضها الآخر من البلاد المحمية ، إدارتها الداخلية مرتبطة بحكومة الهنـد في بومبي ، وتقوم وزارة المستعمرات بالادارة السياسية تجاه القبائل التي في الاراضي المحمية وتجاه سائر جزيرة العرب

اليمن ، وهي تشمل جانباً من البحر الاحمر الى شمالي عدن وهي تحت حكم الامام يحيى المنافس الكبير لابن السعود ، والمقيم السياسي في عدن يجري في علاقاته مع الامام يحيى على ما يتلقاه من ارشاد من وزارة المستعمرات

ففي جميع هذه البلاد ، اللغة العربية هي السائدة ، والاسلام هو الدين الغالب ، وفي أي قطر من هذه الاقطار سرحت بصرك ، ترى الجيل الحديث من أهل السياسة من العرب يطوون صدورهم على أحلام وآمال تتعلق بتكوين بلاد عربية مستأنفة الحياة والقوة ، بحيث يكون بوسع هذه البلاد المتجددة النشأة القبض على المراكز الخطيرة لطرق المواصلات الكبرى في العالم بحراً وهواء ، واحراز الثروة من التجارة الحديثة العزيزة التي لا بد لها أن تمر في هذه الطرق

هذا من ناحية — ومن ناحية أخرى لا يصح أن نعتقد أن أفكار النشء العربي الحديث فيما لبلادهم من الخطورة الجغرافية — هي مجرد تصور وخيال ، فان تجارة أمريكا جمعاء تخترق الآن البحر الاحمر . وجميع الطرق الهوائية إلى آسيا واستراليا - ما عدا الاتجاه الذي تقوم به روسيا الآن - كل ذلك لا بد له من اجتياز العراق . وأنابيب الزيت أوشك يشرع في إنشائها بين آبار الزيت العراقيه والبحر المتوسط بحيث ينتهي من خط هذه الانابيب في طرابلس لسورية

وينتهي خط آخر في حيفا بفلسطين . وسكك الحديد ستماشي أنابيب الزيت جنباً إلى جنب . ومما لا يكون عنه مندوحة ان سكك الحديد ستمد شرقا إلى الهند مخترقة أرجاء ايران

وان الاهمية التاريخية الكبرى التي كانت لهذه البلدان العربية في الزمن السابق باعتبار انها صاحبة طرق التجارة . وقد زالت هذه الاهمية مؤقتاً باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وستستعاد عما قريب بكاملها، فينجلي من هذا أن ضمان سلامة المواصلات هذه في الاقطار مصلحة حيوية للامبراطورية البريطانية

وفي جميع هذه البلاد ـ ما عدا سوريا ـ لم يبرح النفوذ البريطاني هو المسيطر الغالب كل هذا الزمن الحديث، وقد ازداد هذا النفوذ بسطة واتساعا إلى حد كبير بنتائج الحرب الكبرى . فيتعين علينا ـ والحالة هذه ـ أن نأخذ بالوسائل التي تحفظ هذا النفوذ حتى لا يعتوره تناقض ينشأ عن الجري على خطة مشوشة في علاقاتنا مع هذه الاقطار أو عن أي غموض أو ارتباك في إيضاح الغاية والقصد . أو عن خرق في السياسة . فانه إذا سارت الحال مصابة بآفة من هذه الآفات . فالعرب — وجذوة الامل في إحراز الاستقلال حديثة الاشتعال في صدورهم — سينابذون مثل هـذه السياسة بقسوة وعنف . وأقول بعبارة أخرى : ان سياستنا مع هذه البلاد ينبغي أن لا يفسدها أقل افتقار إلى العطف على طموح العرب إلى استعادة ماضيهم وقوتهم

وآمال العرب هذه لا يبعد أن يكون مكتوبا لها التحقق والنجاح . وان الاقوام العربية بعد أن هجعت سنين طوالا ، دبت فيها روح اليقظة ثانية وانطلقت فيها عوامل الحركة والحياة . وكل أمة تقدم على تجاهل ما للعرب من خطورة وعلو شأن لابد لها من تحمل مرارة النتيجة فيصيبها مثل ما أصاب المملكتين : الرومانية والفارسية من قبل، يوم أقدمتا على مصارحة العرب العداء عند قيام النبي محمد ﷺ في جزيرة العرب وظهور قوته فيها ، فندمتا ولات ساعة مندم .

وان علي أن آخذ وأعطي مليّاً مع اللورد باسفيلد فان الخلاصة الموجزة التي شرحتها بصدد أوضاعنا الحالية توضح ان وزارة الهند ووزارة المستعمرات ليستا أهلا

لتصريف هذه الشؤون؛ ولا يزيد عملها أن يكون تخبطا وارتباكا في حين ينبغي أن نقبض على زمامه في وزارة الخارجية . فاذا لم تبدل الحالة بأحسن منها فتكون النتيجة فساد الامر ، وفوات الفرصة ، وتضارب الغايات والمقاصد

فالمقصد الكبير الذي أومي اليه هو ان سياستنا إزاء القضية العربية الكبرى ينبغي أن تتمرغ بحلة متناسقة الشكل تسود الرجال العاملين فيها روح السخاء المشتقة من بعد النظرين ، وهذه الروح ينبغي أن تسيطر لا على مديري دفة الامور في المركز، بل يجب أن تشمل أيضا أولئك الذين يعهد اليهم في تصريف الشؤون والادارة في مواطن الامور وأماكنها مباشرة اه

(المنار) صرحنا في المنار مراراً كثيرة جداً بان الدولة الانكليزية مجدة في تاليف امبراطورية بريطانية من بلاد العرب، وأن أمراء العرب وزعماؤهم جاهلون مايحيط بهم ، وما يجب عليهم ، ودهاة هذه الدولة يسخرونهم لما يحاولون من سلب ملكهم واستعباد أمتهم فينقادون مذعنين ،طائعين اوكارهين ،محترمين او محتقرين، وغير المسخر منهم للخدمة الايجابية ، يقنعون منه بالخطة السلبية ، فلا يوجد في البلاد العربية مقاوم لهم في عمل من أعمالهم المنظمة البطيئة لاستعمار البلاد العربية وهم لا يتمون عملا ويحكمونه الا ويشرعون في غيره إذ يكونون قد مهدوا له

وصاحب هذا المقال يحذرهم يقظة الشعب العربي الجديدة لما أثبته التاريخ من وثبات العرب القوية ، عقب النومات الطويلة ، وهو ينصح لهم بثلاثة أمور لا يرجى بقاء نفوذهم وامتداده في هذه الامة بدونها

(الاول) توحيد المرجع الذي يتولى السياسة والادارة الخاصة بالبلاد العربية جزيرتها وولاياتها وهو وزارة الخارجية

(الثاني) عدم الاكتفاء بما يجرون عليه من توطيد السيطرة والنفوذ في مركز كل حكومة عربية (أي وان كانت كلها مركزية لاشريك للحاكم العام في نفوذه فيها) فان هذا لا يدوم اذا استيقظت الامة ، بل لابد من استمالة جميع الرجال العاملين في كل منها ممن ظهر وممن سيظهر في كل موطن وكل ناحية

(الثالث) أن يكون الرجال الذين يتولون السياسة العربية والادارة الخاصة بها قادرين بما أعطوا من المرونة وروح السخاء على مداراة العواطف الوطنية وعدم تنفيرها من الانكليز (فتدبروا واعقلوا أيها المستيقظون)

(اشاعة اكتشاف عظيم في وادي يوشفاط ببيت المقدس)

تابوت « يسوع بن يوسف »

(جاء في جريدة الاهرام الصادرة في ١٣-٤-٩٣١ لمكاتبها في باريس تحت هذا العنوان ما نصه)

اهتزت المقامات المسيحية لنبأ اكتشاف عظيم الاهمية والتأثير، لا من حيث قيمته التاريخية فحسب، بل من حيث علاقته بالدين المسيحي، وهو نبأ اكتشاف ناووس كتبت عليه باللغة الارامية من الخارج عبارة « يسوع بن يوسف » وذلك في وادى يوشفاط بجوار القدس. فقد وردت الانباء بان الاثري المعروف الدكتور سوكنيك قد عثر على هذا التابوت الحجري في سرداب عليه ركام من الخربات جر عليها تقادم العهد ذيول النسيان، وذلك في جانب من ذلك الوادي الذي ستجري فيه دينونة العالم حينما يعتقد بعض المتمسكين بحرفية ماجاء في كتب الدين. ويتساءل الناس الآن، هل ذلك الناووس حوى رفات مؤسس المسيحية وهل العبارة المكتوبة عليه كتبت بيد المسيح نفسه إذ قد جرت العادة في العهد المسيحي وقبله — كما قد يعلم رجال الآثار — ان يعد الناس توابيتهم الصخرية قبل دنو الاجل المحتوم ويسطرون أسماءهم عليها بايديهم فتنقش كما هي.

ومما هو جدير بالذكر أيضاً ان ذلك الاثري قد عثر في السرداب نفسه على نواويس أخرى قد نقشت على ظاهرها أسماء الكثيرين من تلاميذ المسيح وأتباعه فعلى أحدها اسم مريم وعلى بواقيها أسماء مرثا واليصابات وسمعان ويعقوب ويوحنا ومتى. فاذا ثبت مايدعيه الدكتور سوكنيك فانه يؤدي إلى بطلان اعتقادات وتقاليد كثيرة بشأن مدفن السيد المسيح وأتباعه، ويكون الملايين من الذين زاروا القبر المقدس في سالف الزمن قد سجدوا في غير المكان الذي وضع فيه جسد المسيح بعد ان أنزل عن الصليب.

والمفهوم الآن ان الدكتور سوكنيك مكتشف هذه النواويس كان ولا يزال شديد التحفظ في ابداء رأيه فيها علماً منه باهميتها الدينية وبما يترتب على ذلك من المسؤولية إذا بدر منه قول عنها قبل التثبت من أمرها. فلما اتصل بصاحب

جريدة الجورنال خبر اكتشافه أبرق إلى مراسله في برلين يأمره بمقابلة المكتشف وأخذ مالديه من المعلومات مهما كلفه ذلك من العناء والمال، فقابله المراسل إذ كان يجمع أمتعته للرجوع إلى فلسطين فأبى الدكتور التلفظ بكلمة واحدة يفهم منها انه موقن بان الناووس الذي قرأ عليه اسم يسوع هو تابوت المسيح الحقيقي. وكل ماقاله هو انه قد قرأ الاسم المكتوب بالارامية على الناووس وانه لايزيد على ذلك حرفا إلا بعد ان يصير على بينة من الامر.

ولكنه يقول انهم عثروا على امثال هذه النواويس في سالف الايام في جوار اورشليم، وبما انها كانت خالية لم يهتم لها الناس كثيراً. ولكن الشيء المهم من الوجهة التاريخية والدينية هو الاسماء المنقوشة عليها

وقرأ الدكتور سوكنيك على أحد النواويس هذه العبارة «في هذا الناووس عظام نكانور الاسكندري الذي بنى الباب» فهو في رأي الدكتور الرجل الذي تبرع بباب نكانور في هيكل هيرودس وقد ورد ذكره في أقاصيص التلمود. والناووس المنقوش عليه «يسوع بن يوسف» لايزال على جدته. ومن رأيه أيضاً ان الاسم المنقوش عليه قد كتب بخط يده. أما ماإذا كان يسوع هذا هو المسيح صاحب الديانة المسيحية فالدكتور يأبى الجزم بذلك، فهو يدرك شدة عاصفة الاحتجاج التي تهب عليه من العالم المسيحي ولاسيما اذا فهم من قوله ان هذا الناووس قد كان محتويا على بقايا السيد المسيح

ووجد الدكتور بازاء ناووس يسوع ناووس اليصابات ام يوحنا المعمدان ونسيبته مريم، وناووس يعقوب وهو من التلاميذ. أما مريم فلا يعلم هل كانت أم يسوع أم مريم المجدلية وقد تكون أخت مرثا. وهناك ناووس سالومي التي كانت مع الرفاق عند الصليب، أما سمعان فلا يظن انه سمعان بطرس لان قبر هذا قد تأكد وجوده في رومية. فهو ربما كان سمعان المذكور في الاصحاح العاشر من انجيل متى

أما الاسم «يسوع بن يوسف» المنقوش على الناووس الذي يظن أنه محتو على رفات المسيح فهو بالارامية لا العبرانية إذ كانت الارامية في أيام المسيح لغة أهل فلسطين. كذلك كانت اللغة الاغريقية كثيرة الاستعمال في ذلك العهد،

ولهذا نقش اسم اليصابات على ناووسها بالاغريقية والارامية

ويقول الاثريون بوجود مدينة أخرى منسية تحت أورشليم لم تبد آثارها حتى الاعوام الاخيرة، فالذي يزور المدينة المقدسة لايدري ما استتر تحت سطحها من العمران البائد لان الارض التي يمشي عليها في شوارع المدينة الضيقة تعلو عن الشوارع القديمة من ٣٠ الى ٧٠ قدما ففي تلك المدينة البائدة عثر الاثريون على تلك التوابيت الحجرية الموسومة باسماء معروفة في التوراة واسم يسوع أيضاً

ولا يدهشنا اذا سمعنا في الحين القريب ان الاثريين قد أماطوا لثام الدهور عن آثار أخرى عظيمة الاهمية في اورشليم السفلى ترجع في تاريخها الى عهد السيد المسيح والى ماقبل تبلج فجر المسيحية بقرون عديدة وتكون ذات اهمية تاريخية ليس لرجال العلم فقط بل لرجال الدين أيضاً

ولعل مكاتبكم الاورشليمي يزيدكم ايضاحا عن الآثار التي وجدت وعما اذا كان مانقل الينا عنها حقيقة راهنة أو حديث خرافة فهو أولى من الاجانب بالاشراف عليها والتثبت من أمرها ، فان الكثيرين من رجال الدين هنا قد هزأوا بالحكاية وظن البعض منهم انها تنطوي على قصد سيء ، ومن اجل هذا كتب أحدهم مقالة جاء فيها مايأتي:

«اذا سلمنا جدلا بأن المسيح حديث خرافة وان المسيحية بجملتها حكاية صبيانية فما الذي يربحه المشكك وما الذي يخسره الدين؟ فان هذه الحكاية أو هذه الخرافة قد كانت أعظم قوة في مدى ألفي سنة أوصلت التمدن الى الاوج الذي نراه فيه اليوم

«ان هذه النظرية قد بدلت الحياة، وتلك الخرافة المبتدعة قد أعطتنا محبة بدل البغضاء، وطهارة بدلا من الشهوات السافلة، ونقاوة بدلا من النجاسة، ورجاء بدلا من اليأس ، والاخاء بدل العداء . فاذا كانت هذه الميزات نتيجة تلك الخرافة التي حملت النفوس على توخي أفضل مافي الحياة فلتحي الخرافة

« ان أكبر العقول في التسعة عشر قرنا التي انقضت قد اعتقدت بهذه الفكرة، الرجال العظام والنساء العاقلات الطاهرات والاولاد البسطاء قد صدقوا بها وكل الذين تمسكوا بها كحقيقة وعاشوا بما رسمته قد كانوا أفضل مثال لكل ما هو حسن

وجميل . فاذا كان كل ذلك حديث خرافة فليكن المسيح خرافة ، فان تعاليمه قد رفعت التمدن الى أسمى الذرى » اه والظاهر ان كاتب هذا باريسي أو فرنسي

(تعليق المنار على هذه المقالة)

لئن ثبت وجود رفات المسيح عليه السلام في هذا التابوت ليكونن هدما لدين النصرانية الحاضر من أساسه فان الاناجيل الاربعة مصرحة بانه خرج من قبره في ليلة الاحد وان مريم المجدلانية ومريم الاخرى وسالومى اللائي تفقدنه في صباح ذلك اليوم ولم يجدنه قد وجدن هنالك ملاك الرب فاخبرهن انه قام من بين الاموات الخ

ولهذا لم يجد الكاتب ما يدافع به عن هذا الدين على فرض ثبوت ذلك إلا قوله إنه دين كان له من الفوائد الادبية والحضارة العظيمة ما يحملهم على المحافظة عليه و إن كان أصله حديث خرافة . ولاشك ان هذا عين ما تفعله الكنائس التي فاقت بنظامها الديني ومدارسها وجمعياتها أعلى الدول نظاما ونفوذا ، اذا أعوزهم الانكار وعز عليهم التكذيب وأعياهم التاويل ، ولن يعجزهم هذا ولا ذاك

ولكن ثبوت ما ذكر لاينقض شيئاً من نصوص القرآن فانه يقول بعد الاخبار بمكر اليهود به (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) فظاهره انهم لن ينالوا ما يريدون بمكرهم به وان الله تعالى هو الذي يتوفاه فيقبض روحه ويرفعه اليه وهو يصدق برفع جسده بعد اعادة الحياة اليه و برفع روحه وحدها كما قال في ادريس عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) ويكون ثبوت وفاته ودفنه في الدنيا قبل رفعه حجة لمن قال من المفسرين إن الآية على ظاهرها ، دون من قال بتاويل الوفاة أو بتقديم الرفع على التوفي . وجملة القول ان ثبوت ما ذكر يكون حجة للقرآن كما هو حجة على الاناجيل ، فالقرآن لا يمكن أن ينقضه شيء لانه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما أقوال الاناجيل في قيامه بجسمه من القبر فهو روايات تاريخية عن النسوة اللائي ذهبن الى القبر ليس لها أسانيد متواترة فان خبر الاربعة المؤلفين لهذه الاناجيل لا يثبت به التواتر لو سمعوه من النسوة وهن غير معصومات في خبرهن فكيف وهم لم يصرحوا بالسماع منهن

والعبرة في هذا كله ان مبشري النصرانية يشككون عوام المسلمين في دينهم وفي كلام ربهم المعجز للبشر من وجوه كثيرة منها انه لا يمكن نقض كلمة منه ، وهم يتمسكون بدينهم و يدعون اليه و يدافعون عنه حتى على فرض ثبوت ما ينقضه من أساسه !!! بحجة انه كان سببا لهداية كثيرين من البشر وهذا صحيح و يفوقه فيه الدين الاسلامي ، وسببا لوجود الحضارة الحاضرة وهذا باطل وانما كان الاسلام هو الذي أحيا الحضارة القديمة التي ولدت منها الحضارة الحاضرة .

الشريف حسين ملك الحجاز السابق

(٢)

كتب كثير من أصحاب الجرائد العربية وغيرهم مقالات في تأبين الشريف حسين ونظمت قصائد متعددة في رثائه، واقيمت حفلات في الامصار العربية لتأبينه فمنهم من أطرى ومن انتقد ومن حاولوا الجواب عما ينتقد، ويقل فيمن كتب وابن من تحرى الحقيقة لذاتها او من هو واقف عليها، ومن الظاهر البين ان من المؤبنين والرائين من كان غرضه الازدلاف إلى أنجاله أصحاب الجلالة والسمو

ومن العجيب ان بعض - الافراد قيل والجماعات - قد اقترحوا نصب تمثال له فتهكم الكاتب الاسلامي محب الدين افندي الخطيب بهم إذ اقترح عليهم أن ينصبوا ذلك التمثال تجاه الزاوية التي كان يصلي فيها الجمعة من الحرم المكي الشريف: أي فيكون من مناقبه اعادة التماثيل التي أزالها جده النبي الاعظم ﷺ من بيت الله، والتي قال فيها جده أمير المؤمنين علي عليه السلام لعامله أبي الهياج: ابعثك على مابعثني رسول الله ﷺ أن لاتدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفا إلا سويته.

وقال بعض الذين طرقوا باب المباحث التاريخية في سيرته: انه قد نهض بدعوته واشعل نار ثورته، توسلا إلى استقلال امته، وتأسيس سلطنة (امبراطورية) لها لا لنفسه، فخدعه الانكليز ونكثوا عهده كما خدعوا من هو أجدر منه بمعرفة كيدهم وخداعهم وهو الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة. وانه لم يجد من ينصح له ويبين له مايجب من الاحتياط في ذلك. وقال بعضهم انه انما أراد انقاذ الحجاز من غائلة الحرب ومجاعتها ولم يرد اسقاط الدولة العثمانية التي كانت هي السياج الاخير للحكم الاسلامي

وصرح بعضهم بأن المنقبة الوحيدة له في سياسته سلبية، وهي امتناعه من امضاء الاتفاق الاخير الذي حمله اليه من لندن وكيله ونائبه في ذلك الدكتور ناجي الاصيل، ومن مواده اعترافه بالانتداب الذي يتضمن إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين، وزاد بعضهم امتناعه قبل ذلك من إلحاق منطقة العقبة ومعان

بحكومة نجله الامير عبدالله في شرق الاردن اذ طلبه منه الانكليز لعلمه بانها حينئذ تكون انكليزية يتصرف الانكليز بها كما يشاؤن فيكون أول مسلم خان الله ورسوله في أرض الحجاز المحرمة بوصية رسول الله ﷺ في مرض موته على غير المسلمين، ولكن ما امتنع منه وعد هو المنقبة الصحيحة له قد فعله أبناؤه في حياته

وزعم بعضهم انه بامتناعه مما ذكر قد ضحى ملكه وسلطانه على الحجاز أو حرم نفسه من امتداد ملكه إلى آخر حدود جزيرة العرب بمساعدة الانكليز، والصحيح أنه ما كان يتصور زوال ملكه بذلك، ولا الانكليز يفضلون امتداد ملك ابن سعود إلى البحر الاحمر فيقال انهم ساعدوه على ذلك

واننا لم نجد أحداً من الكتاب ولا من الخطباء احتج على شيء من أقواله بمستند رسمي مما نشره الملك حسين في جريدته القبلة التي كان كل مايكتب فيها إما بقلمه وإما باملائه أو اقراره

وقد نقلت من هذه الوثائق الرسمية في المنار ماهو حجة على اكثر هؤلاء الذين يقولون بغير علم، ومنهم من يقول بلسانه ويكتب بقلمه خلاف مايعتقد ويعلم باختباره

ذهبت إلى الحجاز في أثناء ثورته في أول مدة الحرب الكبرى، وتكلمت معه في هذه الشؤون سراً وجهراً، وارتجلت في حفلة تهنئته بالعيد الاكبر في منى خطبة بينت فيها الاسباب الظاهرة لثورته العربية، وأقصى مايمكن أن يحتج به لجوازها من حال الدولة العثمانية، وما ينبغي أن يقصد بها وماتنتهي اليه، فوافقني هو على كل ماقلته؛ وصرح في ذلك المحفل الحافل بأنه لم ير أحداً وافق رأيه رأيه من كل وجه بلا تواطؤ ولا سبق حديث إلا هذا الخطيب، وأمر أن أكتب الخطبة لتنشر في جريدة القبلة فكتبتها فأمر بنشرها والتعليق عليها بما قاله في المحفل

والظاهر أن موافقته كانت في الباطن كالظاهر والراجح عندي أنه اقتنع بما قلته لا ان ذلك كان رأيه من قبل، وكان يعتقد يومئذ انني مخلص في نصحي له وكذلك كنت وهو دأبي وخلقي، ولكن جواسيس الانكليز أرجعوه عن ذلك الرأي الذي كان اقتنع به، وقد صرح لي برجوعه عنه مدير مكتبهم العربي في مصر (كورنواليس) مستشار الداخلية لحكومة العراق الآن، وكذلك غير قلبه عليَّ أحد

حاشيته من صنائعهم الذي كان يحلف لي قولا وكتابة بان مكانتي من قلبه فوق كل مكانة ، بل أحفظ منه كتابا بخطه أقسم فيه إنه لو اجتمع الخلائق كلهم صفاً صفاً... وقالوا قولا وقلت غيره « لجعلت مقالهم دبر أذني ووراء ظهري » فكان هو سبب منعه المنار من الحجاز أو « من المالك الهاشمية » كما جاء في بلاغ المنع الرسمي من جريدة القبلة، وكان هذا المنع خيرا لي كما بينته في المنار

أنا لم أكن أعرف الشريف حسينا قبل الحرب معرفة شخصية وانما عرفت في الآستانة نجله الشريف عبد الله معدن الظرف واللطف والتواضع والادب ، وكنا نشتغل في ذلك الوقت بتكوين الجامعة العربية فرأيت منه ميلا اليها ورغبة في تأييدها ، فتعارفنا وتواعدنا على ذلك وعقدنا رابطة المودة

ثم كان بيني وبينه في مصر ماذكرته مختصراً في الجزء الماضي وقد بلغ والده ذلك ، ومنه ماذكرته له في الآستانة من شدة استيائي مما كان يكتبه عبيد الله افندي عدو العرب المشهور من الطعن في والده فكان هـذا هو السبب الاول لثقته باخلاصي في نصحه . وقد أكده سبب آخر وهو مابلغه إياه المرحوم محمد شريف الفاروقي معتمده في مصر من الثناء والتعاون معه على كل ما فيه نجاح النهضة العربية ، وقد كان هذا الرجل جامعا بين الذكاء والاخلاص في خدمته ، ولولا انه بلغ الانكليز رسمياً بأنه يطلبني لمقابلته في مكة المكرمة لما سمحوا لي بالذهاب ولو بقصد الحج ، على ان الجنرال كليتون حاول إقناعي بان لا أذهب إلى الحجاز ووعدني وعوداً عظيمة إن بقيت في مصر منها إعادة مساعدة وزارة الاوقاف لمدرسة الدعوة والارشاد ! ! ! لأنه ظن أنني أريد أن أبقى عند الشريف في مكة وكان يعتقد أنني اذا كنت بجانبه لايستطيعون أن يسيروه كما يريدون

وجملة القول أنني جئت مكة مزوداً بثقة لامجال للظنة فيها ، فأجلني وأكرم مثواي، وكاشفني بما يبعد أن يكون كاشف به غيري، وهو من عرف جميع رجاله وأولاده شدة كتمانه وعدم ثقته بالناس، حتى انه صرح لي بانه انما يخاطب معتمده في مصر بالبرقيات الرمزية (الشفرة) لئلا يعلم موظفو ديوانه بما يخاطبه به لا للتعمية على الانكليز بمصر فهو لايرى مانعاً من علمهم بكل مايخاطبه به (للترجمة بقية)

﴿ خاتمة المجلد الحادي والثلاثين ﴾

قد تم بحمد الله وتوفيقه المجلد الحادي والثلاثون من المنار وكان أهم الاسباب لتأخير هذا الجزء غير ما أشرت اليه في الجزء الثامن ان الحكومة وضعت قانونا للمطبوعات فرضت فيه على كل صحيفة يومية أن تدفع للحكومة تامينا ماليا قدره ثلاثمائة جنيه وعلى مادون اليومية من الصحف الاسبوعية والمجلات أن تدفع مائة وخمسين جنيها ، وان ادارة المنار لعاجزة عن دفع هذا المبلغ في هذه العسرة المالية الخانقة التي يئط من حمل وزرها الاغنياء أولو الموارد الفياضة التي لا تنضب فماذا تفعل مجلة اسلامية اصلاحية كالمنار قد ازداد مشتركوها مطلا على مطلهم بحجة العسرة ، وقد انقطعت عنها مطبوعات جلالة ملك الحجاز ونجد بعد أن اشتهر بين الناس انها لا تقبل غيرها لا تصال مددها وخشية تاخيرها ، وسوق الكتب في كساد إلا كتب المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها ، وكتب المدارس وأكثرها محتكرة أو كالمحتكرة

فاذا لم تستثن الحكومة المجلات الدينية من هذه الضريبة فانني أضطر الى ترك اصدار المنار من أول المجلد الثاني والثلاثين أو تحرك الغيرة والنخوة قراءه فيؤدوا له من حقوقه ما يمكنني من استمرار نشره ، ولعل ما وصل إلي منهم في هذه السنة لم يف بثلث نفقته فما قولهم في سائر نفقاتنا ؟ فان كان يرضيهم هذا و يستمرون على مطلهم بل هضمهم لحقه ، ويهون عليهم إطفاء نوره بعد اضاءته على العالم الاسلامي مدة ثلث قرن فعليهم وعلى اسلامهم السلام ، والحمد لله على كل حال .

﴿ أيها الاخوة الكرام ﴾ ان علينا ديونا مؤقتة لبعض المصارف والتجار لا يقبل أصحابها تاجيل شيء منها شهرا واحدا الا بربح أو ربا يقابله ، ومنهم من لا يقبل التاجيل مطلقا . وان لنا ديونا أكثر منها على مشتركي المنار نرضى أن يؤدوها لنا في هذا الوقت بنقص عشرين في المائة وهو أكثر من ضعفي ما يأخذه دائنونا وان كان بعض ديوننا متاخرة عن استحقاقها عدة سنين لا سنة واحدة . واننا نعد إجابتهم طلبنا هذا منة لهم كمنة التبرع لهذه الخدمة الشريفة . بشرط أن يكون الاداء في مدة لا تتجاوز أربعة أشهر أو بحيث تصل الينا قبل انتهاء هذه السنة الميلادية ، لان علينا في كل شهر من هذه الشهور قسطا من هذه الديون المؤقتة

فالبدار البدار يا أولي الوفاء والغيرة والمروءة ، حاسبوا أنفسكم وارسلوا ما توقنون من الحق الثابت عليكم ، وادارة المنار تخبركم بما تشكون فيه ، وهذه أهم تجربة لغيرتكم ومروءتكم ، التي هي فوق طهارة ذمتكم ، والله يتولى حسن مثوبتكم ، وصلى الله وسلم على محمد خاتم النبيين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين